



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

العلماء



رسالة  
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

تفسير القرآن

( للمعرفة )

المجلد ١ - ٢

محمد هادي معرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# التفسير و المفسرون فى ثوبه القشيب

كاتب:

محمد هادى معرفت

نشرت فى الطباعة:

غير محدد.

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

|    |                               |
|----|-------------------------------|
| ٥  | الفهرس                        |
| ٢٣ | التفسير و المفسرون (للمعرفة)  |
| ٢٣ | اشارة                         |
| ٢٣ | [الجزء الاول]                 |
| ٢٣ | [كلمة الناشر]                 |
| ٢٥ | [مقدمة الكتاب                 |
| ٢٦ | التفسير                       |
| ٢٦ | التعريف بالتفسير              |
| ٢٧ | الحاجة إلى التفسير            |
| ٢٩ | الفرق بين التفسير و التأويل   |
| ٣٠ | معانى التأويل                 |
| ٣١ | مفاهيم عامة منتزعة من الآيات  |
| ٣٢ | ضابطة التأويل                 |
| ٣٤ | مزاعم فى التأويل              |
| ٤١ | هل يعلم التأويل غير الله؟     |
| ٤٢ | هل التفسير توقيف؟             |
| ٤٥ | صلاحية المفسر                 |
| ٤٨ | أوجه التفسير                  |
| ٤٩ | التفسير بالرأى                |
| ٤٩ | اشارة                         |
| ٥٤ | خلاصة القول فى التفسير بالرأى |
| ٥٤ | اشارة                         |
| ٥٤ | أحدهما:                       |

- ٥٥ ..... و ثانيهما:
- ٦٠ ..... حجية ظواهر الكتاب
- ٦٣ ..... نسبة خاطئة
- ٦٤ ..... اشارة
- ٦٤ ..... أن معانى القرآن على أربعة أقسام:
- ٦٤ ..... أحدها:
- ٦٤ ..... ثانيها:
- ٦٤ ..... ثالثها:
- ٦٤ ..... رابعها:
- ٦٧ ..... دلائل مزعومة
- ٦٨ ..... منهج القرآن فى الإفاده و البيان
- ٦٨ ..... اشارة
- ٦٩ ..... و الخلاصة:
- ٧٠ ..... و جهة أخرى
- ٧٢ ..... و جهة ثالثة:
- ٧٤ ..... و جهة رابعة:
- ٧٥ ..... و جهة خامسة:
- ٧٥ ..... ترجمه القرآن فى كفة الميزان
- ٧٥ ..... اشارة
- ٧٥ ..... ترجمه القرآن
- ٧٥ ..... مسائل ثلاث
- ٧٥ ..... أولا:
- ٧٥ ..... ثانيا:
- ٧٦ ..... ثالثا:

- ٧٦ ..... التعريف بالترجمة
- ٧٦ ..... خطورة أمر الترجمة
- ٧٦ ..... أساليب الترجمة
- ٧٦ ..... اشارة
- ٧٧ ..... الأول:
- ٧٧ ..... الثاني:
- ٧٨ ..... الثالث:
- ٧٨ ..... نواحي القرآن الثلاث
- ٧٩ ..... الترجمة الحرفية للقرآن
- ٨١ ..... الترجمة المعنوية (التفسيرية)
- ٨١ ..... المنع من الترجمة و أخطارها
- ٨٤ ..... دفاع حاسم
- ٨٦ ..... الترجمة من الوجهة الشرعية
- ٨٦ ..... وثائق شرعية
- ٨٦ ..... اشارة
- ٨٧ ..... فتوى الحجة كاشف الغطاء
- ٨٧ ..... نظرة الإمام الخوئي
- ٨٨ ..... كتاب شيخ الأزهر
- ٨٨ ..... فتوى علماء الأزهر
- ٩٠ ..... قرار مجلس الوزراء المصري
- ٩٠ ..... محاولة دون تنفيذ القرار
- ٩١ ..... مناقشات فقهية
- ٩٣ ..... ترجمة القرآن ضرورة دعائية
- ٩٣ ..... اشارة

- ٩٥ ..... تراجم إسلامية عريقة
- ٩٧ ..... كيفية ترجمة القرآن
- ٩٩ ..... نماذج من تراجم خاطئة
- ١٠٠ ..... التفسير نشأته و تطوره في مراحل: .....
- ١٠١ ..... اشارة
- ١٠١ ..... المرحلة الأولى التفسير في عهد الرسالة
- ١٠١ ..... اشارة
- ١٠١ ..... التفسير في نشأته الأولى (في عهد الرسالة)
- ١٠٢ ..... هل تناول النبي القرآن كله بالبيان؟
- ١٠٤ ..... حجم المأثور من تفاسير الرسول صلى الله عليه و آله و سلم
- ١٠٥ ..... أوجه بيان النبي لمعاني القرآن
- ١٠٨ ..... نماذج من تفاسير مأثورة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم
- ١١٥ ..... المرحلة الثانية التفسير في دور الصحابة
- ١١٥ ..... اشارة
- ١١٥ ..... التفسير في دور الصحابة
- ١١٥ ..... هم درجات عند الله
- ١١٩ ..... المفشرون من الأصحاب
- ١٢٠ ..... أعلم الصحابة بمعاني القرآن فالأعلم
- ١٢٥ ..... ملحوظة
- ١٣٠ ..... توسعه في التفسير
- ١٣١ ..... منهجه في التفسير
- ١٣١ ..... اشارة
- ١٣٢ ..... أولاً- مراجعة ذات القرآن في فهم مراداته
- ١٣٢ ..... ثانيا- رعايته لأسباب النزول



- ١٣٤ ..... ثالثا- اعتماده المأثور من التفسير المروى
- ١٣٥ ..... رابعا- اضطلاع بالادب الرفيع
- ١٣٦ ..... مسائل ابن الأزرق
- ١٤٠ ..... مراجعة أهل الكتاب!
- ١٤٣ ..... نقد و تمحيص
- ١٤٣ ..... التحذير عن مراجعة أهل الكتاب
- ١٤٨ ..... استعمال الرأى و الاجتهاد
- ١٤٩ ..... الطرق إليه فى التفسير
- ١٦٢ ..... تفسير ابن عباس
- ١٦٣ ..... قيمة تفسير الصحابى
- ١٦٦ ..... هل المأثور من الصحابى حديث مسند؟
- ١٦٨ ..... ميزان تفسير الصحابى
- ١٦٩ ..... المرحلة الثالثة التفسير فى دور التابعين
- ١٦٩ ..... اشارة
- ١٦٩ ..... مدارس التفسير:
- ١٦٩ ..... اشارة
- ١٧٠ ..... نعم الخلف لخير سلف
- ١٧٠ ..... مدارس التفسير
- ١٧٢ ..... أعلام التابعين المفسرين:
- ١٧٢ ..... اشارة
- ١٧٣ ..... أعلام التابعين
- ١٧٣ ..... اشارة
- ١٧٣ ..... ١. سعيد بن جبير
- ١٧٤ ..... ٢- سعيد بن المسيب

- ١٧٤ ..... اشارة
- ١٧٧ ..... نموذج من تفسيره
- ١٧٨ ..... من نوادر حكيمته:
- ١٧٩ ..... ٣- مجاهد بن جبر
- ١٧٩ ..... اشارة
- ١٨٢ ..... تفسير مجاهد برواية ابن أبي نجيح
- ١٨٣ ..... ٤- طاوس بن كيسان
- ١٨٦ ..... ٥- عكرمة مولى ابن عباس
- ١٨٦ ..... اشارة
- ١٩١ ..... منهجه فى التفسير
- ١٩٢ ..... و إليك نموذج من تفسيره:
- ١٩٣ ..... ٦- عطاء بن أبى رباح
- ١٩٥ ..... ٧- عطاء بن السائب
- ١٩٦ ..... ٨- أبان بن تغلب بن رباح
- ١٩٨ ..... ٩- الحسن البصرى
- ٢٠٥ ..... ١٠- علقمة بن قيس
- ٢٠٧ ..... ١١- محمد بن كعب القرظى «٣»
- ٢٠٨ ..... ١٢- أبو عبد الرحمن السلمى
- ٢٠٨ ..... ١٣- مسروق بن الأجدع
- ٢١٤ ..... ١٤- الأسود بن يزيد
- ٢١٤ ..... ١٥- مرّة الهمدانى
- ٢١٤ ..... ١٦- عامر الشعبي
- ٢١٥ ..... ١٧- عمرو بن شرحبيل
- ٢١٦ ..... ١٨- زيد بن وهب

- ٢١٦ ..... ١٩- أبو الشعثاء الكوفى
- ٢١٦ ..... ٢٠- أبو الشعثاء الأزدي
- ٢١٦ ..... ٢١- الأصغ بن نباتة
- ٢١٧ ..... ٢٢- زر بن حبيش
- ٢١٧ ..... ٢٣- ابن أبي ليلي
- ٢١٨ ..... ٢٤- عبدة بن قيس بن عمرو السلماني
- ٢١٨ ..... ٢٥- الربيع بن أنس البكري
- ٢١٨ ..... ٢٦- الحارث بن قيس الجعفي الكوفى
- ٢١٨ ..... ٢٧- قتادة بن دعامة
- ٢٢١ ..... ٢٨- زيد بن أسلم
- ٢٢٢ ..... ٢٩- أبو العالبي
- ٢٢٣ ..... ٣٠- جابر الجعفي
- ٢٢٤ ..... قيمة تفسير التابعي
- ٢٢٨ ..... ميزات تفسير التابعي
- ٢٣٦ ..... منابع التفسير في عهد التابعين
- ٢٣٨ ..... المرحلة الرابعة دور أهل البيت في التفسير
- ٢٣٨ ..... اشارة
- ٢٣٨ ..... العثرة إلى جنب القرآن
- ٢٤٠ ..... و المستفاد من حديث الثقلين أمور:
- ٢٤٦ ..... دور أهل البيت في التفسير
- ٢٤٦ ..... الخلط في التفاسير المأثورة
- ٢٤٩ ..... الوضع عن لسان الأئمة
- ٢٥٤ ..... نماذج مختارة من صحاح التفاسير المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ٢٥٤ ..... اشارة

- الأول- آية الوضوء ..... ٢٥٤
- اشارة ..... ٢٥٤
- أ- مسح الرأس: ..... ٢٥٤
- ب- مسح الرجلين ..... ٢٥٧
- الثاني- آية قصر الصلاة ..... ٢٥٨
- الثالث- آية الخمس ..... ٢٦٠
- الرابع- آية القطع ..... ٢٦٢
- الخامس- تحريم الخمر ..... ٢٦٣
- السادس- قتل المؤمن متعمدا ..... ٢٦٥
- السابع- الطلاق الثلاث ..... ٢٦٥
- الثامن- حديث المتعة ..... ٢٧١
- اشارة ..... ٢٧١
- أ- متعة النساء ..... ٢٧١
- قصة المنع من المتعتين ..... ٢٧٥
- لا نسخ و لا تحريم ..... ٢٧٩
- و لننظر فى هذه البنود باختصار: ..... ٢٧٩
- محاورة مفيدة ..... ٢٨٢
- اشارة ..... ٢٨٢
- ب- متعة الحج ..... ٢٨٤
- مذاهب الفقهاء فى حج التمتع ..... ٢٨٥
- التاسع- حديث الرجعة ..... ٢٨٥
- العاشر- مسألة البداء ..... ٢٩٣
- الفهارس ..... ٢٩٥
- اشارة ..... ٢٩٥

|     |  |
|-----|--|
| ٢٩٥ | فهرس الآيات القرآنية                   |
| ٣٠٠ | فهرس الأحاديث                          |
| ٣٠٣ | فهرس الأعلام                           |
| ٣١١ | [الجزء الثاني]                         |
| ٣١١ | [تتمة التفسير نشأته و تطوره            |
| ٣١١ | المرحلة الخامسة التفسير في عهد التدوين |
| ٣١١ | اشارة                                  |
| ٣١١ | شكر و تقدير                            |
| ٣١٢ | التفسير في عهد التدوين                 |
| ٣١٣ | تدرج التفسير و تلونه                   |
| ٣١٦ | النمط الأول التفسير بالمأثور           |
| ٣١٦ | اشارة                                  |
| ٣١٦ | [أنحاء التفسير بالمأثور]               |
| ٣١٦ | ١- تفسير القرآن بالقرآن                |
| ٣١٨ | ٢- تفسير القرآن بالسنة                 |
| ٣١٩ | ٣- تفسير القرآن بقول الصحابي           |
| ٣١٩ | ٤- تفسير القرآن بقول التابعي           |
| ٣١٩ | آفات التفسير بالمأثور                  |
| ٣٢٠ | اشارة                                  |
| ٣٢٠ | ١- ضعف الأسانيد                        |
| ٣٢٢ | ٢- الوضع في التفسير                    |
| ٣٢٢ | اشارة                                  |
| ٣٢٢ | أهم أسباب الوضع                        |
| ٣٣٣ | أقسام الوضاعين                         |

- ٣٣٥ ..... أقطاب الوضاعين
- ٣٤٠ ..... أنحاء الموضوعات
- ٣٤٤ ..... ٣- الإسرائيليةيات
- ٣٤٤ ..... اشارة
- ٣٤٥ ..... الإسرائيليةيات فى التفسير و الحديث
- ٣٤٨ ..... هل تجوز مراجعة أهل الكتاب؟
- ٣٥٠ ..... مناقشة دلائل الجواز
- ٣٥١ ..... أقطاب الروايات الإسرائيليةية
- ٣٥١ ..... اشارة
- ٣٥٢ ..... ١- عبد الله بن سلام
- ٣٥٣ ..... ٢- كعب الأحبار
- ٣٥٤ ..... ٣- تميم بن أوس الدارى
- ٣٥٩ ..... ٤- وهب بن منبه
- ٣٥٩ ..... ٥- محمد بن كعب القرظى
- ٣٥٩ ..... ٦- عبد الله بن عمرو بن العاص
- ٣٦١ ..... ٧- أبو هريرة
- ٣٦٥ ..... ٨- ابن جريج
- ٣٦٥ ..... مبدأ نشر الإسرائيليةيات
- ٣٧١ ..... أقسام الإسرائيليةيات
- ٣٧١ ..... اشارة
- ٣٧٣ ..... ١- أمثلة على الموافقة:
- ٣٧٤ ..... ٢- أمثلة على المخالفة:
- ٣٧٤ ..... ٣- أمثلة على المسكوت عنه
- ٣٧٥ ..... نماذج من إسرائيليةيات مبنوثة فى التفسير

- ٣٧٥ ..... اشارة
- ٣٧٦ ..... ١- الإسرائيلية في قصة هاروت و ماروت «١»
- ٣٨٠ ..... ٢- إسرائيلية في المسوخ من المخلوقات
- ٣٨١ ..... ٣- الإسرائيلية في بناء الكعبة: البيت الحرام و الحجر الأسود
- ٣٨٢ ..... ٤- الإسرائيلية في قصة التابوت
- ٣٨٣ ..... ٥- الإسرائيلية في قصة قتل داود جالوت
- ٣٨٦ ..... ٦- الإسرائيلية في قصص الأنبياء و الأمم السابقة
- ٣٨٦ ..... ٧- ما ورد في قصة آدم عليه السلام
- ٣٨٩ ..... ٨- الإسرائيلية في عظم خلق الجبارين و خرافة عوج بن عوق
- ٣٩١ ..... ٩- الإسرائيلية في قصة التيه
- ٣٩٣ ..... ١٠- الإسرائيلية في: «المائدة التي طلبها الحواريون»
- ٣٩٧ ..... ١١- الإسرائيلية في «سؤال موسى ربه الرؤية»
- ٣٩٩ ..... ١٢- الإسرائيلية في ألواح التوراة
- ٤٠١ ..... ١٣- إسرائيلية مكذوبة في سبب غضب موسى لما ألقى الألواح
- ٤٠٢ ..... ١٤- إسرائيلية و خرافات في بني إسرائيل
- ٤٠٣ ..... ١٥- الإسرائيلية في نسبة الشرك إلى آدم و حواء
- ٤٠٧ ..... ١٦- الإسرائيلية في سفينة نوح
- ٤٠٩ ..... ١٧- الإسرائيلية في قصة يوسف عليه السلام
- ٤١٠ ..... ١٨- الإسرائيلية في قوله تعالى: وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ
- ٤١٥ ..... ١٩- الإسرائيلية في سبب لبث يوسف في السجن
- ٤١٦ ..... ٢٠- الإسرائيلية في شجرة طوبى
- ٤١٧ ..... ٢١- الإسرائيلية في إفساد بني إسرائيل
- ٤٢١ ..... ٢٢- الإسرائيلية في قصة أصحاب الكهف
- ٤٢٢ ..... ٢٣- الإسرائيلية في قصة ذى القرنين

- ٢٤- الإسرائيليات فى قصة يأجوج و مأجوج ..... ٤٢٤
- ٢٥- الإسرائيليات فى قصة بلقيس ملكة سبأ ..... ٤٢٦
- ٢٦- الإسرائيليات فى هديّة ملكة سبأ لسيدنا سليمان ..... ٤٢٧
- ٢٧- الإسرائيليات فى قصة الذبيح و أنه إسحاق ..... ٤٢٨
- ٢٨- الإسرائيليات فى قصة إياس عليه السلام ..... ٤٣٣
- ٢٩- الإسرائيليات فى قصة داود عليه السلام ..... ٤٣٥
- ٣٠- الإسرائيليات فى قصة سليمان عليه السلام ..... ٤٣٨
- ٣١- الإسرائيليات فى قصة أيوب عليه السلام ..... ٤٤١
- ٣٢- الإسرائيليات فى قصة إرم ذات العمد ..... ٤٤٤
- الإسرائيليات فى تفسير ن و القلم ..... ٤٥٦
- أشهر كتب التفسير بالمأثور ..... ٤٥٦
- اشارة ..... ٤٥٦
- ١- جامع البيان للطبرى ..... ٤٥٧
- اشارة ..... ٤٥٧
- منهجه فى التفسير و نقد الآراء ..... ٤٥٨
- موقفه تجاه أهل الرأى فى التفسير ..... ٤٥٩
- نزعه التعصبية ..... ٤٦٠
- ٢- تفسير العياشى ..... ٤٦١
- اشارة ..... ٤٦١
- منهجه فى التفسير ..... ٤٦٢
- ٣- تفسير القمى ..... ٤٦٣
- اشارة ..... ٤٦٣
- منهجه فى التفسير ..... ٤٦٤
- ٤- تفسير الحويزى (نور الثقلين) ..... ٤٦٤



- ٤٦٤ ..... اشارة
- ٤٦٥ ..... منهجه فى التفسير
- ٤٦٦ ..... ٥- تفسير البحرانى (البرهان)
- ٤٦٦ ..... اشارة
- ٤٦٦ ..... منهجه فى التفسير
- ٤٦٧ ..... ٦- الدرّ المنثور فى التفسير بالمأثور
- ٤٦٧ ..... ٧- تفسير البرغانى (بحر العرفان)
- ٤٦٧ ..... اشارة
- ٤٦٨ ..... نمط آخر من التفسير بالمأثور
- ٤٦٨ ..... ٨- تفسير الصافى
- ٤٦٨ ..... اشارة
- ٤٦٩ ..... منهجه فى التفسير
- ٤٦٩ ..... ٩- تفسير المشهدى (كنز الدقائق و بحر الغرائب)
- ٤٧٠ ..... ١٠- تفسير ابن كثير
- ٤٧٢ ..... ١١- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز)
- ٤٧٢ ..... ١٢- تفسير الثعلبى (الكشف و البيان)
- ٤٧٣ ..... ١٣- تفسير الثعالبى (الجواهر الحسان)
- ٤٧٣ ..... ١٤- منهج الصادقين
- ٤٧٣ ..... النمط الثانى التفسير الاجتهادى
- ٤٧٣ ..... اشارة
- ٤٧٥ ..... تنوع التفسير الاجتهادى
- ٤٧٥ ..... اشارة
- ٤٧٦ ..... التفسير الفقهى (آيات الأحكام)
- ٤٧٦ ..... اشارة

- ٤٧٦ ..... أهم كتب آيات الأحكام
- ٤٧٧ ..... أحكام القرآن - للجصاص الحنفى
- ٤٨٠ ..... أحكام القرآن (المنسوب إلى الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤). .....
- ٤٨١ ..... أحكام القرآن لكيا الهزاسى الشافعى أيضا .....
- ٤٨٢ ..... أحكام القرآن لابن العربى المالكى .....
- ٤٨٣ ..... أحكام القرآن - للراوندى (فقه القرآن) .....
- ٤٨٤ ..... أحكام القرآن - للسيورى (كنز العرفان فى فقه القرآن) .....
- ٤٨٥ ..... زبده البيان فى أحكام القرآن للمقدس الأردبيلى .....
- ٤٨٥ ..... مسالك الأفهام - إلى آيات الأحكام للفاضل الجواد الكاظمى .....
- ٤٨٥ ..... قلائد الدرر فى بيان آيات الأحكام بالأثر .....
- ٤٨٥ ..... آيات الأحكام - للسيد الطباطبائى اليزدى .....
- ٤٨٥ ..... التفاسير الجامعة .....
- ٤٨٥ ..... اشارة .....
- ٤٨٥ ..... التبيان - فى تفسير القرآن لأبى جعفر الطوسى (٤٦٠) .....
- ٤٨٦ ..... اشارة .....
- ٤٨٦ ..... التعريف بهذا التفسير .....
- ٤٨٧ ..... منهجه فى التفسير .....
- ٤٩٠ ..... مجمع البيان - فى تفسير القرآن لأبى على الطبرسى .....
- ٤٩٠ ..... اشارة .....
- ٤٩٠ ..... منهجه فى التفسير .....
- ٤٩٤ ..... روح الجنان و روح الجنان لأبى الفتوح الرازى .....
- ٤٩٤ ..... اشارة .....
- ٤٩٥ ..... أما منهجه فى التفسير .....
- ٤٩٩ ..... كنز الدقائق و بحر الغرائب للمولى المشهدى .....

- ٥٠٠ ..... تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) .....
- ٥٠٠ ..... تفسير الماوردي (النكت و العيون) .....
- ٥٠١ ..... التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) .....
- ٥٠١ ..... اشارة .....
- ٥٠٣ ..... عنايته بأهل البيت .....
- ٥٠٦ ..... إمام المشككين .....
- ٥١٢ ..... مباحث تافهة .....
- ٥١٣ ..... تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل و أسرار التأويل) .....
- ٥١٤ ..... تفسير النسفي (مدارك التنزيل و حقائق التأويل) .....
- ٥١٥ ..... تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) .....
- ٥١٥ ..... تفسير الألويسي (روح المعاني) .....
- ٥١٦ ..... تفسير البلاغي (آلاء الرحمن) .....
- ٥١٧ ..... التفسير في العصر الحديث .....
- ٥١٧ ..... اشارة .....
- ٥١٨ ..... ألوان التفسير في العصر الحديث .....
- ٥١٨ ..... اشارة .....
- ٥١٨ ..... ١- اللون العلمي .....
- ٥٢٢ ..... ٢- اللون الأدبي الاجتماعي .....
- ٥٣٥ ..... تفاسير أدبية .....
- ٥٣٥ ..... اشارة .....
- ٥٣٥ ..... الكشاف .....
- ٥٣٥ ..... اشارة .....
- ٥٣٩ ..... اعتماده على التأويل و التمثيل .....
- ٥٤٢ ..... امتهانه بشأن القراء .....

- ٥٤٤ ..... تهاجمه على أهل السنة
- ٥٤٦ ..... البحر المحيط
- ٥٤٧ ..... معانى القرآن
- ٥٤٨ ..... إملأ ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات فى جميع القرآن
- ٥٥٠ ..... تفاسير لغوية
- ٥٥٠ ..... اشارة
- ٥٥١ ..... تفسير المتشابهات
- ٥٥١ ..... اشارة
- ٥٥١ ..... ١- متشابه القرآن
- ٥٥١ ..... ٢- تنزيه القرآن عن المطاعن
- ٥٥٢ ..... ٣- متشابهات القرآن و مختلفه
- ٥٥٢ ..... ٤- أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها
- ٥٥٣ ..... التفاسير الموجزة
- ٥٥٣ ..... اشارة
- ٥٥٣ ..... [١- الوجيز:]
- ٥٥٤ ..... ٢- الأصفى:
- ٥٥٤ ..... [٣- المصقى:]
- ٥٥٤ ..... ٤- التسهيل لعلوم التنزيل،
- ٥٥٥ ..... ٥- تفسير الجلالين،
- ٥٥٥ ..... ٦- التفسير المقارن،
- ٥٥٥ ..... ٧- صفوة التفاسير
- ٥٥٦ ..... ٨- الوجيز فى تفسير القرآن العزيز
- ٥٥٦ ..... ٩- تقريب القرآن إلى الأذهان
- ٥٥٦ ..... ١٠- النهر الماد من البحر المحيط

- ٥٥٧ ..... تفاسير عرفانية (التفسير الرمزي و الإشارى)
- ٥٥٧ ..... اشارة -
- ٥٦٢ ..... التنوع فى التفسير الباطنى -
- ٥٦٣ ..... أهم تفاسير الصوفية و أهل العرفان ..
- ٥٦٣ ..... اشارة -
- ٥٦٣ ..... ١- تفسير التسترى -
- ٥٦٥ ..... ٢- حقائق التفسير للسلمى ..
- ٥٦٧ ..... ٣- لطائف الإشارات للقشبرى ..
- ٥٦٩ ..... ٤- كشف الأسرار و عدة الأبرار (تفسير الميبدى) المعروف بتفسير الخوجا عبد الله الأنصارى ..
- ٥٦٩ ..... اشارة ..
- ٥٧٦ ..... اللغات الغريبة التى جاءت فى هذا التفسير ..
- ٥٧٨ ..... ٥- تفسير الخوجا عبد الله الأنصارى ..
- ٥٧٨ ..... ٦- تفسير ابن عربى ..
- ٥٧٨ ..... اشارة ..
- ٥٧٨ ..... هل لابن عربى من تفسير؟ ..
- ٥٧٩ ..... تفاسير منسوبة إلى ابن عربى ..
- ٥٨٠ ..... التعريف بهذا التفسير ..
- ٥٨٦ ..... ٧- عرائس البيان فى حقائق القرآن لأبى محمد الشيرازى ..
- ٥٨٦ ..... ٨- التأويلات النجمية لنجم الدين دايم، و علاء الدولة السمنانى ..
- ٥٨٧ ..... الفهارس ..
- ٥٨٧ ..... اشارة ..
- ٥٨٧ ..... فهرس الآيات القرآنية ..
- ٥٩١ ..... فهرس الأحاديث ..
- ٥٩٣ ..... فهرس الأعلام ..

٦٠٠ ..... تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## التفسير و المفسرون (للمعرفة)

## إشارة

سرشناسه : معرفت هادی

عنوان و نام پدیدآور : التفسير و المفسرون فى ثوبه القشيب تالیف محمد هادی معرفه

مشخصات نشر : مشهد: الجامعه الرضويه للعلوم الاسلاميه ١٤١٨ ق ١٣٧٧ -

مشخصات ظاهري : ج.

شابك : ٣٥٠٠ ريال (دوره) ؛ ١٥٠٠٠٠ ريال ( دوره، چاپ چهارم ) ؛ ج.١، چاپ چهارم: ٦-٥٥-٧٦٧٣-٩٦٤-٩٧٨ ؛ ١٢٠٠٠٠ ريال

ج.٢، چاپ سوم: ١-٣٤-٧٦٧٣-٩٦٤-٩٧٨

یادداشت: عربی

یادداشت: ج. ١ (چاپ چهارم: ١٤٢٩ ق. = ١٣٨٧).

یادداشت : ج ٢ (چاپ اول ١٤١٩ ق = ١٣٧٧).

یادداشت : ج.٢ (چاپ سوم: ١٤٢٨ ق.= ١٣٨٦).

یادداشت : کتابنامه

موضوع : مفسران.

موضوع : تفسیر -- فن

شناسه افزوده : دانشگاه علوم اسلامی رضوی

رده بندی کنگره : BP٩١/٥/م٦٦٧٧ ١٣٧٧

رده بندی دیویی : ٢٩٧/١٧١

شماره کتابشناسی ملی : م٧٧-١٣٧٦٩

## [الجزء الاول]

## [کلمة الناشر]

بسم الله الرحمن الرحيم تظل الحاجة قائمة إلى تفسير القرآن الكريم بوصفه دستور الإسلام الرفيع، و معجزة النبي صلى الله عليه و آله و سلم الخالدة لأسباب عرضها هذا الكتاب. من هنا كان الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم أول من تولى تفسيره عبر إعداده ثلثة من الصحابة الأكفاء الذين كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أكثرهم تألقاً. و يليه عبد الله بن مسعود، و أبى بن كعب، و عبد الله بن عباس، و كانت لهؤلاء معرفة ملحوظة فى تفسير القرآن.

و ازدادت الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم أكثر فأكثر بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم بسبب البعد عن زمن نزول الوحى، و اتساع نطاق الفتوحات الإسلامية، و بروز مسائل علمية جديدة. فتوزع عدد من الصحابة على الأمصار، فاستقر عبد الله بن عباس بمكة، و عبد الله بن مسعود بالكوفة، و أبى بن كعب بالمدينة و أبو موسى الأشعري بالبصرة، و أبو الدرداء بالشام. و ألقى هؤلاء دروسهم فى تفسير القرآن، و جهدوا فى سبيل ذلك، فأثمرت مساعيهم من خلال إعداد شريحة من التابعين، و ظهور مدارس تفسيرية متنوعة.

و هكذا انتقل التراث الثمين لتفسير القرآن الكريم من التابعين إلى تابعي التابعين ... و حفظته الصدور و تناقلته الألسن إلى أن حان تدوين أول التفاسير، فأشرق فصل جديد في عرض المعارف القرآنية السامقة للأجيال القادمة، و ظهرت أساليب مختلفة في التفسير. و اضطلع التواقون إلى القرآن الكريم بتدوين مئات التفاسير - كاملة كانت أم ناقصة - رغبة منهم في خدمة هذا الكتاب المقدس بعد أن تجسّموا عناء كبيرا على تواتر الأيام، و بعد أن شهد العالم الإسلامي انبثاق مدارس فكرية متنوّعة في حقل الفلسفة، و الكلام، و العرفان، و التصوف، و شهد ظهور المعتزلة، و الأشاعرة. و لعلّ تعرّف الأمم و الشعوب على الإسلام و رغبته في رسالته هذا الدين فرضا ضرورة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤

تعريف القرآن لها، ممّا أفضى إلى بروز ظاهرة جديدة باسم «الترجمة».

إن مرور أربعة عشر قرنا على تفسير القرآن، و ظهور مدارس تفسيرية مختلفة، و جهود الفرق الإسلامية و علماء المسلمين لاستيعاب المعارف القرآنية، و الاهتمام بمستلزمات تفسير القرآن، و عشرات الموضوعات الأخرى، كلّ ذلك حفّز الجميع على الاتجاه الجاد نحو فصل مهم في علوم القرآن، تحت عنوان «التفسير و المفسرون».

و أول كتاب مستقل تمّ تدوينه في هذا المجال هو كتاب «مذاهب التفسير الإسلامي» الذي ألفه جولد تسيهر. و ترجم هذا المستشرق في الكتاب المذكور و غيره من كتبه الأخرى جهله، بل حقهه على الإسلام. و هذا حذوه الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه «التفسير و المفسرون» الذي ألفه في جزئين. و لقي هذا الكتاب ترحيبا من قبل الأوساط العلمية و الجامعية من لدن صدوره حتى اليوم. و هو الكتاب الوحيد الذي تبسط في مباحته حول التفسير و المفسرين.

بيد أنّه منى أيضا بمثالب فاطعة؛ إذ أنّه غفل عن كثير من الكتب التي صنّفت قبله في التفسير، و وهم في تعريف المفسرين و كتبهم لاعتماده على مصادر ضعيفة، و الأنكى من ذلك كلّه أنّ مؤلفه عبّر عن بغضه و إجحافه بحقّ بعض المذاهب الإسلامية و تفاسيرها ممّا قلّل من قيمة الكتاب كثيرا.

و من بين المذاهب التي أسخطته، و تجرّعت مضض جفائه أكثر من غيرها هو المذهب الجعفرى؛ إذ تحامل الذهبي على عقائد الشيعة، و ذكر تفاسيرهم في عداد التفاسير المشوبة بالبدع.

إنّ ما يؤلمنا حقا هو تدريس هذا الكتاب في جامعات بلادنا، و ذلك يعود إلى غياب كتاب يستبدل به. و قيص الله تعالى من يملأ هذا الفراغ، و هو الأستاذ المحقق، الباحث القرآنى سماحه آية الله محمد هادى معرفة - دام ظلّه - الذى هبّ إلى تأليف كتاب «التفسير و المفسرون» بعزم راسخ و جهد كبير و بحث شامل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥

و نلاحظ أنّ هذا المؤلف الكريم - كما ذكر هو نفسه - قد أمضى ما ينيف على ثلاثين سنة في البحث و التحقيق متحدّيا الصعاب دفاعا عن كيان التشيع، و إثباتا لدور علمائه في بثّ العلوم و المعارف القرآنية.

و كان عطاء تلك الجهود تدوين مجموعة كاملة في مباحث العلوم القرآنية بصورة واسعة و جامع، و تشتمل هذه الدورة على سبعة أجزاء تحت عنوان «التمهيد في علوم القرآن»، طبع منها لحدّ الآن ستة أجزاء.

و في هذا المضمّار تمّ تأليف كتاب «التفسير و المفسرون» في جزئين. و ممّا يميّز هذا الكتاب هو أنّ مؤلفه زاول تدريس موضوعاته في حوزة قم، و الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية بمشهد المقدسة قبل نشره. و جدّ في تحبيره من خلال إضافة فصول جديدة أثناء التدريس.

و يحسن هنا أن نشير إلى بعض خصائص الكتاب:

١- كلّ من يراجع الكتاب مراجعة يسيرة يدرك أنّ مؤلفه أخذ من كل مصدر يمكن أن يغنى بحثه، و لم يغفل عن التبع اللازم.



٢- أزيّن الكتاب بدراسات شاملة تتناول نقد الآراء و تحليلها بعد نقلها، على عكس بعض الكتب التي تكتفى بنقل الآراء و الأقوال.  
 ٣- ظاهرة الإبداع معلم بارز من معالم الكتاب إذ نجد فيه مباحث جديدة كضوابط التأويل، و المنهج البياني للقرآن، و دور أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن. و هي مباحث يمكننا أن نقول عنها إنها تعرض لأول مرة في كتاب علمي، مطعّم بالدليل.  
 ٤- لقد بذل المؤلف جهودا ملحوظة و مشكورة من أجل تحقيق هدفه المتمثل بالدفاع عن المذهب الجعفري من خلال طرحه فصولا جديدة في الكتاب، منها: دور أهل البيت في تفسير القرآن، و تحقيق جامع حول المواليين لأهل البيت من الصحابة و التابعين، و تفاسير الشيعة، و غير ذلك.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٦

٥- توفّر المؤلف في دراسة دور المفسرين من الصحابة و التابعين على نقد الآراء المطروحة حولهم و تحليلها اعتمادا على المصادر الرجالية، و ذهب إلى براءة كثير منهم ممّا ألصق بهم جرحا و تضعيفا، و أثبت موالاته الكثيرين منهم لأهل البيت عليهم السلام.  
 ٦- إذا أنعمنا النظر في الأبحاث التي تدور حول تاريخ التفسير، فإننا نجد مجموعة كاملة من هذا العلم قد طرحت في الكتاب اعتبارا من الاصطلاحات المستعملة حتى عصور تبلور التفسير، و المدونات التفسيرية التي نلاحظها في ذكر تفاسير الفريقين جميعهما و ذلك كله بأسلوب شامل مقبول. و أن مسائل هذا العلم تغني كلّ مراجع.  
 من المعالم البارزة في كتب المؤلف قوة قلمه. و يستبين هذا المعلم من مقايسته كتبه ببعض الكتب المؤلفة باللغة العربية. و نلاحظ في كتبه كلها ملكة عربية، و إلماما بالزوايا البيانية للغة العربية من أجل تبيان أهدافه.  
 و مؤلفنا القدير يزاول التدريس في الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية عدد سنين، مهتما بنشر الثقافة القرآنية و إعداد الطلاب الكفوئين. و قد تفضّل بالموافقة على اقتراح جامعتنا لطبع كتابه المذكور و اختصنا بشرف ذلك.  
 و أنجزت المراحل التمهيديّة قبل الطبع كالمراجعة، و الإخراج الفني، و إعداد فهرسه، و تنضيد الحروف المطبعية بالحاسب الالكتروني و غيرها، في قسم الدراسات القرآنية في الجامعة الرضوية.  
 نبتهل إلى المولى القدير جلّ و علا- أن يتقبل من المؤلف الكريم و من كافّة الأخوة الذين ساهموا في إعداد الكتاب و طبعه هذا الجهد.

و أنّه لمن دواعي سرورنا أن نقدّم هذا الكتاب الثمين لأوداء القرآن الكريم جميعهم، و لله الحمد أولا و آخرا.

الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية قسم الدراسات القرآنية

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٧

التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب كتاب أنزلناه إليك مباركك ليدبّرُوا آياته و ليتدكّر أولوا الألباب بحث مستوف بشئون التفسير: نشأته و تطوره و ألوانه مع عرض شامل لأشهر المفسرين و تحليل كامل لأهم كتب التفسير

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٩

## [مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى، محمد و آله الطاهرين.

قال تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بَشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾.

كان المسلمون في عهدهم الأول يفهمون القرآن على خالصته، و يستسيغون معانيه على بساطتها الأولى، صافية نقيّة عن كدر الأوهام و الدخائل؛ إذ كان قد نزل بلغتهم و على أساليب كلامهم الفصيح البليغ، كانوا يتلقّونه غصّا طريّا، و يجيدون فهمه عذبا رويّا.

و لئن كادت تكون لهم وقفات عند مبهمات التعابير؛ لدقّتها و رقة معانيها، فإنّ الوقفة لم تكن لتطول بهم؛ حيث الرسول- و هو الذريعة

العليا و الوسيلة الكبرى للوصول إلى فهم الشريعة في جميع مناحيها- في تناولهم القريب، فكان يبين لهم إذ ذاك ما خفى على أفهامهم أو دق عن أذهانهم؛ إذ كان عليه البيان، كما كان عليه البلاغ، قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٢». (١) النحل / ٨٩.

(٢) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠

و هكذا ظلّ المسلمون يفهمون القرآن على حقيقته، و يعلمون به على بينة من أمره، أقوياء أعزّاء، في سلامه و سعادة و عيش هنيء، مستمسكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. و قد تداومت بهم هذه الحياة العليا طوال عهد الرسالة، و شطرا بعدها غير قليل.

ثم خلف من بعدهم خلف- على تناول الأيام- أضاعوا بعض تلكم الطريقة المثلى، و اتبعوا السبل، فتفرقت بهم ذات اليمين و ذات الشمال، ربما في أهواء متباينة و آراء متضاربة؛ فكانت أحداث و بدع و ضلالات، و ابتداع مذاهب و انحيازات، كل يضرب على وتره، و يعمل على شاكلته ..

و كان من جزاء ذلك أن دخلت في الحديث و التفسير دخائل و أساطير مستوردة من أبناء اسرائيل و مسلمة أهل الكتاب، كان يبثها بين المسلمين فئات تظاهرت بالإسلام إما لغلبة الجوّ و المحيط، أو لرغبة في الدسّ و التزوير.

تلك كانت بليّة المسلمين، و قد كثر الخبط و التخليط، و لم يفترق السليم عن السقيم، و كان نصيب التفسير من هذا الخبط الحظّ الأوفر بما أوتى هؤلاء من قدرة للاستحواذ على عقول الضعفاء و أهل الأطماع من الأمراء.

نعم كانت هناك معايير و مقاييس تميز الغثّ من السمين، و قد عزّفها النبي الكريم صلى الله عليه و آله و سلمّ للأمة منذ أن أحسّ بدخائل أهل الضغائن على الإسلام، ممن يتبعون المتشابهات من الآيات ابتغاء الفتنة و ابتغاء التأويل.

فوضع حدودا دون رسوب تلكم الدسائس الخبيثة، و كان من أهمّها: العرض على محكمات الآيات «هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ»، ثم اللجوء إلى العترة الطاهرة «الثقل الأصغر» كما في حديث الثقلين، و أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. و عدم

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١١

الافتراق، يعني: تلازمهما و لا غناء بأحدهما دون الآخر، فالكتاب أساس الدين، و الطيبون من العترة حملته و حرسه؛ لأنهم ورثه سيّد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

و نحن إذ نحاول انتهاج منهج السلف الصالح: الصحابة الأخيار، و التابعين الكبار، و السادة الأطهار، نتتبع طرائقهم في فهم كلام الله و استنباط معانيه و الوقوف على مبانيه، وفق ما رسمه لنا العلماء الأعلام و الأئمة العظام، سائلين المولى تعالى التوفيق على ذلك و التسديد، إنه ولى ذلك و هو المستعان.

قم- محمد هادي معرفة ١٢/ع ١/ ١٤١١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣

## التفسير

### التعريف بالتفسير

التفسير من فسر، بمعنى أبان و كشف.

قال الراغب: الفسر و السفر متقاربا المعنى كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، و السفر لإبراز الأعيان للأبصار. يقال: سفرت المرأة عن وجهها و أسفرت و أسفر الصبح، و قال تعالى: وَ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيرًا «١» أى

بيانا و تفصيلا. «٢»

واصطلحوا على أن التفسير، هو: إزاحة الإبهام عن اللفظ المشكل، أى المشكل فى إفادة المعنى المقصود. و كانت صياغته من باب «التفعيل» نظرا للمبالغة فى محاولة استنباط المعنى، كما فى كشف و اكتشاف، فإن فى الثانى إفادة زيادة المحاولة فى الكشف، فكان أخص من المجرد؛ و ذلك بناء على أن زيادة المباني تدل على زيادة المعانى. (١) الفرقان / ٣٣. (٢) ذكر ذلك فى مقدمته للتفسير، ص ٤٧. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤. فالتفسير ليس مجرد كشف القناع عن اللفظ المشكل، بل هو محاولة إزالة الخفاء فى دلالة الكلام، فلا بد أن يكون هناك إبهام فى وجه اللفظ؛ بحيث ستر وجه المعنى، و يحتاج إلى محاولة و اجتهاد بالغ حتى يزول الخفاء و يرتفع الإشكال. و هذا هو الفارق بين التفسير و الترجمة؛ لأنها حيث كان الجهل باللغة و عدم معرفة الوضع الذى يرتفع بمراجعة كتب اللغة المعروفة، و ليس فى ذلك كثير جهد و عناء.

### الحاجة إلى التفسير

ما وجه الحاجة إلى تفسير القرآن، و قد أنزله الله نورا و هدى و بصائر للناس و تبيانا لكل شىء، «١» كما أنه جاء ليكون بنفسه أحسن تفسيراً «٢»، فهل هناك حاجة إلى تفسير؟ نعم أنزل الله الكتاب ليكون بذاته بيانا للناس عامة و تفصيلا لكل شىء، «٣» غير أن بواعث الإبهام أمر عارض، و لعله كان من طبيعة البيان القرآنى، جاء (١) قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا للنساء / ١٧٤. هذا بيان للناس و هدى و موعظة للمتقين آل عمران / ١٣٨. هذا بصائر للناس و هدى و رحمة لقوم يوقنون الجاثية / ٢٠. وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ النَّحل / ٨٩. (٢) و لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا الفرقان / ٣٣، أى أحسن بيانا و توضيحا. (٣) وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا الأنعام / ١١٤، وَ تَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ يونس / ٣٧. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥.

تشريرا للأصول و المباني، و أجمل فى البيان إيكالا إلى تبين النبى صلى الله عليه و آله و سلم لبيّن للناس تفاصيل ما نزل إليهم «١». قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نزلت عليه الصلاة و لم يسم لهم ثلاثا و لا أربعا، حتى كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هو الذى فسّر لهم ذلك» «٢».

هذا جانب من الإجمال (الإبهام) الحاصل فى وجه لفيق من آيات الأحكام، و لعله طبيعى فى مثل البيان القرآنى، كما تبيننا. و جانب آخر أهم: احتواء القرآن على معان دقيقة و مفاهيم رقيقة، تنبؤك عن كمون الخليفة و أسرار الوجود، هى تعاليم و حكم راقية جاء بها القرآن، و كانت فوق مستوى البشرية آنذاك؛ ليقوم النبى صلى الله عليه و آله و سلم بتبيينها و شرح تفاصيلها، و كذا صحابته العلماء هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته و يزكّهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لى ضلال مبين «٣».

و ذلك فى مثل صفاته تعالى - الجلال و الجمال - و معرفة وجود الإنسان، و سر خلقته، و مقدار تصرفه فى الحياة، و الهدف من الخلق و الإيجاد، و مسائل المبدأ و المعاد.

كل ذلك جاء فى القرآن فى إشارات عابرة، و فى ألفاظ و تعابير كنائية، و استعارة و مجاز؛ فكان حلها و الكشف عن معانيها بحاجة

إلى فقه و دراسة و تدبر، و إمعان نظر و تفكير. (١) وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ النحل / ٤٤.

(٢) الكافي الشريف، ج ١، ص ٢٨٦.

(٣) الجمعة / ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦

و أيضا فإن في القرآن إلماعات إلى حوادث غابرة و أمم خالية، جاء ذكرها لأجل العظة و الاعتبار، إلى جنب عادات جاهلية كانت معاصرة، عارضها و شدّد النكير عليها، في مثل مسألة النسيء، و أنّها زيادة في الكفر، «١» و نهيها عن دخول البيوت من ظهورها. «٢» و نحو ذلك، فاستنكرها عليهم و عنّفهم عليها حتى أبادها، و قطع من جذورها. فلم يبق منها سوى إشارات عابرة، لو لا الوقوف عليها، لما أمكن فهم معاني تلكم الآيات.

كما تعرّض لأحاديث أتت عليها من وجه كليتها و أهمل جانب تعيينها، فجاءت مجملتها هي بحاجة إلى شرح و بيان، في مثل الدائبة التي تخرج من الأرض فتكلم الناس، «٣» و البرهان الذي عصم يوسف من ارتكاب الإثم. «٤»

هذا مضافا إلى غرائب اللغة التي جاءت في القرآن على أفصحها و أبلغها، و إن كان صعبا فهمها على عامة الناس، لو لا الشرح و البيان. قال الراغب: فالتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ، نحو «البحيرة» و «السائبة» و «الوصيلة» أو في و جيز كلام يبيّن و يشرح، كقوله: وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ «٥» أو في كلام مضمّن بقصّة لا يمكن تصوّره إلّا بمعرفتها، نحو (١) التوبة / ٣٧.

(٢) البقرة / ١٨٩.

(٣) النمل / ٨٢.

(٤) يوسف / ٢٤.

(٥) المائدة / ١٠٣. قال الراغب: البحيرة هي الناقة إذا ولدت عشرة أبطن، شقوا أذننها و تركوها، فلا تركب و لا يحمل عليها. و السائبة، إذا ولدت خمسة أبطن، تسيّت في المرعى، فلا تردّ عن حوض و لا كلاء. و الوصيلة، إذا ولدت الشاة توأمين ذكرا و أنثى، فلا يذبح الذكر، و يقال: وصلت أخاها، فيتركونه لأجلها. و الحام: الفحل إذا ضرب عشرة أبطن، كان يقال: حمى ظهره فلا يركب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧

قوله تعالى: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ «١» و قوله: وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا «٢».

قال الإمام بدر الدين الزركشي: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله، و بيان معانيه، و استخراج أحكامه و حكمه، و أن الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه؛ و لذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، و أنزل كتابه على لغتهم ...

و القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب، و كانوا يعلمون ظواهره و أحكامه، و إنّما احتيج إلى التفسير، لما فيه من دقائق باطنة لا تظهر إلّا بعد البحث و النظر، مع سؤال النبي صلى الله عليه و آله و سلم عنها في الأكثر، كسؤالهم لما نزل: وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ «٣»، فقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه! فسوّاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالشرك، و استدلل بقوله تعالى: إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ «٤»، و كسؤال عائشة عن الحساب اليسير «٥»،

فقال: «ذلك العرض، و من نوقش الحساب عدّب» «٦»، و كقصّة عدى بن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت رأسه، «٧» و غير ذلك مما سأله عن آحاد منه. «٨» (١) التوبة / ٣٧.

(٢) التوبة / ٣٧. راجع: مقدمته للتفسير ص ٤٧-٤٨.

(٣) الأنعام / ٨٢.

(٤) لقمان / ١٣.

(٥) في قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا الانشقاق / ٧-٨.

(٦) تفسير الطبري، ج ٣٠، ص ٧٤.

(٧) تفسير الطبري، ج ٢، ص ١٠٠.

(٨) سوف نذكر نماذج من تفاسير مأثورة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند الكلام عن التفسير في عهد الرسالة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨

قال: و لم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن و تأويله بجملته، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه و زيادة؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير.

قال: و معلوم أن تفسير القرآن يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيهة و كشف معانيها، و بعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض؛ لبلاغته و لطف معانيه؛ و لهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه، و يرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات الألفاظ و مركباتها، و سياقه، و ظاهره و باطنه، و غير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، و يدق عنه الفهم.

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر، و ما سواه كلام

و في هذا تفاوت الأذهان، و تتسابق في النظر إليه مسابقة الزهان. فمن سابق بفهمه، و راشق كبد الرميء بسهمه، و آخر رمى فأشوى «١» و خبط في النظر خبط عشواء، كما قيل: و أين الرقيق من الركيك، و أين الزلال من الزعاق. «٢»

### الفرق بين التفسير و التأويل

كان التأويل في استعمال السلف مترادفا مع التفسير، و قد دأب عليه أبو جعفر الطبري في جامع البيان. لكنه في مصطلح المتأخرين جاء متغيرا مع التفسير، و ربما أخص منه.

التفسير - كما عرفت -: رفع الإبهام عن اللفظ المشكل، فمورده: إبهام المعنى (١) يقال: أشوى الزجل، إذا أصاب شواه، و لم يصب مقتله. و الشوى: قحف الرأس و جلده. و أشوى السهم: أخطأ الغرض.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٣-١٥. و الزعاق: الماء المرّ، لا يطاق شربه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩

بسبب تعقيد «١» حاصل في اللفظ.

و أما التأويل فهو دفع الشبهة عن المتشابه من الأقوال و الأفعال، فمورده حصول شبهة في قول أو عمل، أوجبت خفاء الحقيقة (الهدف الأقصى أو المعنى المراد) فالتأويل إزاحة هذا الخفاء.

فالتأويل - مضافا إلى أنه رفع إبهام - فهو دفع شبهة أيضا، فحيث كان تشابه في اللفظ كان إبهام في وجه المعنى أيضا، فهو دفع و رفع معا.

و لتكلم شيئا في التأويل، في حقيقته و المعاني التي جاء استعمالها في القرآن و الحديث، و ما قيل أو قد يقال فيه.

التأويل: من الأول، و هو الرجوع إلى حيث المبدأ؛ فتأويل الشيء إرجاعه إلى أصله و حقيقته، فكان تأويل المتشابه توجيه ظاهره إلى حيث مستقر واقعه الأصيل.

و التشابه قد يكون في كلام إذا أوجب ظاهر تعبيره شبهة في نفس السامع، أو كان متارفا للشبهة، - كما في متشابهات القرآن -، كان يتبعها أهل الزيف ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويلها، إلى حيث أهدافهم الخبيثة.

و قد يكون التشابه في عمل كان ظاهره مرييا، كما في أعمال قام بها صاحب موسى؛ بحيث لم يستطع موسى الصبر عليها دون استجوابه، و السؤال عن تصرفاته تلك المريبة! و قد بحثنا عن المتشابهات و أنواعها، و الأسباب الموجبة لوقوع التشابه في القرآن، في

الجزء الثالث من التمهيد. (١) و للتعقيد أسباب لفظية و معنوية مّر شرحها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠

و الآن فلنذكر المعانى التى يحملها لفظ «التأويل» فى عرف القرآن و استعمال السلف.

### معانى التأويل

جاء استعمال لفظ «التأويل» فى القرآن على ثلاثة وجوه:

١- تأويل المتشابه، بمعنى توجيهه حيث يصحح و يقبله العقل و النقل، إما فى متشابه القول، كما فى قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ .. «١»، أو فى متشابه الفعل، كما فى قوله: سَأُبَيِّنُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا «٢».

٢- تعبير الرؤيا، و قد جاء مكررا فى سورة يوسف فى ثمانية مواضع:

(٦ و ٢١ و ٣٦ و ٣٧ و ٤٤ و ٤٥ و ١٠٠ و ١٠١) ٣- مآل الأمر و عاقبته، و ما ينتهى إليه الأمر فى نهاية المطاف، قال تعالى: وَرَبُّوهُ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا «٣»، أى أعود نفعاً و أحسن عاقبة.

و لعل منه قوله: .. فَإِن تَنَارَعْتُمْ فَبِشَيْءٍ فَرَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا «٤»، أى أنتج فائدة و أفضل مآلاً.

و يحتمل أوجه تفسيراً و أتقن تخريجاً للمعنى المراد، نظير قوله تعالى: (١) آل عمران / ٧.

(٢) الكهف / ٧٨، ٨٢.

(٣) الإسراء / ٣٥.

(٤) النساء / ٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١

و لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «١»، و قال تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ «٢»، أى هل ينتظرون ما ذا يؤول إليه أمر الشريعة و القرآن، لكن لا يطول بهم الانتظار يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ «٣»، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ «٤»، وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ. «٥»

٤- و المعنى الرابع - للتأويل - جاء استعماله فى كلام السلف: مفهوم عام، منتزع من فحوى الآية الواردة بشأن خاص؛ حيث العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد.

و قد عبّر عنه بالبطن المنطوى عليه دلالة الآية فى واقع المراد، فى مقابلة الظهر المدلول عليه بالوضع و الاستعمال، حسب ظاهر الكلام.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما فى القرآن آية إلّا و لها ظهر و بطن».

سئل الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن هذا الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: «ظهره تنزيله و بطنه تأويله، منه ما قد مضى و منه ما لم يكن، يجرى كما تجرى الشمس و القمر» «٦».

و

قال عليه السلام: «و لو أن الآية إذا نزلت فى قوم ثم مات أولئك القوم، ماتت الآية و لما بقى من القرآن شىء. و لكن القرآن يجرى

أوله على آخره، ما دامت (١) النساء / ٨٣.

(٢) الأعراف / ٥٣.

(٣) الفرقان / ٢٢.

(٤) الاحقاف / ٣٥.

(٥) ص / ٣.

(٦) بصائر الدرجات، الصفار، ص ١٩٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢

السموات و الأرض، و لكل قوم آية يتلونها، هم منها من خير أو شر» (١).

و

في الحديث عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، و هو علي بن أبي طالب» (٢).

فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قاتل على تنزيل القرآن؛ حيث كان ينزل بشأن قريش و مشركي العرب ممن عاند الحق و عارض ظهور الإسلام. أما علي عليه السلام فقد قاتل أشباه القوم ممن عارضوا بقاء الإسلام، على نمط معارضة أسلافهم في البدء. و لهذا المعنى عرض عريض، و لعله هو الكافل لشمول القرآن و عمومته لكل الأزمان و الأحيان. فلولا تلك المفاهيم العامة، المترعة من موارد خاصة- وردت الآية بشأنها بالذات- لما بقيت لأكثر الآيات كثير فائدة، سوى تلاوتها و ترتيلها ليل نهار. و إليك بعض الأمثلة على ذلك:

### مفاهيم عامة منتزعة من الآيات

قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى (٣).

نزلت بشأن غنائم بدر، و غاية ما هناك أن عمّت غنائم جميع الحروب، على شرائطها.

لكن الإمام أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام نراه يأخذ بعموم الموصول، و يفسر «الغنيمه» بمطلق الفائدة، و أرباح المكاسب و التجارات، يربحها أرباب (١) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠، رقم ٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥، رقم ٦.

(٣) الأنفال / ٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣

الصناعات و التجارات و غيرهم طول عامهم، في كل سنة بشكل عام.

قال عليه السلام: «فأما الغنائم و الفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام، قال الله تعالى:

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى

و هكذا

عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «الخمس في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير» (١).

و قال تعالى: وَانْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (٢).

نزلت بشأن الإعداد للجهاد، دفاعا عن حريم الإسلام، فكان مفروضا على أصحاب الثروات القيام بنفقات الجهاد، دون سيطرة العدو الذي لا يبقى و لا يذر.

لكن «السييل» لا- يعني القتال فحسب، فهو يعم سبيل إعلاء كلمة الدين و تحكيم كلمة الله في الأرض، و يتلخص في تثبيت أركان الحكم الإسلامي في البلاد، في جميع أبعاده: الإداري و الاجتماعي و التربوي و السياسي و العسكري، و ما شابه. و هذا إنما يقوم بالمال؛ حيث المال طاقة يمكن تبديلها إلى أي طاقة شئت، و من ثم قالوا: قوام الملك بالمال .. فالدولة القائمة بذاتها إنما تكون قائمة إذا كانت تملك الثروة اللازمة لإدارة البلاد في جميع مناحيها.

و هذا المال يجب توفّره على أيدي العائشين تحت لواء الدولة الحاكمة، و يكون مفروضاً عليهم دفع الضرائب و الجبايات، كل حسب مكنته و ثروته، الأمر الذي يكون شيئاً وراء الأحماس و الزكوات التي لها مصارف خاصة، لا تعنى شئون الدولة فحسب. (١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٦، ص ٣٥٠، كتاب الخمس، باب ٨، رقم ٥ و ٦.  
(٢) البقرة/ ١٩٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤

و هذه هي (المالية) التي يكون تقديرها و توزيعها على الأموال و الممتلكات، حسب حاجة الدولة و تقديرها، و من ثم لم يتعين جانب تقديرها في الشريعة، على خلاف الزكوات و الأحماس؛ حيث تعين المقدار و المصرف و المورد فيها بالنص.  
فقد فرض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الخيل العتاق في كل فرس في كل عام دينارين، و على البراذين ديناراً. (١)

### ضابطة التأويل

و مما يجدر التنبيه له أن للأخذ بدلائل الكلام- سواء أ كانت جلية أم خفية- شرائط و معايير، لا بدّ من مراعاتها للحصول على الفهم الدقيق. فكما أن لتفسير الكلام- و هو الكشف عن المعاني الظاهرية للقرآن- قواعد و أصول مقرّرة في علم الأصول و المنطق، كذلك كانت لتأويل الكلام- و هو الحصول على المعاني الباطنية للقرآن- شرائط و معايير، لا ينبغي إغفالها و إلّا كان تأويلاً بغير مقياس، بل كان من التفسير بالرأى الممقوت.

و ليعلم أن التأويل- و هو من الدلالات الباطنية للكلام- داخل في قسم الدلالات الالتزامية غير البينة، فهو من دلالة الألفاظ لكنها غير البينة، و دلالة الألفاظ جميعاً مبتنية على معايير يشرحها علم الميزان؛ فكان التأويل- و هو دلالة باطنية- بحاجة إلى معيار معروف كي يخرج عن كونه تفسيراً بالرأى.

فمن شرائط التأويل الصحيح- أي التأويل المقبول في مقابلة التأويل المرفوض- أولاً: رعاية المناسبة القريبة بين ظهر الكلام و بطنه، أي بين الدلالة (١) الوسائل، ج ٦، ص ٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥

الظاهرية و هذه الدلالة الباطنية للكلام، فلا تكون أجنبية، لا مناسبة بينها و بين اللفظ أبداً. فإذا كان التأويل- كما عرفناه- هو المفهوم العام المنتزع من فحوى الكلام، كان لا بدّ أن هناك مناسبة لفظية أو معنوية استدعت هذا الانتزاع.

مثلاً: لفظه «الميزان» وضعت لآلة الوزن المعروفة ذات الكفتين، و قد جاء الأمر بإقامتها و عدم البخس فيها، في قوله تعالى: وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (١).  
لكننا إذا جردنا اللفظ من قرائن الوضع و غيره و أخلصناه من ملابسات الأئسن الذهني، فقد أخذنا بمفهومه العام: كل ما يوزن به الشيء، أي شيء كان مادياً أم معنوياً، فإنه يشمل كل مقياس أو معيار كان يقاس به أو يوزن به في جميع شئون الحياة، و لا يختص بهذه الآلة المادية فحسب.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: فالميزان آلة التعديل في النقصان و الرجحان، و الوزن يعدل في ذلك. و لو لا الميزان لتعدّر الوصول إلى كثير من الحقوق؛ فلذلك تبه تعالى على النعمة فيه و الهداية إليه. و قيل: المراد بالميزان: العدل؛ لأنّ المعادلة موازنة الأسباب (٢).  
و

روى محمد بن العباس المعروف بماهيار (ت ح ٣٣٠)- في كتابه الذي وضعه لبيان تأويل الآيات- بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: الميزان الذي وضعه الله للأنام، هو الإمام العادل الذي يحكم بالعدل، و بالعدل تقوم السماوات و الأرض، و قد أمر الناس أن لا يطغوا عليه و يطيعوه بالقسط و العدل، و لا يبخسوا من حقه، (١) الرحمن / ٩.

و

و



(٢) التبيان، ج ٩، ص ٤٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦

أو يتوانوا في امتثال أوامره. «١» و هكذا قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ «٢» كانت دلالة الآية في ظاهر تعبيرها واضحة؛ إنَّ نعمة الوجود و وسائل العيش و التداوم في الحياة، كلها مرهونة بإرادته تعالى وفق تدبيره الشامل لكافة أنحاء الوجود.

و الله تعالى هو الذي مهّد هذه البسيطة لإمكان الحياة عليها، و لو لا فضل الله و رحمته لعباده لضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

هذا هو ظاهر الآية الكريمة، حسب دلالة الوضع و المتفاهم العام.

و للإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام بيان يمسّ جانب باطن الآية و دلالة فحواها العام،

قال: «إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فما ذا تصنعون».

و

قال الإمام عليّ الرضا عليه السلام: «ماؤكم: أبوابكم الأئمة، و الأئمة: أبواب الله.

فمن يأتيكم بماء معين، أي يأتيكم بعلم الإمام» «٣».

لا شك أن استعارة «الماء المعين» للعلم النافع، و لا سيما المستند إلى وحى السماء- من نبيّ أو وصي نبيّ- أمر معروف و متناسب لا غبار عليه.

فكما أن الماء أصل الحياة الماديّة و المنشأ الأوّل لإمكان المعيشة على الأرض، كذلك العلم النافع. و علم الشريعة بالذات، هو

الأساس لإمكان الحياة (١) نقلا بالمعنى، راجع: تأويل الآيات الظاهرة للسيد شرف الدين الاسترآبادي، ج ٢، ص ٦٣٢-٦٣٣.

(٢) الملك / ٣٠.

(٣) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج ٢، ص ٧٢٧، و راجع: تأويل الآيات الظاهرة، ج ٢، ص ٧٠٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧

المعنويّة التي هي سعادة الوجود و البقاء مع الخلود.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ «١».

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ «٢».

فهنا قد لوحظ الماء- و هو أصل الحياة- في مفهومه العام المنتزع منه الشامل للعلم، فيعم الحياة الماديّة و المعنويّة.

و أيضا قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ... «٣»، أي فليمعن النظر في طعامه، كيف عملت الطبيعة في تهيئته و تمهيد إمكان

الحصول عليه، و لم يأت عفوًا، و من غير سابقة مقدمات و تمهيدات. لو أمعن النظر فيها؛ لعرف مقدار فضله تعالى عليه، و لطفه و

رحمته؛ و بذلك يكون تناول الطعام له سائغا، و مستدعيا للقيام بالشكر الواجب.

هذا، و

قد روى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى زيد الشحام، قال: سألت الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قلت: ما طعامه؟ قال:

«علمه الذي يأخذه عمن يأخذه». «٤».

و المناسبة هنا- أيضا- ظاهرة؛ لأن العلم غذاء الزوج، و لا بدّ من الاحتياط في الأخذ من منابعه الأصيلة، و لا سيما علم الشريعة و

أحكام الدين الحنيف. (١) الأنفال / ٢٤.

(٢) آل عمران / ١٦٤.

(٣) عبس / ٢٤.

(٤) تفسير البرهان، ج ٤، ص ٤٢٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨

و ثانيا: مراعاة النظم و الدقة في إلغاء الخصوصيات المكتنفة بالكلام؛ ليخلص صفوه و يجلو لبابه في مفهومه العام، الأمر الذى يكفله قانون «السبر و التقسيم» من قوانين علم الميزان (علم المنطق) و المعبر عنه في علم الأصول: بتقيح المناط، الذى يستعمله الفقهاء للوقوف على الملاك القطعى لحكم شرعى؛ ليدور التكليف أو الوضع معه نغيا و إثباتا، و لتكون العبرة بعموم الفحوى المستفاد، لا بخصوص العنوان الوارد فى لسان الدليل. و هذا أمر معروف فى الفقه، و له شرائط معروفة.

و مثال تطبيقه على معنى قرآنى، قوله تعالى - حكاية عن موسى عليه السلام-: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ «١». هذه قوله نبي الله موسى عليه السلام قالها تعهدا منه لله تعالى، تجاه ما أنعم عليه من البسطة فى العلم و الجسم: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اشْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ «٢» قضى على عدو له بوكرة و كزه بها، فحسب أنه قد فرط منه ما لا ينبغى له، فاستغفر ربّه فغفر له. فقال ذلك تعهدا منه لله، أن لا يستخدم قواه و قدره الذاتيه، و التى منحه الله بها، فى سبيل الفساد فى الأرض، و لا يجعل ما آتاه الله من إمكانات معنوية و مادية فى خدمة أهل الإجماع.

هذا ما يخص الآيه فى ظاهر تعبيرها بالذات.

و هل هذا أمر يخص موسى عليه السلام لكونه نبيا و من الصالحين، أم هو حكم عقلى بات يشمل عامة أصحاب القدرات، من علماء و أدباء و حكماء و أرباب صنائع و فنون، و كل من آتاه الله العلم و الحكمة و فصل الخطاب؟ لا ينبغى فى (١) القصص / ١٧.

(٢) القصص / ١٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩

شريعة العقل أن يجعل ذلك ذريعه سهله فى تناول أهل العبث و الاستكبار فى الأرض، بل يجعلها وسيلة ناجحة فى سبيل إسعاد العباد و إحياء البلاد هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها «١».

و هذا الفحوى العام للآيه الكريمة إنما يعرف وفق قانون «السبر و التقسيم» و إلغاء الخصوصيات المكتنفة بالموضوع، فيتفتح ملاك الحكم العام.

و فى القرآن كثير من هذا القبيل، إنما الشأن فى إمعان النظر و التدبر فى الذكر الحكيم؛ و بذلك يبدو وجه استفادة فرض الأخماس من آيه الغنيمه، و دفع الضرائب من آيه الإنفاق فى سبيل الله.

### مزاعم فى التأويل

هناك من حسب من تأويل القرآن شيئا وراء المفاهيم الذهنيه أو التعابير الكلاميه، و كان من نمط الأعيان الخارجيه، و كان ما ورد فى القرآن من حكم و آداب و تكاليف و أحكام كلها تعود إليه؛ إذ تنتزع منه و تنتهى إليه فى نهاية المطاف، فكان ذلك تأويلا للقرآن فى جميع آياته الكريمة.

و قد اختلفوا فى تبين تلك الحقيقه التى تعود إليها جميع الحقائق القرآنيه فى أصول معارفه و الأحكام:

ذكر ابن تيمية- فى رساله وضعها بشأن المتشابه و التأويل-: أن التأويل فى عرف المتأخرين صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معنى مرجوح؛ لدليل يقترن به. فالتأويل- على هذا- يحتاج إلى دليل، و المتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذى يدعيه، و بيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر. (١) هود / ٦١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠

قال: و أما التأويل - في عرف السلف - فله معنيان: أحدهما: ما يرادف التفسير و البيان، و هو الذي عناه مجاهد بقوله: إن العلماء يعلمون تأويل القرآن، أى تفسيره و تبينه.

و الثانى: نفس المراد بالكلام، إن كان طلبا فتأويله نفس العمل المطلوب، و إن كان خبرا فتأويله نفس الشىء المخبر به. قال: و بين هذا المعنى - الأخير - و الذى قبله - الذى جاء أولا فى عرف السلف، و الذى جاء فى عرف المتأخرين - بون؛ فإن الذى قبله يكون التأويل فيه من باب العلم و الكلام كالتفسير و الشرح و الإيضاح و يكون وجود التأويل فى القلب و اللسان، له الوجود ذهنى و اللفظى و الرسمى.

و أما هذا - المعنى الثانى فى عرف السلف - فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة فى الخارج، سواء كانت ماضية أو مستقبلة. فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا نفس طلوعها.

قال: و هذا الوضع و العرف الثالث - الذى جاء ثانيا فى عرف السلف - هو لغة القرآن التى نزل بها «١». و قال فى تفسير سورة الإخلاص - بعد كلام تفصيلى له عن تأويل المتشابه من الآيات، و أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويله، و استعظام أن يكون جبرائيل و محمد صلى الله عليه و آله و سلم و الصحابة و التابعون لهم بإحسان و أئمة المسلمين لا يعرفون تأويل متشابه القرآن، و يكون الله تعالى قد استأثر بعلم معانى هذه الآيات كما استأثر بعلم الساعة، و أنهم جميعا كانوا يقرءون ألفاظا لا يفهمون لها معنى، كما (١) رسالة الإكليل، مطبوعة ضمن المجموعة الثانية من رسائله ص ١٠ و ١٧ - ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١

يقرأ أحدنا كلاما ليس من لغته فلا يعرف معناه، من قال ذلك فقد كذب على القوم، و المأثور عنهم متواترا يناقض هذا الزعم، و أنهم يفهمون معنى المتشابه كما يفهمون معنى المحكم - قال بعد ذلك:

فإن قيل: هذا يقدر فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذى يراد به التفسير، و بين التأويل الذى فى كتاب الله.

قيل: لا يقدر فى ذلك، فإن معرفة تفسير اللفظ و معناه و تصوّره فى القلب، غير معرفة الحقيقة الموجودة فى الخارج، المرادة بذلك الكلام.

فإن الشىء له وجود فى الأعيان، و وجود فى الأذهان، و وجود فى اللسان، و وجود فى البيان. فالكلام لفظ له معنى فى القلب، و يكتب ذلك اللفظ بالخط.

فإذا عرف الكلام و تصوّر معناه فى القلب و عبّر عنه باللسان، فهذا غير الحقيقة الموجودة فى الخارج، و ليس كل من عرف الأول عرف عين الثانى.

مثال ذلك: أن أهل الكتاب يعلمون ما فى كتبهم من صفة النبى صلى الله عليه و آله و سلم و خبره و نعته، و هذا معرفة الكلام و معناه و تفسيره، و تأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث؛ فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام.

و كذلك الإنسان قد يعرف الحجّ و المشاعر، كالبيت و المساجد و منى و عرفه و مزدلفه، و يفهم معنى ذلك و لا يعرف الأمكنة حتى يشاهدها، فيعرف أن الكعبة المشاهدة هى المذكورة فى قوله: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ وَ كَذَلِكَ أَرَضَ عَرَفَاتٍ وَ غيرها.

و كذلك الرؤيا يراها الرجل، و يذكر له العابر تأويلها فيفهمه و يتصوره، ثم إذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا، ليس تأويلها نفس علمه و تصوّره و كلامه؛ و لهذا قال يوسف الصديق: هذا تأويل رؤى من قبيل و قال: لا- يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا فَقَدْ أَنْبَأَهُمَا بِالتَّوِيلِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ التَّوِيلِ،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢

فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله فى القرآن من الوعد و الوعيد، و إن كنا لا- نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور فى قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ «١».

وقد أشاد السيد محمد رشيد رضا (منشئ مجلة المنار المصرية) من هذه النظرة التيمية بشأن تأويل القرآن، و أعجبه غاية الإعجاب. قال- بعد أن نقل عن شيخه الأستاذ محمد عبده، أن التأويل بمعنى ما يؤول إليه الشيء و ينطبق عليه، لا بمعنى ما يفسر به «٢»:- ليس في كتب التفسير المتداولة ما يروى الغليل في هذه المسألة، و ما ذكرناه آنفا هو صفوة ما قالوه، و خيرة كلام الأستاذ الإمام. و قد رأينا أن نرجع بعد كتابته إلى كلام في المتشابه و التأويل، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، فرجعنا إليه و قرأناه بامعان، فإذا هو منتهى التحقيق و العرفان، و البيان الذي ليس وراءه بيان، أثبت فيه أنه ليس في القرآن كلام لا يفهم معناه، و أن المتشابه إضافي إذا اشتبه فيه الضعيف لا يشته فيه الراسخ، و أن التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى هو ما تؤول إليه تلك الآيات في الواقع، ككيفية صفاته تعالى، و كيفية عالم الغيب، و كيفية قدرته تعالى و تعلقها بالإيجاد و الإعدام، و كيفية استوائه على (١) راجع: رسالته في تفسير سورة الإخلاص، ص ١٠٢-١٠٣. و نقله محمد رشيد رضا في تفسير المنار، ج ٣، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) يرى الأستاذ عبده من متشابهات القرآن، الأمور الأخروية التي ورد ذكرها في القرآن، لأنها من ضرورة الدين و من مقاصد الوحي؛ حيث العقيدة بأحوال الآخرة من أركان الدين، فيجب الإيمان بها، الأمر الذي لا يمكن الوقوف على حقيقتها إلا بعد مشاهدتها في الآخرة، فهي تأويلها ذلك اليوم، كما قال تعالى: يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ الْأَعْرَافِ/ ٥٣ (المنار، ج ٣، ص ١٦٧)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣

العرش. و لا- كيفية عذاب أهل النار، و لا نعيم أهل الجنة، كما قال تعالى: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ «١» فليست نار الآخرة كنار الدنيا، و إنما هي شيء آخر. و ليست ثمرات الجنة و لبنها و عسلها من جنس المعهود لنا في هذا العالم، و إنما هو شيء آخر يليق بذلك العالم و يناسبه.

قال: و إنما نبين ذلك بالإطناب الذي يحتمله المقام، مستمدين من كلام هذا الحبر العظيم، ناقلين بعض ما كتبه «٢». و جعل ينقل ما سرده ابن تيمية بإسهاب.

و هذا الذي ذكره ابن تيمية و أشاد به رشيد رضا، لا يعدو ما يعود إليه أمر الشيء، أخذنا بالمفهوم اللغوي لمادة التأويل. أما العين الخارجية بالذات فلعله من اشتباه المصداق بالمفهوم، فإن الوجود العيني للأشياء هي عين تشخصاتها المعبر عنها بالمصداق الخارجية، و لم يعهد إطلاق لفظ «التأويل» على المصداق في متعارف الاستعمال إلا أن يكون من عرفهما الخاص، و لا مشاحة في الاصطلاح. و على أي تقدير، فإنهما لم يأتيا بشيء جديد، فإن مسألة الوجودات الأربعة للأشياء (الذهني و اللفظي و الکتبي و العيني) أمر تعارف عليه أرباب المنطق منذ عهد قديم، إلا أن الشيء الذي لم يتعارف عليه هو إطلاق اسم «التأويل» على العين الخارجية، باعتبارها مصداقا للوجودات الثلاثة المنتزعة عنها، سوى كونه مصطلحا جديدا غير معروف.

و لسيدنا العلامة الطباطبائي كلام تحقيقي لطيف حول مسألة التأويل، يراه (١) السجدة/ ١٧.

(٢) تفسير المنار، ج ٣، ص ١٧٢-١٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤

متغيرا مع المفاهيم، بعيدا عن جنس الألفاظ و المعاني و التعابير، و إنما هي حقائق راهنة، موطنها خارج الأذهان و العبارات. إنه رحمه الله تعرض لكلام ابن تيمية، فصحه من جهة، و خطأه من جهة أخرى؛ صححه من جهة قوله: بشمول التأويل لجميع آي القرآن، محكمه و متشابهه، و قوله: بأنه خارج الأذهان و العبارات. لكن خطأه في حصره للتأويل في العين الخارجية البحت، فإنه مصداق و ليس بتأويل. إنما التأويل حقائق راهنة، هي مصالح واقعية و أهداف و غايات مقصودة من وراء التكليف و الأحكام، و كذا الحكم و المواعظ و الآداب، و حتى القصص و الأخبار و الآثار التي جاءت في القرآن.

قال- مناقشا لرأي ابن تيمية:-

«إنه وإن أصاب في بعض كلامه، لكنه أخطأ في بعضه الآخر. إنه أصاب في القول بأن التأويل لا يختص بالمتشابه، بل هو عام لجميع القرآن، وكذا القول: بأن التأويل ليس من سنخ المدلول اللفظي، بل هو أمر خارجي يتنى عليه الكلام. لكنه أخطأ في عد كل أمر خارجي مرتبط بمضمون الكلام - حتى مصاديق الأخبار الحاكية عن الحوادث الماضية والمستقبلية - تأويلا للكلام» (١).

ثم قال: «الحق في تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية، من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها، وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ. وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب، فهي كالأمثال تضرب (١) الميزان، ج ٣، ص ٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥

ليقرب بها المقاصد وتوضح، بحسب ما يناسب فهم السامع، كما قال تعالى:

وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

وقال - في شرح الآية -:

«إن هناك كتابا مبينا عرض عليه جعله مقروا عربيا، وإنما ألبس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس، وإلا فإنه - وهو في أم الكتاب - عند الله على لا - تصعد إليه العقول، حكيم لا - يوجد فيه فصل وفصل. فالكتاب المبين - في الآية - هو أصل القرآن العربي المبين، و للقرآن موقع هو في الكتاب المكنون، وأن التنزيل حصل بعده، وهو الذي عبر عنه بأم الكتاب وباللوح المحفوظ. فالكتاب المبين الذي هو أصل القرآن وحكمه الخالي عن التفصيل، أمر وراء هذا المنزل، وإنما هذا بمنزلة اللباس لذاك. إن هذا المعنى، أعنى كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين، ونحن نسميه بحقيقة الكتاب، بمنزلة اللباس من المتلبس، و بمنزلة المثال من الحقيقة، و بمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام...» (٢).

و أضاف: «فالحقيقة الخارجية التي توجب تشريع حكم من الأحكام أو بيان معرفة من المعارف الإلهية أو وقوع حادثه هي مضمون قصية من القصص القرآنية، و إن لم تكن أمرا يدل عليه بالمطابقة نفس الأمر و النهي أو البيان أو الواقعة الكذائية، إلا أن الحكم أو البيان أو الحادثه، لما كان كل منها ينشأ منها و يظهر منها، فهو أثرها الحاكي لها بنحو من الحكاية و الإشارة» (٣). (١) الميزان، ج ٣، ص ٤٩، الزخرف / ٤.

(٢) الميزان، ج ٢، ص ١٤ - ١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦

و أخيرا لخص كلامه في بيان التأويل بما يلي:

«التأويل في عرف القرآن هو الحقيقة التي يتضمنها الشيء و يؤول إليها و يتنى عليها، كتأويل الرؤيا، و هو تعبيرها، و تأويل الحكم، و هو ملاكه، و تأويل الفعل، و هو مصلحته و غايته الحقيقية، و تأويل الواقعة، و هو علتها الواقعية، و هكذا» (١) غير أن وقفة فاحصة عند كلام هذا المحقق العلامة، تجعلنا نتردد في التوافق معه، إنه رحمه الله لو كان اقتصر على ما لخصه أخيرا، من جعل ملاكات الأحكام و المصالح و الغايات الملحوظة في التشريعات و التكاليف تأويلا، أي أصلا لها و مرجعها الأساسي لكل ذلك المذكور؛ لأمكننا مرافقته.

لكنه توسع في ذلك، و فرض من تأويل آي القرآن كلها أمرا بسيطا ذا إحكام رصين، ليس فيه شيء من هذه التجزئة و التفصيل الموجود في القرآن الحاضر الذي يتداوله المسلمون منذ أول يومهم فإلى ما لا نهاية، فإن ذاك عار عن كونه آية آية و سورة سورة، وجودا واحدا بسيطا صرفا، مستقرا في محل أرفع، في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون.

و فرض من القرآن ذا وجودين: وجودا ظاهريا يتشكل فى ألفاظ و عبارات ذوات مفاهيم معروفة، و هو الذى يتلى و يقرأ و يدرس، و يتداوله الناس حسبما ألقوه طوال عهد الإسلام.

و وجودا آخر باطنيا، هو وجوده الحقيقى الأصيل، المترفع عن أن تناله العقول و الأحلام، فضلا عن الأوهام، و ذلك الوجود الحقيقى الرفيع هو تأويل (١) الميزان، ج ١٣، ص ٣٧٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧

القرآن، أى أصله و مرجعه الأصيل.

قال- بصدد بيان نزول القرآن دفعة واحدة فى ليلة القدر من شهر رمضان، و أنه لم يكن هذا القرآن المتلو الذى بأيدى الناس، فإنه نزل تدريجا بلا ريب:-

«و الذى يعطيه التدبر فى آيات الكتاب أمر آخر، فإن الآيات الناطقة بنزول القرآن فى شهر رمضان أو فى ليلة القدر إنما عبرت عن ذلك بلفظ الإنزال الدال على الدفعة، دون التنزيل، و اعتبار الدفعة إما بلحاظ المجموع أو البعض، و إما لكون الكتاب ذا حقيقة أخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادى، الذى يقضى فيه بالتفرق و التفصيل و الانبساط و التدريج، هو المصحح لكونه واحدا غير تدريجى و نازلا بالإنزال دون التنزيل؛ و هذا هو اللائح من الآيات الكريمة: كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ «١» فإن هذا الإحكام مقابل التفصيل، و التفصيل هو جعله فصلا فصلا و قطعة قطعة؛ فالإحكام كونه بحيث لا يتفصل فيه جزء من جزء، و لا يتميز بعض من بعض؛ لرجوعه إلى معنى واحد لا- أجزاء فيه و لا- فصول. و الآية ناطقة بأن هذا التفصيل المشاهد فى القرآن، إنما طرأ عليه بعد كونه محكما غير مفصل، و أوضح منه قوله تعالى: حم وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ «٢» فإنه ظاهر فى أن هناك كتابا مبينا عرض عليه جعله مقروا عربيا، و إنما ألبس لباس القراءة و العربية ليعقله الناس، و إلا فإنه فى أم الكتاب عند الله على لا يصعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل فصل. فالكتاب المبين الذى هو أصل القرآن و حكمه (١) هو د/ ١.

(٢) الزخرف / ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨

الخالى عن التفصيل أمر وراء هذا المنزل و إنما هذا بمنزلة اللباس لذاك. «١»

ثم أحال تمام الكلام إلى بيانه الآتى حول آية المتشابهات، قال هناك:

«الحق فى تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعية التى تستند إليها البيانات القرآنية، و أنه موجود لجميع الآيات، و أنه ليس من قبيل المفاهيم بل من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ، و إنما قيدها الله بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا، قال تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ «٢» و فى القرآن تصريحات و تلويحات بهذا المعنى «٣».

و بعد، فلنتساءل: ما هو السبب الداعى لفرض وجودين للقرآن الكريم:

وجودا لديه تعالى فى كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون، عاريا عن التجزئة و التفصيل، متعاليا عن شبكات الألفاظ و العبارات؛ و وجودا أرضيا نزل تدريجا لهداية الناس، و ألبس لباس العربية لعلمهم يعقلونه؟! و لعله للنظر إلى قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ... «٤»

و قوله: حم وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا «٥» و قوله: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... «٦».

و

قد ورد فى الحديث- من طرق الفريقين:- أن القرآن نزل جملة واحدة فى (١) الميزان، ج ٢، ص ١٤-١٦.

(٢) الزخرف / ٤.

(٣) الميزان، ج ٣، ص ٤٩.

(٤) البقرة / ١٨٥.

(٥) الدخان / ٥.

(٦) القدر / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩

ليلة القدر، ثم نزل تدريجا طوال عشرين عاما «١».

و لذلك فرض علامتنا الطباطبائي وجودين للقرآن الكريم و نزولين. و كان نزوله الدفعي بوجوده البسيط الذي كان بمنزلة الروح لهذا القرآن، النازل تدريجا بوجوده التفصيلي.

و بذلك نراه قد جمع بين ظواهر الآيات و دلالة الروايات، و أيد ذلك بالفارق اللغوي بين لفظتي «الإنزال» و «التنزيل».

لكن تشريف شهر رمضان إنما كان بنزول هذا القرآن المعهود لدى المخاطبين بهذا الخطاب، لا بأمر لا يعرفونه! على أن القرآن النازل في هذا الشهر، قد وصف بكونه هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ «٢» و معلوم أن الهداية و البيّنات، إنما هي بهذا الكتاب الذي يتداولونه، لا بكتاب مكنون عند الله محفوظ لديه في مكان على لا تناله الأيدي و الأبصار.

كما أن الذي يبتغيه أهل الزيف لأجل الفساد في الأرض، هو تفسير الآيات على غير وجهها، لا وجودا آخر للقرآن، هو في أعلى عليين. فقله رحمه الله: «و أنه موجود لجميع الآيات محكمها و متشابهها، و أنه ليس من قبيل المفاهيم بل من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ ...»

غير مفهوم لنا. (١) بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ١٤، رقم ٢٣.

(٢) البقرة / ١٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠

و الفرق بين «الإنزال» و «التنزيل» أمر أبدعه الراغب الأصبهاني، و لا شاهد له.

قال: و إنما خصّ لفظ الإنزال دون التنزيل؛ لما روى أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجما فنجما. و لفظ الإنزال أعمّ من التنزيل، قال:

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ «١» و لم يقل: لو نزلنا، تنبيها إنا لو خولناه مرّة ما خولناك مرارا.

و يرد عليه ما حكاه الله عن قوله العرب: لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً «٢».

و كذلك قوله تعالى: وَ قَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ «٣».

و قوله: وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ «٤».

و قوله: وَ لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ ... «٥».

و قوله: لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا «٦».

كما جمع بين التعبيرين بشأن أمر واحد في قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٧».

كما جاء استعمال «الإنزال» بشأن التدريجيات أيضا: (١) الحشر / ٢١.

(٢) الفرقان / ٣٢.

(٣) الأنعام / ٣٧.

(٤) محمد / ٢٠.

(٥) الأنعام / ٧.

(٦) الإسراء / ٩٥.

(٧) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ «١».

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ «٢».

لأن الكتاب الذي منه محكم و متشابه، هو هذا الكتاب الذي نزل تدريجاً.

أَفَعَبَّرَ اللَّهُ أَتْبَغَى حَكْمًا وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا «٣»؛ إذ الذي نزل مفصلاً هو هذا القرآن الذي نزل منجماً.

و أخيراً فما هي الفائدة المتوخاة من وراء نزول القرآن دفعة واحدة إلى السماء الدنيا أو إلى السماء الرابعة، في البيت المعمور أو بيت

العزة- على الاختلاف في ألفاظ الروايات-، ثم نزوله بعد ذلك تدريجاً في طول عهد الرسالة؟

و هل لوجود القرآن بوجوده البسيط الروحاني- في ذلك المكان الرفيع- فائدة تعود على أهل السماوات أو سكان الأرضين؟

و أجاب الفخر الرازي عن ذلك، و علل وجود القرآن هناك، في مكان أنزل من العرش و أقرب إلى الأرض؛ ليسهل التناول منه

لجبرائيل عند مسيس الحاجة. «٤»

و علل بعض الأساتذة المعاصرين ذلك، بأن الرابط بين ذلك القرآن المحفوظ لديه تعالى، و هذا القرآن المعروف على الناس، هو

«رابط العلية» فكل ما في هذا القرآن من حكم و مواظ و آداب، و تعاليم و معارف و أحكام، إنما تنشأ مما حواه (١) البقرة/ ٢٢.

(٢) آل عمران / ٧.

(٣) الأنعام / ١١٤.

(٤) التفسير الكبير، ج ٥، ص ٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢

ذلك القرآن، على بساطته و علو رفعتة؛ فهذا إشعاع من ذلك النور الساطع، و إفاضة من ذلك المقام الرفيع. «١»

غير أن هذا كله تكلف في التأويل، و تمحل في القول بلا دليل، و لعلنا في غنى عن البسط فيه و التذليل.

و أما الآيات التي استندوا إليها لإثبات وجود آخر للقرآن محفوظ عند الله، في كتاب مكنون لا يمسه إلّا المطهرون ... فهي تعنى أمراً

آخر غير ما راموه.

و ليعلم أن المقصود من الكتاب المكنون، هو: علم الله المخزون، المعبر عنه ب (اللوح المحفوظ) أيضاً، و هكذا التعبير ب (أمّ

الكتاب) كناية عن علمه تعالى الذاتى الأزلى، بما يكون مع الأبد.

و قد ذكر العلامة الطباطبائي- في تفسير سورة الرعد حديثاً

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كل أمر يريد الله، فهو في علمه قبل أن يضعه، و ليس شيء يبدو له إلّا و قد كان في علمه»

قال ذلك تفسيرا لقوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ «٢».

فقوله تعالى: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ «٣» يعني قضى الله في علمه الأزلى الحتم أن القرآن- في مسيرته الخالدة- سوف

يشغل مقاما عليا، مترفعا عن أن تناله أيدي السفهاء، حكيماً مستحكما قوائمه، لا يتضعع و لا يتزلزل، يشق طريقه إلى الأمام بسلام

«٤». (١) مباني و روشهای تفسیر، ص ٧٣.

(٢) تفسير الميزان، ج ١١، ص ٤٢٠، الرعد / ٣٩.

(٣) الزخرف / ٤.



(٤) راجع: الطبرسي، مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٩. و الطوسي، التبيان، ج ٩، ص ١٧٩. و أبا الفتوح الرازي، ج ١٠، ص ٧٤. و الفخر الرازي، ج ٢٧، ص ١٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣

و كذا قوله: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ «١» أى هكذا قدر في علمه تعالى المكنون «٢».

و هكذا ذكر الطبرسي و غيره في تفسير قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ «٣» أنه إشارة إلى مقامه الرفيع عند الله، و قد جرى في علمه تعالى أنه محفوظ عن مناوشة المناوئين.

قال سيد قطب: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ: كريم بمصدره، و كريم بذاته، و كريم باتجاهاته. في كتاب مكنون: مصون، و تفسير ذلك في قوله تعالى بعده: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. فقد زعم المشركون أن الشياطين تنزلت به، فهذا نفى لهذا الزعم.

فالشيطان لا يمس هذا الكتاب المكنون في علم الله و حفظه، إنما تنزل به الملائكة المطهرون؛ و لذلك قال- بعدها-: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أى لا تنزيل من الشياطين» «٤».

### هل يعلم التأويل غير الله؟

سؤال أثارته ظاهرة الوقف على إِلَّا اللَّهُ من قوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ثم الاستئناف لقوله: وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا «٥» و ما ورد في بعض الأحاديث من اختصاص علم التأويل بالله تعالى، و أن (١) البروج، ٢٢.

(٢) راجع: تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد، ص ٢٩. و الفخر الرازي، ج ٢٣، ص ٦٦ و ج ٢٨، ص ١٥٢.

(٣) الواقعة/ ٨٠.

(٤) في ظلال القرآن، ج ٧، ص ٧٠٦. و راجع: المجمع، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٥) آل عمران/ ٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤

الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، و إنما يكلون علمه إلى الله سبحانه؛ من ذلك

ما ورد في خطبة الأشباح من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «فانظر أيها السائل، فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به و استضىئ بنور هدايته، و مما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه، و لا في سنة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أئمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله سبحانه. فإن ذلك منتهى حق الله عليك».

«و اعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدود المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب. فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما، و سمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا، فاقصر على ذلك، و لا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين» «١» هذه الخطبة من جلائل الخطب و أعلاها سندا، فلا مغمز في صحته إسنادها، و إنما الكلام في فحوى المراد منها.

و قد أجمع شراح النهج «٢» على أن مراده عليه السلام بهذا الكلام هو الصفات، و أن صفاته تعالى إنما يجب التبعيد بها و التوقف فيها دون الولوج في معرفة كنهها؛ إذ لا سبيل إلى معرفة حقيقة الصفات، كما لا سبيل إلى معرفة حقيقة الذات.

حيث

قوله عليه السلام: «فما ذلك القرآن من صفته فائتم به، و ما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه». (١) الخطبة رقم ٩١ نهج البلاغة. و بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٧٧.

(٢) راجع: منهاج البراعة للراوندى، ج ١، ص ٣٨٢. و ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٤٠٤. و ابن ميثم البحراني، ج ٢، ص ٣٣٠، شرح

الخطبة. و المنهاج للخواشي، ج ٦، ص ٣١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥

إذ من وظيفتنا أن نصفه تعالى بما وصف به نفسه في كلامه: سميع بصير، حكيم عليم، حتى قيوم ... و لم نكلف الولوج في معرفة حقائق هذه الصفات منسوبة إلى الله تعالى؛ إذ ضربت دون معرفتها السدد و الحجب، فلا سبيل إلى بلوغها؛ فيجب التوقف دونها. إذن فلا- مساس لكلامه عليه السلام هنا، مع متشابهات الآيات التي لا ينبغي الجهل بها للراسخين في العلم؛ حيث تحلّهم بحلية العلم هي التي مكنتهم من معرفة التنزيل و التأويل جميعا.

نعم لا- نتحاشى القول بأنهم في بدء مجابتهم للمتشابهات يقفون لديها، وقفه المتأمل فيها؛ حيث المتشابه متشابه على الجميع على سواء، لو لا أنهم بفضل جهودهم في سبيل كشفها و إرجاعها إلى محكمات الآيات صاروا يعرفونها في نهاية المطاف. فعجزهم البادئ كان من فضل رسوخهم في العلم، بأن المتشابه كلام صادر ممن صدر عنه المحكم، فزادت رغبتهم في معرفتها بالتأويل فيها و الاستمداد من الله في العلم بها، و من جدّ في أمر وجده بعون الله.

فوجه تناسب استشهاده عليه السلام بهذه الآية بشأن الصفات محضا، هو العجز البادئ لدى المتشابهات، يقربه الراسخون في أول مجابتهم للمتشابهات، و إن كان الأمر يفترق في نهاية المطاف.

قال ابن أبي الحديد: إن من الناس من وقف على قوله: **إِلَّا اللَّهُ**. و منهم من لم يقف. و هذا القول أقوى من الأول؛ لأنه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله لم يكن في إنزاله و مخاطبة المكلفين به فائدة، بل يكون كخطاب العربي بالزنجية، و معلوم أن ذلك عيب قبيح. و أما موضع **يَقُولُونَ** من الإعراب، فيمكن أن يكون نصبا على أنه حال من الراسخين، و يمكن أن يكون كلاما مستأنفا، أي هؤلاء العالمون بالتأويل، يقولون:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦

آمنا به.

و قد روى عن ابن عباس أنه تأول آية، فقال قائل من الصحابة: **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ** فقال ابن عباس: **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** و أنا من جملة الراسخين. «١»

و نحن قد تكلمنا عن هذه الآية بتفصيل و توضيح، عند الكلام عن متشابهات القرآن، فراجع «٢».

### هل التفسير توقيف؟

ربما كان بعض السلف يحتشم عن القول في القرآن، خشية أن يكون قولاً على الله بغير علم، أو تفسيراً برأيه الممنوع شرعاً. و تبعهم على ذلك بعض الخلف، فأمسكوا عن تفسير القرآن، سوى ما ورد فيه أثر صحيح و نقل صريح.

فقد أخرج الطبري بإسناده إلى أبي معمر، قال: قال أبو بكر: **«أى أرض تقلنى و أى سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن ما لا أعلم»**، و فى رواية أخرى أيضا عنه: **«إذا قلت فى القرآن برأى»** «٣».

و هذا عند ما سئل عن **«الآب»** فى قوله تعالى: **وَأَبَاكُمْ وَأَبَاءَ، مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ** «٤»، فقد أخرج السيوطى بإسناده إلى إبراهيم التيمي، قال: سئل أبو بكر عن قوله تعالى: **وَأَبَا،** فقال: **«أى سماء تظلنى و أى أرض تقلنى إذا (١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٤٠٤-٤٠٥.**

(٢) التمهيد، ج ٣، ص ٣٥-٤٩.

(٣) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧.

(٤) سورة عبس، ٣١ و ٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧

قلت في كتاب الله ما لا أعلم» (١).

وهكذا روى عن عمر أنه جعل التكلم في الآية تكلفاً يجب تركه وإيكاله إلى الله، أخرج السيوطي بعدة أسانيد أن عمر قرأ على المنبر: فَأَتَيْتُنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنْبًا وَقَضْبًا - إلى قوله - وَأَبًا قَالَ: كل هذا قد عرفناه، فما الأب؟ ثم رفض عصا كانت في يده، فقال: هذا لعمر و الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب، أتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه (٢).

و عن عبيد الله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة، و أنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد الله، و القاسم بن محمد، و سعيد بن المسيّب، و نافع. و عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيّب عن آية من القرآن، فقال: لا أقول في القرآن شيئاً. و في رواية أخرى: أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: أنا لا أقول في القرآن شيئاً، و كان لا يتكلم إلّا في المعلوم من القرآن. قال يزيد: و إذا سألتنا سعيداً عن تفسير آية من القرآن، سكت كأن لم يسمع ..

و عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة السلماني عن آية، قال: عليك بالسداد، فقد ذهب الذين علموا فيم أنزل القرآن. و جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن، فقال له: أخرج عليك إن كنت مسلماً، لما قمت عني، أو قال: أن تجالسني.

و روى عن الشعبي، قال: ثلاث لا أقول فيهنّ حتى أموت: القرآن، و الرّوح، و الرأى، و كان يقول: و الله ما من آية إلّا قد سألت عنها، و لكنها الرواية عن الله. (١) الدر المنثور، ج ٦، ص ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه، و الطبري، ج ٣٠، ص ٣٨ - ٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨

و روى عنه أنه قال: أدر كتهم - أي الأوائل - و ما شيء أبغض إليهم أن يسألوا عنه و لا هم له أهيب، من القرآن. ذكره صاحب كتاب المباني.

و روى في ذلك بطريق ضعيف عن عائشة، قالت: ما كان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يفسيّر شيئاً من القرآن إلّا آيا تعدّ، علمهنّ إياه جبريل (١)، أي أنه صلّى الله عليه و آله و سلّم لم يكن يفسيّر إلّا القلائل من الآيات، تلك القلائل أيضا كان بوحى و توقيف، و لم يكن عن فهمه.

و روى عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتقون التفسير و يهابونه.

قال ابن كثير: فهذه الآثار الصحيحة و ما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تحرّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه. فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة و شرعاً فلا حرج عليه؛ و لهذا روى عن هؤلاء و غيرهم أقوال في التفسير، و لا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه و سكتوا عما جهلوه. و هذا هو الواجب على كل واحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه؛ لقوله تعالى: لَسَيِّئَةٌ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ (٢).

و بعين ذلك ذكر ابن تيمية في مقدمته (٣).

و قال ابن جرير الطبري: إن معنى «إحجام» من أحجم عن القيل في تأويل القرآن و تفسيره من علماء السلف، إنما كان إحجامه عنه حذراً أن لا يبلغ أداء ما كلف من إصابة صواب القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوب عن علماء (١) الطبري، في التفسير، ج ١، ص ٢٩. و مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٦. و آل عمران / ١٨٧.

(٣) مقدمته في أصول التفسير، ص ٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩

الأمة، غير موجود بين أظهرهم. (١)

قلت: و الدليل على صحة ذلك أن من تحرّج من القول في معانى القرآن من السلف، كانوا هم القلة القليلة من الأصحاب و التابعين، أما الأكتريّة الساحقة من علماء الأمة و نبهاء الصحابة فقد عنوا بتفسير القرآن و تأويله عناية بالغة، كانت الوفرة الوفيرة من رصيدنا اليوم فى التفسير.

قال ابن عطية: و كان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه، و هم أبقي على المسلمين فى ذلك.

فأما صدر المفسرين و المؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب عليه السلام، و يتلوه عبد الله ابن عباس، و هو تجرد للأمر و كمله، و تبعه العلماء عليه، كمجاهد، و سعيد بن جبير، و غيرهما. و المحفوظ عنه فى ذلك أكثر من المحفوظ عن على بن أبى طالب.

و قال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فعن على بن أبى طالب.

و كان على بن أبى طالب يثنى على تفسير ابن عباس، و يحض على الأخذ عنه. و كان عبد الله بن مسعود يقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس.

و هو الذى

قال فيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «اللهم فقهه فى الدين»

، و حسبك بهذه الدعوة. و

قال عنه على بن أبى طالب عليه السلام: «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».

و يتلوه عبد الله بن مسعود، و أبى بن كعب، و زيد بن ثابت، و عبد الله بن عمرو بن العاص. (١) الطبرى-التفسير- ج ١، ص ٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠

قال: و كل ما أخذ عن الصحابة فحسن متقدم. (١)

و أما حديث عائشة- فضلا عن تكلم ابن جرير و ابن عطية و غيرهما فى تأويله و ضعف سنده- فالأرجح فى تأويله: أنه صلى الله عليه و آله و سلم كان يفسر لهم القرآن أعدادا فأعدادا، كل فترة عددا خاصا حسبما كان جبرئيل يعلمه عن الله- جلّ جلاله- و لم يكن التعليم فوضى من غير انتظام. و سيوافيك حديث ابن مسعود فى ذلك: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن.

قال صاحب كتاب المباني: و أما ما روى عن عائشة، فإن ذلك يدل على أنه عليه السلام كان يحتاج مع ما أنزل عليه من القرآن إلى تفسير آيات يعلمهن إياه جبريل عليه السلام و تلك آيات معدودة قد أجملت فيها أحكام الشريعة؛ بحيث لا يوقف عليه إلّا بيان الرسول عن الله تعالى.

و أما ما ذكره من امتناع من امتنع من القول فى التفسير، فإن ذلك بمنزلة من امتنع منهم عن الرواية عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلّا فيما لم يجد فيه بدا.

و لذلك قلت روايات رجال من أكابر الصحابة، مثل عثمان و طلحة و الزبير و غيرهم.

روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قلت للزبير: ما لى لا أسمعك تحدث عن رسول الله، كما أسمع ابن مسعود و فلانا و فلانا؟ فقال: أما إنى لم أفارقه منذ أسلمت، و لكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

و قيل لربيعة: إنا لنجد عند غيرك من الحديث ما لا نجد عندك! فقال: ما عندهم شىء إلّا و قد سمعت منه، و لكنى سمعت رجلا من آل الهدير يقول: (١) مقدمة ابن عطية لتفسيره الجامع المحرر، المطبوعة مع مقدمة المباني، ص ٢٦٢-٢٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١

صحبت طلحة و ما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلا حديثا واحدا.

قال: و هذا عبد الله بن عباس، لم يدع آية في القرآن إلا و قد ذكر من تفسيرها، على ما روت عنه الرواة؛ و لذلك قيل: ابن عباس ترجمان القرآن.

و روى عن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس في تفسير القرآن و معه ألواحه، فيقول ابن عباس: اكتبه، حتى سأله عن التفسير كله.

و روى عن سعيد بن جبير أنه قال: من قرأ القرآن و لم يفسه كان كالأعمى أو كالأعرجي.

و روى مسلم عن مسروق بن الأجدع قال: كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها، و يفسرهما عامة النهار.

و عن أبي عبد الرحمن قال: حدثونا الذين كانوا يقرءوننا: أنهم كانوا يستقرءون من النبي، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل، فيعلموا القرآن و العمل جميعا.

و عن ابن مسعود: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن. «١»

و بعد، فقد ذكر الراغب الأصبهاني هنا شرائط يجب توفرها في المفسر، حتى لا يكون تفسيره تفسيراً بالرأى الممنوع شرعا و المقبوح عقلا، نذكره بتفصيله، فإن فيه الفائدة المتوخاة في هذا الباب. (١) مقدمة كتاب المباني، ص ١٩١-١٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢

### صلاحية المفسر

قال الراغب: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فبعض تشدد في ذلك، و قال: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، و إن كان عالما أديبا، متسعا في معرفة الأدلة و الفقه و النحو و الأخبار و الآثار. و إنما له أن ينتهي إلى ما روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و عن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة، و الذين أخذوا عنهم من التابعين. و احتجوا في ذلك بما

روى عنه عليه السلام: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»

و ،

قوله: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»

و .

في خبر: «من قال في القرآن برأيه فقد كفر».

قال: و ذكر آخرون أن من كان ذا أدب و سيع، فموسع له أن يفسره، فالعقلاء الأدباء فوضى فضا في معرفة الأغراض. و احتجوا في ذلك بقوله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ «١».

و ذكر بعض المحققين أن المذهبين هما: الغلو و التقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج إليه، و من أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط، و لم يعتبر حقيقة قوله تعالى: لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ.

قال: و الواجب أن يبين أولا ما ينطوى عليه القرآن، و ما يحتاج إليه من العلوم، فنقول و بالله التوفيق:

إن جميع شرائط الإيمان و الإسلام التي دعينا إليها و اشتمل القرآن عليها ضربان: علم غايته الاعتقاد، و هو الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر. و علم غايته العمل، و هو معرفة أحكام الدين و العمل بها. (١) ص / ٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣

و العلم مبدأ، و العمل تمام. و لا يتم العلم من دون عمل، و لا يخلص العمل دون العلم؛ و لذلك لم يفرد تعالى أحدهما من الآخر في

عامه القرآن، نحو قوله:

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا «١»، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ «٢». الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بَ «٣».

و لا يمكن تحصيل هذين (العلم و العمل) إلا بعلوم لفظية، و عقلية، و موهبية:

فالأول: معرفة الألفاظ، و هو علم اللغة.

و الثاني: مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، و هو علم الاشتقاق.

و الثالث: معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية و التصاريف و الإعراب، و هو النحو ..

و الرابع: ما يتعلق بذات التنزيل، و هو معرفة القراءات.

و الخامس: ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، و شرح الأقسام التي تنطوي عليها السور، من ذكر الأنبياء عليهم السلام و القرون الماضية، و هو علم الآثار و الأخبار.

و السادس: ذكر السنن المنقولة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ممن شهد الوحي، و ما اتفقوا عليه و ما اختلفوا فيه، مما هو بيان لمجمل، أو تفسير لمبهم المنبأ عنه بقوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ «٤» و بقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ «٥»، و ذلك علم السنن. (١) التغابن / ٩.

(٢) غافر / ٤٠.

(٣) الرعد / ٢٩.

(٤) النحل / ٤٤.

(٥) الأنعام / ٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤

و السابع: معرفة النسخ و المنسوخ، و العموم و الخصوص، و الإجماع و الاختلاف، و المجمل و المفسر، و القياسات الشرعية، و المواضيع التي يصح فيها القياس، و التي لا يصح، و هو علم أصول الفقه.

و الثامن: أحكام الدين و آدابه، و آداب السياسات الثلاث التي هي سياسة النفس و الأقارب و الرعية؛ مع التمسك بالعدالة فيها، و هو علم الفقه و الزهد.

و التاسع: معرفة الأدلة العقلية، و البراهين الحقيقية، و التقسيم و التحديد، و الفرق بين المعقولات و المظنونات و غير ذلك، و هو علم الكلام.

و العاشر: و هو علم الموهبة، و ذلك علم يورثه الله من عمل بما علم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قالت الحكمة: من أرادني فليعمل بأحسن ما علم، ثم تلا الذين يشتبعون القول فيتبعون أحسنه «١». و روى عنه عليه السلام حيث سئل: هل عندك علم عن النبي لم يقع إلى غيرك؟ قال: «لا، إلا كتاب الله، و ما في صحيفتي، و فهم يؤتية الله من يشاء».

و هذا هو التذكر الذي رجانا الله تعالى إدراكه بفعل الصالحات؛ حيث قال:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ - لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «٢»، و هو الهداية المزيدة للمهتدي في قوله: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى «٣»، و هو الطيب من القول المذكور: وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَ هُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ «٤». (١) الزمر / ١٨.

(٢) النحل / ٩٠.

(٣) محمد / ١٧.

(٤) الحج / ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥

فجملة العلوم التي هي كالألة للمفسر، و لا تتم صناعته إلّا بها، هي هذه العشرة:

علم اللغة، و الاشتقاق، و النحو، و القراءات، و السير، و الحديث، و أصول الفقه، و علم الأحكام، و علم الكلام، و علم الموهبة. فمن تكاملت فيه هذه العشرة و استعملها، خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه. و من نقص عن بعض ذلك ممّا ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن، و أحسن من نفسه في ذلك بنقصه، و استعان بأربابه، و اقتبس منهم، و استضاء بأقوالهم، لم يكن - إن شاء الله - من المفسرين برأيهم.

و أخيراً قال: و من حقّ من تصدّى للتفسير أن يكون مستشعراً لتقوى الله، مستعيذاً من شرور نفسه و الإعجاب بها، فالإعجاب أسّ كل فساد. و أن يكون اتّهامه لفهمه أكثر من اتّهامه لفهم أسلافه الذين عاشروا الرسول و شاهدوا التنزيل و بالله التوفيق «١».

و لقد أحسن و أجاد فيما أفاد، و أدّى الكلام حقّه في بيان الشرائط التي يجب توفّرها في كل مفسّر، حتى يخرج عن كونه مفسّراً برأيه، و بشرط أن يراعى تقوى الله، فلا يقول في شيء بغير علم و لا كتاب منير.

قال جلال الدين السيوطي: و لعلك تستشكل علم الموهبة، و تقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان. و ليس كما ظننت من الإشكال، و الطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل و الزهد. قال الإمام بدر الدين الزركشي: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، و لا يظهر له أسرارها، و في قلبه بدعة أو كبير أو هوى أو حبّ الدنيا، أو هو مصرّ على ذنب، أو غير متحقّق (١) مقدمته في التفسير، ص ٩٣-٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦

بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله و هذه كلها حجب و موانع بعضها أكد من البعض. قال السيوطي: و في هذا المعنى قوله تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ «١». قال سفيان بن عيينة: يقول تعالى: أنزع عنهم فهم القرآن «٢».

قلت: و هكذا قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ «٣». فلا تتجلى حقائق القرآن و معارفه الرشيدة إلّا لمن خلص باطنه و زكت نفسه عن الأذناس و الأرجاس.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - في خطبة خطبها بندي قار -: «إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلّا من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، و بصر به عماءه، و سمع به صممه، و أدرك به علم ما فات، و حى به بعد إذ مات، و أثبت به عند الله الحسنات، و محا به السيئات، و أدرك به رضوانا من الله تبارك و تعالى، فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصّة» «٤» و

قال - في حديث آخر -: «إنّ الله قسمّ كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسماً لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمييزه، ممن شرح الله صدره للإسلام، و قسماً لا يعلمه إلّا الله و أمناؤه و الراسخون في العلم» «٥». (١) الأعراف / ١٤٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، الإتيان، ج ٤، ص ١٨٨.

(٣) الواقعة / ٧٧-٧٩.

(٤) الوسائل، ج ١٨، ص ١٣٧، رقم ٢٦. عن روضة الكافي، ج ٨، ص ٣٩٠-٣٩١، رقم ٥٨٦.

(٥) الوسائل، ج ١٨، ص ١٤٣، رقم ٤٤. عن كتاب الاحتجاج، ج ١، ص ٣٧٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا «١»، و قال:

وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ «٢».

## أوجه التفسير

أخرج الطبري بعدة أسانيد إلى ابن عباس، قال: التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، و تفسير لا يعدر أحد بجهالته، و تفسير يعلمه العلماء، و تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى «٣».

قال الزركشى - فى شرح هذا الكلام -: و هذا تقسيم صحيح:

فأما الذى تعرفه العرب، فهو الذى يرجع فيه إلى لسانهم؛ و ذلك شأن اللغة و الإعراب.

فأما اللغة، فعلى المفسر معرفة معانيها، و مسميات أسمائها، و لا يلزم ذلك القارئ. ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم، كفى فيه خبر الواحد و الاثنين، و الاستشهاد بالبيت و البيتين. و إن كان مما يوجب العلم، لم يكف ذلك، بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ، و تكثر شواهد من الشعر.

و أما الإعراب، فما كان اختلافه محيلا للمعنى، و جب على المفسر و القارئ تعلمه، ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم و ليسلم القارئ من اللحن. و إن لم يكن محيلا للمعنى، و جب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن، و لا- يجب على المفسر؛ لوصوله إلى المقصود دونه، على أن جهله نقص فى حق الجميع.

إذا تقرّر ذلك، فما كان من التفسير راجعا إلى هذا القسم، فسييل المفسر (١) الأنفال / ٢٩.

(٢) البقرة / ٢٨٢.

(٣) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨

التوقف فيه على ما ورد فى لسان العرب، و ليس لغير العالم بحقائق اللغة و مفاهيمها تفسير شيء من الكتاب العزيز، و لا يكفى فى حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا، و هو يعلم أحد المعنيين.

الثانى: ما لا يعذر أحد بجهله، و هو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام و دلائل التوحيد. و كل لفظ أفاد معنى واحدا جليا لا سواه، يعلم أنه مراد الله تعالى.

فهذا القسم لا يختلف حكمه، و لا يلتبس تأويله؛ إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد، من قوله تعالى: فَاعْلَم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ «١» و أنه لا شريك له فى إلهيته، و إن لم يعلم أن «لا» موضوعه فى اللغة للنفى و «إلا» للإثبات، و أن مقتضى هذه الكلمة الحصر. و يعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ «٢» و نحوها من الأوامر، طلب إدخال ماهية الأمور به فى الوجود، و إن لم يعلم أن صيغة «أفعل» مقتضاها الترجيح و جوبا أو ندبا. فما كان من هذا القسم لا يقدر أحد أن يدعى الجهل بمعانى ألفاظه؛ لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة.

الثالث: ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فهو يجرى مجرى الغيوب، نحو الآى المتضمنة قيام الساعة، و نزول الغيث، و ما فى الأرحام، و تفسير الروح، و الحروف المقطعة.

و كل مشابه فى القرآن عند أهل الحق، فلا مساغ للاجتهاد فى تفسيره، (١) محمد / ١٩.

(٢) البقرة / ٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩

و لا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف، من أحد ثلاثة أوجه:

إما نص من التنزيل، أو بيان من النبى صلى الله عليه و آله و سلم، أو إجماع الأمة على تأويله.



فإذا لم يرد فيه توكيف من هذه الجهات، علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.

قلت: وهذا إنما يصدق بشأن الحروف المقطعة، فإنها رموز بين الله ورسوله، لا يعلم تأويلها إلا الله والرسول، ومن علمه الرسول بالخصوص.

والرابع: ما يرجع إلى اجتهاد العلماء، وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه. فالمفسر ناقل، والمؤول مستنبط؛ وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم.

وكل لفظ احتمال معنيين فصاعداً، فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه؛ وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل، وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه.

ثم أخذ في بيان كيفية الاجتهاد واستنباط الأحكام من ظواهر القرآن، عند اختلاف اللفظ أو تعارض ظاهرين، بحمل الظاهر على الأظهر، وترجيح أحد معنيي المشترك، وما إلى ذلك مما يرجع إلى قواعد (علم الأصول) ثم قال: فهذا أصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل، والله العالم.

وأخيراً قال: إذا تقرّر ذلك فينزل

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»

على قسمين من هذه الأربعة: أحدهما: تفسير اللفظ؛ لاحتياج المفسر له إلى التبخر في معرفة لسان العرب، الثاني: حمل اللفظ المحتمل

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٠

على أحد معنييه؛ لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع من العلوم:

علم العربية واللغة والتبخر فيهما.

ومن علم الأصول ما يدرك به حدود الأشياء، وصيغ الأمر والنهي، والخبر، والمجمل والمبين، والعموم والخصوص، والظاهر والمضمّر، والمحكم والمتشابه، والمؤول، والحقيقة والمجاز، والصريح والكنائية، والمطلق والمقتيد.

ومن علوم الفروع ما يدرك به استنباط، والاستدلال على هذا أقل ما يحتاج إليه، ومع ذلك فهو على خطر. فعليه أن يقول: يحتمل

كذا، ولا يجزم إلا في حكم اضطرّ إلى الفتوى به «١».

## التفسير بالرأى

### إشارة

وأما الذي هابه أهل الظاهر، وزعموا من التكلم في معاني القرآن تفسيراً بالرأى، فيجب الاحتراز منه؛ فهو مما اشتبه عليهم أمره، ولم يمعنوا النظر في فحواه إمعاناً.

ولا بدّ أن نذكر نصّ الحديث أولاً، ثم النظر في محتواه: «٢» ١-

روى أبو جعفر الصدوق بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله -جلّ

جلاله-: «ما آمن بي من فسر برأيه كلامي» «٣».

٢- وأيضا

روى عنه عليه السلام قال- لمدعى التناقض في القرآن-: «إياك أن تفسر (١) البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٦٤-١٦٨.

(٢) ممّا أورده العلامة المجلسي في بحار الأنوار، كتاب القرآن، باب / ١٠، ج ٨٩، ص ١٠٧-١١٢، (ط بيروت)

(٣) الأمالي للصدوق (ط نجف)؛ ص ٦، المجلس الثاني.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦١

القرآن برأيك، حتى تفقهه عن العلماء. فإنه ربّ تنزِيل يشبه بكلام البشر، و هو كلام الله، و تأويله لا يشبه كلام البشر» (١).

٣- و أيضا

عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال لعلي بن محمد بن الجهم: «لا تؤوّل كتاب الله - عزّ و جلّ - برأيك، فإنّ الله - عزّ و جلّ - يقول: و ما يعلّم تأويله إلّا الله و الرّاسخون في العلم» (٢).

٤- و

روى أبو النضر محمد بن مسعود العياشي بإسناده عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، و إن أخطأ كان إثمه عليه»

و ،

في رواية أخرى: «و إن أخطأ فهو أبعد من السماء» (٣).

٥- و

روى الشهيد السعيد زين الدين العاملي، مرفوعا إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار»

و ،

قال: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ»

و ،

قال: «من قال في القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار»

و ،

قال: «أكثر ما أخاف على أمتي من بعدى، رجل يناول القرآن، يضعه على غير مواضعه» (٤).

و

أخرج أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناده عن ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».

و

في رواية أخرى: «من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم...». (١) كتاب التوحيد، للصدوق، باب ٣٦، الرّد على الثنوية و الزنادقة، ص ٢٦٤، (ط بيروت)

(٢) عيون الأخبار، للصدوق، (ط نجف) ج ١، ص ١٥٣، باب ١٤، ج ١، آل عمران / ٧.

(٣) مقدمة تفسير العياشي، ج ١، ص ١٧، رقم ٢ و ٤.

(٤) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١١-١١٢، رقم ٢٠ عن آداب المتعلمين، للشهيد، ص ٢١٦-٢١٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٢

و أيضا

عنه: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار».

و أيضا:

«من تكلم في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».

و

ياسناده عن جندب عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (١).

وخصَّ الطبري هذه الأحاديث بالآي التي لا سبيل إلى العلم بتأويلها إلا ببيان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مثل تأويل ما فيه من وجوه أمره: واجبه وندبه وإرشاده، و صنوف نهيه، وظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آية التي لم يدرك علمها إلا ببيان الرسول لأُمَّته، وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان الرسول له بتأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة نصيها دالَّة أُمَّته على تأويله.

قال: وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان الرسول أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله، بقيله فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابته موقن أنه محق، وإنما هو إصابته خاوص وظان، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم؛ لأن قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم، أن الذي قال فيه من قول حق و صواب، فهو قائل على الله ما لا يعلم، آثم بفعله ما قد نهى عنه و حظر عليه. (٢) (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧.

(٢) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٥-٢٦ و ٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٣

قلت: وهذا يعنى العمومات الواردة في القرآن، الوارد تخصيصاتها في السنَّة ببيان الرسول، مثل قوله: أقيموا الصَّلَاةَ و لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ و نحو ذلك مما ورد في القرآن عامًا، وأوكل بيان تفاصيلها و شرائطها و أحكامها إلى بيان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلا يجوز شرح تفاصيلها إلا عن أثر صحيح.

و هذا حق، غير أن حديث المنع غير ناظر إلى خصوص ذلك.

و

روى الترمذى ياسناده إلى ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «اتقوا الحديث علىَّ إلا ما علمتم، فمن كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، و من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (١).

قال ابن الأنباري: فسّر حديث ابن عباس تفسيرين:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة و التابعين، فهو متعرّض لسخط الله.

والآخر:- وهو أثبت القولين و أصحهما معنى- من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره، فليتبوأ مقعده من النار.

وقال: و أما

حديث جندب عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (٢)، فحمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أن الرأي معني به الهوى. من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف، فأصاب فقد أخطأ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، و لا يقف على مذاهب أهل (١) قال أبو عيسى الترمذى: هذا حديث حسن. الجامع، ج ٥، ص ١٩٩، كتاب التفسير، باب ١، رقم ٢٩٥١.

(٢) جامع الترمذى، ج ٥، ص ٢٠٠، رقم ٢٩٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٤

الأثر و النقل فيه.

وقال ابن عطية: «و معنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله عزّ و جلّ، فيتسوّر عليه برأيه» (١) دون نظر فيما قال العلماء، و اقتضته قوانين العلم كالنحو و الأصول. و ليس يدخل في هذا الحديث، أن يفسّر اللغويون لغته، و النحويون نحوه، و الفقهاء معانيه، و

يقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم و نظر، فإنَّ القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه».

قال القرطبي - تعقياً على هذا الكلام -: هذا صحيح، و هو الذي اختاره غير واحد من العلماء، فإنَّ من قال في القرآن بما سنع في وهمه و خطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، و إنَّ من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها، فهو ممدوح.

و قال بعض العلماء: إنَّ التفسير موقوف على السماع، للأمر برده إلى الله و الرسول «٢».

قال: و هذا فاسد؛ لأنَّ النهي عن تفسير القرآن لا يخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل و السماع و ترك الاستنباط، أو المراد به أمراً آخر. و باطل أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلّا بما سمعه، فإنَّ الصحابة قد قرءوا القرآن و اختلفوا في تفسيره على وجوه، و ليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و قد دعا لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل».

فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل، فما فائدة تخصيصه بذلك، و هذا بين لا إشكال فيه. (١) تسوّر الحائط: هجم عليه هجوم اللص و تسلقه. و يعنى به هنا: التهجم و الإقدام بغير بصيرة و لا وعى.

(٢) في الآية رقم ٥٩ من سورة النساء.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٥

و إنّما النهي يحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأى، و إليه ميل من طبعه و هواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه و هواه، ليحتج على تصحيح غرضه. و لو لم يكن له ذلك الرأى و الهوى؛ لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

و هذا النوع يكون تارة مع العلم، كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، و هو يعلم أن المراد بالآية ذلك، و لكن مقصوده أن يلبس على خصمه.

و تارة يكون مع الجهل؛ و ذلك إذا كانت الآية محتملة، فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه، و يترجح ذلك الجانب برأيه و هواه، فيكون قد فسّر برأيه، أى رأيه حمله على ذلك التفسير، و لو لا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه.

و تارة يكون له غرض صحيح، فيطلب له دليلاً من القرآن، و يستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى، فيقول: قال الله تعالى:

أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى «١» و يشير إلى قلبه، و يومئ إلى أنه المراد بفرعون.

و هذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة، تحسيناً للكلام و ترغيباً للمستمع، و هو ممنوع لأنه قياس فى اللّغة، و ذلك غير جائز. و قد تستعمله الباطنية «٢» فى المقاصد الفاسدة لتغريب الناس و دعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينزّلون القرآن على وفق رأيهم و مذهبهم، على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة.

فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى. (١) سورة طه/ ٢٤.

(٢) من أهل التصوف.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٦

الوجه الثانى: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع و النقل، فيما يتعلق بغرائب القرآن، و ما فيه من الألفاظ المبهمة و المبدلة، و ما فيه من الاختصار و الحذف و الإضمار و التقديم و التأخير. فمن لم يحكم ظاهر التفسير، و بادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلظه، و دخل فى زمرة من فسّر القرآن بالرأى. و النقل و السماع لا بدّ له منهما فى ظاهر التفسير، أو لا ليتقى بهما مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم و الاستنباط. و الغرائب التى لا تفهم إلّا بالسماع كثيرة، و لا مطمع فى

الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ألا ترى أن قوله تعالى: «وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا» (١) معناه:

آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها. فالناظر إلى الظاهر يظن أن الناقة كانت مبصرة، فهذا في الحذف والإضمار، وأمثلة في القرآن كثير (٢).

وهذا الذي ذكره القرطبي و شرحه شرحا وافيا، هو الصحيح في معنى الحديث، وأكثر العلماء عليه، بل وفي لحن الروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤيد إرادة هذا المعنى، نظرا للإضافة في «رأيه»، أي رأيه الخاص، يحاول توجيهه بما يمكن من ظواهر القرآن حتى ولو استلزم تحريفا في كلامه تعالى.

فهذا لا يهّم القرآن، إنما يهّمه تبرير موقفه الخاص باتخاذ هذا الرأي الذي يحاول إثباته بأية وسيلة ممكنة. فهذا في الأكثر مفتر على الله، مجادل في آيات الله.

فقد روى أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق بإسناده إلى سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله (١) الإسراء / ٥٩.

(٢) راجع: تفسير القرطبي، ج ١، ص ٣٢-٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٧

المجادلين في دين الله على لسان سبعين نبيا، و من جادل في آيات الله فقد كفر، و من فسّر القرآن برأيه فقد افتري على الله الكذب، و من أفتى الناس بغير علم فلعنته ملائكة السماوات والأرض، و كل بدعة ضلالة، و كل ضلالة سبيلها إلى النار...» (١).

و

روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم.

إنّ الرجل لينتزع بالآية فيختر بها أبعاد ما بين السماء والأرض» (٢) و كذا إذا استبدّ برأيه و لم يهتم بأقوال السلف و المأثور من أحاديث كبار الأئمة و العلماء من أهل البيت عليهم السلام. و كذا سائر المراجع التفسيرية المعهودة، فإن من استبدّ برأيه هلك، و من ثمّ فإنه إن أصاب أحيانا فقد أخطأ الطريق، و لم يؤجر.

روى أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش بإسناده إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «من فسّر القرآن برأيه، إن

أصاب لم يؤجر، و إن أخطأ فهو أبعد من السماء» (٣)، إلى غيرها من أحاديث يستشف منها أن السرّ في منع التفسير بالرأى أمران:

أحدهما: التفسير لغرض المراء و الغلبة و الجدل. و هذا إنما يعمد إلى دعم نظرتة و تحكيم رأيه الخاص، بما يجده من آيات متشابهة صالحة للتأويل إلى (١) كمال الدين للصدوق، ج ١، ص ٢٥٦-٢٥٧، ب ٢٤، رقم ١. و عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب العبشمي صحابي جليل، أسلم يوم الفتح و شهد غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم شهد فتوح العراق، و هو الذي افتتح سجستان و غيرها في خلافة عثمان. ثم نزل البصرة و كان يحدث بها.

روى عنه خلق كثير من التابعين. توفي سنة (٥٠) (الإصابة، ج ٢، ص ٤٠١، رقم ٥١٣٤)

(٢) الكافي الشريف، ج ١، (الأصول)، ص ٢٤، رقم ٤.

(٣) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٧، رقم ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٨

مطلوبه، إن صححها أو فاسدا، غير أن الآية لا تهدف ذلك لو لا الالتواء بها في ذلك الاتجاه؛ و لذلك فإنه حتى لو أصاب في المعنى لم يؤجر؛ لأنه لم يقصد تفسير القرآن، و إنما استهدف نصره مذهبه أيّا كانت الوسيلة.

و هذا ناظر في الأكثر إلى الآيات المتشابهة لغرض تأويلها، فالنهي إنما عنى التأويل غير المستند إلى دليل قاطع فأما الذين في قلوبهم

زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ «١».

ثانيهما: التفسير من غير استناد إلى أصل ركين، اعتمادا على ظاهر التعبير محضاً، فإن هذا هو من القول بلا علم، وهو ممقوت لا محالة، ولا سيما في مثل كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن ثم فإنه أيضا غير مأجور على عمله حتى ولو أصاب المعنى؛ لأنه أورد أمرا خطيرا من غير مورده، والأكثر الغالب في مثله الخطأ والضلال، وافتراء على الله، وهو عظيم. وقد أسلفنا كلام الراغب وشرحه بهذا الشأن «٢»، وكذا ما ذكره الزركشى في هذا الباب «٣»، وقد كان كلامهما وافيا بجوانب الموضوع، لم يختلف عما ذكرناه هنا، فراجع.

ولكن نقل جلال الدين السيوطي عن ابن النقيب محمد بن سليمان البلخي «٤». في مقدمة تفسيره: (١) آل عمران / ٧.

(٢) ص ٤٩. وراجع: مقدمته في التفسير، ص ٩٣.

(٣) ص ٥٤. وراجع: البرهان، ج ٢، ص ١٦٤-١٦٨.

(٤) توفي سنة ٦٩٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٩

أن جملة ما تحصل في معنى الحديث خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم، التي يجوز معها التفسير.

ثانيها: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

ثالثها: التفسير المقرّر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا، فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن، وإن كان ضعيفا.

رابعها: التفسير بأنّ مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

خامسها: التفسير بالاستحسان و الهوى. «١»

قلت: ويمكن إرجاع هذه الوجوه الخمسة إلى نفس الوجهين اللذين ذكرناهما؛ إذ الخامس يرجع إلى الثالث، والرابع والثاني يرجعان إلى الأول، فتدبر.

## خلاصة القول في التفسير بالرأى

### إشارة

يتلخص القول في تفسير

حديث «من فسر القرآن برأيه...»

: أن الشيء المذموم أو الممنوع شرعا، الذي استهدفه هذا الحديث، أمران:

### أحدهما:

أن يعمد قوم إلى آية قرآنية، فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من رأى أو عقيدة، أو مذهب أو مسلک، تبريرا لما اختاروه في هذا السبيل، أو تمويهها على العامة في تحمیل مذاهبهم أو عقائدهم، تعبيرا على البسطاء الضعفاء.

وهذا قد جعل القرآن وسيلة لإنجاح مقصوده بالذات، ولم يهدف تفسير القرآن في شيء. وهذا هو الذي عنى

بقوله عليه السلام: فقد خرّ بوجهه أبعد من السماء، أو فليتبوأ مقعده من النار. (١) الإتيان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٩١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٠

## و ثانيهما:

الاستبداد بالرأى في تفسير القرآن، محايدا طريقة العقلاء في فهم معانى الكلام، و لا سيما كلامه تعالى. فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل و طرقا، منها: مراجعة كلام السلف، و الوقوف على الآثار الواردة حول الآيات، و ملاحظة أسباب النزول، و غير ذلك من شرائط يجب توفرها في مفسّر القرآن الكريم. فإغفال ذلك كله، و الاعتماد على الفهم الخاص، مخالف لطريقة السلف و الخلف في هذا الباب. و من استبد برأيه هلك، و من قال على الله بغير علم فقد ضلّ سواء السبيل، و من ثمّ فإنه قد أخطأ و إن أصاب الواقع - فرضا أو صدفة - لأنه أخطأ الطريق، و سلك غير مسلكه المستقيم.

قال سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - دام ظلّه -: إن الأخذ بظاهر اللفظ، مستندا إلى قواعد و أصول يتداولها العرف في محاوراتهم، ليس من التفسير بالرأى، و إنما هو تفسير بحسب ما يفهمه العرف، و بحسب ما تدل عليه القرائن المتصلة و المنفصلة، و إلى ذلك أشار الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بقوله: «إنما هلك الناس في المتشابه؛ لأنهم لم يقفوا على معناه، و لم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلا من عند أنفسهم بأرائهم، و استغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء فيعرفونهم».

قال: و يحتمل أن معنى التفسير بالرأى، الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمة عليهم السلام مع أنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسّك، و لزوم الانتهاء إليهم. فإذا عمل الإنسان بالعموم أو الإطلاق الوارد في الكتاب، و لم يأخذ بالتخصيص أو التقييد الوارد عن الأئمة عليهم السلام كان هذا من التفسير بالرأى.

و على الجملة، حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتصلة و المنفصلة، من الكتاب و السنّة أو الدليل العقلي، لا يعدّ من التفسير بالرأى، بل و

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧١

لا من التفسير نفسه «١».

قلت: و عبارته الأخيرة إشارة إلى أن الأخذ بظاهر اللفظ، مستندا إلى دليل الوضع أو العموم أو الإطلاق، أو قرائن حالية أو مقالية و نحو ذلك، لا يكون تفسيرا؛ إذ لا تعقيد في اللفظ حتى يكون حلّه تفسيرا، و إنما هو جرى على المتعارف المعهود، في متفاهم الأعراف. إذ قد عرفت أن التفسير، هو: كشف القناع عن اللفظ المشكل، و لا إشكال حيث وجود أصالة الحقيقة أو أصالة الإطلاق أو العموم، أو غيرها من أصول لفظية معهودة.

نعم إذا وقع هناك إشكال في اللفظ؛ بحيث أبهم المعنى إبهاما، و ذلك لأسباب و عوامل قد تدعو إبهاما أو إجمالا في لفظ القرآن، فيخفى المراد خفاء في ظاهر التعبير، فعند ذلك تقع الحاجة إلى التفسير و رفع هذا التعقيد.

و التفسير - في هكذا موارد - لا يمكن بمجرد اللجوء إلى تلكم الأصول المقررة لكشف مرادات المتكلمين حسب المتعارف؛ إذ له طرق و وسائل خاصة غير ما يتعارفه العقلاء في فهم معانى الكلام العادي، على ما يأتي في كلام السيد الطباطبائي.

و التفسير بالرأى المذموم عقلا و الممنوع شرعا، إنما يعني هكذا موارد متشابهة أو متوغّلة في الإبهام، فلا رابط - ظاهرا - لما ذكره سيدنا الأستاذ، مع موضوع البحث، و عبارته الأخيرة ربما تشي بذلك.

و قال سيدنا العلامة الطباطبائي: «الإضافة - في قوله: برأيه - تفيد معنى (١) البيان، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٢

الاختصاص و الانفرد و الاستقلال، بأن يستقل المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس، فإن قطعة من الكلام من أى متكلم إذا ورد علينا، لم نلبث دون أن نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي، و نحكم بذلك أنه أراد كذا، كما نجرى عليه في الأفاريز و الشهادات و غيرهما. كل ذلك لكون بياننا مبتيا على ما نعلمه من اللغة، و نعهده من مصاديق الكلمات، حقيقة و مجازا.

و البيان القرآني غير جار هذا المجري، بل هو كلام موصول بعضها ببعض، في حين أنه مفصول، ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض، كما قاله على عليه السلام.

فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقررة، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها، و يجتهد في التدبّر فيها. فالتفسير بالرأى المنهى عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف.

فالنهي إنما هو عن تفهّم كلامه تعالى على نحو ما يتفهّم به كلام غيره، حتى و لو صادف الواقع؛ إذ على فرض الإصابة يكون الخطأ في الطريق.

قال: و يؤيد هذا المعنى، ما كان عليه الأمر في زمن النبي صلى الله عليه و آله و سلم فإن القرآن لم يكن مؤلفا بعد، و لم يكن منه إلّا سور أو آيات متفرقة في أيدي الناس، فكان في تفسير كل قطعة قطعة منه خطر الوقوع في خلاف المراد.

قال: و المحصّل أن المنهى عنه إنما هو الاستقلال في تفسير القرآن، و اعتماد المفسّر على نفسه من غير رجوع إلى غيره، و لانزمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه.

قال: و هذا الغير - لا محالة - إما هو الكتاب أو السنّة. و كونه هي السنّة، ينافي كون القرآن هو المرجع في تبيان كل شيء، و كذا السنّة الأمر بالرجوع إلى القرآن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٣

عند التباس الأمور، و عرض الحديث عليه لتمييز صحيحه عن سقيم، فلم يبق للمراجعة و الاستمداد في تفسير القرآن سوى نفس القرآن. فإن القرآن يفسر بعضه بعضا، و ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض «١».

و هذا الذي ذكره سيدنا العلامة - هنا - تحقيق عريق بشأن طريقه فهم معاني كلامه تعالى.

قال - في مقدمة التفسير -:

إنّ الاتكاء و الاعتماد على الأئمة و العادة في فهم معاني الآيات، يشوّش على الفاهم سبيله إلى إدراك مقاصد القرآن؛ إذ كلامه تعالى ناشئ من ذاته المقدسة، التي لا مثل لها و لا نظير ليس كمثله شيء، «٢» لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «٣»، سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. «٤»

و هذا هو الذي دعا بالنابهيين أن لا يقتصروا على الفهم المتعارف لمعاني الآيات الكريمة، و أجازوا لأنفسهم الاعتماد - لإدراك حقائق القرآن - على البحث و النظر و الاجتهاد.

و ذلك على وجهين: إما بحثا علميا أو فلسفيا أو غيرهما، للوصول إلى مراده تعالى في آية من الآيات؛ و ذلك بعرض الآية على ما توصل إليه العلم أو الفلسفة من نظريات أو فرضيات مقطوع بها، و ربما المظنون منها ظلنا راجحا، و هذه (١) تفسير الميزان، ج ٣، ص

٧٧ - ٧٩، و راجع: ج ١، ص ١٠ أيضا.

(٢) الشورى / ١١.

(٣) الأنعام / ١٠٣.

(٤) الصافات / ١٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٤



طريقه يرفضها ملامح القرآن الكريم.

و إما بمراجعة ذات القرآن، و استيضاح فحوى آية من نظيرتها، و بالتدبر في نفس القرآن الكريم؛

فإن القرآن ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض، كما قال علي عليه السلام.

قال تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ «١»، و حاشا القرآن أن يكون تبياناً لكل شيء و لا يكون تبياناً لنفسه، و قد نزل القرآن ليكون هدى للناس و نورا مبينا و بينة و فرقانا، فكيف لا يكون هاديا للناس إلى معالمه و مرشدا لهم على دلائله؟! و قد قال تعالى: وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا «٢»، و أىّ جهاد أعظم من بذل الجهد في سبيل فهم كتاب الله، و استنباط معانيه و استخراج لآله. نعم، القرآن هو أهدى سبيل إلى نفسه، لا شيء أهدى منه إليه.

و هذه هي الطريقة التي سلكها النبي و عترته الأطهار- صلوات الله عليهم- في تفسير القرآن و الكشف عن حقائقه- على ما وصل إلينا من دلائلهم في التفسير- و لا يوجد مورد واحد استعانوا لفهم آية، على حجة نظرية عقلية أو فرضية علمية، و نحو ذلك «٣». و توضيحا لما أفاده سيدنا العلامة في هذا المجال، نعرض ما يلي:

كان للبيان القرآني أسلوبه الخاص في التعبير و الأداء، ممتازا على سائر الأساليب، و مختلفا عن سائر البيان؛ مما يبدو طبيعيا، شأن كل صاحب فنّ جديد (١) النحل / ٨٩.

(٢) العنكبوت / ٦٩.

(٣) الميزان، ج ١، ص ٩-١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٥

كان قد أتى بشيء جديد.

و من ثمّ كان للقرآن لغته الخاصة به، و لسانه الذي يتكلم به، و لهجته التي يلهج بها، ممتازة عن سائر اللهجات.

نعم، إن للقرآن مصطلحات في تعابيره عن مقاصده و مرامييه، كانت تخصّه، و لا تعرف مصطلحاته إلّا من قبل نفسه، شأن كل صاحب اصطلاح.

و من المعلوم أنّ الوقوف على مصطلحات أيّ فنّ من الفنون، لا يمكن بالرجوع إلى اللغة و قواعدها، و لا إلى الأصول المقررة لفهم الكلام في الأعراف؛ لأنها أعراف عاقية، و هذا عرف خاص. فمن رام الوقوف على مصطلحات علم النحو- مثلا- فلا بد من الرجوع إلى النحاة أنفسهم لا غيرهم، و هكذا سائر العلوم و الفنون من ذوى المصطلحات.

و من ثمّ فإن القرآن هو الذي يفسر بعضه بعضا، و ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض.

نعم يختص ذلك بالتعابير ذوات الاصطلاح، و ليس في مطلق تعابيره التي جاءت وفق العرف العام.

و بعبارة أخرى: ليس كل تعابير القرآن مما لا يفهم إلّا من قبله، إنّما تلك التعابير التي جاءت وفق مصطلحه الخاص، و كانت تحمل معاني غير معاني سائر الكلام. أمّا التي جاءت وفق اللغة أو العرف العام، فطريق فهمها هي اللغة و الأصول المقررة عرفيا لفهم الكلام.

و بعبارة ثالثة: الحاجة إلى عرفان مصطلحات القرآن، إنّما تكون في موارد التفسير؛ حيث الغموض و الإبهام في ظاهر التعبير، دون ترجمة الألفاظ و الكلمات، و إدراك مفاهيم الكلام وفق الأعراف العامة، مما يعود إلى البحث عن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٦

حجّية الظواهر، فإنّها حجّة بلا كلام، سواء في القرآن أم في غيره، سواء بسواء.

و هذا غير المبحوث عنه هنا، حيث خفاء المراد وراء ستار اللفظ، المعبر عنه بالبطن المختفى خلف الظهر. فالظهور لعامة الناس حيث متفاهمهم، و يكون حجّة لهم و مستندا يستندون إليه في التكليف، أمّا البطن فللخاصة ممن يتعمقون في خفايا الأسرار، و يستخرجون الخبايا من وراء الستار.

و من ثم كان المطلوب من الأمة (العلماء و الأئمة) التفكير في الآيات و التدبر فيها، و تعقلها و معرفتها حتى المعرفة. قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «١». قال: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «٢». و قال: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ «٣».

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «له ظهر و بطن، فظاهره حكمه و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق، لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائب، فليجل جال بصره، و ليبلغ الصفة نظره، فإن التفكير حياة قلب البصير» «٤». قال العلامة الفيلسوف ابن رشد الأندلسي: «و قد سلك الشرع في تعاليمه و برامجه الناجحة مسلكا ينتفع به الجمهور، و يخضع له العلماء. و من ثم جاء بتعبير يفهمها كل من الصنفين: الجمهور يأخذون بظاهر المثال، فيتصورون عن (١) النحل / ٤٤. (٢) محمد / ٢٤.

(٣) ص / ٢٩.

(٤) مقدمة تفسير الميزان، ج ١، ص ١٠. و الكافي الشريف، ج ٢، ص ٥٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٧

الممثل له ما يشاكل الممثل به، و يقتنعون بذلك. و العلماء يعرفون الحقيقة التي جاءت في طي المثال «١». و سنبحث عن منهج القرآن و أساليب بيانه في فصل قادم، إن شاء الله. و إليك بعض الأمثلة، شاهدا لما ذكره سيدنا العلامة:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ. وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ «٢».

هذا خطاب عام يشمل كافة الذين آمنوا، يدعوهم إلى الإيمان الصادق و الاستجابة- عقيدة و عملا- لدعوة الإسلام، و الاستسلام العام للشريعة الغراء؛ إذ في ذلك حياة القلب، و الطمأنينة في العيش، و إدراك لذائد نعمة الوجود. أما الحائد عن طريقة الدين و المخالف لمنهج الشريعة، فإنه في قلق من الحياة، يعيش مضطربا قد سلبت راحته كوارث الدهر، يخشى مفاجأتها في كل لحظة و أوان.

و أما المتكل على الله، فهو آمن في الحياة، يداوم مسيرته، فارغ البال في كنفه تعالى و مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ «٣»، الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ. أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «٤».

هذا تفسير الدعوة إلى ما فيه الحياة، و لعله ظاهر لا غبار عليه. (١) راجع: رسالته (الكشف عن مناهج الأدلة)، ص ٩٧. (٢) الأنفال / ٢٤.

(٣) الطلاق / ٣.

(٤) الرعد / ٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٨

و أما قوله تعالى - بعد ذلك -: وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ «١» فيعلوه غبار إبهام؛ إذ يبدو أنه تهديد بأولئك الحائدين عن جادة الحق، أن سوف يجازون بحيلولة بينهم و بين أنفسهم.

و السؤال: كيف هذه الحيلولة، و ما وجه كونها عقوبة متقابلة مع نبد أحكام الشريعة؟

و للإجابة على هذا السؤال وقع اختلاف عنيف بين أهل الجبر و أصحاب القول بالاختيار، كما تناوشها كل من الأشاعرة و أهل

الاعتزال، كل يجز النار إلى قرصه، كما اختلف أرباب التفسير على وجوه أوردناها في الجزء الثالث من التمهيد، عند الكلام عن المتشابهات، ضمن آيات الهداية و الضلال برقم (٨٠) و الذي رجحناه في تأويل الآيه، هو معنى غير ما ذكره جلّ المفسرين، استفدناه من مواضع من القرآن نفسه: إن هذه الحيلولة كناية عن إماتة القلب، فلا يعي شيئاً بعد فقد الحياة.

لا تعجبن الجهول حلتته فذاك ميت و ثوبه الكفن

الإسلام دعوة إلى الحياة، و في رفضها رفض للحياة، تلك الحياة المنبعثة عن إدراكات نبيلة، و الملهمة للإنسان شعوراً فياضاً يسعد به في الحياة، و يحظى بكرامته الإنسانية العليا.

أما إذا عاكس فطرته و أطاح بحظه، فإنه سوف يشقى في الحياة، و لم يزل يسعى في ظلمات غيه و جهله (١) الأنفال / ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٩

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ (١).

فالإنسان التائه في ظلمات غيه قد فقد شعوره، و افتقد كرامته العليا في الحياة، فهذا قد نسي نفسه و ذهل عن كونه إنساناً، يحسب من نفسه موجوداً ذا حياة بهيمية سفلى، إنما يسعى وراء نهمه و شبع بطنه، لا هدف له في الحياة سواه.

و هذا التسافل في الحياة كانت نتيجة تساهله بشأن نفسه و إهمال جانب كرامته، و هذا هو معنى قوله تعالى: وَ نُقِلَبْ أَفْتَدَتْهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ (٢)، قال تعالى: وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ (٣).

فإن نسيان النفس كناية عن الابتعاد عن معالم الإنسانية و الشرف التليد و لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ (٤).

و قال تعالى: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا (٥).

اختلف الفقهاء في موضع القطع من يد السارق؛ حيث الإبهام في ذات اليد، أنها من الكتف أم من المرفق أم الساعد أم الكرسوع (طرف الزند) أم الأشاجع (أصول الأصابع)؟

روى أبو النضر العياشي في تفسيره بالإسناد إلى زرقان صاحب ابن أبي داود، قاضي القضاة ببغداد، قال: أتى بسارق إلى المعتصم و قد أقر بالسرقة، فسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ، فجمع الفقهاء يستفتيهم في إقامة حدّ السارق عليه، (١) البقرة / ٢٥٧.

(٢) الأنعام / ١١٠.

(٣) الحشر / ١٩.

(٤) الأعراف / ١٧٦.

(٥) المائدة / ٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٠

و كان ممن أحضر محمد بن عليّ الجواد عليه السلام، فسألهم عن موضع القطع.

فقال ابن أبي داود: من الكرسوع، استناداً إلى آية التيمم؛ حيث المراد من اليد في ضربتيه هو الكف، و وافقه قوم. و قال آخرون: من المرفق، استناداً إلى آية الوضوء.

فالتفت الخليفة إلى الإمام الجواد يستعلم رأيه، فاستعفاه الإمام، فأبى و أقسم عليه أن يخبره برأيه.

فقال عليه السلام: أما إذا أقسمت عليّ بالله، إنّي أقول: إنهم أخطئوا فيه السنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ.

قال المعتصم: و ما الحجّة في ذلك؟

قال الإمام: قول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: السجود على سبعة أعضاء: الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها، و قد قال الله تعالى: وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ يَعْنِي بِهِ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ السَّبْعَةُ الَّتِي يَسْجُدُ

عليها فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا «١»، و ما كان لله لم يقطع.

فأعجب المعتصم هذا الاستنتاج البديع، و أمر بالقطع من الأشاجع. «٢» انظر إلى هذه الالتفاتة الرقيقة، يجعل من آية المساجد، بتأويل ظاهرها (هي المعابد) إلى باطنها (الشمول لما يسجد به، أى يتحقق به السجود)، منضمّة إلى كلام الرسول في بيان مواضع السجدة، يجعل من ذلك كله دليلاً على تفسير آية القطع و تعيين موضعه، بهذا النمط البديع.

و قد استظهر عليه السلام من الآية أنّ راحة الكف، و هي من مواضع السجود، كانت (١) الجن / ١٨.

(٢) تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨١

لله، فلا تشملها عقوبة الحدّ التي هي جزاء سيئته، لا تحلّ فيما لا يعود إلى مرتكبتها، فإنّ راحة الكف موضع السجود لله. و للأستاذ الذهبي - هنا - محاولة غريبة يجعل من التفسير بالرأى قسمين:

قسماً جائزاً و ممدوحاً، و آخر مذموماً غير جائز. و حاول تأويل حديث المنع إلى القسم المذموم.

قال: و المراد بالرأى هنا الاجتهاد، و عليه فالتفسير بالرأى عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسّر لكلام العرب و مناحيهم في القول، و معرفته للألفاظ العربية و وجوه دلالتها، و استعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي، و وقوفه على أسباب النزول، و معرفته بالناسخ و المنسوخ من آيات القرآن، و غير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر.

قال: و اختلف العلماء قديماً في جواز تفسير القرآن بالرأى، فقوم تشدّدوا في ذلك و لم يجيزوه، و قوم كان موقفهم على العكس فلم يروا بأساً من أن يفسّروا القرآن باجتهادهم، و الفريقان على طرفي نقيض فيما يبدو، و كل يعزّز رأيه بالأدلة و البراهين.

ثم جعل يسرد أدلته لكل من الفريقين، و يجيب عليها واحدة واحدة بإسهاب، و أخيراً قال: و لكن لو رجعنا إلى أدلّة الفريقين و حللنا أدلتهم تحليلاً دقيقاً؛ لظهر لنا أن الخلاف لفظي، و أن الرأى قسمان:

قسم جار على موافقة كلام العرب و مناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب و السنّة، و مراعاة سائر شروط التفسير، و هذا القسم جائز لا شكّ فيه.

و قسم غير جار على قوانين العربيّة، و لا موافقة للأدلة الشرعيّة، و لا مستوف

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٢

لشرائط التفسير، و هذا هو مورد النهي و محطّ الذمّ. «١»

قلت: أما توزّع بعض السلف عن القول في القرآن، فلعدم ثقته بذات نفسه و ضآلة معرفته بمعاني كلام الله. أما العلماء العارفون بمرامى الشريعة، فكانوا يتصدّون التفسير عن جرأة علمية و إحاطة شاملة لجوانب معاني القرآن.

و أما التفسير بالرأى فأمر وقع المنع منه على إطلاقه، و ليس على قسم منه، كما زعمه هذا الاستاذ.

و الذي أوقعه في هذا الوهم، أنه حسب التفسير بالرأى هنا بمعنى الاجتهاد، في مقابلة التفسير بالمأثور، و لا شك من جواز الاجتهاد في استنباط معاني الآيات الكريمة إن وقع عن طريقه المألوف.

### حجبة ظواهر الكتاب

قد يزعم البعض أن هناك من يرى عدم جواز الأخذ بظواهر كلام الله تعالى؛ حيث ظاهره أنيق و باطنه عميق، لا يسبر غوره و لا يبلغ أقصاه، و لا سيّما بعد كثرة الصوارف عن هذه الظواهر، من تخصيص و تقييد و نسخ و تأويل.

غير أنّ هذا يتنافى و الأمر بالتدبّر في آياته، و الحثّ على التعمّق فيها و استخراج لآلئها.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «٢».

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ «٣». (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٥٥ و ص ٢٦٤.

(٢) محمد / ٢٤.

(٣) الدخان / ٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٣

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ «١».

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «٢».

قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ «٣».

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ «٤».

و قد رَعِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْقُرْآنِ عِنْدَ مَدْلَهَمَاتِ الْأُمُورِ وَ عَرَضَ مُشْتَبِهَاتِ الْأَحَادِيثِ عَلَيْهِ، وَ هَكَذَا

نَدَبَ الْأُمَّةَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى فَهْمِ الْأَحْكَامِ مِنْ نصوصِ الْكِتَابِ، وَ الْوُقُوفِ عَلَى رَمُوزِهِ وَ دِقَائِقِهِ فِي التَّعْبِيرِ وَ الْبَيَانِ.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «فَإِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ وَ مَاحِلٌ

مُصَدِّقٌ. «٥» وَ مِنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَ مِنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ. وَ هُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ، وَ هُوَ كِتَابٌ فِيهِ

تَفْصِيلٌ وَ بَيَانٌ وَ تَحْصِيلٌ، وَ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ. «٦» وَ لَهُ ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ وَ بَاطِنُهُ عِلْمٌ «٧»، ظَاهِرُهُ أَنْيَقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ. لَهُ

نَجُومٌ وَ عَلَى نَجُومِهِ نَجُومٌ، «٨»

(١) القمر / ١٧.

(٢) الزخرف / ٣.

(٣) الزمر / ٢٨.

(٤) ص / ٢٩.

(٥) يعنى: إن شفع لأحد قبلت شفاعته، و إن سعى بأحد صدق.

(٦) أى جاء لبيان الحق و فصله عن الباطل، و ليس مجرد تفنن فى الكلام و الأدب الرفيع.

(٧) فإن ظواهر القرآن هى بيان الأحكام التكليفية و التشريعات الظاهرة. أما باطنه فملؤه علم و حكمة و حقائق راهنة.

(٨) أى دلائل لائحة، بعضها على بعض شاهدة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٤

لا- تحصى عجائبه و لا تبلى غرائب. «١» فيه مصابيح الهدى و منار الحكمه، و دليل على المعرفة، لمن عرف الصفة. «٢» فليجل جال

بصره، و ليبلغ الصفة نظره «٣»، ينج من عطب، و يتخلص من نشب. «٤» فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشى المستنير فى الظلمات

بالنور. فعليكم بحسن التخلص و قلّة التربص. «٥» و بهذا المعنى

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدجى. فليجل جال بصره، و يفتح للضياء نظره.

فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنور. «٦» و التفكير المندوب إليه هنا هو التعمق فى دلائل القرآن و

دقائق تعبيره، قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٧».

فالتفكير فيه- بعد التبيين و البيان- هو المندوب إليه، و هى الغاية القصوى من (١) لأنه أتى بحدِيث لا يبلى على مرّ الدهور.

(٢) أى دلائله على الهداية واضحة لمن رام الاهتداء به، فمن عرف هذا الوصف للقرآن أمكنه الاستفادة منه، قال العلامة المجلسي:

صفه التعرّف و الاستنباط (مرآة العقول، ج ١٢، ص ٤٧٩)

(٣) أى و ليلتفت بنظره إلى هذا الوصف للقرآن، و إنه هداية عامة لكافة الناس، دلائله واضحة و معالمه لائحة، لمن استهدى أدلاء.

(٤) النشب: ما لا مخلص منه.

(٥) الكافي الشريف، ج ٢ (كتاب فضل القرآن رقم ٢)، ص ٥٩٨-٥٩٩. والمراد بحسن التخلص:

الصدق في الاخلاص .. و قلة التربص: كناية عن سرعة الإقدام و أن لا يكف بنفسه عن السعي في الخير.

(٦) الكافي الشريف، ج ٢، ص ٦٠٠، رقم ٥.

(٧) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٥

نزول القرآن.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه، و لكنهم لا يبصرون» (١).

و

قال: «إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه» (٢).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا لا خير في قراءة لا تدبر فيها» (٣).

و

قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «ما أنعم الله على عبد، بعد الإيمان بالله، أفضل من العلم بكتاب الله و المعرفة بتأويله» (٤).

و لما نزلت الآية إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ. وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٥)

قال صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «ويل لمن لا كهها بين لحييه ثم لم يتدبرها». (٦) و بعد، فنقول: ويل لمن نظر في هذه الآيات الكريمة و الأحاديث المأثورة عن أهل بيت الوحي و الرسالة، و لا كهها بين لحييه ثم لم يتدبرها يامعان، فأخذها بالهزل و لم يعتبرها الحكم

الفصل. (١) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٠٧.

(٢) المحاسن البرقى، ص ٢٦٧.

(٣) معاني الأخبار للصدوق، ص ٦٧.

(٤) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٨٣.

(٥) آل عمران / ١٩١-١٩٢.

(٦) مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٥٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٦

و أيضا، فإن أخبار العرض على كتاب الله، خير شاهد على إمكان فهم معانيه و الوقوف على مبانيه.

قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «إن على كلِّ حقِّ حقيقة، و على كلِّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه».

و خطب بمنى، و كان من خطبته: «أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، و ما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله».

و

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «كل شيء مردود إلى الكتاب و السنّة، و كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف».

و

قال: «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله، أو من قول رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و إلا فالذي جاءكم

به أولى به» (١).

و في كثير من إرجاعات الأئمة عليهم السلام أصحابهم إلى القرآن، لفهم المسائل و استنباط الأحكام منه، لدليل ظاهر على حجية ظواهر القرآن، و ضرورة الرجوع إليه.

قال زرارة بن أعين: قلت لأبي جعفر الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: ألا- تخبرني من أين علمت و قلت: إن المسح ببعض الرأس و بعض الرجلين؟

فضحك، و قال: يا زرارة، قاله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و نزل به الكتاب من الله؛ لأن الله عزّ و جلّ قال: فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ فَعرفنا أن الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثم قال: وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه، فعرفنا أنه (١) الأحاديث مستخرجة من الكافي الشريف، باب الأخذ بالسنة و شواهد الكتاب، ج ١، ص ٦٩، رقم ١ و ٥ و ٣ و ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٧

ينبغي لهما أن يغسلا إلى المرفقين، ثم فصل بين الكلام فقال: وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ فَعرفنا حين قال: «بِرُؤُوسِكُمْ» أن المسح ببعض الرأس، لمكان «الباء».

ثم وصل الرجلين بالرأس، كما وصل اليدين بالوجه، فقال: وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ «١» فَعرفنا حين وصلهما بالرأس، أن المسح على بعضهما.

ثم قال: فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ. فأثبت بعض الغسل مسحا «٢».

فقد نبه الإمام على أن زيادة «الباء» في مدخول فعل متعدّد بنفسه لا بدّ فيها من نكته لافتة، و ليست سوى إرادة الاكتفاء بمجرد مماشية الماسح مع الممسوح؛ لأن الباء تدلّ على الربط و الإلصاق، و التكليف يتوجه إلى القيد الملحوظ في الكلام.

فإذا وضع الماسح يده على رأسه و أمرها عليه، فبأول الإمرار يحصل التكليف فيسقط، و لا دليل على الإدامة، فالاستيعاب ليس شرطاً في المسح.

هكذا نبه الإمام على إمكان استفادة مثل هذا الحكم التكليفي الشرعي من الآية، يامعان النظر في قيود الكلام.

و

عن عبد الأعلى مولى آل سام، قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري، فجعلت على إصبعي مرارة، فكيف أصنع بالوضوء؟ (١) هذا بناء على قراءة «و أرجلكم» بالخفض، كما هي أيضا قراءة مشهورة، غير أن القراءة بالنصب من العطف على المحلّ كما رجّحناه في مجاله المناسب، غير أن خصوصية البعضية مفقودة فيها، حسبما نبهنا عليه.

(٢) من لا يحضره الفقيه- أبو جعفر الصدوق، ج ١، ص ٥٦-٥٧، باب ٢١، التيمم، رقم ١/ ٢١٢.

و الكافي الشريف، ج ٣، ص ٣٠. و الوسائل، ج ١، ص ٢٩١ (إسلامية)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٨

قال: يعرف هذا و أشباهه من كتاب الله عزّ و جلّ، قال الله تعالى: مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ «١» امسح عليه «٢».

يعني: أن آية نفى الحرج تدلّ على رفع التكليف؛ حيث وجود ضرر أو حرج على المكلف، فيجب أن يفهم ذلك كلّ مسلم من القرآن ذاته.

و كذلك استدلالات الأئمة عليهم السلام في كثير من الموارد، بآيات قرآنية، لإثبات مطلوبهم لدى المخاطبين، ففي ذلك عرض مباشر لشمول فهم القرآن للعموم.

و قد أتى سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - حفظه الله - بأمثلة على ذلك كثيرة، فليراجع «٣».

## إشارة

نعم نسب إلى جماعة الأخباريين - في عصر متأخر - ذهابهم إلى رفض حجية الكتاب، فلا يصح الاستناد إليه ولا استنباط الأحكام منه، وهي نسبة غير صحيحة على إطلاقها؛ إذ لم يذهب إلى هذا المذهب الغريب أحد من الفقهاء، لا في القديم ولا في الحديث، ولا لمسنا في شيء من استناداتهم الفقهية ما يشيء بذلك، بل الأمر بالعكس.

ولعل فيما فرط من بعض المتطرفين منهم بصدد المغالاة بشأن أهل البيت - و موضعهم القريب من القرآن المجيد - بعض تعابير أوجبت هذا الوهم، ومع ذلك فإن له تأويلاً، وليس على ظاهره المريب. (١) الحج / ٧٨.

(٢) الوسائل، ج ١، ص ٣٢٧، رقم ٥.

(٣) البيان، لسيدنا الإمام الخوئي - حفظه الله -، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٩

قال المولى محمد أمين الاسترابادى (ت ١٠٣٣):

«الصواب عندى مذهب قدمائنا الأخباريين و طريقتهم. أما مذهبهم فهو أن كل ما يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، عليه دلالة قطعية من قبله تعالى حتى أرش الخدش. و أن كثيرا مما جاء به النبي صلى الله عليه وآله و سلم من الأحكام، و مما يتعلق بكتاب الله و سنة نبيه، من نسخ و تقييد و تخصيص و تأويل، مخزون عند العترة الطاهرة، و أن القرآن فى الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية» (١)، و كذلك كثير من السنن النبوية. و أنه لا سبيل لنا فى ما لا نعلمه من الأحكام النظرية «٢» الشرعية، أصلية كانت أو فرعية، إلا السماع من الصادقين عليهم السلام و أنه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر الكتاب و لا ظواهر السنن النبوية، ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر عليهم السلام، بل يجب التوقف و الاحتياط فيهما» (٣).

و قال بصدد بيان انحصار مدرک ما ليس من ضروريات الدين من المسائل الشرعية، أصلية كانت أو فرعية، فى السماع عن الصادقين عليهم السلام.

«الدليل الثانى: حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين؛ إذ معناه: أنه يجب التمسك بكلامهم عليهم السلام ليتحقق التمسك بالأمرين. و السر فيه أنه لا - سبيل إلى فهم مراد الله «٤» إلما من جهتهم؛ لأنهم عارفون بناسخه و منسوخه، و الباقي على إطلاقه، (١) أى على وجه الإجمال و الإبهام من غير بيان التفصيل و ذكر القيود و الشرائط، فإنها خافية على أذهان العامة غير المطلعين على الشرح و التبيين الذى جاء فى كلام الرسول صلى الله عليه وآله و سلم.

(٢) مقصوده من الأحكام النظرية، المسائل غير الضرورية التى هى بحاجة إلى اجتهاد و إعمال نظر.

(٣) الفوائد المدنية، ص ٤٧.

(٤) أى المراد الجدى - الذى لا يعرف إلأ بعد الفحص و اليأس عن الصوارف من تخصيص أو تقييد أو

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٠

و المؤول و غير ذلك، دون غيرهم، خصهم الله و النبي بذلك» (١).

قلت: ليس فى كلامه - ولا فى كلام من تبعه من الأخباريين المتأخرين - ما يشي بترك كتاب الله و إبعاده عن مجال الفقه و الاستنباط. نعم سوى عدم إفراده فى الاستناد، و لزوم مقارنته بالمأثور من صحاح الأحاديث الصادرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و لا شك أن فى القرآن أصول التشريع و كلياته، و إيكال التفاصيل إلى بيان النبي صلى الله عليه وآله و سلم الذى أودع الكثير من بيانه بشأن التشريع إلى خلفائه المرضيين، فعندهم ودائع النبوة، و هم ورثة الكتاب و حملته إلى الخلائق.

فلا يجوز إفراد الكتاب عن العترة، و لا يفترقان حتى يردا على النبي صلى الله عليه وآله و سلم عند الحوض.



و هذا هو مراد الاسترأبادى «لا يجوز استنباط الأحكام من الكتاب و السنّة النبوية ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر»، أى بعد الفحص عن الدلائل فى كلامهم بشأنهما، إمّا العثور على بيان منهم، أو اليأس من التخصيص أو التقييد، فعند ذلك يجوز. و للمولى الكبير محمد بن الحسن الحرّ العاملى (١٠٣٣-١١٠٤) بيان مسهب بشأن مواضع آل البيت من القرآن الكريم، و أن لتفسيرهم بالذات مدخلة تامّة فى قرينه مجاز، دون المراد الاستعمالى المفهوم من ظاهر اللفظ لمجرد العلم بالوضع. و من الواضح أن التسرع فى الأخذ بظاهر الاستعمال، فى نصوص الشريعة، غير جائز، إلّا بعد التريث و الفحص التام. (١) الفوائد المدنية، ص ١٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩١

فهم معانى الآيات، و لا سيما آيات الأحكام.

و قد توسّع فى الكلام حول ذلك فى فوائده الطوسية (فائدة ٤٨)، كما عقد لذلك أبوابا فى كتاب القضاء من كتابه وسائل الشيعة، ذكر فيها ما يقرب من مائتين و عشرين حديثا، قال بشأنها:

«أوردنا منها ما تجاوز حدّ التواتر، و هى لا تقصر سندا و لا دلالة عن النصوص على كل واحد من الأئمة، و قد تضمّنت أنه لا يعلم المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و العام و الخاص، و غير ذلك إلّا الأئمة، و أنه يجب الرجوع إليهم فى ذلك، و أنه لا يعلم تفسيره و لا تأويله، و لا ظاهره و لا باطنه غيرهم، و لا يعلم القرآن كما أنزل غيرهم، و أن الناس غير مشتركين فيه كاشتراكهم فى غيره، و أن الله إنما أراد بتعميته (أى الإجمال و الإبهام فى لفظه) أن يرجع الناس فى تفسيره إلى الإمام، و أنه كتاب الله الصامت، و الإمام كتاب الله الناطق. و لا يكون حجة إلّا بقيم (أى من يقوم بتبيينه و تفسيره) و هو الإمام، و أنه ما ورث علمه إلّا الأئمة، و لا يعرف ألفاظه و معانيه غيرهم، و أنه لا احتمال له للجوه الكثيرة، يحتج به كل محقّ و مبطل، و أنه إنما يعرف القرآن من خوطب به» (١).

و ظاهر كلامه هو ظاهر عنوان الباب الذى عقده أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، فى كتاب الحجّة من الكافي الشريف، لبيان: «أنه لم يجمع القرآن كله و لم يحط به علما، ظاهره و باطنه، سوى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، و أن علم المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و العام و الخاص علما كاملا، مودع (١) الفوائد الطوسية، ص ١٩١-١٩٢. و راجع: صفحات: ١٦٣-١٩٦. و الوسائل، ج ١٨، باب ٤ و ٥ و ٦ و ٧ من كتاب القضاء أبواب صفات القاضي. صفحات: ٩-٤١ (ط إسلاميه)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٢

عندهم، و رثوه من جدّهم الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم» (١).

و هذا شىء لا ينكر، و لا يجوز الأخذ بظاهر الكتاب، ما لم يرجع إلى ما ورد عن الرسول و خلفائه العلماء، فإن فى كلامهم التبيين و التفصيل لما جاء فى القرآن من الإجمال و الإبهام، فى التكليف و التشريع.

و هكذا فهم معاصره السيد نعمه الله الجزائرى (١٠٥٠-١١١٢) من ظاهر الروايات، و بذلك جمع بين متعارضاتها.

قال: «ذهب المجتهدون- رضوان الله عليهم- إلى جواز أخذ الأحكام من القرآن، و بالفعل قد أخذوا الأحكام منه، و طرحوا ما ظاهره المنافاة أو أولوه، و من ثم دونوا كتبنا بشأن «آيات الأحكام» و استنبطوا منها ما هداهم إليه أمارات الاستنباط. و أما الأخباريون- قدّس الله ضرائحهم- فذهبوا إلى أن القرآن كله متشابه بالنسبة إلينا، و أنه لا يجوز لنا أخذ حكم منه، إلّا من دلالة الأخبار على بيانه.

قال: حتى أتى كنت حاضرا فى المسجد الجامع من شيراز، و كان أستاذى المجتهد الشيخ جعفر البحرانى، و شيخى المحدث صاحب جوامع الكلم- قدّس الله روحيهما- يتناظران فى هذه المسألة. فانجزّ الكلام بينهما حتى قال له الفاضل المجتهد: ما تقول فى معنى قلّ هو الله أحيّد فهل يحتاج فى فهم معناها إلى الحديث؟ فقال: نعم، لا نعرف معنى «الأحيديّة» و لا الفرق بين الأحد و الواحد و نحو ذلك.

ثم عقبه بكلام الشيخ في التبيان - على ما سنذكر - و اردفه بتحقيق عن المولى (١) الكافي الشريف (الأصول)، ج ١، ص ٢٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٣

كمال الدين ميثم البحراني، بشأن حديث التفسير بالرأى. و أخيرا قال: و كلام الشيخ أقرب من هذا، بالنظر إلى تتبع الأخبار، و الجمع بين متعارضات الأحاديث.

و حاصل هذه المقالة: أن أخذ الأحكام من نص القرآن أو ظاهره أو فحواه و نحو ذلك، جائز كما فعله المجتهدون.

قال: يرشد إلى ذلك ما رواه أمين الإسلام الطبرسي - في كتاب الاحتجاج - من جملة حديث طويل

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: «إنَّ الله قَسَمَ كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسما منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسما لا يعرفه إلَّا من صفا ذهنه و لطف حسه و صحَّ تمييزه و شرح صدره للإسلام، و قسما لا يعرفه إلَّا الله و أمناؤه و الراسخون في العلم» (١). و أصرح من الجميع كلام الفقيه البارع الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧-١١٨٦) في موسوعته الفقهية الكبرى (الحدائق الناضرة) ذكر أولًا الأخبار من الطرفين، ثم عقبها بما حقه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) في المقام، و جعله (القول الفصل و المذهب الجزل) الذي تلقاه العلماء بالقبول، قال:

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي - بعد نقل الروايات المتعارضة و الدلائل المتناقضة - ما ملخصه: »

### أن معاني القرآن على أربعة أقسام:

#### أحدها:

ما اختصَّ الله تعالى بعلمه فلا يجوز لأحد التكلف فيه. و لعل منه الحروف المقطعة في أوائل السور.

#### ثانيها:

ما يكون ظاهره متطابقا مع معناه، معروفا من اللغة و العرف، لا غبار عليه. فهذا حجة على الجميع، لا يعذر أحد الجهل به، مثل قوله تعالى: (١) رسالة (منبع الحياة)، ص ٤٨-٥٢ م ٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٤

و لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ .. «١».

#### ثالثها:

ما أجمل في تعبيره و أوكل التفصيل فيه إلى بيان الرسول، كالأوامر بالصلاة و الزكاة و الحج و الصيام، فتكلف القول فيه - من دون مراجعة دلائل الشرع - محذور منه.

#### رابعها:

ما جاء مشتركا محتملا لوجوه فلا يجوز البتّ في تبين مراده تعالى بالذات، إلّا بدليل قاطع من نصّ معصوم أو حديث متواتر» (٢).  
و بذلك قد جمع الشيخ بين روايات المنع و دلائل الترخيص، باختلاف الموارد.

قال المحدث البحراني - تعقيبا على كلام الشيخ-: «و عليه تجتمع الأخبار على وجه واضح المنار» (٣).

قلت: فهذا شيخ المحدثين و رائد الأخباريين في العصور المتأخرة نراه قد وافق القول مع شيخ الطائفة و رأس الأصوليين بشأن التفسير،  
و الخوض في فهم معاني كلام الله العزيز الحميد.

فيا ترى، ما الذي يدعو إلى فرض الافتراق في هذا المجال العصيب!! و الحمد لله على ما أنعم علينا من لمس نعمته الوفاق و ذوق  
حلاوة الاتفاق. (١) الأنعام/ ١٥١.

(٢) الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٣٢. و راجع: التبيان، ج ١، ص ٥-٦. و رسالة (منبع الحياة) للسيد نعمه الله الجزائري، ص ٤٨-٥١ (ط  
بيروت)

(٣) الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٥

### دلائل مزعومة

لم نجد في كلام من يعتدّ به من المنتسبين إلى الأخبارية احتجاجا يرفض حجّية الكتاب، سوى ما جاء في كلام غيرهم من حجج  
مفروضة، و لعله تطوّع لهم في تدليل أو حدس وهموه بشأنهم، و إليك أهم ما ذكروه:

١- اختصاص فهم معاني القرآن بمن خوطب به.

٢- احتواؤه على مطالب غامضة، لا تصل إليها أفكار ذوي الأنظار.

٣- النهي عن الأخذ بالمتشابه، الشامل للظواهر أيضا؛ لوجود احتمال الخلاف.

٤- النهي عن التفسير بالرأى، الشامل لحمل اللفظ على ظاهره.

٥- العلم إجمالا بطروء التخصيص و التقييد و المجاز، في كثير من ظواهر القرآن.

٦- احتمال التحريف و لو بتغيير حرف عن موضعه.

قالوا: إنها حجج احتج بها نافو حجّية ظواهر القرآن (١).

لكن المراجع يجد كلمات من توّهنا عنهم خلوا عن مثل هذا الترصيف الغريب، و لا سيّما مسألة التحريف لا تجدها في كلامهم البتّة،  
و إنما أوردتها صاحب الكفاية تبعا للشيخ في الرسائل، احتمالا في المقام، من غير نسبتها إلى الأخبارية أو غيرهم (٢). (١) راجع: كفاية

الأصول للمحقق الخراساني (آل البيت) ص ٢٨١-٢٨٢. و البيان للإمام الخوئي، ص ٢٩١.

(٢) راجع: رسائل الشيخ (ط رحمه الله) ص ٤٠. و الكفاية، ص ٢٨٤-٢٨٥. و قد حققنا عن مسألة التحريف في رسالة (صيانة القرآن)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٦

و العمدة: أن نظر القوم في مسألة حجّية الكتاب، إنما يعود إلى جانب آيات الأحكام التي اكتنفها لفيق- في حجم ضخم- من  
الأحاديث الماثورة بوفرة؛ حيث جاءت أصول الأحكام في الكتاب و فروعها في الأحاديث، فلا تخلو آية من تلكم الآيات إلّا و حولها  
روايات عدّة.

و في ذلك- بالذات- يقول الأخباريون، كسائر الفقهاء الأصوليين: لا يجوز إفراد الكتاب بالاستنباط، بعيدا عن ملاحظة الروايات  
الواردة بشأنها.

و هذا هو مقتضى التمسك بالثقلين: الكتاب و العتره، لا يفترقان بعضهما عن بعض.

نعم لا يتضايقون القول بجواز مراجعة سائر الآيات، بشأن فهم معارف الدين والحكم والآداب مراجعة ذاتية «١»، اللهم إنا إذا وجدت رواية صحيحة صريحة المفاد، فيجب ملاحظتها أيضا، كما هي العادة المتعارفة عند المفسرين. (١) راجع: الفوائد الطوسية للحزب العامل، ص ١٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٧

## منهج القرآن في الإفادة والبيان

### إشارة

إن للقرآن في إفادة معانيه منهجا يخصه، لا هو في مرونة أساليب كلام العامة، ولا هو في صعوبة تعابير الخاصة، جمع بين السهولة والامتناع، وسطا بين المسلكين، سهلا في التعبير والأداء؛ بحيث يفهمه كل قريب وبعيد، ويستسيغه كل وضع ورفيع، وهو في نفس الوقت ممتنع في الإفادة بمبانيه الشامخة، والإدلاء بمراميها الشاسعة، ذلك أنه جمع بين دلالة الظاهر وخفاء الباطن، في ظاهر أنيق وباطن عميق.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر و بطن، فظاهره حكم و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق. له نجوم و على نجومه نجوم، لا تحصي عجائبه و لا تبلى غرائبه. فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة، و دليل على المعرفة لمن عرف الصفة» (١).

«فما من آية إلا و لها ظهر و بطن»، كما في حديث

آخر مستفيض «٢»، فهناك (١) الكافي الشريف، ج ٢، ص ٥٩٩.

(٢) رواه الفريقان. راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ١١. و بحار الأنوار، ج ٨٩ (ط بيروت)، ص ٨٨-

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٨

عبارات لائحة يستجيد فهمها العامة فهما كانت لهم فيه قناعة نفسية كاملة، و لكنّها إلى جنب إشارات غامضة كانت للخاصة، فيحلّوا من عقدها، و يكشفوا من معضلها، حسبما أوتوا من مهارة علمية فائقة.

و بذلك قد وفق القرآن في استعماله للجمع بين معان ظاهرة و أخرى باطنة؛ لتفيد كل لفظة معينين أو معاني مترابطة، و ربما مترامية حسب ترامي الأجيال و الأزمان، الأمر الذي كان قد امتنع حسب المتعارف العام، فيما قال الأصوليون: من امتناع استعمال لفظة واحدة و إرادة معان مستقلة. لكن القرآن رغم هذا الامتناع نراه قد استسهله، و أصبح منهجا له في الاستعمال.

كان ممن سلف من الأصوليين من يرى امتناع استعمال اللفظ و إرادة معينين امتناعا عقليا، نظرا إلى أن حقيقة الاستعمال ليس مجرد جعل اللفظ علامة لإرادة المعنى، بل جعله وجها و عنوانا له، بل بوجه نفسه كأنه الملقى؛ و لذا يسرى إليه قبحة و حسنه. و عليه فلا يمكن جعل اللفظ كذلك إلا لمعنى واحد، ضرورة أن لحاظه كذلك لا يكاد يمكن إلا بتبع لحاظ المعنى، فانيا فيه فناء الوجه في ذي الوجه، و العنوان في المعنون، و معه كيف يمكن إرادة معنى آخر كذلك في استعمال واحد، مع استلزامه للحاظ آخر غير لحاظه الأوّل في نفس الوقت. هكذا جاء في تقرير كلام العلامة الأصولي الكبير المحقق الخراساني «١».

و جاء الخلف ليجعلوا من هذا الامتناع العقلي ممكنا في ذاته، و ممتنعا في ٩٥.

(١) هو المولى محمد كاظم الخراساني صاحب كفاية الأصول. (راجع: حقائق الأصول للإمام الحكيم، ج ١، ص ٨٩-٩٠)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٩

العادة؛ حيث لم يتعارف ذلك و لم يعهد استعمال لفظة و إرادة معينين مستقلين في المتعارف العام، فالاستعمال كذلك كان خلاف

المتعارف حتى و لو كان ممكنا في ذاته، نظرا لأن الاستعمال (استعمال اللفظة و إرادة المعنى) إنما هو بمثابة جعل العلامة من قبيل الإشارات و العلام الإخطارية، فلا مانع عقلا من استعمال علامة لغرض الإخطار إلى معنيين أو أكثر؛ إذا كان اللفظ صالحا له بالذات، فيما إذا كان قد وضع لكلا المعنيين مشتركا لفظيا، أو أمكن انتزاع مفهوم عام. نعم لم يعهد ذلك في الاستعمالات المتعارفة. الأمر الذي استهسله القرآن و خرج على المتعارف، و جعله جائزا و واقعا في استعمالاته. «١» فقد استعمل اللفظة و أراد معناها الظاهري، حسب دلالتها الأولى، لكنه في نفس الوقت صاغ منه مفهوما عاما و شاملا ثانيا، يشمل موارد آخر ليكون هذا المفهوم العام الثانوي هو الأصل المقصود بالبيان، و الضامن لبقاء المفاهيم القرآنية عامة و شاملة عبر الأيام، و ليست بالمقتصرة على موارد النزول الخاصة.

و كان المفهوم البدائي للآية، و الذي كان حسب مورد نزولها الخاص، هو معناها الظاهر، و يسمّى ب «التزليل». أما المفهوم العام المنتزع من الآية الصالح للانطباق على الموارد المشابهة، فهو معناها الباطن، المعبر عنه ب «التأويل»، و هذا المفهوم الثانوي العام للآية هو الذي ضمن لها البقاء عبر الأيام.

سئل الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن الحديث المتواتر عن (١) و ذلك نظرا لإحاطته تعالى و شمول عنايته لجميع عباده. و لا يخفى أن المفهوم العام المنتزع من الآية، هو بنفسه معنى آخر مقصود مستقلا وراء إرادة المعنى الظاهري الأولى، فكل من المعنيين الظاهر و الباطن مقصود بذاته، و ليس مندرجا تحت الآخر، فهو من موضوع البحث و ليس خارجا عنه، كما زعم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٠

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما من آية إلّا و لها ظهر و بطن...»، فقال: «ظهره تنزيله، و بطنه تأويله، منه ما قد مضى و منه ما لم يجيء، يجري كما تجرى الشمس و القمر، كلما جاء شيء منه وقع...» «١».

و

قال: «ظهر القرآن: الذين نزل فيهم، و بطنه: الذين عملوا بمثل أعمالهم» «٢».

و أضاف عليه السلام: «و لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم، ثم مات أولئك القوم، ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، و لكنّ القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات و الأرض، و لكل قوم آية يتلونونها هم منها من خير أو شرّ» «٣».

نعم كان العلم بباطن الآية، أي القدرة على انتزاع مفهوم عام صالح للانطباق على موارد مشابهة، خاصا بالراسخين في العلم، و ليس يفهمه كل أحد حسب دلالة الآية في ظاهرها البدائي.

## و الخلاصة:

أنّ لتعابير القرآن دالتين: دلالة بالتزليل؛ و هو ما يستفاد من ظاهر التعبير، و دلالة أخرى بالتأويل؛ و هو المستفاد من باطن فحواها، و ذلك بانتزاع مفهوم عام صالح للانطباق على الموارد المشابهة عبر الأيام. إذن أصبح القرآن ذا دالتين: ظاهرة و باطنية، الأمر الذي امتاز به على سائر الكلام.

مثلا آية الإنفاق في سبيل الله، نزلت بشأن الدفاع عن حريم الإسلام، فكان واجبا على المسلمين القيام بهذا الواجب الديني؛ ليأخذوا بأهبة الأمر و يعدّوا له عدّته، و منها بذل الأموال فضلا عن بذل النفوس. هذا شيء كان واجبا على عامة المكلفين أنفسهم كلّ حسب إمكانه، هذا ما يفهم من ظاهر الآية البدائي. (١) بحار الأنوار، ج ٨٩ (ط بيروت)، ص ٩٤، رقم ٤٧ و ٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧، رقم ٦٤.

(٣) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠ رقم ٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠١

أما الفقيه النابه فيستفيد من الآية شيئا أوسع، يشمل كل ضرورات الدولة القائمة على أساس العدل، وإحياء كلمة الله في الأرض؛ فيجب بذل المال في سبيل تثبيت دعائم الحكم العادل و التشييد من مبانيه، فيجب دفع الضرائب المائئة حسبما يقرره النظام، مستفادا من الآية الكريمة في باطن فحواها، أخذا بالتأويل حسب المصطلح.

و هكذا المستفاد من آية خمس الغنائم، وجوب دفع الخمس في مطلق الفوائد و أرباح المكاسب، حسبما فهمه الإمام الصادق عليه السلام من الآية، أخذا بعموم الموصول، و إطلاق الغنيمه على مطلق الفائدة.

و في القرآن من هذا القبيل الشيء الكثير، الأمر الذي ضمن للقرآن بقاءه مع الخلود.

## وجهة أخرى

إنّ للقرآن لغته الخاصة به، شأن كل صاحب اصطلاح، فللقرآن اصطلاحه الخاص، يستعمل ألفاظا و تعابير في معان أرادها بالذات، من غير أن يكون في اللغة أو في سائر الأعراف دليل يدلّ عليه؛ لأنه من اصطلاحه الخاص و لا يعرف إلّا من قبله. و من ثمّ كان القرآن ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض، كما جاء في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «١».

إنّ في القرآن تعابير كثيرة لا تكاد تدرك معانيها إلّا إذا سبرت القرآن سبرا و فحصته فحصا، لتعرف مفاهيمها التي اصطلح عليها القرآن من القرآن ذاته، و ليس من غيره إطلاقا.

هكذا ذهب سيدنا العلامة الطباطبائي قدس سرّه إلى أنّ الدلالة على مفاهيم القرآن، (١) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٢

إنما هي من ذات القرآن، و ليس من خارجه أبدا، لأنه تبيان لكل شيء، و حاشاه أن لا يكون تبيانا لنفسه، فإن القرآن يفسيّر بعضه بعضا. و هذا هو أصل التفسير المعتمد، و قد بنى تفسيره في الميزان على هذا الأساس «١».

مثلا: لفظة «الإذن» في الاستعمال القرآني، جاء بمعنى: إمكان التداوم في التأثير الحاصل وفق مشيئة الله و إرادته الخاصية، أي تداوم الإفاضة من قبله تعالى؛ حيث التأثير في عالم التكوين، موقوف على إذنه تعالى، بأن يفيض على عامل التأثير خاصيته التأثيرية؛ حالة التأثير، أي يديمها و لا يقطع إفاضته عليه حينذاك، و إلّا لما أمكن لعامل التأثير أن يؤثر شيئا و ما تشاؤون إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين «٢» تلك إرادته تعالى الحادثة، هي التي أمكنت للأشياء تأثيرها و تأثرها في عالم الطبيعة، و لولاها لما أمكن لعامل طبيعي أن يؤثر شيئا في عالم الوجود، و هذا هو المراد من تداوم إفاضته تعالى في عالم التكوين.

قال تعالى: و ما هم بضارّين به من أحدٍ إلّا بإذن الله «٣» فلو لا إذنه تعالى، أي تداوم إفاضة- إمكان التأثير من قبله تعالى- لما أمكن لسحرهم أن يؤثر شيئا.

و ذلك نظرا لأن عوامل التأثير في عالم الوجود، إنما هي متأثرة- في إمكان تأثيرها- بتأثيره تعالى؛ إذ لا مؤثر في الوجود إلّا الله؛ حيث الممكنات بأسرها فقيرات في ذوات أنفسها، فكما أنها بذاتها محتاجة إلى إفاضة الوجود عليها، كذلك أثرها في عالم الطبيعة أمر ممكن، و محتاج لإفاضة الوجود عليه. ففور إرادة التأثير يجب تداوم إفاضة إمكان التأثير عليه حتى يتمكّن من التأثير (١) راجع: مقدمة التفسير، ج ١، ص ٩.

(٢) التكوير / ٢٩.

(٣) البقرة / ١٠٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٣

و البَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ «١» أي بإمكان التأثير الحاصل من قبله تعالى.

و هذا هو معنى «الإذن» في التكوين، حسب المصطلح القرآني، مستفادا من قوله تعالى: و ما تشاؤون إلّا أن يشاء الله «٢».

وقد دأب القرآن على إسناد الأفعال الصادرة في عالم الوجود كلها إلى الله، سواء أكان فاعلها فاعلا إراديا كالإنسان والحيوان، أم غير إرادى كالشمس والقمر، وليس ذلك إلا من جهة أنه المؤثر في تحقق الأفعال مهما كانت، اختيارية أم غير اختيارية. إنه تعالى هو الذى أقدر الأشياء على فعل الأفعال، وأمدّهم بالقوى، وأفاض عليهم الإقدار بصورة مستديمة.

قال تعالى: «وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّْلَ مَرَّةٍ» (٣) أى انقلبت أهواؤهم وأبصارهم، وهم الذين أوجبوا هذا القلب. وهكذا قوله: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً» (٤) بدليل قوله تعالى: «وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ. بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» (٥).

قال تعالى: «وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ» (٦) أى تتقلب أجسادهم ذات اليمين وذات الشمال، غير أن هذا التقلب كان بإذنه تعالى؛ فصحّ إسناد الفعل (١) الأعراف / ٥٨.

(٢) الإنسان / ٣٠.

(٣) الأنعام / ١١٠.

(٤) البقرة / ٧.

(٥) البقرة / ٨٨.

(٦) الكهف / ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٤

إليه.

ولفظه «القلب» فى القرآن الكريم، يعنى: شخصيئة الإنسان الباطنة، وراء شخصيئته هذه الظاهرة، وهى التى كانت منبعث إدراكاته النبيلة، وأحاسيسه الكبرى الرفيعة، المتناسبة مع شخصيئته الإنسانية الكريمة إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (١).

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢).

المراد ب «القلب» فى هذه الآية، هى شخصيئة الإنسان الكريمة إذا ما تمرد الإنسان على قوانين الشريعة، فإنه يصبح بهيمة لا يعرف من الإنسانية شيئا نسوا الله فأنساهم أنفسهم (٣).

ولفظه «المشيئة» فى القرآن، مصطلح خاص يراد بها الإرادة الحادثة المنبعثة عن مقام حكمته تعالى، وليست مطلق الإرادة.

فقوله تعالى: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٤).

كان المقصود: المشيئة وفق الحكمة، فيؤتى الملك من اقتضت حكمته (١) ق / ٣٧.

(٢) الأنفال / ٢٤.

(٣) الحشر / ١٩.

(٤) آل عمران / ٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٥

تعالى، و ينزع الملك ممن اقتضت حكمته.

وهكذا نرفع درجات من نشاء (١)، أى من تقتضيه حكمتنا أن نرفعه، أى من كانت المقتضيات متوفرة فى ذات نفسه، فلاقتضاء إنما هو فى ذاته، فهو محل صالح لهذه العناية الربانية، وليس اعتبارا أو ترجيحا من غير مرجح؛ حيث الحكمة هى وضع الأشياء فى مواضعها.

و الدليل على ذلك، تذييل الآية بقوله: إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فالحكيم لا يشاء شيئاً إلا ما كان وفق حكمته، و ليس مطلق المشيئة. و التعابير من هذا القبيل كثيرة في القرآن، و إنما هي مصطلحات قرآنية، لا تعرف إلا من قبله؛ ليكون القرآن هو الذى يفسر بعضه بعضاً.

و من المصطلح المتعارف فى القرآن، اعتماده المعهود من قرائن حالية، ليصدر أحكاماً فى صورة قضايا خارجية - إشارة إلى المعهود الحاضر حال الخطاب - و ليست بقضايا حقيقية، حتى تكون الأحكام مترتبة على الموضوعات، متى وجدت و أين وجدت. هذه الظاهرة كثيرة الدور فى القرآن الكريم، و ربما زعم زاعم أنها قضايا حقيقية دائمة، و ليست كذلك.

مثلاً- قوله تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ. وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا. وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَ رُهْبَانًا وَ أَنَّهُمْ لَا يَشْكُرُونَ «٢».

ليس المراد مطلق اليهود، سواء من عاصر نبى الإسلام أم غيرهم، و لا مطلق (١) الأنعام / ٨٣.  
(٢) المائدة / ٨٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٦

من أشرك، و لا- مطلق النصارى بل يهود يثرب ممن عاصر نبى الإسلام، و مشركو قريش، و نصارى نجران، و قيل: وفد النجاشى ذلك العهد؛ لأنها حكاية عن أمة ماضية أسلم من أسلم منهم، و عاند من عاند.

فقد جاء تعقيب الآية بقوله: وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَ مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ. فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ. وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا - يعنى بهم اليهود و المشركين - أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ «١».

و هذا نظير قوله تعالى عن المخلفين من الأعراب: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا «٢» إشارة إلى خصوص من قعد عن الحرب أيام الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

و كذا «الناس» فى قوله: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَمَاخَشَوْهُمْ «٣» حيث المراد بالناس الأول: هم المنافقون المرجفون من أهل المدينة، و الناس الثانى: هم مشركو قريش رهط أبى سفيان، بعد هزيمتهم من أحد.

و هكذا قوله تعالى: الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «٤» المراد من عاصرو النبى من أهل (١) المائدة / ٨٣ - ٨٦.

(٢) الفتح / ١١.

(٣) آل عمران / ١٧٣.

(٤) التوبة / ٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٧

الجفاء و النفاق، كما فى قوله: وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ «١» و غير ذلك مما وقع هذا التعبير فى مواضع من سورة براءة (الآيات: ٩٠ / ٩٧ / ٩٨ / ٩٩ / ١٠١) حيث المقصود من الجميع: أعراب المدينة و من حولها.

### وجهة ثالثة:

إيفاءه بالوفرة الوفيرة من المطالب و مختلف المسائل، فى أقصر تعابير و أيسر كلمات، ربما يكون حجم المطالب أضعاف حجم الكلمات و التعابير. و القرآن ملؤه ذلك، و هو من اختصاصه، أن يدلى بأوفر المعانى فى أوجز الألفاظ.



هذه سورة الحجرات على قصرها، و هي ثمانى عشرة آية، تحتوى على أكثر من عشرين مسألة من أمهات المسائل الإسلامية العريقة، نزلت بالمدينة؛ لتنظيم الحياة الاجتماعية العادلة. وقد تعرّض لها المفسرون و لا سيّما المتأخرين بتفصيل، و تعرّضنا لأكثرها فى تفسيرنا للسورة.

و مما جاء فيها التعرّض لقاعدة «اللطيف» التى هى أساس الشرائع، و مسألة «الحبّ فى الله و البغض فى الله» التى هى أساس الإيمان، فى أقصر عبارة:

وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَ زَيْنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَ كَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ «٢». فمن لطفه تعالى و عنايته بعباده أن مهّد لهم أسباب الطاعة و قربها إليهم، ليتمكنوا من طاعة الله و يجتنبوا الفسوق و العصيان، و ذلك بأنّ زين الإيمان و الطاعة فى قلوبهم، أى أبدى لهم زينة الإيمان، بأن رفع عن أعينهم غشاء (١) التوبة / ١٠١.

(٢) الحجرات / ٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٨

التعامى، كما أنه تعالى كره إليهم العصيان بأن أظهر قبحة فى أعينهم فكرهوه فى ذات أنفسهم. فالمؤمن إنما يطيع الله و هو محبّب له الطاعة، و من ثمّ فإنّه يقدم على الطاعة فى وداعه و طمأنينه و يسر، كما أنه يجتنب المعاصى فى يسر؛ لأنه عن نفرة لها فى نفسه. و هذه هى قاعدة اللطيف تمهيد ما يوجب قرب العباد إلى الطاعة و بعدهم عن المعصية، مستفادة من الآية الكريمة.

و شىء آخر: مسألة «الحبّ فى الله و البغض فى الله» و هى أساس الإيمان و صلب العقيدة، و الباعث على الجدّ فى العمل، و من ثمّ قال الإمام الصادق عليه السلام: «و هل الإيمان إلّا الحب و البغض، ثم تلا الآية الكريمة» «١» و قد قال تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ «٢».

و أمر ثالث مستفاد من الآية الكريمة: أن هدايته للناس كانت فضلا من الله و رحمة، ناشئة عن مقام فيضه القدوسى، و ليس عن حق عليه سبحانه فلو لا فضل الله عليكم و رحمته لكنتم من الخاسرين «٣»، و ما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلّا رحمة من ربك «٤».

فالإنسان بذاته لا يستحق شيئا على ربه، و إنما الله هو الذى تفضّل على الإنسان برحمته الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله «٥»، و من ثمّ عقب سبحانه الآية بقوله: (١) الكافى، ج ٢، ص ١٢٥ رقم ٥.

(٢) آل عمران / ٣١.

(٣) البقرة / ٦٤.

(٤) القصص / ٨٦.

(٥) الأعراف / ٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٩

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَةً وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «١».

و فى السورة إشارة إلى مسألة التعاون فى الحياة الاجتماعية، جاءت فى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ «٢».

و فيها الإشارة إلى مسألة «المساواة» و أن لا شعوبية فى الإسلام، و لا عنصريّة، و لا قوميّة، و أن لا فضل لأحد على غيره إطلاقا، لا حسبا و لا نسبا، إلّا بفضيلة التقوى، و هو التعهّد فى ذات الله.

كما فيها الإشارة أيضا إلى مسألة «الأخوة الإسلامية» المتطلبة للإيثار و التضحية، فوق قانون العدل و الإنصاف.

و فى القرآن كثير من عبارات يسيرة انطوت على مفاهيم ذات أحجام كبيرة، كقوله تعالى فى سورة الانفال: وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ

لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (٣) إشارة إلى مسألة «الأمر بين الأمرين» وأن لا جبر ولا تفويض، و هي من المسائل المذيّلة ذات تفصيل طويل. و كقوله تعالى في سورة الواقعة: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٤) إشارة إلى مسألة «الاستطاعة» و أن لا استقلال للعباد فيما يتصرفون (١) الحجرات / ٨.

(٢) الحجرات / ١٣.

(٣) الأنفال / ١٧.

(٤) الواقعة / ٦٣.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٠

من أفعالهم الاختيارية.

و الأمثلة على ذلك كثيرة و منبئة في القرآن الكريم، غير خفية على الناقد البصير.

### و جهة رابعة:

قد سلك القرآن في تعاليمه و برامج الناجحة مسلكا، ينتفع به الجمهور، و يخضع له العلماء، و من ثم جاء بتعابير يفهمها كل من الصنفين:

الجمهور يأخذون بظاهر الكلام و يتصورون له من المعاني ما ألفت بها أذهانهم في الأمور المحسوسة، و يحسبون فيما وراء محسوسهم ما يشاكل المحسوس، و يقتنعون بذلك، و يستريح بالهم.

و العلماء يعرفون حقيقة الحال التي جاءت في طي المقال، و يأخذون بطائف الإشارات و ظرائف الكنايات التي مثلت لهم الحقيقة في واقع الأمر، بما يخضعهم له و يطمئنون إليه.

خذ لذلك مثلا قوله تعالى - تعبيراً عن ذاته المقدسة في عالم الكون -: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... لَمَّا كَانَ أَرْفَعُ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْحَسِّ هُوَ النُّورُ، ضرب الله به المثال، و بهذا النحو من التصور أمكن للجمهور أن يفهموا من الذات المقدسة موجوداً أجلى و أظهر فيما وراء الحس، يشبه أن يكون مثل النور في المحسوس شبيهاً ما، و يقتنعون بذلك.

أما العلماء فيرون من هذا التشبيه أقرب ما يكون تصوّراً من ذاته المقدسة، فليس في عالم المحسوس ما يكون على مثاله، و في أخص أوصافه تعالى كالنور الذي هو ظاهر في نفسه، و مظهر لغيره، و ليس شيء في عالم المحسوس (المبصرات) إلّا و يكون ظهوره بالنور، أما النور فهو ظاهر بنفسه و ليس بغيره.

و كذا لا يكون - في عالم المحسوس - شيء أكثر ظهوراً و في نفس الوقت

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١١

أشدّ خفاءً من النور، ظاهر بآثاره، خفي بكنهه و حقيقته.

و هذه هي نفس صفاته تعالى إذا ما لاحظنا حقيقة وجوده، القائم بذاته، المظهر لغيره، الذي خفيت حقيقته و ظهرت آثاره، و هو الله جلّ جلاله، و عظمت كبرياؤه.

و هكذا نجد القرآن، في استدلالاته، قد جمع بين أسلوبين يختلفان في شرائطهما، هما: أسلوب الخطابة، و أسلوب البرهان، ذاك إقناع للجمهور بما يتسامون به من مقبولات القضايا و مظنوناتها، و هذا إخضاع للعلماء بما يتصادقون عليه من أوليات و يقينيات. و من الممتنع في العادة أن يقوم المتكلم بإجابة ملتمس كلاً - الفريقين، ليجمع بين المظنون و المتيقن، في خطاب واحد، الأمر الذي حقه القرآن بعجيب بيانه و غريب أسلوبه.

و قد بحثنا عن ذلك و أتينا بأمثلة عليه في مباحثنا عن الإعجاز البياني للقرآن (١).

**و جهة خامسة:**

قد أكثر القرآن من أنواع الاستعارة و أجاد في فنونها، و كان لا بدّ منه و هو آخذ في توسع المعاني توسع الآفاق، في حين تضايقت الألفاظ عن الإيفاء بمقاصد القرآن، لو قيدت بمعانيها الموضوعه لها المحدوده النطاق.

جاء القرآن بمعان جديدة على العرب لم تكن تعهدها، و ما وضعت ألفاظها إلّا لمعان قريبه، حسب حاجاتها في الحياة البسيطة البدائية القصيرة المدى. أما التعرّض لشئون الحياة العليا المترامية الأبعاد، فكان غريبا على العرب الأوائل (١) راجع: التمهيد، ج ٥، ص ٤٩٩ فصل (الاستدلال في القرآن)

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٢

المتوغّلة في الجاهلية الأولى.

و من ثمّ لجأ القرآن في إفادة معانيه و الإشادة بمبانيه إلى أحضان الاستعارة و الكناية و المجاز، ذوات النطاق الواسع، حسب إبداع المتكلم في تصرفه بها، و القدرة على الإحاطة في تصريف المباني و الإفادة بما يرومه من المعاني. و قد أبدع القرآن في الاستفادة بها و تصريفها حيثما شاء من المقاصد و الأهداف، و لم يعهد له نظير في مثل هذه القدرة و مثل هذه الإحاطة، على مثل هذا التصرف الواسع الأكناف، الأمر الذي أبهر و أعجب و أتى بالإعجاز.

و لعل هذا هو السبب أيضا في عروض التشابه في لفيف من آيات الخلق و التكوين، نظرا لقصور الألفاظ عن الإيفاء بتلك المعارف الجليلة الواسعة الأكناف.

و بذلك أصبحت لغة القرآن- من هذه الجهة- ذات طابع خاص؛ حيث وفرة الاستعارة من النمط الراقى، و عروض بعض التشابه بسبب هذا الشموخ و التعالي.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٣

**ترجمة القرآن في كفة الميزان****إشارة**

\* التعريف بالترجمة و أساليبها\* نواحي القرآن الثلاث\* الترجمة الحرفية للقرآن\* الترجمة المعنوية (الحرّة)\* أخطار الترجمة\* دفاع حاسم\* ترجمة القرآن من الوجهة الشرعية\* و نائق شرعية\* ترجمة القرآن ضرورة دعائية\* كيفية الترجمة و عرضها\* نماذج من تراجم خاطئة

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٥

**ترجمة القرآن****مسائل ثلاث****أولا:****ثانيا:**

**ثالثاً:****التعريف بالترجمة**

الترجمة رباعية الوزن، و تكون بمعنى: التبيين و الإيضاح. و يبدو من القاموس أنه لا بدّ من اختلاف اللغة؛ لأنه قال: الترجمان: المفسّر للسان. و من ثمّ فالترجمة: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، كما في المعجم الوسيط. أما التعبير عن معنى بلفظ، بعد التعبير عنه بلفظ آخر، فهذا من التبيين المحض، و ليس ترجمة اصطلاحاً.

و يجب في الترجمة أن تكون وافيةً بتمام أبعاد المعنى المراد من الأصل، حتى في نكاته و دقائقه الكلامية ذات الصلة بأصل المراد، كنايةً أو تعريفاً أو تحزناً أو تحسّيراً أو تعجيزاً، و نحو ذلك من أنحاء الكلام المختلف في الإيفاء و البيان، و المختلف في الأسلوب و النظم، و غير ذلك مما هو معروف.

و من ثمّ يجب أن تتوفر في المترجم صلاحية هذا الشأن؛ بالإحاطة الكاملة على مزايا اللغتين الكلامية، واقفاً على أسرار البلاغة و البيان في كلتا اللغتين، عالماً بمواضع نظرات صاحب المقال الأصل، عارفاً بالمستوى العلمي الذي حواه الكلام الأصل، قادراً على إفراغ تمام المعنى و كماله - بمميزاته و دقائقه - في قالب آخر يحاكيه و يماثله جهد الإمكان، الأمر الذي قلّ من ينتدب له من الكتّاب و أصحاب الأقلام؛ إذ قد زلّت فيه أقدام كثير ممّن حام حول هذا المضمار الخطير.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٧

**خطورة أمر الترجمة**

قلنا: إن شرائط الترجمة ثقيلة، و قلّ من توجد فيه هذه الصلاحية الخطيرة؛ إذ من الصّعب جدّاً أن يحيط إنسان علماً باللغتين في جميع مزاياهما الكلامية:

اللفظية و المعنوية، عارفاً بأنواع الاستعارات و الكنايات الدارجة في كلتا اللغتين، قادراً على إفراغ جميع مناحي الكلام من قالب إلى قالب آخر، يماثله و يحاكيه تماماً.

هذا فضلاً عن لزوم ارتقاء مستواه العلمي و الأدبي إلى حيث مستوى الكلام المترجم أو ما يقاربه، و هذا أثقل الشروط و أخطرها عند مزلات الأقدام و مزلق الأقلام.

و سنذكر نماذج من تراجم قام بها رجال كبار، و لكن لم يسعد لهم الحظّ لمواصله المسيرة بسلام، فكم من زلات أعفوها و لا مجال لإعفائها، و لا سيما في مثل كلام الله العزيز الحميد.

**أساليب الترجمة****إشارة**

إذ كانت الترجمة نوعاً من التفسير و الإيضاح بلغة أخرى في إيجاز و إيفاء، و بالأحرى هو إفراغ المعنى من قالب إلى قالب آخر أكشف للمراد، بالنسبة إلى اللغة المترجم إليها، فلا بدّ أن يعيّد المترجم إلى تبديل قوالب لفظية إلى نظيراتها من غير لغتها، بشرط الوفاء بتمام المراد، الأمر الذي يمكن الحصول عليه من وجوه:

## الأول:

أن يعتمد المترجم إلى تبديل كل لفظة إلى مرادفتها من لغة أخرى، فيضعها بإزائها، ثم ينتقل إلى لفظة ثانية بعدها و ثالثة، و هكذا على الترتيب حتى نهاية الكلام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٨

و هذه هي «الترجمة الحرفية» أو الترجمة تحت اللفظية. و هذه أبدأ أنحاء الترجمة، و في الأغلب توجب تشويشا في فهم المراد أو تشويها في وجه المعنى، و ربما خيانة بأمانة الكلام؛ حيث المعهود من هكذا تراجم لفظية هو تغيير المعنى تماما؛ لأن المترجم بهذا النمط إنما يحاول التحفظ على أسلوب الكلام الأصل في نظمه و ميزاته البلاغية، ليأتي بكلام يماثله تماما في النظم و الأسلوب، الأمر الذي لا يمكن بتاتا، بعد اختلاف اللغات في أساليب البلاغ و الأداء، و كذا في النكات و الدقائق الكلامية السائدة في كل لغة حسب عرفها الخاص. فرب كناية أو تعريض أو مثل سائر في لغة، لا تعرفه لغة أخرى و لا تأنس به، فلو عمد المترجم إلى ترجمه ذلك بعينه؛ لأصبح غير مفهوم المراد، و ربما استبشعوا مثل هذا التعبير الغريب عن متفاهمهم.

مثلا قوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿١﴾» جاء «غَلَّ اليد إلى العنق و بسطها كل البسط»، كناية عن القبض و البسط الفاحش، أي التفتير و الإسراف في المعيشة و في الإنفاق، و هي كناية معروفة عند العرب و مأنوسة الاستعمال لديهم. فلو أريد الترجمة بنفس التعبير من لغة أخرى كان ذلك غريبا عليهم حيث لم يألفوه، فربما استبشعوه و أنكروا مثل هذا التعبير غير المفهم؛ لأنهم يتصورون من مثل هذا التعبير: النهي عن أن يربط إنسان يديه إلى عنقه برباط من سلاسل و أغلال، أو يحاول بسط يديه يمينا و شمالا بسطا مبالغا فيه. و لا شك أن مثل هذا الإنسان إنما يحاول عبثا و يعمل سفها؛ لأنه يبالغ في إجهاد نفسه و إتعابها من غير غرض معقول، الأمر الذي لا ينبغي التعرض له في مثل كتاب الله العزيز الحميد. (١) الإسراء / ٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٩

## الثاني:

أن يحاول إفراغ المعنى في قالب آخر، من غير تقييد بنظم الأصل و أسلوبه البياني، و إنما الملحوظ هو إيفاء تمام المعنى و كماله؛ بحيث يؤدي إفادة مقصود المتكلم بغير لغته، بشرط أن لا يزيد في البسط بما يخرج عن إطار الترجمة، إلى التفسير المحض. نعم إن هكذا «ترجمة معنوية» قد تفوت بمزايا الكلام الأصل اللفظية، و هذا لا يضر ما دام سلامة المعنى محفوظة. و هذا النمط من الترجمة هو النمط الأوفى و المنهج الصحيح الذي اعتمده أرباب الفن. لا يتقيدون بنظم الأصل، فيقدمون و يؤخرون، و ينظمون الترجمة حسب أساليب اللغة المترجم إليها، كما لا يزيدون بكثير على مثال الألفاظ و التعابير التي جاءت في الأصل. فإن حصلت زيادة مطردة فهو من الشرح و التفسير، و ليس من الترجمة المصطلحة في شيء.

ذكر الشيخ محمد بهاء الدين العاملی (١٠٣١) - نقلا عن الصفوى -: أن للترجمة طريقتين، أحدهما: طريق يوحنا بن بطريق و ابن الناعمة الحمصي، و هو:

أن يعتمد إلى كل لفظة من ألفاظ الأصل ليأتي بلفظة أخرى ترادفها في الدلالة فيشبهها، و ينتقل إلى أخرى و هكذا، حتى يأتي على جملة ما يريد ترجمتها، و هي طريقة رديئة لوجهين:

الأول: أنه قد لا توجد في اللغة المترجم إليها لفظة تقابل الأصل تماما، و من ثم فتقضى الحاجة إلى استيراد نفس الكلمة الأجنبية و استعمالها في الترجمة بلا إمكان تبديل، و من ثم كثرت اللغات الدخيلة اليونانية في مصطلحات العلوم المترجمة إلى العربية.

الآخر: أن خواص التركيب و النسب الكلامية في الإسناد الخبري و سائر الإنشاءات و المجاز و الاستعارة و ما شابه، تختلف أساليبها في سائر اللغات، و ليست تتحد في التعبير و الإيفاء، فالترجمة تحت اللفظية قد توجب خلافا في التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٠

الإفادة بأصل المراد.

أمّا الطريق الثاني - و هو طريق حنين بن إسحاق و الجوهري - فهو: أن يأتي بتمام الجملة و يتحصّل معناها في ذهنه، ثم يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها في إفادة المعنى المراد و إيفائه، سواء أ ساوت الألفاظ أم خالفتها. و هذا الطريق أجود، و لهذا لم يحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلما في العلوم الرياضية؛ لأنه لم يكن قيما بها، بخلاف كتب الطبّ و المنطق و الطبيعي و الإلهي، فإنّ الذي عزّبه منها لم يحتج إلى الإصحاح ... «١»

### الثالث:

أن يبسط في الترجمة و يشرح مقصود الكلام شرحا وافيا، فهذا من التفسير بلغة أخرى، و ليست ترجمة محضة حسب المصطلح. و قد تلخص البحث في أنحاء الترجمة إلى ثلاثة أساليب:

١- الترجمة الحرفية، أو الترجمة اللفظية، أو تحت اللفظية، و هي طريقة مرفوضة و غير موقّعة إلى حدّ بعيد.

٢- الترجمة المعنوية، أو الترجمة التفسيرية غير المبسطة، و يطلق عليها:

الترجمة المطلقة (المسترسلة) غير المتقيدة بنظم الأصل، و هي طريقة معقولة.

٣- الترجمة التفسيرية المبسطة، و هي إلى الشرح و التفسير أقرب منه إلى الترجمة.

و لنظر الآن في مسألة ترجمة القرآن الكريم بالذات، من نواحيها المختلفة، و على كلا أسلوبى الترجمة: الحرفية و المعنوية، فنقول:

(١) الكشكول (ط حجريّة)، ص ٢٠٨. و (ط مصر ١٣٧٠هـ)، ج ١، ص ٣٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢١

### نواحي القرآن الثلاث

للقرآن الكريم نواح ثلاث تجتمع فيه، و بذلك أصبح القرآن كتابا سماويا ذا قدسيّة فائقة، و ممتازا على سائر الكتب النازلة من السماء:

أولا: كلام إلهي ذو قدسيّة ملكوتيّة، يتعبّد بقراءته و يتبرّك بتلاوته.

ثانيا: هدى للناس، يهدى إلى الحق و إلى صراط مستقيم.

ثالثا: معجزة خالدة، دليلا على صدق الدعوة عبر العصور.

تلك نواح ثلاث خطيرة تجتمع في هذا الكتاب، رهن نظمه الخاص في لفظه و معناه، و أسلوبه الفدّ في الفصاحة و البيان، و محتواه الرفيع في نظمه و تشريعاته.

و بعد، فهل بإمكان الترجمة - من أيّة لغة كانت - الوفاء بتلكم النواحي أم ببعضها على الأقلّ، أم تذهب بهنّ جمع أدراج الرياح؟! الأمر الذي يحدّد أبعاد بحثنا في هذا المجال، فنقول:

أما الترجمة الحرفية فإنها تفتقد دلائل الإعجاز أولا، و لا سيما البياني منها القائم على أعلى درجات البلاغة، كما تعوزها تلك القدسيّة المعهودة بشأن القرآن، فلا تجرى عليها الأحكام الشرعية المترتبة على هذا العنوان الخاص (القرآن الكريم)، و أخيرا فإنها تخون في

التأدية أحيانا، إن لم يكن في الأغلب.

لكن الترجمة المعنوية- الحرّة غير المتقيّدة بنظم الأصل- فإنها تواكب أختها غالبا في افتقاد دلائل الإعجاز، و كذا في الذهاب بقدسيّة القرآن الخاصة بهذا العنوان، نعم سوى الإيفاء بالمعنى إن قامت على شروطها اللازمة، و إليك التفصيل:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٢

### الترجمة الحرفية للقرآن

الترجمة الحرفية إن كانت بالمثل تماما، فمعناها: إفراغ المعنى في قالب لفظي يشاكل قالبه الأول في جميع خصوصياته و مميزاته الكلامية تماما، سوى كونه من لغة أخرى، الأمر الذي لا- يمكن الإتيان به بشأن القرآن بتاتا؛ لأنّ الإتيان بما يماثل القرآن نظما و أسلوبا، هو الأمر الذي تحدّى به القرآن الكريم كافة الناس لو أتوا بمثله، و قد دلت التجربة على استحالة.

و إن كانت بغير المثل، بأن يقوم المترجم بإنشاء كلام يشاكل نظم القرآن حسب المستطاع، فهذا أمر ممكن في نفسه، إلّا أنه حينئذ يفقد الكثير من المميزات اللفظية و المعنوية التي كان القرآن مشتملا عليها، و كانت من دلائل الإعجاز لا محالة.

كما أنه إذا غير الكلام إلى غير لفظه و بسوى نظمه و لا سيما بغير لغته، فهذا لا يعدّ من كلام المتكلم الأول؛ لأنّ من مقومات كلام كل متكلم هو البقاء على نفس الكلمات و التعابير و النظم و الأسلوب الذي جاء في كلامه، فإن غير في أحد المذكورات، فإنه يصبح أجنبيّا عنه و لا يعدّ من كلامه البتّة، الأمر الذي لا يحتاج إلى مزيد بيان.

و عليه فلو كان كلام خاص، يحمل قدسيّة خاصّة، و له أحكام خاصّة به، و باعتبار انتسابه إلى متكلم خاص، فإنّ هذه الميزة سوف تذهب بأدنى تغيير شكلي في كلامه. فكيف إذا كان تغييرا في الكلمات و الألفاظ من غير اللّغة، و مغيرا للنظم و الأسلوب أيضا و لو يسيرا، الأمر الذي يتحقق في الترجمة الحرفية لا محالة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٣

من أجل ذلك نرى الفقهاء «١»- و لا سيّما فقهاء الإماميّة- متفقين على عدم إجزاء القراءة بغير العربية في الصلاة، حتى على العاجز عن النطق بالعربية، و إنما يعوّض بآيات اخرى، أو دعاء و تهليل و تسييح إن أمكن. أما الفارسيّة أو غيرها فلا تجوز إطلاقا، اللهم إلّا بعنوان الذكر المطلق، إذا جوّزناه بغير العربية، و فيه إشكال أيضا.

قال المحقق الهمداني: يعتبر في كون المقروء قرآنا حقيقة، كونه بعينه هي الماهية المنزلة من الله تعالى على النبي صلى الله عليه و آله و سلّم مادّة و صورة، و قد أنزله الله بلسان عربيّ، فالإخلال بصورته التي هي عبارة عن الهيئات المعتمدة في العربية بحسب وضع الواضع كالإخلال بمادته، مانع عن صدق كونه هي تلك الماهية «٢».

و قال: و لا يجوز المصلّي عن الفاتحة ترجمتها، و لو بالعربية فضلا عن الفارسيّة، اختيارا بلا شبهة، فإنّ ترجمتها ليست عين فاتحة الكتاب المأمور بقراءتها، كي تكون مجزئة «٣».

قال- بشأن العاجز عن العربية:- الأقوى عدم الاعتبار بالترجمة- في حالة العجز عن الفاتحة و بدلها (من قرآن غيرها أو تحميد و تسييح)- من حيث هي أصلا، ضرورة عدم كونها قرآنا و لا ميسوره، بعد وضوح أن لألفاظ القرآن دخلا في قوام قرآنيّتها. نعم بناء على الاجتزاء بمطلق الذكر لدى العجز عن قراءة شيء من القرآن مطلقا، أو لدى العجز عن التسييح و التحميد و التهليل أيضا، اتّجه الاجتزاء بترجمة الفاتحة و نظائرها، لا من حيث كونها ترجمة للقرآن، بل من (١) من عدا أبي حنيفة و من رأى رأيه، حسبما يأتي.

(٢) راجع: مصباح الفقيه، كتاب الصلاة، ص ٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٤

حيث كونها من مصاديق الذكر، و أما ترجمه الآيات التي هي من قبيل القصص فلا يجتزئ بها أصلا، بل لا يجوز التلّفظ بها لكونها من الكلام المبطل «١».

و هذا إجماع من الإمامية: أن ترجمه القرآن ليست بقرآن. و في ذلك أحاديث متظافرة عن النبي و الأئمة الصادقين عليهم السلام: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «تعلموا القرآن بعربيته».

و

عن الإمام الصادق عليه السلام: «تعلموا العربية، فإنها كلام الله الذي كَلّم به خلقه و نطق به للماضين» «٢».

و لا يزال الفقهاء يفتون بالمسائل التالية:

- ١- من لا يعرف قراءة الحمد، يجب عليه التعلّم.
- ٢- و من تعذر عليه تعلّمها استبدل من قراءتها ما تيسر من سائر آيات القرآن.
- ٣- و من لم يتيسر له ذلك أيضا يعوّض عنه بما يعرفه من أذكار و أدعية على قدر سورة الفاتحة «٣»، بشرط أدائها بالعربية.
- ٤- و إذا كانت الترجمة لا تصدق عليها عنوان الذكر أو الدعاء، فغير جائزة البتة.
- ٥- و إذا كانت من قبيل الدعاء و الذكر فتجوز في الدرجة الثالثة، بناء على جواز الدعاء بغير العربية في الصلاة، و هو محلّ خلاف بين الفقهاء.

و الخلاصة: أن فقهاء الإمامية متفقون على عدم إجراء أحكام القرآن- بصورة (١) مصباح الفقيه، كتاب الصلاة، ص ٢٨٢.

(٢) راجع: وسائل الشيعة للشيخ حرّ العاملي، ج ٤، ص ٨٦٥-٨٦٦، الباب (٣٠) من كتاب الصلاة، رقم ١ و ٢.

(٣) الوسائل، ج ٤، ص ٧٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٥

عامه- على ترجمته، بأية لغة كانت. و يوافقهم على هذا الرأي أصحاب سائر المذاهب من عدا أبي حنيفة و أصحابه، فقد أجازوا في الصلاة قراءة ترجمه الفاتحة بالفارسية استنادا إلى ما روى: أنّ الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرءون ذلك في صلاتهم، حتى لانت ألسنتهم للعربية.

أما أبو حنيفة فقد أجاز ذلك مطلقا، و أمّا أصحابه (أبو يوسف و محمد) فقد أجازا لمن لا يحسن العربية «١». و كان الحبيب العجمي- صاحب الحسن البصري- يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية، لعدم انطلاق لسانه باللّغة العربية «٢».

و قد أفتى بالجواز- عند العجز- الشيخ محمد بخيت، مفتي الديار المصرية- سابقا- فتوى لأهل الترانسفال، استنادا إلى فعله الحبيب العجمي «٣»، و سيأتي تفصيل ذلك مشروحا.

هذا و من ناحية أخرى فإن الترجمة الحرفية (تحت اللفظية) تخون في التأديبه و لا تفي بإفادة المعنى المراد في كثير من الأحيان، إن لم تشوّه المعنى و تشوشه على أذهان القراء و المستمعين، على ما سبق بعض الأمثلة على ذلك، و سيأتي مزيد بيان.

و عليه فقد صحّ القول: بأن الترجمة الحرفية تذهب برواء الكلام، فضلا عن بلاغته الأولى التي كانت من أهل دلائل الإعجاز في القرآن، كما لم يصح إسناد (١) راجع: المبسوط للسرخسي، ج ١، ص ٣٧.

(٢) شرح مسلم الثبوت، بنقل المراغي شيخ الأزهر في رسالته (بحث عن ترجمه القرآن)، ص ١٧.

(٣) الأدلة العلمية لفريد و جدي، ص ٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٦

الترجمة إلى صاحب الكلام الأول، بعد تبديله إلى غيره لفظا و أسلوبا. و أخيرا فإنها تخون في تأديبه المراد في كثير من الأحيان، الأمر الذي يحتم ضرورة اجتنابها، و لا سيما في مثل القرآن العظيم.



**الترجمة المعنوية (التفسيرية)**

أما الترجمة المعنوية- الترجمة الحرّة غير المتقيّدة بنظام الأصل، إن دعت ضرورة الإيفاء بالمعنى إلى مخالفة النظم- فهو أمر معقول، و تختلف عن الترجمة الحرفية بوفائها بتمام المراد، و إن كانت توافقها في الأمرين الأولين (انتقاد دلائل الإعجاز و المميّزات اللفظية التي كانت في الأصل، و عدم إجراء أحكام القرآن عليه) أما الوفاء بالمعنى تماما فهو الأمر الذي يختص به هذا النوع من الترجمة الحرّة، على شريطة الدقّة و الإحاطة، بتمام جهات المعنى المقصودة من الكلام.

و صاحب هذا النوع من الترجمة إنّما يقوم بعملية إيفاء المعنى و بيان مقصود الكلام، و هو نوع من الشرح و التفسير، و لكن في قالب لفظي متناسب مع الأصل مهما أمكن، فهو في الغالب (بل الأكثرية الساحقة) متوافق مع الأصل في النظم و الترتيب و حتى في الأسلوب البياني، إن أمكن ذلك، و كانت اللغة المترجمة إليها متقاربة مع اللغة المترجم عنها في تلك المصطلحات و فنون المحاورّة غالبا. و المعهود أن لغات الأمم المتجاورة، قريبات بعضهنّ مع البعض في آفاق التعبير و البيان.

و الترجمة المعنوية، هي الراجحة و المتداولة في الأوساط العلمية و الأدبية، منذ عهد سحيق، و هي الوسيلة الناجحة لبثّ الدعوة بين الملأ على مختلف لغاتهم و ألسنتهم، و قد جرت عليها سيرة المسلمين و لا تزال قائمة على ساق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٧

و لا- شك أن عرض مفاهيم القرآن و حقائقه الناصعة، على ذوى الأحلام الراجحة من سائر الأمم، من أنجح الوسائل في أداء رسالة الله إلى الخلق، التي تحمّلتها عواتق هذه الأمة «١»، الأمر الذي لا يمكن إلّا بتبيين و ترجمة النصوص الإسلامية- كتابا و سنه- و عرضها بألسن الأمم و لغاتهم المألوفة «٢». و من ثم كانت ترجمة القرآن ترجمة صحيحة، ضرورة دعائيه يستدعيها صميم الإسلام و واقع القرآن، حسبما يأتي.

**المنع من الترجمة و أخطارها**

لم تسبق من علماء الإسلام نظرة منع من ترجمة القرآن، بعد أن كانت ضرورة دعائية، لمسها دعاة الإسلام من أوّل يومه. و إنّما حدث القول بعدم الجواز في عصر متأخّر (في القرن الماضي، في تركيا العثمانية، و في مقاطعاتها العربية، مثل سوريا و مصر) و لعلها فكرة استعمارية تبشيرية، محاولة لشدّ حصار قلعة الإسلام، دون نشره و بثّ تعاليم الإسلام، في المناطق غير العربية.

قال الدكتور على شواخ: فلو تدبّرنا و تعمّقنا لوجدنا أنّ القول بالمنع عاصر فتوى النصارى الغربيين و استعمارهم لبلاد الإسلام، فقد حاولوا تنصير المسلمين بكل وسيلة، و لم يكتفوا بإرسال المبشّرين في شتى الملابس، بل منعوا أيضا تدريس اللغة العربية حتى في المستعمرات العربية مثل شمال إفريقيا. و الظاهر أنهم ارادوا إتمام حصار قلعة الإسلام بمنع تراجم القرآن بلغات أجنبيّة، فالمسلمون غير العرب لا يعرفون العربية، و لن يجدوا تراجم القرآن بلغات (١) البقرة/ ١٤٣.

(٢) إبراهيم/ ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٨

يعرفونها، فتبقى الساحة فارغة للديانات الأخرى. قال أحد المبشّرين (و بتعبير أصحّ: أحد المنصّرين) لبعض علماء الإسلام الساذجين: «القرآن معجزة حقّا، لا تتحمّل بلاغته الترجمة!». فوثب هذا العالم الساذج- لشدة السرور- و قال: «الفضل ما شهدت به الأعداء!» و خطب و كتب: «القرآن تصعب أو تستحيل ترجمته»، و تبعه آخرون، و في الخطوة الثانية قالوا: «القرآن لا تجوز ترجمته».

و لكن الإنسان يدبّر، و الله يقدر. فالنصارى الذين دسوا هذه الفكرة، ظنّوا أنّ العرب سوف لا يقومون بترجمة القرآن، و لقد صدق ظنّهم بشأن العرب. أما سائر المسلمين من غير العرب، فإن التاريخ يشهد بأنهم اهتمّوا بهذا الأمر، فقاموا بالترجمة إلى لغاتهم على يد

علماء كانوا عارفين بالعربية، فترجموه إلى لغاتهم لتدريس أبنائهم و عامة أهل بلادهم الذين لم يدرسوا العربية «١».

قال الدكتور شواخ: وهكذا يتضح لنا، أن الحركة ضد ترجمة القرآن إلى سائر اللغات، انحصرت في بلاد العرب، و بالدولة العثمانية خاصة! «٢» و على هذا الغرار ساق الأستاذ الشاطر- رأس المعارضين- أدلة في المنع عن الترجمة، و ذكر أخطارا سوف تتجه نحو حامية الإسلام الحصيئة (القرآن الكريم) إن أصبح عرضة للترجمة إلى لغات أجنبية، نذكر أهمها:

١- يقول: إن الترجمة تضيع بالقرآن، كما ضاعت التوراة و الإنجيل من جزاء ترجمتهما إلى غير لغتهما الأصل، فقد ضاع الأصل بضياع لغته و ضياع الناطقين بها. فيخشى أن يحلّ بالقرآن- لا سمح الله- لو ترجم إلى غير لغته، ما حلّ بأخويه (١) و سيوافيك- في نهاية المقال- جدول عن مائة و ثمانى عشرة لغة حية ترجم القرآن إليها، على يد أبنائها الغيارى على الإسلام، و لا تزال تتزايد مع اتساع رقعة الزمان.

(٢) معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور على شواخ إسحاق، ج ٢، ص ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٩

من ذى قبل! «١» قلت: هذا قياس مع الفارق؛ إذ السبب في ضياع التوراة و كذا الإنجيل، إنما يعود إلى إخفاء الأصل عن العامة و إبداء تراجمهما المحرّفة للناس، لغرض التمويه عليهم. كان الأحبار و القساوسة يدأبون في تحريف تعاليم العهدين تحريفا في معانى الكلم دون نصّ اللفظ؛ إذ لم يكن ذلك بمقدورهم، فعمدوا إلى تفسيرهما على غير وجهه، و إبداء ذلك إلى الملأ باسم التعاليم الإلهية الأصيلة.

قال تعالى- بشأن التوراة:- الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَ هُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَائِيسَ يُتَدُونَهَا وَ تُخْفُونَ كَثِيرًا ... «٢»، أى تبتدون منه مواضع و تخفون أكثره.

و قد أسبقنا- في مسألة تحريف الكتاب- أن التحريف في العهدين إنما يعنى التحريف في معناهما؛ أى التفسير على غير وجهه، الأمر الذى حصل في تراجم العهدين دون نصّهما.

قال تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ «٣» و قال: قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «٤».

فالكارثة كل الكارثة إنما هي في إخفاء نصّ العهدين الأصليين عن أعين الناس، و هذا هو السبب الوحيد لضياعهما، دون مجرد ترجمتهما. (١) القول السديد، ص ١٥-١٦.

(٢) الأنعام / ٩١.

(٣) المائدة / ٦٨.

(٤) آل عمران / ٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٠

أما القرآن فهو الكتاب الذى يتعاهده المسلمون جيلا بعد جيل، بل العالم كله من مسلم معتقد و آخر محقق مضطلع، يحرسون على نصّ القرآن العزيز، و قد قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ «١»، أى فى صدور الرجال و على أيدي الناس، الأولياء و الأعداء جميعا، معجزة قرآنية خالدة.

٢- يقع- بطبيعة الحال- اختلاف بين التراجم؛ لاختلاف السلائق بل العقائد التى يذهب إليها كل مذهب من المذاهب، و كذا اختلاف المواهب و الاستعدادات فى فهم معانى القرآن و ترجمتها وفق الأفهام و الآراء المتضاربة؛ و لهذا الاختلاف فى تراجم القرآن آثار سيئة؛ إذ يستتبعها اختلاف الاستفادة و استنباط الأحكام و الآداب الشرعية، و كل قوم من الأقوام إنما يرتئى حسب ما فهم من الترجمة التى أتاحت له، و ربّما لا يدري مدى اختلافها مع سائر التراجم «٢».

لكن هذا خروج عن مفروض الكلام، فإن للترجمة ضوابط يجب مراعاتها، ولا سيما ترجمة القرآن الكريم، يجب أن تكون تحت إشراف لجنة رسمية، ومن هيئة علماء وأدباء اختصاصيين برعاية حكومة إسلامية قاهرة، لا تدع مجالاً لتناوش أيدي الأجانب فيجعلوا القرآن عظيم، كما هو الشأن في رسم خط المصحف الشريف، وطباعته على أصول مقررة، تحفظه عن الاختلاف والاضطراب. نعم يجب أن يعلم كل الأمم الإسلامية، أن الترجمة لا تضمن واقع القرآن، وأن المصدر للاستنباط واستخراج الأحكام والسنن للمجتهدين هو نص القرآن (١) الحجر / ٩.

(٢) محمد مصطفى الشاطر في «القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد»، ص ١٧-١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣١

الأصل، ليس ما سواه. هذا أمر يجب الإعلان به، فلا يذهب وهم الواهين إلى حيث لا ينبغي.

نعم، على كل محقق إسلامي أن يتعلم القرآن بلغته العربية الفصحى، وليست الترجمة بذاتها لتفي بمقصوده أو تشبع نهمه.

٣- أن للقرآن في كثير من آياته حقائق غامضة، قد تخفى على كثير من العلماء، وقد يعلمها غيرهم ممن جاء بعدهم؛ ولذلك أمثلة كثيرة. فلو ترجمنا القرآن وفق معلومنا اليوم، ثم جاء الغد ليرتفع مستوى العلوم وينكشف من حقائق القرآن ما كان خافياً علينا، فهل نخطئ أنفسنا بالعلانية ونغير الترجمة ونعلن للملأ، أن الذي ترجمناه أمس أصبح خطأ، وأن الصحيح غيره.

فما ذا يقول لنا الناس؟ وما الذي يضمن بقاء ثقتهم اليوم كثقتهم بالأمس؟ ثم ضرب لذلك أمثلة:

١- منها: قوله تعالى: وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (١) فَيَسِّرُ الْقَدَامَى «الزوجين» بالصفين. ثم جاء العلم الحديث ليكشف النقاب عن المعنى الصحيح، وهو أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى (٢).

قال: فلو حصلت الترجمة وفق التفسير الأول لأضاعت على قارئها تلك الحقيقة التي أظهرها العلم الحديث! (١) الرعد / ٣.

(٢) وللآيات التي يذكرها معاني أخر أوفى سوف نتعرض لها، ولقد اشتبه على الأستاذ الشاطر مواضع كثيرة من هذه الآيات، فنتبه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٢

٢- ومنها: قوله تعالى: وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ (١). فقد فسّر «تثير» بمعنى «تسوق»، وبذلك قد ضاع المعنى البديع الذي أصبح معجزة للقرآن. وهو أن لفظ «تثير» من الإثارة وهو التهيج، نظير تهيج الغبار والدخان، وهذا مبدأ «عملية التبخير» وتكوين الأمطار. فإن التبخير يحصل من الحرارة المركزية والحرارة الجوية والرياح، أي لا بد من هذه العوامل الثلاثة لتكوين «عملية التبخير»، ثم بعد ذلك تحمل الرياح هذا البخار إلى حيث شاء الله، وهذا المعنى لم يظهر إلّا حديثاً.

٣- ومنها: قوله تعالى: وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (٢). فسّروا «الأوتاد» بكثرة الجنود، أو أنها كانت مسامير أربعة كان يعذب الناس بها. وقد تبين الآن أن المراد هي هذه الأهرام وهي تشبه الجبال، وقد عبر القرآن عن الجبال بالأوتاد في قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٣).

٤- ومنها: قوله تعالى: وَالْأَرْضَ بَعِيدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٤). فسّر «الدحو» بعض المفسرين بالبسط. فلو ترجم إلى هذا المعنى ضاع المعنى الذي يؤخذ من «الدحو»، وهو التكوير غير التام، كتكوير البيضة مع الدوران. ولا يزال أهل الصعيد - وأصل أكثرهم عرب - يعبرون عن «البيض» بالدحو أو الدحي أو الدح. (١) فاطر / ٩.

(٢) الفجر / ١٠.

(٣) النبأ / ٧.

(٤) النازعات / ٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٣

٥- وكذلك إذا ترجم قوله تعالى: يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ (١) بما يقوله بعض المفسرين (٢)، ذهب المعنى

المستفاد من الآية، و هو كروية الأرض؛ لأن تكوير الضوء أو تقوسه يستلزم تكوير المضاء و تقوسه؛ لأنّ النور و الظلمة إنما يتشكلان بأشكال الجسم الواقعين عليه. فلو ترجمت الآية بذلك المعنى (التغشية) ثم دللتنا الأدلة على صحة المعنى الثاني، لكننا قد خسرنا معجزة من معجزات القرآن.

قال الأستاذ الشاطر: إنى لأخشى أن ينطبق علينا

الحديث الشريف: «لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبّ خرب لا تبعتموهم.

قيل: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اليهود و النصارى؟ قال: فمن؟!» (٣)

## دفاع حاسم

و لقد أحسن الأستاذ محمد فريد و جدى الدفاع عن «مشروع ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية» و أجاب عن اعتراض الأستاذ (الشاطر) قائلا: نحن نعتقد أنّ القرآن كتاب لا تنقضى عجائبه و لا يدرك غوره، كما يعتقد الأستاذ (الشاطر) و لكننا لا نذهب بالغلوّ فى هذا المعنى إلى درجة التعطيل، و اعتباره طلسمًا تضلّ العقول فى فهمه، و لا تصل منه إلى حقيقة ثابتة. فإنّ هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه، فقد وصفه فى غير آية بأنه آيات بينات، و بأنه منزل ليتدبرّ الناس هذه الآيات، حتى (١) الزمر/ ٥.

(٢) فسروا «التكوير» بمعنى التغشية.

(٣) أخرجه مسلم، ج ٨، ص ٥٧. راجع القول السديد، ص ٢١-٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٤

قال: وَ لَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ «١»، أى سهّلناه للتعاظ. و كرّرت هذه الآية أربع مرات فى سورة واحدة! فلا يجوز أن ندعى أنّ ما يسره الله للتدكر و الاتعاظ، معنى لا يمكن فكّه، و طلسم لا يستطيع حلّه.

نعم إنّ المفسرين بعد القرنين الأولين تذرّعوا بالفنون الآلية التى وضعوها لضبط قواعد اللّغة، من: نحو و بيان و بديع و معانى، إلى زيادة التعمق فى تمحيص الآيات لهذا السبب- و أكثر هذا التعدّد آلى محض- و لكن المعانى لم تخرج قطّ عن دائرة الفهم، فلم يدع أحد أنّ القرآن لم يفهم فى عصر من العصور، و لا- سيما الآيات المحكمات. و كيف يمكن أن يقال: إنّ محكمات القرآن لم تفهم على حقيقتها، و قد انبنى عليها الدين كله عقائده و عباداته و معاملاته؟! فاللجنة التى ستدعى لترجمة القرآن ستنظر فى المعانى التى قرّرها أئمة التفسير، فإنّ أنسوا فى بعضها- خلافا بينهم- عمدوا إلى اختيار ما رضىه جمهورهم، مشيرين فى الهامش إلى بقية الاحتمالات؛ فتكون الترجمة قد استوعبت جميع الآراء.

هذا فى آيات العقائد و العبادات و المعاملات. و أمّا الآيات الكونية و التاريخية و المتشابهات، فإنّ اللّجنة ستترجم معانيها على ما يحتمله اللفظ العربى، و لا- تتعرض لشرحها، فمثل قوله تعالى: وَ اللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَاحِبًا ... مثل هذه الآية تتولّاها لجنة التفسير فتعطى معناها الصحيح للجنة الترجمة لترجمه، دون أن تتعرض- هذه الأخيرة- لما تشير إليه الألفاظ من الدلالات العلمية. و لكنها تجتهد فى ترجمة كلمة «ثير» مثلا لتكون واجدة لجميع (١) القمر/ ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٥

خصائصها اللّغوية «١»، تاركه دلالاتها العلمية إلى عقول القارئ، تفاديا من الوقوع فى مثل هذا الخطأ الكبير الذى وقع فيه الأستاذ (الشاطر) فى هذا الموطن نفسه «٢»، و حفظا للقرآن الكريم مما عسى أن يرجع عنه العلم من مقرّراته الحالية، و هو دائم التغير بطبيعته. قال: و هنا يسوغ لنا أن نقول: إذا جرينا على مذهب الأستاذ الشاطر فى تفسير الآيات و ترجمتها، ثم رجع العلم عن رأيه الأول، أن نعيد إذ ذاك ترجمة القرآن، أم نترك الترجمة على خطائها. و لكن الترجمة على الأسلوب الذى ذكرناه فلا تجعل محلا لمثل هذا الندم؛ لأن الكلمة قد تبدلت إلى ما يرادفها فى الإفادة، من دون التعرّض للشرح و البيان، تاركين ذلك إلى فهم القراء، كما هو الحال بالنسبة

إلى الكلمة في موضعها من القرآن (٣).

و أما الآيات التي استشهد بها، فأظنه مشتبهها فيها، فضلا عن أن الاختلاف في الترجمة لا يزيد خطرا عن الاختلاف في التفسير الذي لا محيص عنه البتة.

وقد تعرّض الأستاذ و جدى لبيان الآيات على وجه يخالف رأى الأستاذ الشاطر، نذكرها على الترتيب:

أما الآية الأولى التي قال فيها: لكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر و أنثى. (١) و قد جاءت ترجمه كلمة «تثير» في التراجم الفارسيه ب «بر مى انگيزد»، لأن معنى «الإثارة» بالفارسيه «برانگيختن». و هى تنطبق مع الكلمه فى العرييه تماما.

(٢) سنذكر مواضع اشتباهه.

(٣) راجع: الأدلة العلمية على جواز ترجمه معانى القرآن، بقلم الأستاذ و جدى، ص ٢٨-٣٠، (ملحق العدد الثانى من مجله الأزهر، ع ١/ ١٣٥٥)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٦

فقال الأستاذ و جدى: هذا خطأ؛ إذ الثمار ليس فيها ذكر و لا أنثى على الإطلاق، نعم إن الذكوره و الأنوثة من أعضاء الأزهار لا الأثمار. فقد يكون هناك عضوان ذكر و أنثى فى زهرة واحدة، و قد يكونان فى زهرتين من نفس الشجرة، أو فى زهور شجرتين مستقلتين. و هذا اللقاح النباتى كان معروفا منذ أقدم العصور، حتى أن عرب الجاهلية كانوا يعرفونه، فكانوا يلقحون إناث النخيل بالطلع المستخرج من ذكورها.

إذن فلم يكن هذا المعنى خافيا على المفسرين القدامى، و من ثم أخذوا الآية حسب مفهومها الظاهر اللغوى، و هو الصحيح، بعد ملاحظة آية أخرى جاء فيها وصف الجنّتين اللتين وعد الله بهما المتقين، قال تعالى: فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (١) و لا- يمكن صرف هذه الآية بحال من الأحوال إلى المعنى الذى أراده الأستاذ (الشاطر) و الآية الثانية، التى جعل لفظه «تثير» فيها إشارة إلى «عملية التبخير» بفعل الحرارة و الرياح، فالمعروف فى علم الطبيعة أن عملية التبخير- فى المياه و الرطوبات- إنما تقوم على فعل الحرارة المركزية للأرض، و الحرارة الجوىة للشمس، أما الرياح فلا دور لها فى ذلك، و لم يقل به أحد من العلماء.

و قد كان العلماء منذ خمسمائة عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام يعرفون تكوّن الأبخرة الأرضية، التى هى المؤلفة للسحب. و هذه كتب الطبيعات القديمة شاهده بذلك، و ليس أمرا اكتشفه العلم حديثا.

و الآية الثالثة- التى زعم «الأوتاد» فيها هى الأهرام- فلا يمكن المصادقة عليه، بعد أن كان السبب فى إطلاق «الوتد» على الجبل باعتبار تأثيره فى ضبط الأرض (١) الرحمن / ٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٧

عن الميدان و عن التفّت و الاندثار، الأمر الذى يرجع إلى ضخامته و صلابته، مما لا تناسب بينه و بين أكبر هرم من أهرام مصر، الذى يبلغ ارتفاعه مائة و خمسين مترا، و طول قاعدته عن ثلاثمائة و ثلاثة و ثلاثين مترا. فأين ذلك من جبل «هماليا» الذى يزيد ارتفاعه عن ثمانية آلاف متر و ثمانمائة متر، و يشغل شمالى الهند كله.

أو جبال أنده فى أمريكا الجنوبية التى يبلغ طول قاعته نحو سبعة آلاف كيلومترا، و ارتفاعها بضعة آلاف متر. لا جرم كان أطول الأهرام لا- يساوى أصغر تلال الأرض، فلا يتناسب و الإطلاق و تد الأرض عليه؛ إذ لا مناسبة حينذاك. على أن «الأهرام» هى قبور فراعنة مصر ممن سبقوا فرعون موسى نحو ثلاثة آلاف عام، و لم يكن هذا الأخير ممن شيدها، فكيف يصح نسبتها إليه؟! و الآية الرابعة، و كذا الخامسة، فإن الذى ذكره احتمال، لا- نستبعد إمكان الدلالة عليه إجمالا، لكن ليس من الحتم، فهو احتمال كسائر

الاحتمالات التى تحتملها جلّ آيات الذكر الحكيم، كما

قال على عليه السلام: «القرآن حمال ذو وجوه»،

لكن لا يرتبط الأمر وقضية إمكان الترجمة بشكل يبقى احتمالات اللفظ على حالها في الترجمة، كما هي في الأصل. وعلى أية حال فليست الترجمة بذاتها مما يتنافى واحتمالات لفظ القرآن، إن كانت الترجمة- كما ذكره الأستاذ و جدى «١»- قائمة على أصولها حسبما عرفت.

### الترجمة من الوجهة الشرعية

سبق أن الغاية من الترجمة هي الإيفاء بمفاهيم القرآن و إيضاح ما يحويه هذا الكتاب السماوى الخالد، إيضاحا بسائر اللغات لسائر الأمم، تقريبا لهم إلى تعاليم (١) راجع: الأدلة العلمية، ص ٣١-٣٥. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٨ القرآن و آداب الإسلام و أحكامه و سننه، الأمر الذى لا بأس به- فضلا عن كونه من ضرورة الدعاء إلى الإسلام- ما دام لا تعتبر الترجمة قرآنا، بل ترجمة له محضا. فلا تشملها أحكام القرآن الخاصة به، و إنما شأنها شأن التفسير الذى وضع على أساس الإيجاز و الإيفاء حسب المستطاع. و أما

الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «تعلّموا القرآن بعربيته» ، فإنما هو حثّ على تعلّم العربية؛ حيث عبادات الإسلام عربيته، و على كل مسلم أن يتقنها مهما أمكن. قال الإمام الصادق عليه السلام: «تعلّموا العربية فإنها كلام الله الذى كلم به خلقه و نطق به للماضين» و روى ابن فهد الحلبي في «عدة الداعي ص ١٨» عن الإمام الجواد عليه السلام، قال: ما استوى رجلان في حسب و دين قطّ إلا كان أفضلهما عند الله- عزّ و جلّ- أأدبهما. قال الراوى: قلت: قد علمت فضله عند الناس فى النادى و المجلس، فما فضله عند الله؟ قال عليه السلام: بقراءة القرآن كما أنزل، و دعائه من حيث لا يلحن؛ و ذلك أنّ الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله. هذا إن أريد قراءة القرآن ذاته، و ليس نهيا عن تفسيره أو ترجمته بغير لغة العرب إذا دعت الضرورة إلى ذلك، كما تبيننا. و مع ذلك فقد أجزى القراءة بلحن غير عربى لمن يتعذر عليه التلّحج بلهجة العرب. قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «إن الرجل الأعجمى من أمتى ليقرا القرآن بعجميته، فترفعه الملائكة على عربيته» (١).

### وثائق شرعية

### إشارة

لم يبحث علماؤنا السلف رحمهم الله عن مسألة «ترجمة القرآن إلى سائر اللغات» بحثا مستوفى يشمل جوانب المسألة و فى تمام أبعادها بتفصيل، و إنما جاء (١) الأحاديث مستخرجة من كتاب الوسائل، ج ٤، ص ٨٦٦. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٩

كلامهم عن الترجمة عرضا عند التكلّم فى شروط القراءة فى الصلاة. و يبدو من كلماتهم هناك: أنّ الترجمة فى حدّ ذاتها لا ضير فيها، و من ثم وقع البحث منهم فى جواز قراءتها فى الصلاة بدلا عن الفاتحة بحثا ثانويا، مفروغا عن جواز أصل الترجمة ذاتها. كما أنه فى طول حياة المسلمين، قام رجال من أهل الفضيلة و الأدب بترجمة القرآن، تماما أو بعض آية و سورة، عرضا على أناس كانوا لا يحسنون العربية «١»، و كان ذلك بمراى و مسمع من فقهاء الإسلام من غير نكير منهم، مما ينبؤك عن تسالمهم على الجواز،

و لا سيما للهدف المذكور.

نعم صدرت- أخيراً- فتاوى بشأن جواز الترجمة، و كتب كثيرون حول المسألة، نقضا و إبراما. أما الفقهاء فقد توافقوا على الجواز، بشروط ذكروها، و قد نوهنا عن طرف منها. و نورد هنا بعضا من تلك النظرات و الآراء:

### فتوى الحجة كاشف الغطاء

جاء فيما كتبه سماحة الحجة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء- تغمده الله برحمته- جوابا على استفتاء الأستاذ عبد الرحيم محمد على، بشأن جواز ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية- ما نصه:-

«إذا أمعنا النظر في هذه القضية نجد أن إعجاز القرآن الذي أدهش العلماء، بل و أدهش العالم، يرجع إلى أمرين: فصاحة المباني إلى فصاحة الألفاظ، و بلاغة الأساليب و التراكيب. و الثاني قوة المعاني. و ما في القرآن من التشريع البديع و الوضع الرفيع، و الأحكام الجامعة في صلاح البشر عامة من العبادات و الاجتماعيات، يعنى من أول كتاب الطهارة إلى الحدود و الديات، بعد العقائد (١) سوف نوفي لك عن تراجم عقيدة قام بها رجال الإسلام منذ عهد قديم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٠

المبرهنة في التوحيد و النبوة و المعاد. و بالجملة فقد تكفل القرآن بصلاح عامة البشر معاشهم و معادهم بما لم يأت بمثله أى كتاب سماوى، و أى شريعة من الشرائع السابقة. و لا شك أن الترجمة مهما كانت من القوة و البلاغة في اللغة الأجنبية فإنها لا تقدر على الإتيان بها بلسان آخر، مهما كان المترجم قويا ماهرا في كلتا اللغتين العربية و الأجنبية. فإذا صحت الترجمة و لم يكن فيها أى تغيير و تحريف، فهي جائزة، بل نقلها واجب على المقتدر فردا كان أو جماعة؛ لأن فيها أبلغ دعوة للإسلام و دعاية للدين، و يشمله قوله تعالى: «وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ (١)» و أى خير أهم و أعظم من الدعوة إلى الإسلام! و لم تزل ترجمة القرآن باللغة الفارسية شائعة من زمن قديم، و لم يذكر أحد من علمائنا الأفاضل رحمهم الله المنع عنها، و إذا جاز بالفارسية جاز بغيرها قطعاً. و بهذا البيان لا حاجة إلى التمسك بأصالة الإباحة و نحوها، فإن الأمر أوضح و أصح و أجلى من أن يحتاج إلى دليل أو أصل أصيل، و حسبنا الله و نعم الوكيل» (٢).

### نظرة الإمام الخوئي

لسيدنا الأستاذ الإمام الخوئي- دام ظله- نظرة وافية بشأن ترجمة القرآن إلى سائر اللغات، ذكرها في ملحق كتابه «البيان» مع إشارة إجمالية إلى شروطها الأولية، و إليك نصها:

«لقد بعث الله نبيه لهداية الناس فعززه بالقرآن، و فيه كل ما يسعدهم و يرقى بهم إلى مراتب الكمال. و هذا لطف من الله لا يختص بقوم دون آخر، بل يعم (١) آل عمران/ ١٠٤.

(٢) نقلا عن رسالة «القرآن و الترجمة» بقلم الأستاذ عبد الرحيم، ص ٣-٤، طبعة النجف الأشرف، ١٣٧٥ هـ. ق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤١

البشر عامة. و قد شاءت حكمته البالغة أن ينزل قرآنه العظيم على نبيه بلسان قومه، مع أن تعاليمه عامة و هدايته شاملة؛ و لذلك فمن الواجب أن يفهم القرآن كل أحد ليتهدى به. و لا شك أن ترجمته مما يعين على ذلك، و لكنه لا بد أن تتوفر في الترجمة براعة و إحاطة كاملة باللغة التي ينقل منها القرآن إلى غيرها؛ لأن الترجمة مهما كانت متقنة لا تفي بمزايا البلاغة التي امتاز بها القرآن، بل و

يجرى ذلك في كل كلام؛ إذ لا يؤمن أن تنتهي الترجمة إلى عكس ما يريد الأصل. ولا بدّ إذن في ترجمة القرآن من فهمه، و ينحصر فهمه في أمور ثلاثة: ١- الظهور اللفظي الذي تفهمه العرب الفصحى، ٢- حكم العقل الفطري السليم، ٣- ما جاء من المعصوم في تفسيره. و على هذا تتطلّب إحاطة المترجم بكل ذلك لينقل معناها إلى لغة أخرى. و أما الآراء الشخصية التي يطلقها بعض المفسرين في تفاسيرهم، و لم تكن على ضوء تلك الموازين، فهي من التفسير بالرأى و ساقطة عن الاعتبار، و ليس للمترجم أن يتكل عليها في ترجمته. و إذا روعى في الترجمة كل ذلك، فمن الراجح أن تنقل حقائق القرآن و مفاهيمه إلى كل قوم بلغتهم؛ لأنها نزلت للناس كافة. و لا ينبغي أن تحجب ذلك عنهم لغة القرآن، ما دامت تعاليمه و حقائقه لهم جميعا» (١).

### كتاب شيخ الأزهر

جاء في كتاب رسمي قدّمه شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى رئيس مجلس الوزراء المصري عام (١٣٥٥ هـ. ق) ما نصّه:

«اشتغل الناس قديما و حديثا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة، و تولّى ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم و لكنهم لا يجيدون اللغة العربية، (١) البيان- قسم التعليقات- رقم ٥، ص ٥٤٠، (ط نجف)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٢

و لا يفهمون الاصطلاحات الإسلامية، الفهم الذي يمكنهم من أداء معاني القرآن على وجه صحيح؛ لذلك حدث في التراجم أخطاء كثيرة، و انتشرت تلك التراجم و لم يجد الناس غيرها، فاعتمدوا عليها في فهم أغراض القرآن الكريم و فهم قواعد الشريعة الإسلامية، فأصبح لزاما على أمية إسلامية كالأمية المصرية التي لها المكان الرفيع في العالم الإسلامي أن تبادر إلى إزاحة هذه الأخطاء، و إلى إظهار معاني القرآن الكريم نقيته في اللغات الحيّة لدى العالم.

و لهذا العمل أثر بعيد في نشر هداية الإسلام بين الأمم التي لا تدين بالإسلام، ذلك أن أساس الدعوة إلى الدين الإسلامي إنما هو الإدلاء بالحجة الناصعة و البرهان المستقيم. و في القرآن من الحجج الباهرة و الأدلة الدامغة ما يدعو الرجل المنصف إلى التسليم بالدين و الإذعان له.

و فائدة أخرى للأمم الإسلامية التي لا تعرف العربية و تشرّب أعناقها إلى اقتطاف ثمرات الدين من مصدرها الرفيع، فلا تجد أمامها إلّا تراجم قد ملئت بالأخطاء. فإذا ما قدّمت لها ترجمة صحيحة تصدرها هيئتها مكانتها الدينيّة في العالم، اطمأنت إليها و ركنت إلى أنّها تعبّر عن الوحي الإلهي تعبيرا دقيقا.

و نرى أن عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الذي تمت فيه أعمال جليّة لخير الإسلام و المسلمين، خليق بأن يتم هذا المشروع الجليل، أطال الله بقاء جلالته نصيرا للعلم و الدين.

لذلك أقترح: أن يقرّر مجلس الوزراء ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة رسميّة، على أن تقوم بذلك مشيخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف، و أن يقرّر مجلس الوزراء الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل، فأرجو النظر في هذا ..».

و هناك كتاب رسمي آخر من وزير المعارف المصريّة إلى رئيس مجلس

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٣

الوزراء، بشأن تأييد كتاب شيخ الأزهر و التأكيد من إنجاز الطلب (١).

### فتوى علماء الأزهر



قدّم إلى هيئة علماء الأزهر استفتاء بشأن ترجمة القرآن إلى سائر اللغات، ضمّنه الشروط المقرّرة لهذا المشروع. فكان الجواب هي الموافقة الصريحة.

و إليك نصّ الاستفتاء مشفوعاً بجوابه:

«ما قول السادة أصحاب الفضيلة العلماء في السؤال الآتي بعد ملاحظة المقدمات الآتية؟»

١- لا شبهة في أنّ القرآن الكريم اسم للنظم العربي الذي نزل على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا شبهة أيضاً في أنه إذا عبّر عن معاني القرآن الكريم بعد فهمها من النصّ العربي بأيّ لغة من اللغات، لا تسمى هذه المعاني ولا العبارات التي تؤدّي هذه المعاني قرآناً.

٢- ومما لا خلاف فيه أيضاً أنّ الترجمة اللفظية، بمعنى نقل المعاني مع خصائص النظم العربي المعجز مستحيلة.

٣- وضع الناس تراجم للقرآن الكريم بلغات مختلفة اشتملت على أخطاء كثيرة، واعتمد على هذه التراجم بعض المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربيّة، وبعض العلماء من غير المسلمين ممن يريد الوقوف على معاني القرآن الكريم.

٤- وقد دعا هذا التفكير في نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى على الوجه الآتي: يراد- أولاً- فهم معاني القرآن الكريم بواسطة رجال من خيرة علماء الأزهر الشريف، بعد الرجوع لآراء أئمة المفسرين، وصوغ هذه المعاني بعبارات دقيقة محدودة. ثم نقل المعاني التي فهمها العلماء، إلى اللغات الأخرى، (١) راجع: كتاب «حدث الأحداث» للشيخ محمد سليمان، ص ٣٣-٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٤

بواسطة رجال موثوق بأماناتهم واقتدارهم في تلك اللغات؛ بحيث يكون ما يفهم في تلك اللغات من المعاني هو ما تؤدّيه العبارات العربيّة التي يضعها العلماء.

فهل الإقدام على هذا العمل جائز شرعاً أو هو غير جائز؟

هذا مع العلم بأنه سيوضع تعريف شامل يتضمّن أنّ الترجمة ليست قرآناً، وليس لها خصائص القرآن، وليست هي ترجمة كل المعاني التي فهمها العلماء، وأنه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النصّ العربي للقرآن الكريم».

وجاء الجواب ما نصّه:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد فقد أطلعنا على جميع ما ذكر بالاستفتاء المدوّن بباطن هذا، ونفيد بأن الإقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلاً في السؤال، جائز شرعاً، والله سبحانه وتعالى أعلم».

وقد وقّعه كبار علماء الأزهر وأسماؤهم كما يلي:

محمود الدنياوي عضو جماعة كبار العلماء، و شيخ معهد طنطا.

عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين، و عضو جماعة كبار العلماء.

إبراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربيّة و عضو جماعة كبار العلماء.

محمد مأمون الشناوي شيخ كلية الشريعة و عضو جماعة كبار العلماء.

عبد المجيد سليم مفتي الديار المصريّة و عضو جماعة كبار العلماء.

محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر و عضو جماعة كبار العلماء.

دسوقي عبد الله البدرى عضو جماعة كبار العلماء.

أحمد الدلبشاني عضو جماعة كبار العلماء.

يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء.

محمد سبيع الذهبي شيخ الحنابلة و عضو جماعة كبار العلماء.

عبد الرحمن قراءة عضو جماعة كبار العلماء.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٥

أحمد نصر عضو جماعة كبار العلماء.

محمد الشافعي الظواهري عضو جماعة كبار العلماء.

عبد الرحمن عليش الحنفي عضو جماعة كبار العلماء.

و عقّب شيخ الجامع الأزهر محمد مصطفى المراغي على الفتوى المذكورة بالنص التالي، و أبدى موافقته لهم في الجواب. و هذا نصّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. و جّهت هذا السؤال إلى حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء. و إنّي أوافقهم على ما رأوه».

رئيس جماعة كبار العلماء محمد مصطفى المراغي

### قرار مجلس الوزراء المصري

أقرّ مجلس الوزراء المصري المشروع و وافق عليه، و أدخل عليه عشرة آلاف جنيه في ميزانية السنّة الجديدة، لتنفيذ بعضها في ميزانية وزارة المعارف، و بعضها في ميزانية الجامع الأزهر، و بعضها في ميزانية المطبعة الأميرية. و أصبح المشروع نافذ المفعول من الوجهة القانونية، و استوفى الإجراءات من الناحيتين العلمية و الرسمية، و هذا قرار مجلس الوزراء المصري كما يلي:

«بعد الاطلاع على كتاب فضيلة شيخ الجامع الأزهر، و كتاب سعادة وزير المعارف العمومية، بشأن ترجمة معاني القرآن الكريم، و مع تقدير مجلس الوزراء لمشقّة هذا العمل و صعوبته، و منعا لإضرار التراجم المنتشرة إلى الآن، رأى بجلسته المنعقدة في (١٢ أبريل /

١٩٣٦ م) الموافقة على ترجمة معاني القرآن الكريم، ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر، بمساعدة وزارة المعارف

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٦

العمومية؛ و ذلك وفقا لفتوى جماعة كبار العلماء، و أساتذة كلية الشريعة». (١)

### محاولة دون تنفيذ القرار

تكتلت الجماعة المعارضة بزعامه الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا، و قاومت المشروع مقاومة عنيفة. و انحاز إليهم شخصيات كبيرة، أمثال الشيخ محمد الأحمدى الظواهري، شيخ الجامع الأزهر السابق و العضو في هيئة كبار العلماء، فلم يشهد الاجتماع الذي عقدته هيئة كبار العلماء لإقرار المشروع، و لم يوافق عليه، أضف إلى ذلك أنه أرسل كتابا إلى على ماهر باشا رئيس الوزارة السابقة، يحمله على رفض المشروع.

و عقد مقاومو المشروع اجتماعات، و أسسوا جمعية لمقاومته، و وزّعوا بعض نشرات، و طافوا بمضابط في الأسواق، يسألون الناس توقيعها، فوقعها كثيرون يعدّون بالألوف، و رفعوها إلى البرلمان. و أصدر فريق كبير من العلماء فتوى ضدّ المشروع، و في مقدّماتهم

الشيخ موسى الغراوى رئيس المحكمة الشرعية العليا السابق، و غيره من قضاة المحاكم الشرعية و رؤسائها، و رفعوها إلى البرلمان.

و تألّف حزب في البرلمان، بزعامه الشيخ عباس الجمل المحامى الشرعى، يضمّ عددا كبيرا من النواب و الشيوخ لمقاومة المشروع، و الإلحاح بحذف المخصّصات المرصدة له في الميزانية.

و أرسل فريق من أهل الشام و فلسطين و العراق كتباً إلى رئيس الوزراء (النحاس باشا) يطلبون إليه بكل إلحاح و يستحلفونه باسم

الإيمان الذي يملأ صدره و باسم القرآن و الدين، أن يحول دون ترجمة القرآن. (١) حدث الأحداث، ص ٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٧

فكانت مغتبه هذه النعرات المعارضه أن حالت دون تحقيق المشروع و أوقفته و شيك تنفيذه. و قام النحاس باشا بحل المشكلة شكليا، فقرر ترجمة تفسير جديد للقرآن دون ترجمه نفسه؛ و بذلك حاول إرضاء كلا الفريقين ظاهريا، و تخلص بنفسه عن خوض المعركة، فانتهت بهذا الشكل الاسمي الباهت! «١».

### مناقشات فقهية

سبق أن فقهاء الإمامية متفقون على أن الترجمة ليست قرآنا، ذلك الكتاب العلي الحكيم، الذي لا- يمسه إلا المطهرون. فبالتالي لا تجرى عليها الأحكام الخاصة بالقرآن، التي منها جواز القراءة بها في الصلاة. و قد عرفت كلام المحقق الهمداني: عدم أجزاء الترجمة عن القراءة في الصلاة، حتى للعاجز عن النطق بالعربية. و هذا إجماع من علمائنا- قديما و حديثا- أن الترجمة ليست قرآنا إطلاقا. أما سائر المذاهب، فقد ذهب أبو حنيفة إلى جواز قراءة الترجمة بدلا عن القرآن نفسه، مطلقا سواء أقر على العربية أم عجز عنها، و استدل على ذلك بأن القرآن الواجب قراءته في الصلاة، هي حقيقة القرآن و معناه الذي نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لقوله تعالى: وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ «٢»، إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى «٣»، و الضمير في «أنه»، و الإشارة في «إن هذا» إنما هو للقرآن، و معلوم أنه لم يكن في تلك الصحف إلّا معانيه. (١) راجع: مجلة الرابطة العربية المصرية. صفر و ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ. ق. يونيو سنة ١٩٣٦ م.

(٢) الشعراء/ ١٩٦.

(٣) الأعلى/ ١٨-١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٨

و أيضا قوله تعالى: وَ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ «١». و إنما ينذر كل قوم بلسانهم «٢». و زاد السرخسي استدلال أبي حنيفة بما روى أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي، أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرءون ذلك في صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية «٣».

أما أصحابه (أبو يوسف و محمد) فقد أجازا قراءة الترجمة للعاجز عن العربية دون القادر عليها، و بذلك أفتى الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية في فتوى له لأهل الترانسفال، قال فيها: «و تجوز القراءة و الكتابة (أى للقرآن) بغير العربية للعاجز عنها، بشرط أن لا يختل اللفظ و لا المعنى. فقد كان تاج المحدثين الحسن البصري يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية! لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية» و قد أرسل بها إلى مسلمي الترانسفال سنة (١٩٠٣ م) و نشرتها مجلة المنار في ذلك الحين «٤».

و بقية المذاهب وافقوا الإمامية في المنع إطلاقا، فلا يجوز عندهم قراءة الفاتحة بغير العربية على كل حال «٥». (١) الأنعام/ ١٩.

(٢) راجع: المغنى لابن قدامة، ج ١، ص ٥٢٦. و مدارك الأحكام للعالمى، ج ٣، ص ٣٤١. و رسالة ترجمة القرآن للمراغى، ص ٩.

(٣) المبسوط للسرخسي، ج ١، ص ٣٧. و فى رواية تاج الشريعة الحنفى زيادة «فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم: بنام يزدان بخشاوند... و بعد ما كتب ذلك، عرضه على النبي صلى الله عليه و آله و سلم» (حاشية الهداية لتاج الشريعة ج ١، ص ٨٦. طبع دهلي، ١٩١٥

م)، معجم مصنفات القرآن لشواخ، ج ٢، ص ١٢.

(٤) محمد فريد و جدى فى الأدلة العلمية، ص ٦١.

(٥) راجع الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٢٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٩

و هكذا أفتى الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر (١٩٣٢ م) بالجواز للعاجز عن العربية.

قال- فى رسالته التى كتبها بهذا الشأن:- «و أنتهى من البحث فى هذه المسألة إلى ترجيح رأى قاضى خان و من تابعه من الفقهاء، و هو وجوب القراءة فى الصلاة بترجمة القرآن للعاجز عن قراءة النظم العربى».

وقال- ردّاً على المانعين و منهم صاحب الفتح:- «إن حجّة المانع هو أن ترجمة القرآن ليست قرآناً، و ما كان كذلك كان من كلام الناس، فهو مبطل للصلاة».

قال: و هذا الاستدلال غير صحيح؛ لأنّ الترجمة و إن كانت غير قرآن، لكنها تحمل معانى كلام الله، لا محالة. و معانى كلام الله ليست كلام الناس. قال: و عجيب أن توصف معانى القرآن بأنها من جنس كلام الناس، بمجرد أن تلبس ثوبا آخر غير الثوب العربى، كأنّ هذا الثوب هو كل شىء» (١).

قال السيد محمد العاملى- فى شرح كلام المحقق الحلى: «و لا يجرى المصلى ترجمتها»:-

«هذا الحكم ثابت بإجماعنا، و وافقنا عليه أكثر علماء سائر المذاهب، لقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا (٢)؛ و لأن الترجمة مغايرة للمترجم، و إلّا لكانت ترجمة الشعر شعرا» (٣).

و أما استدلال أبى حنيفة بأنه جاء ذكر القرآن فى «زبر الأولين» و فى (١) بحث فى ترجمة القرآن للمراغى، ص ٣٢.

(٢) يوسف / ٢.

(٣) مدارك الأحكام فى شرح شرايع الإسلام، ج ٣، ص ٣٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٠

«الصحف الأولى»، فهذا يعنى وصفه و نعتة، و ليس نفسه. قال الطبرسى: أى و أن ذكر القرآن و خبره جاء فى كتب الأولين على وجه البشارة به و بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم لا بمعنى أنه تعالى أنزله على غير محمد (١).

وقال- فى آية الصحف الأولى:- يعنى أن هذا الذى ذكر من فلاح المتركى إلى تمام ما فى الآيات الأربع، لفى الكتب الاولى. فقد جاء فيها ذكر فلاح المصلى و المتركى و إثارة الناس الحياة الدنيا على الآخرة، و أن الآخرة خير و أبقى. (٢)

و هذا لا يعنى نفس الكتاب و أنه مذکور بذاته فى تلك الصحف، ليستلزم ذلك أن يكون ذكر المعانى ذكرا للقرآن نفسه.

وقال السيد العاملى- فى آية البلاغ:- الإنذار بالقرآن لا يستلزم نقل اللفظ بعينه؛ إذ مع إيضاح المعنى يصدق أنه أنذرهم به، بخلاف صورة النزاع (٣). يعنى أن هناك فرقا بين قولنا: أنذر بهذا القرآن، و قولنا: اقرأ بهذا القرآن. فإنّ الأول لا يستدعى حكاية نفس القرآن و نقله بالذات إلى المنذرين، بل يكفى تخويلهم بما يستفاد من القرآن من الوعد و الوعيد. و هذا بخلاف الثانى المستلزم تلاوة نفسه كما فى قراءة الصلاة.

قال ابن حزم: «و من قرأ أم القرآن أو شيئا منها أو شيئا من القرآن، فى صلاته مترجما بغير العربية، أو بألفاظ عربية غير الألفاظ التى أنزل الله تعالى، عامدا لذلك، أو قدّم كلمة أو آخرها عامدا لذلك، بطلت صلاته، و هو فاسق؛ لأن الله (١) مجمع البيان، ج ٨، ص ٢٠٤.

(٢) المصدر السابق، ج ١٠، ص ٤٧٦.

(٣) المدارك، ج ٣، ص ٣٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥١

تعالى قال: «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» و غير العربى ليس عربيا، فليس قرآنا. و إحالة رتبة القرآن «١» تحريف كلام الله تعالى، و قد ذمّ الله تعالى قوما فعلوا ذلك، فقال:

«يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ».

«و قال أبو حنيفة: تجزئه صلواته. واحتج له من قلده بقول الله تعالى: «وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ».

قال علي «٢»: لا حجة لهم في هذا؛ لأن القرآن المنزل علينا على لسان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لم ينزل على الأولين، وإنما في زبر الأولين ذكره والإقرار به فقط، ولو أنزل على غيره عليه السلام لما كان آية له ولا فضيلة له، وهذا لا يقوله مسلم.

«و من كان لا يحسن العربية فليذكر الله تعالى بلغته؛ لقوله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا «٣». ولا يحل له أن يقرأ أم القرآن ولا شيئاً من القرآن مترجماً على أنه الذي افترض عليه أن يقرأه؛ لأنه غير الذي افترض عليه كما ذكرنا، فيكون مفترياً على الله تعالى «٤». و أما فتوى الشيخ محمد بخيت لأهل الترانسفال، فقد تشابه عليه الحسن بصاحبه؛ لأن الذي كان يقرأ في الصلاة بالفارسية هو حبيب العجمي صاحب الحسن البصري.

قال- في شرح مسلم الثبوت:- «يجوز القرآن بالفارسية للعدر- وهو عدم العلم بالعربية وعدم انطلاق اللسان بها- وقد سمعت من بعض الثقات أن تاج (١) أي تحويل نظم القرآن و تغيير ترتيبه اللفظي.

(٢) يريد نفسه: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. توفي ٤٥٦.

(٣) البقرة/ ٢٨٦.

(٤) المحلى لابن حزم، ج ٣، ص ٢٥٤، المسألة رقم ٣٦٧، من كتاب الصلاة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٢

العرفاء و الأولياء الحبيب العجمي صاحب تاج المحدثين و إمام المجتهدين الحسن البصري كان يقرأ في الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية «١».

و أما حديث ترجمة سلمان للفاتحة، و قراءة الفرس لها في صلواتهم، فلم نعثر على مستند له وثيق، و إنما أرسله السرخسي عن أبي حنيفة إرسالا، لا يعلم مصدره. و لعل الترجمة- على فرض الثبوت- كانت لمجرد العلم بمعناها لا للقراءة بها في الصلاة!

## ترجمة القرآن ضرورة دعائية

### إشارة

و بعد، فإذ قد جازت ترجمة القرآن في حد ذاتها، ترجمة معنوية وافية بإفاده معاني القرآن كاملا، فعندئذ نقول:

إن ترجمة القرآن إلى سائر اللغات أصبحت ضرورة دينية و واجبا إسلاميا عاما (وجوبا بالكفاية) و كان من وظيفه كل مسلم يحمل رسالة الله في طيات وجوده، أن يهتم بهذا الأمر الذي يمسه صميم الإسلام، لغرض انتشار الدعوة و بث تعاليم الإسلام عبر الخافقين.

الإسلام دين البشريه عامه و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا «٢»، تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا «٣» فلا يخص أمية دون أخرى و لا جيلا دون جيل، و كان في ذمته كل مسلم متعهد بدينه الاهتمام ببث الدعوة و نشرها بين الملأ،

وظيفة ديتية في الصميم (١) رسالة المراغي في الترجمة، ص ١٧.

(٢) سبأ/ ٢٨.

(٣) الفرقان/ ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٣

و لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «١». و كذلك جعلناكم أمة

وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا «٢».

ولا شك أن القرآن هو السند الوثيق الوحيد لبناء الدعوة و نشر تعاليم الإسلام، وقد نزل بيانا للناس هذا بياناً للناس وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ «٣» فكان حقيقاً أن يبين للناس وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٤».

فالمنع عن ترجمته و بثها بين الناس كتمان لما أنزله الله من البينات و الهدى إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ «٥».

قال تعالى - عن لسان نبيه -: وَ أَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ «٦».

إن في القرآن مقاصد عالية و مطالب سامية، هي ذوات أهداف عالمية كبرى عبر الآفاق و مرّ الأيام، يجب بثها و الإعلام بها لكافة الأنام، مما لا يتم إلا بتعميم نشر القرآن و عرضه على العالمين جميعاً، الأمر الذي لا يمكن إلا بترجمة معانيه إلى كل اللغات الحيّة في العالم كله. (١) آل عمران / ١٠٤.

(٢) البقرة / ١٤٣.

(٣) آل عمران / ١٣٨.

(٤) النحل / ٤٤.

(٥) البقرة / ١٥٩.

(٦) الأنعام / ١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٤

أما و لو أهملت هذه الأمة بالقيام بهذه المهمة، و تقاعست عن الإتيان بواجبها الديني الفرض، و قصّرت دون أداء رسالته الله في الأرض، فإنّ الله تعالى سوف يستبدل بهم قوما غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم وَ إِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ «١».

وقد عرفت أنّ الأوائل كانوا يجيزون ترجمته معاني القرآن لأقوام كانوا جديدي عهد بالإسلام، ممن لم تكن لهم سابقة إلمام باللغة العربية، فكانت تعرض عليهم الآية مصحوبة بترجمتها؛ لغرض إفهام معاني الذكر الحكيم و بيان مقاصده و تعاليمه الرشيدة لملاّ الناس. لا شك أنّ في الهجرة الأولى (إلى الحبشة) حيث عرضت آي من القرآن الكريم على حاضري مجلس النجاشي من الوزراء و أعيان الدولة، قد ترجمت ما تليت من آي الذكر الحكيم، باللغة الحبشية (الأمهرية)؛ إذ لم يكن الحضور يحسنون العربية بطبيعتها الحال، و في ذلك يقول صدر الأفاضل: و إنني اعتقد أن جعفر بن أبي طالب عليه السلام كان يجيد اللغة الحبشية، و هو الذي قام بترجمة الآيات التي تلاها حينذاك من سورة مريم «٢»، فكان ذلك التأثير العجيب في نفوس القوم و لا سيما النجاشي نفسه؛ حيث قال: «و الله إن كلام محمد، لا يختلف شيئاً عن تعاليم سيدنا المسيح...»، و بكى بكاء شديداً.

و هكذا لما طلب الراجا (رائك مهروق) - الذي كان أميراً على منطقة الرور - من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، مندوب الحكومة الإسلامية هناك سنة (١) محمد / ٣٨.

(٢) عن مقال له في مجلة التوحيد، السنة الثانية، العدد ٩، ص ٢١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٥

(٢٣٠ هـ. ق) أن يفسر القرآن له، أي يترجمه بالهندية. و عند إنجاز الطلب على يد كاتب قدير، يقول المترجم: فانتبهت من التفسير إلى سورة (يس) حتى وصلت إلى الآية قال مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ «١». قال: فلما فسرت له هذا- أي ترجمته له باللغة السنسكريتية (الهندية القديمة) خزّ من سريره على الأرض واضعاً خده عليها و هي مبتلة، فتأثر وجهه من بلّة الأرض، و قال- باكياً:- «هذا هو الربّ المعبود، و الذي لا يشبه شيء». و كان قد أسلم سزاً، فكان بعد ذلك يخلو بنفسه في بيت عزلة يعبد الله و يناجي ربه سزاً «٢».

هذا من ناحية، و من ناحية أخرى أنّ كثيرا من الناس قاموا- في زعمهم- ينقل القرآن إلى لغات كثيرة و ترجمات متعدّدة، قد بلغت المآت في خمس و ثلاثين لغة حيّة في العالم المتمدّن اليوم. و قد طبعت بعض هذه التراجم عدّة طبعات بل عشرات الطبعات، فقد طبعت الترجمة الإنجليزية التي قام بها (سيل) أكثر من أربعين مرّة. و هكذا بالنسبة إلى تراجم فرنسيّة و ألمانيّة و إيطاليّة و فارسيّة و تركيّة و أوردية و صينيّة و جاويّة، إلى غيرها من لغات العالم الحيّة.

و من هؤلاء المترجمين من يحمل عداة للإسلام و المسلمين عداوة ظاهرة، و منهم من تعوّزه كفاءة المقدره على ترجمه تامه، وافية بمعاني القرآن، و هذا الأخير لا يقلّ ضرره عن الأوّل الذي يتعمّد الدسّ و التزوير. فمن هذا و ذاك قد (١) يس / ٧٨ - ٧٩.

(٢) المصدر نفسه و راجع كتاب (عجائب الهند)، طبعه ليدن ١٨٨٣ م لمؤلفه بزرك. و كان عائشا حتى سنة (٣٣٩ هـ. ق)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٦

حصل تحريف في معاني القرآن كثيرا، الأمر الذي يعود ضرره في نهاية المطاف إلى كيان الإسلام و المسلمين، فضلا عن الأخطاء الفاحشة التي وقعت في هكذا تراجم، قام بها غير الأهل.

إذن ينبغي أن لا- نقف- نحن أبناء الإسلام و دعائه- مكتوفى الأيدي ملجمين بلجام العار و الشغار، مصمّي الإخوان تجاه هذه الحوادث الفادحة و الحقائق المرّة الماثلة بين أيدينا، نحن المسلمين.

و قد تصدّى لترجمة القرآن- لغرض خبيث- قبل ثمانية قرون، مطران مسيحي يدعى «يعقوب بن الصليبي» ترجمه إلى السريانية، و نشرت خلاصتها سنة (١٩٢٥ م) و تابع هذا المطران أحبار و رهبان كانوا أسبق من غيرهم في هذا الميدان، و الله أعلم بما بيّتون «١».

قال العلامة أبو عبد الله الزنجاني: و ربما كانت أوّل ترجمة إلى اللغة اللاتينية- لغة العلم في أوروبا- و ذلك سنة (١١٤٣ م) بقلم «كنت» الذي استعان في عمله ببطرس طليطلي و عالم ثان عربي، و كان الغرض من الترجمة عرضه على «دي كلوفى» و بقصد الردّ على القرآن الكريم، و في عام (١٥٩٤ م) أصدر «هنكلمان» ترجمته، و جاءت على الأثر (١٥٩٨ م) طبعه مرانشى مصحوبة بالردود «٢».

و بعد، فأى عذر يبيديه زعماء الأميّة تجاه هذا التلاعب بأساس الدين؟! و ما هو المبرر للسكوت أمام هذا التناوش المقيت بمقدّسات الإسلام من قريب و بعيد، لو لا- قيام المضطلعين بأعباء رسالة الإسلام- حفظا على ناموس الدين- فيستعيدوا نشاطهم بأمر الشريعة الغراء، و يؤلّفوا لجنة مركزية من علماء مبرزين، (١) المصدر نفسه.

(٢) تاريخ القرآن للزنجاني، ص ٦٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٧

فيقدّموا إلى العالم تراجم صحيحة من القرآن الكريم، معترفا بها رسميا من مراجع دينية صالحة؛ فيكون ذلك مكافحة صريحة مع تلك المناوشات الخبيثة، و مقابلة عملية تجاه أعداء الإسلام.

و سنوفى لك نماذج خاطئة في نهاية المقال دليلا على ضرورة القيام بهذه المقابلة الإيجابية.

### تراجم إسلامية عريقة

قد عرفت حديث ترجمة (سلمان الفارسي) لسورة الحمد، بطلب من فرس اليمن المسلمين «١». و هكذا قام دعاة الإسلام و علماء المسلمين بتراجم لسور و آيات قرآنية، لغرض إفهام معانيها لسائر الأمم ممن دخلوا في الإسلام، و كانوا لا يحسنون فهم العربية آنذاك.

و أضخم هيئة علمية قامت بترجمة القرآن، مصحوبة بترجمة أكبر موسوعة تفسيرية، في أواسط القرن الرابع للهجرة، هم علماء ما وراء النهر (شرقي بلاد إيران) بطلب من السلطان منصور بن نوح الساماني (٣٥٠-٣٦٥) و ذلك لكيما أن أرسل إليه التفسير الكبير (جامع

البيان) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (توفي سنة ٣١٠) في أربعين مجلدا ضخما، فاستعظمه و أكبر من شأنه، لكنه تأسف على عدم إمكان استفادة شعبه من هذا التفسير العظيم، فاستفتى -أولا- جميع علماء و فقهاء ما وراء النهر (بلخ و بخارى و باب الهند و سمرقند و سيبجاب و فرغانة ...) في جواز الترجمة، فأجازوه جميعا. فطلب منهم أن (١) المبسوط للسرخسي، ج ١، ص ٣٧. و تقدم- في الهامش - عن تاج الشريعة الحنفي: أنه ترجم البسملة ب «بنام يزدان بخشاوند ... الخ ..» ثم عرضها على النبي صلى الله عليه و آله و سلم (معجم مصنفات القرآن لشواخ، ج ٢، ص ١٢).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٨

ينتدب منهم من يصلح لهذا الشأن. فاجتمع لفييف من العلماء المعروفين من تلك الديار، فترجموا القرآن بدء، ثم التفسير بكامله. و يوجد من نسخ هذه الترجمة في مكتبات العالم ما فوق العشرة، و طبع منها سنة (١) في إيران- طهران- نسخة صحيحة في طباعة جيدة. و قد وضع- في النسخ المخطوطة- نص القرآن الكريم- في عدد من آياته- أولا، ثم ترجمته، و أخيرا ترجمة التفسير. لكن النسخة المطبوعة أهملت ذكر النص، و اكتفت بترجمة الآيات مسبقا ثم ترجمة التفسير، الأمر الذي يؤخذ على مسئول الطبع، و لا يقبل منه اعتذاره غير العاذر «١».

و إليك نص ما جاء في مقدمه الأصل (الترجمة السامانية):

«این کتاب تفسیر بزرگ است، از روایت محمد بن جریر الطبری، ترجمه کرده بزبان پارسی و دری راه راست. و این کتاب بیاوردند از بغداد چهل مصحف بود. این کتاب نبشته بزبان تازی و به اسنادهای دراز بود. و بیاوردند سوی امیر سعید مظفر ابو صالح منصور بن نوح بن نصر بن احمد بن اسماعیل ... پس دشخوار آمد بروی خواندن این کتاب و عبارت کردن آن بزبان تازی، و چنان خواست که مر این را ترجمه کند بزبان پارسی.

پس علماء ما وراء النهر را گرد کرد و این از ایشان فتوی کرد که روا باشد خواندن و نبستن تفسیر قرآن پارسی، مر آن کس را که او تازی نداند؟ از قول خدای عز و جل که گفت: و ما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِبَلْسَانٍ قَوْمِهِ «٢» گفت: من هیچ پیغامبری را نفرستادم مگر بزبان قوم او و آن زبانی که ایشان دانستند ... و اینجا (١) راجع مقدمه الناشر، ص ١٤.

(٢) إبراهيم / ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٩

بدین ناحیت زبان پارسی است، و ملوکان این جای ملوک عجم اند. پس بفرمود ملک مظفر ابو صالح تا علمای ما وراء النهر را گرد کردند از شهر «بخارا» چون فقیه ابو بکر بن احمد بن حامد، و چون خلیل بن احمد سجستانی. و از شهر «بلخ» ابو جعفر بن محمد بن علی. و از «باب الهند» فقیه الحسن بن علی مندوس را، و ابو الجهم خالد بن هانی المتفقه را. و هم از این گونه از شهر «سمرقند» و از شهر «سیبجاب» و «فرغانه» و از هر شهری که بود در ماوراء النهر. و همه خطبها بدادند بر ترجمه این کتاب، که این راه راست است. پس بفرمود امیر سعید ملک مظفر ابو صالح این جماعت را تا ایشان از میان خویش هر کدام فاضل تر و عالم تر اختیار کنند تا این کتاب را ترجمه کنند، پس ترجمه کردند. «١»

و لعل أقدم ترجمة رسمية للقرآن، قام بها رجال الحكم، هي التي وقعت بطلب من الراجا (رائك مهروق) في مقاطعة (الرور) من بلاد السند. طلب من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز- و كان واليا هناك سنة (٢٣٠)- أن يترجم له معاني القرآن، فأمر عبد الله بن عمر أحد العلماء العرب ممن كانوا يجيدون لغة الهند القديمة (السنسكريتية) هناك، فترجم له حسبما مرّت عليك «٢».

و ترجمة فارسية أخرى قام بها الفقيه الحنفي أبو حفص نجم الدين عمر بن (١) ترجمة الطبري، ص ٥-٦.

(٢) عن كتاب (عجائب الهند) للسائح السندهي (بزرگ شهریار) و كان عائشا حتى عام (٣٣٩ هـ. ق)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٠



محمد النسفى «١» (٤٦٢-٥٣٨) من علماء ماوراء النهر. له تفسير لطيف باللغة الفارسية، يبدأ فيه بترجمة الآية ثم تفسيرها على أسلوب بديع.

و للخواجه عبد الله الأنصارى تفسير فارسى للقرآن الكريم وصفه على أسلوب الذوق العرفانى، و كان موجزا و مختصرا فشرحه و أضاف إليه أبو الفضل رشيد الدين الميبدى عام (٥٢٠) يبدأ بالترجمة ثم بالتفسير فى تنوع لطيف و سماء (كشف الأسرار و عدة الأبرار) طبع أخيرا فى عشر مجلدات كبار. و سيأتى شرحه عند الكلام عن تفاسير أهل العرفان.

و للخواجه- عند تفسير قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» (٢)- استظهار لطيف بجواز تبليغ القرآن إلى سائر الأمم بلغاتهم، نظرا لأنه صلى الله عليه و آله و سلم مبعوث إلى كافة الناس، و يستشهد على ذلك بعدة من الأدلة لإثبات مطلوبه.

و الأحسن الأكمل من الجميع تفسير مبسط باللغة الفارسية، قام بها العلم العلامة جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن على بن محمد بن أحمد الرازى، من أحفاد نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى، من صحابة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم. قام بهذا التفسير و أكمله- فى عشر مجلدات ضخام- فى المنتصف من القرن السادس للهجرة. (١) و (نسف) و يقال لها: (نخشب) بلدة عامرة واقعة على طريق بلخ إلى بخارا.

و هذا غير تفسير النسفى لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى.

(٢) إبراهيم / ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦١

يبدأ فيه بالنص العربى، ثم ترجمته تحت اللفظ، ثم التفسير. و يعدّ من أفصح النثر الفارسى القديم فى أسلوب رائع و جيد للغاية، مع البسط و الشرح لمناحى معانى الآيات، بصورة مستوعبة و مستوفاة. و هو من أكبر الذخائر الإسلامىة العريقة. طبع هذا التفسير القيم فى إيران عدة طبعات أنيقة، و قد اعتنى به العلماء الأفاضل.

و لنظام الدين الحسن بن محمد القمى النيسابورى (٧٢٨) تفسير بديع باسم (غرائب القرآن و رغائب الفرقان) يترجم الآية أولا باللغة الفارسية، ثم التفسير بالعربى، و يتعرض للتفسير الظاهرى، و يعقبه بالتفسير الباطنى على أسلوبه العرفانى المعروف. و قد طبع هذا التفسير مع حذف الترجمة فى مصر على هامش الطبرى، لكن النسخ المخطوطة و المطبوعة فى الهند و إيران مشتملة عليها.

## كيفية ترجمة القرآن

تبيين- ضمن المباحث السابقة- أسلوب الترجمة الذى نتوخاه، و هو:

أن يعتمد المترجم إلى آية آية من القرآن، وفق الترتيب الموجود، فيستجيد- أولا- فهم مضامينها عن دقة و إمعان، بما فيها من دلالات أصليّة و دلالات تبعيّة لفظيّة، دون الدلالات التبعيّة العقليّة؛ اذ التصدى لهذه الأخيرة شأن التفسير دون الترجمة.

فيفرغ المستفاد من كل آية، فى قالب لفظى من اللغة المترجم إليها. و يتحرى الكلمات التى تفى بتأدية المعانى التى كانت ألفاظ الأصل تؤدّيها، و فاء كاملا حتى فى الدلالات التبعيّة اللفظيّة مهما أمكن، و إلّا فيحاول تأديتها أيضا و لو بمعونة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٢

قرائن؛ لينعكس المعنى فى الترجمة كما هو فى الأصل. كما يحاول- مبلغ جهده- أن لا يصطدم القالب اللفظى المشابه للأصل بشيء من التحوير أو التحريف.

و هذه الكيفية من الترجمة- التى تحافظ على سلامة المعنى بالدرجة الأولى- قد تستدعى تبديلا فى مواضع بعض الألفاظ و التعابير- من تقديم أو تأخير- أو تغييرا فى روابط كلامية معمولّة فى الأصل، و فى الترجمة على سواء.

كما قد تستدعى زيادة لفظة فى التعبير؛ لغرض الوفاء بأصل المراد تماما. الأمر الذى لا بأس به، ما دامت الغاية هى المحافظة على

سلامة المعنى.

غير أن الأولى أن يضع اللفظ المزيد بين قوسين، فلا يلتبس على القارئ هذه الزيادة مع ألفاظ الأصل.

و بالجمله فالواجب على المترجم - ترجمة معنوية صحيحة - أن يتابع الخطوات التالية:

١- فهم المعنى الجملى فهما جيدا دقيقا، و التأكد من ذلك.

٢- تحليل جملة ألفاظ الأصل إلى كلماتها و روابطها الموجودة، و فصل بعضها عن بعض، ليعرف ما لكل من معنى و مفاد استقلالى

أو رابطى فى لغة الأصل، و التدقيق فيما إذا كان للوضع التركيبى الخاص معنى زائد على ما للألفاظ من معانى، و يتأكد ذلك عن إمعان.

٣- التحزى لكلمات و روابط من اللغة المترجم إليها، تشاكل الكلمات و الروابط الأصل، تشاكلا فى الإفاده و المعانى، إن حقيقة أو مجازا.

٤- تركيب هذه الكلمات و الألفاظ تركيبا صحيحا يتوافق مع أدب اللغة المترجم إليها، أدبا عاليا، و مراعى ترتيب الأصل مهما أمكن.

٥- إفراز الألفاظ و الكلمات الزائدة، التى لا تقابلها كلمات و ألفاظ فى الأصل، و إنما زيدت فى الترجمة لغرض الإيفاء بتمام المعنى، فيضعها - مثلا - بين

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٣

قوسين. لكن يمسك عن تكرار ذلك كثيرا فى كلام واحد؛ لأنه يمل، و قد يسبب تشويش فهم المعانى.

٦- و أخيرا مقابلة الترجمة مع الأصل فى حضور هيئة ناظرة، تحكم بالمطابقة فى الآراء و الإيفاء.

أما الشروط التى يجب توفرها فى المترجم أو المترجمين؛ لتقع الترجمة مأمونه عن الخطأ و الخلل، فهى كما يلي:

١- أن يكون المترجم مضطعا بكلتا اللغتين: لغة الأصل و اللغة المترجم إليها.

عارفا بأدابهما و المزاي الكلامية التى تبتتها كلتا اللغتين، معرفة كاملة.

٢- أن يتناول المعنى المستفاد من كل آية، بمعونه التفاسير المعتمدة الموثوق بها، و لا يقتنع بما استظهره من الآية حسب فهمه العادى،

و حسب معرفة أوضاع اللغة فحسب؛ إذ قد يكون دلائل و شواهد على إرادة غير الظاهر قد خفيت عليه، لو لا - مراجعته للمصادر التفسيرية المعتمدة.

٣- أن لا - يحمل ميلا - إلى عقيدة بذاتها، أو انحيازها إلى مذهب بخصوصه؛ لأنه حينذاك قد تجرفه رواسبه الذهنية التقليدية إلى

منعطفات السبل الضالة، فتكون تلك ترجمة لعقيدة، و ليست ترجمة لمعانى القرآن.

٤- أن يترك الألفاظ المتشابهة كما هى، و يكتفى بتبديلها إلى مرادفات من تلك اللغة، فلا يتعرض لشرحها و بسط معانيها، فإن هذا الأخير من مهمة التفسير فقط.

٥- أن يترك فواتح السور على حالها؛ لأنها رموز يجب أن تبقى بألفاظها من غير تبديل و لا تفسير.

٦- أن يترك استعمال المصطلحات العلمية أو الفنية فى الترجمة؛ لأن مهمة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٤

المترجم إفراغ المعانى المستفاده إفراغه لغوية بحتة.

٧- أن لا - يتعرض للآراء و النظريات العلمية، فلا - يترجم الكلمات الواردة فى القرآن بمعانى اكتشفها العلم، بل يترجمها حسب

الاستفاده اللغوية؛ لتكون التأديفة لغوية بحتة.

تلك شروط خاصة يجب توفرها فى كل مترجم يقوم بترجمة القرآن الكريم.

و هناك شروط عامة يجب مراعاتها فى ترجمة القرآن ترجمة رسمية، معترفا بها لدى جامعه المسلمين العامة، هى:

٨- أن تقوم هيئة أو لجنة متشكلة من علماء صالحين لذلك، و معروفين بسلامة الفكر و النظر و الاجتهاد، لأنّ الترجمة الفردية كالتفسير الفردية غير مأمونة عن الخطأ و الاشتباه كثيرا، و على الأقل يكون العمل الجماعي أبعد من الزلل مما يكون عملا فرديا؛ و لذلك يكون آمن و أحوط بالنسبة إلى كتاب الله العزيز الحميد.

و هذه الهيئة يجب أن تحمل تأييدا من قبل مقامات رسمية إسلامية، إما حكومات عادلة أو مراجع دينية عالية؛ ذلك لكي يتنفذ القرار تنفيذا رسميا قاطعا.

٩- أن يشترك مع اللجنة شخصيه أو شخصيات معروفة من اللغة المترجم إليها، لغرض التأكد من صحة الترجمة أولا، و ليطمئن إليها أصحاب تلك اللغة.

١٠- و الشرط الأخير- المتمم للعشر- أن توضع الترجمة مع الأصل، مصحوبا معها، فلا- يقدم إلى مختلف الأقوام و الملل، تراجم مجردة عن النص العربي الأصل.

و ذلك لغرض خطير، هو أن لا يلتبس على سائر الملل، فيحسبوا من الترجمة قرآنا هو كتاب المسلمين، لا، بل هي ترجمة محضه و ليست قرآنا، و إنما القرآن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٥

هو الأصل، و كانت الترجمة إلى جنبه توضيحا و تبيينا لمعانيه فحسب.

و بذلك نكون قد أمتنا على القرآن ضياعه، فلا- يضع كما ضاعت التوراه و الإنجيل من قبل؛ بتجريد تراجمهما عن النص الأصل، الأمر الذي يجب أن لا يتكرر بشأن هذا الكتاب السماوي الخالد إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون «١».

### نماذج من تراجم خاطئة

لا- ريب أن كل عمل فردى قد يتحمل أخطاء لا يتحملها عمل جماعي، و من ثم وقع الكثير من الأفاضل في مآزق الانفراد فزلوا أو أخطئوا المقصود، هذا الإمام بدر الدين الزركشى، المضطلع باللغّه و الأدب، و كذا تلميذه جلال الدين السيوطى الخبير بمواضع الكلام، نراهما قد اشتبها في اشتقاق «هدنا» «٢»، فزعماه من: هدى يهذى «٣». مع العلم أنه من: هاد يهود!

لكن الزمخشري في تفسيره يقول: هدنا- بالضم-: فعلنا. من: هاده يهيده «٤».

و قال الراغب: اليهود: الرجوع برفق، و منه التهويد و هو مشى كالديب. و صار (١) الحجر/ ٩.

(٢) من قوله تعالى: وَ أَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ، إنا هُذْنَا إِلَيْكَ- الأعراف/ ١٥٦.

(٣) قال الزركشى (البرهان، ج ١، ص ١٠٣-١٠٤): فمنه الهدى سبعة عشر حرفا- إلى قوله- أو بمعنى التوبة: «إنا هُذْنَا إِلَيْكَ» أى تبنا:

و قال السيوطى (الإتقان، ج ٢، ص ١٢٢-١٢٣): من ذلك الهدى يأتى على سبعة عشر وجها- إلى قوله- و التوبة: «إنا هُذْنَا إِلَيْكَ»!

(٤) الكشف، ج ٢، ص ١٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٦

«الهود» فى التعارف التوبة، قال تعالى: إنا هُذْنَا إِلَيْكَ أى تبنا «١».

و الأعجب اشتباه مثل الراغب، ذكر فى مادة (عنت) قوله تعالى: وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ «٢» أى ذلت و خضعت «٣»، فى حين أنه من (عنى) بمعنى العناء و هو ذل الاستسلام؛ و لذلك يقال للأسير: العانى. و قد غفل الراغب فذكره فى (عنى) أيضا. قال الطبرسى: أى خضعت و ذلت خضوع الأسير فى يد من قهره ... «٤»

فإذا كان مثل هؤلاء الأئمة الأعلام يزلون مغتبه انفرادهم فى المسيرة، فكيف بمن دونهم من ذوى الأقلام؟! هذا العلماء المعاصر «إلهى قمشاهى» مع اضطلاعهم بالأدب و العلوم الإسلامية، تراه لم يسلم- فى ترجمته الفارسية للقرآن الكريم- من ذلة الانفراد، فقد ترجم قوله

تعالى: فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا «٥» بما يلي:

«آنگاه قوم مریم که به جانب او آمدند که از این مکان همراه ببرند گفتند...»

فحسب من القوم فاعلا، و أنهم أتوا مریم! كما حسب أن الضمير المنصوب في «تحمله» يعود إلى مریم، و أنهم أتوها ليحملوها معهم! في حين أن الآية تعني: «أن مریم عليها السلام هي التي أتت إلى القوم، في حال كونها تحمل الوليد المسيح عليه السلام على عكس ما زعمه المترجم. (١) المفردات، ص ٥٤٦.

(٢) طه / ١١١.

(٣) المفردات، ص ٣٤٩.

(٤) مجمع البيان، ج ٧، ص ٣١.

(٥) مریم / ٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٧

و هكذا ترجم قوله تعالى: وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ «١» إلى قوله:

«تو خود بر آن مردم گواه و ناظر اعمال بودی مادامی که من در میان آنها بودم!» و لم يلتفت إلى أن الضمير في «كنت» للمتكلم لا للمخاطب، فضلا عن تهافت المعنى على حسابه.

و ترجم قوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا «٢»، إلى قوله: «و آن روز بمانند عذاب انسان کافر هیچ کس عذاب نکشد، و آن گونه جز انسان کافر، کسی به بند (هلاک) گرفتار نشود!» فحسب من «لا-يُعَذِّبُ» و «لا يُوثِقُ» مضارعا مبتدئا للمفعول، كما حسب من الضمير عوده إلى الإنسان المعذب و الموثق.

و هذه غفلة عجيبة في قراءة الآية القرآنية، لا يمكن إغفائها أبدا.

و قد جمع الدكتور السيد عبد الوهاب الطالقاني «٣» من ذلك لَمِيَّةً من تراجم قام بها أساتذة ذووا كفاءة راقية، فكيف بغير الأكفاء! و من التراجم الأجنبية، جاءت ترجمة «كازانوف» لكلمة «الأمي» -وصفا للنبي صلى الله عليه و آله و سلم بمعنى «الشعبي» مأخوذا من «الأمية» حسبما زعم. في حين أنه من «أم القرى» -اسما لمكة المكرمة- ليكون بمعنى «المكي»، أو نسبة إلى «الأم» كناية عن الذي لا يكتب و لا يقرأ.

و ترجم «كازيميرسكي» «اسجدوا» في قوله تعالى: (١) المائدة / ١١٧.

(٢) الفجر / ٢٤ - ٢٥.

(٣) نشر بعضها في مجلة (كيهان انديشه)، ع ٢٨، ص ٢٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٨

وَ إِذِ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ «١» بمعنى «اعبدوا لآدم!» في حين أنه بمعنى الخضوع التام لآدم عليه السلام أو جعله قبلة للسجود لله تعالى - كما عن بعض التفاسير -.

و ترجم «هواء» قوله تعالى: وَ أَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ «٢» بمعنى الهوى و الميل النفساني، في حين أنه بمعنى «الفارغة الجوفاء!» «٣». (١) البقرة / ٣٤.

(٢) إبراهيم / ١٤.

(٣) من رسالة «القرآن و الترجمة» ص ١١، للأستاذ عبد الرحيم محمد على النجفي.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٩

**التفسير نشأته و تطوره في مراحل:**

## إشارة

أولاً- فى عهد الرسالة.

ثانياً- فى دور الصحابة ثالٲا- فى دور التابعين رابعا- دور أهل البيت فى التفسير خامسا- التفسير فى دور التدوين  
التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧١

## المرحلة الأولى التفسير فى عهد الرسالة

## إشارة

\* النبى صلى الله عليه وآله وسلم مفسراً! هل تناول القرآن كله بالتفسير؟  
\* حجم المأثور من تفاسيره! \* أوجه بيانه لمعانى القرآن! \* نماذج من تفاسيره!  
التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٣

## التفسير فى نشأته الأولى (فى عهد الرسالة)

قال تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ. وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ «١».

إن فى القرآن الكريم من أصول معارف الإسلام و شرائع أحكامه، الأسس الأولى التى لا غنى لأى مسلم يعيش على هدى القرآن و يستظل بظل الإسلام، أن يراجع دلالة الواضحة و يتلمس حججه اللائحه، و إن أبهم عليه شىء فليستطرق أبواب أهل الذكر ممن نزل القرآن فى بيوتهم، فيهدوه سواء السبيل.

نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المرجع الأول لفهم غوامض الآيات و حل مشاكلها، مدة حياته الكريمة؛ إذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ. قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٢»، فكان (١) النحل / ٨٩.  
(٢) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٤

دوره صلى الله عليه وآله وسلم دور مرشد و معين، و كان الناس هم المكلفين بالتفكر فى آيات الله و التماس حججه.  
وقد تصدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لتفصيل ما أجمل فى القرآن إجمالاً، و بيان ما أبهم منه إمّا بيانا فى أحاديثه الشريفة و سيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء فى حلّ تشريعاته من فرائض و سنن و أحكام و آداب، كانت سنته صلى الله عليه وآله وسلم قولاً و عملاً و تقريراً، كان كلها بيانا و تفسيراً لمجملات الكتاب العزيز و حلّ مبهماتة فى التشريع و التسنين. فقد كان

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «صلوا كما رأيتمونى أصلى ..» شرحاً و بيانا لما جاء فى القرآن، من قوله تعالى: فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ .. «١»  
و لقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا «٢» و كذا

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خذوا عنى مناسككم»

بيان و تفسير لقوله تعالى: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ... «٣»،

و هكذا فكل ما جاء فى الشريعة من فروع أحكام العبادات و السنن و الفرائض، و أحكام المعاملات، و الأنظمة و السياسات، كل ذلك تفصيل لما أجمل فى القرآن من تشريع و تكليف.

و هكذا كان الصحابة يستفهمونه كلما تلا عليهم القرآن أو قرأهم آية أو آيات، كانوا لا يجوزونه حتى يستعلموا ما فيه من مرام و

مقاصد و أحكام؛ ليعملوا بها و يأخذوا بمعالمها.

أخرج ابن جرير بإسناده عن ابن مسعود، قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن. و قال أبو عبد الرحمن (١) البقرة/ ٤٣.

(٢) النساء/ ١٠٣.

(٣) آل عمران/ ٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٥

السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرءوننا، أنهم كانوا يستقرون من النبي صلى الله عليه و آله و سلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، قال: فتعلمنا القرآن و العمل جميعا «١».

نعم، ربما كانوا يحتشمون هيبه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فتحجبهم دون مساءلته، فكانوا يترصدون مجيء الأعراب المغتربين عن البلاد، ليسألوه عن مسائل، فيغتنموها فرصة كانوا يترقبونها.

قال على عليه السلام: و ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يسأله و يستفهمه، حتى كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعا ... قال:

و كان لا يمر من ذلك شيء إلا سألت عنه و حفظته. «٢» و هكذا

حدث أبو أمامة ابن سهل بن حنيف «٣» قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقولون: إن الله ينفعنا بالأعراب و مسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوما فقال: يا رسول الله، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، و ما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها! فقال رسول الله: و ما هي؟ قال: السدر، فإن لها شوكا.

فقال رسول الله: في سدر مخضود «٤» يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكه ثمرة، فإنها تنبت ثمرا، تفتق الثمرة معها عن اثنين و سبعين لونا، ما منها لون يشبه الآخر «٥». (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧-٢٨ و ص ٣٠.

(٢) المعيار و الموازنة للإسكافي، ص ٣٠٤.

(٣) اسمه أسعد، سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و دعا له و برك عليه توفي سنة (١٠٠) و هو ابن نيف و تسعين. (أسد الغابة، ج ٥، ص ١٣٩)

(٤) الواقعة/ ٢٨.

(٥) أخرجه الحاكم و صححه، المستدرک، ج ٢، ص ٤٧٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٦

و من ثم كان ابن مسعود يقول: و الله الذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا و أنا أعلم فيم نزلت و أين نزلت. و هكذا تواتر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و تلميذه ابن عباس، و غيرهم من علماء الصحابة، حسبما يأتي في تراجمهم. «١»

### هل تناول النبي القرآن كله بالبيان؟

عقد الأستاذ الذهبي بابا ذكر فيه الجدل بين فريقين، يرى أحدهما: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد بين لأصحابه معاني القرآن كله أفرادا و تركيبا. و يترأس هذا الفريق أحمد بن تيمية، كان يرى أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم بين جميع معاني القرآن كما بين ألفاظه؛ لقوله تعالى: لُتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ «٢» فإنه يشمل الألفاظ و المعاني جميعا. «٣»

و الفريق الثاني - و يترأسهم الخوي و السيوطي -: يرون أنه لم يبين سوى البعض القليل، و سكت عن البعض الآخر، ثم فرض لهم دلائل، أهمها ما أخرجه البرزاز عن عائشة، قالت: ما كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يفسر شيئا من القرآن إلا آيا بعدد، علمه

إياهن جبريل (٤).

و أسهب في النقض والإبرام، و أخيرا نسب كلاً من الفريقين إلى المغالاة، و اختار هو وسطا بين الرأيين - فيما حسب - و أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم بين الكثير دون الجميع، و ترك ما استأثر الله بعلمه، و ما يعلمه العلماء، و تعرفه العرب بلغاتها، (١) عند الكلام عن دور الصحابة في التفسير.

(٢) النحل / ٤٤.

(٣) راجع: مقدمته في أصول التفسير، ص ٥-٦.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٦. و تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٧

مما لا يعذر أحد في جهالته. قال: و بديهى أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يفسر ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب، كما لم يفسر ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة و حقيقة الروح، مما يجرى مجرى علم الغيوب التي لم يطلع الله عليها نبيه (١). قلت: لم أجد، كما لا أظن أحدا ذهب إلى أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يبين من معاني القرآن سوى البعض القليل و سكت عن الباقي (الكثير طبعاً)، بعد الذي قدّمنا، و بعد ذلك الخضم من تفاصيل الأحكام و التكاليف التي جاءت في الشريعة، و كانت تفسيراً و بياناً لما أبهم في القرآن من تشريعات جاءت مجملّة و بصورة كئيّة، فضلاً عما بينه الرسول و فضلاء صحابته و العلماء من أهل بيته، شرحاً لمعضلات القرآن و حلّاً لمشكلاته.

أما الذي نسبته إلى شمس الدين الخويّ (٢) و جلال الدين السيوطي، من ذهابهما إلى ذلك، فإنّ كلامهما ناظر إلى جانب المأثور من تفاسير الرسول، المنقول بالنصّ فإنه قليل (٣)، لو أغفلنا ما روينا بالإسناد إليه صلى الله عليه و آله و سلم عن طرق أهل البيت الأئمة من عترته الطاهرة - صلوات الله عليهم - كما أغفله القوم، و إلّا فالواقع كثير و شامل، و لا سيما إذا ضمنا تفاصيل الشريعة (السنة الشريفة) إلى ذلك (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٥٣-٥٤.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن خليل المهلبى الخويّ (٥٨٣-٦٣٧) صاحب الإمام الرازى و المتمم لتفسيره. ولد في خوى من أعمال آذربيجان، و تعلم بها و بخراسان، ثم ولي قضاء دمشق و توفى بها.

(٣) قال الخويّ: و أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلّا بأن يسمع من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و ذلك متعذر إلّا في آيات قلائل (الإتقان، ج ٤، ص ١٧١) و قال السيوطي - عند بيان مأخذ التفسير -: الذي صحّ من ذلك (المنقول عن النبي) قليل جداً.

(الإتقان، ج ٤، ص ١٨١)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٨

المنقول من التفسير الصريح.

و قد جعل السيوطي جلّ تفاصيل الشريعة الواردة في السنة تفسيراً حافلاً بمعاني القرآن و مقاصده الكريمة. و نقل عن الإمام الشافعي:

أن كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهو مما فهمه من القرآن و بينه، و

قال صلى الله عليه و آله و سلم: ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه

، يعنى السنة. و أخيراً نقل كلام ابن تيمية الأنف، و عقبه بالتأييد، بما أخرجه أحمد و ابن ماجه عن عمر، أنه قال: من آخر ما نزل آية الرّب، و أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قبض قبل أن يفسرها. قال السيوطي: دلّ فحوى الكلام على أنه صلى الله عليه و آله و سلم

سليم كان يفسر لهم كل ما أنزل، و أنه إنما لم يفسر هذه الآية؛ لسرعة موته بعد نزولها، و إلّا لم يكن للتخصيص بها وجه. (١)

و أما حديث عائشة - لو صحّ السند، و لم يصح كما قالوا - (٢) فهو ناظر إلى جانب رعاية الترتيب في تفسير الآي، أعداداً فأعداداً، أو

حسب عدد الآي التي كان ينزل بها جبرائيل. وهذا يشير إلى نفس المعنى الذي روينا عن ابن مسعود و تلميذه السلمي، و قد نقله ابن تيمية نقلا بالمعنى. قال السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه و آله و سلم عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم و العمل، قالوا: فتعلمنا القرآن و العلم و العمل جميعا «٣».

قال الخطيب: هذا أقدم نص تاريخي عرفنا به الطريقة التي كان يتعلم بها المسلمون الأولون، كانوا لا يعنون بالإكثار من العلم إلا بعد إتقان ما يتعلمونه منه، (١) الإتقان، ج ٤، ص ١٧٤ و ١٧٥ و ٢٥٨.

(٢) ذكروا أنه حديث منكر غريب، و الاستدلال به باطل. (التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٥٥)

(٣) راجع: رسالة الإكليل، المطبوعة ضمن المجموعة الثانية من رسائل ابن تيمية، ص ٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٩

و بعد العمل به «١».

و أما الوسط الذي اختاره، و أن الذي لم يبينه النبي صلى الله عليه و آله و سلم من القرآن: هو ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، و حقيقة الروح، و ما يجري مجرى ذلك من الغيوب التي لم يطلع الله عليها نبي... «٢» فشيء غريب! إذ لم نجد في معاني القرآن ما استأثر الله بعلمه، و لو كان لكان الأجدر عدم إنزاله، و الكف عن جعله في متناول الناس عامة. و قد تعرض المفسرون لتفسير آي القرآن جميعا حتى الحروف المقطعة، فكيف يا ترى خفى عليهم أن لا يتعرضوا لما لا يريد الله بيانه للناس؟! إذن فالصحيح من الرأي هو: أنه صلى الله عليه و آله و سلم قد بين لأمته - ولأصحابه بالخصوص - جميع معاني القرآن الكريم، و شرح لهم جلّ مراميه و مقاصده الكريمة، إما بيانا بالنص، أو ببيان تفاصيل أصول الشريعة و فروعها، و لا سيما إذا ضمنا إليه ما ورد عن الأئمة من عترته، في بيان تفاصيل الشريعة و معاني القرآن، و الحمد لله.

### حجم المأثور من تفاسير الرسول صلى الله عليه و آله و سلم

قد يستغرب البعض إذ يجد قلّة في التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالنص! لكن، لا موضع للاستغراب بعد الذي قدّمنا؛ أولا: وفرة الوسائل لفهم معاني القرآن حينذاك، ثانيا: جلّ بيانات الشريعة كانت تفسيراً لمبهمات القرآن و تفصيلاً لمجملاته. (١) هامش مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، ص ٦.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٥٦ و ٥٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٠

نعم، كانت موارد السؤال و الإجابة عليه فيما يخص تفسير القرآن بالنص قليل، نظرا لعدم الحاجة إلى أكثر من ذلك حسبما عرفت. غير أن لهذا القليل من تفاسير الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كثيرا في واقعه، قليلا في نقله و حكايته. فالمأثور منه قليل، لا أصله و منبعه الأصل.

قال جلال الدين السيوطي: الذي صحّ من ذلك قليل جدا، بل أصل المرفوع منه في غاية القلّة. و قد أنهاه في خاتمة كتاب الإتقان إلى ما يقرب من مائتين و خمسين حديثا في التفسير، مأثورا عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالنص. «١»

و هذا عدد ضئيل جدا، لا نسبة له مع عدد آي القرآن الكريم، و مواضع إبهامه الكثير، الأمر الذي دعا بابن حنبل أن ينكره رأسا، إلحاقا له بالعدم. قال: ثلاثة ليس لها أصول، أو لا أصل لها: المغازي، و الملاحم، و التفسير. قال بدر الدين الزركشي: قال المحققون من أصحابه: يعني أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة الإسناد، و إلّا فقد صحّ من ذلك كثير «٢». هذا مع أن ابن حنبل قد جعل السنة برمتها تفسيراً للقرآن، و سذكروه.

فلو ضمنا سيرته الكريمة و سنته في الشريعة، و أحاديثه الشريفة في أصول الدين و فروعها و معارف الإسلام و دلائل الأحكام، لو



ضمنا ذلك كله إلى ذلك العدد القليل - في الظاهر - لأصبح التفسير المأثور عن عهد الرسالة - على مشرفها آلاف التحية و الثناء - في حجم كبير و في كمية ضخمة، كان الرصيد الأوفى للتفسير الواردة في سائر العصور. (١) راجع: الإتيان، ج ٤، ص ١٨٠ و ٢١٤ - ٢٥٧. (٢) البرهان للزركشي، ج ٢، ص ١٥٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨١  
أضف إلى ذلك ما ورد عن طريق أهل البيت عليهم السّلام من التفسير المأثور «١» المستند إلى جدّهم الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو عدد و فير، يضاف إلى ذلك الكثير الوارد عن غير طرقهم.  
و بعد، فإنها تكون مجموعة كبيرة من التفسير المستند إلى صاحب الرسالة، لها شأن في عالم التفسير عبر القرون.

### أوجه بيان النبي لمعاني القرآن

قد عرفت كلام السيوطي: إنّ السنّة بجنب القرآن شارحة له و موضحة له.  
قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: «ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه»  
يعني السنّة الشريفة «٢».

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام: «إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة و لم يسمّ لهم: ثلاثا و لا أربعا، حتى كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم هو الذي فسّر ذلك لهم.

و أنزل الحج فلم ينزل: طوفوا أسبوعا، حتى فسّر ذلك لهم رسول الله - و في رواية أخرى زيادة قوله - فنزلت عليه الزكاة فلم يسمّ الله: من كل أربعين درهما درهما، حتى كان رسول الله هو الذي فسّر ذلك لهم...» «٣».

و معنى ذلك أن الفرائض و السنن و الأحكام إنما جاءت في القرآن بصورة إجمال في أصل تشريعاتها، أمّا التفصيل و البيان فقد جاء في السنّة في تفاصيل (١) قام زميلنا الفاضل السيد محمد برهاني - نجل العلامة المحدث السيد هاشم البحراني صاحب تفسير البرهان - بجمع ما أسند إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم من التفسير، المروي عن طرق أهل البيت عليهم السّلام فبلغ لحدّ الآن حوالي أربعة آلاف حديث، و لا يزال يزيد، ما دام العمل مستمرا، وفقه الله.

(٢) الإتيان، ج ٤، ص ١٧٤.

(٣) الكافي الشريف، ج ١، ص ٢٨٦. و العياشي، ج ١، ص ٢٤٩ - ٢٥١، رقم ١٦٩ و ١٧٠. و الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٤٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٢

الشريعة، التي بينها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم طيلة حياته الكريمة. فكانت السنّة إلى جنب القرآن تفسيرا لمواضع إجماله، و شارحة لمواضع إبهامه.

روى القرطبي بالإسناد إلى عمران بن حصين، أنه قال لرجل - كان يزعم كفاية الكتاب عن السنّة - إنك رجل أحمق، أ تجد الظهر في كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة! ثم عدّد عليه الصلاة و الزكاة و نحو هذا. ثم قال: أ تجد هذا في كتاب الله مفسّرا! إن كتاب الله تعالى أبهم هذا، و إنّ السنّة تفسّر هذا.

و عن حسان بن عطية قال: كان الوحي ينزل على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و يحضره جبرئيل بالسنّة التي تفسّر ذلك. و عن مكحول قال: «القرآن أحوج إلى السنّة من القرآن»، و قال يحيى بن أبي كثير: «السنّة قاضية على الكتاب و ليس الكتاب

بقاض على السنّة»، قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل - و سئل عن هذا الحديث الذي

روى أن «السنّة قاضية على الكتاب»

- فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله، و لكنني أقول: إن السنّة تفسّر الكتاب و تبينه «١».

و بعد، فإن تبين مجملات القرآن، من تفاصيل واردة في السنّة، يمكن على وجوه:

الأول: ما ورد في القرآن بصورة تشريعات كليّة، لا تفصيل فيها و لا تبين عن شرائطها و أحكامها، فهذا يجب طلب تفاصيلها من السنّة، في أقوال الرسول و أفعاله و تقاريره، كما في قوله تعالى: **أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ** «٢»، و قوله: (١) تفسير القرطبي - المقدمة - ج ١، ص ٣٩.

(٢) البقرة / ٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٣

و لله على الناس حجج البين «١» و ما شابه، من تكاليف عباديّة جاء تشريعها في القرآن بهذا الوجه الكلي. فلا بدّ لمعرفة أعداد الصلاة و ركعاتها و أفعالها و أذكارها و سائر شروطها و أحكامها «٢»، من مراجعة السنّة، و فيها البيان الوافي بجميع هذه التفاصيل، و هكذا مسألة الزكاة المفروضة و الحج الواجب.

و هكذا ما جاء في مختلف أبواب المعاملات، من قوله تعالى: **وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا** «٣» فإن للبيع الجائر أنواعا، و للربا أحكاما، ينبغي طلبها من السنّة، فهي التي تحدّد موضوع كل معاملة و تبين الشرائط التي فرضتها الشريعة في تفاصيل هذه المعاملات.

الوجه الثاني: عمومات ذوات تخصيص، جاء العام في القرآن و كانت موارد تخصيصه في السنّة. و هكذا مطلقات ذوات تقييد، جاء الإطلاق في القرآن و كان التقييد في السنّة. و لا شك أن التخصيص و كذا التقييد بيان للمراد الجدّي من العام و كذا من المطلق، و هذا الذي دلّ عليه العام في ظاهر عمومه و المطلق في ظاهر إطلاقه، إنما هو المعنى الاستعمالي المستند إلى الوضع أو دليل الحكمة. و الذي يكشف عن الجدّي في المراد هو الخاصّ الوارد بعد ذلك، و كذا القيد المتأخّر.

و هذا معروف في علم الأصول. (١) آل عمران / ٩٧.

(٢) مثلا- قوله تعالى: **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا** (النساء / ١٠٣) ما هذا الوقت المحدّد للصلاة؟ فقد أحيل بيان ذلك إلى السنّة. و هكذا بيان الأوقات الخمسة التي جاءت الإشارة إليها إجماليا في قوله: **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ...** (الإسراء / ٧٨)

(٣) البقرة / ٢٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٤

و مثال الأول قوله تعالى: **وَ الْمُطَّلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** «١» و هذا عام لمطلق المطلقات. و في السنّة تخصيص هذا الحكم بالمدخول بهنّ، أما غير المدخول بهنّ فلا اعتداد لهنّ. و كذلك قوله- بعد ذلك-: **وَ بَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ مَخْصُوصًا بِالرَّجْعِيَّاتِ**.

مثال الثاني: (تقييد المطلق)

قوله تعالى: **وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** «٢» و قد تقيّد هذا الإطلاق بما إذا لم يتب، و كان قد قتله لإيمانه، كما رواه العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام «٣». و

قوله تعالى: **الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ يُهْتَدُونَ** «٤»؛ إذ ليس المراد مطلق الظلم، بل هو «الشرك» خاصّة. روى ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم «٥»

، و هكذا فسّر اليد (في القطع بالسرقة «٦») باليمين من مفصل الأصابع. و مثله جلد الزاني المتقيّد بغير المحصن.

و أيضا قوله تعالى: **مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةً يُوَصَّى بِهَا أَوْ ذَيْنَ** «٧». فقد كان الميراث بعد إخراج ما أوصى به الميت و كذا دينه. فالدين مطلق، أما الوصية فقيّدت بما إذا لم تتجاوز ثلث التركة بعد وضع الدين. فهذا التقييد تعرّضت له السنّة، و كان (١) البقرة / ٢٢٨.

(٢) النساء / ٩٣.

(٣) راجع: مجمع البيان للطبرسي، ج ٣، ص ٩٢-٩٣. و العياشي، ج ١، ص ٢٦٧.

(٤) الأنعام / ٨٢.

(٥) مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٢٧.

(٦) الآية رقم ٣٨ من سورة المائدة.

(٧) النساء / ١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٥

قد أبهم في القرآن إبهاما.

الوجه الثالث: ما إذا ورد عنوان خاص في القرآن، و كان متعلقا لتكليف، أو قيادا في عبادة مثلا، و لكنه كان مصطلحا شرعيا من غير أن يكون مفهومه العام مرادا، فهذا أيضا مما يجب تبيينه من السنّة. و هذا في جميع المصطلحات الشرعية- أي الحقائق الشرعية على حدّ تعبيرهم- مما لم تكن لها سابقة في العرف العام.

و هذا كما في الصلاة و الزكاة و الحج و الجهاد و ما شاكل، إنها مصطلحات شرعية خاصة، «١» لا بدّ لمعرفة حقائقها و ماهياتها من مراجعة الشرعيّة، كما كان يجب الرجوع إليها لمعرفة أحكامها و شرائطها؛ إذ ليست الصلاة مطلق الدعاء و المتابعة- كما هي في اللغة و العرف العام غير الإسلامي- بل عبادة خاصة ذات كفيّة و أفعال و أذكار خاصة، أعلن بها الشرع الحنيف، و تصدّى لبيانه الرسول الكريم،

قال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي».

و هكذا ليست الزكاة مطلق النمو، بل إنفاق خاصّ في كفيّة خاصّة، توجب تنمية المال بفضل الله تعالى إن وقعت عن صدق و إخلاص، الأمر الذي جاء تبيينه في السنّة الشريفة. و مثلها الحج ليس مطلق القصد، و كذا الجهاد ليس مطلق الاجتهاد و السعي، و هكذا ..

و كذلك موضوع الخطأ و العمد في القتل، تعرّضت السنّة لبيانها، و ليس مطلق ما يفهم من هذين اللفظين لغه أو في المتفاهم العام، فقد جاء في السنّة أن الخطأ محضا هو ما لم يكن المقتول مقصودا أصلا. أما إذا كان مقصودا و لكن (١) المقصود بالشرع: مطلق الشرائع الإلهية و ليس شرع الإسلام فحسب. نعم لم تكن هذه المفاهيم مما وضعه العرف العام و لا اللغة، و إنما هو أمر جاء به الشرع في مصطلحه الخاص.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٦

لم يقصد قتله- بأن لم يكن العمل الذي وقع عليه مما يقتل به غالبا- فوقع قتله اتفاقا، فهو شبه العمد. أما إذا كان مقصودا بالقتل فهو العمد محضا. فهذا التفصيل و البيان إنما تعرضت له السنّة تفسيريا لما أبهم في القرآن من بيان هذه المفاهيم.

الوجه الرابع: موضوعات تكليفيّة تعرّض لها القرآن من غير استيعاب و لا شمول؛ إذ لم يكن الاستقصاء مقصودا بالكلام، و إنما هو بيان أصل التشريع و ذكر جانب منه، مما كان موضع الابتلاء ذلك الحين و من ثم يبدو ناقصا غير مستقصى، و مجملا في الشمول و البيان.

أما الاستقصاء و الشمول فالسنّة الشريفة موردها، ففيها البيان و الكمال، كما لم تأت في القرآن شريعة (رجم المحسن) و إنّما فصلته السنّة عن مطلق حكم الزاني الوارد في القرآن.

و مثل أحكام الخطأ و العمد في القتل لم يتعرّض لها القرآن باستيعاب؛ إذ هناك خطأ محض، و شبه العمد، و العمد المحض. ليرتب على الأول أنّ الدية على العاقلة، و على الثاني كانت الدية على القاتل، و في الثالث كان تشريع القصاص هو الأصل إلّا إذا رضى الأولياء بالدية أو العفو.

فهذا الاستيعاب و الاستقصاء إنما تعرضت له السنّة، فأكملت بيان القرآن و رفعت من إبهامه، في هذا الجانب الذي كان يبدو مجملا لو كان بصدد البيان و لم يكن أصل التشريع مقصودا فقط.

الوجه الخامس: بيان الناسخ من المنسوخ في أحكام القرآن؛ إذ في القرآن أحكام أوليّة منسوخة، و أحكام آخر هي ناسخة نزلت متأخرا؛ فلتمييز الناسخ من المنسوخ لا بدّ من مراجعة السنّة. أما القرآن ذاته فلا تمييز فيه بين ناسخه و منسوخه، و لا سيّما و الترتيب الراهن بين الآيات و السور قد تغير عمّا كان عليه النزول في البعض على الأقل. إذن لم يبق لمعرفة وجه التمايز بين الحكم المنسوخ التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٧

و الحكم الناسخ إلّا مراجعة نصوص الشريعة. و من ثم

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لقاض مرّ عليه بالكوفة: أ تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فهاب الإمام و أجاب بالنفي! فقال له الإمام: إذن هلكت و أهلكت. «١» فمن ذلك قوله تعالى- بشأن المتوفى عنها زوجها-: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا، وَصِيَّةٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ «٢» كانت الشريعة في البدء أن المرأة المتوفى عنها زوجها لا ميراث لها سوى الإمتاع في التركة حولا كاملا، و كان ذلك عدتها أيضا. لكنها نسخت بآية المواريث «٣» و بآية التبرص أربعة أشهر و عشرة «٤» (و آية التبرص الناسخة مثبتة في سورة البقرة قبل آية الحول المنسوخة) هكذا ورد في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام «٥».

و من ذلك أيضا آية جزاء الفحشاء، فما في سورة النساء (١٥-١٦) منسوخة بشريعة الجلد (سورة النور/ ٢) و الرجم، هكذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام «٦».

و نظير ذلك كثير، و لا سيّما إذا عمّنا النسخ ليشمل التخصيص و الاستثناء و سائر القيود أيضا، و قد كان معهودا ذلك الحين. (١) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢، رقم ٩. و الإتقان، ج ٢، (ط ١)، ص ٢٠.

(٢) البقرة/ ٢٤٠.

(٣) النساء/ ١٢.

(٤) البقرة/ ٢٣٤.

(٥) راجع: بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٦. و الصافي، ج ١، ص ٢٠٤.

(٦) العياشي، ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٨

### نماذج من تفاسير مأثورة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم

قلنا: إن الصحابة كانوا في غنى- في الأغلب- عن مساءلة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بشأن معاني القرآن، أو كانوا يحتشمون سؤاله، لما كان القرآن قد نزل بلغتهم و في مناسبات كانوا هم حضور مشهدها. و أحيانا إذا كان إبهام في وجه آية، أو خفى المراد من سياقها، كانوا يراجعونه لا محالة، و في الأكثر كانوا يترصدون أسئلة الأعراب أو الطارئين فيتبادرون إلى تفهم ما يجرى بينهم و بين الرسول بشأن معاني القرآن، حتى قالوا: إن الله ينفعنا بالأعراب و مسائلهم. «١»

و بعد فقد جمع من هذا و ذاك حشد كبير من تفاسير مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رواها أئمة الحديث في أمهات الجوامع الحديثية المعروفة.

و الأكثر سؤالاً إنما وقع عن مرادات القرآن، بعد وضوح الكلمة في مفهومها اللغوي؛ حيث ظاهر اللفظ ينبئ عن شيء، لكن المراد غير هذا الظاهر المفهوم حسب دلالة الوضع، أو يشك في إرادة هذا الظاهر، لقرائن حاليّة أو مقاليّة، تبعث على السؤال عن المراد الواقعي.

\* فقد سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ «السَّائِحِينَ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ» (٢)، فَقَالَ: هُمُ الصَّائِمُونَ (٣). فَلَا غَمُوضَ فِي مَعْنَى السَّيَاحَةِ، وَ لَكِن أَى مَصَادِيقِ السَّيَاحَةِ مَقْصُودَةٌ هُنَا؟ وَ لَعَلَّ هُنَا اسْتِعَارَةٌ جَاءَتْ لِأَمْرٍ مَعْنَوِيٍّ، مِمَّا يَدْعُو إِلَى السُّؤَالِ عَنْهُ وَ مَرَاجَعَةُ أَهْلِ الذِّكْرِ. قَالَ الطَّبْرَسِيُّ: السَّائِحُ مِنْ: سَاحَ فِي الْأَرْضِ يَسِيحُ سَيْحًا، إِذَا اسْتَمَرَ فِي الذَّهَابِ، وَ مِنْهُ (١) سَبَقَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ.

(٢) التوبة/ ١١٢.

(٣) المستدرک، ج ٢، ص ٣٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٩

السيح للماء الجاري، و من ذلك يسمّى الصائم سائحًا، لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى. قال: و روى عن النبي أنه قال: «سباحة أمتي الصيام» (١).

\* و

سئل عن الاستطاعة في قوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» (٢) قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الزاد و الراحلة» (٣). فَإِنَّ مَفْهُومَ الاسْتِطَاعَةِ عَامٌ يَشْمَلُ أَى نَحْوٍ مِنَ الاسْتِطَاعَةِ وَ بِأَى وَسِيلَةٍ مَقْدُورَةٌ وَ كَانَتْ بِالْإِمْكَانِ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا غَيْرَ الْمُرَادِ بِالْاسْتِطَاعَةِ إِلَى الْحِجِّ الْوَاجِبِ، فَيَبِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الزَّادِ وَ الرَّاحِلَةِ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ بِوَسْعِهِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ. وَ هَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الاسْتِطَاعَةِ الْمَالِيَّةِ، كَمَا فَهَمَهُ الْفُقَهَاءُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ.

\* و هكذا

لَمَّا سَأَلْتَهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكُفُوفِ الْوَاجِبَةِ فِي كَفَّارَةِ الْإِيمَانِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ» (٤) أَجَابَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «عِبَاءَةٌ لِكُلِّ مَسْكِينٍ» (٥).

\* و

سأله رجل من هذيل عن قوله تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» (٦) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ تَرَكَهُ فَقَدْ كَفَرَ! نَظَرْنَا لِأَنَّ هَذَا الْعِنَاوَانَ «مَنْ كَفَرَ» أَطْلَقَ عَلَى مَنْ تَرَكَ الْحِجَّ! فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَكَهُ لَا يَخَافُ عِقُوبَتَهُ وَ لَا يَرْجُو مَثُوبَتَهُ» (٧) كِنَايَةٌ عَمَّنْ تَرَكَهُ جَوْدًا لَا يُؤْمِنُ بِعَاقِبَتِهِ، فَهَذَا كَافِرٌ بِالْمَعَادِ وَ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ (١) مَجْمَعُ الْبَيَانِ، ج ٥، ص ٧٥ وَ ٧٦.

(٢) آل عمران/ ٩٧.

(٣) الإتيقان، ج ٤، ص ٢١٨.

(٤) المائدة/ ٨٩.

(٥) الإتيقان، ج ٤، ص ٢٢١.

(٦) آل عمران/ ٩٧.

(٧) الإتيقان، ج ٤، ص ٢١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٠

و الحساب، الأمر الذي يعود إلى إنكار ضروري للدين و إنكار الشريعة رأسًا، أما الذي تركه لا عن نكران فهو فاسق عاص و ليس بكافر جاحد.

و هكذا

روى عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام حينما سأله أخوه علي بن جعفر:

من لم يحجّ منّا فقد كفر؟! قال: لا، و لكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر (١).

\* و

سئل عن قوله تعالى: «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» (٢)، ما معنى «عضين»؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ» (٣). فالآية الكريمة إنكار على الذين فرّقوا بين أجزاء القرآن. الأمر يثير السؤال عن المراد من هذه التجزئة المستنكرة؟ و من ثمّ كان الجواب: إنها التفرقة في الإيمان بالبعض و الكفر بالبعض.

\* و

سئل عن قوله تعالى: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صِدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» (٤)، كيف يشرح صدره؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «نور يقذف به فينشرح له و ينفسح!» قالوا: فهل لذلك من أماره يعرف بها؟ قال: «الإنباه إلى دار الخلود، و التجافى عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل لقاء الموت» (٥).

\* و

سأله عبادة بن الصامت (٦) عن قوله تعالى: (١) الصافي - الفيض الكاشاني - ج ١، ص ٢٨٢.  
(٢) الحجر / ٩١.

(٣) الإتقان، ج ٤، ص ٢٣٤. عضون: جمع عضه بمعنى عضو، كقولهم: ثبه و ظبه، و الجمع: ثبون و ظبون.  
و معنى العضين: جعله عضوا عضوا، أى فى أجزاء متفرقة كالتعضية، بمعنى التفرقة، فهو تجزئه الأعضاء.

(٤) الأنعام / ١٢٥.

(٥) الإتقان، ج ٤، ص ٢٢٢.

(٦) كان ممن جمع القرآن على عهده صلى الله عليه و آله و سلم و كان يعلم أهل الصفة القرآن و شهد المشاهد كلها مع التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩١

لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ (١)، ما ذا تكون تلك البشارة؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو ترى له» (٢).

و

روى الكليني فى الكافي و الصدوق فى الفقيه بإسنادهما عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «البشرى فى الحياة الدنيا هى الرؤيا الحسنه يراها المؤمن فيبشر بها فى دنياه».

و

زاد فى الفقيه: «و أما قوله: فى الآخرة، فإنها بشاره المؤمن عند الموت، يبشر بها عند موته: أن الله عزّ و جلّ قد غفر لك و لمن يحملك إلى قبرك...».

و قال على بن إبراهيم القمى: و فى الآخرة عند الموت، و هو قوله تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣).

\* و

سئل عن قوله تعالى: الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤) كيف يحشر أهل النار على وجوههم؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم» (٥).

و بهذا المعنى آية أخرى أوضحت الحشر على الوجوه بالسحب على وجوههم، قال تعالى: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٦)، و قوله: وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَ بُكْمًا وَ صُمًّا (٧). رسول الله. و استعمله النبى على بعض الصدقات، و كان نقيبا فى الأنصار. كان طويلا جسيما جميلا.

توفى سنة ٧٢.

(١) يونس / ٦٤.

(٢) المستدرک، ج ٢، ص ٣٤٠.

(٣) النحل / ٣٢؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٧٥٨.

(٤) الفرقان / ٣٤.

(٥) المستدرک، ج ٢، ص ٤٠٢.

(٦) القمر / ٤٨.

(٧) الإسراء / ٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٢

\* و

أخرج الحاكم بإسناده إلى الأصبح بن نباتة- وقال: إنه أحسن الروايات في هذا الباب- عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: لما نزلت الآية فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ «١» قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا جبرئيل، ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي؟ قال: إنها ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا تحزمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت و إذا ركعت و إذا رفعت رأسك من الركوع؛

فإنها صلاتنا و صلاة الملائكة الذين في السماوات السبع «٢». و

في رواية أخرى زيادة قوله: إن لكل شيء زينة، و زينة الصلاة رفع الأيدي.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رفع الأيدي من الاستكانة التي قال الله- عزَّ و جلَّ-: فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ وَ مَا يَتَضَرَّعُونَ «٣».

\* و سألت أم هانئ (بنت أبي طالب) عن المنكر الذي كان قوم لوط يأتونه في ناديهم؛ حيث قوله تعالى: وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ

«٤»؟

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كانوا يخدفون أهل الطريق و يسخرون» «٥».

و لعل هذا كان بعض أعمالهم المنكرة، ففي المجمع: كانت مجالسهم تشتمل على أنواع من المناكير و القبائح، مثل الشتم و السخف و الصفع و القمار، و ضرب المخارق و خذف الأحجار على المازين و ضرب المعازف و المزامير، و كشف العورات و اللواط، و قيل:

كانوا يتضارطون من غير حشمة و لا حياء «٦». (١) الكوثر / ٢.

(٢) المستدرک، ج ٢، ص ٥٣٢.

(٣) المؤمنون / ٧٦. المستدرک، ج ٢، ص ٥٣٨.

(٤) العنكبوت / ٢٩.

(٥) المستدرک، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٦) مجمع البيان للطبرسي، ج ٨، ص ٢٨٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٣

\* و ربما سأله عن عموم حكم و شموله لبعض ما اشتبه عليهم أمره،

فقد سأله جرير بن عبد الله الجبلي «١» عن نظرة الفجأة، و قد قال تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ .. «٢»، فهل يشمل عموم

الأمر بالغض لما إذا كانت النظرة فجأة، و هي غير إرادية؟

قال جرير: فأمرني صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن أصرف بصري «٣»، أي لا يداوم في النظرة، و يصرف ببصره من فوره.

\* و

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسأله عن أمر اليتامى؛ حيث قوله تعالى: وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا إِلَىٰ قَوْلِهِ: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِشْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا، وَمَنْ كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسِّرْ تَعْفُفًا، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ .... «٤» فقال: يا رسول الله، إن أخي هلك و ترك أيتاما و لهم ماشية، فما يحل لي منها؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إن كنت تليط حوضها، و ترد ناديتها، و تقوم على رعيتها، فاشرب من ألبانها، غير مجتهد و لا ضار بالولد، و الله يعلم المفسد من المصلح «٥». إشارة إلى قوله تعالى: (١) أسلم قبل وفاة النبي بأربعين يوما. كان سيد قومه و جيتها حسن الصورة و كان يلقب بيوسف هذه الأمة. و لما دخل على النبي رحب به و أكرمه، و قال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. و بعثه في مائة و خمسين فارسا إلى ذي الخصلة ليهدم بيت صنم كان هناك لخنعم، و دعا له، و قال: اللهم اجعله هاديا مهديا . توفي سنة ٥١.

(٢) النور / ٣٠.

(٣) المستدرک، ج ٢، ص ٣٩٦.

(٤) النساء / ٢ و ٦. و الحوب: الإثم.

(٥) العياشي، ج ١، ص ١٠٧، رقم ٣٢١. لاط الحوض: مدره لثلا ينشف الماء. و النادية: النوق

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٤

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ... «١».

و أحيانا كانت الأسئلة لغوية، على ما أسبقنا أن القرآن أخذ من لغات القبائل كلها، و ربما كانت اللفظة المتداولة في قبيلة، غير معروفة عند الآخرين.

\* من ذلك ما

سأله قطبة بن مالك الذيباني «٢» عن معنى «البسوق» من قوله تعالى: وَ النَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ «٣» قال: ما بسوقها؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: طولها «٤». قال الراغب: باسقات، أى طويلات. و الباسق هو الذاهب طولاً من جهة الارتفاع، و منه بسق فلان على أصحابه: علاهم.

\* و

سأله عبد الله بن عمرو بن العاص عن الصور في قوله تعالى: وَ نَفِخَ فِي الصُّورِ، «٥» قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هو قرن ينفخ فيه «٦».

\* و

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: فَتَقَعِدَ مَلُومًا مَحْسُورًا «٧»- الإحسار: الإقتار. «٨» الحسر: كشف الملابس عما عليه. و الحاسر: من لا درع له و لا مغفر. و ناقة المتفرقة.

(١) البقرة / ٢٢٠.

(٢) كان من الصحابة الذين سكنوا الكوفة. روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و عن زيد بن أرقم و غيره.

(٣) ق / ١٠.

(٤) المستدرک، ج ٢، ص ٤٦٤.

(٥) الزمر / ٦٨.

(٦) المستدرک، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٧) الإسراء / ٢٩.



(٨) تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٥

حسير: انحسر عنها اللحم و القوة. و الحاسر: المعيا، لانكشاف قواه.

إذن فالمحسور: من افتقد أسباب المعيشة التي أهمها المال، و ليس من الحسرة كما توهم، فصحّ تفسير المحسور بالمقتر؛ لأنّ القتر فقد النفقة أو تقليلها، و المقتر: الفقير.

و ربما كانت الآية شديدة الوطأة، قد تجعل المسلمين في قلق، لو لا مراجعته صلى الله عليه و آله و سلم ليفسرها لهم بما يرفع عنهم ألم اليأس و قلق الاضطراب.

من ذلك ما

رواه محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لما نزلت الآية: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ «١»، قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

ما أشدها من آية! فقال لهم رسول الله: أما تبتلون في أموالكم و أنفسكم و ذراريتكم؟ قالوا: بلى، قال: هذا مما يكتب الله لكم به الحسنات و يمحو به السيئات «٢».

\* و

سئل فيما النجاة غدا؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه و يخلع منه الإيمان، و نفسه يخدع لو يشعر».

فقيل: كيف يخادع الله؟ قال: «يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره، فاتقوا الله فاجتنبوا الرياء فإنه شرك بالله». «٣»، و ذلك قوله تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي يُرَاؤُونَ النَّاسَ. «٤»

(١) النساء/ ١٢٣.

(٢) تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٧٧. رقم ٢٧٨.

(٣) تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٣، رقم ٢٩٥.

(٤) النساء/ ١٤٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٦

\* و

لما نزلت الآية: وَ إِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ «١» قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين إذا تولينا استبدلوا بنا؟! - و سلمان إلى جنبه- فقال صلى الله عليه و آله و سلم: هم الفرس، هذا و قومه

و .

في رواية الطبري: فضرب على منكب سلمان و قال: من هذا و قومه. و الذى نفسى بيده لو أن الدين تعلق بالثريا لثالته رجال من أهل فارس

و .

في رواية البيهقي: لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس «٢». \* و ربما سأله صلى الله عليه و آله و سلم عن غير الأحكام مما جاء ذكره في القرآن إجمالاً، ليعثهم حب الاستطلاع على السؤال عنه. من ذلك

سؤال فروة بن مسيكة المرادى «٣» عن «سبأ»: رجل أو امرأة أم أرض؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: هو رجل ولد عشرة من الولد، ستة من ولده باليمن، و أربعة بالشام. فأما اليمانيون فمذحج و كندة و الأزدي و الأشعريون و أنمار و حمير، خير كلها، و أما الشاميون

فلخم و جذام و عاملة و غسان. «٤»

(١) محمد / ٣٨.

(٢) راجع: المستدرک للحاکم، ج ٢، ص ٤٥٨. و الطبری فی التفسیر، ج ٢٦، ص ٤٢. و الدر المنثور، ج ٦، ص ٦٧.

(٣) قدم على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سنة عشر فأسلم، فبعثه على مراد و زبيد و مذحج.

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله، قال له- فيما بلغنا-: يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ قال: يا رسول الله، و

من ذا الذي يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الردم و لا يسوؤه؟! فقال صلى الله عليه و آله و سلم:

أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرا. (أسد الغابة، ج ٤، ص ١٨٠) (٤) المستدرک، ج ٢، ص ٤٢٣-٤٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٧

قال الطبرسي: سبأ، هو أبو عرب اليمن كلها، و قد تسمى به القبيلة «١»، و هو الظاهر من عود ضمير العقلاء إليهم في قوله تعالى: لَقَدْ

كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ، جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ، وَ اشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبُّ غَفُورٌ «٢».

\* و

سأله أبو هريرة عن قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا «٣»، قال: أنبئني عن «كل شيء»؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: «كل

شيء خلق من الماء» «٤»، بمعنى أن الماء أصل الحياة، حيوانا كان أم نباتا

و.

ورد في الحديث: أول ما خلق الله الماء. «٥» \* و أحيانا كان صلى الله عليه و آله و سلم يتصدى لتفسير آية أو آيات لغرض العظة أو

الاعتبار، كالذي

رواه أبو سعيد الخدرى «٦» عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في قوله تعالى: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِيهَا كَالِحُونَ «٧» قال

صلى الله عليه و آله و سلم: تشويها النار فتقلص شفاها العليا حتى تبلغ وسط الرءوس، و تسترخي شفاها السفلى حتى تبلغ الأسرّة.

(١) مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٨٦.

(٢) سورة سبأ / ١٥.

(٣) الأنبياء / ٣٠.

(٤) الإتقان، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٥) كتاب التوحيد، للصدوق، ص ٦٧، رقم ٨٢.

(٦) هو سعد بن مالك بن سنان الأنصارى. كان من الحفاظ للحديث المكثرين، و من العلماء الفضلاء النبلاء. غزا مع رسول الله صلى

الله عليه و آله و سلم و هو ابن خمس عشرة سنة، مات سنة ٧٤. (أسد الغابة، ج ٢، ص ٢٨٩ و ج ٥، ص ٢١١)

(٧) المؤمنون / ١٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٨

أخرجه الحاكم

، و قال: صحيح الإسناد «١».

\* و

عن أبي هريرة، قال: قرأ النبي صلى الله عليه و آله و سلم: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ثم قال:

أ تدرؤن ما أخبارها؟ قالوا: الله و رسوله أعلم! قال: أن تشهد على كل عبد و أمه بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا و كذا في يوم

كذا و كذا «٢».

\* و

عن أبي الدرداء «٣» قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا .. «٤» ثم قال: «السابق والمقتصد يدخلان الجنة غير حساب، والظالم لنفسه يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة» «٥».

\* وهكذا

روى عمران بن حصين «٦» قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يحدثنا عامّةً ليله عن بنى إسرائيل، لا يقوم إلّا لعظيم صلاة «٧».

(١) المستدرک، ج ٢، ص ٣٩٥.

(٢) المستدرک، ج ٢، ص ٥٣٢.

(٣) هو عويمر بن مالك بن زيد. كان من أفاضل الصحابة و فقهاءهم و حكمائهم، و كان مشاهده الخندق. مات سنة ٣٢.

(٤) فاطر / ٣٢.

(٥) المستدرک، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٦) أسلم عام خيبر، و غزا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غزوات. بعثه عمر على البصرة ليفقه أهلها و يتولى قضاءها. فاستعفى بعد قليل عن ولاية القضاء، و كان من فضلاء الصحابة، و لم يكن بالبصرة من يفضل عليه. ابتلى بمرض الاستسقاء و دام به المرض ثلاثين يوما، و هو مسجى على سريره. توفى سنة ٥٢. (أسد الغابة، ج ٤، ص ١٣٧).

(٧) المستدرک، ج ٢، ص ٣٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٩

و لعله ذات ليلة أو ليالي معدودة كانت معهودة.

هذا غيظ من فيض و رشف من رشح، فاضت به ينبوع الحكمة و مهبط الوحي الكريم، و لا زالت بركاته متواصله عبر الخلود.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠١

## المرحلة الثانية التفسير في دور الصحابة

### إشارة

\* هم درجات عند الله \* المفسرون من الصحابة \* أعلم الصحابة بمعاني القرآن \* قيمة تفسير الصحابي \* ميزات تفاسير الصحابة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٣

## التفسير في دور الصحابة

### هم درجات عند الله

قال تعالى: نَزَّعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ «١».

لا شك أن الصحابة، ممن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ «٢» كانوا هم مراجع الأئمة بعد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذ كانوا حاملين لوائه و مصادر شريعته إلى الملاء، ليس يعدل عنهم إلى الأبد.

نعم كانوا على درجات من العلم و الفضيلة حسبما أوتوا من فهم و ذكاء و سائر المواهب و الاستعداد أنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ

أُودِيَتْ بِقَدْرِهَا (٣)، يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا (٤). (١) يوسف / ٧٦.

(٢) التوبة / ١٠٠.

(٣) الرعد / ١٧.

(٤) البقرة / ٢٦٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٤

قال مسروق بن الأجدع الهمداني (١): «جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوجدتهم كالإخاذه - يعني الغدير من الماء - فالإخاذه يروى الرجل، والإخاذه يروى الرجلين، والإخاذه يروى العشرة، والإخاذه يروى المائة، والإخاذه لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم (٢)».

و في لفظ ابن الأثير: تكفى الإخاذه الراكب، و تكفى الإخاذه الراكبين، و تكفى الإخاذه الفئام من الناس. قال: و الإخاذه ككتاب: مصنع للماء يجتمع فيه. و الفئام: الجماعة الكثيرة (٣).

و يعنى بالأخير (لأصدرهم) الإمام أمير المؤمنين، عليه صلوات المصلين؛ حيث كان - سلام الله عليه - ينحدر عنه السيل و لا يرقى إليه الطير. (٤) قال مسروق:

«انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة علي بن أبي طالب، و عالم بالعراق عبد الله ابن مسعود، و عالم بالشام أبي الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام و عالم العراق عالم المدينة و هو لم يسألهم» (٥).

قال الأستاذ محمد حسين الذهبي: الحق أن الصحابة كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن و بيان معانيه المرادة منه؛ و ذلك راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم. فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم الواسع الاطلاع الملم بغريبها (كعبد الله بن عباس)، و منهم دون ذلك، و منهم من لازم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١) كان من التابعين، فقيه عابد. قال الشعبي: ما رأيت أطلب منه للعلم. كان معلماً و مقرئاً و مفتياً.

صحب عليا عليه السلام و لم يتخلف عن حروبه. توفي سنة ٦٢، و له من العمر ٦٣ سنة.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٦.

(٣) النهاية، ج ١، ص ٢٨.

(٤) راجع: الخطبة الشقشقية من نهج البلاغة، رقم ٣.

(٥) راجع: تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب، ج ٣، ص ٥١، رقم ١٠٨٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٥

فعرّف من أسباب النزول ما لم يعرفه غيره (كعلي بن أبي طالب عليه السلام) أضف إلى ذلك أن الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية و مواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافا عظيما (١).

هذا

عدى بن حاتم (٢)، العربي الصميم، حسب من قوله تعالى: وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ... (٣) أنه تمايز أحد خيطين: أبيض و آخر أسود، أحدهما عن الآخر في ضوء الفجر، فأخذ عقالين أبيض و أسود و جعلهما تحت و ساد، فجعل ينظر إليهما فلا يتبين له أحدهما عن الآخر، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بما صنع، فضحك رسول الله من صنيعه ذلك، حتى بدت نواجذه

في رواية، قال له: إنَّ وسادك إذن لعريض - كناية عن عدم تتيهه لحقيقة الأمر - ثم قال له: إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل «٤»، إنه البياض المعترض على الأفق تحت سواد الليل المنصرم.

و

في الدر المنثور: لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٥.

(٢) هو ابن حاتم الموصوف بالجود الذي يضرب به المثل، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة تسع. كان جوادا شريفا في قومه. وكان ثابت الإيمان راسخ العقيدة، روى عنه أنه قال: ما دخل عليّ وقت صلاة إلّا وأنا مشتاق إليها. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرمه إذا دخل عليه. قال الشعبي: أرسل إليه الأشعث يستعير منه قدور حاتم فملأها وحملها الرجال إليه. فقال: إنما أردناها فارغة، فقال عدّي: إنّا لا نغيرها فارغة. كان منحرفا عن عثمان، ثابتا مع أمير المؤمنين عليه السلام فقئت عينه يوم الجمل و قتل ابنان له في ركاب علي عليه السلام وشهد صفين بنفسه. توفي سنة ٦٧ بالكوفة أيام المختار، وله مائة وعشرون سنة، (أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٩٢)

(٣) البقرة/ ١٨٧.

(٤) فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر، ج ٤، ص ١١٣-١١٤. و تفسير الطبري، ج ٢، ص ١٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٦

المستطيل - وهو الساطع المصعد - ولكن الفجر المستظهر في الأفق، هو المعترض الأحمر، يلوح إلى الحمرة

و.

في حديث: لا- يمنعكم أذان بلال من سحوركم فإنه ينادى بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر «١».

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «الفجر هو الخيط الأبيض المعترض، وليس هو الأبيض صعدا» «٢».

وزعمت عائشة من قوله تعالى: يُؤْتُونَ مَا آتَوْا إرادته ارتكاب المآثم، الأمر الذي يتنافى مع سياق الآية الواردة بشأن الإشادة بموضع المؤمنين حقا، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ - إلى قوله - وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ. أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ.

(١) الدر المنثور، ج ١، ص ١٩٨-٢٠٠.

هكذا رواه القوم بشأن بلال و ابن أم مكتوم، ولعله اشتباه من الراوى أو الناسخ؛ لأن بلالا كان هو المؤذن المعتمد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأصحاب. وكان ابن أم مكتوم مكفوبا، يؤذن قبيل طلوع الفجر، وكان ذلك سبب تشريع أذانين. وقد تداول عليه أهل المدينة، حتى اليوم.

قال أبو جعفر الصدوق: كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مؤذنان، بلال و الآخر ابن أم مكتوم و كان أعمى، و كان يؤذن قبل الصبح. و كان بلال يؤذن بعد الصبح، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن ابن أم مكتوم يؤذن بالليل، فإذا سمعتم أذانه فكلوا واشربوا، حتى تسمعوا أذان بلال. فغيرت العامة هذا الحديث عن جهته، و

قالوا: إنه عليه السلام قال: إن بلالا يؤذن بليل، فإذا سمعتم أذانه فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم (من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٩٣-١٩٤) (٢) وسائل الشيعة، ج ٣، ص ١٥٣، رقم ٤، باب ٢٧، المواقيت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٧

أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ «١».

فسألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقالت: هو الذي يسرق و يزنى و يشرب الخمر، و هو يخاف الله؟! فقال

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لا، و لكنّه الذي يصوم و يصلّي و يتصدّق و يخاف الله. «٢» كناية عن إتيانه الطاعات، و جلا أن لا يكون مؤدياً لها تامّة حسبما أراد الله.

و لعلها كانت تتصور من الكلمة أنها مقصورة (يأتون ما أتوا) بمعنى: (يعملون ما عملوا)، و قد أسلفنا الكلام عن تزييفه. «٣» و أنّ الصحيح هو قراءة المدّ (يؤتون ما أتوا) بمعنى: يؤدّون ما أدّوا، أي من أفعال البرّ و الخيرات، من غير إعجاب و لا رياء، و إلى ذلك ينظر تفسيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و

روى زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال: أتى عمّار بن ياسر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، أجنبت الليلة و لم يكن معي ماء. قال: كيف صنعت؟ قال: طرحت ثيابي ثم قمت إلى الصعيد فتمعكت «٤»!! فعلمه رسول الله التيمّم، سواء أ كان بدل وضوء أم بدل غسل «٥».

و قرأ عمر بن الخطّاب من سورة «عبس» حتى وصل إلى قوله تعالى: (١) المؤمنون / ٥٧-٦١.

(٢) الإتقان، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٣) عند المبحث عن مسألة التحريف عند حشوية العامة برقم ٢٠. و راجع: المستدرک، ج ٢، ص ٢٣٥ و ٢٤٦.

(٤) التمعك: التمرغ في التراب.

(٥) العياشي، ج ١، ص ٢٤٤، رقم ١٤٤ و ١٤٥ و ص ٣٠٢، رقم ٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٨

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَبْتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَ عَنَّا وَ قَصَبًا، وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا، وَ حَدَائِقَ غُلْبًا، وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا، مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ «١»، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال:

إنّ هذا لهو التكلّف يا عمر! و في رواية: ثم رفض - أو نقض - عصا كانت في يده، و قال: هذا لعمر الله هو التكلّف، فما عليك أن لا تدري ما الأب، اتبعوا ما بين لكم هداة من الكتاب فاعملوا به، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه! - و لعله سئل عن تفسير الآية فحار في الجواب.

و قد ورد أن أبا بكر - أيضا - سئل قبل ذلك عن تفسير الآية، فقال: أيّ سماء تظلني، و أيّ أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم. «٢»

قال الذهبي: و لو أنّا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنّهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تتفاوت مراتبهم، و أشكال على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم. و هذا يرجع إلى تفاوتهم في القوّة العقلية، و تفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف و ملابسات. و أكثر من هذا أنّهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة، و لا ضير في هذا، فإنّ اللغة لا يحيط بها إلّا معصوم، و لم يدع أحد أن كل فرد من أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها. (١) عبس / ٢٤-٣٢.

(٢) راجع: الدر المثور، ج ٦، ص ٣١٧، و المستدرک للحاكم، ج ٢، ص ٥١٤.

و الأب: العشب المتهبّي للزّعى و الجرّ، من قولهم: أبّ لكذا، إذا تهبّأ له. كما أنّ الفاكهة هي الثمرة الناضجة للأكل و القطف. جاء في المعجم الوسيط: الأب: العشب رطبه و يابس. يقال: فلان راع له الحبّ، و طاع له الأبّ، إذا زكا زرعه و اتسع مرعاه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٩

قال: و مما يشهد لهذا الذي ذهبنا إليه، ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عن أنس: أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لهو التكلّف يا عمر! و ما روى من أن عمر كان على المنبر

فقرأ: «أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ» (١) ثم سأل عن معنى التَخَوُّفِ، فقال له رجل من هذيل: التَخَوُّفُ عندنا التَنَقُّصُ، ثم أنشد:

تَخَوُّفُ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوُّفُ عَوْدِ النَّبْعَةِ السَّفْنِ (٢)

قال الطبرسي: التَخَوُّفُ: التَنَقُّصُ، وهو أن يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد، و تلك حالة يخاف معها الهلاك و الفناء و هو الغناء تدريجا، ثم أنشد البيت بتبديل الرحل إلى السير (٣).

قال الفراء: جاء التفسير بأنه التَنَقُّصُ. و العرب تقول: تَحَوَّفْتَهُ - بالحاء المهملة-: تَنَقَّصْتَهُ مِنْ حَافَاتِهِ. (٤)

و معنى الآية- على ذلك-: أنه تعالى يهلكهم على تدرج شيئا فشيئا، بما (١) النحل / ٤٧.

(٢) الموافقات، ج ٢، ص ٨٧-٨٨. (الذهبي، ج ١، ص ٣٤)

(٣) مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٦٣.

و الرحل: القتب و هو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج للفرس. و التامك: السنام، لارتفاعه، يقال: تمك السنام تموكا إذا طال و ارتفع. و القرد: الذي تجعد شعره فصار كأنه وقاية للسنام. و النبع:

شجر للقسي و السهام. و السفن: ما ينحت به كالمبرد و نحوه.

و معنى البيت: أن الرحل قد أخذ من جوانب السنام فجعل يأكله و ينقص من أطرافه، رغم سموكه و تجعده بالشعر المتلبد. كما يأخذ المبرد من أطراف عود النبع لبريه سهما أو قوسا.

(٤) معاني القرآن، ج ٢، ص ١٠١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٠

يجعلهم على خوف الفناء؛ حيث يرون أنهم في تنقيص، و الأخذ من جوانبهم تدريجا، و هذا نظير ما ورد في آية أخرى: أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا (١) و قوله: وَ لَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقُصِّ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ (٢).

و أيضا أخرج أبو عبيدة من طريق مجاهد عن عبد الله بن عباس، قال: كنت لا- أدري ما «فاطر السماوات» حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بشر. فقال أحدهما:

أنا فطرتها، و الآخر يقول: أنا ابتدأتها ... (٣)

قال الذهبي: فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى «الأب» و معنى «التخوف»، و يسأل عنهما غيره، و ابن عباس- و هو ترجمان القرآن- لا يظهر له معنى «فاطر» إلا بعد سماعه من غيره، فكيف شأن غيرهما؟! لا شك أن كثيرا منهم كانوا يكتبون بالمعنى الإجمالي للآية: فيكفيهم- مثلا- أن يعلموا من قوله تعالى:

«وَ فَكِّهَتْهُ وَ أَبَّأ» أنه تعداد للنعم التي أنعم الله بها عليهم، و لا يلزمون أنفسهم بتفهم معنى الآية تفصيلا، ما دام المراد واضحا جليا (٤).

## المفسرون من الأصحاب

اشتهر بالتفسير من الصحابة أربعة، لا خامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعاني القرآن، و هم: علي بن أبي طالب عليه السلام و كان رأسا و أعلم الأربعة، و عبد الله (١) الأنبياء / ٤٤. و نظيرتها آية أخرى في سورة الرعد / ٤١ أ و لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ... (٢) البقرة / ١٥٥.

(٣) الإتيان، ج ٢، ص ٤ (ط ٢) و ج ١، ص ١١٣، (ط ١)

(٤) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١١

ابن مسعود، وأبي بن كعب، و عبد الله بن عباس، كان أصغرهم و أوسع باعا في نشر التفسير.

أما غير هؤلاء الأربعة فلم يعهد عنهم في التفسير سوى النزر اليسير.

قال جلال الدين السيوطي: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، و ابن مسعود، و ابن عباس، و أبي بن كعب، و زيد بن ثابت، و أبو موسى الأشعري، و عبد الله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب، و الرواية عن الثلاثة (أبي بكر و عمر و عثمان) نزره جدًا «١».

قال الأستاذ الذهبي: و هناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء، كأنس بن مالك، و أبي هريرة و عبد الله بن عمر، و جابر بن عبد الله، و عبد الله بن عمرو بن العاص، و عائشة. غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جدًا، كما أن العشرة الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قلّة و كثرة، و المخصوصون بكثرة الرواية في التفسير منهم أربعة: علي بن أبي طالب، و ابن مسعود، و أبي بن كعب، و ابن عباس. أما باقي العشرة، و هم: زيد، و أبو موسى و ابن الزبير، فقد قلت عنهم الرواية، و لم يبلغوا ما بلغه الأربعة.

قال: لهذا نرى الإمساك عن الكلام في شأن السّنة، و نتكلم عن (علي بن أبي طالب) و (ابن مسعود) و (أبي بن كعب) و (ابن عباس) نظرا لكثرة الرواية عنهم في التفسير، كثرة غدت مدارس الأمصار على اختلافها و كثرتها «٢». (١) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٤.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٦٣-٦٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٢

### أعلم الصحابة بمعاني القرآن فالأعلم

قال الإمام بدر الدين الزركشي: و صدر المفسرين من الصحابة هو علي بن أبي طالب، ثم ابن عباس. و هو تجرّد لهذا الشأن، و المحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي عليه السلام، إلّا أن ابن عباس كان قد أخذ عن علي عليه السلام «١».

قال الأستاذ الذهبي: كان عليّ عليه السّلام بحرا من العلم، و كان قويّ الحجة سليم الاستنباط، أوتي الحظّ الأوفر من الفصاحة و الخطابة و الشعر، و كان ذا عقل ناضج و بصيرة نافذة إلى بواطن الأمور. و كثيرا ما كان يرجع إليه الصحابة في فهم ما خفي، و استجلاء ما أشكل. و قد دعا له رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حين ولاه قضاء اليمن، بقوله: «اللهم ثبت لسانه و اهد قلبه».

فكان موقفا مسددا، فيصلا في المعضلات «٢»، حتى ضرب به المثل، فقيل: «فضيئة و لا أبا حسن لها».

قال: و لا عجب، فقد تربى في بيت النبوة، و تغذى بلبان معارفها، و عمته مشكاة أنوارها. و قيل لعطاء: أ كان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا، و الله لا أعلمه. و عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ، لم نعدل عنه إلى غيره «٣».

قال ابن عباس: جلّ ما تعلّمت من التفسير، من عليّ بن أبي طالب. و قال: عليّ علم علما علّمه رسول الله، و رسول الله علّمه الله؛ فعلم النبي من علم الله، و علم (١) البرهان، ج ٢، ص ١٥٧، و البحار، ج ٨٩، ص ١٠٥ (بيروت)

(٢) و ناهيك قوله ابن الخطاب: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن» (أنساب الأشراف، ص ١٠٠، رقم ٢٩)

(٣) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٣

على من علم النبي، و علمي من علم عليّ عليه السّلام. و ما علمي و علم أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم في علم عليّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر. و في حديث آخر: فإذا علمي بالقرآن في علم عليّ عليه السّلام كالقراءة في المثعنجر، قال: القراءة: الغدير، و المثعنجر:



البحر «١».

و قال: لقد أعطى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام تسعة أعشار العلم، و أيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر، الأمر الذي أحوج الكل إليه و استغنى عن الكل، كما قال الخليل.

و قال سعيد بن جبیر: كان ابن عباس يقول: إذا جاءنا الثبث عن علي عليه السّلام لم نعدل به. و في لفظ ابن الأثير: إذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره.

و قد عرفت أن ما أخذه ابن عباس من التفسير فإنما أخذه عن علي عليه السّلام.

و قال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير عليّ بن أبي طالب

. قال: كان عمر يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو حسن. و قد روى البلاذري في الأنساب قوله عمر: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن».

و

قال أبو الطفيل: كان علي عليه السّلام يقول: سلوني، سلوني، سلوني عن كتاب الله تعالى، فو الله ما من آية إلّا و أنا أعلم أنزلت بليلى أو نهار ...

و قال عبد الله بن مسعود: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا و له ظهر و بطن، و أنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر و الباطن. «٢» (١) بحار الأنوار، ج ٨٩، (ط بيروت)، ص ١٠٥-١٠٦ عن كتاب سعد السعود للسيد ابن طاوس، ص ٢٨٥-٢٨٦. (٢) راجع في ذلك: أسد الغابة لابن الأثير، ج ٤، ص ٢٢-٢٣. و الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٥٠٩ و حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١، ص ٦٥. و أنساب الأشراف للبلاذري، ج ٢، ص ١٠٠، رقم ٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٤

و روى أبو عمرو الزاهد (٢٦١-٣٤٥) بإسناده إلى علقمة، قال: قال لنا عبد الله بن مسعود ذات يوم في حلقة: لو علمت أحدا هو أعلم مني بكتاب الله عزّ و جلّ، لضربت إليه آباط الإبل. قال علقمة: فقال رجل من الحلقة: ألقيت عليّا عليه السّلام؟

فقال: نعم، قد لقيته، و أخذت عنه، و استفدت منه، و قرأت عليه، و كان خير الناس و أعلمهم بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و لقد رأيت أنه كان بحرا يسيل سيلا ... «١»

قال ابن أبي الحديد- بصدد كونه عليه السّلام مرجع العلوم الإسلامية كلها-: و من العلوم علم تفسير القرآن و عنه أخذ، و منه فرّع. و إذا راجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك؛ لأنّ أكثره عنه و عن عبد الله بن عباس. و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له و انقطاعه إليه، و أنه تلميذه و خريجه. و قيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبه قطرة من المطر إلى البحر المحيط. «٢»

و

أخرج الحاكم بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «عليّ مع القرآن و القرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»

و

قال: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها» «٣».

و الآن فلنستمع إلى ما يصف عليه السّلام نفسه و موضعه من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

قال: «سلوني عن كتاب الله، فإنه ليست آية إلّا و قد عرفت بليلى نزلت أم بنهار، في سهل أو جبل»، «و الله ما نزلت آية إلّا و قد علمت فيم أنزلت و أين نزلت. و أنّ ربّي و هب لي قلبا عقولا و لسانا سؤلا».

قيل له: «ما بالك أكثر أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حديثاً؟ فقال: لأنني كنت إذا سألته (١) سعد السعود، ص ٢٨٥. البحار، ج ٨٩، ص ١٠٥.

(٢) شرح النهج، ج ١، ص ١٩.

(٣) المستدرک للحاكم، ج ٣، ص ١٢٦ و ١٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٥

أنبأني، و إذا سكتت ابتدأني» (١).

قال عليه السَّلام: «كنت أول داخل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و آخر خارج من عنده، و كنت إذا سألت أعطيت، و إذا سكتت ابتديت. و كنت أدخل على رسول الله في كل يوم دخله، و في كل ليلة دخله و ربّما كان ذلك في بيتي، يأتيني رسول الله أكثر من ذلك في منزلي. فإذا دخلت عليه في بعض منازله أحلى بي و أقام نساءه، فلم يبق عنده غيري. و إذا أتاني لم يقم فاطمة و لا أحدا من ولدي. و إذا سألته أجنبي، و إذا سكتت عنه و نفدت مسألي ابتدأني. فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلّا أقرأنيها و أملاها عليّ و كتبها بخطي، فدعا الله أن يفهمني و يعطيني، فما نزلت آية من كتاب الله إلّا حفظتها و علّمني تأويلها...» (٢).

و

في الكافي: «فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلّا أقرأنيها و أملاها عليّ، فكتبها بخطي، و علّمني تأويلها و تفسيرها، و ناسخها و منسوخها، و محكمها و متشابهها، و خاصها و عامها. و دعا الله أن يعطيني فهمها و حفظها.

فما نسيت آية من كتاب الله و لا علما أملاه عليّ و كتبه، منذ دعا الله لي بما دعا.

و ما ترك شيئاً علّمه الله من حلال و لا حرام، و لا أمر و لا نهى كان أو يكون، و لا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية، إلّا علّمني و حفظته، فلم أنس حرفاً واحداً. ثم وضع يده على صدري و دعا الله لي أن يملأ قلبي علماً و فهماً و حكماً و نوراً. فقلت: يا نبيّ الله- بأبي أنت و أمي- منذ دعوت الله لي بما دعوت، لم أنس شيئاً و لم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، (١) أنساب الأشراف للبلاذري، ص ٩٨-٩٩، رقم ٢٦ و ٢٧ و ٢٨.

(٢) المعيار و الموازنة للإسكافي، ص ٣٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٦

لست أتخوف عليك النسيان و الجهل! (١).

و

قد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعلي عليه السَّلام: «إنّ الله أمرني أن أدنيك و لا أقصيك، و أن أعلمك و لا أجفوك. فحقيق عليّ أن أعلمك، و حقيق عليك أن تعي» (٢).

و

في الخطبة القاصعة- من نهج البلاغة-: «و قد علمتم موضعي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة. وضعني في حجره و أنا ولد، يضمّني إلى صدره، و يكنفني إلى فراشه، و يمسنى جسده، و يشمّني عرفه، (٣) و كان يمضغ الشيء ثم يلقمّني. و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة (٤) في فعل.

و لقد قرن الله به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره.

و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، و يأمرني بالاعتداء به.

و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيري. و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

آله و سلم و خديجة و أنا ثالثهما. أرى نور الوحي و الرسالة، و أشم ريح النبوة.

و لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه و آله و سلم فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع، و ترى (١) الكافي الشريف، ج ١، ص ٦٤، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، رقم ١.  
(٢) المعيار و الموازنة، ص ٣٠١.

(٣) بفتح العين: رائحته الذكية.

(٤) الخطل: الخطأ ينشأ من عدم الروية.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٧

ما أرى، إلا أنك لست بنبي و لكنك لوزير. و أنك لعلى خير...» (١) و أما عبد الله بن مسعود، فهو من السابقين في الإيمان، و أول من جهر بالقرآن بمكة، و أسمع قريشا بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أودى في الله من أجل ذلك. و كان قد أخذه رسول الله إليه، فكان يخدمه في أكثر شئونه، و هو صاحب ظهوره و سواكه و نعله، و يلبسه إياه إذا قام، و يخلعه و يحمله في ذراعه إذا جلس، و يمشى أمامه إذا سار، و يستره إذا اغتسل، و يوقظه إذا نام، و يلج داره بلا حجاب، حتى لقد ظن أنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

هاجر الهجرتين، و صلى إلى القبلتين، و شهد المشاهد كلها مع رسول الله.

كان من أحفظ الناس لكتاب الله، و كان رسول الله يحب أن يسمع القرآن منه، و

كان صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من سره أن يقرأ القرآن غصًا طرًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

و كان حريصا على طلب العلم و لا سيما معانى آيات القرآن الكريم، قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن، و من ثم كان يقول: و الذى لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا و أنا أعلم فيم نزلت و أين نزلت، كما كان شديد الحرص أيضا على بث العلم و نشره بين العباد.

قال مسروق بن الأجدع: كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها و يفسرها، عامة النهار، و قد أذعن له عامة صحابة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بالفضيلة و العلم بالكتاب و السنة. (٢) «١» الخطبة، رقم ١٩٢، النهج، ج ١، ص ٣٩٢-٣٩٤.

(٢) حلية الأولياء، ج ١، ص ١٢٤-١٣٩. و أسد الغابة، ج ٣، ص ٢٥٦-٢٦٠ و الاستيعاب بهامش

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٨

و من ثم كانت له مكانة سامية في التفسير، و بذلك طار صيته، و عنه في التفسير الشيء الكثير، و الطرق إليه متقنة.

قال الخليلي في الإرشاد: و لإسماعيل السدي تفسير يورده بأسانيد إلى ابن مسعود و ابن عباس. و روى عن السدي الأئمة، مثل الثوري و شعبه، و أضاف: أن أمثل التفاسير تفسير السدي.

قال جلال الدين السيوطي - تعقيا على كلام صاحب الإرشاد-: و تفسير السدي الذي أشار إليه، يورد منه ابن جرير (الطبري) كثيرا من طريق السدي عن أبي مالك، و عن أبي صالح عن ابن عباس، و عن مرة عن ابن مسعود، و ناس من الصحابة هكذا. قال: و الحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء و يصححه، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود، و ناس فقط دون الطريق الأول «١»، أى طريق أبي صالح عن ابن عباس.

و كان بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد أخذ العلم من علي عليه السلام و ليس من غيره بتاتا.

و قد تقدم حديث علقمة، قال: قال ابن مسعود ذات يوم، و كنا في حلقة: لو علمت أن أحدا هو أعلم مني بكتاب الله عز و جل لضربت إليه أباط الإبل. قال علقمة: فقال رجل من الحلقة. ألقيت عليا؟ فقال: نعم، قد لقيته، و أخذت عنه، و استفدت منه، و قرأت عليه. و كان خير الناس و أعلمهم بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لقد رأيتته كان بحرا يسيل سيلا. «٢» الإصابة، ج ٢، ص

٣١٦-٣٢٤ والإصابة، ج ٢، ص ٣٦٨-٣٧٠.

(١) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) سعد السعود، ص ٢٨٥. البحار، ج ٨٩، ص ١٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٩

و عدّه الخوارزمي و شمس الدين الجزري في «أسنى المطالب» من رواه حديث الغدير من الصحابة. «١»

و أخرج جلال الدين السيوطي عنه نزول آية التبليغ (سورة المائدة/ ٦٧) بشأن عليّ عليه السّلام يوم الغدير، قال: و أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك- أن عليّا مولى المؤمنين- و إن لم تفعل فما بلغت رسالته، و الله يعصمك من الناس». «٢»

نعم كان ابن مسعود ممن شدّ وثاقه بولاء آل بيت الرسول، لم يشدّ عن طريقتهم المثلى منذ أوّل يومه فإلى آخر أيام حياته.

روى الصدوق أبو جعفر ابن بابويه بإسناده إلى زيد بن وهب الجهني أبي سليمان الكوفي «٣»: أنّ اثني عشر رجلا من صحابة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنكروا على أبي بكر تقدّمه على عليّ عليه السّلام و عدّ منهم: عبد الله بن مسعود.

و كان هو الذي أشاد بذكر أهل البيت، و بثّ حديث «الخلفاء اثنا عشر...» في الكوفة و ما والاها «٤».

قال المرتضى علم الهدى- بشأنه-: لا خلاف بين الأمة في طهارة ابن مسعود (١) راجع: الغدير، ج ١، ص ٥٣، رقم ٧٩.

(٢) الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٨. و الآلوسى في روح المعاني، ج ٦، ص ١٧٢.

(٣) وثقه أصحاب التراجم. قال الأعمش: إذا حدّثك زيد بن وهب عن أحد فكأنك سمعته من الذي حدّثك عنه. أسلم في حياة النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و هاجر إليه، فبلغته وفاته في الطريق. فهو معدود من كبار التابعين، سكن الكوفة و كان في الجيش الذي مع عليّ عليه السّلام في حربه الخوارج. و هو أوّل من جمع خطب عليّ عليه السّلام في الجمع و الأعياد و غيرهما. توفّي سنة ٩٦، و قد عمّر طويلا. (الخصال، ج ٢، ص ٤٦١، باب ١٢)

(٤) راجع: بحار الأنوار، ج ٣٦ (بيروت) صفحات ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و ٢٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٠

و فضله و إيمانه، و مدح النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم له و ثنائه عليه، و أنه مات على الحالة المحموده «١».

و سيأتي من تقى الدين أبي الصلاح الحلبي، عدّه و أبيّا من المخصوصين بولاية آل البيت «٢».

و

روى رضى الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن طاوس (٦٦٤) عن كتاب أبي عبد الله محمد بن علي السّراج في تأويل قوله تعالى: وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً «٣» بالإسناد إلى عبد الله بن مسعود، أنه قال:

قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «يا ابن مسعود، أنه قد أنزلت عليّ آية وَ اتَّقُوا فِتْنَةً... و أنا مستودعكها، فكن لما أقول لك واعيا و عنيّ له مؤديا، من ظلم عليّا مجلسي هذا كمن جحد نبوتى و نبوة من كان قبلى. فقال له الراوى: يا أبا عبد الرحمن، أسمعت هذا من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم؟ قال: نعم. قال: فكيف وليت للظالمين؟ قال:

لا جرم حلت عقوبة عملي «٤»، و ذلك أنى لم استأذن إمامي كما استأذن جندب و عمّار و سلمان، و أنا أستغفر الله و أتوب إليه «٥».

و مما يجدر التنبيه له أنّ عامية الكوفيين من مفسّرين و فقهاء و محدّثين، كان طابعهم الولاء لأهل البيت عليهم السّلام و قد خصّ أصحاب ابن مسعود بالميل لعلّى عليه السّلام الأمر الذي كانت البيئة الكوفية تستدعيه بالذات، على أثر وفرة العلماء من صحابة (١) قاموس الرجال للتستري، ج ٦، ص ١٣٦، ط ١، نقلا عن الشافى.

(٢) تقريب المعارف، ص ١٦٨.

(٣) الأنفال / ٢٥.

(٤) و في نسخة: جلبت.

(٥) الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص ٣٦، برقم ٢٥. و قاموس الرجال، ج ٦، ص ١٤١-١٤٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢١

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هناك. و لا غرو فإنهم أعرف بموضع أهل البيت و لا سيما سيدهم و كبيرهم علي بن أبي طالب، من رسول الله، و كثرة وصاياه بشأنهم، و التمسك بأذيالهم و السير على هديهم، فلا يضلوا أبدا.

و من ثم فقد امتازت الكوفة في أمور جعلتها في قمة العظمة و الإكبار، على مدى الدهور:

أولا: كانت مهجر علماء الصحابة الأخيار و أعلام الأمة الكبار، و بلغ أوجها عند مهاجرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

أخرج ابن سعد عن إبراهيم، قال: هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، و سبعون من أهل بدر. و بذلك قال ابن عمرو: ما من يوم إلا ينزل في فراتكم هذا ماثقيل من بركة الجنة. كناية عن مهاجرة أصحاب الرسول إليها فوجا فوجا. «١»

و ثانيا: أصبحت معهد العلم في الإسلام في دور نضارته و ازدهار معارفه، فمن الكوفة صدرت العلوم و المعارف الإسلامية، بشتى أنحاءها إلى البلاد، و سارت به الركبان إلى الأمصار في عهد طويل. أخرج ابن سعد- أيضا- عن عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا عبد الجبار بن عباس عن أبيه، قال: جالست عطاء، فجعلت أسأله. فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة. فقال عطاء: ما يأتينا العلم إلا من عندكم. «٢»

و ثالثا: كانت أرضا خصبة لتربية و لواء آل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في نفوس مؤمنة صادقة في إيمانها، مؤدية أجر رسالة نبيها، حافظه لكرامة رسول الله في ذريته الأنجاب، عارفة بأنهم سفن النجاة، و أحد الثقلين، و العروة الوثقى التي لا انفصام (١) الطبقات، ج ٦، (ط ليدن)، ص ٤٠، س ١٥ و ٢٠.

(٢) الطبقات، ج ٦، ص ٥، س ٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٢

لها، و من ثم

روى ابن سعد: «إن أسعد الناس بالمهدى أهل الكوفة» «١».

أما أصحاب ابن مسعود (الصحابي الجليل الموالي لآل بيت الرسول) فكانوا أصدق عند الناس على علي عليه السلام على ما أخرجه ابن سعد بإسناده عن أبي بكر ابن عياش عن مغيرة «٢»، كانوا لا يغالون و لا ينتقصون. و من ثم روى عن علي عليه السلام ما يدل على رضائه عن موقفهم هذا المشرف،

قال: «أصحاب عبد الله سرج هذه القرية» «٣».

### ملحوظة

إنما يعرف صلاح الرجل و استقامته في الدين، بتقواه عن محارم الله و استسلامه لأوامره و نواهيه، و في إطاعة الرسول و اتباع سنته و العمل بوصاياه، من غير أن يكون له الخيرة من أمره بعد ما قضى الله و رسوله؛ إذ مقتضى الإيمان الصادق أن يسلم أمره إلى الله و رسوله تسليما.

و من أهم وصاياه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و الذي جعله أجر رسالته، هو الانضواء تحت لواء أهل البيت و الاستمسك بعري وثاقهم مدى الحياة. و قد كان على عليه السلام شاخص هذا البيت الرفيع، فمن كان معه كان مع الحق، و من دار معه دار مع الحق، و

من حاد عنه حاد عن الإسلام و نبذ وصية الرسول وراء ظهره، و أعرض عن الحق الصريح. فكيف الثقة به و هو حائد عن الجادة، ضالّ عن الطريق، فلا يصلح أن يكون هاديا، و هو لم يهتد السبيل. (١) الطبقات، ج ٦، ص ٤، س ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥، س ٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤، س ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٣

الأمر الذى يحفز بنا أن نجعل من الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام محورا أساسيا فى هذا الحقل، و ميزانا يفصل بين الصالح و الطالح من الصحابة و التابعين - الفقهاء و المفسرين و المحدثين - و ليس ذلك منا بدعا، بعد ما جعله الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بابه الذى منه يؤتى، و سفينة النجاة، و ثانى الثقلين اللذين ما أن تمسّكت الأُمّة بهما معا (و لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض) لن يصلوا أبدا.

و لسنا نأخذ العلم إلّا ممن عرفنا صلاحه و وثقنا بإيمانه الصادق.

تلك وصية إمامنا أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام قال فى قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ «١»: «إلى العلم الذى يأخذه عمّن يأخذه» «٢».

و هكذا أبى بن كعب الأنصارى الخزرجى، هو أول من كتب لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عند مقدمه المدينة، و كان قد لُقّب بسيد المسلمين؛ لشرفه و فضله و علو منزلته فى العلم و الفضيلة، كما لُقّب بسيد القراء؛ لقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «و أقرؤهم أبى بن كعب».

و كان هو الذى تولّى رئاسة لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، عند ما عجز القوم الذين انتدبهم الخليفة لذلك، و لم يكونوا أكفاء، حسبما أسلفنا.

و عنه فى التفسير الشىء الكثير، و الطرق إليه متقنة أيضا.

قال جلال الدين: و أما أبى بن كعب، فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالى عنه، و هذا إسناد صحيح. و قد أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم منها كثيرا، و كذا الحاكم فى مستدركه، و أحمد فى (١) عبس / ٢٤.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٠٩، رقم ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٤

مسنده. «١»

و ذكر أبو الصلاح تقى الدين الحلبى (٣٧٤-٤٤٧) أبيّا و ابن مسعود من الثابتين على ولاء آل بيت الرسول، المتخصّصين بهم فى العهد الأول بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم «٢»، و أضاف: أن أبى حاول الإجهار بما يكنه ضميره فى أخريات حياته لو لا حؤول الموت. «٣» و قد كان من نفر الاثنى عشر الذين نعموا على أبى بكر تصديده ولاية الأمر دون الإمام أمير المؤمنين «٤»، و كابد الأمرين على ذاك الحادث الجلل، رافعا شكواه إلى الله (قال: و إلى الله المشتكى) «٥» و قد سمع من سعد بن عباد ما نطق بما يوجب فرض ولاية الإمام عليه السلام «٦».

و أما عبد الله بن عباس، فهو حبر الأُمّة و ترجمان القرآن، و أعلم الناس بالتفسير - تنزيله و تأويله - تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الموقّ و تربيته الخاصة، و قد بلغ من العلم مبلغا

قال فى حقّه الإمام أمير المؤمنين: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».

و لا غرو فإنّه

دعاء الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بشأنه: «اللهم فقّهه فى الدين و علّمه التأويل»

، أو

قوله: «اللهم علمه الكتاب والحكمة»، أو: «اللهم بارك فيه و أنشر منه». (٧)

(١) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) تقريب المعارف لأبي الصلاح، ص ١٦٨. و راجع: سفينة البحار، ج ١، ص ٨.

(٣) بنقل التستري في قاموس الرجال، ج ١، ص ٢٣٧.

(٤) الخصال للصدوق، ج ٢، ص ٤٦١.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٥٢.

(٦) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٤.

(٧) الإصابة، ج ٢، ص ٣٣٠ - ٣٣٤. و أسد الغابة، ج ٣، ص ١٩٢ - ١٩٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٥

قال صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم: «و لكل شيء فارس، و فارس القرآن ابن عباس» (١).

ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، فحنكه النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم و بارك له.

فتربى في حجره، و بعد وفاته صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم كان قد لازم بيت النبوة. و رباه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأحسن

تربيته، و من ثم كان من المتفانين في ولاء الإمام عليه السلام.

و قد صحَّ قوله: «ما أخذت من تفسير القرآن فمن علي بن أبي طالب». هذا في أصول التفسير و أسسه.

و كان يراجع سائر الأصحاب ممن يحتمل عنده شيء من أحاديث الرسول و سنته، مجدداً في طلب العلم مهما كلف الأمر. فكان يأتي

أبواب الأنصار ممن عنده علم من الرسول، فإذا وجد أحدهم نائماً كان ينتظره حتى يستيقظ، و ربما تسفى على وجهه الريح، و لا

يكلف من يوقظه حتى يستيقظ هو على دأبه، فيسأله عما يريد و ينصرف، و بذلك كان يستعير عما فاتته من العلم أيام حياة النبي

صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم لصغره، باستطراق أبواب العلماء من صحابته الكبار.

قيل لطاوس: لزم هذا الغلام - يعنى ابن عباس لكونه أصغر الصحابة يومذاك - و تركت الأكابر من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ

عليه و آله و سلم؟ قال: إنى رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله، إذا تدارءوا في أمر، صاروا إلى قول ابن عباس.

و عن عبيد الله بن علي بن أبي رافع، قال: كان ابن عباس يأتي جدى أبا رافع، فيسأله عما صنع النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم يوم

كذا، و معه من يكتب له ما يقول.

قال مسروق بن الأجدع: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدت قلت: أعلم الناس.

و قال أبو بكر: قدم علينا ابن عباس البصرة، و ما في العرب مثله حشماً، (١) بحار الأنوار، ج ٢٢، (ط بيروت)، ص ٣٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٦

و علماً، و ثياباً، و جمالاً، و كمالاً.

و قد لقب حبر الأمة، و البحر؛ لكثرة علمه. و ترجمان القرآن، و ربانى هذه الأمة؛ لاضطلاعه بمعانى القرآن و وجوه السنّة و الأحكام.

و له مواقف مشهودة مع أمير المؤمنين عليه السلام في جميع حروبه: صفين، و الجمل، و النهروان. مات بالطائف سنة (٦٨) و قد ناهز

السبعين، و صَلَّى اللهُ عليه محمد ابن الحنفية (١).

روى أبو عمرو و محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي بإسناده إلى عبد الله بن عبد ياليل - رجل من أهل الطائف - قال: أتينا ابن عباس

رحمه الله نعوذ في مرضه الذى مات فيه، فأغمى عليه فأخرج إلى صحن الدار، فأفاق، و قال كلمته الأخيرة:

إن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم أنبأنى أنى سأهجر هجرتين: فهجرة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم، و هجرة مع

علّي عليه السّلام. و أمرني أن أبرأ من خمسة: من الناكثين: و هم أصحاب الجمل، و من القاسطين: و هم أصحاب الشام، و من الخوارج: و هم أهل النهروان، و من القدرية، و من المرجئة. ثم قال: «اللهم إني أحيا على ما حيي عليه علي بن أبي طالب، و أموت على ما مات عليه علي بن أبي طالب، ثم مات رحمه الله» (٢).

و هذا الذي

رواه الكشي عن رجل من أهل الطائف (عبد الله بن عبد ياليل)، رواه أبو القاسم علي بن محمد الخزاز الرازي - من وجوه العلماء في القرن الرابع - في كتابه «كفاية الأثر» - بصورة أوسع - بإسناده إلى عطاء، قال: دخلنا على عبد الله ابن عباس و هو عليل بالطائف، في العلة التي توفّي فيها - و نحن زهاء ثلاثين (١) الإصابة، ج ٢، ص ٣٣٠ - ٣٣٤، رقم ٤٧٨١. أسد الغابة، ج ٣، ص ١٩٢ - ١٩٥.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٢٧٧، رقم ١٠٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٧

رجلا من شيوخ الطائف - و قد ضعف، فسلمنا عليه و جلسنا، فقال لي: يا عطاء، من القوم؟ قلت: يا سيدي، هم شيوخ هذا البلد! منهم عبد الله بن سلمة بن حصرم الطائفي، و عمارة بن أبي الأجلح، و ثابت بن مالك. فما زلت أعد له واحدا بعد واحد. ثم تقدّموا إليه، فقالوا: يا ابن عم رسول الله، إنك رأيت رسول الله و سمعت منه ما سمعت، فأخبرنا عن اختلاف هذه الأمة؛ فقوم قدّموا علينا على غيره، و قوم جعلوه بعد الثلاثة؟

قال عطاء: فتنفّس ابن عباس الصعداء، فقال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم يقول: «علّي مع الحقّ و الحقّ معه، و هو الإمام و الخليفة من بعدي، فمن تمسّك به فاز و نجا، و من تخلف عنه ضلّ و غوى...»، و أخيرا قال: و تمسّكوا بالعروة الوثقى من عتره نبيكم، فإني سمعته يقول: «من تمسّك بعترتي من بعدي كان من الفائزين».

قال عطاء: ثم بعد ما تفرّق القوم، قال لي: يا عطاء، خذ بيدي و احملني إلى صحن الدار، فأخذنا بيده، أنا و سعيد، و حملناه إلى صحن الدار، ثم رفع يديه إلى السماء، و قال: «اللهم»، إنّي أتقرّب إليك بمحمد و آل محمد، اللهم إنّي أتقرّب إليك بولاية الشيخ، علي بن أبي طالب عليه السّلام». فما زال يكرّرها حتى وقع إلى الأرض. فصبرنا عليه ساعة ثم أقمناه فإذا هو ميت، رحمه الله عليه «١».

و له في فضائل أهل البيت و لا سيّما الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أقوال و آثار باقية، إلى جنب مواقفه الحاسمة.

و يكفيك أنه من رواة حديث الغدير الناصّ علي و لايه علي بالأمر، و مفسّرا (١) كفاية الأثر، ص ٢٩٠ - ٢٩١، و البحار، ج ٣٦، ص ٢٨٧ - ٢٨٨، رقم ١٠٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٨

له بالخلافة و الوصاية بعد الرسول صلّى الله عليه و آله و سلم، مصرا على ذلك.

أخرج الحافظ السجستاني بإسناده إلى ابن عباس، قال: «وجبت و الله في أعناق القوم...» (١).

و أما مواقفه بشأن الدفاع عن حريم أهل البيت فكثير (٢).

و أخيرا فإنه هو القائل: «إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب! الذي كان فيه فصل الخطاب. و أيضا قوله: «يوم الخميس، و ما يوم الخميس!». ثم بكى حتى بلّ دمه الحصى، إلى غير ذلك مما لا يحصى (٣).

الأمر الذي ينبؤك عن مدى صلته بهذا البيت الرفيع، و مبلغ ولائه و عرفانه (١) راجع: الغدير للعلامة الأميني، ج ١، ص ٤٩ - ٥٢ رقم ٧٦.

(٢) من ذلك ما نظمه الشاعر العبقرى أبو محمد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي، في أنشودة رثاها الإمام أبا عبد الله الحسين سيد الشهداء عليه السّلام، استنشده إياها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام، قال فيها:



و قد روى عكرمة في خبر ما شك في أحد و لا امترا  
 مرّ ابن عباس على قوم و قد سبوا علينا فاستراع و بكأ  
 و قال مغتظا لهم: أيكم سبّ إله الخلق جلّ و علا؟!  
 قالوا: معاذ الله. قال: أيكم سبّ رسول الله ظلما و اجترا؟!  
 قالوا: معاذ الله. قال: أيكم سبّ علينا خير من وطئ الحصا؟!  
 قالوا: نعم، قد كان ذا. فقال: قد سمعت و الله النبي المجتبي  
 يقول: من سبّ علينا سبني و سبّني سبّ الإله، و اكتفى!  
 (الغدِير، ج ٢، ص ٢٩٤-٣٠٠)

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٥٤-٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٩

بشأن آل الرسول صلوات الله عليهم أجمعين. «١»

و من ثمّ كان الأئمة من ذريّة الرسول عليهم السّلام يحبّونه حبّا جمّا و يعظّمون من قدره و يشيدون بذكره.

روى المفيد في كتاب الاختصاص بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السّلام، قال: كان أبي (الإمام أبو جعفر الباقر عليه السّلام) يحبّه (أى ابن عباس) حبّا شديدا. و كان أبي، و هو غلام، تلبسه أمّه ثيابه، فينطلق في غلمان بنى عبد المطلب، فأتاه (أى ابن عباس) بعد ما أصيب بصره، فقال: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ فقال: حسبك، من لم يعرفك فلا عرفك «٢»، أى يكفى أنى أعرفك من أنت.

كانت ولادة الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السّلام، سنه (٦٠) على قول راجع «٣»، قبل واقعة الطفّ (٦١) بسنة. و قد كفّ بصر ابن عباس بعد واقعة الطفّ؛ لكثرة بكائه على مصائب أهل البيت عليهم السّلام. «٤» و فى رواية: أنه كفّ بصره قبل وفاته بسنة «٥»، و كانت وفاته عام (٦٨) و عليه- إن صحت الرواية- فقد كانت سنّ الإمام أبي جعفر حينذاك بين السادسة و السابعة.

قال العلامة- فى الخلاصة-: عبد الله بن العباس من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، كان محبّا لعلى عليه السّلام و تلميذه- حاله فى الجلالة و الإخلاص لأمر المؤمنين أشهر من أن يخفى. و قد ذكر الكشّى أحاديث تتضمن قدحا فيه، و هو أجلّ من ذلك. (١) راجع: بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٤٣ و ٢٨٥ و ج ٤١، ص ١٦-١٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٨١، رقم ٣٩.

(٣) رجّحه ابن حجر فى تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٥١.

(٤) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٥، عن كتاب سعد السعود للسيد ابن طاوس، ص ٢٨٥.

(٥) سفينة البحار، ج ٢، ص ١٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٠

و قد حمل السيد ابن طاوس- فى التحرير الطاوسى- ما ورد فى جرحه بعد تضعيف الإسناد- على الحسد، قد صدر من الحاسدين الحاقدين عليه، قال:

و مثل حبر الأئمة- رضوان الله عليه- موضع أن يحسده الناس و ينافسوه، و يقولوا فيه و يباهتوه.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله الناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا و بغيا: إنه لدميم

و قد بحث الأئمة النقاد عن روايات القدح، و لا سيّما ما قيل بشأنه من الهروب ببيت مال البصرة، و ما ورد من التعنيف لفعله ذلك،

فاستخرجوا في نهاية المطاف من ذلك دلائل الوضع و الاختلاق بشأن هذا العبد الصالح الموالى لآل بيت الرسول. نعم كان الرجل ممقوتا عند رجال السلطة الحاكمة، لا سيما و كان يجابههم بما يخشون صراحتة و صرامته، و من ثم كان طاغية العرب معاوية الهاوية، يلعنه ضمن نفر الخمسة الذين كان يلعنهم في قوته «١»، و كان ذلك من شدة قنوطه من رحمة الله التي وسعت كل شيء، أنه من قوم غضب الله عليهم قد يسوا من الآخرة كما ينس الكفار من أصحاب القبور «٢».

و للمولى محمد تقى التستري- أدام الله فضله و ألبسه ثوب العافية- تحقيق لطيف بشأن براءة الرجل من إصااق هكذا تهم مفضوحة، و أنه لم يزل في خدمة المولى أمير المؤمنين عليه السلام لم يبرح البصرة حتى قتل الإمام عليه السلام. و كان من المحرضين لبيعه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام. و بعد أن تم الصلح اضطر إلى (١) و هم: على و الحسن و الحسين و ابن عباس و الأشتر. شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٩٨ و راجع: بحار الأنوار، ج ٤٢ (ط بيروت) ص ١٧٦.

(٢) من الآية رقم ١٣ من سورة الممتحنة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣١

المغادرة إلى بيت الله الحرام حتى توفاه الله، عليه رضوان الله «١».

و لسيدنا الأستاذ العلامة الفاني- رحمه الله عليه- رسالة و جيزة في براءة الرجل، استوفى فيها الكلام بشأنه، جزاه الله خيرا عن الحق و أهله. «٢»

### توسعه في التفسير

و لم تمض العشرة الأولى من وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم إلّا و نرى ابن عباس قد تفرغ للتفسير و استنباط معاني القرآن. «٣» بينما سائر الصحابة كانت قد أشغلتهم شئون شتى، مما يرجع إلى جمع القرآن أو إقرائه، أو تعليم السنن و القضاء بين الناس، أو التصدي لسياسة البلاد، و ما شاكل. و إذا باين عباس نراه صارفا همته في فهم القرآن و تعليمه و استنباط معانيه و بيانه، مستعيا بذلك عما فاتة أيام حياة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لمكان صغره و عدم كفاءته ذلك الحين. فكان يستطرق أبواب العلماء من الصحابة الكبار، كآذا و جادا في طلب العلم من أهله أينما وجدته، و لا سيما من الإمام أمير المؤمنين باب علم النبي صلى الله عليه و آله و سلم، كما لم يفته عقد حلقات في مسجد النبي صلى الله عليه و آله و سلم لمدارسه علوم القرآن و معارفه و نشر تعاليم الإسلام من أفخم بؤرته القرآن. و يقال: «٤» إن ذلك كان بأمر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ و بذلك فقد تحقق بشأنه دعاء الرسول: «اللهم بارك فيه و أنشر منه»

(١) راجع: قاموس الرجال (ط الأولى) ج ٦، ص ٢-٦٥.

(٢) طبعت في قم المقدسة، سنة ١٣٩٨ هـ. ق.

(٣) كما قال الزركشي في البرهان، ج ٢، ص ١٥٧. قال: «و هو تجرد لهذا الشأن».

(٤) حدثني بذلك السيد محمد باقر الأبطحي عن المرحوم زعيم الملة في وقته السيد آغا حسين البروجردى قدس سره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٢

لكن بموازاة انتشار العلم منه في الآفاق، راجع الوضع على لسانه، لمكان شهرته و معرفته في التفسير. و من ثم فإن التشكيك في أكثر المأثور عنه أمر محتمل. قال الأستاذ الذهبي: روى عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة، و تعددت الروايات عنه، و اختلفت طرقها. فلا تكاد تجد آية من كتاب الله إلّا و لابن عباس فيها قول مأثور أو أقوال، الأمر الذي جعل نقاد الأثر و رواة الحديث يقفون

إزاء هذه الروايات - التي تجاوزت الحدّ - وقفه المرتاب «١».

قال جلال الدين السيوطي: و رأيت في كتاب فضائل الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن شاعر القطن، أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم، قال: سمعت الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه مائة حديث «٢».

و ذكر ابن حجر العسقلاني: أن البخاري لم يخرج من أحاديث ابن عباس، في التفسير وغيره، سوى مائتين و سبعة عشر حديثاً، بينما يذكر أن ما خرج من أحاديث أبي هريرة الدوسي، يبلغ أربعمئة و ستة و أربعين حديثاً. «٣»

غير أن معرفته الفائقة في التفسير، و أنّ الخريجين من مدرسته جعلته في قمة علوم التفسير. و هذا المأثور الضخم من التفسير الوارد عنه أو عن أحد تلامذته المعروفين - و هم كثرة عدد نجوم السماء - لما يفرض من مقامه الرفيع في إعلاء ذروة التفسير. منه يصدر و عنه كلّ مأثور في هذا الباب.

و لقد كان موضع عناية الأئمة، و لا سيما الكبار و الأئمة، من الصحابة و من (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٧٧.

(٢) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٩.

(٣) مقدمة شرح البخاري، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٣

عاصره و ممن لحقه على مدى الأحقاب. فما أكثر ما يدور اسمه في كتب التفسير على اختلاف مبانيها و مناهجها، و متنوع مسالكها و منازعها في السياسة و المذهب.

قال الدكتور الصاوي: و لعلّ في كثرة ما وضع و نسب إليه آية على تقدير له و إكباراً من الوضاع، و رغبة في تنقّ بضاعتهم، موسومة بمن في اسمه الرواج العلمي «١».

## منهجه في التفسير

### إشارة

كان ابن عباس تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و منه أخذ العلم و تلقى التفسير، سواء في أصول مبانيه أم في فروع معانيه، فقد سار على منهج مستقيم في استنباط معاني القرآن الحكيم.

إنه لم يحد عن منهج السلف الصالح في تفسير القرآن و فهم معاني كتاب الله العزيز الحميد، ذلك المنهج الذي رست قواعده على أسس قويمه و مبان حكيمة.

و قد حدّد ابن عباس معالم منهجه في التفسير بقوله: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، و تفسير لا يعذر أحد بجهالته، و تفسير يعلمه العلماء، و تفسير لا يعلمه إلا الله» «٢».

و

قد فسّرت رواية أخرى عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم قال: «أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال و حرام لا يعذر أحد بالجهالة به، و تفسير تفسره العرب، و تفسير تفسره العلماء، و متشابه لا يعلمه إلا الله...» «٣». (١) مناهج في التفسير، ص ٤١.

(٢) أبو جعفر الطبري - جامع البيان - ج ١، ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٤

فالقرآن، فيه مواظ و آداب و تكاليف و أحكام، يجب على المسلمين عامة المعرفة بها و العمل عليها؛ لأنها دستور الشريعة العام. فهذا

يجب تعليمه و تعلمه، و لا يعذر أحد بجهالته.

و فيه أيضا غريب اللغة و مشكلها، مما يمكن فهمها و حلّ معضلها، بمراجعة الفصيح من كلام العرب الأوائل؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، و على أساليب كلامهم المعروف.

و فيه أيضا نكات و دقائق عن مسائل المبدأ و المعاد، و عن فلسفة الوجود و أسرار الحياة، لا يبلغ كنهها و لا يعرفها على حقيقتها غير أولى العلم، ممن وقفوا على أصول المعارف، و تمكّنوا من دلائل العقل و النقل الصحيح.

و بقى من المتشابه ما لا يعلمه إلا الله، إن أريد به الحروف المقطعة في أوائل السور؛ حيث هي رموز بين الله و رسوله، لم يطلع الله عليها أحدا من العباد سوى النبي و الصفوة من آله؛ علمهم إياها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و إن أريد به ما سوى ذلك مما وقع متشابها من الآيات، فإنه لا يعلم تأويلها إلا الله و الراسخون في العلم، و هم رسول الله و العلماء الذين استقوا من منهل عذبه الفرات، لا سبيل إلى معرفتها عن غير طريق الوحي. فالعلم به خاص بالله و من ارتضاه من صفوة خلقه.

و على ضوء هذا التقسيم الرباعي يمكننا الوقوف على مباني التفسير التي استندها ابن عباس في تفسيره العريض:

### أولا- مراجعة ذات القرآن في فهم مراداته

إذ خير دليل على مراد أى متكلم، هي القرائن اللفظية التي تحفّ كلامه، و التي

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٥

جعلها مسانيد نطقه و بيانه، و قد قيل: للمتكلم أن يلحق بكلامه ما شاء ما دام متكلمًا، هذا في القرائن المتصلة. و كثيرا ما يعتمد المتكلمون على قرائن منفصلة من دلائل العقل أو الأعراف الخاصة، أو ينصب في كلام آخر له ما يفسر مراده من كلام سبق، كما في العموم و الخصوص، و الإطلاق و التقييد، و هكذا ...

فلو عرفنا من عادة متكلم اعتماده على قرائن منفصلة، ليس لنا حمل كلامه على ظاهره البدائي، قبل الفحص و اليأس عن صوارفه. و القرآن من هذا القبيل، فيه من العموم ما كان تخصيصه في بيان آخر، و هكذا تقييد مطلقاته و سائر الصوارف الكلامية المعروفة. و ليس لأى مفسر أن يأخذ بظاهر آية ما لم يفحص عن صوارفها و سائر بيانات القرآن التي جاءت في غير آية، و لا سيما و القرآن قد يكرّر من بيان حكم أو حادثه و يختلف بيانه حسب الموارد، و من ثم يصلح كل واحد دليلا و كاشفا لما أبهم في مكان آخر.

و هكذا نرى مفسرنا العظيم، عبد الله بن عباس، يجرى على هذا المنوال، و هو أمتن المجارى لفهم معانى القرآن، و مقدّم على سائر الدلائل اللفظية و المعنوية. فلم يغفل النظر إلى القرآن الكريم نفسه، في توضيح كثير من الآيات التي خفي المراد منها في موضع، ثم وردت بشيء من التوضيح في موضع آخر.

شأنه في ذلك شأن سائر المفسرين الأوائل، الذين ساروا على هدى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

فمن هذا القبيل ما رواه السيوطي بأسانيده إلى ابن عباس، في قوله تعالى:

قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ... «١» قال: كنتم أمواتا قبل أن يخلقكم؛ (١) غافر/ ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٦

فهذه ميتة، ثم أحياكم؛ فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور؛ فهذه ميتة أخرى، ثم يعثكم يوم القيامة؛ فهذه حياة. فهما ميتتان و حياتان، فهو كقوله تعالى:

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ «١»، و هكذا أخرج عن ابن مسعود و أبى مالك و قتادة أيضا «٢».

### ثانيا- رعايته لأسباب النزول

ولأسباب النزول دورها الخطير في فهم معانى القرآن؛ حيث الآيات و السور نزلت نجوما، و فى فترات و شئون يختلف بعضها عن بعض. فإذا كانت الآية تنزل لمناسبة خاصة و لعلاج حادثه وقعت لوقتها، فإنها حينذاك ترتبط معها ارتباطا وثيقا. و لو لا الوقوف على تلك المناسبة، لما أمكن فهم مرامى الآية بالذات، فلا بدّ لدارس معانى القرآن أن يراعى قبل كل شىء شأن نزول كل آية آية، و يهتم بأسباب نزولها. هذا إذا كان لنزولها شأن خاص، فلا بدّ من النظر و الفحص.

و هكذا اهتمّ حبر الأُمّية بهذا الجانب، و اعتمد كثيرا لفهم معانى القرآن على معرفة أسباب نزولها، و كان يسأل و يستقصى عن الأسباب و الأشخاص الذين نزل فيهم قرآن و سائر ما يمسّ شأن النزول، و هذا من امتيازها الخاص الموجب لبراعته فى التفسير. و قد مرّ حديث إتيانه أبواب الصحابة يسألهم الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، «٣» كان حريصا على طلب العلم و منهوما لا يشع:

من ذلك ما رواه جماعة كبيرة من أصحاب الحديث، بإسنادهم إلى ابن (١) البقرة/ ٢٨.

(٢) الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٤٧. و راجع: الطبرى تفسيره، ج ٢٤، ص ٣١.

(٣) الإصاغة، ج ٢، ص ٣٣١-٣٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٧

عباس، قال: لم أزل حريصا أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم اللّتين قال الله تعالى بشأنهما إنّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما ... «١» حتى حجّ عمر و حججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر و عدلت معه بالإداوة، ففتبرّز ثم أتى، فصببت على يديه فتوضّأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم اللتان قال الله: إنّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما؟ فقال: وا عجباً لك يا ابن عباس! هما: عائشة، و حفصة «٢».

و فى تفسير القرطبي، قال ابن عباس: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللّتين تظاهرتا على النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ما يمنعنى إلّا مهابته، فسألته، فقال: هما حفصة و عائشة «٣».

و لقد بلغ فى ذلك الغاية، حتى لنجد اسمه يدور كثيرا فى أقدم مرجع بين أيدينا عن سبب النزول، و هو سيرة ابن إسحاق التى جاء تلخيصها فى سيرة ابن هشام.

قال: و كان ابن عباس يقول: فيما بلغنى نزل فى النضر بن حارث ثمان آيات من القرآن: قول الله عز و جل: إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ «٤»، و كل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن «٥».

قال: و حدثت عن ابن عباس أنه قال- و سرد قصّة سؤال أحبار اليهود (١) التحريم/ ٤.

(٢) الدر المنثور، ج ٦، ص ٢٤٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢٦.

(٤) القلم/ ١٥.

(٥) ابن هشام، ج ١، ص ٣٢١. تكرر لفظ «الأساطير» فى تسع سور مكية: الأنعام/ ٢٥. الأنفال/ ٣١.

النحل/ ٢٤. المؤمنون/ ٨٣. الفرقان/ ٥. النمل/ ٦٨. الأحقاف/ ١٧. القلم/ ١٥. المطّفين/ ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٨

النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم عند مقدمه المدينة:- فأنزل الله عليه فيما سأله عنه من ذلك: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ... «١».

قال: و أنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه من تسيير الجبال وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ... «٢».

قال: و أنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك و قالوا ما لهذا الرسول ... «٣»،  
و أنزل عليه في ذلك من قولهم: و ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام و يمشون في الأسواق ... «٤»، و كذا في قوله  
تعالى: و لا تجهز بضيلائك و لا تخاف بها .. «٥»: إنما أنزلت من أجل أولئك النفر ... «٦» و هكذا يتابع ذكر أسباب نزول آيات، و  
في الأكثر يسندها إلى ابن عباس.

و قد برع ابن عباس في هذه الناحية من نواحي أدوات التفسير، حتى كان يخلص آي القرآن المدني من المكي. فقد سأل أبو عمرو  
ابن العلاء مجاهدا عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي، فقال: سألت ابن عباس عن ذلك، فجعل ابن عباس يفصلها له. و هكذا  
وجد ابن عباس بدوره قد سأل أبي بن كعب عن ذلك «٧».

كما تقصى أسباب النزول فأحسن التقصى، فكان يعرف الحضري من (١) لقمان / ٢٧.

(٢) الرعد / ٣١.

(٣) الفرقان / ٧.

(٤) الفرقان / ٢٠.

(٥) الإسراء / ١١٠.

(٦) راجع: ابن هشام، ج ١، ص ٣٣٠ و ٣٣٥.

(٧) راجع: الإتقان، ج ١، ص ٢٤ و ٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٩

السفري، و النهاري من الليلى، و فيم أنزل و فيم أنزل، و متى أنزل و أين أنزل، و أول ما نزل و آخر ما نزل، و هلم جزأ «١»، مما يدل  
على براعته و نبوغه في تفسير القرآن.

### ثالثاً - اعتماده المأثور من التفسير المروي

اعتمد ابن عباس في تفسيره على المأثور عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الطيبين من آله و المنتجبين من أصحابه. و قد أسلفنا  
تتبعه عن آثار الرسول و أحاديثه. كان يستطرق أبواب الصحابة العلماء، ليأخذ منهم ما حفظوه من سنة النبي و سيرته الكريمة. و قد جدّ  
في ذلك و اجتهد مبلغ سعيه وراء طلب العلم و الفضيلة، حتى بلغ أقصاها. و قد سئل: أنى أدركت هذا العلم؟ فقال: بلسان سئول و  
قلب عقول «٢».

هو حينما يقول: «جلّ ما تعلمت من التفسير من عليّ بن أبي طالب عليه السلام» «٣»، أو «ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي  
طالب» «٤»، إنما يعنى اعتماده المأثور من التفسير، إذا كان الأثر صحيحاً صادراً من منبع و ثيق.

و هكذا عند ما كان يأتي أبواب الصحابة بغية العثور على أقوال الرسول في مختلف شئون الدين و منها المأثور عنه في التفسير، إنّ  
ذلك كلّه لدليل على مبلغ اعتماده على المنقول صحيحاً من التفسير. (١) الإتقان، ج ١، ص ٥١-٥٧ و ٦٠-٦٤ و ٦٨-٧٦ و غير ذلك

..

(٢) التصحيح و التحريف للصاحبي، ص ٣.

(٣) سعد السعود لابن طاوس، ص ٢٨٥.

(٤) التفسير و المفسرون للذهبي، ج ١، ص ٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٠

فهو عند كلامه الأنف إنما يلقي الضوء على تفاسيره بالذات، و أنها من النمط النقلي في أكثره، و إن كان لا يصرّح به في الموارد، بعد

إعطاء تلك الكلية العامة.

#### رابعا - اضطلاع بالأدب الرفيع

لا شك أن القرآن نزل بالفصحى من لغة العرب، سواء فى مواد كلماته أم فى هياات الكلم و حركاتها البنائية و الإعرابية، اختار الأفتح الأفسى فى اللغة دون الشاذ النادر. و حتى من لغات القبائل اختار المعروف المألوف بينهم دون الغريب المنفور. فما أشكل من فهم معانى كلماته، لا بدّ لحلّها من مراجعة الفصيح من كلام العرب المعاصر لنزول القرآن؛ حيث نزل بلغتهم و على أساليب كلامهم المألوف.

و هكذا نجد ابن عباس يرجع، عند مبهمات القرآن و ما أشكل من لفظه، إلى فصيح الشعر الجاهلى، و البديع من كلامهم الرفيع. و كان استشهاده بالشعر إنما جاءه من قبل ثقافته الأديية و اضطلاع بالغة و فصيح الكلام. و فى تاريخ الأدب العربى آنذاك شواهد رائعة تشيد بنوعه و مكانته السامية فى العلم و الأدب.

و ساعده على ذلك ذكاء مفرد و حافظه قوية لاقطه، كان لا يسمع شيئا إلّا و كان يحفظه بكامله لوقته.

يروى أبو الفرج الأصبهاني بإسناده إلى عمر الركاء، قال: بينا ابن عباس فى المسجد الحرام و عنده نافع بن الأزرق (رأس الأزارقة من الخوارج) و ناس من الخوارج يسألونه؛ إذ أقبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين مصبوغين موزدين أو ممصيرين «١» حتى دخل و جلس. فأقبل عليه ابن عباس فقال: أنشدنا، فأنشده: (١) ثوب ممصّر: مصبوغ باللون الأحمر، و فيه شىء من صفرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤١

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر؟

حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الأزرق، فقال: الله يا ابن عباس! إننا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال و الحرام فتتناقل عنا، و يأتيك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى و أما بالعشى فيخسر!

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى و أما بالعشى فيحصر! فقال: ما أراك إلا و قد حفظت البيت! قال: أجل! و إن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إيّاها. قال: فإنى أشاء. فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها. و ما سمعها قطّ إلّا تلك المرّة صفحا «١»، و هذا غاية الذكاء.

فقال له بعضهم: ما رأيت أذكى منك قطّ! فقال: و لكننى ما رأيت قطّ أذكى من على بن أبى طالب عليه السلام.

و كان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئا قطّ إلّا رويته.

ثم أقبل على ابن أبى ربيعة، فقال: أنشد، فأنشده:

تشطّ غدا دار جيراننا ... و سكت.

فقال ابن عباس: و للدار بعد غد أبعد! فقال له عمر: كذلك قلت - أصلحك الله - أسمعته؟ قال: لا، و لكن كذلك ينبغي!! «٢» و هذا

غاية فى الفطنة و الذكاء، مضافا إليه الذوق الأدبى الرفيع! (١) أى مرورا و عرضا.

(٢) الأغانى، ج ١، ص ٨١-٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٢

و هو الذى كان يحفظ خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الرنّانة فور استماعها، فكان راوية الإمام فى خطبه و سائر مقالاته.

و كان ذوقه الأدبى الرفيع و ثقافته اللغوية العالية، هو الذى حدا به إلى استخدام هذه الأداة ببراعة، حينما يفسّر القرآن و يشرح من

غريب لفظه. كان يقول: الشعر ديوان العرب، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن، الذى أنزله الله بلغه العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه.

و أخرج ابن الأنبارى من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه فى الشعر، فإن الشعر ديوان العرب (١).

و أخرج الطبرى من طريق سعيد بن جبير- فى تفسير قوله تعالى: وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (٢)- عن ابن عباس، و قد سئل عن (الحرَج)، قال: إذا تعاجم شىء من القرآن فانظروا فى الشعر فإن الشعر عربى. ثم دعا أعرابيا فقال: ما الحرَج؟ قال: الضيق. قال ابن عباس: صدقت (٣).

و كان إذا سئل عن القرآن، فى غريب ألفاظه، أنشد فيه شعرا. قال أبو عبيد: يعنى كان يستشهد به على التفسير.

قال ابن الأنبارى: و قد جاء عن الصحابة و التابعين كثيرا، الاحتجاج على غريب القرآن و مشكله بالشعر، قال: و أنكروا جماعة- لا علم لهم- على النحويين ذلك، و قالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن. و ليس الأمر كما زعموا، (١) الإتيان، ج ٢، ص ٥٥. (٢) الحج / ٧٨.

(٣) الطبرى، ج ١٧، ص ١٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٣

بل المراد تبين الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأنه تعالى يقول: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا (١)، و قال: وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (٢).

### مسائل ابن الأزرق

و لعل أوسع ما أثر عن ابن عباس فى هذا الباب هى مسائل نافع بن الأزرق الخارجى (٣)، جاء ليسأل حبر الأمة تعنتا لا تفهما. و كان متقنا للعربية و أمير قومه و فقيههم، فحاول إفحام مثل ابن عباس استظهارا لمذهبه.

و القصة كما رواها السيوطى فى الإتيان، فيها شىء من الغرابة، و لعل فيها زيادة و تحريفا، غير أنها على كل حال تحدت من اتجاه ابن عباس اللغوى فى التفسير، و اضطلاع بالأدب الرفيع.

قال جلال الدين السيوطى: قد روينا عن ابن عباس كثيرا من استشهاده بالشعر لحل غريب القرآن، و أوعب ما روينا عنه مسائل ابن الأزرق- و ساقها تماما حسب استخراجها من كتاب الوقف لابن الأنبارى، و المعجم الكبير للطبرانى- (٤) و لنذكر منها طرفا:

قال بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، و إذا بنافع بن الأزرق قال لنجدة بن عويمر (٥): «٥» قم بنا إلى هذا الذى (١) الزخرف / ٣.

(٢) النحل / ١٠٣، الإتيان، ج ٢، ص ٥٥.

(٣) نافع بن الأزرق الحنفى الحرورى، رأس الأزارقة من الخوارج و إليه نسبتهم. هلك سنة (٦٥ هـ)

(٤) راجع الإتيان، ج ٢، ص ٥٦- ٨٨.

(٥) نجدة بن عامر الحنفى الحرورى، رأس الفرقة النجدية. كان من أصحاب الثورات ذلك العهد. هلك سنة (٦٩ هـ).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٤

يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فأتياه و قالوا: نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله، فتفسرها لنا، و تأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإن الله إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين. قال ابن عباس: سلانى عما بدا لكما.



فسأله نافع عن قوله تعالى: عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ «١»؟ قال:

العزون: الحلق الرقاق. قال نافع: و هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص و هو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال الراغب: عزون، واحده عزة، و أصله من: عزوته فاعتزى، أى نسبته فانتسب.

و قال الطبرسى: عزون، جماعات فى تفرقة، واحدهم عزة. و إنما جمع بالواو و النون؛ لأنه عوض، مثل سنه و سنون. و أصل عزة عزوة

من: عزاه يعزوه، إذا أضافه إلى غيره. فكل جماعة من هذه الجماعات مضافه إلى الأخرى «٢».

و سأله عن قوله: إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ «٣»؟ قال: نضجه و بلاغه. و استشهد بقول الشاعر:

إذا مشت وسط النساء تأودت كما اهتزَّ غصن ناعم النبت يانع «٤»

و سأله عن الْفُلُوكِ الْمَشْحُونِ «٥»؟ قال: السفينة الموقرة الممتلئة. و استشهد بقول ابن الأبرص: (١) المعارج / ٣٧.

(٢) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٥٧.

(٣) الأنعام / ٩٩.

(٤) أود و تأود: اعوجَّ و انحنى.

(٥) الشعراء / ١١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٥

شحنًا أرضهم بالخيال حتى تركناهم أذلَّ من الصراط «١»

و سأله عن زَينِم «٢»؟ قال: ولد زنى. و استشهد بقول الخطيم التميمي:

زينم تداعته الزجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع «٣»

قال الراغب: الزينم: الزائد فى القوم و ليس منهم. و هو المنتسب إلى قوم هو معلق بهم لا منهم.

و سأله عن جَدُّ رَبَّنَا «٤»؟ قال: عظمة ربنا. و استشهد بقول أمية بن أبى الصلت:

لك الحمد و النعماء و الملك ربنا فلا شيء أعلى منك جدًا و أمجدًا

و كان يبحث عن لغات القبائل و يترصد أخبارهم، استطلاعاً للغريب من ألفاظهم الواقعة فى القرآن، و كان إذا أشكل عليه فهم كلمة

أرجأها حتى يتسمع قول الأعراب ليعثر على معناها، طريقه متبعه لدى أهل التحقيق.

أخرج الطبرى بإسناده إلى ابن أبى يزيد قال: سمعت ابن عباس، و هو يسأل عن قوله تعالى: ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ «٥»،

قال: ما هاهنا من هذيل «٦» أحد؟ فقال رجل: نعم، قال: ما تعدون الحرجه فيكم؟ قال: الشيء الضيق. (١) شحن المدينة بالخيال: ملأها.

(٢) القلم / ١٣.

(٣) تداعوا الشيء: ادعوه. تداعى القوم: دعا بعضهم بعضا. و الأديم: وجه الأرض. و أكارع الأرض:

أطرافها القاصية.

(٤) الجن / ٣.

(٥) الحج / ٧٨.

(٦) تروى الأخبار أن هذيلًا كانت أحسن القبائل ثقافة و أوسعها فى اللغة، و من ثم تمنى عثمان - عند ما

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٦

قال ابن عباس: فهو كذلك «١».

و أخرج من طريق قتادة عن ابن عباس، قال: لم أكن أدري ما أفتيح بيننا و بين قومنا بالحق «٢» حتى سمعت ابنه ذى يزن تقول لزوجها:

تعال أفاتحك، تعنى أفاضيك «٣».

و أخرج أبو عبيد فى الفضائل من طريق مجاهد عن ابن عباس، قال: كنت لا أدرى ما فاطر السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ «٤» حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر، رفع إليه المصحف و رأى فيه شيئاً من اللحن - قال: لو كان المملئ من هذيل، و الكاتب من ثقيف، لم يقع فيه هذا. (مصاحف السجستاني، ص ٣٢-٣٣) و يروى أن عمر قرأ على المنبر: أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفِ النحل / ٤٧، و لم يدر ما معنى التَخَوُّفِ هنا! فسأل القوم عن ذلك، فقام إليه شيخ من هذيل و قال: هذه لغتنا التَخَوُّفِ: التنقص.

فقال له عمر: أو هل تعرف العرب ذلك؟ قال الشيخ: نعم، يقول الشاعر:

تَخَوُّفِ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامَكَ قَرْدًا كَمَا تَخَوُّفِ عَوْدِ النَّبْعَةِ السَّفْنِ

و السَّفْنِ: الحديدية التى يبرد بها خشب القوس. و القرد: الكثير القردان. و التامك: العظيم السنام.

يقول: إن الرحل تنقص سنام الناقه كما تأكل الحديدية خشب القوس.

(فجر الإسلام لأحمد أمين، ص ١٩٦ عن الموافقات، ج ٢، ص ٥٧ و ٥٨. و الذهبى، ج ١، ص ٧٤، عنه ج ١، ص ٨٨)

(١) تفسير الطبرى، ج ١٧، ص ١٤٣.

(٢) الأعراف / ٨٩.

(٣) الطبرى، ج ٩، ص ٣. و فى رواية: انطلق أفاتحك، تعنى أخاصمك ... و راجع: الإتيان، ج ٢، ص ٥.

و جاءت القصة فى تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ج ١، ص ٤٨ محرّفة. و راجع: أيضا مناهج التفسير للصاوى، ص ٣٤.

(٤) فاطر / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٧

فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها «١».

و فى تفسير الزمخشري - عند قوله تعالى: إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ «٢» - و عن ابن عباس: ما كنت أدرى ما معنى «يحور» حتى سمعت أعرابية تقول لبيتها لها:

حورى، أى ارجعى.

و استشهد الزمخشري بقول لبيد:

و ما المرء إلّا كالشهاب و ضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع «٣»

و قد جاء نفس الاستشهاد فى مسائل ابن الأزرقي أيضا «٤».

و هكذا استطاع بثقافته اللغوية أن يحيط بلغات القبائل، و يميز عن بعضها البعض.

روى عنه فى قوله تعالى: وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا «٥» أنه قال: البور، فى لغة أذرعات الفاسد، فأما عند العرب فإنه لا شىء «٦».

و قال فى قوله تعالى: وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ «٧» السمود: الفناء، و هى يمانية. (١) الإتيان، ج ٢، ص ٤.

(٢) الانشاق / ١٤.

(٣) الكشف، ج ٤، ص ٧٢٧.

(٤) الإتيان، ج ٤، ص ٦٤.

(٥) الفتح / ١٢.

(٦) رواه ابن قتيبة مسندا له إلى ابن عباس (تأويل مشكل القرآن، ج ٢، ص ١٣٣) و فيه شىء من التصحيف، صححناه على تفسير

الطبرى (ج ٢٦، ص ٤٩) من غير أن ينسبه إلى ابن عباس.

(٧) النجم / ٦١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٨

و فى قوله تعالى: أ تَدْعُونَ بَعْلًا «١» قال: ربًا، بلغة أهل اليمن.

و فى قوله: كَلَّا لَا وَزَرَ «٢» قال: الوزر: ولد الولد، بلغة هذيل.

و فى قوله: فى الكتابِ مَشْطُورًا «٣» قال: مكتوبا، و هى لغة حميريه، يسمون الكتاب أسطورا «٤».

بل نراه لم يقتصر على الإحاطة بلغات القبائل، حتى ضم إليها التعرّف إلى الكلمات الوافدة إلى العربية من لغات الأمم المجاورة. قال

فى قوله تعالى: إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا بلسان الحبشة، إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ «٥».

و قال فى قوله تعالى: فَوَثَّ مِنْ قُشُورِهِ هو بالعربية الأسد، و بالفارسية شار (شير)، و بالقبطية أريا، و بالحبشية قسورة «٦».

هذا، مضافا إلى معرفته بأداب سائر الأمم و رسومهم، كان يقول فى قوله تعالى: يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سِنَةٍ هو قول الأعاجم: «زه،

نوروز، مهرجان حر.» «٧».

و عن تلميذه سعيد بن جبير: هو قول بعضهم لبعض إذا عطس: زه هزار (١) الصفات/ ١٢٥.

(٢) القيامة/ ١١.

(٣) الإسراء/ ٥٨.

(٤) الإتيان، ج ٢، ص ٨٩-٩١.

(٥) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٦، المزمّل/ ٦.

(٦) المصدر نفسه، المدثر/ ٥١.

(٧) الطبرى، ج ١، ص ٣٤٠، البقرة/ ٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٩

سال، و فى رواية عن ابن عباس: هو قول أحدهم: زه هزار سال، يقول: عش ألف سنة. «١» «زه» و «زى» بالفارسية بمعنى الدعاء بطول

العمر، من «زيستن» بمعنى الحياة.

أضف إلى ذلك معرفته بالتاريخ و الجغرافية، و ما جرت على جزيرة العرب من حوادث و أيام، و قد أتاح له حظًا وافرا من هذه

الثقافة، تنقله فى البلاد، بين مكة و المدينة، ثم ولايته على البصرة و اشتراكه فى غزوة إفريقية، بل و تنقله بين أنحاء الجزيرة فى طلب

العلم؛ إذ كان يهتم الاهتمام كله بتعرّف قصية كل اسم أو موطن أو موضع جرى له ذكر فى القرآن، إن مبهما أو صريحا. يقول:

«الأحقاف، المذكور فى الكتاب العزيز: واد بين عمان و أرض مهرة». و أرض مهرة هى حضرموت كما جاء فى كلام ابن إسحاق. و

قال قتادة: الأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن. قال ياقوت: هذه ثلاثة أقوال غير مختلفة فى المعنى «٢».

و قال- فى البحرين:- روى عن ابن عباس: البحرين من أعمال العراق، و حدّه من عمان ناحية جرّ فار، و اليمامة على جبالها «٣».

و قال- فى عرفة:- و قال ابن عباس: حدّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبالها إلى قصر آل مالك و وادى عرفة «٤». (١)

الطبرى، ج ١، ص ٣٤٠ و الدر المنثور، ج ١، ص ٨٩.

(٢) معجم البلدان، ج ١، ص ١١٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٧.

(٤) معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٠

و قال- فى تحديد جزيرة العرب:- و أحسن ما قيل فى تحديدها ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى مسندا إلى ابن

عباس، قال: اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة أقسام. قال: و إنما سميت بلاد العرب جزيرة؛ لإحاطة الأنهار و البحار بها من جميع

أقطارها و أطرافها، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر «١».

إلى غيرها من موارد تدلّك على سعة معرفة ابن عباس بالأوضاع و الأحوال التي تكتنفه، شأن أيّ عالم و محقق خبير. و بعد فإنّ إحاطته باللغة و بالشعر القديم، لتدلّك على قوة ثقافته البالغة حدّا لم يصل إليه غيره، ممّن كان في طرازه ذلك العهد، الأمر الذي جعله بحقّ زعيم هذا الجانب من تفسير القرآن، حتى لقد قيل في شأنه: هو الذي أبدع الطريقة اللغوية في التفسير «٢» فضلا عن كونه أبا للتفسير في جميع جوانبه و مجالاته.

و بذلك كان قد كشف النقاب عن وجه كثير من آيات أحاطت بها هالة من الإبهام، لو لا معرفة سبب النزول. مثلا نتساءل: ما هي العلاقة بين (ذكر الله و ذكر الآباء) في قوله تعالى: فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا «٣» و السياق وارد بشأن أحكام الحج و مناسكه؟

و هنا يأتي ابن عباس ليوضح من موضع هذه العلاقة. قال: «إنّ العرب كانوا (١) معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٧.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٧٥ عن مذاهب التفسير الاسلامي لجولد تسيهر، ص ٨٩.

(٣) البقرة/ ٢٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥١

عند الفراغ من حجّتهم بعد أيام التشريق، يقفون بين مسجد منى و بين الجبل، و يذكر كل واحد منهم فضائل آبائه في السماحة و الحماسة و صلة الرحم، و يتناشدون فيها الأشعار، و يتكلمون بالمنتور من الكلام، و يريد كل واحد منهم من ذلك الفعل، حصول الشهرة و الترفع بماثر سلفه. فلما أنعم الله عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لرّبهم كذكرهم لآبائهم أو أشدّ ذكرا «١».

و هكذا لما تساءل بعضهم: ما وجه قوله تعالى: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا «٢» أي لا حرج عليه و لا مآثم في السعي بين الصفا و المروة. و ظاهره نفى البأس، أي عدم المنع، و هو لا- يقتضى الوجوب، مع أنّ قوله تعالى- في صدر الآية-: إِنَّ الصَّفا وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... يستدعي الوجوب؛ لأنه خبر في معنى الأمر؟! و قد كان ذلك موضع تساؤل منذ أوّل يومه. أخرج الطبري بإسناده إلى عمرو ابن حبّيش قال: قلت لعبد الله بن عمر: إِنَّ الصَّفا وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا، قال: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم من بقى بما أنزل على محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم.

قال: فأتيت ابن عباس فسألته، فقال: إنّه كان عندهما أصنام، فلما أسلموا أمسكوا عن الطّواف بينهما حتى أنزلت إِنَّ الصَّفا وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ «٣».

كان المشركون قد وضعوا على الصفا صنما يقال له: «أساف»، و على المروة «نائلة». فلما اعتمر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عمره القضاء تحرّج المسلمون عن السعي (١) الفخر الرازي، ج ٥، ص ١٨٣.

(٢) البقرة/ ١٥٨.

(٣) تفسير الطبري، ج ٢، ص ٢٨، الدر المنتور، ج ١، ص ١٥٩، البقرة/ ١٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٢

بينهما، زعما منهم أنّ السعي بينهما شيء كان صنعه المشركون تزلفا إلى الصنمين، فأنزل الله أن لا حرج و لا موضع لما و همه أناس «١».

**مراجعة أهل الكتاب!**

و هل كان ابن عباس يراجع أهل الكتاب في فهم معاني القرآن؟

سؤال أجيب عليه بصورتين: إحداهما مبالغ فيها، والأخرى معتدلة إلى حد ما؛ كانت مراجعته لأهل الكتاب - كمراجعة سائر الاصحاب - في دائرة ضيقة النطاق، في أمور لم يتعرض لها القرآن، ولا جاءت في بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث لم تعد حاجة ملحة إلى معرفتها، ولا فائدة كبيرة في العلم بها كعدد أصحاب الكهف، والبعض الذي ضرب به موسى من البقرة، و مقدار سفينة نوح، وما كان خشبها، واسم الغلام الذي قتله الخضر، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، ونحو ذلك مما لا طريق إلى معرفة الصحيح منه. فهذا يجوز أخذه من أهل الكتاب، والتحدث عنهم ولا حرج، كما ورد «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» (٢)، المحمول على مثل هذه الأمور.

قال ابن تيمية: وفي بعض الأحيان ينقل عنهم (عن بعض الصحابة مثل ابن مسعود و ابن عباس و كثير من التابعين) ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث قال: «بلغوا عني ولو آية، و حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج». رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ولهذا (١) مجمع البيان للطبرسي، ج ١، ص ٢٤٠.

(٢) مسند أحمد، ج ٢، ص ١٥٩ و ٢٠٢ و ٢١٤. عن عبد الله بن عمرو بن العاص. و ص ٤٧٤ و ٥٠٢ عن أبي هريرة. و ج ٣، ص ١٣ و ٤٦ و ٥٦ عن أبي سعيد الخدري.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٣

كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين (١) من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك. و لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية إنما تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها من الأمور المسكوت عنها، و لم نعلم صدقها و لا كذبها مما بأيدينا، فلا تؤمن به و لا تكذبه، و تجوز حكايته، و غالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، و قد أبهمه الله في القرآن، لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم و لا دينهم. (٢)

و وافقه على هذا الرأي الأستاذ الذهبي، قال: كان ابن عباس يرجع إلى أهل الكتاب و يأخذ عنهم، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة و الإنجيل، في كثير من المواضع التي أجملت في القرآن و فصلت في كتب العهدين. و لكن في دائرة محدودة ضيقة، تتفق مع القرآن و تشهد له. أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن و لا يتفق مع الشريعة، فكان لا يقبله و لا يأخذ به.

قال: فابن عباس وغيره من الصحابة، كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام فيما لا يمس العقيدة أو يتصل بأصول الدين و فروعه، كبعض القصص و الأخبار الماضية.

قال: و بهذا المسلك يكون الصحابة قد جمعوا بين

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»

و ،

قوله: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم».

فإن الأول محمول على ما وقع فيهم من الحوادث و الأخبار؛ لما فيها من العظة و الاعتبار، بدليل

قوله بعد ذلك: «فإن فيهم أعاجيب».

و الثاني محمول على ما إذا (١) أي ملفتين، من زمل الشيء بثوبه أو في ثوبه: لفته.

(٢) راجع: مقدمته في أصول التفسير، ص ٤٥-٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٤

كان المخبر به من قبلهم محتملا، و لم يقدّم دليل على صدقه و لا على كذبه. قال:

كما أفاده ابن حجر، و نبه عليه الشافعي (١).

و أما المستشرقون فقد ذهبوا في ذلك مذاهب بعيدة، بالغوا فيها إلى حدّ ترفضه شريعة النقد و التمحيص. يقول العلامة المستشرق إجتس جولد تسيهر:

«و ترى الرواية الإسلامية أن ابن عباس تلقى بنفسه- في اتصاله الوثيق بالرسول- وجوه التفسير التي يوثق بها وحدها. «٢» وقد أغفلت هذه الرواية بسهولة- كما في أحوال أخرى مشابهة- أن ابن عباس عند وفاة الرسول كان أقصى ما بلغ من السنّ (١٠-١٣) سنة. «و أجدر من ذلك بالتصديق، الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع، في الأحوال التي يخامر فيها الشك، إلى من يرجو عنده علمها. و كثيرا ما ذكر أنه كان يرجع- كتابه- في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى (أبا الجلد) و الظاهر أنه (غيلان بن فروة الأزدي) الذي كان يثنى عليه بأنه قرأ الكتب «٣». (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٧٠-٧١ و ٧٣ و ١٧٠-١٧٣. و راجع: فتح الباري لابن حجر، ج ٨، ص ١٢٩ و ج ١٣، ص ٢٨٢.

(٢) هنا يعلّق المترجم الدكتور عبد الحليم النجار. يقول: و أين الرواية التي يزعمها، و ما قيمتها في نظر رجال النقد؟ (مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٤) و الصحيح- كما أسلفنا- أنّ ابن عباس أخذ تفسيره من الصحابة و لا سيّما من أمير المؤمنين على عليه السلام، فهو إنّما أخذ التفسير من الرسول بواسطة أصحابه الأختار.

(٣) يقول فيه العسكري في كتاب التصحيف و التحريف: هو صاحب كتاب و جماع لأخبار الملاحم.

(مذاهب التفسير، ص ٨٥ الهامش رقم ٣)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٥

«و كثيرا ما نجد بين مصادر العلم المفضّلة لدى ابن عباس، اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام: كعب الأخبار، و عبد الله بن سلام، كما نجد أهل الكتاب على وجه العموم، أي رجالا من طوائف ورد التحذير من أخبارها- عدا ذلك- في أقوال تنسب إلى ابن عباس نفسه. و من الحقّ أن اعتناقهم للإسلام قد سما بهم على مظنة الكذب، و رفعهم إلى مرتبة مصادر العلم التي لا تثير ارتيابا «١».

«و لم يعدّ ابن عباس أولئك الكتائبين الذين دخلوا في الاسلام، حججا فقط في الإسرائيليات و أخبار الكتب السابقة، التي ذكر كثيرا عنها الفوائد «٢»، بل كان يسأل أيضا كعب الأخبار مثلا عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين: أمّ الكتاب «٣» و المرجان «٤».

«كان يفترض عند هؤلاء الأخبار اليهود، فهم أدقّ للمدارك الدينية العامة الواردة في القرآن و في أقوال الرسول، و كان يرجع إلى أخبارهم في مثل هذه المسائل، على الرغم من ضروب التحذير الصادرة من جوانب كثيرة فيهم» «٥».

هذه هي عبارة (جولد تسيهر) البادي عليها غلوه المفرط بشأن مسلمة اليهود، (١) سترى أن الأمر كان بالعكس، كان هؤلاء موضع ارتياب المسلمين عامة، سوى أهل المطاعم كانوا قد استغلّوا من مواضع هؤلاء غير النزيهة، أمثال معاوية و ابن العاص و من على شاكلتهما.

(٢) مثل ما أخرجه ابن سعد في الطبقات (ج ١، ق ٢، ص ٨٧) بإسناده إلى ابن عباس أنه سأل كعب الأخبار عن صفة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم في التوراة و الإنجيل.

و كذا ما أسنده إلى مولى عمر بن الخطاب أن كعبا أخبر بموته قبل ثلاثة أيام؛ إذ وجد ذلك مكتوبا عندهم في التوراة. (الطبقات، ج ٣، ق ٢، ص ٢٤٠)

(٣) من سورة الرعد / ٣٩. راجع الطبري، ج ١٣، ص ١١٥.

(٤) من سورة الرحمن / ٢٢. راجع: الطبري، ج ٢٧، ص ٧٦-٧٧.

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٤-٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٦

و دورهم في التلاعب بمقدّرات المسلمين، الأمر الذي لا يكاد يصدّق في أجواء كانت السيطرة مع الصحابة النبهاء، إنّما كان ذلك في

عهد طغى سطو أمية على البلاد وقد أكثروا فيها الفساد، على ما سنتبه.

وقد تابعه على هذا الرأي الأستاذ أحمد أمين، قال: ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس من أخذ قولهم.

روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم»

. ولكن العمل كان على غير ذلك، وأنهم كانوا يصدّقونهم وينقلون عنهم! وإن شئت مثلاً لذلك فافقرأ ما حكاه الطبري وغيره عند تفسير قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴿١﴾.

وعقبه بقوله: وقد رأيت ابن عباس كان يجالس كعب الأحبار و يأخذ عنه «٢»، إشارة إلى ما سبق من قوله: وأما كعب الأحبار أو كعب بن ماع فيهودي من اليمن، وأكبر من تسربت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين، أسلم في خلافة أبي بكر أو عمر - على خلاف في ذلك - وانتقل بعد إسلامه إلى المدينة ثم إلى الشام. وقد أخذ عنه اثنان، هما أكبر من نشر علمه: ابن عباس - وهذا يعلل ما في تفسيره من إسرائيليات - وأبو هريرة «٣».

### نقد و تمحيص

و إنا لنأسف كثيرا أن يغتَرّ كتابنا النقاد - أمثال الأستاذ أحمد أمين و الأستاذ (١) البقرة / ٢١٠.

(٢) فجر الإسلام، ص ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٧

الذهبي - بتخرّصات لفقها أوهام مستوردة، فلنترك المستشرقين في ريبهم يترددون، ولكن ما لنا - نحن معاصر المسلمين - أن نحذو حذوهم و نواكبهم في مسيرة الوهم و الخيال؟! لا - شكك أن نهاء الصحابة أمثال ابن عباس كانوا يتحاشون مراجعة أهل الكتاب و يستقذرون ما لديهم من أساطير و قصص و أوهام، و إنما تسربت إسرائيليات إلى حوزة الإسلام، بعد انقضاء عهد الصحابة، و عند ما تسيطر الحكم الأموي على البلاد لغرض العيث في الأرض و شمول الفساد، الأمر الذي أحوجهم إلى مراجعة الأندال من مسلمة اليهود و من تبعهم من سفلة الأوغاد.

و سنذكر أن مبدأ نشر إسرائيليات بين المسلمين كان في هذا العهد المظلم بالخصوص، حاشا الصحابة و حاشا ابن عباس بالذات أن يراجع ذوى الأحقاد من اليهود، و يترك الخلف من علماء الإسلام أمثال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، و كان سفظ العلم و لديه علم الأولين و الآخرين، علما ورثه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شمول و عموم.

وقد مرّ عليك أنه كان يستطرق أبواب العلماء من الصحابة بغية العثور على أطراف العلم الموروث من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، و قد سئل: أنى أدركت هذا العلم؟ فقال: بلسان سئول و قلب عقول «١».

و إليك من تصريحات ابن عباس نفسه، يحذّر مراجعة أهل الكتاب بالذات، فكيف يا ترى، ينهى عن شيء ثم يرتكبه؟! (١) التصحيف و التحريف للصاحبى، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٨

### التحذير عن مراجعة أهل الكتاب

أخرج البخارى بإسناده إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، قال:

«يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، و كتابكم الذى أنزل على نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب «١»، و قد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله و غيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أ فلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، و لا و الله ما رأينا منهم رجلا قطّ يسألكم عن الذى أنزل عليكم» «٢».

و

أخرج عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب «٣» يقرءون التوراة بالعبرانية و يفسّرونها بالعريية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تصدّقوا أهل الكتاب و لا تكذّبوهم، و قولوا: آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل إليكم» «٤».

و أخرج عبد الرزاق من طريق حريث بن ظهير، قال: قال عبد الله بن عباس:

«لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم و قد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بحقّ أو تصدّقوا بباطل» «٥».

و هذا الحديث وضح من كلام النبي صلى الله عليه و آله و سلم فى عدم تصديقهم و لا تكذيبهم؛ (١) جاء فى موضع آخر: «و كتابكم الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أحدث، تقرأونه محضا لم يشب» قوله: لم يشب، أى لم يخلطه شيء من غير القرآن، تعريضا بكتب العهدين التى دسّ فيها ما ينبو عن كونه وحيا.

(٢) جامع البخارى، ج ٩، ص ١٣٦، باب قول النبي: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء و ج ٣، ص ٢٣٧ باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة و غيرها، و اللفظ على الأخير.

(٣) و يعنى بهم اليهود بالذات. صرح بذلك ابن حجر فى الشرح، ج ٣، ص ٢٨٢.

(٤) جامع البخارى، ج ٩، ص ١٣٦.

(٥) فتح البارى بشرح البخارى، ج ١٣، ص ٢٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٩

لأنهم كانوا يخلطون الحق بالباطل، فلا يمكن تصديقهم؛ لأنه ربما كان تصديقا لباطل، و لا تكذيبهم؛ لأنه ربما كان تكذيبا لحق، فالمعنى: أن لا يعتبر من كلامهم شيء و لا يترتب على ما يقولونه شيء. فلا حجية لكلامهم و لا اعتبار لأقوالهم على الإطلاق، إذن فلا ينبغى مراجعتهم و لا الأخذ عنهم فى وجه من الوجوه.

و

أخرج أحمد و ابن أبى شيبه و البراز من حديث جابر، أن عمر أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فغضب النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و قال:

«لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو باطل فتصدّقوا به، و الذى نفسى بيده لو أنّ موسى كان حيا ما وسعه إلّا أن يتبعنى»

و

فى رواية أخرى: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء...» «١».

تلك مناهى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الصريحة فى المنع عن مراجعة أهل الكتاب إطلاقا، لا فى كبير و لا صغير، فهل يا ترى أحدا من صحابته الأخيار خالف أوامره و راجعهم فى شيء من مسائل الدين و القرآن؟! كما حسبه الأستاذ أحمد أمين، زعم أن العمل كان على ذلك، و أنهم كانوا يصدّقون أهل الكتاب و ينقلون عنهم! «٢» و أمّا الذى استشهدوا به على مراجعة مثل ابن عباس لليهود، فكّله باطل و زور، لم يثبت منه شيء.

أمّا الذى جاء به الأستاذ مثلا من قوله تعالى: (١) فتح البارى، ج ١٣، ص ٢٨٤.

(٢) نقلنا كلامه آنفا. راجع: فجر الإسلام، ص ٢٠١.



التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٠

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ «١» قال: فافقرأ ما حكاه الطبري وغيره عند تفسير الآية.

فقد راجعنا تفسير الطبري و الدر المنثور و ابن كثير و غيرها من أمهات كتب التفسير بالنقل المأثور «٢»، فلم نجد فيها ذكرا لكعب و لا مساءلته من قبل أحد من الأصحاب، أو غيرهم من التابعين أيضا. و لم ندر من أين أخذ الأستاذ هذا المثال، و من الذي عوّفه ذلك، فأوقعه في هذا الوهم الفاضح.

و أمّا قوله: كان ابن عباس يجالس كعب الأخبار، و كان أكثر من نشر علمه ... «٣»، فكلام أشدّ و هما و أكثر جفاء على مثل ابن عباس الصحابي الجليل؛ إذ لم نجد و لا- رواية واحدة تتضمن نقلا لابن عباس عن أحد من اليهود، فضلا عن مثل كعب الأخبار الساقط الشخصية «٤».

نعم أشار المستشرق جولد تسيهر إلى موارد، زعم فيها مراجعة ابن عباس لأهل الكتاب، و لعلها كانت مستند الأستاذ أحمد أمين تقليدا من غير تحقيق.

و لكننا راجعنا تلك الموارد، فلم نجدها شيئا، كسراب بقية يحسبه الظمان ماء.

منها: أن ابن عباس سأل كعب الأخبار عن تفسير تعبيرين قرآنيين: أم الكتاب، و المرجان «٥».

روى الطبري بإسناده إلى عبد الله بن ميسرة الحراني: أن شيخا بمكة من أهل (١) البقرة / ٢١٠.

(٢) جامع البيان للطبري، ج ٢، ص ١٩٠-١٩٢. و الدر المنثور للسيوطي، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٢.

و تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٤٥-٢٤٩.

(٣) فجر الإسلام، ص ١٦٠.

(٤) سوف نتبه أن كعب الأخبار كان من صنایع معاوية، صنعه لنفسه لغرض الحطّ من كرامته الإسلام.

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦١

الشام سمع كعب الأخبار يسأل عن المرجان (الرحمن / ٢٢) فقال: هو البشد «١».

لكن من أين علم جولد تسيهر أن الذي سأل كعبا هو شيخ مكة و زعيمها ابن عباس؟! و كذا روى عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن شيبان، أن ابن عباس سأل كعبا عن أم الكتاب (الرعد / ٣٩) فقال: علم الله ما هو خالق و ما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتابا، فكان كتابا «٢».

غير أن شيبان هذا- هو ابن عبد الرحمن التميمي مولا هم، النحوي أبو معاوية البصري المؤدّب، سكن الكوفة ثم انتقل إلى بغداد- مات في خلافة المهدي سنة (١٦٤) و كان من الطبقة السابعة «٣»، و عليه فلم يدرك ابن عباس المتوفى سنة (٦٨) و لا كعب الأخبار الذي هلك في خلافة عثمان سنة (٣٢) فالرواية مرسله لم يعرف الواسطة، فكانت ساقطة عن الاعتبار.

و أيضا روى عن إسحاق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه، أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ و يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ «٤» فقال: هل يثودك طرفك؟ هل يثودك نفسك؟ قال:

لا، قال: فإنهم ألهموا التسبيح، كما ألهمتم الطرف و النفس «٥». (١) تفسير الطبري، ج ٢٧، ص ٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٥.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٣٧٣-٣٧٤. و تقريب التهذيب أيضا له، ج ١، ص ٣٥٦، رقم ١١٥.

(٤) الأنبياء / ٢٠، فصلت / ٣٨.

(٥) تفسير الطبري، ج ١٧، ص ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٢

و عبد الله هذا هو ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالمدينة و أصبح من فقهاءها، و تحوّل إلى البصرة و رضيته العامة، و اصطلحوا عليه حين هلك يزيد بن معاوية. توفّي سنة (٨٤) بالأبواء و دفن بها، و كان خرج إليها هاربا من الحجاج (١).

غير أنّ الطبري روى بإسناده إلى حسيان بن مخارق عن عبد الله بن الحرث، أنه هو الذي سأل كعبا عن ذلك، قال: قلت لكعب الأخبار: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا- يَفْتَرُونَ ... أما يشغلهم رسالته أو عمل؟ قال: يا ابن أخي، إنهم جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس، أ لست تأكل و تشرب و تقوم و تقعد و تجيء و تذهب و أنت تتنفس؟ قلت: بلى! قال: فكذلك جعل لهم التسييح (٢).

قلت: يا ترى، هل كان هو الذي سأل كعبا أو أنه سمع ابن عباس يسأل كعبا؟

في حين أنه لا- يقول: سمعت ابن عباس يسأله، بل مجرد أنّ ابن عباس سأله، الأمر الذي لا يوتق بكون الرواية منتهية إلى سماع، و الظاهر أنه إرسال.

على أنه من المحتمل القريب أن السائل هو بالذات، لكنّ ابنه إسحاق كره نسبة السؤال من مثل كعب إلى أبيه، فذكر الحديث عن أبيه مع إقحام واسطة إرسال من غير إسناد. و يؤيد ذلك أنه لم تأت رواية غير هذه تنسب إلى ابن عباس أنه سأل مثل كعب، فالأرجح في النظر أنه مفتعل عليه لا محالة.

و استند جولد تسيهر- في مراجعته ابن عباس لأهل الكتاب- أيضا إلى ما رواه الطبري بإسناده إلى أبي جهضم موسى بن سالم مولى ابن عباس، قال: كتب ابن (١) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٨٠-١٨١.

(٢) تفسير الطبري، ج ١٧، ص ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٣

عباس إلى أبي جلد (غيلان بن فروة الأزدي، كان قرأ الكتب، و كان يختم القرآن كل سبعة أيام و يختم التوراة كل ثمانية أيام) (١) يسأله عن «البرق» في قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا فَقَالَ: البرق: الماء (٢).

لكن في طبقات ابن سعد (٣) أن أبا الجلد الجوني- حي من الأزد- اسمه جيلان بن فروة، كان يقرأ الكتب. و زعمت ابنته ميمونة: أنّ أباه كان يقرأ القرآن في كل سبعة أيام، و يختم التوراة في ستّة، يقرأها نظرا، فإذا كان يوم يختمها حشد لذلك ناس.

لا شك أنها مغالاة من ابنته. يقول جولد تسيهر: و لا يتّضح حقا من هذا الخبر الغامض، الذي زادته مغالاة ابنته غموضا، أي نسخة من التوراة كان يستخدمها في دراسته. (٤)

لأن التوراة المعهودة اليوم و هي تشتمل على (٣٩) كتابا تكون في حجم كبير، ثم هي قصة حياة إسرائيل طول عشرين قرنا، و فيها تاريخ حياة أنبياء بني إسرائيل و ملوكهم و رحلاتهم و حروبهم طول التاريخ، و هي بكتب التاريخ أشبه منها بكتب الوحي. فهل كان يقرأ ذلك كله في ستّة أيام؟ و ما هي الفائدة في ذلك التكرار؟! على أنّ راوي الخبر- و هو موسى بن سالم أبو جهضم- لم يلق ابن

عباس و لا أدركه؛ لأنّه مولى آل العباس، و ليس مولى لابن عباس. ففي نسخة الطبري (١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٥.

(٢) تفسير الطبري، ج ١٣، ص ٨٢، الرعد/ ١٢.

(٣) ج ٧، ق ١، ص ١٦١، س ١٥.

(٤) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٤

المطبوعة خطأ قطعاً. قال ابن حجر: موسى بن سالم أبو جهضم مولى آل العباس، أرسل عن ابن عباس. و هو من رواة الإمام أبي جعفر

محمد بن علي الباقر عليه السلام «١».

و في الخلاصة: موسى بن سالم مولى العباسيين أبو جهضم عن أبي جعفر الباقر، و عنه الحمّادان «٢». و الإمام الباقر توفى سنة (١١٤) و أخيراً، فإنّ الموارد التي ذكروا مراجعته ابن عباس فيها لأهل الكتاب لا تعدو معاني لغوية بحتة، لا تمسّ قضايا سالفه عن أمم خلت كما زعموا، و لا سيّما السؤال عن «البرق»، و هو لفظ عربي خالص، لا موجب للرجوع فيه إلى رجال أجنبية عن اللّغة. كيف يا ترى يرجع مثل ابن عباس - و هو عربي صميم و عارف بمواضع لغته أكثر من غيره - إلى اليهود الأجنبي؟! و هل يخفى على مثله ما للفظ البرق من مفهوم؟ ثم كيف اقتنع بتفسيره بالماء؟ اللهم إن هذا إلّا اختلاق! الأمر الذي يقضى بالعجب، كيف يحكم هذا العلّامة المستشرق حكمه الباتّ، بأنّ كثيراً ما ذكر أنه كان يرجع - كتابةً - في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى أبا الجلد؟! «٣» و يجعل مستنده هذه المراجعة المفتعلة قطعاً، إذ كيف يعقل أن يراجع، مثله في مثل هذه المعاني؟! و أسخف من الجميع تبرير ما نسب إلى ابن عباس من أقاصيص أسطورية جاءت عنه، بأنه من جزاء رجوعه إلى أهل الكتاب في هكذا أمور بعيدة عن صميم الدين. قال الأستاذ أمين: و هذا يعلّل ما في تفسيره من إسرائيليات. قال (١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٤٤.

(٢) خلاصة التهذيب، ص ٣٩٠.

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٥

ذلك بعد قوله: و كان ابن عباس و أبو هريرة أكبر من نشر علم كعب الأخبار «١».

و قال الدكتور مصطفى الصاوي: و كثيراً ما ترد عن ابن عباس روايات في بدء الخليقة و قصص القرآن، مما لا يمكن أن يكون قد رجع فيها إلّا إلى أهل الكتاب؛ حيث يرد هذا القصص مفصلاً، مثال هذا تفسيره للآية: قالوا أ تجعل فيهما من يفسد فيها و يشفك الدماء «٢» قال: لكنه حين يرجع إليهم مستفسراً، فإنما يرجع رجوع العالم الذي يعير سمعه لما يقال، ثم يعمل فكره و عقله فيما يسمع، ثم ينخلة مبعدا عنه الزيف «٣».

قلت: إن كانت فيما روى عنه في ذلك و أمثاله غرابية أو غضاضة، فإنّ العتب إنما يرجع إلى الذي نسبه إلى ابن عباس، ترويجا لأكذوبته، و لا لوم على ابن عباس في كثرة الوضع عليه. نعم و لعل هذه الكثرة في الوضع عليه آية على تقدير له و إكبار من الوضاع، لكنه في نفس الوقت، رغبة منهم في أن تنفق بضاعتهم، موسومة بمن في اسمه الرواج العلمي. و قد اعترف بذلك الدكتور الصاوي «٤»، فلما ذا حكم عليه ذلك الحكم القاسي؟! فالصحيح: أن ابن عباس كان في غنى عن مراجعة أهل الكتاب، و عنده الرصيد الأوفى بالعلوم و المعارف و التاريخ و اللّغة، و لا سيّما في مثل تلك الأساطير السخيفة التي كانت كل ما يملكه اليهود من بضاعة مزجاء كاسدة، بل إن (١) فجر الاسلام، ص ١٦٠.

(٢) البقرة / ٣٠، راجع: الطبري، ج ١، ص ١٥٨.

(٣) مناهج في التفسير، ص ٣٨.

(٤) مناهج في التفسير، ص ٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٦

موقف ابن عباس من أهل الكتاب عموماً، و من كعب الأخبار خصوصاً، ما يصوّره معتزاً بدينه كريماً على نفسه و ثقافته.

يروى أنّ رجلاً أتى ابن عباس يبلغه زعم كعب الأخبار: أنه يجاء بالشمس و القمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار! فغضب ابن عباس و قال: كذب كعب الأخبار، كذب كعب الأخبار، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام «١».

يقال: لما بلغ ذلك كعباً، اعتذر له بعد و تعلّل «٢».

و ربما كان كعب يجالس ابن عباس يحاول مرادته العلم فيما زعم، فكان ابن عباس يجابهه بما يحط من قيمته. روى أنه ذكر الظلم في مجلس ابن عباس، فقال كعب: إني لا أجد في كتاب الله المنزل (يريد التوراة) «٣» أن الظلم يخرب الديار، فقال ابن عباس: أنا أوجدك في القرآن، قال الله عز و جل: فَبَلَّغْ يَبُوتَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا «٤».

هذه حقيقة موقف ابن عباس من اليهود كما ترى، و هو إذ كان يدعو إلى تجنّب الرجوع إلى أهل الكتاب، لما يدخل بسبب ذلك من فساد على العقول و تشويه على العامة، فكيف يا ترى أنه كان يرجع إليهم رغم نهيه و تحذيره! و هل لا طرق سمعه، و هو الحافظ لكلام الله (١) العرائس للثعالبي، ص ١٨. (مناهج في التفسير، ص ٢٩)  
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣) حسب التصريح به في الرواية: كتاب الله المنزل، يعني التوراة (راجع: ابن قتيبة في عيون الأخبار، ج ١، ص ١٤٦، س ١٣)

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة، ج ١، ص ٢٦ (مناهج، ص ٣٩)، النمل / ٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٧

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ «١»، فحاشا ابن عباس أن يراجع أهل الكتاب، و حاشاه حاشاه!!

## استعمال الرأي و الاجتهاد

و هل استعمل ابن عباس رأيه في تفسير القرآن؟

إذا كان المراد من الرأي، ما انتجه الفكر و الاجتهاد بعد تمام مقدماته المعروفة، فأمر طبيعي لا بد منه، و لا يستطيع أحد محايدته، إنما هو شيء كان عليه الأصحاب و العلماء من التابعين لهم بإحسان.

كان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير، يرجعون في فهم معاني القرآن إلى القرآن ذاته أولاً، و إلى ما وعوه من أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و أقواله في بيان معاني القرآن، ثم إلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر و الاجتهاد، مع الاستعانة في ذلك بمعرفة أسباب النزول، و الظروف و الملابسات التي نزل فيها القرآن، بالإضافة إلى توسيعهم في المعارف، و لا سيما مثل ابن عباس، كان متوسعا في علومه فيما يتعلق بمواقع النزول و أنحاءه، و معرفته بالأحكام و التاريخ و الجغرافية، حسبما مرّ عليك.

فالرأي المستند إلى مثل هذه المقدمات المعروفة المتناسبة بعضها مع البعض، رأى ممدوح و أمر طبيعي، ليس ينكر البتة.

هذا هو المنهج الذي سار عليه ابن عباس في التفسير، لم يحد عن مناهج سائر الصحابة النبهاء. و قد ساهمت ثقافته العميقة في كثير من جوانب المعرفة، على أن يتألق في منهجه، كما ساعده على ذلك - إضافة على ما ذكرنا - تبخره في (١) الصف / ٣ و ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٨

معرفة مواقع النزول، و استيعابه للمحكم و المتشابه، و القراءة و الأحكام و التاريخ و الجغرافية، فضلا عن اللغة و الأدب الرفيع.

و هكذا كان ابن عباس بمعارفه الوسيعة يهتم بتعرف كل شيء في القرآن، حتى ليقول: إني لآتي على آية من كتاب الله تعالى، فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم «١». و يقول مصورا مدى اقتداره على استنباط معاني القرآن: لو ضاع لي عقل بعير لوجدته في كتاب الله تعالى «٢». قال الجويني: و ما كان له أن يقول ذلك لو لا أخذه من كل ثقافة بطرف، و تسخيرها جميعا لخدمة تفسير القرآن «٣».

و لهذا ظل ابن عباس دوما موضع الاعتبار و التقدير من الصحابة الأولين و من معاصريه من التابعين، و ممن لحقه بعد، منذ عهد

التدوين و لا يزال. فما أكثر ما يدور اسمه في كتب التفسير على اختلاف مناهجها و منازعها السياسية و المذهبية حتى الآن، فرحمه الله من مفسر لكلامه البليغ الوجيز.

### الطرق إليه في التفسير

ذكر السيوطي تسعة طرق إلى ابن عباس في التفسير «٤»، وصف بعضها بالجودة و بعضها بالوهن حسبما يلي:  
 أولها- و هو من جديدها-: طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة الهاشمي عن ابن عباس. قال أحمد بن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير، رواها (١) الإصاغة لابن حجر، ج ٢، ص ٣٣٤.  
 (٢) الإتقان، ج ٣، ص ٢٦ عن تفسير ابن أبي الفضل المرسى.  
 (٣) مناهج في التفسير، ص ٤٠-٤١.  
 (٤) راجع: الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٧-٢٠٩.  
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٩

علي بن أبي طلحة. و لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا، ما كان كثيرا. قال ابن حجر: و هذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. و هي عند البخاري عن أبي صالح، و قد اعتمد عليها في صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس. و أخرج منها ابن جرير الطبري، و ابن أبي حاتم، و ابن المنذر كثيرا، بوسائط بينهم و بين أبي صالح. و قد غمز بعضهم في هذا الطريق؛ حيث إن ابن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس. قال ابن حبان: روى عن ابن عباس و لم يره، و مع ذلك عدّه في الثقات «١». قالوا: و إنما أخذ التفسير عن مجاهد أو سعيد بن جبير، و أسنده إلى ابن عباس رأسا، و ذلك أنه توفي سنة (١٤٣) و قد توفي ابن عباس سنة (٤٨)، و ما بين الوفايتين (٧٥) سنة، الأمر الذي يمتنع معه الرواية عن ابن عباس مباشرة. قال الخليلي: و أجمع الحفاظ على أن ابن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس. «٢»

و حاول بعضهم رميه بالضعف و سوء الرأي و الخروج بالسيف أيضا. قال يعقوب بن سفيان: ليس محمود المذهب. قال ابن حجر- بصدد رد الاعتراض-: أما إسقاط الوساطة فلا ضير فيه بعد أن عرفنا الوساطة و هو ثقة «٣»، لا سيما و قد روى عنه الثقات. قال صالح بن محمد:

روى عنه الكوفيون و الشاميون- لأنه انتقل إلى حمص-، قال ابن حجر: و نقل (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٤٠.  
 (٢) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٧.  
 (٣) المصدر نفسه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٠

البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس شيئا كثيرا.  
 قال: و قد وقفت على السبب الذي رمى به الرأي بالسيف؛ و ذلك فيما ذكره أبو زرعة الدمشقي عن علي بن عياش الحمصي، قال: لقي العلاء بن عتبة الحمصي علي بن أبي طلحة تحت القتيبة، فقال (علي لعلاء): يا أبا محمد، تؤخذ قبيلة من قبائل المسلمين فيقتل الرجل و المرأة و الصبي، لا يقول أحد: الله، الله! و الله لئن كانت بنو أمية أذنبت، لقد أذنب بذنبها أهل المشرق و المغرب! (يشير بذلك إلى استباحة دماء بنو أمية من قبل بنو العباس يومذاك و أنهم يستحقون ذلك، فطائفة منهم بارتكاب جرائم، و طائفة أخرى بالسكوت عما يفعله إخوانهم) ثم قال علي بن أبي طلحة: يا عاجز- خطابا مع العلاء؛ لأنه كان من أشياع بنو أمية «١»- أو ذنب على أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم (يريد بهم بنو العباس) أن أخذوا قوما بجرائرهم و عفوا عن آخرين؟! فقال له العلاء: و إنه

لرأيك؟ قال: نعم. فقال له العلاء: لا كلمتك من فمي بكلمة أبدا. إنما أحيينا آل محمد بحبه، فإذا خالفوا سيرته و عملوا بخلاف سنته، فهم أبغض الناس إلينا «٢».

إذن فلا مغز فيما يرويه ابن أبي طلحة من تفسير يسنده إلى ابن عباس، كما (١) قال الذهبي: كان فيه لين. أخذ عن خالد بن معدان و عمير بن هانئ (ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ١٠٣) و قد تركه ابن حجر. أما عمير بن هانئ فكان ممن ولّاه الحجاج قضاء الكوفة، و كان يرى البيعة ليزيد بن الوليد هجرة ثانية بعد الهجرة إلى الله و رسوله (الميزان، ج ٢، ص ٢٩٧) و أمّا خالد بن معدان فكان من فقهاء الشام و كان يروى عن معاوية بن أبي سفيان (تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ١١٨)، و قد حيكت حوله خرافات و أوهام، و أنه كان إصبه يتحرك بالتسييح حين وضع على المغتسل! (الخلاصة لصفى الدين الخزرجي، ص ١٠٣)

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧١  
لا ضعف في الإسناد.

قال الخليلي - في الإرشاد -: تفسير معاوية بن صالح قاضى الأندلس عن عليّ ابن أبي طلحة عن ابن عباس، رواه الكبار عن أبي صالح كاتب الليث، عن معاوية «١».

قلت: سبب الغمز فيه أنه كان متأثرا بمدرسة ابن عباس - و هو في حمص من بلاد الشام في تلك الأوساط المتأثرة بنفثات آل أمية المعادية للإسلام - فكان يحمل ولاء آل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و يعادى أعداءهم، في أوساط ما كانت تتحملة ذلك العهد، و من ثمّ ألصقت به تهما هو منها براء.

الثاني - أيضا من جئد الطرق -: طريق قيس بن الربيع أبي محمد الأسدي الكوفي. توفى سنة (١٦٨) عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال جلال الدين: هذه طريق صحيحة على شرط الشيخين. و كثيرا ما يخرج منها الفريابي و الحاكم في مستدرکه «٢».

و ذكر ابن حجر عن أحمد بن حنبل أن قيسا هذا كان يتشيع. و لكن قال ابن أبي شيبة: هو عند جميع أصحابنا صدوق و كتابه صالح «٣».

و أمّا عطاء بن السائب فكان ممن أخلص الولاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم وفقا لتعاليم أشياخه سعيد و ابن عباس و غيرهما، و له حديث مع الإمام عليّ بن (١) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٧.

(٢) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٢

الحسين زين العابدين عليه السلام ينبؤك عن مدى قربته لحضرته السنية «١».

\*\*\* الثالث - كذلك جئد الطريق -: طريق محمد بن إسحاق صاحب السير و المغازي عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد - هكذا بالترديد - عن ابن عباس.

و ابن إسحاق معروف بتشيعه. كما ذكره ابن حجر في التقريب، و شيخنا الشهيد الثاني في تعليقه على خلاصة الرجال «٢». قال صاحب الكشف: هو أول من صنّف في علم السير، و هو رئيس أهل المغازي «٣».

قال السيوطي: و هذه طريق جيّدة و إسنادها حسن. و قد أخرج منها ابن جرير و ابن أبي حاتم كثيرا. و في معجم الطبراني منها أشياء.

«٤»

\*\*\* الرابع - و هو طريق حسن لا بأس به -: طريق إسماعيل بن عبد الرحمن أبو محمد القرشي الكوفي السدي الكبير، عن أبي مالك و

أبي صالح، عن ابن عباس. وكذلك عن مزة بن شراحيل الهمداني عن ابن مسعود، و ناس من الصحابة.  
قال جلال الدين: وهذا التفسير يورد منه ابن جرير كثيرا، وكذا الحاكم في مستدركه يخرج منه أشياء، ويصححه، لكن من طريق مزة  
عن ابن مسعود، دون (١) معجم رجال الحديث للإمام الخوئي، ج ١١، ص ١٤٥، رقم ٧٦٨٨.  
(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد الصدر، ص ٢٣٣ و راجع: التقريب، ج ٢، ص ١٤٤، رقم ٤٠.  
(٣) كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠١٢.  
(٤) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٩.  
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٣  
الطريق الأول.

و يرى صاحب التراث: أنه من الممكن جمع نصوص هذا التفسير، وإعادة تكوينه من جديد «١».  
وقال الخليلي - في الإرشاد -: و تفسير السدي يورده بأسانيد إلى ابن مسعود و ابن عباس، و روى عن السدي الأئمة مثل الثوري و  
شعبة. لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، و أسباط لم يتفقوا عليه. قال: غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي «٢».  
كان إسماعيل بن عبد الرحمن السدي «٣» من الأئمة الكوفيين، و كان شديد التشيع هو و الكلبي. و مع ذلك فقد وثقه القوم، و أخرج  
مسلم عنه أحاديث؛ لأنه كان يرجح تعديله على تجربته. «٤» فقد ذكره ابن حبان في الثقات، و قال ابن عدى: له أحاديث يروها عن  
عدة شيوخ، و هو عندي مستقيم الحديث صدوق لا بأس به «٥».  
و عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من أصحاب الأئمة: علي بن الحسين زين العابدين، و محمد بن علي الباقر، و جعفر بن محمد الصادق  
عليهم السلام. قال: إسماعيل ابن عبد الرحمن السدي أبو محمد المفسر الكوفي «٦».  
قال المولى الوحيد - في التعليقة -: وصفه بالمفسر مدح. قال المامقاني: (١) تاريخ التراث العربي، ج ١، ص ١٩١ - ١٩٢. معجم  
مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٥.  
(٢) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٨.  
(٣) كان يقعد في سدة باب الجامع في الكوفة فسمي بذلك. توفي سنة ١٢٧.  
(٤) قيل كان يتناول الشيخين. تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣١٤.  
(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ١، ص ٣١٤.  
(٦) رجال الطوسي، ص ٨٢، رقم ٥، و ص ١٠٥، رقم ١٩، و ص ١٤٨، رقم ١٠٥.  
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٤  
و المتحصل من مجموع ما ذكر بشأنه كون الرجل من الحسان «١»، و قد اعتمده الشيخ في تفسيره (التبيان) كثيرا.  
و هكذا عدّه ابن شهر آشوب من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام «٢».  
و هو الذي روى قصة الأحنس بن زيد، الذي كان قد وطأ جسم الحسين عليه السلام و فعل ما فعل، فابتلى في تلك الليلة بحريق أصابه  
من فتيلة السراج، فلم تزل به النار، حتى صار فحما على وجه الماء «٣».  
\*\*\* الخامس - و هو أيضا حسن -: طريق عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، أبو خالد المكي من أصل رومي، أحد الأعلام الثقات،  
فقيه أهل مكة في زمانه «٤».  
قال ابن خلّكان: كان عبد الملك أحد العلماء المشهورين، و يقال: إنه أول من صنّف الكتب في الإسلام. كانت ولادته سنة (٨٠) و  
توفي سنة (١٥٠) قال:  
و جريح، بضم الجيم و فتح الراء و سكون الياء و بعدها جيم ثانية «٥».

قال الخطيب: وسمع الكثير من عطاء بن أبي رباح وغيره. و عن أحمد بن حنبل، قال: قدم ابن جريج بغداد على أبي جعفر المنصور، و كان صار عليه دين.

فقال: جمعت حديث ابن عباس ما لم يجمعه أحد. فلم يعطه شيئاً.

و عن علي بن المديني: نظرت فإذا الإسناد يدور على سته - فذكرهم - قال: ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف، ممن يصنف العلم، منهم من أهل (١) تنقيح المقال، ج ١، ص ١٣٧، رقم ٨٦١.

(٢) المناقب، ج ٤، ص ١٧٧.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٢١ - ٣٢٢.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٦٥٩ رقم ٥٢٢٧.

(٥) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٦٣، رقم ٣٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٥

مكة عبد الملك بن عبد العزيز (ابن جريج) و كان قد تعلم على يد عطاء بن أبي رباح، و لزمه سبع عشرة سنة. و سئل عطاء: من نسأل بعدك؟ فقال: هذا الفتى، يعنى ابن جريج، و كان يصفه بأنه سيد أهل الحجاز.

و عن أحمد بن حنبل: كان ابن جريج من أوعية العلم. و قال ابن معين:

أصحاب الحديث خمسة، و عدّ منهم ابن جريج. و قال يحيى بن سعيد القطان:

كتب ابن جريج كتب الأمانة، و إذا لم يحدثك عن كتابه لم ينتفع به.

قال أحمد: إذا قال ابن جريج: أخبرني و سمعت، فحسبك به. قال: الذي يحدث من كتاب أصح، و كان في بعض حفظه - إذا حدث حفظاً - سيئ. قال ابن معين: ابن جريج ثقة في كل ما روى عنه من الكتاب.

كان ابن جريج و مالك بن أنس (إمام المالكية) قد أخذوا الفقه من نافع. و لكن ابن جريج كان مفضلاً على مالك. فعن أحمد بن زهير، قال: رأيت في كتاب ابن المديني: سألت يحيى بن سعيد، من أثبت أصحاب نافع؟ قال: أيوب، و عبيد الله، و مالك بن أنس. و

ابن جريج أثبت من مالك في نافع. قلت: و من ثم كان مالك ينافسه في هذه الفضيلة، و ربما كان يرميه بالخلط. قال المخارقي: سمعت مالك بن أنس يقول: كان ابن جريج حاطب ليل.

و إذا كان مقدماً في الفقه عن نافع، فهو مقدّم في التفسير عن عطاء بن أبي رباح. فقد حدث صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه، قال: عمرو بن دينار و ابن جريج أثبت الناس في عطاء. «١»

و ذكره ابن حبان في الثقات، و قال: كان من فقهاء أهل الحجاز و قرّائهم (١) تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٤٠٠ - ٤٠٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٦

و متقنيهم. و أضاف: و كان يدلس «١»، لكن بم كان تدليسه؟

روى البخارى في تفسير (سوره نوح) حديثين أخرجهما عن طريق ابن جريج، قال: قال عطاء عن ابن عباس. فزعم أبو مسعود - في الأطراف - أن هذا هو عطاء الخراساني البلخي نزيل الشام. و عطاء هذا لم يسمع من ابن عباس، و ابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء

هذا. قال ابن حجر: فيكون الحديثان منقطعين في موضعين. «٢» و من ثم رموه بأنه كان يدلس! و قد ردّ ابن حجر على هذا الوهم بما يبرئ ساحه ابن جريج من هذه التهمة، فراجع.

و أما حديثه عن ابن عباس فلا ضير فيه بعد أن كان الواسطة - و هو ثقة - معلوماً، ألا و هو عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس. و قد لازم ابن جريج سبعة عشر عاماً يتلقى منه العلم.

\*\*\* إذن فقد صحّ ما ذكره ابن حبان بشأن ابن جريج أولاً من كونه ثقة ثبناً متقناً، و أن لا منشأ للغمز فيه، و بذلك نرى أنه كان



موضع اعتماد الأئمة من أهل البيت أيضا. على ما

رواه ثقة الإسلام الكليني بإسناده الصحيح عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن المتعة، فقال: الق عبد الملك بن جريج فسله عنها، فإنّ عنده منها علما. فأتيته فأملى عليّ منها شيئا كثيرا في استحلالها فكتبته، و أتيت بالكتاب أبا عبد الله عليه السلام فعرضت عليه. فقال: صدق، (١) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢١٣-٢١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٧

و أقرّ به «١».

و قد استظهر المولى الوحيد البهبهاني من ذلك كون جريج موضع ثقة الإمام عليه السلام، و ممن يرى رأى الشيعة في فقه الشريعة، و لا سيما ما ذكره ابن أذينة- الراوى عن الهاشمي- في ذيل الحديث: و كان زرارة بن أعين يقول هذا و حلف أنه الحق. فهذا من المقارنة الظاهرة بين موضع الرجلين (ابن جريج و زرارة) في المسألة «٢».

و هكذا استظهر تشييعه منها كل من المولى محمد تقى المجلسى الأول، و الشيخ يوسف البحرانى، على ما جاء فى كلام الحائرى «٣».

و أيضا

روى الشيخ أبو جعفر الطوسى بإسناده إلى الحسن بن زيد، قال: كنت عند الإمام أبى عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه عبد الملك ابن جريج المكي، فقال له أبو عبد الله: ما عندك فى المتعة؟ قال: حدّثنى أبوك محمد بن على عن جابر بن عبد الله الأنصارى، أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم خطب الناس، فقال: أيها الناس، إنّ الله أحلّ لكم الفروج على ثلاثة معان: فرج مورث و هو البتات، و فرج غير مورث و هو المتعة، و ملك أيمانكم «٤».

و فى سؤال الإمام منه عما لديه فى المتعة، دلالة على عنايته به و لطف سابق.

كما فى الإجابة بأنه حديث أبيك ظرافة و طرفة. أما الرواية عن جابر فلعلّه تغطيه لما عسى القوم ينكرون كيف الرواية عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و لم يدركه! كما فعله (١) الكافى الشريف، ج ٥، ص ٤٥١، رقم ٦. و راجع: الوسائل، ج ١٨، ص ١٠٠، رقم ٥.

(٢) راجع: التعليقة (هامش رجال الاسترآبادى)، ص ٢١٥.

(٣) راجع: تنقيح المقال للمامقانى، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٤) تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٢٤١، رقم ٣/١٠٥١، باب ٢٣. و راجع: الوافى، ج ١٢، مج ٣، ب ٥٢، من النكاح، ص ٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٨

الإمام الباقر عليه السلام عند ما واجه إنكار القوم.

و مسألة استحلال المتعة كانت حينذاك من اختصاص خلص الصحابة و التابعين ممن يميلون إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام أمثال ابن مسعود و أبى بن كعب و ابن عباس و جابر بن عبد الله و أضرابهم، فلا غرو أن ينخرط مثل ابن جريج فى تلك الزمرة الفائزة، الأمر الذى دعا بابن جريج أن يكافح القوم رأيا و عملا أيضا. فقد ذكر ابن حجر عن الشافعى، قال: استمتع ابن جريج بسبعين امرأة، مع أنه كان من العبّاد، و كان يصوم الدهر إلّا ثلاثة أيام من الشهر «١».

هذا و قد وقع فى إسناد الصدوق من كتابه «من لا يحضره الفقيه»: ابن جريج عن الضحّاك عن ابن عباس، فى قضية الناقّة التى اشتراها النبى صلى الله عليه و آله و سلّم من الأعرابى أربعمئة درهم، فقبضها الأعرابى و لم يسلم الناقّة إلى النبى، و أنكر البيع رأسا، حتى جاء على عليه السلام فقضى قضاءه المبرم. «٢» و ظاهر الصدوق اعتماده. و قد عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام «٣».

نعم ذكر أبو عمرو الكشّى: أن محمد بن إسحاق، و محمد بن المنكدر، و عمرو بن خالد الواسطى، و عبد الملك بن جريج، و

الحسين بن علوان الكلبى، هؤلاء من رجال العامة، إلاً أن لهم ميلاً و محبةً شديدة «٤» بالنسبة لآل البيت عليهم السلام. قال المامقانى: لا يبعد أن يكون بناء الكششى - على كونه عامياً - ناشئاً من شدة تقيته، فإن مثل ذلك كثير فى رجال الشيعة «٥». (١) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٦١، رقم ٢.

(٣) رجال الطوسى، ص ٢٣٣، رقم ١٦٢.

(٤) رجال الكششى (ط نجف) ص ٣٣٣، رقم ٢٤٨ - ٢٥٢.

(٥) تنقيح المقال، ج ٢ (ط ١)، ص ٢٢٩، رقم ٧٤٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٩

السادس - حسن أيضاً: طريق الضحّاك بن مزاحم الهلالى الخراسانى. قال ابن شهر آشوب: أصله من الكوفة، و كان من أصحاب السّجاد. «١» و قال ابن قتيبة:

هو من بنى عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، و كان معلماً، أتى خراسان فأقام بها. مات سنة (١٠٢) «٢».

و ذكره ابن حبان فى الثقات، و قال: لقي جماعة من التابعين، و لم يشافه أحداً من الصحابة، و كان معلّم كتاب. و قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ثقة مأمون. و قال ابن معين و أبو زرعة: ثقة.

قال أبو داود سلمة بن قتيبة عن شعبة: حدّثنى عبد الملك بن ميسرة، قال: لم يلق الضحّاك ابن عباس، إنما لقي سعيد بن جبير بالرّى فأخذ عنه التفسير «٣».

قال الذهبي: الضحّاك بن مزاحم البلخى المفسّر، أبو القاسم، و كان يؤدّب، فيقال: كان فى مكتبته ثلاثة آلاف صبي، و كان يطوف عليهم «٤».

و نقل المامقانى عن ملحقات الصراح: أنه كان يقيم ببلخ و بمرو، و أيضاً ببخارا و سمرقند مدّة، و يعلم الصبيان احتساباً، و له التفسير الكبير و التفسير الصغير. «٥»

و عدّه الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين، قال: الضحّاك بن مزاحم الخراسانى، أصله الكوفة، تابعى «٦». (١) المناقب، ج ٤، ص ١٧٧.

(٢) المعارف، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٤٥٤.

(٤) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٥) تنقيح المقال، ج ٢، ص ١٠٥ / ٥٨٣٢.

(٦) رجال الطوسى، ص ٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٠

و استظهر المامقانى من عبارة الشيخ هذه كونه إمامياً، و لعله من جهة كونه من الكوفة مهد التشيع آنذاك.

نعم روى عنه القمى (علّى بن إبراهيم بن هاشم) فى تفسيره، و قد تعهد فى مقدمته التفسير أن لا يروى إلّا عن مشايخه الثقات «١»، فقد روى - عند تفسير سورة الناس - بإسناده عن مقاتل بن سليمان عن الضحّاك بن مزاحم عن ابن عباس «٢» و قد جعل سيدنا الأستاذ الإمام الخوئى - عافاه الله و أعاده من شرّ الأعداء الظلمة الطغاة - تبعاً للحر العاملى، ذلك دليلاً على وثاقه كل من وقع فى إسناده هذا الكتاب «٣».

و إنما غمزوا فيه جانب إرساله فى الحديث، و لا سيّما عن ابن عباس. قال ابن حجر فى التقریب: صدوق كثير الإرسال! «٤» قلت: لا

ضير في الإرسال بعد معلومية الواسطة، وكون الرجل صدوقا. كما ذكره ابن حجر بشأن علي بن أبي طلحة الهاشمي. إذن لا وجه لما ذكره السيوطي: أن طريق الضحاك إلى ابن عباس منقطعة، فإن الضحاك لم يلقه. وأضاف: فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عماره عن أبي روق عنه، فضعفه لضعف بشر. قال: وقد أخرج من هذه النسخة ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا.

قال: وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفا؛ لأن جويبرا شديد (١) التفسير، ج ١، ص ٤. (٢) التفسير، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٣) معجم رجال الحديث، ج ١، ص ٤٩ و ج ٩، ص ١٤٥-١٤٦.

(٤) تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣٧٣/٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨١

الضعف متروك. و لم يخرج ابن جرير و لا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئا، وإنما أخرجها ابن مردويه و أبو الشيخ ابن حبان «١». السابع: طريق صالح، هو طريق أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني، المروزي. أصله من بلخ و انتقل إلى البصرة و دخل بغداد و حدث بها.

و كان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز، و له التفسير المشهور. قال ابن خلكان:

أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر و عطاء بن أبي رباح و الضحاك و غيرهم، و كان من العلماء الأجلاء. قال الإمام الشافعي: الناس كلهم عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير. «٢» توفي سنة (١٥٠) كان تفسيره موضع إعجاب العلماء من أول يومه، غير أنهم كانوا يتهمونه بأشياء هو منها براء. قال القاسم بن أحمد الصفار: قلت لإبراهيم الحربي: ما بال الناس يطعنون على مقاتل؟ قال: حسدا منهم له. فعن ابن المبارك- لما نظر إلى شيء من تفسيره-: يا له من علم، لو كان له (١) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٢) وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٥٥، رقم ٧٣٣. قال شواخ: و توجد قائمة بالتفاسير الثابتة التي أخذت من هذه التفاسير عند مسنون. و كان هذا التفسير أحد مراجع الثعلبي في كتابه «الكشف و البيان». و قد حصل الخطيب البغدادي في دمشق على إجازته و روايته. كما في مشيخته.

و قد استخدمه الطبري في تفسيره و في تاريخه. و قد حققه الدكتور شحاته، و هو في روايته أبي صالح الهذيل بن حبيب الدندانى الذى كان يعيش في سنة (١٩٠) ه و قد أضاف هذا في بعض المواضع في نص مقاتل من أسانيد بعض الآخريين. راجع: معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٧٠، رقم ١٠٠٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٢

إسناد! و عن سفيان بن عبد الملك، عنه قال: ارم به، و ما أحسن تفسيره، لو كان ثقة! قال عبد الرزاق: سمعت ابن عيينة يقول: قلت لمقاتل: تحدث عن الضحاك، و زعموا أنك لم تسمع منه! قال: سبحان الله، لقد كنت آتية مع أبي، و لقد كان يغلق علي و عليه الباب! كناية عن أنه كان يبادل الحديث ساعات طوال «١».

و رماه أبو حنيفة بالتشبيه. و لكن لما سأله بعضهم عن ذلك، فقال: بلغني أنك تشبهه؟ قال: إنما أقول: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فمن قال غير ذلك فقد كذب «٢».

و أخرج الخطيب عن القاسم بن أحمد الصفار، قال: كان إبراهيم الحربي يأخذ مني كتب مقاتل، فينظر فيها. فقلت له ذات يوم: أخبرني يا أبا اسحاق، ما للناس يطعنون على مقاتل؟ قال: حسدا منهم لمقاتل، قال: و قال مقاتل: أغلق علي و على الضحاك باب أربع سنين.

قال الخطيب: و كان له معرفة بتفسير القرآن، و لم يكن في الحديث بذاك.

و أخرج عن أحمد بن حنبل، قال: كانت له كتب ينظر فيها، إلّا أنى أرى أنه كان له علم بالقرآن. و عن يحيى بن سبل، قال: قال لى عباد بن كثير: ما يمنعك من مقاتل؟

قال: قلت: إن أهل بلادنا كرهوه! قال: فلا تكرهه، فما بقى أحد أعلم بكتاب الله منه. و كان عند سفيان بن عيينة كتاب مقاتل، كان يستدل به و يستعين به. و قال مقاتل بن حيان- لما سئل أنت أعلم أم مقاتل بن سليمان-: ما وجدت علم مقاتل فى علم الناس إلا كالبحر الأخضر (المحيط) فى سائر البحور. و عن بقيه بن الوليد، قال: كنت كثيرا أسمع شعبه و هو يسأل عن مقاتل، فما سمعته قط ذكره إلّا بخير. (١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨١-٢٨٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٣

و من طريف ما يذكر عنه- و هو حال ببغداد:- إن أبا جعفر المنصور كان جالسا ذات يوم، و كان ذباب قد ألح عليه يقع على وجهه و ألح فى الوقوع مرارا حتى أضجره. فأرسل من يحضر مقاتل بن سليمان، فلما دخل عليه قال له: هل تعلم لما ذا خلق الله الذباب؟ قال: نعم، ليذل الله به الجبارين، فسكت المنصور «١».

نعم كان الرجل صريحا فى لهجته، واسع العلم، بعيد النظر، شديدا فى دينه، صلبا فى عقيدته. و فوق ذلك كان يميل مع مذهب أهل البيت، ذلك المنهج الذى انتهجه أشياخه من قبل، من المتأثرين بمدرسة ابن عباس رضوان الله عليه، الأمر الذى جعل من نفسه مرمى سهام الضعفاء القاصرين، و كم له من نظير.

يدلك على استقامة الرجل فى المذهب، كما يدل على وثاقته و اعتماده الأصحاب عليه أيضا، ما

رواه أبو جعفر الصدوق بإسناده الصحيح إلى الحسن بن محبوب- و هو من أصحاب الإجماع- عن مقاتل بن سليمان عن الإمام أبى عبد الله الصادق عليه السلام- يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: قال: أنا سيد النبيين و وصي سيد الوصيين و أوصياؤه سادة الأوصياء- ثم جعل يذكر الأنبياء و أوصياءهم حتى انتهى إلى برده، من أوصياء عيسى بن مريم عليهما السلام- قال: و دفعها (أى الوصاية) إلى برده، و أنا أدفعها إليك يا على- إلى قوله- و لتكفرن بك الأئمة، و لتختلفن عليك اختلافا شديدا، الثابت عليك كالمقيم معي، و الشاذ عنك كالشاذ مني، و الشاذ مني فى النار، و النار مثنى الكافرين «٢».

هذه الرواية إن دلت فإنما تدل على كون الرجل من أخصّ الخواصّ لدى الإمام عليه السلام. و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسى، من أصحاب الباقر (١) تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٦٠-١٦٩. و ابن خلكان، ج ٥، ص ٢٥٥، رقم ٧٣٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١٢٩-١٣٠، باب ١/٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٤

و الصادق عليهما السلام. «١»

و له رواية أخرى، رواها الكليني بإسناده الصحيح إلى ابن محبوب عنه عن الصادق عليه السلام «٢».

و عدّه أبو عمرو الكشي من البترية (الزيدية) «٣». لكن بيّعه أن عقيدته كانت امتدادا لعقيدة ابن عباس.

و بعد، فلعلك تعرف السبب فيما ذكره السيوطى بشأنه: الكلبى يفضّل عليه، لما فى مقاتل من المذاهب الرديئة. «٤» أما الخليلى فقد أنصف حيث قال: فمقاتل فى نفسه ضعّفوه، و قد أدرك الكبار من التابعين. و الشافعى أشار إلى أن تفسيره صالح «٥».

الثامن- أيضا صالح:- طريق أبى الحسن عطية بن سعد بن جنادة، العوفى الكوفى المتوفى سنة (١١١) قال الذهبي: تابعى شهير «٦»، روى عن ابن عباس و عكرمة و زيد بن أرقم و أبى سعيد. قال عطية: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرّات على وجه التفسير، و أمّا على وجه القراءة فقرأت عليه سبعين مرّة.

و عن ملحقات الصراح: أنّ له تفسيراً فى خمسة أجزاء «٧». قال ابن عدى: قد روى عن جماعة من الثقات، و هو مع ضعفه يكتب

حديثه، و كان يعدّ مع شيعة أهل (١) رجال الطوسي، ص ١٣٨، رقم ٤٩ و ص ٣١٣، رقم ٥٣٦.

(٢) روضة الكافي، ج ٨، ص ٢٣٣، رقم ٣٠٨.

(٣) رجال الكشي، ص ٣٣٤، رقم ٢٥٢.

(٤) الإتيقان، ج ٤، ص ٢٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

(٦) ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٧٩-٨٠ رقم ٥٦٦٧.

(٧) تنقيح المقال للمامقاني، ج ٢، ص ٢٥٣، رقم ٧٩٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٥

الكوفة. كتب الحجاج إلى عامله محمد بن القاسم أن يعرضه على سبّ عليّ عليه السّلام فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط و احلق لحيته، فاستدعاه فأبى أن يسبّ، فأمضى فيه حكم الحجاج. ثم خرج إلى خراسان، فلم يزل بها حتى ولى عمر بن هبيرة العراق، فقدمها فلم يزل بها إلى أن توفى سنة (١١١) و قال ابن حجر: و كان ثقة إن شاء الله، و له أحاديث صالحة، قال: و من الناس من لا يحتجّ به. و قال ابن معين: صالح الحديث.

قال أبو بكر البزار: كان يعد في التشيع، و روى عنه جلة الناس. و قال الساجي:

ليس بحجة، و كان يقدّم علينا على الكلّ «١».

قال السيوطي: و طريق العوفي عن ابن عباس، أخرج منها ابن جرير و ابن أبي حاتم كثيرا. و العوفي ضعيف ليس بواه. و ربّما حسن له الترمذي «٢».

قلت: لا قدح فيه بعد أن كان منشأ الغمز هو تشييعه لآل بيت الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و الدفاع عن حريمهم الطاهر. و من ثم فقد اعتمده القوم و رأوا أحاديثه صالحة و كان عندهم مرضيا.

فقد ذكر أبو عبد الله الذهبي - في ترجمته أبان بن تغلب، بعد أن يصفه بأنه شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه و عليه بدعته، و قد وثّقه ابن حنبل و ابن معين و أبو حاتم: فلقاتل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع، و حدّ الثقة العدالة و الإتيقان؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة؟! قال: و جوابه، إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو و لا تحزف، فهذا كثير في التابعين و تابعيهم، مع الدين و الورع و الصدق. (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٢٤-٢٢٦.

(٢) الإتيقان، ج ٤، ص ٢٠٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٦

فلو ردّ حديث هؤلاء، لذهب جملة من الآثار النبوية، و هذه مفسدة بينة «١».

قال ابن حجر - بعد أن ذكر توثيق ابن عدى لأبان بن تغلب قائلا: له نسخ عامتها مستقيمة، إذا روى عنه ثقة. و هو من أهل الصدق في الروايات، و إن كان مذهبه مذهب الشيعة، و هو في الرواية صالح لا بأس به - قال ابن حجر: هذا قول منصف، و أما الجوزجاني فلا عبرة بحظه على الكوفيين «٢».

و ذكر النجاشي أن عطية العوفي، روى عنه أبان بن تغلب، و خالد بن طهمان السلولي، و زياد بن المنذر (أبو الجارود) «٣».

قال المحدّث القمي: عطية العوفي أحد رجال العلم و الحديث يروى عنه الأعمش و غيره، و روى عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام، و هو الذي تشرف بزيارة الحسين عليه السّلام مع جابر الأنصاري يوم الأربعاء، الذي يعدّ من فضائله أنه كان أوّل من زاره بعد شهادته. قال: و يظهر من كتاب بلاغات النساء أنه سمع عبد الله الحسن يذكر خطبة فاطمة الزهراء عليهما السّلام في أمر فدك «٤».

و من مواقفه الحاسمة دون بنى هاشم، أنه كان رأس الفريق الذين انتدبهم أبو عبد الله الجدلي مبعوث المختار بن أبي عبيدة الثقفي في أربعة آلاف لإنقاذ بنى هاشم- وفيهم محمد ابن الحنفية و عبد الله بن عباس- من دور قد جمع عبد الله بن الزبير لهم حطبا ليحرقهم بالنار، إن لم يبايعوا، فدخل عطية بن سعد بن جنادة العوفي مكة، فكبروا تكبيره سمعها ابن الزبير، فانطلق هاربا حتى دخل دار (١) ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٩٣.

(٣) رجال النجاشي (ط حجرية)، ص ٧ و ١١٠ و ١٢١.

(٤) سفينة البحار، ج ٢، ص ٢٠٥. و أما الزيارة فقد نقلها السيد أمين في اللواعج، ص ٢٣٧-٢٣٨ عن كتاب بشاره المصطفى لعماد الدين الطبري.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٧

الندوة، و يقال: تعلق بأستار الكعبة، و قال: أنا عائذ الله. فأقبل عطية فأخر الحطب عن الأبواب، و أنقذهم. في تفصيل ذكره محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات «١».

قال الدكتور شواخ: كان عطية شيعيا و عدّه الكلبي حجة في تفسير القرآن.

و هذا التفسير مروى، فقد نقل الطبري من هذا التفسير نقولا استخدمها في (١٥٦٠) موضعا من تفسيره بالسند التالي: «حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جدّه (عطية بن سعد العوفي) عن ابن عباس». كما استخدم الطبري في تاريخه أيضا نقولا و شواهد من هذا التفسير. و قد استخدم الثعلبي السند السابق في كتابه «الكشف و البيان». و هذا التفسير يدخل ضمن الكتب التي حصل الخطيب البغدادي على حق روايتها من أساتذته في دمشق، كما في مشيخته، و تاريخ التراث العربى (١/ ١٨٧-١٨٨) «٢».

و ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- في المنتخب من ذيل المذيل- فيمن توفى سنة (١١١)، قال: و منهم عطية بن سعد بن جنادة العوفي من جديلة قيس و يكنى أبا الحسن.

قال ابن سعد: أخبرنا سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية، قال: جاء سعد بن جنادة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام و هو بالكوفة فقال: يا أمير المؤمنين، أنه ولد لي غلام فسّمه، فقال: هذا عطية الله، فسّمى عطية

. و كانت أمية روميّة. و خرج عطية مع ابن الأشعث. هرب عطية إلى فارس، و كتب الحجاج (١) الطبقات، ج ٥، ص ٧٤-٧٥ في ترجمه محمد ابن الحنفية. (ط ليدن ١٣٢٢ هـ)

(٢) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٢، رقم ٩٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٨

إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب عليه السلام و إلّا فاضربه أربعمئة سوط و احلق رأسه و لحيته. فدعاه و أقرأه كتاب الحجاج، و أبي عطية أن يفعل، فاضربه أربعمئة سوط و حلق رأسه و لحيته. فلما ولى قتيبة بن مسلم خراسان خرج إلى عطية، فلم يزل بخراسان حتى ولى عمر بن هبيرة العراق، فكتب إليه عطية يسأله الإذن له في القدوم فأذن له، فقدم الكوفة فلم يزل بها إلى أن توفى سنة (١١١) و كان كثير الحديث ثقة إن شاء الله «١».

التاسع- و هو أيضا طريق صالح على الأرجح:- طريق أبي النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي، النسابة المفسر الشهير. عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن ابن عباس.

و قد وصفه السيوطي بأنه أوهى الطرق، و أضاف: فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير، فهي سلسلة الكذب. قال: و كثيرا ما يخرج منها الثعلبي «٢» و الواحدى «٣».

ثم استدرك ذلك بقوله: لكن قال ابن عدى في الكامل: للكلبى أحاديث صالحه، و خاصيه عن أبى صالح، و أخيرا قال: و هو- الكلبى- معروف بالتفسير، (١) منتخب ذيل المذيل، ص ١٢٨ الملحق بالجزء الثامن من تاريخ الطبرى (ط القاهرة ١٣٥٨ هـ) (٢) هو أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى. و قد اعتمده أكابر المفسرين أمثال الزمخشرى و الطبرسى و غيرهما. قال القمى: كان يتشيع، أو لم يكن يتعصب كما يتعصب أقرانه. توفى سنة ٤٢٧ أو ٤٣٧ (الكنى و الألقاب، ج ٢، ص ١٣١) (٣) هو أبو الحسن على بن أحمد النيسابورى أستاذ عصره و واحد دهره، و كان النظام يكرمه و يعظمه. توفى سنة ٤٦٨. (الكنى و الألقاب، ج ٣، ص ٢٧٧)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٩

و ليس لأحد تفسير أطول و لا أشبع منه «١».

قال ابن خلّكان: صاحب التفسير و علم النسب، كان إماما فى هذين العلمين. «٢»

قال ابن سعد: كان محمد بن السائب عالما بالتفسير و أنساب العرب و أحاديثهم، و توفى بالكوفة سنة (١٤٦) فى خلافة أبى جعفر المنصور «٣».

و كان يتشيع عن إرث تليد، و ليس طارفا. قال ابن سعد: و كان جدّه بشر بن عمرو و بنوه: السائب و عبيد و عبد الرحمن، شهدوا الجمل مع على بن أبى طالب عليه السلام. «٤»

و للكلينى شهادة راقية بشأن الكلبى، يذكر قصه استبصاره، ثم يعقبها بقوله: «فلم يزل الكلبى يدين الله بحب آل هذا البيت حتى مات» «٥».

و من ثم رموه بالضعف تارة و بالابتداع أخرى، و مع ذلك فلم يجدوا بدّا من الانصياع لمقام علمه الرفيع، و أن يلمسوا أعباه بكل خضوع و بخوع. فقد اعتمده الأئمة و جهابذة التفسير و الحديث «٦».

أما ما ألصقوه به من الغلو فى التشيع فلا أساس له، و إنما وضعوه عليه قصدا لتشويه سمعته، بعد أن لم يكن رمية بمجرّد التشيع قدحا فيه. فعن المحاربى قال:

قيل لزانده بن قدامة: ثلاثة لا تروى عنهم، ابن أبى ليلى، و جابر الجعفى، و الكلبى؟ (١) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٩.

(٢) وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٠٩، رقم ٦٣٤.

(٣) الطبقات، ج ٦، ص ٢٤٩ (ط ليدن)

(٤) المصدر نفسه. و تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٨٠.

(٥) الكافى الشريف، ج ١، ص ٣٥١، رقم ٦.

(٦) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٧٨ رقم ٢٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٠

قال: أما ابن أبى ليلى فليست أذكره، و أما جابر فكان يؤمن بالرجعة «١»، و أما الكلبى- و كنت اختلف إليه- فسمعته يقول: مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ، فأتيت آل محمد، فتفلوا فى فئى فحفظت ما كنت نسيت! قال: فتركته «٢» و عن أبى عوانة: سمعت الكلبى بشىء، من تكلم به كفر. قال الأصمعى: فراجعت الكلبى و سألته عن ذلك، فجحده. قال الساجى: كان ضعيفا جدا، لفرطه فى التشيع «٣».

هذا، و لكن ابن عدى قال بشأنه: له غير ذلك (الذى رموه بالغلو) أحاديث (١) بما ذا يفسر منكروا الرجعة، قوله تعالى: و إذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ. و يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا

فَهُمْ يُوزَعُونَ النمل / ٨٢-٨٣.

ما ذاك اليوم الذى تخرج الدابة لتكلمهم و لتلزمهم الحجة، و قد وقع القول عليهم؟! (مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٣٤-٢٣٥) فى حين أن يوم الحشر الأكبر هو اليوم الذى يحشر من كل أمة فوج؟ و قد صرح المفسرون بأن «من» هنا للتبويض (الفخر، ج ٢٤، ص ٢١٨) فى حين أن يوم الحشر الأكبر هو اليوم الذى يحشر فيه الناس جميعا وَ حَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا الكهف / ٤٧، قال تعالى: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَ كُلُّ أَتَوُّهُ دَاخِرِينَ النمل / ٨٧.

(٢) هذا كلام من أعمته العصبية الجهلاء، كيف يستنكر ذلك بشأن آل محمد الطيبين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً! أليس الله قد شافى علياً عليه السّلام من الرمد يوم خيبر، بريق النبي الكريم صلى الله عليه و آله و سلم حسبما رواه الفريقان و اتفقت عليه كلمة الأئمة الثقات.

قال أبو نعيم: فبصق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى عينيه و دعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع (حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٢، رقم ٤) و هذا من فضل الله على عباده المخلصين، يجب دعاءهم و يجعل الشفاء على يديهم رحمة منه على العباد.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٧٩-١٨٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩١

صالحه، و خاصة عن أبي صالح، و هو معروف بالتفسير، و ليس لأحد أطول من تفسيره. قال: و حدث عنه ثقات من الناس و رضوه فى التفسير (١).

و لأبى حاتم - هنا - كلام غريب، نقله بلفظه:

قال: يروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، و أبو صالح لم ير ابن عباس و لا سمع منه شيئاً، و لا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فجعل لما احتيج له، تخرج له الأرض أفلاذ كبدها! قال: لا يحل ذكره فى الكتب، فكيف الاحتجاج به! و الله جلّ و علا ولى رسوله صلى الله عليه و آله و سلم تفسير كلامه. «٢» و محال أن يأمر الله نبيه أن يبين لخلقه مراده و يفسره لهم، ثم لا يفعل، بل أبان عن مراد الله و فسّر لأمته ما يهّم الحاجة إليه، و هو سننه صلى الله عليه و آله و سلم فمن تبع السّنن، حفظها و أحكمها، فقد عرف تفسير كلام الله، و أغناه عن الكلبي و ذويه.

قال: و ما لم يبينه من معانى الآى، و جاز له ذلك، كان لمن بعده من أمته أجوز و ترك التفسير لما تركه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أخرى. و من أعظم الدليل على أن الله لم يرد تفسير القرآن كله، أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ترك من الكتاب متشابها من الآى، و آيات ليس فيها أحكام، فلم يبين كيفيتها لأمته؛ فدل ذلك على أن المراد من قوله:

لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ كان بعض القرآن لا كله «٣».

قلت: هذا كلام ناشئ عن عصبية عمياء. كيف يجرأ مسلم متعهد أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه لم يفسّر لأمته جميع ما أبهم فى القرآن إبهاماً، و قد أمره (١) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٨٠.

(٢) فى الآية، رقم ٤٤ من سورة النحل.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان، ج ٢، ص ٢٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٢

تعالى بذلك: و قد أثبتنا فيما قبل أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم يبين الجميع إما فى إيجاز أو تفصيل، و لم يترك شيئاً تحتاج إليه أمته - و منها فهم معانى القرآن كله - لم يبينه لهم، إنما عليه البيان كما كان عليه البلاغ.

أما توسع الكلبي فى التفسير فأمر معقول، بعد كونه ناجماً عن توسّعه فى العلم، و تربيته فى مهد العلم كوفه العلماء الأعلام من صحابة الرسول الأخيار.



و هذا لا يعدّ عيباً في الرجل.

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكنائب

و تفسير الكلبي هذا لا يزال موجوداً منعماً بالحياة، و قد استقصى الدكتور شواخ نسخه المخطوطة في المكتبات اليوم، منذ نسخته التي كتبت سنة (١٤٤) هـ حتى القرن (١٢) «١».

و أما أبو صالح- و يقال له: باذام أو باذان، مولى أم هانئ بنت أبي طالب- فقد روى عن علي عليه السّلام و ابن عباس و مولاته أم هانئ، و روى عنه الأجلء كالأعمش و السّدي الكبير و الكلبي و الثوري و غيرهم.

قال عليّ بن المديني عن يحيى القطان: لم أر أحداً من أصحابنا تركه، و ما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً.

قال ابن حجر: وثقه العجلي وحده. قال: و لما قال عبد الحق- في الأحكام:-

إن أبا صالح ضعيف جدّاً، أنكر عليه أبو الحسن ابن القطان في كتابه «٢». و قال ابن معين: ليس به بأس. و قال ابن عدّي: عامة ما يرويه تفسير «٣». (١) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٦-١٦٩، رقم ١٠٠٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤١٦.

(٣) ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٢٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٣

قلت: ما وجه تضعيفه إلّا ما ضعّف به نظراؤه ممن حام حول هذا البيت الرفيع؛ إذ من الطبيعي أن مولى أم هانئ أخت الإمام أمير المؤمنين، و قد كانت كأخيها الإمام موضع عناية النبي صلى الله عليه و آله و سلّم من أوّل يومها «١»، و كانت ذات علاقة بأخيها أمير المؤمنين عليه السّلام تخلص له الولاء، فلا يكون مولاه- و هو تحت تربيتها- بالذي يختار غير سبيلها المستقيم، فلا غرو إذن ممن لا يعرف ولاء لهذا البيت أن يتّهم الموالين لهم، و أقله الرمي بالضعف! هذا الجوزجاني يقول: كان يقال له: ذو رأى غير محمود! «٢» نعم غير محمود عندهم، و لا كان مرضياً لديهم، ما دام لم ينخرط في زمرة من ذوى الرأى العام.

و بعد، فقد تفرد ابن حبان بأن أبا صالح باذان لم يسمع عن ابن عباس. كيف لم يسمع منه و هو معه في زمرة عليّ مع سائر أوليائه الكرام! قال ابن سعد: أبو صالح، و اسمه باذام، و يقال: باذان، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، و هو صاحب التفسير الذي رواه عن ابن عباس، و رواه عنه الكلبي محمد ابن السائب، و أيضاً سماك بن حرب و إسماعيل بن أبي خالد «٣».

و أما محمد بن مروان بن عبد الله الكوفي، السّدي الصغير، فقد روى عن جماعة من أهل العلم كالأعمش و يحيى بن سعيد الأنصاري و محمد بن السائب الكلبي و أضرابهم. و روى عنه الكثير من الأعلام كالأصمعي و هشام بن عبيد الله الرازي و يوسف بن عدّي و أمثالهم. مما ينبؤك عن موضع الرجل، و أنه موضع (١) راجع: الإصابة لابن حجر، ج ٤، ص ٥٠٣.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤١٧.

(٣) الطبقات، ج ٦، ص ٢٠٧ (ط ليدن)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٤

الثقة من أئمة الحديث.

و قد ضعّفه كثير من أصحاب التراجم «١» على ديدنهم في التحامل على الكوفيين، على ما أسلفنا، سوى أن محمد بن إسماعيل البخاري لم يضعّفه صريحاً؛ إذ لم يجد إلى ذلك سيلاً، و اكتفى بأن لا يكتب حديثه. قال: محمد بن مروان الكوفي، صاحب الكلبي، سكتوا عنه، لا يكتب حديثه البتة. «٢» و قال النسائي: متروك الحديث «٣».

و قد عدّه ابن شهر آشوب من أصحاب الإمام محمد بن علي الباقر عليه السّلام، قال:

و محمد بن مروان الكوفي، من ولد أبي الأسود «٤»، و لعله من جهة البنت. و كذا عدّه الشيخ من رجال الباقر عليه السّلام «٥»، لكن

وصفه بالكلبى نسبة إلى شيخه محمد بن السائب. و فى الكشّى - فى ترجمه معروف بن خربوذ - روايه عن محمد بن مروان - و لعله السدى - تدل على ملازمته للإمام الصادق عليه السلام عند ما كان يقدم عليه المدينة، أو عند ما كان الإمام مبعدا إلى الحيرة فى العراق «٤».

و أما التفسير الذى يحمل عنوان «تفسير ابن عباس» باسم «تنوير المقباس» «٧»، فقد ذكروا أنه من جمع الفيروز آبادى صاحب القاموس، لكنه بنفس (١) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٣٦، رقم ٧١٩.

(٢) كتاب الضعفاء للبخارى، ص ١٠٥، رقم ٣٤٠.

(٣) كتاب الضعفاء و المتروكين للنسائى، ص ٩٤، رقم ٥٣٨.

(٤) المناقب، ج ٤، ص ٢١١.

(٥) رجال الطوسى، ص ١٣٥، رقم ٤.

(٦) رجال الكشّى، ص ١٨٤، رقم ٨٨.

(٧) طبع مرارا و على هامش الدر المنثور أيضا.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٥

الإسناد الذى وصفه السيوطى بأنه سلسلة الكذب حسب تعبيره.

و إليك بعض الكلام عنه:

### تفسير ابن عباس

هناك تفاسير منسوبة إلى ابن عباس، منها: ما رواه مجاهد بن جبر. ذكره ابن النديم فى الفهرست بروايتين: إحداهما عن طريق حميد بن قيس، و الأخرى عن طريق أبى نجیح يسار الثقفى الكوفى، توفى سنة (١٣١) يرويه عنه ابنه أبو يسار عبد الله بن أبى نجیح، و عنه و رقاء بن عمر الشكرى «١».

و هذا الطريق صححته الأئمة و اعتمده أرباب الحديث. و قد طبع أخيرا باهتمام مجمع البحوث الإسلاميه بباكستان سنة (١٣٦٧) هـ. ق «٢»، و قد مر شرحه فى ترجمه مجاهد.

الثانى: تفسير ابن عباس عن الصحابة، لأبى أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودى المتوفى سنة (٣٣٢) و هذا ذكره أبو العباس النجاشى، قال: الجلودى الأزدى البصرى أبو أحمد شيخ البصرة و أخباريها، و كان من أصحاب أبى جعفر الباقر عليه السلام. و جلود: قرية فى البحر، و قيل: بطن من الأزد. قال: و له كتب ذكرها الناس - و عدّها أكثر من سبعين كتابا - و ذكر منها الكتب المتعلقة بابن عباس مسنده عنه، منها: كتاب التنزيل عنه، و كتاب التفسير عنه، و كتاب تفسيره عن الصحابة «٣».

الثالث: تفسير ابن عباس الموسوم ب «تنوير المقباس» من تفسير عبد الله بن (١) الفهرست لابن النديم، ص ٥٦.

(٢) راجع: معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور شواخ، ج ٢، ص ١٦٠، برقم ٩٩٤.

(٣) فهرست مصنفى الشيعة للنجاشى، ص ١٦٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٦

عباس، فى أربعة أجزاء، من تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادى صاحب القاموس (٧٢٩-٨١٧) «١». و قد طبع مكررا، و فى هامش الدر المنثور أيضا.

و السند فى أوّله هكذا: أخبرنا عبد الله - الثقة - ابن المأمون الهروى، قال:

أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو عبد الله، قال: أخبرنا أبو عبيد الله محمود بن محمد الرازي، قال: أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي، قال: أخبرنا علي بن إسحاق السمرقندي، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس «٢».

غير أن علي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، قال ابن حجر: مات في شوال سنة (٢٣٧) «٣». و أما محمد بن مروان السدي الصغير، فقد توفي سنة (١٨٦) و عليه فيكون تحمله عنه في حال الصغر جدًا «٤».

و سائر رجال السند مجهولون، كما لم يأت تصريح باسم الجامع الذي يقول:

«أخبرنا عبد الله الثقة»، هل هو الفيروزآبادي صاحب القاموس أم غيره؟ وإنما ذكره الحلبي في كشف الظنون «٥». و سار خلفه (سائر أصحاب التراجم) و على أي تقدير فإن هذا التفسير الموجود يعتبر مجهول السند و مجهول النسبة إلى مؤلف خاص، فضلا عن مثل ابن عباس.

هذا و لا سيما بعد ملاحظة متن التفسير؛ حيث لا يعدو ترجمة ألفاظ القرآن ترجمة غير مستندة و مختصرة إلى حد بعيد، مما يبعد كونه من تفسير حبر الأمة و ترجمان القرآن. (١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة لأغا بزرك الطهراني، ج ٤، ص ٢٤٤.

(٢) هامش الجزء الأول من الدر المنثور، ص ٢.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٨٣.

(٤) فلو فرض أن السمرقندي عاش سبعين عاما، فيكون حين وفاة السدي الصغير تحت العشرة.

(٥) كشف الظنون، ج ١، ص ٥٠٢. و راجع: الذريعة، ج ٤، ص ٢٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٧

على أن للكلبي، و كذا للسدي الصغير، تفسير جامع و موضع اعتبار لدى الأئمة على ما أسلفنا، فلو كانا هما الراويين لهذا التفسير لكان فيه شيء من آثارهما، و على تلك المرتبة من الجلالة و الشأن.

كما أن المأثور من ابن عباس، على ما جمعه الطبري و غيره، لا يشبه شيئا من محتوى هذا التفسير الساذج جدًا، مثلا يقول: عن ابن عباس في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِالْتَنَاسُلِ ... «١» و هلم جراً.

و الذي يبدو لنا من مراجعة هذا التفسير أن جامع عمده إلى تفسير القرآن تفسيراً ساذجاً في حدّ ترجمة بسيطة، تسهلاً على عموم المراجعين، و هذا أمر مطلوب و مرغوب فيه شرعاً. و لكنه صدر كل سورة برواية عن ابن عباس، تيمناً و تبرّكاً باسم ترجمان القرآن. و لم يقصد أن كل ما ورد في تفسير السورة من تفسيره بالذات، الأمر الذي اشتبهه على الأكثر، فزعموه تفسيراً مستنداً إلى ابن عباس في الجميع. و هذا و هم أوهمه ظاهر التعبير، فليتبه.

### قيمة تفسير الصحابي

مما يجدر التنبه له أن الدور الأول على عهد الرسالة، كان دور تربية و تعليم، و لا سيما بعد الهجرة إلى المدينة، كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد ركز جلّ حياته على تربية أصحابه الأجلاء و تعليمهم الآداب و المعارف، و السنن و الأحكام و ليجعل منهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس «٢»، فقد جاء صلى الله عليه و آله و سلم ل (١) أول سورة النساء (الدر المنثور- الهامش، ج ١، ص ٢٣٣)

(٢) من الآية رقم ١٤٣ من سورة البقرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٨

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ «١».

و لا شك أنه صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم فعل ما كان من شأنه أن يفعل و ربى من أصحابه ثلثه من علماء ورثوا علمه و حملوا حكمته إلى الملائمة من الناس.

و إذا كان القرآن تبييناً لكل شئ و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين «٢»، و قد بلغه النبى صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم إلى الناس، فقد بين معالمه و أرشدهم إلى معانى حكمه و معانى آياته؛ إذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون «٣».

و هل كان دور النبى صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم فى أمته، و فى أصحابه الخلفاء بالخصوص، سوى دور معلم و مرشد حكيم؟ فلقد كان صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم حريصاً على تربيتهم و تعليمهم فى جميع أبعاد الشريعة، و بيان مفاهيم الإسلام.

هذا من جهة، و من جهة أخرى، فإن من صحابته الأخيار- ممن رضى الله عنهم و رضوا عنه- من كان على وفرة من الذكاء، طالبا مجدداً فى طلب العلم و الحكمة و الرشاد، مولعا بالسؤال و الازدىاد من معارف الإسلام، و كانوا كثرة من ذوى النباهة و الفطنة و الاستعداد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه «٤»، و استقاموا على الطريقة، فسقاهم ربهم ماءً غدقاً «٥».

و قد عرفت كلام ابن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم (١) الجمعة / ٢.

(٢) النحل / ٨٩.

(٣) النحل / ٤٤.

(٤) الأحزاب / ٢٣.

(٥) الجن / ١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٩

يجاوزهن حتى يعلم معانيهن و العمل بهن «١».

و هو أقدم نص تاريخى يدلنا على مبلغ اهتمام الصحابة بمعرفة معانى القرآن و اجتهادهم فى العمل بأحكامه.

و هذا

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول- بشأن ما كان يصدر منه من عجائب أحكام و غرائب أخبار:- «و إنما هو تعلم من ذى علم، علم علمه الله نبيه فعلمنيه، و دعا لى بأن يعيه صدرى، و تظلم عليه جوانحى» «٢».

و هذا ابن عباس- تلميذه الموفق- كان من أحرص الناس على تعلم العلم و معرفة الأحكام و الحلال و الحرام من شريعة الإسلام. و كان قد تدارك- لشدة حرصه فى طلب العلم- ما فاته أيام حياة النبى صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم لصغره «٣» بمراجعة العلماء من صحابته الكبار بعد وفاته صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم، و

قد كان النبى قد دعا له: «اللهم علمه التأويل و فقّه فى الدين، و اجعله من أهل الإيمان» «٤».

روى الحاكم فى المستدرک بشأن حرصه على طلب العلم: أنه بعد وفاة الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم قال لرجل من الأنصار: هلم، فلنطلب العلم، فإن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم أحياء. فقال: عجباً لك يا ابن عباس، ترى الناس يحتاجون إليك، و فى الناس من أصحاب رسول الله من فيهم. فأقبل ابن عباس يطلب العلم، قال: إن كان الحديث ليلغنى عن الرجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم قد سمعه منه، فآتية فأجلس ببابه، فتسفى الریح على وجهى، فيخرج إلى فيقول: يا ابن عم رسول الله، (١) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٢٧ و ٣٠.

(٢) نهج البلاغة، خ ١٢٨، ص ١٨٦ (ص ص)

(٣) ولد قبل الهجرة بثلاث سنين.

(٤) أخرجه الحاكم و صححه. المستدرک، ج ٣، ص ٥٣٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٠

ما جاء بك، ما حاجتك؟ فأقول: حديث بلغني عنك ترويه عن رسول الله، فيقول:

ألا أرسلت إليّ؟! فأقول: أنا أحق أن آتيك «١».

و من ثم كان يسمّى «البحر» لكثرة علمه. و عن مجاهد: هو جبر الأمة. و عن ابن الحنفية: ربّاني هذه الأمة «٢»، إلى غيرها من تعابير تنم عن مدى رفعة في درجات العلم.

و قد كان يجلس للتفسير فيقع موضع إعجاب. قال أبو وائل: حججت أنا و صاحب لي، و ابن عباس على الحج، فجعل يقرأ سورة النور و يفسيّرها. فقال صاحبي: يا سبحان الله، ما ذا يخرج من رأس هذا الرجل، لو سمعت هذا الترك لأسلمت. و في رواية عن شقيق: ما رأيت و لا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس و الروم لأسلمت. و قال عبد الله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس «٣».

و أسلفنا حديث مسروق بن الأجدع: وجدت أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم كالإخاذ، فالإخاذة تكفي الراكب، و الإخاذة تكفي الراكبين، و الإخاذة تكفي الفئام من الناس. و في لفظ آخر: لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم «٤».

كناية عن أنهم كانوا على درجات من العلم، كانوا يصدرون الناس عن روى كان مستقاه و مادته الأولى، هو النبي الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم هو ربّاهم و أدبهم فأحسن تأديبهم، و إن كانوا هم على تفاوت في استعداد الأخذ و التلقّي (١) المستدرک، ج ٣، ص ٥٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣٥.

(٣) المستدرک، ج ٣، ص ٥٣٧.

(٤) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠١

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا «١».

و بعد، فإذا كانت تلك حالة العلماء من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يصدرون الناس إلّا عن مصدر الوحي الأمين، و لا ينطقون إلّا عن لسانه الناطق بالحق المبين، فكيف يا ترى مبلغ اعتبار ما يصدر عن ثلّمه، هم حملة علم الرسول، و الحفظه على شريعته الأمانة؟! نعم كان الشرط في الحجية و الاعتبار أولًا: صحة الإسناد إليهم، و ثانيا: كونهم من الطراز الأعلى. و إذ قد ثبت الشرطان، فلا محيص عن جواز الأخذ و صحة الاعتماد، و هذا لا شك فيه بعد الذي نوهنا.

إنما الكلام في اعتبار ذلك حديثا مسندا و مرفوعا إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، بالنظر إلى كونه الأصل في تربيتهم و تعليمهم، أو أنه استنباط منهم، لمكان علمهم و سعة اطلاعهم فربما أخطئوا في الاجتهاد، و إن كانت إصابتهم في الرأي أرجح في النظر الصحيح.

الأمر الذي فضّل القوم فيه، بين ما إذا كان للرأي و النظر مدخل فيه، فهذا موقوف على الصحابي، لا يصحّ إسناده إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم. و ما إذا لم يكن كذلك، مما لا سبيل إلى العلم به إلّا عن طريق الوحي، فهو حديث مرفوع إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لا محالة؛ و ذلك لموضع عدالة الصحابي و وثاقته في الدين. فلا يخبر عما لا طريق للحسّ إليه، إلّا إذا كان قد أخبره ذو علم عليم صادق أمين.

و إليك بعض ما ذكره القوم بهذا الشأن:

قال العلامة الطباطبائي - عند تفسير قوله تعالى: (١) الرعد/ ١٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٢

وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ... «١»:-

و في الآية دلالة على حجية قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في بيان الآيات القرآنية، و يلحق به بيان أهل بيته؛ لحديث الثقلين المتواتر و غيره. و أما سائر الأمة من الصحابة أو التابعين أو العلماء، فلا حجية لبيانهم، لعدم شمول الآية و عدم نص معتمد عليه، يعطى حجية بيانهم على الإطلاق.

قال: هذا كله في نفس بيانهم المتلقى بالمشافهة. و أما الخبر الحاكي له، فما كان منه بيانا متواترا أو محفوظا بقريته قطعية و ما يلحق به، فهو حجة لكونه بيانهم.

و أما ما لم يكن متواترا و لا محفوظا بالقريته، فلا حجية فيه؛ لعدم إحراز كونه بيانا لهم.

قال: و أما قوله تعالى: فَسَيَلُؤْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ... «٢» فإنه إرشاد إلى حكم العقلاء برجوع الجاهل إلى العالم، من غير اختصاص بطائفة دون أخرى «٣».

### هل المأثور من الصحابي حديث مسند؟

قال الحاكم النيسابوري: ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل، عند الشيخين، حديث مسند، أي إذا انتهت سلسلة الرواية إلى صحابي جليل، فإن ذلك يكفي في إسناد الحديث إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و إن كان الصحابي لم يسنده إليه. (١) النحل / ٤٤.

(٢) النحل / ٤٣.

(٣) الميزان، ج ١٢ (ط اسلامية)، ص ٢٧٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٣

ذكر ذلك في موضعين من مستدركه «١»، و هو عام سواء أ كان ذلك مما لا طريق إلى معرفته سوى الوحي أم لم يكن كذلك، و كان مما يمكن أن يراه الصحابي أو شاهده بنفسه. و من ثم كان هذا الكلام على عمومته و إطلاقه محل إشكال؛ لذلك رجع عنه في كتابه الذي وصفه لمعرفة علوم الحديث.

قال هناك: إن من الحديث ما يكون موقوفا على الصحابي، غير مرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما إذا قال الصحابي: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يفعل كذا أو يأمر بكذا، أو إن أصحابه كانوا يصنعون كذا، مثل ما روى عن المغيرة بن شعبه، قال:

كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقرعون بابه بالأظفير. قال الحاكم: هذا حديث يتوهمه من ليس من أهل الصنعة مسندا؛ لذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و ليس بمسند فإنه موقوف على صحابي، حكى عن أقرانه من الصحابة فعلا. و هكذا إذا قال الصحابي: إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول كذا، و كان يفعل كذا، و كان يأمر بكذا و كذا.

قال: و من الموقوف ما روينا عن أبي هريرة، في قول الله - عز و جل - لَوَاحِيَةٌ لِلْبَشَرِ «٢» قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة، فلا تترك لحما على عظم إلا وضعت على العراقيب.

قال: و أشباه هذا من الموقوفات، تعد في تفسير الصحابة «٣».

قال: فأما ما نقول في تفسير الصحابي، مسندا، فإنما نقوله في غير هذا النوع، كما في حديث جابر، قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها (١) المستدرک، ج ٢، ص ٢٥٨، و في ص ٢٦٣ أيضا.

(٢) المدثر / ٢٩.

(٣) بناء على أن هذا التفسير من أبي هريرة كان من عنده، و لعله استظهارا من لفظ الآية! و لكن سيأتي عن السيوطي أنه مما لا سبيل

إلى معرفته سوى الوحي، فهو من المسند المرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٤

جاء الولد أحول، فأنزل الله عزَّ و جلَّ نِسْأُكُمْ حَزَّتْ لَكُمْ ... «١». قال: هذا الحديث و أشباهه مسنده عن آخرها، و ليست بموقوفة، فإن الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل، فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا و كذا، فإنه حديث مسند «٢».

و هكذا قيّد ابن الصلاح و النووي و غيرهما ذاك الإطلاق بما لا يرجع إلى معرفة أسباب النزول المشاهدة، و نحو ذلك مما يمكن معرفته للصحابة بالمشاهدة و العيان. نعم إذا كان مما لا- مجال للرأى فيه، مما يعود إلى ما وراء الحس من قبيل أمر الآخرة و نحو ذلك، فإن مثل ذلك حديث مسند، مرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نظرا لموضع عدالة الصحابة، و تنزيهه عن القول على الله بغير علم، و لا مستند إلى ركن و ثيق.

قال النووي- في التريب:- و أما قول من قال: تفسير الصحابي مرفوع، فذاك في تفسير يتعلّق بسبب نزول آية أو نحوه، و غير موقوف. قال السيوطي- في شرحه:- كقول جابر: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها، جاء الولد أحول، فأنزل الله تعالى: نِسْأُكُمْ حَزَّتْ لَكُمْ ...

رواه مسلم، أو نحوه مما لا يمكن أن يؤخذ إلّا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و لا مدخل للرأى فيه.

قال: و كذا يقال في التابعي، إلّا أن المرفوع من جهته مرسل.

قال: ما خصّص به المصنف كابن الصلاح و من تبعهما قول الحاكم، قد صرح به الحاكم في «علوم الحديث»، ثم ذكر حديث أبي هريرة في قوله تعالى: لَوْ آخَةٌ لِلْبَشَرِ (١) البقرة/ ٢٢٣.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٩- ٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٥

فالحاكم أطلق في المستدرک و خصّص في علوم الحديث، فاعتمد الناس تخصيصه. و أظن أن ما حمّله في المستدرک على التعميم الحرص على جمع الصحيح، حتى أورد ما ليس من شروط المرفوع، و إلّا ففيه من الضرب الأول الجَمّ الغفير. على أنى أقول: ليس ما ذكره عن أبي هريرة من الموقوف؛ لما تقدّم من أن ما يتعلّق بذكر الآخرة و ما لا مدخل للرأى فيه، من قبيل المرفوع «١».

و على أيّة حال، فإن التفسير المأثور عن صحابي جليل- إذا صحّ الطريق إليه- فإنّ له اعتباره الخاص. فإنّما أن يكون قد أخذه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و هو الأكثر فيما لا يرجع إلى مشاهدات حاضرة أو فهم الأوضاع اللغوية الأولى أو ما يرجع إلى آداب و رسوم جاهلية بائدة، كان الصحابة يعرفونها، و أشباه ذلك. فإن كان لا يرجع إلى شيء من ذلك، فإنّ من المعلوم بالضرورة أنه مستند إلى علم تعلّمه من ذي علم. هذا ما يقتضيه مقام إيمانه الذي يحجزه عن القول الجزاف.

و إلّا فهو موقوف عليه و مستند إلى فهمه الخاص، و لا ريب أنه أقرب فهما إلى معاني القرآن، من الذي ابتعد عن لمس أعتاب الوحي و الرسالة، و حتى عن إمكان معرفة لغة الأوائل، و عادات كانت جارية حينذاك.

و هكذا صرّح العلامة الناقد السيد رضی الدين بن طاوس المتوفى سنة (٦٦٤) بشأن العلماء من صحابة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إنهم أقرب علما بنزول القرآن» «٢». (١) تدريب الراوى، ج ١ ص ١٩٣ (ط ٢- ١٣٩٩ هـ)

(٢) في كتابه القيم (سعد السعود) الذي عالج فيه نقد أكثر من سبعين كتابا في تفسير القرآن، كانت في متناوله ذلك العهد. (ط نجف) ص ١٧٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٦

قال الإمام بدر الدين الزركشى: لطالب التفسير ماخذ كثيرة، أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و هذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه و الموضوع، فإنه

كثير.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما قاله الحاكم في تفسيره. و قال أبو الخطاب- من الحنابلة:-

يحتمل أن لا يرجع إليه إذا قلنا: إن قوله ليس بحجة! و الصواب الأول؛ لأنه من باب الرواية لا الرأي.

و قد أخرج ابن جرير عن مسروق بن الأجدع قال: قال عبد الله بن مسعود:

و الذى لا إله الا هو، ما نزلت آية في كتاب الله إلا و أنا أعلم فيمن نزلت و أين نزلت، و لو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته. و قال أيضا:

كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يتجاوزهنّ حتى يعلم معانيهنّ، و العمل بهنّ.

قال: و صدور المفسرين من الصحابة، على ثم ابن عباس- و هو تجرّد لهذا الشأن- و المحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن عليّ، إلا أن ابن عباس كان أخذ عن عليّ عليه السّلام، و يتلوه عبد الله بن عمرو بن العاص. و كل ما ورد عن غيرهم من الصحابة فحسن مقدم «١».

و أخيرا قال: و اعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عن تفسيره، و قسم لم يرد. و الأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو عن الصحابة، أو عن رءوس التابعين. فالأول: يبحث فيه عن صحة السند. و الثاني: ينظر فى تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة، فهم أهل اللسان، فلا (١) البرهان، ج ٢، ص ١٥٦-١٥٧.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٧

شك فى اعتمادهم، و إن فسّره بما شاهدته من الأسباب و القرائن فلا شك فيه. و حينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، و إن تعدّد قدم ابن عباس «١».

و سيأتى نقل كلامه فى الرجوع إلى التابعى.

هذا ما يقتضيه ظاهر البحث فى هذا المجال. و أما الذى جرى عليه مذهب علمائنا الأعلام، فهو: إن التفسير المأثور من الصحابي- مهما كان على جلاله من القدر و المنزلة- فإنه موقوف عليه، لا يصحّ إسناده إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما لم يسنده هو بالذات. و هذا منهم مطلق، سواء أ كان للرأى فيه مدخل أم لا؛ لأنه إنّما نطق عن علمه، حتى و لو كان مصدره التعليم من النبي، ما لم يصرّح به؛ إذ من الجائر أنه من استنباطه الخاص، استخرجه من مبان و أصول تلقّاها من حضرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أما التنصيص على هذا الفرع المستنبط بالذات فلم يكن من النبي، و إنما هو من اجتهاد الصحابي الجليل، و مرتبط مع مبلغ فطنته و سعة دائرة علمه، و المجتهد قد يخطأ، و ليس الصواب حليفه دائما، ما لم يكن معصوما.

و من ثم فإنّ الذى يصدر من أئمتنا المعصومين عليهم السّلام نسندهم إليهم، و إن كنا على علم و يقين أنه تعلّم من ذى علم عليهم، ذلك أنه حجة لدينا؛ لأنه صادر من منبع معصوم.

### ميزان تفسير الصحابي

يمتاز تفسير الصحابي بأمر خمسة لم تتوفر جميعا فى سائر التفاسير (١) البرهان، ج ٢، ص ١٧٢.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٨

المتأخّرة:

أولا: بساطته، بما لم يتجاوز بضع كلمات فى حلّ معضل أو رفع إبهام، فى بيان واف شاف و مع كمال الإيجاز و الإيفاء. فإذا قد سئل



أحدهم عن معنى غَيْرِ مُتَّجَانِفٍ لِإِثْمٍ «١»، أجاب على الفور: «غير متعرض لمعصية»، من غير أن يتعرض لاشتقاق الكلمة، أو يحتاج إلى بيان شاهد و دليل، و ما شاكل ذلك، مما اعتاده المفسرون. و إذا سئل عن سبب نزول آية، أو عن فحواها العام، أجاب بشكل قاطع من غير تردد، و على بساطة من غير تعقيد، كان قد ألفه المتأخرون.

ثانيا: سلامته عن جدل الاختلاف، بعد وحدة المبني و الاتجاه و الاستناد، ذلك العهد؛ إذ لم يكن بين الصحابة في العهد الأول اختلاف في مباني الاختيار، و لا تباين في الاتجاه، و لا تضارب في الاستناد، و إنما هي وحدة في النظر و الاتجاه و الهدف، جمعت طوائف الصحابة على خط مستقيم. فلم تكن ثمة داعية لنشوء الاختلاف و التضارب في الآراء، و لا سيما و الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أذبهم على التزام سبيل الرشاد.

على أن التفسير ذلك العهد لم يكن ليتعدّ في شكله و هندامه - حدود الحديث و شكله، بل كان جزء منه و فرعا من فروعها، كما دأب عليه جامعو الأحاديث.

ثالثا: صيانتها عن التفسير بالرأى، بمعنى الاستبداد بالرأى غير المستند إلى ركن و ثيق، ذلك تعصّب أعمى أو تلبيس في الأمر، كان يتحاشاه الأجلء من الصحابة الأخيار. و سنشرح من معنى التفسير بالرأى الممنوع شرعا، و المذموم عقلا، بما يرفع الإبهام عن المراد به إن شاء الله. (١) المائدة/٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٩

رابعا: خلوصه عن أساطير بائدة، و منها الأقاصيص الإسرائيلية، لم تكن لتجد مجالا للتسرب في الأوساط الإسلامية العريقة، ذلك العهد المناوئ لدسائس إسرائيل، الأمر الذي انقلب ظهرا لبطن بعد حين، و جعلت الدسائس السياسية تلعب دورها في ترويج أساطير بنى إسرائيل.

خامسا: قاطعيته عن احتمال الشكّ و تحمّل الظنون، بعد وضوح المستند و صراحته، و وفرة وسائل الإيضاح و دلائل التفسير المعروضة ذلك العهد؛ لسذاجتها و سلامتها عن التعقيد الذي طرأ عليها في عهد متأخر.

لا-سيما و الدلائل العلمية و الفلسفية التي استند إليها المتأخرون في تفسير معاني القرآن، لم تكن معهودة حينذاك، أو لم تكن مشروعة، و لا صالحة للاستناد في العهد الأول. و إنما كان استنادهم إلى العرف و اللغة، و العلم بأسباب النزول، إلى جنب النصوص الشرعية الصادرة في مختلف شئون الدين و القرآن، هذا لا غير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١١

## المرحلة الثالثة التفسير في دور التابعين

### إشارة

\* مدارس التفسير \* أعلام التابعين \* قيمة تفسير التابعي \* ميزات تفسير التابعي \* منابع التفسير في هذا العهد

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٣

### مدارس التفسير:

### إشارة

\* مدرسة مكة أقامها ابن عباس \* مدرسة المدينة أقامها أبي بن كعب \* مدرسة الكوفة أقامها ابن مسعود \* مدرسة البصرة أقامها أبو

موسى\* مدرسة الشام أقامها أبو الدرداء

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٥

مدارس التفسير

### نعم الخلف لخير سلف

لم يكد ينصرم عهد الصحابة إلا و قد نبغ رجال أكفاء، ليخلفوهم في حمل أمانة الله و أداء رسالته في الأرض، و هم التابعون الذين اتبعوهم بإحسان، رضى الله عنهم و رضوا عنه، و ذلك هو الفوز العظيم. إنهم رجال لم تمكنهم الاستضاءة من أنوار ذلك العهد (عهد الرسالة) الفاضل بالخير و البركات، فاستعاضوا عنها بالمثل بين يدي أكابر الصحابة الأعلام، و العكوف على أعتابهم المقدسة؛ يستفيدون من علومهم و يهتدون بهداهم. و قد كان أعيان الصحابة كثرة منتشرين في البلاد كنجوم السماء، مصابيح الدجى و أعلام الهدى، أينما حلوا أو ارتحلوا من بقاع الأرض؛ و بذلك انتشرت تعاليم الإسلام، و شاع و ذاع مفاهيم الكتاب و السنة النبوية بين العباد، في مختلف البلاد.

### مدارس التفسير

و حيثما ارتحل صحابي جليل و حل به من بلد إسلامي كبير، كان قد شيد فيه مدرسة واسعة الرحب، بعيدة الأرجاء، يبت بها معالم الكتاب و السنة، و يقصدها

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٦

الرواد من كل صوب. و كان أشهر هذه المدارس - حسب شهرة مؤسسها - خمسة:

١- مدرسة مكة: أقامها عبد الله بن عباس، يوم ارتحل إليها عام الأربعين من الهجرة؛ حيث غادر البصرة و قدم الحجاز، بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و كان واليا من قبل الإمام، فلم يتصد ولاية بعده، عاكفا على أعتاب حرم الله، يؤدى رسالته هناك في بئ العلوم و نشر المعارف التي تعلمها و أخذها عن الإمام عليه السلام. و قد دامت المدرسة مدة حياته حتى عام ثمانية و ستين؛ حيث وفاته بالطائف، رضوان الله عليه.

و قد تخرج من هذه المدرسة أكبر رجالات العلم في العالم الإسلامي حينذاك، و كان لهذه المدرسة و لمن تخرج منها صدى محمود في أرجاء البلاد، و بقيت آثارها الحسنة سنة متبعة بين العباد، و لا تزال. و لعل أعلم التابعين بمعاني القرآن هم المتخرجون من مدرسة ابن عباس و المتعلمون على يديه.

قال ابن تيمية: و أما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد و عطاء و عكرمة. و غيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس و أبي الشعثاء و سعيد بن جبير و أمثالهم. و كذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود. و من ذلك تميزوا به على غيرهم «١».

٢- مدرسة المدينة: قيامها على الصحابة الموجودين بها، و لا سيما أبي بن كعب الأنصاري سيد القراء. كان من أصحاب العقبة الثانية، و شهد بدرًا و المشاهد كلها.

قال له النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ليهنك العلم، أبا المنذر. (١) مقدمته في أصول التفسير، ص ٢٣-٢٤ (المطبعة السلفية ١٣٨٥)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٧

و كان أول من كتب لرسول الله مقدمه المدينة، فإذا لم يحضر أبي كتب زيد ابن ثابت. كان أقرأ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و كان ممن جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله، و تأليفا بعد وفاته. و كان قد تفرغ للإقراء بالمدينة ما لم يتفرغ له سائر الصحابة الباقين فيها.

و من ثم تصدى الإملاء على لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، و كانوا يرجعون إليه عند الاختلاف. توفي سنة (٣٠) في خلافة عثمان، حسبما قدمنا.

٣- مدرسة الكوفة: أقام دعائمها الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود، كان خصيصا برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يخدمه و يترى على يديه. قال حذيفة: أقرب الناس برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هديا و دلا و سمتا، ابن مسعود. و لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى. كان أول من جهر بالقرآن على ملأ من قريش، فأوذى في الله و اضطرب على البلاء. كان قد هاجر الهجرتين و شهد المشاهد كلها.

قدم الكوفة- على عهد ابن الخطاب- معلما و مؤدبا، حتى أحضره عثمان سنة (٣١) و كانت فيها وفاته. و لما بلغ أبا الدرداء نعيه قال: ما ترك بعده مثله.

ترى على يديه خلق كثير، فمن التابعين: علقمة بن قيس النخعي، و أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، و الأسود بن يزيد النخعي، و مسروق بن الأجدع، و عبيدة بن عمرو السلماني، و قيس بن أبي حازم، و غيرهم.

و قد عرفت أن مدرسة الكوفة كانت أهم المدارس بعد مدرسة مكة، توسعا و شمولاً لمعاني القرآن و الفقه و الحديث.

٤- مدرسة البصرة: أقامها أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس (٤٤) قدم

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٨

البصرة سنة (١٧) واليا عليها من قبل عمر، بعد أن عزل المغيرة، ثم أقره عثمان، و بعد فترة عزله، فسار إلى الكوفة. و لما أن عزل سعيدا استعمله عليها، و عزله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكان يراود معاوية في سر، و لأخوة قديمة كانت بينهما، كما يبدو من وصية معاوية لابنه يزيد بشأن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري «١». كان منحرفا عن علي عليه السلام و افتضح أمره يوم الحكمين.

و هو الذي فقه أهل البصرة و أقرأهم. قال ابن حجر: و تخرج على يديه جماعة من التابعين و من بعدهم «٢». و أخرج الحاكم عن أبي رجاء، قال: تعلمنا القرآن عن أبي موسى الأشعري في هذا المسجد- يعني مسجد البصرة- و كنا حلقا حلقا، و كأننا أنظر إليه بين ثوبين أبيضين «٣».

و كانت مدرسته ذات انحراف شديد، و من ثم كانت البصرة من بعده أرضا خصبة لشوء كثير من البدع و الانحرافات الفكرية و العقائدية، و لا سيما في مسائل الأصول و الإمامة و العدل.

قال عبد الكريم الشهرستاني: و سمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري (المتوفى سنة ٤٤) كان يقرر عين ما يقرر حفيده أبو الحسن الأشعري (المتوفى سنة ٣٢٤) في مذهبه، و ذلك قد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص و بينه، فقال عمرو: أين أجد أحدا أحاكم إليه ربّي؟ فقال أبو موسى: أنا ذلك المتحاكم إليه. فقال عمرو: أو يقدر على شيئا ثم يعذبني عليه؟ قال أبو موسى: نعم، (١) طبقات ابن سعد، ج ٤، ص ٨٣ ق ١.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٤٢.

(٣) المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ٢٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٩

قال عمرو: و لم؟ قال: لأنه لا يظلمك! فسكت عمرو و لم يحرج جوابا «١».

و ذكر ابن أبي الحديد أبا بردة ابن أبي موسى الأشعري فيمن أبغض عليا، و كان من القالين له، ثم قال: ورث البغضة له، لا عن كلاله

«٢»، أى كان هذا الحقد للإمام أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - قد أتاه مستقيماً من قبل والده، فكانت البغضة منه تليداً، و لم تأت من عرض عارض، لا تلد الحية إلا الحية.

٥- مدرسة الشام: قام بها أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجى الأنصارى. كان من أفاضل الصحابة و فقهاءهم و حكمائهم. أسلم يوم بدر، و شهد أحداً و أبلى فيها بلاء حسناً.

روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال بشأنه حينذاك: نعم الفارس عويمر، و قال: هو حكيم أمتى. تولى قضاء دمشق أيام خلافة عمر، و توفى فى خلافة عثمان سنة (٣٢) و لم ينزل دمشق من أكابر الصحابة سوى أبى الدرداء، و بلال بن رباح المؤذن الذى مات فى طاعون عمواس سنة (٢٠) و دفن بحلب. و كذا واثله بن الأسقع، و كان آخر من مات بدمشق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. مات سنة (٨٥) فى خلافة عبد الملك بن مروان.

تخرج على يدى أبى الدرداء جماعة من أكابر التابعين، منهم: سعيد بن المسيب، و علقمة بن قيس، و سويد بن غفلة، و جبير بن نفير، و زيد بن وهب، و أبو إدريس الخولانى، و آخرون.

كان أبو الدرداء من الثابتين على ولاء آل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لم ترزعه (١) الملل و النحل، ج ١، ص ٩٤ ط القاهرة ١٣٨٧ هـ ق.

(٢) شرح النهج، ج ٤، ص ٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٠

العواصف.

روى الصدوق - فى أماليه - بإسناده إلى هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة، قال: كنا جلوساً فى حلقة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نذاكر أهل بدر و بيعه الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم، ألا أخبركم بأقل القوم مالا و أكثرهم ورعاً و أشدهم اجتهاداً فى العبادة؟ قالوا: من؟ قال: ذاك أمير المؤمنين علي بن أبى طالب عليه السلام.

قال عروة: فوالله، ما نطق أبو الدرداء بذلك إلا و أعرض عنه بوجهه من فى المجلس. ثم انتدب له رجل من الأنصار، فقال له: يا عويمر، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها. فقال أبو الدرداء: يا قوم، إنى قائل ما رأيت، و ليقبل كل قوم منكم ما رأوا... ثم أخذ فى بيان مواضع على عليه السلام من العبادة و البكاء، عند ما كان يختلى بربه فى ظلمة الليل و الناس نيام «١». (١) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١١، عن أمالى الصدوق مج ١٨، ص ٦٩-٧٠ (ط نجف)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢١

## أعلام التابعين المفسرين:

### إشارة

- ١- سعيد بن جبير ٢- سعيد بن المسيب ٣- مجاهد بن جبر ٤- طاوس بن كيسان ٥- عكرمة مولى ابن عباس ٦- عطاء بن أبى رباح ٧-
- عطاء بن السائب ٨- أبان بن تغلب ٩- الحسن البصرى ١٠- علقمة بن قيس ١١- محمد بن كعب القرظى ١٢- أبو عبد الرحمن السلمى
- ١٣- مسروق بن الأجدع ١٤- الأسود بن يزيد النخعى ١٥- مرة الهمداني ١٦- عامر الشعبي ١٧- عمرو بن شرحبيل ١٨- زيد بن وهب
- ١٩- أبو الشعثاء الكوفى ٢٠- أبو الشعثاء الأزدي ٢١- الأصعب بن نباتة ٢٢- زر بن حبیش ٢٣- ابن أبى لیلی ٢٤- عبيدة بن قيس ٢٥-
- الربيع بن أنس ٢٦- الحارث بن قيس ٢٧- قتادة بن دعامة ٢٨- زيد بن أسلم ٢٩- أبو العالیه ٣٠- جابر الجعفى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٣

## أعلام التابعين

### إشارة

قلنا: إن كثيرا من رواد العلم، كانوا قد نهضوا نهضتهم الكبرى، في سبيل كسب المعرفة و الحصول على معالم الدين الحنيف. و حيث كان قد أعوزتهم الاستضاءة المباشرة من أنوار عهد الرسالة، استعاضوا عنها باللجوء إلى أعتاب الصحابة الأعلام، فأخذوا منهم العلوم و نشروها بين العباد. فكانوا هم الواسطة و الحلقة الواصلة بين منابع العلم الأولي و بين الأمة على الإطلاق، ليس لذلك الدور فحسب، بل لجميع الأدوار و الأعصار. فأصبحوا هم حاملو لواء هداية الإسلام إلى كافة الأنام. و هم جماعات، لا يحصون عددا، كنجوم السماء المتألقة في دياجى الظلام، و مبعوثون في الأرض منتشرون في الأقطار و الأكناف. غير أننا نقتصر على الأعلام، و المعروفين بتعليم القرآن، و نشر علومه و بيان معارفه بين الناس. و هم المتخرجون من المدارس التفسيرية المعهودة، و لا سيما مدرسة ابن عباس بمكة المكرمة، حسبما عرفت، و إليك منهم:

### ١. سعيد بن جبیر

أبو عبد الله، أو أبو محمد الأسدي بالولاء، الكوفي، من أصل حبشى، أسود اللون أبيض الخصال. كان من كبار التابعين و متقدميهم في الفقه و الحديث

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٤

و التفسير. أخذ القراءة من ابن عباس، و سمع منه التفسير، و أكثر روايته عنه. كان قد تفرغ للعلم و القرآن حتى صار علما و إماما للناس. قال أبو القاسم الطبري: هو ثقة، حجة، إمام على المسلمين، و كان مجمعا عليه بين أرباب الحديث و التفسير. له مناظرة مع الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي، حينما أراد قتله، تدل على قوة إيمانه و صلابته في الولاء لآل البيت عليهم السلام، قتله صبرا سنة (٩٥) و هو ابن (٤٩)

روى أبو عمرو و محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن سعيد بن جبیر كان يأتهم بعلی بن الحسين عليهما السلام، و كان على عليه السلام يثنى عليه. و ما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر، و كان مستقيما «١».

و في مصنفات أصحابنا الإمامية عنه وصف جميل «٢»، و كذا في سائر المصنفات الرجالية و غيرها «٣». (١) ذكر الكشي في رجاله (ط رجائي)، ج ١، ص ٣٣٥، رقم ١٩٠: لما دخل سعيد على الحجاج، قال له: أنت شقى بن كسير. قال: كانت أمي أعرف باسمي. قال: ما تقول في فلان و فلان، هما في الجنة أو في النار؟ قال: لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، و إن دخلت النار و رأيت أهلها لعلمت من فيها. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: أيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: و أيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم و نجواهم. قال:

أبيت أن تصدقني! قال: بلى، لم أحب أن أكذبك!

(٢) راجع: أعيان الشيعة للأمين العاملي، ج ٧، ص ٢٣٤-٢٣٦. و سفينة البحار للقمي، ج ١، ص ٦٢١-٦٢٢. و مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٦.

(٣) راجع: حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ٤، ص ٢٧٢-٣١٠. و ابن خلكان، ج ٢، ص ٣٧١-٣٧٤، رقم ٢٤١. و المعارف لابن قتيبة، ص

١٩٧. و تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٤، ص ١١-١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٥

روى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده إلى خلف بن خليفة عن أبيه قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلما بان رأسه، قال: لا إله إلا الله، ثم قالها الثالثة فلم يتمها «١».

و ذكر ابن قتيبة: أنه أمر الحجاج فضربت عنقه، فسقط رأسه إلى الأرض يتدحرج، و هو يقول: لا إله إلا الله، فلم يزل كذلك، حتى أمر الحجاج من يضع رجله على فيه، فسكت.

و لم يدم الحجاج بعده غير سنة، و لم يستطع إراقة دم بعد دمه الطاهر. و كان الحجاج عند ما حضره الموت يقول: ما لي و لسعيد بن جبير، كان يقول ذلك و هو يغوص ثم يفيق. و كان يراه في المنام، و قد أخذ بمجامع ثوبه يقول له: يا عدو الله، فيم قتلتنى؟ فيستيقظ مذعورا، و يقول: ما لي و لسعيد. ذكر ذلك ابن خلكان في الوفيات.

مكانته العلمية: أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، و كان قد لازمه في طلب العلم، فأجازه ابن عباس في التحديث. قال له: حدث، فقال- متحاشيا:- أحدث و أنت هاهنا؟! - و في رواية- و أنت موجود! فقال ابن عباس: أليس من نعم الله عليك أن تحدثت و أنا شاهد؟! فإن أصبت فذاك، و إن أخطأت علمتك.

قال أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيد بن جبير، و ما على وجه الأرض أحد إلا و هو مفتقر إلى علمه! «٢». و رواه أبو نعيم عن عمرو بن ميمون عن أبيه.

و كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أمّ (١) حلية الأولياء، ج ٤، ص ٢٩١.

(٢) ابن خلكان، ج ٢، ص ٣٧١-٣٧٤. رقم ٢٤١. و راجع: الحلية، ج ٤، ص ٢٧٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٤

الدهماء، يعنى سعيد بن جبير.

قال يحيى بن سعيد: مرسلات ابن جبير أحب إليّ من مرسلات عطاء و مجاهد. و كان سفيان يقدّم سعيدا على إبراهيم النخعي في العلم، و كان أعلم من مجاهد و طاوس «١».

و كان سعيد يعظم من شيخه تعظيما بالغا، قال: كنت أسمع الحديث من ابن عباس، فلو أذن لي لقبّلت رأسه «٢».

و قد جمع أبو نعيم من التفسير المأثور عن سعيد بن جبير نخباً، و عقد له فصلاً، و عنوانه بآثاره في التفسير «٣». فقد روى عنه في قوله تعالى - حكاية عن نبي الله موسى عليه السلام-: رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ «٤». قال: إنه يومئذ لفقير إلى شقّ تمره. و في قوله تعالى: أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً «٥» قال: أوفاهم عقلاً «٦».

## ٢- سعيد بن المسيّب

### إشارة

قال أبو نعيم الأصبهاني: فأما أبو محمّد سعيد بن المسيّب بن حزن المخزومي، فكان من الممتحنين، أمتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم. صاحب عبادة و جماعة و عفة و قناعة. و كان كاسمه بالطاعات سعيداً، و من المعاصي (١) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٤، ص ١١-١٤. و الحلية، ج ٤، ص ٢٧٣.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، ج ٤، ص ٢٨٣.

(٣) في الجزء الرابع من الحلية من الصفحة ٢٨٣ فما بعد.

(٤) القصص / ٢٤.

(٥) طه / ١٠٤.

(٦) الحلية، ج ٤، ص ٢٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٧  
و الجهالات بعيدا «١».قال ابن المدينة: لا أعلم في التابعين أوسع علما من سعيد بن المسيب. قال:  
و إذا قال سعيد: مضت السنة، فحسبك به. قال: هو عندي أجلّ التابعين.

و قال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه.

و قال سليمان بن موسى: كان أفضقه التابعين.

و قال أبو زرعة: مدني قرشي ثقة إمام.

و قال قتادة: ما رأيت أحدا قط أعلم بالحلال و الحرام منه.

و قال ابن شهاب: قال لي عبد الله بن ثعلبة: إن كنت تريد هذا - يعني - الفقه - فعليك بهذا الشيخ، سعيد بن المسيب.

و عن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه، قال: قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهلها، فدفعت إلى سعيد بن المسيب.

قال مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم منه.

قال أحمد بن حنبل: مراسلات سعيد صحاح، لا نرى أصح من مراسلاته.

و قال الشافعي: إرسال ابن المسيب عندنا حسن «٢».

قال ابن خلكان: كان سعيد بن المسيب سيد التابعين من الطراز الأول، جمع بين الحديث و الفقه و الزهد و العبادة و الورع، و هو أحد

الفقهاء السبعة بالمدينة «٣». ولد سنة (١٥) و توفي سنة (٩٥) و

أسند ابن سعد - كاتب الواقدي - إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (١) الحلية، ج ٢، ص ١٦١ رقم ١٧٠.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٤، ص ٨٤ - ٨٨.

(٣) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٧٥ رقم ٢٦٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٨

سمعت أبي، علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار، و أفقهم في رأيه».

و له ترجمة مسهبة في الطبقات، و فيها من أحواله و قضاياه العجيبة الشيء الكثير «١».

أضف إلى ذلك ما ورد بشأنه من الثناء عليه عند أصحابنا الإمامية:

و أول شيء، أنه تربية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ربّاه في حجره بوصية من جدّه «حزن». فقد نشأ و ترعرع في أهل بيت العلم و

الورع و الطهارة، كما و أصبح من خلّص أصحاب الإمام علي بن الحسين زين العابدين، و أحد الأوتاد الخمسة الذين ثبتوا على

الاستقامة في الدين على ما وصفهم الفضل بن شاذان. قال:

و لم يكن في زمان علي بن الحسين في أول أمره إلّا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى

بن أمّ الطويل، أبو خالد الكابلي.

و كان يرى من الإمام السجاد عليه السلام النفس الزكية، لم يعرف له نظيرا و لا رأى مثله. كما كان يرى في مثاله القدوسى مثال داود

القدّيس عليه السلام تسبح معه الجبال بالعشى و الإشراق و الطير محشورة كل له أوّاب.

روى الكشي بإسناده إلى الزهري عن ابن المسيب، قال: كان القوم لا يخرجون من مكّة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين.

فخرج و خرجت معه، فنزل في بعض المنازل، فصلّى ركعتين فسبح في سجوده، فلم يبق شجر و لا مدر إلّا سبّحوا معه، ففرغنا! فرفع

رأسه فقال: يا سعيد! أفرغت؟ فقلت: نعم، يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هذا التسييح الأعظم، حدثني أبي عن جدّي رسول (١) طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٨٨-١٠٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٩

الله؛ إنه لا يبقى الذنوب مع هذا التسييح. فقلت: علمنا ...

و روى عن محمد بن قولويه بإسناده إلى أسباط بن سالم عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في حديث حواريني «١» النبي و الأئمة عليهم السلام، و عدّ من حواريني الإمام زين العابدين: جبير بن مطعم، و يحيى بن أم الطويل، و أبَا خالد، و سعيد بن المسيب. كما

روى عنه بإسناده إلى أبي مروان عن أبي جعفر قال: سمعت علي بن الحسين يقول: «سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار و أفهمهم- أو أفقههم- في زمانه» «٢». و قد تقدم الحديث، بروايه ابن خلكان عن أبي مروان أيضا، مع اختلاف في العبارة الأخيرة: «أفقههم في رأيه».

و روى الشيخ المفيد بإسناده إلى أبي يونس محمد بن أحمد قال: حدثني أبي و غير واحد من أصحابنا، أن فتى من قريش جلس إلى سعيد بن المسيب، فطلع علي بن الحسين، فقال القرشي لابن المسيب: من هذا يا أبَا محمد؟ قال: هذا سيّد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام «٣».

و

روى الحميري بإسناده إلى البرزطي قال: و ذكر عند الرضا عليه السلام القاسم بن محمد بن أبي بكر خال أبيه، و سعيد بن المسيب، فقال: «كانا على هذا الأمر» «٤».

و

روى ثقة الإسلام الكليني- في باب مولد الصادق عليه السلام- بإسناده إلى إسحاق ابن جرير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان سعيد بن المسيب، و القاسم بن محمد (١) الحوارى: من الحوار، أى صاحب السرّ.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٤٣ و ص ٣٣٢-٣٣٥.

(٣) الإرشاد للمفيد، ص ٢٥٧ (ط نجف)

(٤) قرب الإسناد (ط حجرية)، ص ١٥٧ الجزء الثالث.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٠

ابن أبي بكر، و أبو خالد الكابلي، من ثقات علي بن الحسين عليهما السلام «١».

و فى مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب بشأن كرامات الإمام زين العابدين عليه السلام، روايات عن سعيد بن المسيب، تدلّ على مبلغ ولائه لآل البيت و مدى صلته بسيّد الساجدين، فراجع «٢».

و للمحقق البحراني- فى حاشية البلغة- استظهار تشييعه من كلام الشيخ فى أوائل التبيان «٣».

و هو الذى روى قضيه بجدل الجمال و قطعه لإصبع السبط الشهيد، و تعلّقه بأستار الكعبة، آيسا من رحمته الله «٤».

و قد عدّه الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين و من السابقين الأوّلين.

قال: سعيد بن المسيب بن حزن أبو محمد المخزومي سمع من الإمام علي بن الحسين، و روى عنه عليه السلام. و هو من الصدر الأوّل «٥».

و قد استوفى السيد الأمين الكلام بشأنه و شأن ولائه لآل البيت، و ذكر أنه صحب عليا أمير المؤمنين عليه السلام و لم يفارقه حتى فى حروبه. و نقل عن ابن أبي الحديد و غيره بعض الطعن عليه، و فنّده على أسلوب حكيم «٦».



## نموذج من تفسيره

أخرج أبو نعيم - في الحلية - بإسناده إلى يحيى بن سعيد عن سعيد بن (١) الكافي الشريف، ج ١، ص ٤٧٢ كتاب الحجّة.

(٢) المناقب، ج ٤، ص ١٣٣ و ١٣٤ و ص ١٤٣.

(٣) تنقيح المقال للمامقاني، ج ٢، ص ٣١ رقم ٤٨٧٠.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٥ (ط بيروت)، ص ٣١٦.

(٥) رجال الطوسي، ص ٩٠.

(٦) راجع: أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي طبعه دار التعارف، ج ٧، ص ٢٤٩ - ٢٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣١

المسيب، في قوله تعالى: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ، إِنَّ تُكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غُفُوراً «١»، قال: «الذي يذنب الذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، ولا يعود في شيء قصدا» «٢».

و هذا أدق تفسير للآية الكريمة. فَإِنَّ الآيَةَ قد فَسَّرَتْ على وجوه:

١- فقيل: هم المسبِّحون. عن ابن عباس و عمرو بن شرحبيل.

٢- وقيل: المطيعون المحسنون. عن ابن عباس أيضا.

٣- هم المطيعون و أهل الصلاة. عن قتادة.

٤- الذين يصلون بين المغرب و العشاء. عن ابن المنكدر يرفعه، و كذلك عن الإمام الصادق عليه السلام.

٥- يصلون صلاة الضحى. عن عون العقيلي.

٦- الراجع من ذنبه التائب إلى الله.

و هذا المعنى الأخير هو الراجح، و اختلفوا في شرائطه و كفيته:

فمن سعيد بن جبير: الراجعون إلى الخير.

و عن مجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها.

و عن عطاء بن يسار: يذنب العبد ثم يتوب، فيتوب الله عليه، ثم يذنب فيتوب الله عليه، ثم يذنب الثالثة فإن تاب تاب الله عليه توبة لا تمحي.

و عن عبيد بن عمير: الأواب: الحفيظ أن يقول: اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا. (١) الإسراء / ٢٥.

(٢) حلية الأولياء، ج ٢، ص ١٦٥. و راجع: مجمع البيان للطبرسي، ج ٦، ص ٤١٠. و جامع البيان للطبري، ج ١٥، ص ٥١ - ٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٢

لكن سعيد بن المسيب فسرها بالذي يذنب و يتوب ثم يذنب و يتوب، و لكن ليس يعود في شيء من ذنوبه قصدا، و إنما هو شيء فرط منه. و هذه النكتة الظريفة هي بيت القصيد، نظرا لأن «الأواب» مبالغة في الأوب و الرجوع. و المراد:

الكثره و التكرار فيه، لكنه هل هو مطلق، أم الذي يصدر منه الذنب لا تمرّدا و عصيانا، و إنما هو شيء قد يفرط منه أو تغلبه نفسه ثم يتذكر عن قريب؟

قال تعالى: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ «١».

و قال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ «٢».

و هذا هو معنى اللّمم المغفور في الآية الكريمة: وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ. إِنَّ

رَبِّكَ وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ. هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ «٣».

قال الإمام الصادق عليه السلام: «اللَّمَم: الرجل يَلَمُّ بالذنب فيستغفر الله منه. قال: ما من ذنب إلا و قد طبع عليه عبد مؤمن يهجره الزمان ثم يَلَمُّ به. قال: اللَّمام: العبد الذي يَلَمُّ بالذنب ليس من سليقته»  
أى من طبيعته. و

فى رواية قال: «الهنة بعد الهنة»

أى الذنب بعد الذنب يَلَمُّ به العبد. و

فى أخرى: «هو الذنب يلم به الرجل، فيمكث ما شاء الله ثم يلم به بعد» «٤». (١) النساء / ١٧.  
(٢) الأعراف / ٢٠١.

(٣) النجم / ٣٢.

(٤) تفسير الصافى للمولى محسن الفيض، ج ٢، ص ٦٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٣

فالعبد قد تغلبه نفسه فيرتكب إثما ليس من دأبه، و من ثم يتذكر فيتوب إلى الله مما اعترف، و هكذا فلو عاد ليس من عادته، و تاب تاب الله عليه، إن الله هو التواب الرحيم.

و هذه هى النكتة الدقيقة التى جاءت الإشارة إليها فى تفسير ابن المسيب «و لا يعود فى شىء قصدا»، و هذا المعنى هو الذى يفيد صدر الآية رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فى نُفُوسِكُمْ، إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ ... فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ... «١».

و إلى هذا المعنى يشير التفسير الوارد

عن الإمام أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: «و الأواب: النواح المتعبد الراجع عن ذنبه»  
. و هكذا روى عن مجاهد بن جبر أيضا «٢».

النواح: مبالغة فى النوح، و هو الذى ينوح على نفسه و ندبها ندما على ما فرط منه، منبيا مستغفرا أوابا. و تدل أداة الإعراض «عن» على ندم بالغ، و عزم صارم على الترك أبدأ.

و أما ما روى من التفسير ب «الصلاة» بين المغرب و العشاء، فهذا من الوسيلة التى يجب ابتغاؤها إلى الله عز شأنه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ «٣». و من ثم سميت صلاة الأوابين.

روى هشام بن سالم عن الإمام أبى عبد الله الصادق عليه السلام، قال: صلاة أربع ركعات، يقرأ فى كل ركعة خمسين مرة «قل هو الله أحد ...» هى صلاة الأوابين «٤». (١) الإسراء / ٢٥.

(٢) راجع: مجمع البيان للطبرسى، ج ٦، ص ٤١٠.

(٣) المائة / ٣٥.

(٤) مجمع البيان، ج ٦، ص ٤١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٤

و قد ورد الترغيب فى التنفل بأربع ركعات بعد المغرب، لا يدعهن العبد فى حضر و لا سفر «١».

#### من نواذر حكمته:

و لما أن جرد ليضرب على امتناعه من البيعة للوليد و سليمان ابني عبد الملك، قالت امرأة: إن هذا لمقام الخزى. فقال سعيد: «من مقام الخزى فررنا» «٢».

و قال: «يد الله فوق عباده، فمن رفع نفسه وضعه الله، و من وضعها رفعه الله. الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله فضيحة عبد، أخرجه من تحت كنفه، فبذت للناس عورته» (٣).  
و قال: «لا خير فيمن لا يحب هذا المال، يصل به رحمه، و يؤدى به أمانته، و يستغنى به عن خلق ربه» (٤).  
و

روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأل فاطمة عليها السلام: ما خير للنساء؟  
قالت: أن لا يرين الرجال و لا يرونهن. فذكره للنبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: «إنما فاطمة بضعة مني».  
و أيضا

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «من اتقى الله عاش قويا و سار في بلاده آمنا» (٥).  
و

قال: «لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكي لا تحبط (١) راجع: وسائل الشيعة للحر العاملي، ج ٣، ص ٦٣ باب ٢٤ أعداد الفرائض و النوافل. و ج ٥، ص ٢٤٧ و ٢٤٩.

(٢) الحلية، ج ٢، ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٥

أعمالكم الصالحة» (١).

و كان معبرا للرؤيا، معروفا بذلك. فوجه إليه عبد الملك بن مروان من يسأله عن منامه، كان قد رأى كأنه قد بال في المحراب أربع مرّات! فقال سعيد بن المسيّب: يملك من ولده لصلبه أربعة. فكان كما قال، فإنه ولّى الوليد و سليمان و يزيد و هشام، و هم أولاد عبد الملك لصلبه (٢).

### ٣- مجاهد بن جبر

#### إشارة

هو أبو الحجاج المخزومي المكي، المقرئ المفسر. ولد سنة (٢١)، و توفى بمكة ساجدا سنة (١٠٤) كان أوثق أصحاب ابن عباس، و من ثم اعتمده الأئمة و أصحاب الحديث و التفسير.

و روى عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، أقف عند كل آية، أسأله فيم نزلت، و كيف نزلت.

قال ابن أبي مليكة (٣): رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن و معه ألواح، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله. و من ثم قيل:

أعلمهم بالتفسير مجاهد.

و قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

قال الذهبي: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد و الاحتجاج به. كان ثقة مأمونا، (١) الحلية، ج ٢، ص ١٧٠، و ابن خلكان، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٢) ابن خلكان، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٣) هو عبد الله بن عبيد الله التميمي المدني أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثقة فقيه مات سنة (١١٧) ولَّاه ابن الزبير قضاء الطائف. (تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٠٧)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٦

و فقيها ورعا، و عالما كثير الحديث، جيد الحفظ متقنا.

قال الأعمش: إذا رأيت مجاهدا كأنه جمال أو خربندج «١»، فإذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ «٢».

مكانته في التفسير: استفاضت شهادة العلماء بعلو مكانته في التفسير و ثقته و أمانته و سعته علمه. و قد احتج بتفسيره الأئمة النقاد و العلماء و أصحاب الحديث.

اتهم بالأخذ من أهل الكتاب، و لكن شدة نكير شيخه ابن عباس على الآخذين من أهل الكتاب، يتنافى و هذه التهمة. و الأرجح أن رجوعه إليهم كان في أمور لا تدخل في دائرة النهي الوارد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و ربما كان لغرض التحقيق لا التقليد.

و كذلك اتهم بأنه يفسر القرآن برأيه- كان قد أعطى نفسه حريته واسعة في التفسير العقلي- فقد روى ابنه عبد الوهاب أن رجلا قال لأبيه: أنت الذي تفسر القرآن برأيك؟ فبكى أبي ثم قال: إني إذن لجرىء، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلا من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «٣».

قلت: و هذه التهمة يرجع سببها إلى الجور الحاكم آنذاك من التحاشي عن الخوض في معاني القرآن، و لا سيما المتشابهات، غير أن شريعة العقل ترفض كل (١) ضل حماره فهو مهتم.

(٢) راجع: ترجمته في الطبقات لابن سعد، ج ٥، ص ٣٤٣-٣٤٤ و تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ١٠ ص ٤٣-٤٤. و ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٣، ص ٤٣٩. و مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، ص ٤٨. و الجرح و التعديل للرازي، ج ٨، ص ٣١٩.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٠٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٧

مناشئ الجمود. و سنبحت عن مسألة التفسير بالرأى الممنوع.

حريته في التفسير العقلي: كان مجاهد حرّ الرأي، يفسر القرآن حسبما يبدو له من ظاهر اللفظ، و يرشده إليه عقله الرشيد و فطرته السليمة، بعد إحاطته بمفاهيم الكلمات و الأوضاع اللغوية و العرفية (حسب متفاهم العرف العام آنذاك) و ما كان قد عهده من مباني الشريعة و أسس الدين القويم. و بعد مراجعته كلمات أعلام الأمة و خيار الصحابة الأولين، الأمر الذي يجب توفره في كل مفسر حرّ الرأي و مضطلع خبير.

قال- في تفسير قوله تعالى: فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ «١»:-

لم يمسخوا قردة، و إنما هو مثل ضربه الله، كما قال: كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً «٢». قال: إنه مسخت قلوبهم فجعلت قلوب القردة لا تقبل وعظا و لا تتقى زجرا. قال الطبرسي: و هذا يخالف الظاهر الذي عليه أكثر المفسرين من غير ضرورة تدعو إليه «٣».

و للزمخشري هنا كلام يشبه تفسير مجاهد، في دقته أدبية لطيفة. قال: قوله تعالى: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ خبران، أي كونوا جامعين بين القردية و الخسوء، و هو الصغار و الطرد «٤».

و من ثم قال المولى جمال الدين أبو الفتوح الرازي- من أعلام القرن (١) البقرة/ ٦٥.

(٢) الجمعة/ ٥.

(٣) مجمع البيان للطبرسي، ج ١، ص ١٢٩. و راجع: الطبري التفسير، ج ١، ص ٢٦٣. و تفسير مجاهد، ص ٧٥-٧٦.

(٤) الكشاف، ج ١، ص ١٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٨

السادس-: مجاهد كفت: معنى آن است «اذلاء صاغرين» دليل و مهين. و در اين عظمتى و عبرتى است آنان را .. «١». قال الإمام الرازى (٥٤٤-٦٠٦): إن ما ذكره مجاهد- رحمه الله- غير مستبعد جداً، لأن الإنسان إذا أصر على جهالته بعد ظهور الآيات و جلاء البينات، فقد يقال- فى العرف الظاهر-: إنه حمار و قرد. و إذا كان هذا المجاز من المجازات الظاهرة المشهورة، لم يكن فى المصير إليه محذور البتة «٢».

قلت: و يشهد لهذا التأويل قوله تعالى- فى سورة المائدة-: مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ، أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ عَنِّ سَوَاءِ السَّبِيلِ «٣».

بدليل عطف «و عبد الطاغوت»، و كذا عطف «الخنازير». و هذان لم يأت ذكرهما فى سائر القرآن؛ فىكون المعنى: أن من شديد العقوبة أن يتحول الإنسان من شموخ كرامته و اعتلاء شرفه، إلى سافل مبتذل يحمل سمات القردة و الخنازير، مهانا لثيما، يرضخ للطواغيت رضوخ الذليل الحقير.

و عند تفسير قوله تعالى: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» «٤»، روى و كيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد، قال: تنتظر الثواب من ربها. و عن الأعمش عنه: «تنتظر رزقه و فضله». و فى حديث: «تنتظر من ربها ما أمر لها». قال (١) تفسير أبى الفتوح، ج ١، ص ٢١٧.

(٢) التفسير الكبير، ج ٣، ص ١١١.

(٣) المائدة/ ٦٠.

(٤) القيامة/ ٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٩

منصور: قلت لمجاهد: إن أناسا يقولون: إنه تعالى يرى، فيرون ربهم؟! فقال مجاهد: لا يراه من خلقه شىء. و فى حديث آخر: يرى و لا يراه شىء «١».

و أنت ترى أن القول بامتناع الرؤية يخالف عقيدة السلفيين من أصحاب الظواهر، و من ثم رموه بالحياد عن طريقة السلف، و أنه يفسر برأيه، أو أنه يرى مذهب الاعتزال، كما رموا تلاميذه حسبما يأتى فى ابن أبى نجیح راوى تفسيره.

و من ثم قال الطبرى- تعقبا على ذلك-: و أولى القولين فى ذلك عندنا بالصواب، القول الذى ذكرناه عن الحسن و عكرمة، من أن معنى ذلك: تنظر إلى خالقها.

قال الأستاذ الذهبى: و هذا التفسير عن مجاهد كان فيما بعد متكافؤاً قوياً للمعتزلة فيما ذهبوا إليه فى مسألة الرؤية «٢».

قلت: و العجيب أن الآراء المستقيمة المتوافقة مع الفطرة و العقل الرشيد؛ حيث صدرت قديما و حديثا، فإنها تعزى إلى فريق المعتزلة، أو هى منشأ لمذاهبهم فى العقيدة الإسلامية، الأمر الذى يجعل من العقل و الفطرة- فى نظر أهل الجمود- فى قبضة أهل الاعتزال، و فى منحصر آرائهم و مذاهبهم.

قال الزمخشري: ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون. فاخصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه، محال؛ فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص. و الذى يصح منه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى، تريد معنى التوقع و الرجاء، و منه قول القائل: (١) تفسير الطبرى، ج ٢٩، ص ١٢٠.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٠٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٠

و إذا نظرت إليك من ملك و البحر دونك زدتنى نعماً

و سمعت سرويةً مستجديّة بمكة وقت الظهر، حين يغلق الناس أبوابهم و يأوون إلى مقائلهم، تقول: عييتى نويظرة إلى الله و إليكم. و المعنى: أنهم لا يتوقّعون النعمة و الكرامة إلّا من ربّهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون و لا يرجعون إلّا إياه «١».

و علّق عليه ابن المنير - في الهامش - بأنّ عدم كونه تعالى منظورا إليه، مبني على مذهب المعتزلة، و هو عدم جواز رؤيته تعالى. و مذهب أهل السنة جوازها!! و قال الفخر: اعلم أن جمهور أهل السنة يتمسّكون بهذه الآية في إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة. أما المعتزلة فأنكروا دلالة الآية على ذلك أولاً، و إمكان تأويلها على الفرض ثانياً؛ حيث الرؤية تمتنع عليه تعالى عقلا و نقلا قطعياً، الأمر الذي لا يختلف في هذه الحياة أم في الآخرة «٢».

أمّا المفسرون من علمائنا الإمامية فإنهم مطبقون على امتناع الرؤية مطلقاً، و ليس في الآية دلالة صريحة على ذلك، مع شيوع استعمال النظر في التوقّع و الانتظار.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي رضى الله عنه: معناه، منتظرة نعمة ربّها و ثوابه أن يصل إليهم. و يكون النظر بمعنى الانتظار، كما قال تعالى: وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ «٣»، أى منتظرة. و قال الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن يأتي بالفلاح

(١) الكشف، ج ٤، ص ٦٦٢.

(٢) التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢٢٦.

(٣) النمل / ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤١

و قوله تعالى: وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «١» معناه، لا ينيلهم رحمته.

قال رحمه الله: و ليس النظر بمعنى الرؤية أصلاً، بدلالة أنهم يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أراه. فلو كان بمعنى الرؤية لتناقض؛ و لأنّهم يجعلون الرؤية غاية للنظر، يقولون: ما زلت أنظر إليه حتى رأيت، و لا- يجعل الشئ غاية لنفسه، فلا يقال: ما زلت أراه حتى رأيت. قال: و النظر - في الأصل - قلب حدقة العين نحو المرئي طلباً للرؤية، فاستعمل في مطلق التأميل و التوقّع و الانتظار.

قال: و ليس لأحد أن يقول: إنّ ذا يخالف إجماع المفسرين القدامى؛ لأننا لا نسلم ذلك، بل قد قال مجاهد و أبو صالح (و الحسن «٢»)

و سعيد بن جبيرة و الضحاك: إن المراد نظر الثواب.

و روى مثله عن عليّ عليه السلام ثم أخذ في التعمق و الاستدلال، جزاه الله عن الإسلام خيراً «٣».

### تفسير مجاهد برواية ابن أبي نجیح

هناك تفسير متقطع و مرتّب على السور، يتدبّر من سورة البقرة حتى نهاية القرآن، منسوب إلى مجاهد، يرويه عنه أبو يسار عبد الله بن أبي نجیح يسار، الثقفى الكوفى (توفى سنة ١٣١)، بطريق عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الهمداني، عن إبراهيم الحسين الهمداني، عن آدم بن أياس، عن ورقاء بن عمر اليشكرى عن ابن أبي نجیح. و قد صحّحه الأئمة و اعتمده أرباب الحديث. (١) آل عمران / ٧٧.

(٢) ضم الحسن إلى هؤلاء الأعلام يخالف ما نقلناه عن الطبرى، روى بإسناده عن الحسن، قال: تنظر إلى خالقها، و حقّ لها أن تنظر و هى تنظر إلى الخالق. (تفسير الطبرى، ج ٢٩، ص ١١٩ - ١٢٠)

(٣) أورد هذا البحث في موضعين من تفسيره القيم «التبيان»، ج ١، ص ٢٢٧ - ٢٢٩، و ج ١٠، ص ١٩٧ - ١٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٢

قال وكيع بن الجراح «١»: كان سفيان يصحّح تفسير ابن أبي نجیح. قال أحمد ابن حنبل: ابن أبي نجیح ثقة، و كان أبوه من خيار عباد

الله «٢». قال الذهبي: هو من الأئمة الثقات «٣». وقد اعتمده البخارى فيما يرويه فى التفسير عن مجاهد «٤». قال ابن تيمية: تفسير ابن أبى نجیح عن مجاهد من أصح التفاسير، بل ليس بأيدى أهل التفسير كتاب فى التفسير أصح من تفسير ابن أبى نجیح عن مجاهد «٥». وقد طبع هذا التفسير باهتمام مجمع البحوث الإسلامية فى باكستان سنة (١٣٦٧ هـ. ق) وهذا التفسير ينقص كثيرا عما جاء فى الطبرى من تفسير مجاهد، لكنه عن غير طريق ابن أبى نجیح.

قال شواخ: وقد نقل الطبرى من هذا التفسير حوالى (٧٠٠) مرة فى مواضع مختلفة. وقد دخلت بعض أجزاء هذا التفسير فى تفسير الطبرى عن طريق تفاسير أخرى، مثل تفسير ابن جريج و الثورى وغيرهما «٦». (١) من أكابر الحفاظ و من الأئمة الأعلام (٢٧-٩٦) من أصحاب سفيان الثورى. قال القعنبي كنا عند حماد بن زيد فجاء وكيع، فقالوا: هذا راوية سفيان. فقال حماد: لو شئت قلت هذا أرجح من سفيان. وقال: أحمد: وكيع شيخ، مطبوع الحديث. (تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٢٥)

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٥٤-٥٥.

(٣) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٥١٥ رقم ٤٦٥١.

(٤) انظر: فتح البارى بشرح البخارى- كتاب التفسير- ج ٨، ص ١٢٢ و ١٢٥.

(٥) تفسيره لسورة الإخلاص، ص ٩٤. راجع: المقدمة بقلم عبد الرحمن الطاهر مندوب المجمع ص ٦٠.

(٦) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٠ رقم ٩٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٣

#### ٤- طاوس بن كيسان

أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الخولانى الهمدانى اليمانى، من أبناء الفرس، أحد الأعلام التابعين. كان فقيها جليل القدر، نبيه الذكر. قال ابن عيينة:

قلت لعبيد الله بن أبى يزيد: مع من تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء وأصحابه. قلت: و طاوس؟ قال: أيها، كان ذلك يدخل مع الخواص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدا قط مثل طاوس «١».

وقد شهد بشأته الكثير من العلماء، فعن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: إني لأظن طاوسا من أهل الجنة. وقال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، و من سادات التابعين، و كان قد حج أربعين حجة، و كان مستجاب الدعوة. و قال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر فى زمانه، و طاوس فى زمانه، و الثورى فى زمانه. و كان ابن معين يعدله بسعيد بن جبير «٢».

قال أبو نعيم: هو أول الطبقة من أهل اليمن، الذين

قال فيهم النبى صلى الله عليه وآله و سلم: الإيمان يمان

. و قد أدرك خمسين رجلا من الصحابة و علماءهم و أعلامهم، و أكثر روايته عن ابن عباس. و روى عنه الصفوة من الأئمة التابعين «٣».

و عدّه ابن شهر آشوب من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام و وصفه بالفقيه «٤». و له مع الإمام مواقف مشهودة، منها:

عند ما خرّ الإمام ساجدا عند بيت الله الحرام، فدنا منه و شال برأسه و وضعه (١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٠٩ رقم ٣٠٦ و الحلية، ج ٤، ص ٩.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٨-١٠.

(٣) حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣-٢٣.

(٤) المناقب، ج ٤، ص ١٧٧. و كذا الشيخ فى رجاله. معجم رجال الحديث، ج ٩، ص ١٥٥ رقم ٥٩٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٤

على ركبته، و بكى حتى جرت دموعه على خد الإمام، و عند ذلك استوى الإمام جالسا، و قال: من الذى أشغلنى عن ذكر ربى؟! فقال: أنا طاوس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع و الفزع؟! «١».

و أيضا موقفه الآخر مع الإمام فى الحجر «٢»، مما يدل على اختصاصه به و شدة قربه منه عليه السلام. و اليمانيون - و لا سيما همدان - معروفون بالولاء، و إن كانت النسبة بالولاء.

و هكذا كان يوم موته سنة (١٠٦) أيضا يوما مشهودا، و قد وضع عبد الله بن الحسن المثنى سريره على كاهله، و قد سقطت قلنسوته و مزق رداؤه، من كثرة الزحام «٣».

كما أن له مع طواغيت زمانه مواقف حاسمة، إنما تدل على صلابته فى جنب الله:

قال ابن خلكان: قدم هشام بن عبد الملك حاجا إلى بيت الله الحرام، فلما دخل الحرم قال: آتوني برجل من الصحابة، فقيل له: قد تفانوا. قال: فمن التابعين، فأتى بطاوس اليماني. فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، و لم يسلم بإمرة المؤمنين، و لم يكنه، و جلس إلى جانبه بغير إذنه، و قال: كيف أنت يا هشام؟

فغضب هشام من ذلك غضبا شديدا و هم بقتله، فقيل له: أنت فى الحرم، لا يمكن ذلك.

فقال: يا طاوس، ما حملك على ما صنعت؟ قال: و ما صنعت؟ فاشتد غضبه (١) المناقب، ج ٤، ص ١٥١. و البحار، ج ٤٦، ص ٨٢.

(٢) الإرشاد للمفيد، ص ٢٧٣. و البحار، ج ٤٦، ص ٧٦.

(٣) ابن خلكان، ج ٢، ص ٥٠٩ رقم ٣٠٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٥

و غيظه، و قال: خلعت نعليك بحاشية بساطي، و لم تسلم بإمرة المؤمنين، و لم تكننى، و جلست بإزائي بغير إذنى، و قلت: يا هشام، كيف انت؟! قال: أما خلع نعلتي بحاشية بساطك، فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات، فلا يعاتبني و لا يغضب علي. و أما ما قلت: لم تسلم علي بإمرة المؤمنين، فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك، فخفت أن أكون كاذبا. و أما ما قلت: لم تكننى، فإن الله عز و جل سمي أنبياءه، قال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى. و كنى أعداءه فقال: تبت يدا أبي لهب. و أما قولك: جلست بإزائي، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس و حوله قوم قيام».

فقال له هشام: عظني! قال: إني سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إن فى جهنم حيات كالقلال، و عقارب كالبغال، تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيتته»، ثم قام و خرج «١».

انظر كيف يكرر لفظ «أمير المؤمنين» يعنى به علي بن أبي طالب عليه السلام فى حين امتناعه من التسليم عليه بذلك، بحجة أن فى المؤمنين - و يعنى أمثال نفسه - من لا يرضى بإمرته! إن هذا إلا تربية أهل الولاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم دون غيرهم إطلاقا.

و روى ابن خلكان بشأن ابنه عبد الله ما يشبه صلابه أبيه فى الدين، قال:

و روى أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور، استدعى عبد الله بن طاوس و مالك ابن أنس، فأحضرهما. فلما دخلا عليه أطرق المنصور ساعة، ثم التفت إلى ابن (١) ابن خلكان، ج ٢، ص ٥١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٦

طاوس، و قال له: حدثني عن أبيك. فقال: حدثني أبي أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى فى سلطانه، فأدخل عليه الجور فى حكمه. فأمسك أبو جعفر ساعة، قال مالك: فضممت ثيابي خوفا أن يصيبني دمه. ثم قال له المنصور: ناولنى تلك الدواء -



ثلاث مرّات - فلم يفعل، فقال له: لم لا تناولني؟

فقال: أخاف أن تكتب بها معصية، فأكون قد شاركتك فيها! فلما سمع ذلك، قال:

قوما عني. قال عبد الله: ذلك ما كنّا نبعي. قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم «١».

قلت: وهذا يتنافى مع تاريخ وفاته بسنة (١٣٢) حسبما ذكره ابن حجر «٢»؛ لأن أبا جعفر إنّما تصدّى للخلافة بعد موت السفّاح سنة (١٣٦) «٣». وقد ذكر ابن خلكان تلك الحكاية عن المنصور بعنوان أنه أمير المؤمنين.

كما يتنافى هذا الموقف من ابن طاوس مع ما ذكروا عنه أنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك، و كان كثير الحمل على أهل البيت «٤».

ولعل عبد الله هذا هو ابن عطاء، الذي صحب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، و كان من خلّص شيعتهما كأبيه عطاء بن أبي رباح «٥». قال الكشي: ولد عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس: عبد الملك، و عبد الله، و عريف، نجباء، من أصحاب (١) ابن خلكان، ج ٢، ص ٥١١.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٢٦٧.

(٣) تتمّة المنتهى للقمي، ص ١٦٧.

(٤) تهذيب الأحكام للشيخ أبي جعفر الطوسي، ج ٩، ص ٢٦٢. و تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٥ ص ٢٦٨.

(٥) راجع: الإرشاد للمفيد، ص ٢٦٣. و بصائر الدرجات للصفّار، ص ٢٥٢-٢٥٣ و ص ٢٥٧-٢٥٨ و روضة الكافي، ج ٨، ص ٢٧٦ رقم ٤١٧. و المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٨ و ص ٢٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٧

أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام. ثم روى حديثا يدل على اختصاص عبد الله بالصادق، و قربه منه حسبما يأتي «١».

و لطاوس مواقف و آراء تخصّه لا تخلو من طرفاه و ظرافه، منها: أنه كان يكره أن يقول: حجّة الوداع، و يقول: حجّة الإسلام! أخرج ذلك ابن سعد عن إبراهيم بن ميسرة عنه «٢».

و كان ابنه يقول: إن العالم لا يخرف، يريد أباه. فقد أخرج أبو نعيم بإسناده إلى وكيع، قال: حدثنا أبو عبد الله الشامي، قال: أتيت طاوسا فخرج إليّ ابنه شيخ كبير، فقلت: أنت طاوس؟ فقال: أنا ابنه. قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف، يعني أباه طاوسا. فقال: إن العالم لا يخرف «٣».

و

أخرج أبو نعيم بإسناده عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن بريدة عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه».

قال أبو نعيم: غريب من حديث طاوس، لم نكتبه إلّا من هذا الوجه «٤».

و له ذيل قوله تعالى: الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ حديث طريف جرى بين رسول الله و عليّ عليهما السلام. و قد تفرد بنقله عنه وهب بن متبه الذي وصفه أبو نعيم بالحكيم الحليم «٥».

و جاء ابن سليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاوس، فلم يلتفت إليه، (١) رجال الكشي (ط نجف)، ص ١٨٨.

(٢) الطبقات (ط ليدن)، ج ٢، ص ١٣٥ س ١٨.

(٣) حلية الأولياء، ج ٤، ص ١١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢-٢٣، و الآية من سورة الزخرف / ٦٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٨

ف قيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم تلتفت إليه؟! قال: أردت أن يعلم أن لله عبادا يزهدون فيما في يديه، يعنى يدى ابن الخليفة «١».

كما أن له مع سليمان بن عبد الملك موقفاً حكيماً يدل على صلابته فى الدين و صدقه فى جنب الله «٢».

و فسر قوله تعالى: وَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفاً قَالَ: فى أمور النساء، ليس يكون الإنسان فى شىء أضعف منه فى أمور النساء «٣».

و فسر قوله تعالى: أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ قَالَ: بعيد من قلوبهم «٤».

و كان يقول: لم يجهد البلاء من لم يتولّ اليتامى أو يكون قاضياً بين الناس فى أموالهم، أو أميراً على رقابهم «٥».

## ٥- عكرمة مولى ابن عباس

### إشارة

أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله. أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن الحرّ العنبري، فوهبه لابن عباس، حين ولّى البصرة لعليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و اجتهد ابن عباس فى تعليمه القرآن و الشّتن، و سماه بأسماء العرب «٦». (١) حلية الأولياء، ج ٤، ص ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢، و الآية من سورة النساء / ٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١، و الآية من سورة فصلت / ٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٦) ابن خلكان- وفيات الأعيان-، ج ٣، ص ٢٦٥ رقم ٤٢١. و فى الطبقات: كان ابن عباس يسمّى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٩

قال ابن سعد: كان يقيده فيعلمه القرآن و يعلمه السّنين «١». فرّباه فأحسن تربيته، و علّمه فأحسن تعليمه، و أصبح فقيهاً و أعلم الناس بالتفسير و معانى القرآن. قال ابن خلكان: أصبح عكرمة أحد فقهاء مكة و تابعيها، و كان ينتقل من بلد إلى بلد. قال: و روى أن ابن عباس قال له: انطلق فأفت للناس. و قيل لسعيد بن جبيرة: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: عكرمة.

و أخرج الذهبي عن عكرمة قال: طلبت العلم أربعين سنة، و كنت أفتى بالبواب و ابن عباس فى الدار «٢».

و أخرج ابن سعد عن سلّام بن مسكين، قال: كان عكرمة من أعلم الناس بالتفسير. و عن عمرو بن دينار، قال: دفع إلى جابر بن زيد مسائل أسأل عنها عكرمة، و جعل يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا البحر فسلوه. و أخرج عنه أبو نعيم، قال: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا أعلم الناس.

و كان ابن عباس لا يبدع فرصة لتعليمه، قال لى ابن عباس و نحن ذاهبون من منى إلى عرفات: هذا يوم من أيامك (أى هذه فرصة لك فاغتنمها) فجعلت أرجن به و يفتح عليّ ابن عباس «٣».

و أخرج ابن سعد أيضاً عن خالد بن القاسم البياضى قال: مات عكرمة و كثير عبيده أسماء العرب، عكرمة و سميع و كريب. و كان يأمرهم بالتزويج و ترك العزوبة. (ابن سعد، ج ٥، ص ٢١٢).

(١) الطبقات، ج ٥ (ط ليدن)، ص ٢١٢. قال: كان يضع فى رجله الكبل لذلك. و راجع: أيضاً، ج ٢، ص ١٣٣. و راجع: حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهاني، ج ٣، ص ٣٢٦ رقم (٢٤٥) و فى الميزان، ج ٣، ص ٩٥ رقم ٥٧١٦: كان يضع فى رجلى الكبل على تعليم القرآن و الفقه.

- (٢) ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٩٥، رقم ٥٧١٦.
- (٣) أرجن به، أى أوقفه فأسأله. (الطبقات، ج ٥، ص ٢١٢).
- التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٠
- عزّة الشاعر فى يوم واحد سنة (١٠٥) فرأيتهما جميعا صلّى عليهما فى موضع واحد بعد الظهر فى موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس و أشعر الناس «١».
- و أخرج أبو نعيم عن إسماعيل بن أبى خالد، قال: سمعت الشعبي يقول: ما بقى أحد أعلم بكتاب الله تعالى من عكرمة. و عن سلام بن مسكين، قال: سمعت قتادة يقول: أعلمهم بالتفسير عكرمة.
- و أخرج عن يزيد النحوى عن عكرمة، قال ابن عباس لى: انطلق فأفت للناس، فمن سألك عمّا يعنيه فأفته، و من سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنى ثلثى مئونة الناس.
- و عن عمرو بن دينار، قال: كنت إذا سمعت من عكرمة يحدث عن المغازى، كأثمه مشرف عليهم ينظر كيف كانوا يصنعون و يقتلون. و كان سفيان الثورى يقول بالكوفة: خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير، و مجاهد، و عطاء، و عكرمة.
- و فى رواية: تبادل عطاء بالضحاك «٢».
- و أخرج ابن حجر عن يزيد النحوى عن عكرمة، قال: قال لى ابن عباس:
- انطلق فأفت بالناس و أنا لك عون. قال: فقلت له: لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لأفتيتهم. قال: فانطلق فأفتهم، فمن جاءك يسألك عمّا يعنيه فأفته، و من سألك عمّا لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثى مئونة الناس.
- و قال ابن جواس: كنا مع شهر بن حوشب بجران، فقدم علينا عكرمة، فقلنا لشهر: أ لا نأتيه؟ فقال: اتوه، فإنه لم يكن أمه إلا كان لها حبر، و أن مولى ابن عباس (١) الطبقات، ج ٥، ص ٢١٦.
- (٢) حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣٢٦ - ٣٢٩.
- التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥١
- حبر هذه الأمة «١». فقد حمل هذا اللقب الرفيع من مؤدبه ابن عباس و ورثه منه.
- و قال المروزي: كان عكرمة أعلم شاكردى ابن عباس بالتفسير، و كان يدور البلدان يتعرض «٢».
- و قال قتادة: كان أعلم التابعين عطاء و سعيد بن جبير و عكرمة، قال: و أعلمهم بالتفسير عكرمة.
- و قال ابن عيينة: سمعت أيوب يقول: لو قلت لك: إن الحسن ترك كثيرا من التفسير، حين دخل علينا عكرمة البصرة حتى خرج منها، لصدقت «٣».
- و قال ابن المدينى: كان عكرمة من أهل العلم، و لم يكن فى موالى ابن عباس أغزر علما منه.
- و قال ابن مندة: قال أبو حاتم: أصحاب ابن عباس عيال على عكرمة.
- و قال ابن خيثمة: كان عكرمة من أثبت الناس فيما يروى «٤».
- تلك شهادات ضافية و مستفيضة بشأن الرجل، تجعله فى قمة الفضيلة و العلم، و الثقة و الاعتماد عليه لدى الأمة، مما يوهن ماحيك حول الرجل من أوهام و أكاذيب مفضوحة، ليست تتناسب مع شخصيته كانت تربية مثل ابن عباس، و موضع عنايته الخاصة.
- قال أبو جعفر الطبرى: و لم يكن أحد يدفع عكرمة عن التقدّم فى العلم بالفقه (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٥، و ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٩٣، رقم ٥٧١٦.
- (٢) المصدر نفسه. و شاگرد- بالكاف الفارسية-: التلميذ. و قد ذكره ابن حجر فى مقدمة شرح البخارى ص ٤٢٨ بلفظ: «كان عكرمة أعلم موالى ابن عباس و أتباعه بالتفسير».

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٤) ابن حجر في مقدمة شرح البخارى، ص ٤٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٢

و القرآن و تأويله، و كثرة الرواية للآثار، و أنه كان عالما بمولاه. و فى تقريره جلمة أصحاب ابن عباس إياه و وصفهم له بالتقدم فى العلم و أمرهم الناس بالأخذ عنه، ما بشهادة بعضهم تثبت عدالة الإنسان، و يستحق جواز الشهادة. و من ثبتت عدالته لم يقبل فيه الجرح، و ما تسقط العدالة بالظن، و يقول فلان لمولاه:

لا- تكذب علىّ، و ما أشبهه من القول الذى له وجوه و تصارييف و معان غير الذى وجهه إليه أهل الغباوة، و من لا علم له بتصارييف كلام العرب «١».

و قال أبو نعيم: و منهم مفسر الآيات المحكمة، و منور الروايات المبهمة، أبو عبد الله مولى ابن عباس عكرمة. كان فى البلاد جوالاً، و من علمه للعباد بذا «٢».

و أما الذين طعنوا فيه، فقد قصرت أنظارهم و لم يعرفوا وجه المخرج من ذلك، مع وضوح براءة الرجل مما قيل فيه. و يتلخص فى رمية بالكذب، و ميله إلى رأى الخوارج. أما الأول فلرواية رووها عن ابن عمر أنه قال لمولاه نافع: لا تكذب علىّ كما كذب عكرمة على ابن عباس. و أما الثانى فلوهم توهموه من سفرته إلى المغرب عند تجواله البلاد، و أن الخوارج هناك أخذوا عنه أحاديث. و من الواضح أن هكذا تشبثات غريبة إنما تنم عن حسد كان يحمله مناوئوه تجاه منزلة الرجل و شموخه فى الفقه و العلم، بمعانى القرآن الكريم.

قال ابن حجر- بشأن الرواية عن ابن عمر:- إنها ضعيفة الإسناد، فضلا عن اختلاف المتن و تباين النقل فيها. قال: إنها لم تثبت؛ لأنها من رواية أبى خلف الجزار عن يحيى البكاء، و البكاء متروك الحديث. (١) عن المقدمة لابن حجر، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣٢٦، رقم ٢٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٣

و من ثم قال ابن حبان: و من المحال أن يجرح العدل بكلام المجروح. يقصد به البكاء.

و أضاف ابن حجر: أن إسحاق بن عيسى سأل مالكا: أبلغك أن ابن عمر قال لنافع كذا؟ قال: لا. و لكن بلغنى أن سعيد بن المسيب قال ذلك لمولاه برد! «١» قلت: و لقد كان رمية بالكذب شائعا على عهده، و ربما على عهد سيده ابن عباس أيضا؛ حيث ورد الذب عن نفسه صريحا، و إنكار ابن عباس ذلك.

قال ابن حكيم: كنت جالسا مع أبى أمامة بن سهل بن حنيف، إذ جاء عكرمة، فقال: يا أبا أمامة، أذكرك الله، هل سمعت ابن عباس يقول: «ما حدّثكم عكرمة عنى فصدّقوه، فإنه لم يكذب علىّ»؟ فقال أبو أمامة: نعم «٢».

و قال أيوب: قال عكرمة: أ رأيت هؤلاء الذين يكذبونى من خلفى، أ فلا يكذبونى فى وجهى! قال ابن حجر: يعنى أنهم إذا واجهوه بذلك أمكنه الجواب عنه و المخرج منه. و ذلك أن عكرمة كان يسمع الحديث من شيخ و مثله من شيخ آخر، فربما حدّث و أسنده إلى الأول، ثم يحدّث و يسنده إلى الآخر، فمن ذلك رموه بالكذب، كما قال أبو الأسود: كان عكرمة ربما سمع الحديث من رجلين، فكان إذا سئل حدّث به عن رجل، ثم يسأل عنه بعد حين فيحدّث به عن الآخر، فيقولون: ما أكذبه! و هو صادق «٣».

قال ابن حجر: احتجّ بحديث عكرمة البخارى و أصحاب السنن. و تركه مسلم- إلّا حديثا واحدا- و إنما تركه لكلام مالك فيه (كان مالك لا يراه ثقة و يأمر (١) مقدمة شرح البخارى، ص ٤٢٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٥ و المقدمة، ص ٤٢٧.

(٣) مقدمة فتح البارى، ص ٤٢٧.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٤

أن لا يؤخذ عنه) «١». قال: وقد تعقب جماعة من الأئمة ذلك، و صنفوا في الذب عن عكرمة، منهم: أبو جعفر ابن جرير الطبري، و محمد بن نصر المروزي، و أبو عبد الله ابن مندة، و أبو حاتم ابن حبان، و أبو عمرو ابن عبد البر، و غيرهم. و قد لخص ابن حجر ما قيل فيه، ثم عقبه بالإجابة عليه، قائلاً: فأما أقوال من أوهاه، فمدارها على ثلاثة أشياء: على رميه بالكذب، و على الطعن فيه بأنه كان يرى رأى الخوارج، و على القدح فيه بأنه كان يقبل جوائز الأمراء. قال: أما قبول الجوائز فجمهور أهل العلم على الجواز، و قد صنف في ذلك ابن عبد البر «٢» قال: على أن ذلك ليس بمانع من قبول روايته، و هذا الزهري قد كان في ذلك أشهر من عكرمة، و مع ذلك فلم يترك أحد الرواية عنه بسبب ذلك «٣».

و أما تهمة البدعة فإنها لم تثبت، و قد نفاها عنه جماعة من الأئمة النقاد. قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عكرمة، فقال: ثقة. قلت: يحتج بحديثه؟ قال: نعم، إذا روى عنه الثقات. و الذي أنكر عليه مالك، إنما هو بسبب رأى، على أنه لم يثبت عنه من وجه قاطع أنه كان يرى ذلك، و إنما كان يوافق في بعض المسائل «٤» (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٨. و في الميزان، ج ٣، ص ٩٥: قال مطرف: سمعت مالكا يكره أن يذكر عكرمة، و لا رأى أن يروى عنه. (٢) لم نجد فقيها من فقهاء ذلك العهد، كان قد سلم من ذلك، لا سيما إذا كان الأمير صالحا، و كان الفقيه بحاجة، كما هو الشأن في مثل عكرمة. فقد قيل له: ما جاء بك إلى هذه البلاد؟ قال: الحاجة. (طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٢١٤) و في رواية: أسعى على عيالي (مقدمة الفتح، ص ٤٢٦) (٣) مقدمة فتح الباري، ص ٤٢٤-٤٢٧.

(٤) ما من مذهب و طريقة إلّا و يتوافق بعض مسائله مع مسائل مذاهب آخرين، و هذا لا- يعنى التوافق فى الأصول و فى كل الاتجاهات. نعم، الذين فى قلوبهم زيغ، يتبعون ما تشابه، ابتغاء الفتنة و سعيًا و راء الفساد فى الأرض. التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٥

فنسبوه إليهم. و قد برأه أحمد و العجلي من ذلك، فقال- فى كتاب الثقات له:- عكرمة مولى ابن عباس، مكى تابعى ثقة، برىء مما يرميه الناس به من الحرورية. و قال ابن جرير: لو كان كل من ادعى عليه مذهب من المذاهب الرديئة، ثبت عليه ما ادعى به، و سقطت عدالته، و بطلت شهادته بذلك؛ للزم ترك أكثر محدثي الأمصار؛ لأنه ما منهم إلّا و قد نسبة قوم إلى ما يرغب به عنه «١». قال الذهبي: عكرمة مولى ابن عباس، أحد أوعية العلم. تكلم فيه، لرأيه لا لحفظه، فاتهم برأى الخوارج. و قد وثقه جماعة، و اعتمده البخارى «٢».

و أما الكذب فلا- منشأ لرميه به سوى حديث ابن عمر الأنف، و فى طريقه ضعف الأمر الذى لا يصطدم مع وفرة توثيقه: أخرج ابن حجر عن البخارى قال:

ليس أحد من أصحابنا إلّا احتج بعكرمة. و قال ابن معين: إذا رأيت إنسانا يقع فى عكرمة فاتهمه على الإسلام. و قال المروزي: قلت لأحمد بن حنبل: يحتج بحديث عكرمة؟ قال: نعم. قال المروزي: أجمع عامة أهل العلم على الاحتجاج بحديث عكرمة، و اتفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث من أهل عصرنا، منهم: أحمد بن حنبل، و إسحاق بن راهويه، و أبو ثور، و يحيى بن معين. قال: و لقد سألت إسحاق عن الاحتجاج بحديثه، فقال: عكرمة عندنا إمام أهل الدنيا، و تعجب من سؤالى إياه. قال: و حدثنا غير واحد أنهم شهدوا يحيى بن معين، و سأله بعض الناس عن الاحتجاج بعكرمة، فأظهر التعجب. و قال البراز: روى عن عكرمة مائة و ثلاثون رجلا من وجوه البلدان، كلهم رضوا به، إلى غيرها من (١) فتح الباري- المقدمة- ص ٤٢٧.

(٢) ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٩٣، رقم ٥٧١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٦

توثيقات قيمة «١».

و يبدو من روايات أصحابنا الإمامية كونه من المنقطعين إلى أبواب آل بيت العصمة، وفقا لتعاليم تلقاها من مولاه ابن عباس -رضى الله عنه-.

فقد روى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى أبي بصير، قال: كنا عند الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام و عنده حمران؛ إذ دخل عليه مولى له، فقال: جعلت فداك، هذا عكرمة في الموت، و كان يرى رأى الخوارج، و كان منقطعا إلى أبي جعفر عليه السلام. فقال لنا أبو جعفر: أنظروني حتى أرجع إليكم، فقلنا: نعم. فما لبث أن رجع، فقال: أما إنى لو أدركت عكرمة، قبل أن تقع النفس موقعها لعلمته كلمات ينتفع بها، و لكنى أدركته و قد وقعت النفس موقعها. قلت: جعلت فداك، و ما ذاك الكلام؟ قال: هو- و الله- ما أنتم عليه، فلَقنوا موتاكم عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله و الإقرار بالولاية «٢».

في هذه الرواية مواضع للنظر و الإعمان: أولا دخول مولى أبي جعفر بذلك الخبر المفاجئ، لدليل على أن لعكرمة كانت منزلة عند الإمام عليه السلام، و كان الإمام يهتم بشأنه. ثانيا قوله: و كان منقطعا إلى أبي جعفر، يؤيد كون الرجل من خاصة أصحابه، و لم يكن يدخل على غيره دخوله على الإمام عليه السلام.

و أما قوله: و كان يرى رأى الخوارج، فهو من كلام الراوى، حدسا بشأنه، (١) راجع: مقدمة فتح البارى، ص ٤٢٨.

(٢) الكافي الشريف، ج ٣، ص ١٢٣، رقم ٥. باب تلقين الميت من كتاب الجنائز. و المرأة، ج ١٣، ص ٢٧٨-٢٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٧

حسبما أملت عليه الحياكات الشائعة عنه «١»، و إلما فهو متناقض مع انقطاعه إلى الإمام. كيف يختص بالحضور لدى إمام معصوم من أهل بيت النبوة، من كان يرى رأى خارجي مبغض لآل أبي طالب بالخصوص؟! إن هذا إلاما تناقض، يرفضه العقل السليم، فهذا قول ساقط لا وزن له مع سائر تعابير الحديث المتقنة.

و أخيرا فإن

قوله عليه السلام: لَقنوا موتاكم

الخ مع اهتمامه البالغ بشأن إدراكه قبل الموت ليلقنه؛ لدليل واضح على كونه ممن يرى رأيهم لا رأى غيرهم، و إلما فلا يتناسب قوله أخيرا مع فعله أولا، فتدبر.

و هذه الرواية رويت مع اختلاف في بعض ألفاظها، رواها البرقي في كتاب «الصفوة» بإسناده إلى أبي بكر الحضرمي، «٢» و الكشي عن طريق محمد بن مسعود العياشي بإسناده إلى زرارة بن أعين عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام «٣».

غير أن الكشي استنتج من

قول الإمام: «لو أدركته لنفعته»

أنه مثل ما

يروى «لو أتخذت خليلا لاتخذت فلانا خليلا»

لا يوجب لعكرمة مدحا بل أوجب ضده «٤».

لكنه استنتج غريب ناشئ عن ذهنيته الخاصة بشأن الرجل. قال المحقق التستري-ردا عليه-: إن الرواية المقيس عليها غير ثابتة، و على فرض الثبوت فهو (١) فقد كان طلبه الوالى على المدينة، فتغيب عند داود بن الحصين، حتى مات عنده، غير أن الإمام أبا جعفر و صحابته الخواص كانوا يعرفون موضعه. و فى ذلك أيضا دلالة على كونه من الخاصة.

(طبقات ابن سعد، ج ٥، ط ليدن، ص ٣١٦)

(٢) المحاسن (ط نجف) ص ١١٢-١١٣، باب ١٩ المعرفة، رقم ٦٣. و البحار، ج ٦٨ (ط طهران)، ص ١١٩-١٢٠، رقم ٤٨.

(٣) رجال الكشي (ط نجف)، ص ١٨٨ رقم ٩٤.

(٤) اختيار معرفة الرجال (ط مشهد)، ص ٢١٦، رقم ٣٨٧. و (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢، ص ٤٧٧-٤٧٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٨

مدح لا قدح «١». قلت: معنى

«لو أدركته لنفعتها» «٢»: إنه لم يدركه فلم ينتفع بما كان من شأنه أن ينتفع به. و كذا معنى

«إن أدركته علمته كالأما لم تطعمه النار» «٣»: إن كنت لقتته لم تذقه النار أصلاً. فلازم ذلك أنه بسبب عدم هذا الانتفاع يكون بمعرض لإذافة النار- على بعض ذنوبه أحياناً- أو فوته بعض المنافع لذلك.

و على جميع هذه الفروض، لا تدل الرواية على أنه كان من المخالفين أو الفاسقين، حاشاه من عبد صالح كان تربيته مثل ابن عباس من خاصة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و هذا كما يقال: لو عمل كذا لنفعه أو لم يكن ليتضرر شيئاً، و لازمه أنه لم ينتفع بذلك، أو تضرر شيئاً.

و للمولى المجلسي العظيم كلام بشأن عكرمة، عند ما نقل عنه في تفسير قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ «٤» إنها نزلت بشأن أبي ذرّ و صهيب «٥»، على خلاف سائر المفسرين قالوا: نزلت بشأن علي عليه السلام ليلة المبيت.

قال- بصدد القدح في الرواية:- إن راويها عكرمة، و هو من الخوارج «٦».

و لعلّ هذا منه كان جدلاً، و إلّا فالرواية في نفسها ضعيفة لضعف الراوي لا المرؤى عنه. فقد أخرجها الطبري عن طريق الحجاج بن محمد المصيصي عن ابن جريح عن عكرمة. و المصيصي ضعيف واه، قد خلط في كبره، و من ثم تركه (١) قاموس الرجال، ج ٦، (ط أولى)، ص ٣٢٧.

(٢) كما في رواية الكشي «لو أدركت عكرمة عند الموت لنفعتها». (ط نجف)، ص ١٨٨ رقم ٩٤.

(٣) كما في رواية البرقي- المحاسن باب ١٩ (المعرفة) من كتاب الصّفوة و النور و الرحمة، رقم ٦٣.

(٤) البقرة/ ٢٠٧.

(٥) الطبري، ج ٢، ص ١٨٦، و المجمع، ج ٢، ص ٣٠١.

(٦) بحار الأنوار، ج ٣٦ (ط بيروت) ص ٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٩

يحيى بن سعيد و أوصى ابنه بتركة «١». و قد سمعت أبا حاتم قوله بشأن عكرمة:

ثقة يحتجّ بقوله إذا روى عنه الثقات «٢».

و بعد، فلم نجد مغمزاً في عكرمة مولى ابن عباس الثقة الأمين، الأمر الذي استنتجه ابن حجر في التقریب. قال: عكرمة، ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، و لا يثبت عنه بدعة «٣».

### منهجه في التفسير

كان ينتهج منهج مولاة و شيخه و مؤدبه ابن عباس، في حرّية الرأي و ثبات العقيدة من غير أن يهاب أحداً، أو يثنيه عن اختياره شيء. و من ثم عرّض نفسه للقدف و الرمي، و ربّما التحمّل لما كان المناوئون يهابون موضع سيده ابن عباس، فوجدوا من تلميذه مندوحة ليقدموا فيه و يجرحوه.

## و إليك نموذج من تفسيره:

كان يرى من آية الوضوء «٤» نزولها بمسح الأرجل دون غسلها، و لم يزل عمله على ذلك، و إن استدعى مخالفة عامة الفقهاء في عصره. قال يونس: حدثني من صحب عكرمة إلى واسط، قال: فما رأيت غسل رجله، إنما كان يمسح عليهما «٥». و أخرج الطبري بإسناده إلى عبد الله العتكي عن عكرمة، قال: «ليس على الرجلين غسل، إنما نزل فيهما المسح». و هكذا أخرج بإسناده إلى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، قال: «الوضوء غسلتان و مسحتان». و كذا عن (١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٧٠.

(٣) التقريب، ج ٢، ص ٣٠، رقم ٢٧٧.

(٤) المائدة/ ٦.

(٥) الطبرسي في مجمع البيان، ج ٣، ص ١٦٥. و الطبري في جامع البيان، ج ٦، ص ٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٠

جمع كثير من التابعين، و لا سيما المتأثرين بمدرسة ابن عباس، أمثال قتادة و الضحاك و الشعبي و الأعمش و غيرهم. و جماعة من الصحابة أمثال أنس بن مالك و جابر بن عبد الله و غيرهما، ذهبوا إلى أن القرآن نزل بمسح الأرجل لا غسلها «١».

قال أمين الإسلام الطبرسي: اختلف في ذلك، فقال جمهور الفقهاء: إن فرضهما الغسل. و قالت الإمامية: فرضهما المسح لا غير، و به قال عكرمة. و قد روى القول بالمسح عن جماعة من الصحابة و التابعين كابن عباس و أنس و أبي العالبي و الشعبي. و قال الحسن البصري: بالتخيير بين الغسل و المسح.

قال: و أما ما روى عن سادة أهل البيت عليهم السلام في ذلك فأكثر من أن تحصى «٢».

و للطبرسي هنا بشأن المسألة تحقيق لطيف، ينبغي لرواد الحقيقة مراجعته.

و

أخرج البيهقي بإسناده عن رفاعه بن رافع: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله به: يغسل وجهه و يديه إلى المرفقين، و يمسح رأسه و رجله إلى الكعبين» «٣».

و هكذا في المسح على الخفين - الذي يقول به جمهور الفقهاء - كان عكرمة (١) الطبري في جامع البيان، ج ٦، ص ٨٢-٨٣. و أخرج البيهقي في سننه، ج ١، ص ٧٢ عن ابن عباس قال: ما أجد في الكتاب إلّا غسلتين و مسحتين. كما أخرج في ص ٤٤ عن رفاعه بن رافع: المسح على الرجلين.

(٢) الطبرسي في مجمع البيان، ج ٣، ص ١٦٤.

(٣) السنن الكبرى، ج ١، ص ٤٤، باب التسمية على الوضوء و ج ٢، ص ٣٤٥ باب من سها فترك ركنا، و هناك كامل الحديث. و أخرجه السيوطي في الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٦٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦١

ينكره أشد الإنكار، و يقول: «سبق الكتاب المسح على الخفين» «١»، يعني: أن القرآن نزل بالمسح على الأرجل، أمّا المسح على الخفين - على ما وردت به بعض الروايات - فأمر متأخر عن نزول الآية، و لا دليل على نسخ الآية، روايه لم تثبت «٢».

و هذا الذي ذكره عكرمة هو الذي نقلته الأئمة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد روى أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى أبي الورد، قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: إن أبا ظبيان حدثني أنه رأى عليا عليه السلام أراق الماء ثم مسح على الخفين! فقال: كذب أبو ظبيان «٣» أما بلغك قول علي عليه السلام فيكم: «سبق الكتاب الخفين»؟



فقلت: فهل فيهما رخصة؟ فقال: لا، إلّا من عدوّ تتّقيه، أو ثلج تخاف على رجلك «٤».

و لا شكّ أن ابن عباس كان يرى رأى الإمام الذى هو شاخص أهل البيت عليهم السّلام فلا وقع لتكذيب عكرمة بأنه خالف شيخه، فقد افترى عليه كما افترى على الإمام عليه السّلام.

و عقد أبو نعيم الأصبهاني فصلا من حليته «٥»، أورد فيه من تفاسير مأثورة عن عكرمة، دررا و غررا هي من جلائل الآثار و كرائم الأفكار، و يتبين منها مدى سعة (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٨.

(٢) ذكر أبو يوسف أن سنّة المسح على الخفين نسخت آية المسح على الأرجل. أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٣٤٨.

(٣) هو حصين بن جندب الكوفى. مات سنه ٩٠. و قد أنكروا سماعه من على عليه السّلام فيما يرويه عنه.

تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٨٠. و لم يذكره الشيخ فى أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام.

(٤) الوسائل، ج ١، ص ٣٢٢، رقم ٥.

(٥) حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣٢٩-٣٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٢

علم الرجل و شموخ فكره الصائب، ينبغى مراجعتها فإنها ممتعة جدًا.

## ٦- عطاء بن أبى رباح

أبو محمّد عطاء بن أبى رباح أسلم- و قيل: سالم- بن صفوان، من أصل نوبى (١٧-١١٥) كان من أجلمة فقهاء مكة و زهادها، و من خواصّ ابن عباس و المتربّين فى مدرسته. «١» و هو الذى حضر وصيته بالطائف فى جماعة من الشيوخ، و روى عنه حديث الإمامة و الولاية- على ما سبق فى ترجمة ابن عباس «٢»- مما يدلّ على مبلغ ولائه لأهل البيت و تمسّكه بأذيالهم الطاهرة، شأن سائر المتربّين بتربية ابن عباس الصحابى الملهم الجليل.

و ذكره أبو نعيم فى التابعين ممن رووا عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السّلام. «٣» كما ذكر ثناء الإمام عليه، فيما أخرجه بإسناده عن أسلم المنقرى، قال: كنت جالسا مع أبى جعفر فمرّ عليه عطاء، فقال: ما بقى على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحجّ من عطاء بن أبى رباح

. و عن أحمد بن محمد الشافعى، قال: كانت الحلقة فى الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس، و بعد ابن عباس لعطاء بن أبى (١) صرّح الكشى (ص ١٨٨ رقم ٩٢ و ٩٣) بأن عطاء بن أبى رباح تلميذ ابن عباس. و كان ولده:

عبد الملك و عبد الله و عريف، نجباء من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السّلام. و قد تقدّم فى ترجمة طاوس.

(٢) نقلا عن كفاية الأثر للخزّاز الرازى، ص ٢٩٠. و البحار، ج ٣٦، ص ٢٨٧، رقم ١٠٩.

(٣) و هم أربعة: عمرو بن دينار، و عطاء بن أبى رباح، و جابر الجعفى، و أبان بن تغلب. و من الأئمّة و الأعلام: ليث و ابن جريج و ابن أرطأة فى آخرين، راجع: حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٨٨، فى ترجمة الإمام، برقم ٢٣٥. و عنه كشف الغمّة للأربلى، ج ٢، ص ١٣٤. و الوحيد فى التعليقة على هامش الاسترآبادى، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٣

رباح. «١»

قال ابن سعد: و قد انتهت فتوى أهل مكة إليه و إلى مجاهد، فى زمانهما، و أكثر ذلك إلى عطاء. قال: كان يعلم الكتاب، و كان ثقة فقيها كثير الحديث. و عن قتادة: كان عطاء من أعلم الناس بالمناسك «٢».

قال ابن حجر: قال ابن معين: كان عطاء معلّم كتاب «٣». و أخرج عن أبى نوف عن عطاء، قال: أدركت مائتين من الصحابة. و عن ابن

عباس أنه كان يقول:

تجتمعون إلي يا أهل مكة وعندكم عطاء! و عن ربيعة قال: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى. و قال قتادة: قال لي سليمان بن هشام: هل بمكة أحد؟ قلت: نعم، أقدم رجل في جزيرة العرب علما! قال: من؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، إلى غيرها من شهادات ضافية بشأنه. و أنه من سادات التابعين فقها و علما و ورعا و فضلا «٤».

و لابن خلكان بشأنه حكاية طريفة، قال: حكى عن وكيع، قال: قال لي أبو حنيفة النعمان بن الثابت: أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة، فعلمنيها حجّام! و ذلك أني أردت أن أحلق رأسي، فقال لي: أعربي أنت؟ قلت: نعم، و كنت قد قلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: لا يشارط فيه، اجلس، فجلست منحرفا عن القبلة، فأوما إلي باستقبال القبلة. و أردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر، فقال: أدر شقك الأيمن من رأسك، فأدرته. و جعل يحلق رأسي و أنا ساكت، فقال لي: كبير، فجعلت أكبر، حتى قمت لأذهب، فقال: أين تريد؟ قلت: (١) حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣١١، رقم ٢٤٤. و طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٣٤٤.

(٢) الطبقات لابن سعد، ج ٥، ص ٣٤٤-٣٤٦. و تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠١.

(٣) بضم الكاف، جمعه كتابيب: موضع التريبة و التعليم.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ١٩٩-٢٠٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٤

رحلي. فقال: صلّ ركعتين ثم امض. فقلت: ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجّام إلّا و معه علم. فقلت: من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟ فقال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا «١».

قال: و كان أسود، أعور، أفطس، أشلّ، أعرج، ثم عمى بعد ذلك. و كان مفلغل الشعر. قال سليمان بن ربيع: دخلت المسجد الحرام و الناس مجتمعون على رجل، فأطلعت، فإذا عطاء بن أبي رباح جالس كأنه غراب أسود «٢».

قال محمد بن عبد الله «٣»: ما رأيت مفتيا خيرا من عطاء بن أبي رباح، إنما كان في مجلسه ذكر الله لا يفتروهم يخوضون. فإن تكلم أو سئل عن شيء أحسن الجواب و كان يطيل الصمت، فإذا تكلم يخيل إلى الناس أنه يتأيد! و عن ابن جريج: كان عطاء إذا حدّث بشيء، قلت: علم أو رأي؟ فإن كان أثرا قال: علم، و إن كان رأيا قال: رأي و عن سلمة بن كهيل: ما رأيت أحدا يريد بهذا العلم وجه الله إلّا ثلاثة: عطاء، و مجاهد، و طاوس. قال الأوزاعي: مات عطاء يوم مات، و هو أَرْضَى أهل الأرض عند الناس «٤».

و قد وقع في إسناد القمي في تفسير قوله تعالى: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا «٥».

و للمولى المامقاني بشأنه تخطيط، قال: عدّه الشيخ من أصحاب أمير (١) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٦١، رقم ٤١٩.

(٢) الوفيات، ج ٣، ص ٢٦٢. و راجع: الطبقات، ج ٥، ص ٣٤٦. و تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠٠.

(٣) الملقب بالديباج و أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام. قتله المنصور سنة ١٤٥.

(٤) الطبقات، ج ٥، ص ٣٤٥. و تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠١.

(٥) محمد/ ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٥

المؤمنين عليه السلام، و قال: مخلّط. و نقل المولى الوحيد عن أبي نعيم أنه ممّن روى عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: الظاهر أنه اشتباه منه أو من أبي نعيم، فإنّ الراوى عن الباقر هو عطاء بن السائب، و هو من رؤساء العامية. أمّا ابن أبي رباح فهو مولى عبد الله ابن عباس، و لقاءه للباقر غير معلوم. نعم لقاءه لعليّ مما لا ريب فيه. و هو مخلّط و يروى عن الشيخين كثيرا، و يروى لهما أكثر «١».

قلت: كانت ولادة عطاء بن أبي رباح في السنّة الرابعة أو الخامسة من خلافة ابن الخطاب، فكيف يروى عن الشيخين؟! ثم إنه عند وفاة

أمير المؤمنين كان لم يتجاوز الثالثة عشرة. وقد توفى بعد وفاة الإمام الباقر (٥٧-١١٤) بسنة (١١٥) ولم يذكر أحد أنه مولى لابن عباس، بل مولى بنى فهر، حسبما ذكره «٢» كما ذكروا أن الذي اختلط في أخريات حياته هو ابن السائل «٣». و سذكّر أنه أيضا من الخواص.

قال الدكتور شواخ: و تفسير عطاء بن أبي رباح كان من التفاسير التي رويت شفاهاً، و استخدمها الطبري بالرواية التالية: «القاسم بن الحسن الهمداني (ت ٢٧٢) الحسين المصيصي (ت ٢٢٦) حجاج بن محمد المصيصي (ت ٢٠٦) ابن جريج (ت ١٥٠) عن عطاء بن أبي رباح» و استخدمه الثعلبي أيضا في كتابه (الكشف و البيان) «٤». (١) تنقيح المقال، ج ٢، ص ٣٥٢-٣٥٣، رقم ٧٩١٩. (٢) راجع: قاموس الرجال للتستري، ج ٦، ص ٣٠٦ (ط أولى) (٣) راجع: تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠٧. (٤) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٣، رقم ٩٩٨. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٦

## ٧- عطاء بن السائب

أبو محمد الثقفي الكوفي أحد الأئمة «١». روى عن سعيد بن جبير و مجاهد و عكرمة و أبي عبد الرحمن السلمى و جماعة. و روى عنه الأعمش و ابن جريج.

كان أبو إسحاق يقول: عطاء بن السائب من البقايا.

قال أحمد بن حنبل: ثقة ثقة رجل صالح. و لكن جماعة رموه بالتخليط في أخريات حياته، و من ثم وثقوه في حديثه القديم. قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحدا من الناس يقول في حديثه القديم شيئا. أما و لما ذا هذا التحول بشأنه؟

قال أبو قطن عن شعبة: ثلاثة في القلب منهم هاجس: عطاء بن السائب، و يزيد بن أبي زياد، و رجل آخر. «٢» ما سبب هذا الهاجس؟ قال سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - أدام الله ظلّه و ألبسه ثوب العافية - بعد أن ذكر روايته عن عليّ بن الحسين عليهما السلام بشأن مسألة القضاء: - هذه الرواية تدلّ على تشييعه، فما يذكر عنه من الوثيق في حديثه القديم ثم اختلط و تغير، فلعله كان منخرطا في العامة ثم استبصر «٣».

قلت: بل الظاهر كونه من الشيعة من أول أمره؛ لأنه كوفي و تتلمذ على أمثال ابن جبير و مجاهد و عكرمة و السلمى و أضرابهم. أما سبب اختلاطه في نظر القوم فلعله بدى منه شيء من الارتفاع لم يكن يتحمّل القوم، و كم له من نظير.

أما الرواية المشار إليها فهي ما

رواه أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى عطاء بن السائب عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «إذا كنتم في أئمة جور فاقضوا في (١) الخلاصة، ص ٢٦٦.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠٤.

(٣) معجم رجال الحديث، ج ١١ (ط بيروت)، ص ١٤٥، رقم ٧٦٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٧

أحكامهم، و لا تشهروا أنفسكم فتقتلوا. و إن تعاملتم بأحكامنا كان خيرا لكم» «١».

و قد عدّه الصدوق في المشيخة «٢».

و قد كانت وفاة الإمام السجاد عام (٩٥) سنة الفقهاء. و قد عاش ابن السائب بعد ذلك ما يقرب (٤٠) سنة؛ حيث عام وفاته (١٣٦) و الرواية إن دلت على تشييعه - كما هو كذلك - فقد كان ذلك في أوليات حياته.

وله رواية أخرى عن زاذان أبي عمرة الفارسي الكوفي الضرير، مات سنة (٨٢) في قضية قضاها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيام عمر بن الخطاب، بشأن الوديعه التي استودعها رجلان عند امرأة... رواها حريز بن عبد الله السجستاني عن عطاء بن السائب من زاذان. (٣)

## ٨- أبان بن تغلب بن رباح

أبو سعيد البكري الكوفي. قال الشيخ: ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة، لقي أبا محمد السجاد، و أبا جعفر الباقر، و أبا عبد الله الصادق عليهم السلام و روى عنهم. و كانت له عندهم خطوة و قدم «٤».

و كان إذا قدم المدينة تقوضت له الحلق و أخلت له سارية النبي صلى الله عليه و آله و سلم. «٥»  
و كان ذلك بأمر من الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام،

قال له: «اجلس في مسجد المدينة (١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٣، رقم ٣. و تهذيب الأحكام للشيخ، ج ٦، ص ٢٢٤، رقم ٥٣٦/٢٨. و ص ٢٢٥، رقم ٥٤٠/٣٢.

(٢) شرح مشيخة الصدوق، ص ١٢٥، الملحق بالفقيه، ج ٤.

(٣) الكافي الشريف، ج ٧، ص ٤٢٨، رقم ١٢. و تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٢٩٠، رقم ٨٠٤/١١.

(٤) فهرست الشيخ، ص ٥-٦ (ط مشهد)

(٥) رجال النجاشي، ص ٨-٩ (ط حجرية)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٨

و أفت للناس، فإنني أحب أن يرى في شيعتي مثلك» «١». و هكذا

روى الكشي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام كان يقول له: «جالس أهل المدينة، فإنني أحب أن يروا في شيعتنا مثلك». و قد استجاز الإمام أن يفتيهم حسبما يرون، قال: إنني أقعد في المسجد، فيجيئني الناس فيسألوني، فإن لم أجبه لم يقبلوا مني، و أكره أن أجيبهم بقولكم و ما جاء منكم. فأجازه الإمام أن يفتي للناس حسبما علم أنه من قولهم. قال: «انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك» «٢».

قال الشيخ: و كان أبان بن تغلب قارئاً فقيهاً لغويًا نبيلًا، و سمع العرب و حكى عنهم و صنّف كتاب «الغريب في القرآن»، و ذكر شواهد من الشعر. قال: فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان، و محمد ابن السائب الكلبي، و أبي روق ابن عطية بن الحرث، فجعله كتاباً واحداً، فيما اختلفوا فيه و ما اتفقوا عليه. فتارة يجيء كتاب أبان مفرداً، و تارة يجيء مشتركاً، على ما عمله عبد الرحمن.

قال: و لأبان- رحمه الله عليه- قراءة مفردة. و رفع إسناده إلى محمد بن موسى بن أبي مريم صاحب اللؤلؤ، قال: سمعت أبان بن تغلب، و ما أحد أقرأ منه، يقرأ القرآن من أوله إلى آخره، و ذكر القراءة ...

قال: و لأبان كتاب الفضائل- ثم ذكر طريقه إليه- كما أن له أصلاً. قال: و مات أبان سنة (١٤١) في حياة الإمام الصادق عليه السلام. و لما بلغه نعيه،

قال: «أما و الله، لقد أوجع قلبي موت أبان» «٣». (١) رجال النجاشي، ص ٧.

(٢) رجال الكشي، ص ٢٨٠ (ط نجف)

(٣) الفهرست، ص ٦-٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٩

و أخرج النجاشي بإسناده إلى الحسين بن سعيد بن أبي الجهم، قال: حدّثني أبي عن أبان بن تغلب، في قوله تعالى: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. و ذكر التفسير إلى آخره. قال: ولأبان قراءة مفردة مشهورة عند القراء. و عن محمد بن موسى بن أبي مريم، قال: سمعت أبان بن تغلب، و ما رأيت أحدا أقرأ منه قطّ، يقول: «إنما الهمز رياضة» (١) و ذكر قراءته إلى آخرها. قال: و له كتاب الفضائل، و كتاب صفين، و كتاب تفسير غريب القرآن.

قال إبراهيم النخعي: كان أبان رحمه الله مقدّما في كل فنّ من العلم، في القرآن، و الفقه، و الحديث، و الأدب، و اللغّة، و النحو. و عن أبان بن محمد بن أبان بن تغلب، قال: سمعت أبي يقول: دخلت مع أبي إلى أبي عبد الله عليه السّلام فلما بصر به أمر بوسادة فألقيت له، و صافحه و اعتنقه و سأله و رحّب به. قال: و كان أبان إذا قدم المدينة تقوّضت إليه الحلق و أخليت له سارية النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم (٢).

و عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: كنّا في مجلس أبان بن تغلب، فجاءه شابّ فقال: يا أبا سعيد، أخبرني كم شهد مع عليّ بن أبي طالب عليه السّلام من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم؟ فقال له أبان: كأنّك تريد أن تعرف فضل عليّ بمن تبعه من أصحاب رسول الله؟ فقال الرجل: هو ذاك. فقال: و الله ما عرفنا فضلهم إلّا باتّباعهم إيّاه.

و قال أبان لأبي البلاد: تدري من الشيعة؟ الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن (١) أي في إظهار الهمز مشقة و صعوبة و تكلف بلا ثمر، فلا بد من ترك الإظهار، الذي هو لغة قريش، كانوا لا ينيرون بالهمز، و قد نهى النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم عنه أيضا.

(٢) أي كانت الحلق و الصفوف المترابطة من الناس تتقوض و تتفرّق لتجتمع إلى حلقة أبان.

و السارية: هو الأسطوانة، التي كان النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يجلس عندها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٠

رسول الله، أخذوا بقول عليّ. و إذا اختلف الناس عن عليّ، أخذوا بقول جعفر بن محمد.

قال النجاشي: و جمع محمد بن عبد الرحمن بين كتاب التفسير لأبان و بين كتاب أبي روق عطية بن الحرث و محمد بن السائب، و جعلها كتابا واحدا.

و عن عبد الله بن خفقه، قال: قال لي أبان بن تغلب: مررت بقوم يعيرون عليّ روايتي عن جعفر! فقلت: كيف تلوموني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلّا قال: قال رسول الله! (١) و

عن سليم بن أبي حيّة، قال: كنت عند أبي عبد الله، فلما أردت أن أفارقه ودّعته، و قلت: أحبّ أن تزودني. فقال: انت أبان بن تغلب، فإنه قد سمع منّي حديثا كثيرا، فما روى لك فاروه عنّي (٢).

و قال ابن حجر: قال أحمد، و يحيى، و أبو حاتم، و النسائي: ثقة. و قال ابن عدى: له نسخ عامتها مستقيمة، إذا روى عنه ثقة، و هو من أهل الصدق في الروايات. و إن كان مذهبه مذهب الشيعة، و هو في الرواية صالح لا بأس به. قال ابن حجر: هذا قول منصف، و قد تقدم ذكره.

و قال ابن عجلان: حدثنا أبان بن تغلب، رجل من أهل العراق، من النساك، ثقة. و مدحه ابن عيينة بالفصاحة و البيان. قال أبو نعيم: و كان غايه من الغايات.

و قال العقيلي: سمعت أبا عبد الله يذكر عنه عقلا و أدبا و صحة حديث. و قال ابن (١) و لعلّ عيبيهم كان لأجل كبر سنه بالنسبة إلى الإمام، و تقدّمه بحسب الزمان.

(٢) رجال النجاشي، ص ٧-١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧١

سعد: كان ثقة. و ذكره ابن حبان في الثقات (١).

و قال الحافظ شمس الدين الداودي: صَنَّف كتاب «معاني القرآن» لطيف، «القراءات». روى له مسلم و الأربعة «٢».

## ٩- الحسن البصرى

أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى. كان أبوه مولى لزيد بن ثابت الأنصارى، من سبى ميسان (بليدة بأسفل البصرة)، و أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه و آله و سلم و تربى فى بيتها. و يقال: ربما كانت تغذيه بلبنها- بإذن الله- عند ما تغيب أمه. و يقال: إنه ولد على الزرق، ولد بالمدينة سنة (٢٢) لستين بقيتا من خلافة عمر، و نشأ بوادى القرى (واد من أعمال المدينة على طريق الشام، واقع بين تيماء و خيبر) و توفى بالبصرة مستهل رجب سنة (١١٠) «٣».

كان الحسن جسيما و سيما «٤» نابها فصيحاً، و كان يشبهه فى الفصاحة و البيان برؤية العجاج «٥». و كان عالما جامعاً، و فقيها مأمونا «٦» و عابدا ناسكاً، حسب تعبير (١) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٩٣-٩٤. و ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٥.

(٢) طبقات المفسرين، ج ١، ص ١.

(٣) تتمه المنتهى للقمى، ص ٧. و طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١ (ط ليدن)، ص ١١٥. و تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٤) عن عاصم الأحول، قلت للشعبى: لك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت البصرة فقرأ الحسن منى السلام. قلت: ما أعرفه؟ قال: إذا دخلت البصرة فانظر إلى أجمل رجل تراه فى عينك، و أهيبه فى صدرك فقرأه منى السلام! (تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٥).

(٥) طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١٢١.

(٦) قال قتادة: ما جالست فقيها قط إلا رأيت فضل الحسن عليه. و قال أيوب: ما رأيت عيناى رجلا

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٢

ابن سعد و غيره «١».

كان أكثر ما يقوله عن على عليه السلام من غير أن يصرح باسمه الشريف تقيته، أو يكتفى عنه بأبى زينب «٢».

و قد اعتمد الأئمة مراسيله؛ لأنه لا يرسل إلا عن ثقة. قال على بن المدينى:

مرسلات الحسن إذا روى عنه الثقات، صحاح. و قال أبو زرعة: كل شىء يقول الحسن: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وجدت له أصلاً ثابتاً.

قال يونس بن عبيد: سألت الحسن، قلت: يا أبا سعيد، إنك تقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و إنك لم تدركه؟! قال:

يا ابن أختى، لقد سألتنى عن شىء ما سألتنى عنه أحد قبلك، و لو لا منزلتك منى ما أخبرتك. إني فى زمان كما ترى!- و كان فى

عمل الحجاج «٣»- كل شىء سمعتنى أقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهو عن على بن أبى طالب عليه السلام غير أنى

فى زمان لا أستطيع أن أذكر علياً عليه السلام «٤». قط كان أفقه من الحسن! و

قال الأعمش: ما زال الحسن يعى الحكمة حتى نطق بها. و كان إذا ذكر عند أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: «ذاك الذى يشبه كلامه

كلام الأنبياء». (تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٥) و قال بلال بن أبى بردة: ما رأيت رجلاً قط لم يصحب النبى صلى الله عليه و آله و

سلم أشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من هذا الشيخ، يعنى الحسن!. و قال الشعبى: أدركت سبعين من أصحاب

النبى صلى الله عليه و آله و سلم فلم أر أحداً قط أشبه بهم منه! (طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٨)

(١) قال مطر الوراق: كان جابر بن زيد (توفى سنة ١٠٣) رجلاً أهل البصرة، فلما ظهر الحسن، جاء رجلاً كأنما كان فى الآخرة، فهو

يخبر عما رأى و عاين. (تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٤)

(٢) أمالى الشريف المرتضى، ج ١، ص ١٦٢.

(٣) كان ذلك أيام ولاية الحجاج على البصرة.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦ بالمتن و الهامش.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٣

قال الشريف المرتضى: و كان الحسن بارع الفصاحة، بليغ المواعظ، كثير العلم. و جميع كلامه فى المواعظ و ذم الدنيا، أو جلّه مأخوذ- لفظا و معنى، أو معنى دون لفظ «١»- من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السّلام، فهو القدوة و الغاية، فنقل عنه حكما و مواعظ جليّة.

ثم قال: و كان الحسن إذا أراد أن يحدث فى زمن بنى أمية عن أمير المؤمنين، قال: قال أبو زينب «٢».

و قال الشيخ فريد الدين العطار النيسابورى: «كان الحسن إنّما يوالى عليّا أمير المؤمنين، و منه أخذ العلم، و كان مرجعه فى طريقة العرفان» «٣».

و لأبان بن أبى عياش كلام بشأن الحسن، يدل على مغالاته فى ولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام. قال: لما أودعه سليم بن قيس الهلالي كتابه و أوصاه أن لا يريح غير الخواص من الشيعة:- فكان أول من لقيت بعد قدومى البصرة الحسن بن أبى الحسن البصرى، و هو يومئذ متوار من الحجاج. و الحسن يومئذ من شيعة عليّ بن أبى طالب- صلوات الله عليه- و من مفرطهم، نادم متلهّف على ما فاته من نصرة عليّ و القتال معه. فخلوت به فى شرقى دار أبى خليفه الحجاج بن أبى عتاب الديلمى، فعرضته عليه، فبكى ثم قال: ما فى حديثه شىء إلّا حقّ، قد سمعته (١) قال ابن عون: كان الحسن يحدث بالحديث و بالمعاني. و قال جرير بن حازم: كان الحسن يحدثنا الحديث يختلف فيزيد فى الحديث و ينقص منه، و لكنّ المعنى واحد. (طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٥، ط ليدن) (٢) أمالى المرتضى، ج ١، ص ١٥٣ و ١٦٢. و له كلام يأتى فيه وصف على عليه السّلام نقله المرتضى (المصدر، ج ١، ص ١٦٢) (٣) تذكرة الأولياء، ص ٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٤

من الثقات من شيعة على- صلوات الله عليه- و غيرهم «١».

قلت: كان أخذه عن على عليه السّلام بواسطة الثقات من أصحابه، و ليس مباشرة و بغير واسطة؛ لأنه لم يدرك عليّا فى المدينة بما يمكنه الأخذ عنه؛ لحدائثة سنّه حينذاك، و لم يلق عليا بعد أن خرج الإمام إلى العراق، كما سنوّح. و الذى انتقصوا به الحسن أمران: أنه كان يدلس، و كان منحرفا عن على عليه السّلام فى بدء أمره و إن كان قد تندّم بعد ذلك. و شىء ثالث: أنه كان قدريا، و يقول: «من كذب بالقدر فقد كفر». و لننظر فى كل هذه التهم و مبلغ اعتبار كل واحدة منها: أمّا التدليس، فقال ابن حجر: و كان يرسل كثيرا و يدلس. قال البزار: كان يروى عن جماعة لم يسمع منهم، فيتجوّز و يقول: حدّثنا و خطبنا، يعنى قومه الذين حدّثوا و خطبوا بالبصرة «٢».

و سئل أبو زرعة: هل سمع الحسن أحدا من البدرين؟ قال: رأهم رؤية، رأى عثمان و عليا. قيل: هل سمع منهما حديثا؟ قال: لا، رأى عليّا بالمدينة، و خرج عليّ إلى الكوفة و البصرة، و لم يلقه الحسن بعد ذلك. و قال عليّ بن المدينى:

لم ير عليّا إلّا أن كان بالمدينة و هو غلام، و لم يسمع من جابر بن عبد الله، و لا من أبى سعيد الخدرى، و لم يسمع من ابن عباس، و ما رآه قطّ، كان الحسن بالمدينة أيام كان ابن عباس بالبصرة. و أما قوله: «خطبنا ابن عباس بالبصرة»، فإنما أراد:

خطب أهل البصرة. كقول ثابت: «قدم علينا فلان» أى قدم بلدنا و أهلنا. و قال ابن المدينى: و لم يسمع من أبى موسى، و قال أبو حاتم و أبو زرعة: لم يره. قال ابن (١) مقدمه كتاب سليم بن قيس، ص ٦٥-٦٦.

(٢) التقريب لابن حجر، ج ١، ص ١٦٥ رقم ٢٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٥

المدينى: روى عن الحسن أن سراقه حدّثهم! قال: و هذا إسناد ينبو عنه القلب أن يكون الحسن سمع من سراقه، إلّا أن يكون معنى

حدّثهم: حدّث الناس، قال: فهذا أشبه. و هكذا قال الترمذى: لم يثبت له سماع من على عليه السّلام «١». و قد تقدم الجواب عن ذلك، و أنه كان لا يرسل إلّا عن ثقة، و لذلك قال ابن المدينى و أبو زرعة و غيرهما: مرسلات الحسن صحاح، و أن لها أصلاً ثابتاً و جدّه الأعلام «٢».

و كان الرجل فى محذور عن تسمية الرجال، و لا سيّما إذا كان عن الإمام أمير المؤمنين على عليه السّلام أو أحد أصحابه المعروفين. قال الطبرى: كان الحسن فقيهاً فاضلاً، لا يشكّ فى حديثه فيما روى، و كان كثير المراسيل و كثير الرواية عن قوم مجاهيل، و عن صحف قد وقعت إليه لقوم أخذها منهم. و روى عن مساور، قال: قلت للحسن: عمّن تحدّث هذه الأحاديث؟ قال: عن كتاب عندنا سمعته من رجل.

قال المحقق التستري - تعليقا على هذا الكلام -: و لعلّه إشارة إلى كتاب سليم ابن قيس الهلالي الذى وقع بيده و سمعه من أبان بن أبى عياش، على ما أسلفنا.

و قال - أخيراً -: و الرجل - كما رأيت - مختلف فيه، إلّا أن الأحسن حسنه و تقواه و تقيته «٣».

و أما تهمة الانحراف فمستندها حكايات هى أشبه بالأوهام: (١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦ - ٢٧٠. (٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٣) قاموس الرجال (ط الأولى)، ج ٣، ص ١٣٦ - ١٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٦

من ذلك

ما أرسله صاحب كتاب الاحتجاج: أن علياً عليه السّلام مرّ - بعد واقعة الجمل - بالحسن البصرى و هو يتوضّأ. فقال: يا حسن أسبغ الوضوء، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون الشهادتين و يصلّون الخمس و يسبغون الوضوء! فقال له أمير المؤمنين: فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟ فقال:

لقد خرجت، و أنا لا أشكّ أن التخلّف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة (موضع وقع قتال الجمل فيه) نادانى مناد: ارجع يا حسن، فإنّ القاتل و المقتول فى النار. فقال على: صدقك ذاك أخوك إبليس، إن القاتل و المقتول منهم فى النار «١». و هكذا

أرسل القطب الراوندى: أن علياً عليه السّلام قال له: أسبغ طهورك يا لفتى «٢»، فقال: لقد قتلت بالأمس رجالاً كانوا يسبغون الوضوء! قال عليه السّلام: و إنك لحزين عليهم؟ قال: نعم. فقال: فأطال الله حزنك. قالوا: فما رأينا الحسن قطّ إلّا حزينا، كأنّه يرجع عن دفن حميم، أو حرّ بنديج ضلّ حماره. فقيل له فى ذلك، فقال: عمل فى دعوة الرجل الصالح! «٣».

و ذكر ابن أبى الحديد فيمن كان يبغض علياً عليه السّلام الحسن البصرى، قال: روى عنه حماد أنه قال: لو كان عليّ يأكل الحشف «٤» بالمدينة لكان خيراً له مما دخل فيه. و روى عنه أنه كان من المخذّلين عن نصرته. و

روى عنه أن عليّاً عليه السّلام رآه و هو يتوضّأ - و كان ذا وسوسة - فصبّ على أعضائه ماء كثيراً، فقال له: أرتق ماء كثيراً (١) كتاب الاحتجاج المنسوب إلى الطبرسى (٢) (ط نجف)، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) على وزان «قبطى» قيل: معناه الشيطان بالنبطية.

(٣) الخرائج و الجرائح، ج ٢، ص ٥٤٧ رقم ٨، و البحار، ج ٤١، ص ٣٠٢ رقم ٣٣، و ج ٤٢، ص ١٤٣ رقم ٥.

(٤) الحشف: أردأ التمر، أو اليابس الفاسد من التمر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٧

يا حسن؛ فقال: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر! قال: أ و ساءك ذلك؟ قال: نعم. قال: فلا زلت مسوّأ. قالوا: فما زال



الحسن عابسا قاطبا مهموما إلى أن مات «١».

هذا كل ما قيل بشأنه دليلا على انحرافه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لكنها روايات لا إسناد لها، فضلا عما بينها من تهافت و تضارب، و قد أنكرها ابن أبي الحديد بشدة على ما سنذكر.

قلت: و لحسن الحظ أن واضح هذه الروايات قد ذهب عنه أن الحسن - و هو غلام يافع - لم يكن له شأن ذلك اليوم، و لم يكن حاضر البصرة يوم الجمل، و لم يخرج إلى العراق بعد، إلّا في أيام طعن في السنّ و كبر، أيام عبد الملك بن مروان و ما بعده. كما يظهر من رواية الوراق: كان جابر بن زيد رجل أهل البصرة، فلما ظهر الحسن جاء رجل كأنما كان في الآخرة «٢». و جابر بن زيد توفي سنة (٩٣ أو ١٠٣) كان الحسن عند مقتل عثمان لم يبلغ الحلم. قال ابن سعد: كان للحسن يومذاك أربع عشرة سنة. قال أبو رجاء: قلت للحسن: متى عهدك بالمدينة؟ قال:

ليالي صفيين. قلت: متى احتممت؟ قال: بعد صفيين عاما «٣». و قال ابن حبان: احتلم سنة (٣٧)، و أدرك بعد صفيين «٤». و عليه فكان يوم الجمل غلاما حوالى البلوغ ما بين (١٤-١٥) سنة، فضلا (١) شرح النهج، ج ٤، ص ٩٥-٩٦.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٣) طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٤.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٨

عن كونه بالمدينة حينذاك و لم يخرج إلى العراق. و قد عرفت تصريح العلماء بذلك «١». و إليك من كلام ابن أبي الحديد في ذلك:

قال: فأما أصحابنا فإنهم يدفعون ذلك عنه و ينكرونه، و يقولون: إنه كان من محبى عليّ بن أبي طالب عليه السلام و المعظمين له. و روى أبو عمرو ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب» أن إنسانا سأل الحسن عن علي عليه السلام، فقال: كان و الله سهما صائبا من مرامى الله على عدوّه، و ربانيّ هذه الأمة و ذا فضلها، و ذا سابقتها، و ذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم لم يكن بالنؤمة عن أمر الله، و لا بالملومة في دين الله، و لا بالسروقة لمال الله. أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض موقنة، ذلك عليّ بن أبي طالب، يا لكع! «٢» و روى الواقدي، قال: سئل الحسن عن علي عليه السلام، و كان يظنّ به الانحراف عنه، و لم يكن كما يظنّ، فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: اثتمانه على براءة، و ما قال له الرسول في غزاة تبوك: فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستنائه، و

قول النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم: «الثقلان كتاب الله و عترتي»

، و أنه لم يؤمر عليه أمير قط، و قد أمرت الأمراء على غيره.

و

روى أبان بن أبي عياش، قال: سألت الحسن البصرى عن علي عليه السلام، فقال:

ما أقول فيه! كانت له السابقة، و الفضل، و العلم، و الحكمة، و الفقه، و الرأى، و الصحبة، و النجدة، و البلاء، و الزهد، و القضاء، و القرابة. إن عليا كان في أمره عليا. رحم الله عليا، و صلى عليه. (١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦-٢٧٠.

(٢) اللّكع: الأحمق و اللّثيم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٩

فقلت: يا أبا سعيد، أ تقول: «صلى عليه» لغير النبيّ! فقال: ترخم على المسلمين إذا ذكروا، و صلّى على النبيّ و آله، و عليّ خير آله.

فقلت: أ هو خير من حمزة و جعفر؟ قال: نعم. قلت: و خير من فاطمة و ابنيها؟

قال: نعم. و الله إنه خير آل محمد كلّهم. و من يشكّ أنه خير منهم، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: «و أبوهما خير

منهما! ولم يجز عليه اسم شرك، ولا شرب خمر.

وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لفاطمة عليها السَّلَام: «زَوَّجْتُكَ خَيْرَ أُمَّتِي!» فلو كان في أمته خير منه لاستثناه. ولقد آخى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه، فأخى بين عليّ و نفسه. فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خير الناس نفسا، وخيرهم أخوا.

فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذي يقال عنك، أنك قتله في عليّ؟ فقال: يا ابن أخي، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولو لا ذلك لثالت بي الخشب «(١)».

و ذكر أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي (ت ٤٤٩) أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصرى و إلى واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد و عامر الشعبي، أن يخبروه بقولهم في القضاء و القدر.

فكتب إليه الحسن: «ما أعرف فيه إلا ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السَّلَام فإنه قال: يا ابن آدم أزعمت أن الذي نهاك دهاك، و إنما دهاك أسفلك و أعلاك. و ربك برىء من ذاك».

و كتب إليه واصل: «ما أعرف فيه إلا ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السَّلَام فإنه قال: ما تحمد الله عليه فهو منه. و ما تستغفر الله عنه فهو منك».

و كتب إليه عمرو: «ما أعرف فيه إلا ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السَّلَام فإنه قال: إن (١) شرح النهج، ج ٤، ص ٩٥-٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٠

كان الوزر في الأصل محتوما، لكان الموزور في القصاص مظلوما.

و كتب إليه الشعبي: «ما أعرف فيه إلا ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السَّلَام: من وسع عليك الطريق، لم يأخذ عليك المضيق».

فلما قرأ الحجاج أجوبتهم، قال: قاتلهم الله، لقد أخذوها من عين صافية «(١)».

و قال الشريف المرتضى: و أحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل، الحسن بن أبي الحسن البصرى. كان يقول: من زعم أن المعاصى من الله - عزّ و جلّ - جاء يوم القيامة مسودّا وجهه، ثم قرأ: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ «(٢)» - و ذكر عنه كثيرا من أقواله في ذلك - ثم قال: و روى أبو بكر الهذلي «(٣)» أن رجلا قال للحسن: إن الشيعة تزعم أنك تبغض عليا عليه السَّلَام! فأكبّ يبكي طويلا، ثم رفع رأسه فقال: لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهما من مرامي ربنا - عزّ و جلّ - على عدوّه، ربّانى هذه الأمة، ذو شرفها و فضلها، و ذو قرابة من النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قريبه، لم يكن بالثؤمة عن أمر الله، و لا بالغافل عن حق الله، و لا بالسروقة من مال الله، أعطى القرآن عزائمه فيما له و عليه، فأشرف منها على رياض مونقة، و أعلام بينة. ذلك ابن أبي طالب، يا لكع! (١) كتر الفوائد (ط حجرية)، ص ١٧٠. و نقله الجزائرى في زهر الربيع، ج ٢، ص ٩٦-٩٧، باختلاف فى الترتيب مع نقص.

(٢) الرمز / ٦٠.

(٣) اسمه سلمى، و قيل: روح، ابن عبد الله بن سلمى البصرى. قال ابن حجر: هو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميرى. مات سنة (١٦٧) كان من علماء الناس بأيامهم. روى عن الحسن و ابن سيرين و الشعبى و عكرمة و قتادة. و روى عنه ابن جريج و وكيع و ابن

عبينه و آخرون. (تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ٤٥)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨١

.. قال: و أتى عليّ بن الحسين عليهما السَّلَام يوما الحسن البصرى، و هو يقصّ عند الحجر، فقال: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟

قال: لا، قال: فثمّ دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: ففله في أرضه معاذ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن

التطواف؟ «١».

و رواه ابن خلكان بتبديل لفظ «يا حسن» ب «يا شيخ»، و عقبه: فما قصّ الحسن بعدها «٢».

و ذكر أبو محمد الحسن بن علي ابن شعبة الحزاني (من أعلام القرن الرابع) كتابا للحسن البصري، بعث به إلى الإمام السبط الأكبر الحسن بن علي عليه السلام يسأله عن رأيه في القدر و الاستطاعة، و في مفتتح الكتاب ما ينبئ عن ولاء صميم و عقيدة ثابتة كان يحملها لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم جاء فيه:

«أما بعد فإنكم - معشر بني هاشم - الفلك الجارية في اللجج الغامرة، و الأعلام التيرة الشاهرة، أو كسفينة نوح التي نزلها المؤمنون و نجا فيها المسلمون.

كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر، و حيرتنا في الاستطاعة.

فأخبرنا بالذي عليه رأيك و رأى آبائك عليهم السلام فإن من علم الله علمكم، و أنتم شهداء على الناس، و الله الشاهد عليكم، ذرية بعضها من بعض، و الله سميع عليم «٣». (١) أمالي المرتضى، ج ١، ص ١٥٣ و ١٦٢.

(٢) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) تحف العقول (غفاري)، ص ٢٣١ و ذكر الكراجكي في كنز الفوائد، ص ١٧٠ مع اختلاف يسير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٢

و

روى الصدوق بإسناده في أماليه عن أبي مسلم، قال: خرجت مع الحسن البصري و أنس بن مالك حتى أتينا باب أم سلمة. فقعد أنس على الباب و دخلت مع الحسن، فسمعت الحسن و هو يقول:

السلام عليك يا أمّاه و رحمة الله و بركاته! فقالت: و عليك السلام، من أنت يا بنّي؟

فقال الحسن: أنا الحسن البصري.

فقالت: فيما جئت يا حسن! فقال لها: جئت لتحديثي بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقالت أم سلمة: و الله لأحدثتك بحديث سمعته أذناي من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و إنا فصمتا، و رأته عيناي و إنا فعميتا، و وعاه قلبي و إنا فطبع الله عليه، و أخرج لساني إن لم يكن سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

«يا علي، ما من عبد لقي الله يوم يلقاه جاحدا لولايتك إلا لقي الله بعبادة صنم أو وثن».

قال أبو مسلم: فسمعت الحسن البصري و هو يقول: الله أكبر، أشهد أنّ عليا مولاي و مولى المؤمنين.

فلما خرج قال له أنس بن مالك: ما لي أراك تكبر؟! قال: سألت أمنا أم سلمة أنّ تحدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في علي، فقالت لي: كذا و كذا ...

فقلت: الله أكبر أشهد أنّ عليا مولاي و مولى كلّ مؤمن.

قال أبو مسلم: فسمعت عند ذاك أنس بن مالك و هو يقول: أشهد على رسول

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٣

الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال هذه المقالة ثلاث مرات أو أربع مرات «١».

و أمّا القول بالقدر، - حسبما يفتره أهل العدل - «٢» فقد عرفت من السيد نسبه إليه، قال: «و أحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن البصري؛ قال: كل شيء بقضاء الله و قدره إلا المعاصي» «٣».

و لكن الأشاعرة- و هم جمهور أهل السنّة- لم يرقهم ذلك بشأن مثل الحسن البصرى الإمام المعترف به لدى الجميع، فجعلوا يتأولون كلامه فى ذلك أو يحملونه على رأيه القديم، و قد تاب منه و رجع إلى رأى الجماعة، كما زعموا.

قال أبو عبد الله الذهبى: و أما مسألة «القدر» فصَحَّ عنه الرجوع عنها، و أنها كانت زلقة لسان «٤». (١) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٤٢-١٤٣ رقم ٤ عن أمالى الصدوق مجلس ٤٧ (ط نجف)، ص ٣٨٩.

(٢) و هم المعتزلة و الإمامية من الشيعة. قالوا: كل شىء بقضاء الله و قدره، و حتى أفعال العباد الاختيارية، إنما تقع بإقداره تعالى، و إن كانت المعاصى إنما تقع منهيا عنها غير مرضية لديه تعالى، و إن المكلفين إنما يرتكبونها عن اختيارهم و عن إقداره تعالى، اختبارة لهم و تصحيحا للتكليف.

و هذا معنى قول الحسن: «كل شىء بقضاء الله و قدره إلّا المعاصى»، لأنّ الله لا يرضى لعباده الكفر، فكيف يجبرهم عليه؟! (و قد عرفت فيما نقلناه عن الكراجكى فى كتابه إلى الحجاج) فالمعصية إنما تقع لا عن رضى الله و كانت منهيا عنها البتة، غير أنّ الله تعالى أقدر العباد على فعلها اختبارة، و لولاه لم يصحّ التكليف و لا الذمّ و العقاب.

أما الأشاعرة فراقهم القول بأن «الخير و الشر» كليهما من الله، يقعان وفق إرادته تعالى، السابقة على إرادة العباد. و أنّ كل ذلك من فعل الله و ليس من فعل العبد فى شىء! (الملل و النحل للشهرستانى، ج ١، ص ٩١-الأشعرية-)

(٣) أمالى المرتضى، ج ١، ص ١٥٣.

(٤) ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٤٨٣ عند ترجمة سمية البغدادى برقم ١٨٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٤

و روى ابن سعد عن حماد بن زيد عن أيوب، قال: نازلت الحسن فى القدر غير مرّة، حتى خوّفته السلطان، فقال: لا أعود فيه بعد اليوم. و عن أبى هلال، قال:

سمعت حميدا و أيوب يتكلمان، فسمعت حميدا يقول لأيوب: لوددت أنّه قسم علينا غرم، و أن الحسن لم يتكلم بالذى تكلم به، قال أيوب: يعنى فى القدر! «١».

قال عبد الكريم الشهرستانى: و رأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصرى كتبها إلى عبد الملك بن مروان «٢» و قد سأله عن القول بالقدر و الجبر، فأجابها فيها بما يوافق مذهب القدرية. و استدلت فيها بآيات من الكتاب و دلائل من العقل. قال:

و لعلها لواصل بن عطاء، فما كان الحسن ممّن يخالف السلف فى أن القدر خير و شرّه من الله تعالى. فإن هذه الكلمات كالمجمع عليها عندهم. قال: و العجب أنه حمل هذا اللفظ (الخير و الشر كلّ من الله) الوارد فى الخبر، على البلاء و العافية، و الشدة و الرخاء، و المرض و الشفاء، و الموت و الحياة، إلى غير ذلك من أفعال الله تعالى، دون الخير و الشر، و الحسن و القبيح، الصادرين من اكتساب العباد، و كذلك أورده جماعة من المعتزلة فى المقالات عن أصحابهم «٣».

و للحسن البصرى آراء معروفة فى التفسير، و كانت روايته المشهورة عن طريق عمرو بن عبيد المعتزلى (توفى سنة ١٤٤)، و استخدمه الثعلبى فى كتابه (١) الطبقات، ج ٧، ق ١، ص ١٢٢.

(٢) ينسب له القاضى عبد الجبار رسالة فى العدل و التوحيد، أرسلها إلى عبد الملك بن مروان. (هامش الأصول الخمسة، ص ١٣٧) قال المحقق التستري: و الرسالة رأيتها فى مكتبة الطهرانى بكرىبلاء، و هى كما قال الشهرستانى رسالة حسنة مشتملة على أدلة متقنة.

(قاموس الرجال، ج ٣، ص ١٣٧)

(٣) الملل و النحل، ج ١، ص ٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٥

«الكشف و البيان». و توجد منه بقايا فى تاريخ الطبرى بهذه الرواية: «حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن عمرو بن

عبید عن الحسن ...». قال شواخ: و يبدو أن الطبری كان يستخدم نقول ابن إسحاق، كما قال فؤاد سزکین. و توجد بقايا كثيرة من هذا الكتاب في كتب التفسير «١». و له أيضا «نزول القرآن» و كتاب «العدد في القرآن»، على ما ذكره الشيخ حسن خالد «٢».

### ١٠- علقمة بن قيس

أبو شبل أو أبو شبيب النخعي الكوفي، كناه بذلك عبد الله بن مسعود؛ إذ كان علقمة عقيما لا يولد له. ولد في حياة النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم، روى عن علي عليه السَّلام و ابن مسعود- و كان خصيصا به- و حذيفة و أبي الدرداء و سلمان (رضي الله عنهم) و روى عنه ابن أخيه الأسود بن يزيد بن قيس، و ابن اخته إبراهيم بن يزيد النخعي، و إبراهيم بن سويد النخعي، و عامر الشعبي، و أبو وائل شقيق بن سلمة.

و شهد صفين مع علي عليه السَّلام، و قاتل حتى خضب سيفه دما، و عرجت رجله، و أصيب أخوه أبي بن قيس. و كان يقال له: أبي الصلاة، قيل له ذلك لكثرة صلواته.

قال نصر بن مزاحم: و قطعت رجل علقمة بن قيس الفقيه، فكان يقول: ما أحب؛ أن رجلى أصح ما كانت، لما أرجو بها من حسن الثواب من ربِّي. و لقد كنت أحب أن أبصر في نومي أخي و بعض إخواني، فرأيت أخي في النوم، فقلت له: يا أخي، ما ذا قدمتم عليه؟ فقال: التقينا نحن و القوم فاحتججنا عند الله عزَّ (١) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦١ رقم ٩٩٦.

(٢) معجم المفسرين، ج ١، ص ١٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٦

و جلَّ فحججناهم. فما سررت بشيء مذ عقلت، كسروري بتلك الرؤيا «١».

قال الخطيب: و كان علقمة مقدما في الفقه و الحديث، و ورد المدائن في صحبة علي عليه السَّلام، و شهد معه حرب الخوارج بالنهروان. و عن الأعمش عن مسلم البطين، قال: رأى علقمة خاضبا سيفه يوم النهروان مع علي عليه السَّلام، كما شهد صفين أيضا مع علي عليه السَّلام «٢».

و غزا خراسان و أقام بخوارزم سنتين، و دخل مرو فأقام بها مدة. قال ابن سعد: كانت سنتين أيضا.

كان علقمة أعلم الناس بعبد الله بن مسعود، و كان أحد السنَّة من أصحاب عبد الله الذين يقرءون الناس و يعلمونهم السنَّة، و يصدر الناس عن رأيهم «٣».

و كان أشبه الناس بابن مسعود، هديا و سمتا و دلا. قال أبو المثني رباح: إذا رأيت علقمة فلا يضرك أن لا ترى عبد الله، أشبه الناس به سمتا و هديا. و إذا رأيت إبراهيم فلا يضرك أن لا ترى علقمة. و كان من الربانيين، على حدَّ تعبيرهم.

و كان ابن مسعود تعجبه قراءة علقمة، كان حسن الصوت. فكان يقول له:

زدنا فداك أبي و أمي، فإنني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم يقول: حسن الصوت زينة للقرآن. و كان يقول: رتل فداك أبي و أمي!

و كان عبد الله يقول: ما أقرأ شيئا و لا أعلمه إلَّا علقمة يقرؤه و يعلمه. قال الشعبي: إن كان أهل بيت خلقوا للجنة (١) وقعوا صفين لنصر بن مزاحم، ص ٢٨٧.

(٢) تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٩٧.

(٣) و هم: علقمة بن قيس، و الأسود بن يزيد، و مسروق بن الأجدع، و عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني، و عمرو بن شرحبيل، و

الحارث بن قيس الجعفي، قتل مع علي (ع) (تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٩٩)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٧

فهم أهل هذا البيت علقمة و الأسود.

كان علقمة قوياً الحافظة، قال: ما حفظت و أنا شاب فكأنما أقرأه في ورقة.

و كان يتحاشا فضول الأمراء و السلاطين. كان يقول: لا أصيب من دنياهم شيئا إلّا أصابوا من ديني أفضل منه.

أخرج ابن سعد بإسناده إلى إبراهيم النخعي: أن أبا بردة (ابن أبي موسى الأشعري) كتب علقمة في الوفد إلى معاوية. فكتب إليه علقمة: امحني، امحني.

و لمّا جمعت لابن زياد البصرة و الكوفة، سأل أبا وائل أن يصحبه، قال فأتيت علقمة، فقال لي: اعلم أنك لا تصيب منهم شيئا إلّا أصابوا منك أفضل منه.

كان يقول: تذاكروا العلم، فإن حياته ذكره. و كان ثقة كثير الحديث، مجمعا على وثاقته.

و من حسن معاشرته مع أهله أنه كان يقول لامرأته: اطعمينا من ذلك الهنيء المرء، إشارة إلى قوله تعالى: فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِينًا مَرِيئًا «١».

توفى بالكوفة سنة (٦٢) في ولاية عبيد الله بن زياد في خلافة يزيد «٢».

و عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «٣» قال الكشي: (١) النساء / ٤.

(٢) الطبقات، ج ٦، ص ٥٧-٦٢. و تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٢٧٧-٢٧٨. و تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٩٦-٣٠٠.

(٣) رجال الطوسي، ص ٥٠ رقم ٧٢ و ص ٥٣ رقم ١١٥ و فيه: قتل بصفين و أخوه أبي بن قيس.

و هكذا نقل عنه ابن داود (ص ١٣٤ رقم ١٠٠٧) و زاد: هو و أخوه. و هكذا العلامة في الخلاصة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٨

و كان علقمة فقيها في دينه، قارئا لكتاب الله، عالما بالفرائض. شهد صفين و أصيبت إحدى رجله فخرج منها. و كان الحارث أخوه أيضا فقيها جليلا، و كان أعور. و أما أخوه الآخر أبي بن قيس فقتل يوم صفين «١».

كان علقمة بن قيس من الثقات العشرة الذين خصّوا بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام،

فقد روى ثقة الإسلام الكليني في كتاب الرسائل عن علي بن إبراهيم القمي بإسناده، قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتابا بعد منصرفه من النهروان، أعرب فيه عن موضعه في إمرة المؤمنين. و أشهد عليه ثقافته من أصحابه المقربين، و أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع أن يقرأه على ملا من الناس.

قال: فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع - و كان أبو رافع كاتب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - فقال له: أدخل علي عشرة من ثقاتي، فقال: سمهم لي يا أمير المؤمنين، فقال: أدخل: أصبغ بن نباتة، و أبا الطفيل عامر بن وائلة الكناني، و زر بن حبيش الأسدي، و جويرية بن مسهر العبدي، و خندف بن زهير الأسدي، و حارثة بن مضرب الهمداني، و الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، (و مصباح النخعي «٢») و علقمة بن قيس، و كميل بن زياد، و عمير بن زرارة، فدخلوا عليه (ص ١٢٩ رقم ٥) قلت: و الظاهر زيادة الواو في نسخة الشيخ زيادة من نساخ الكتاب. لأن علقمة أصيب برجله في صفين و لم يقتل. و توفى سنة (٦٢ أو ٧٢) و المقتول أخوه أبي بن قيس. فالصحيح في العبارة:

«قتل بصفين أخوه أبي بن قيس» و الله العاصم.

(١) رجال الكشي، ص ٩٣ رقم ٣٦ و ٣٧ و ٣٨.

(٢) زيادة في طبعة النجف. ليست في نسخة صاحب الوسائل، و هي الصحيحة، لأنه زيادة على العشرة. و لم يعهد من أصحابه عليه السلام من يحمل هذا الاسم، لكن في عبارة المامقاني ما يدل على أنه

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٩

الخ «١».

و عدّه الفضل بن شاذان من التابعين الكبار و من رؤسائهم و زهادهم. روى الكشّي عنه قال: و من التابعين الكبار و رؤسائهم و زهادهم: جندب بن زهير، و عبد الله بن بديله، و حجر بن عدّي، و سليمان بن صرد، و المسيّب بن نجية، و علقمة، و الأشتر، و سعيد بن قيس، و أشباههم كثير. أفناهم الحرب، ثم كثروا بعد ذلك حتى قتلوا مع الحسين عليه السلام، و بعده «٢».

### ١١- محمد بن كعب القرظي «٣»

أبو حمزة، و قيل: أبو عبد الله، المدني. سكن الكوفة ثم المدينة. و قال في الخلاصة: المدني ثم الكوفي أحد العلماء. قال ابن عون: ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي «٤». و

قال ابن سعد- في ترجمة أبي بردة-: روى عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم قال: سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد بعده

. قال ربيعة: فكنا نقول: هو محمد بن كعب القرظي، و الكاهنان قريظة و النضير «٥». و وصف لعلقمة هكذا: و مصباح النخع علقمة بن قيس، و هو من أجمل الأوصاف و وصفه به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك الفرض. راجع: تنقيح المقال، ج ٢، ص ٢٥٩ رقم ٨٠٧١.

(١) كشف المحجة للسيد رضى الدين أبي القاسم ابن طاوس، ص ١٧٣ (ط نجف) و رواه صاحب الوسائل (ج ٢٠، ص ٨٩) في الفائدة السابعة من الخاتمة.

(٢) رجال الكشّي، ص ٦٥ رقم ١٩.

(٣) كان أبوه من سبي قريظة ممن لم يحتلم و لم ينبت فخلّوا سبيله. تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٢٢ نقلا عن البخارى.

(٤) خلاصة تهذيب التهذيب، ص ٣٥٧.

(٥) طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ٢، ص ١٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٠

قال ابن حجر: روى عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و عبد الله بن مسعود، و أبي ذر، و أبي الدرداء، و زيد بن أرقم، و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، و البراء بن عازب، و جابر بن عبد الله، و أنس و غيرهم. و عن ابن سعد: كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا. و قال العجلي: مدنيّ تابعي ثقة، رجل صالح، عالم بالقرآن. و قال ابن حبان: كان من أفاضل أهل المدينة، علما و فقهيا.

توفّي سنة (١٠٨) و هو ابن (٧٨) قيل: مات في حادث سقوط سقف المسجد، فمات هو و جماعة معه تحت الهدم «١».

ملحوظة: قال الترمذى: سمعت قتيبة يقول: بلغني أنّ محمد بن كعب ولد في حياة النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم. قال ابن حجر: و هذا لا حقيقة له، إنما الذي ولد في عهده هو أبوه. أما هو فقد ولد في آخر خلافة علي عليه السلام سنة (٤٠) «٢».

قلت: روايته عن علي و ابن مسعود و أبي ذر و أمثالهم تدل على سبق ولادته سنة (٤٠) بكثير، و لا سيّما مع التصريح بأنه مات سنة (١٠٨) و هو ابن (٧٨) فيبدو أنّ ولادته كانت في خلافة عمر سنة (٢٠) و أيضا روى ابن شهر آشوب بإسناده إلى محمد بن منصور السرخسي عن محمد بن كعب القرظي، أنه رأى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم في المنام، و أعطاه (١٨) تمرة، فتأوّل أنه يعيش (١٨) سنة. فنسى ذلك، حتى رأى يوما ازدحام الناس على الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام و هو في طريقه إلى خراسان، و بين يديه طبق تمر، فناوله الإمام (١٨) تمرة. فسأله الزيادة، فقال: لو زادك جدّي رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم (١) تهذيب

التهذيب، ج ٩، ص ٤٢٠-٤٢٢ رقم ٤٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢١-٤٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩١

لزدناك. انتهى ملخصاً «١».

قلت: و لعل هذه القصة منسوبة إلى ابنه حمزة أو عبد الله أو أحد أحفاده؛ لأن سفره الإمام إلى خراسان كانت في سنة (٢٠٠) «٢».

نعم روى الصدوق رحمه الله هذه الرواية ناسبا لها إلى أبي حبيب النجاشي «٣».

#### ١٢- أبو عبد الرحمن السلمى

هو عبد الله بن حبيب الكوفى. كان من أصحاب ابن مسعود، و شهد مع علي عليه السلام صفين. كان ثقة كثير الحديث. قال ابن عبد

البرز: هو عند جميعهم ثقة، و كان قارئا و معلما للقرآن «٤». و كان عاصم قد أخذ عنه القراءة عن علي عليه السلام.

و أخرج ابن عساكر بإسناده إلى أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمى قال: «ما رأيت أحدا أقرأ

لكتاب الله من علي بن أبي طالب عليه السلام «٥».

و قد ذكرنا حديثه عن تعلم الصحابة لتفسير القرآن عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم «٦». توفي سنة (٧٢)

#### ١٣- مسروق بن الأجدع

أبو عائشة الهمداني الوداعى الكوفى، الفقيه العابد. أخذ العلم عن علي بن أبي طالب عليه السلام و لم يتخلف عن حروبه. و هكذا

روى عن ابن مسعود، و كان خصيصا (١) مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٤٢. و البحار، ج ٤٩، ص ١١٨-١١٩ رقم ٥ (ط بيروت)

(٢) تنمئة المنتهى، ص ٢٩٤.

(٣) البحار، ج ٤٩، ص ٣٥ رقم ١٥. و عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢١٠-٢١١ (ط نجف)

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٨٣ رقم ٣١٧.

(٥) جامع الأخبار و الآثار للأبطحى، ج ١، ص ٢٧٢.

(٦) راجع: الطبرى- التفسير، ج ١، ص ٢٧ و ٢٨ و ٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٢

بالتلمذة لديه. و روى عن معاذ بن جبل، و الخباب بن الأرت، و أبي بن كعب. كان أبوه الأجدع بن مالك أفرس فارس باليمن، و كان

عمرو بن معديكرب خاله.

قال الشعبى: ما رأيت أطلب للعلم منه. و كان أعلم بالفتوى من شريح، و من ثم كان شريح يستشيره إذا أعوزه الرأى.

قال علي بن المدينى: ما أقدم على مسروق من أصحاب عبد الله بن مسعود أحدا. و كان من أصحابه الذين يعلمون الناس السنة. كان

مقرئا و مفتيا معا. قال ابن حجر: مناقبه كثيرة، «١» مات سنة (٦٣) و كان على غزارة من العلم، حريصا على الأخذ من كبار العلماء من

صحابه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم. و قد تقدم حديث اجتماعه مع أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم فوجدهم

كالإخاذ، يروى الواحد الرجل، و يروى الرجلين، و العشرة، و المائة. و الإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم «٢»، يعنى عليا عليه

السلام.

و اتهم بالانحراف عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و لابن أبي الحديد بشأنه و شأن الأسود بن يزيد الآتى، و كذا مرّة الهمداني و

الشعبى كلام نقله بتفصيله:



قال: ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله و وجدته أيضا في كتاب «الغارات» لإبراهيم بن هلال الثقفي: و قد كان بالكوفة من فقهاها من يعادى عليا عليه السلام و يبغضه، مع غلبة التشيع على الكوفة.

فمنهم مرّة الهمداني. روى أبو نعيم الفضل بن دكين عن فطر بن خليفة، قال:

سمعت مرّة يقول: لأن يكون عليّ جملا يستقى عليه أهله خير له مما كان عليه! (١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١٠٩-١١١.  
(٢) مرّ ذلك في صدر الكلام عن تفاوت الصحابة في العلم.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٣

و عن عمرو بن مرّة، قال: قيل لمرّة: كيف تخلّفت عن عليّ؟ قال: سبقنا بحسناته، و ابتلينا بسبائته.

و روى ابن دكين عن الحسن بن صالح، قال: لم يصلّ أبو صادق «١» على مرّة الهمداني. و قال- في أيام حياته:- و الله لا يظنني و إياه سقف بيت أبدا. قال: و لما مات لم يحضره عمرو بن شرحبيل «٢»، قال: لا أحضره لشيء كان في قلبه على عليّ بن أبي طالب. قال إبراهيم بن هلال: فحدّثنا المسعودي عن عبد الله بن نمير بهذا الحديث. قال: ثم كان عبد الله بن نمير «٣» يقول: و كذلك أنا، و الله لو مات رجل في نفسه شيء على عليّ عليه السلام لم أحضره، و لم أصل عليه.

قال: و منهم الأسود بن يزيد، و مسروق بن الأجدع. روى سلمة بن كهيل:

أنهما كانا يمشيان إلى بعض أزواج النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فيقعان في عليّ عليه السلام. فأما الأسود فمات على ذلك. و أما مسروق فلم يمت حتى كان لا يصلّي لله تعالى صلاة إلا صلّى بعدها على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لحديث سمعه من عائشة في فضله «٤». (١) ذكر الشيخ فيمن عرف بكنيته من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبا صادق. و هو ابن عاصم ابن كليب الجرمي، عربي كوفي (رجال الطوسي، ص ٦٣ رقم ١٢) و قال ابن حجر: أزدي كوفي، اسمه مسلم أو عبد الله. ذكره ابن حبان في الثقات و كان ورعا مستقيما الحديث. (تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ١٣٠)

(٢) أبو ميسرة الهمداني الكوفي صاحب ابن مسعود، العابد الزاهد الثقة الجليل مات سنة ٦٣. (تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٤٧)

(٣) أبو هاشم الهمداني الكوفي. قال ابن سعد: كان ثقة. كثير الحديث صدوق. مات سنة ١٩٩ (تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٥٧-٥٨)

(٤)

في مسند أحمد بن حنبل بإسناده عن مسروق قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدي و من أحبهم التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٤

عن ليث بن أبي سليم، قال: كان مسروق يقول: كان عليّ كحاطب ليل. قال:

فلم يمت مسروق حتى رجع عن رأيه هذا.

و روى سلمة بن كهيل، قال: دخلت أنا و زييد اليمامي على امرأة مسروق بعد موته، فحدّثتنا، قالت: كان مسروق و الأسود بن يزيد يفرطان في سبّ عليّ بن أبي طالب، ثم ما مات مسروق حتى سمعته يصلّي عليه. و أمّا الأسود فمضى لشأنه.

قال: فسألناها: لم ذلك؟ قالت: شيء سمعه من عائشة، ترويه عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فيمن أصاب الخوارج.

و عن أبي إسحاق، قال: ثلاثة لا يؤمنون على عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

مسروق، و مرّة، و شريح، و روى أنّ الشعبي رابعهم.

و عن الشعبي: أن مسروقا ندم على إبطائه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام «١».

و روى الكشي عن أبي الحسن عليّ بن محمد بن قتيبة صاحب الفضل بن إليّ، فهل عندك علم من المخدج؟ (هو ذو الخويصرة ذو الثدية رأس الخوارج) فقلت: نعم، قتله عليّ ابن أبي طالب، على نهر يقال لأعلاه: تأمرا و لأسفله النهروان، بين لخاقيق و طرفاء. قالت: ابغني على ذلك بينه، فأقمت رجلا شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها: سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعت من رسول الله صلّى

اللّه عليه وآله و سلّم فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: «إنهم شر الخلق و الخليفة، يقتلهم خير الخلق و الخليفة، و أقربهم عند الله وسيلة». (شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٦٧)، و

في كتاب صفين للمدائني، عن مسروق، أن عائشة قالت له - لما عرفت أن عليا عليه السلام قتل ذا النديّة -: لعن الله عمرو بن العاص، فإنه كتب إلي يخبرني أنه قتله بالإسكندرية، ألا إنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله و سلّم يقول: «يقتله خير أمتي من بعدى». (شرح النهج، ج ٢، ص ٢٦٨) (١) شرح النهج، ج ٤، ص ٩٦ - ٩٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٥

شاذان، و تلميذه و راوية كتبه، قال: سئل أبو محمد الفضل بن شاذان عن الزهاد الثمانية، فعدهم منهم أربعة كانوا مع عليّ عليه السلام زهادا أتقياء، و هم: الربيع بن خثيم، و هرم بن حيان، و أويس القرني، و عامر بن عبد قيس. و الأربعة الباقون لم يكونوا على تلك الصفة، أحدهم مسروق بن الأجدع، قال: و كان عشّارا لمعاوية. و مات في عمله ذلك، بموضع أسفل من واسط على دجلة، يقال له: الرصافة، و قبره هناك «١».

و روى الطبري الإمامي - في المسترشد -: أن مسروقا و مرّة الهمداني رغبا عن الخروج مع عليّ عليه السلام و أخذوا أعطياتهما منه، و خرجا إلى قزوين. و كان مسروق يلي الخيل لعبيد الله بن زياد. و مات عاشرا، و أوصى أن يدفن مع مقابر اليهود. و كان يعلّل ذلك بأنه سوف يخرج من قبره و ليس من يؤمن بالله و رسوله سواه. قال: و كان من المحرضين لنصرة عثمان، و يقول لأهل الكوفة: انهضوا إلى خليفتمكم و عصمة أمركم «٢».

و روى الثعلبي - في تفسيره - أنه وقف - في صفين - بين الصّفين، و تلا قوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» «٣». هذا كل ما ذكر بشأن الرجل و القدر فيه، و لننظر مدى صحته:

أما مسألة إبطائه عن عليّ - على ما روى عن الشعبي «٤» - أو تخلفه عن (١) رجال الكشي ذيل ترجمة عوف العقيلي، رقم ٣٤، ص ٩٠ - ٩١ (ط نجف)

(٢) قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٥ - ٤٧٦.

(٣) النساء / ٢٩. قاموس، ج ٨، ص ٤٧٦.

(٤) أخرج عنه ابن سعد في الطبقات (ج ٦، ص ٥١) قال: و لم يكن شهد معه شيئا من مشاهدته!

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٦

صفين «١» - على ما ذكره الطبري الإمامي - فتتنافى مع نص أصحاب التراجم و غيرهم، على أنه شهد مشاهدته كلّها؛ قال ابن حجر العسقلاني: قال و كيع «٢» و غيره: «لم يتخلف مسروق عن حروب عليّ عليه السلام» «٣».

و أخرج ابن سعد بإسناده عن محمد بن المنتشر عن مسروق بن الأجدع، قال: كان فسطاطي أيام الحكمين إلى جنب فسطاط أبي موسى الأشعري، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا بمعاوية من الليل. فلما أصبح أبو موسى رفع رفر فسطاطه، فقال: يا مسروق، إن الإمرة ما أوتمر فيها، و أن الملك ما غلب عليه بالسيف «٤».

قال الخطيب: و كان مسروق ممّن حضر مع عليّ عليه السلام حرب الخوارج بالنهر و ان.

أخرج بإسناده عن ابن أبي ليلى، قال: شهد مسروق النهر مع عليّ، (١) جاء في كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ (ط دار صادر بيروت): أن عليا عليه السلام لما عسكر بالنخيلة، تخلف عنه نفر من أهل الكوفة، منهم: مرّة الهمداني و مسروق، و أخذوا أعطياتهما و قصدا قزوين. فأما مسروق فإنه كان يستغفر الله من تخلفه عن عليّ بصّفين.

(٢) هو: و كيع بن الجراح بن مريح الرواسي الكوفي. كان حافظا ثقة مأمونا و عابدا ناسكا صدوقا، و كان جهبذا من العلماء الأعلام، ما رؤى أخشع منه و لا أرغب منه عن الدنيا. و قد أجمع على صدقه و أمانته و وثاقته الأئمة من أصحاب الحديث، و كان معروفا بالتشيع

لآل بيت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال ابن معين: رأيت عند مروان بن معاوية لوحا مكتوبا فيه أسماء الشيوخ و نعتهم، و كان فيه: «و كيع رافضى». و قال محمد بن مروان: ما وصف لى أحد إلّا رأيتَه دون الصفة إلّا وكيع، فإنى رأيتَه فوق ما وصف لى. ولد سنة (١٢٨)، و توفى سنة (١٩٦) مات يوم عاشوراء فى طريقه راجعا من حج بيت الله الحرام. (تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٢٥-١٣٠)

(٣) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١١١.

(٤) الطبقات، ج ٤، ق ١، ص ٨٤. عند ترجمة أبى موسى (ط ليدن)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٧

فلما قتلهم قام على و فى يده قدوم ف ضرب بابا، و قال: صدق الله و رسوله «١».

قلت: هذا الذى روى عن الشعبى، لعله كسائر ما روى عنه أنه لم يشهد الجمل من الصحابة سوى على و عمار و طلحة و الزبير. قالوا- إن صحت الرواية:- فهذا من أفحش كذبه «٢»، و الظاهر أنه مكذوب عليه؛ لأنه هو القائل عن تناقل أهل المدينة للخروج مع على عليه السلام فى واقعة الجمل: ما نهض فى تلك الفتنة إلّا ستة بدريون، منهم: أبو الهيثم ابن التيهان، و خزيمه بن الثابت ذو الشهادتين و غيرهما «٣».

و أما ما ذكره من أنه وقف بين الصيقتين فى صفين، و جعل يثبط الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام و تلا قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا- تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ. وَ لا- تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا «٤»، ففيه مواضع من الخلط و الاشتباه:

أولاً:- إن هذا متناف مع قولهم: إنه تخلف عن حرب صفين، فى نفر من أهل الكوفة، و خرج إلى قزوين يرافقه مرّة الهمداني «٥». و الأرجح- إن صح الخبر- أنه مسروق العكى، كانت له رؤية، و كان مع معاوية يحرضه على عدم الطاعة لعلى عليه السلام «٦». (١) تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٣٢. القدوم: آله للنحت و النجر.

(٢) قاموس الرجال، ج ٥، ص ١٩٠.

(٣) الكامل فى التاريخ، ج ٣، ص ٢٢١.

(٤) النساء/ ٢٩.

(٥) قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٥-٤٧٦. و كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٦) ذكره ابن حجر فى الإصابة، ج ٣، ص ٤٠٨، رقم ٧٩٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٨

و ثانيا: هذا من كلام أبى موسى الأشعري لأهل الكوفة، كان يثبطهم عن النهوض مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند ما أتاهم رسل الإمام لينهضوا بهم إلى حرب الجمل. و قد ذكره الطبرى فى حوادث سنة (٣٦) فكان فيما قال: أيها الناس، إنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، و القاعد فيها خير من القائم.

فأغمدوا السيوف، و انصلوا الأستنة. و قد جعلنا الله إخوانا، و حرّم علينا دماءنا و أموالنا، و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ..

وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. و قال: وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ «١».

و ثالثا: إن هذا الموضوع عن لسانه، قد حصل فيه خلط غريب، بموجب أن الكذوب تخونه ذاكرته! فقد أخرج ابن سعد عن الشعبى- و كان يزعم أنه لم يخرج فى شىء من حروب على عليه السلام- قال: كان مسروق إذا قيل له: أبطأت عن على و عن مشاهدته؟

و لم يكن شهد معه شيئا من مشاهدته، فأراد أن يناصهم الحديث، قال: أذكركم بالله، أ رأيتم لو أنه حين صف بعضكم لبعض، و أخذ

بعضكم على بعض السلاح، يقتل بعضكم بعضاً، فتح باب من السماء، و أنتم تنظرون، ثم نزل منه ملاك حتى إذا كان بين الصّفيين، قال: يا أيّها الذين آمنوا لا- تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم و لا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيماً أ كان ذلك حازماً بعضكم عن بعض؟ قالوا: نعم، قال: فو الله لقد فتح لها باباً من السماء، و لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم صلى الله عليه و آله و سلم و أنها لمحكمة في المصاحف، (١) الطبري- التاريخ- (ط دار المعارف مصر)، ج ٤، ص ٤٨٢-٤٨٣. و الآيات من سورة النساء (رقم ٢٩ و ٩٣)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٩

ما نسخها شيء.

هكذا روى ابن سعد روايتين بهذا اللفظ، أسندهما إلى الشعبي.

ثم أخرج عن عاصم رواية مرسله، قال: و ذكر أن مسروقاً بنفسه أتى صفيين فوقف بين الصّفيين ثم قال: يا أيّها الناس، أ رأيتم لو أن الخ ثم انساب بين الناس فذهب! و لعل ذاكر الخبر- و هو مجهول الهوية- اشتبه عليه لفظه «حتى إذا كان بين الصّفيين..» في الخبر المزعوم، فزعم أن الضمير يعود إلى مسروق، في حين أنه عائد إلى الملك، حسب المزعومة! «١» و يحتمل أن مسروقاً هذا هو العكّي صاحب معاوية. كان من وجوه أهل الشام و كانت له صحبة. كان يحرض معاوية على الخروج من الطاعة و القيام بطلب دم عثمان، فكان شديداً على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تلك المواقف. ذكره ابن حجر في الإصابة «٢».

و أما القول بأنه كان عشّاراً لمعاوية «٣»، و أن زيادا استعمله على السلسلة، و مات بها سنة ٦٢ (أو ٦٣) «٤»، و كان مسروق متذمراً من عمله ذلك، و كان يقول:

لم يدعني ثلاثة: زياد، و شريح، و الشيطان، اكتفوني و لم يزالوا يزينونه لي حتى أوقعوني فيه. و كان يقول: ما عملت عملاً قط أخوف عليّ من أن يدخلني النار من (١) راجع: طبقات ابن سعد، ج ٦ (ط ليدن)، ص ٥١-٥٢.

(٢) الإصابة، ج ٣، ص ٤٠٨، رقم ٧٩٣٤.

(٣) الكشي، ص ٩٠-٩١ رقم ٣٤. و قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٦.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٠

عملي هذا. و كان بها حتى مات. قال ابن سعد: و مات بالسلسلة بواسطة، و قبره هناك يزار «١». و أخرج عن أمّ قيس، قالت: مررت على مسروق بالسلسلة، و معي ستون ثورا تحمل الجبنّ و الجوز، فسألها مسروق، قال: ما أنت؟ قالت: مكاتبه.

قال: خلوا سبيلها فليس في مال المكاتب زكاة «٢».

و روى الكشي عن الفضل بن شاذان: أن مسروقاً كان عشّاراً لمعاوية، و مات في عمله ذلك بموضع أسفل من واسط على دجلة يقال له: الرصافة، و قبره هناك «٣».

فهذا كله مما لا نستطيع الموافقة عليه، حيث مخالفته مع واقع التاريخ:

أولاً: إذا كانت الستتان اللتان استعمله زياد فيهما على السلسلة، هما الأخيرتان من حياة مسروق؛ إذ قد توفّي في عمله ذلك، فهذا يعني بعد عام الستين، الأمر الذي لا ينسجم مع كون هلاك زياد في سنة (٥٣) المتفق عليه عند أرباب التاريخ «٤».

فعلّ مسروقاً هذا غير ابن الأجدع المتوفّي سنة (٦٣) إما ابن وائل الحضرمي «٥»، أو العكّي «٦»، أو غيرهما. (١) الطبقات، ج ٦، ص ٥٥-٥٦ (ط ليدن)

(٢) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٦٤ (ط ليدن)

(٣) رجال الكشي، ص ٩١.

(٤) الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٩٣ حوادث سنة ٥٣ (ط دار صادر)

(٥) وقد كان في أوائل الخيل لعبيد الله بن زياد في واقعة الطفّ. و سندكره.

(٦) ذكره ابن حجر في الإصابة (ج ٣، ص ٤٠٨ رقم ٧٩٣٤) و كان من وجوه أهل الشام عند معاوية، و قد أتاه رسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالطاعة، فكان مسروق العكّي ممن هدّد معاوية لو أجاب، و جعل يحرضه على التمردّ و الطلب بدم عثمان! التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠١

ثانيا: إنّ سلسل، طسوج «١» من ثمانية طساسيج كورة شاذقباد، و تسمى كورة دجلة. قال ياقوت: كورة بشرقي بغداد، و تشتمل على ثمانية طساسيج: رستقباد، و مهروذ، و سلسل، و جلولاء، و البنديجين، و براز الروز، و الدسكرة، و الرستاقين. قال: و يضاف إلى كل واحدة من هذه لفظة «طسوج» أي ناحية كذا «٢».

و عليه فمن البعيد جدا أن يستعمل مثل مسروق بن الأجدع- العالم الكبير و الراوي القدير- لمثل تلك المنطقة الصغيرة البعيدة عن مراكز العلم و الثقافة، و لا- سيّما إذا كان العمل مثل عمل العشارين! الأمر الذي لا نكاد نصدقه بشأن مثل ابن الأجدع الإمام القدوة الذي هو أحد الأعلام. و من ثم رجّحنا أن يكون العامل غير هذا.

و ثالثا: ذكر الخطيب البغدادي: أن مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ثم الوداعي، و يكتنى أبا عائشة، توفي سنة (٦٣) بالكوفة، و كان له (٦٣) سنة «٣».

غير أن ابن الأثير قال: و توفي بمصر مسروق بن الأجدع سنة (٦٢ أو ٦٣) «٤».

كما ذكر ابن حجر أنه توفي بسلسل «٥». فهناك ثلاثة أقوال في موضع قبره، و الصحيح هو القول الأول، بدليل الاعتبار. أما الذي توفي بمصر فلعله العكّي صاحب معاوية. أما العامل بسلسلة العشار فيحتمل كونه ابن وائل، و الله العالم. (١) بفتح الطاء و تشديد السين المضمومة، بمعنى الناحية. قال الفيروزآبادي: بلدة بشاطئ دجلة.

(٢) معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٤-٣٠٥. و قال في ص ٢٣٦: سلسل نهر في سواد العراق، يضاف إلى طسوج من محافظة شاذقباد من الجانب الشرقي.

(٣) تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٣٥.

(٤) الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١١٠.

(٥) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٢

و أما أنه كان على الخيل لعبيد الله بن زياد- على ما جاء في المسترشد «١»- فلعله من الوهن بمكان؛ لأنّ ذاك هو مسروق بن وائل الحضرمي من أجناد الكوفة، الذين خرجوا لقتال الحسين بن عليّ عليهما السلام في واقعة الطفّ ب كربلاء. قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن أخيه مسروق بن وائل، قال: كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد ... «٢». و كان قد أدرك حياة النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و قدم عليه في وفد حضر موت «٣».

أمّا دفاعه عن عثمان فلعله كان لمحض الحفاظ على الوحدة دون تفرقة الكلمة، و ليس عن عقيدة بشأنه في نفسه، و من ثم ذكروا أنه روى عن أبي بكر و عمر و عليّ و ابن مسعود و أبي بن كعب، و لم يرو عن عثمان شيئا «٤».

و كذا احترامه لعائشة كان لموضع حرمتها من النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم محضاً، و قد كان من المعترضين عليها في اضطراب موقفها بشأن عثمان. أخرج ابن سعد عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق عن عائشة، قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قرّبتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، هلّا كان هذا قبل هذا؟ فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم

بالخروج إليه، (١) قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٥.  
 (٢) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٤٣١ (ط دار المعارف)  
 (٣) الإصابة، ج ٣، ص ٤٠٨ رقم ٧٩٣٣. والاستيعاب بهامشه، ج ٣، ص ٥٣١-٥٣٢. و أسد الغابة ج ٤، ص ٣٥٤.  
 (٤) طبقات ابن سعة، ج ٦، ص ٥١ (ط ليدن)  
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٣  
 فأنكرت!! «١» و من غريب الأمر أن المامقاني ذكر مسروق بن الأجدع تارة بعنوان أنه أحد الزهاد الثمانية، و عدّه من المذمومين. و أخرى وصفه بالهمداني الكوفي، و عدّه من الأعلام و الفقهاء، و رجّح حسن حاله «٢». و اعترض عليه التستري بأنهما واحد، و لا وجه للافتراق في الشخصية و الوصف «٣».

#### ١٤- الأسود بن يزيد

أبو عبد الرحمن النخعي الكوفي، من كبار التابعين المخضرمين، من أصحاب عبد الله بن مسعود. و روى عن حذيفة و بلال و عليّ عليه السلام، كان على جانب عظيم من الفهم لكتاب الله، ثقة صالح، و رع ناسك. ذكره ابن حبان في الثقات، و قال: كان فقيها زاهدا. روى عنه ابنه عبد الرحمن، و أخوه عبد الرحمن، و ابن اخته إبراهيم بن يزيد النخعي و غيرهم. و ذكره جماعة ممن صنّف في الصحابة، لإدراكه. توفّي سنة (٧٥) قال ابن سعد: روى عن عمر و عليّ و ابن مسعود و سلمان، و لم يرو عن عثمان شيئا «٤». و لم يسلم الأسود ممّا رمى به زميله ابن الأجدع، و الكلام فيه قدحا و مدحا (١) الطبقات، ج ٣، ق ١، ص ٥٧، س ٢٠-٢٥.  
 (٢) تنقيح المقال، ج ٣، ص ٢١١ برقم ١١٧٠٢ و ١١٧٠٣.  
 (٣) قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٥-٤٧٦.  
 (٤) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٤٢-٣٤٣ و الطبقات، ج ٦، ص ٤٦-٥٠.  
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٤  
 ما مرّ في مسروق. و سنذكر أن عامة الكوفيين، و لا سيّما أصحاب عبد الله بن مسعود، كان الغالب عليهم الميل مع عليّ عليه السلام، حسب تربية شيخهم و كبيرهم الصحابي الجليل «١».

#### ١٥- مرّة الهمداني

أبو إسماعيل ابن شراحيل الهمداني السكسكي الكوفي، المعروف بمرّة الطيب و مرّة الخير، لقب بذلك لعبادته. روى عن أبي ذرّ و حذيفة و ابن مسعود و عليّ عليه السلام. و عنه إسماعيل السديّ و الشعبي و عطاء بن السائب و عمرو بن مرّة و طائفة. قال العجلي: تابعي ثقة، كان عابدا ناسكا كثير السجود و الركوع. قيل: أدرك النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و لم يره. مات سنة (٧٦) «٢».  
 و قد استوفينا الكلام في مسروق ما يتضح به حال مرّة أيضا، كشأن سائر الكوفيين من أصحاب ابن مسعود، كانوا مع عليّ عليه السلام، و من ثمّ أصبحوا عرضة السهام.

#### ١٦- عامر الشعبي

أبو عمرو عامر بن شراحيل الحميري الكوفي، من شعب همدان. روى عن مسروق بن الأجدع و ابن عباس و عليّ عليه السلام، و كثير من الصحابة و التابعين. كان فقيها بارعا، قويّ الحافظة. قال: ما كتبت سوداء على بيضاء، و لا حدّثني رجل (١) راجع: الطبقات لابن

سعد، ج ٦، ص ٥، س ٤: كان أصدق الناس عند الناس على علي عليه السلام أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله عنه و عنهم.  
(٢) الطبقات، ج ١٠، ص ٨٨-٨٩ والخلاصة، ص ٣٧٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٥

بحدِيثِ إِبْرَاهِيمَ حَفِظْتَهُ، وَ لَا- حَدَّثَنِي رَجُلٌ بِحَدِيثٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعِيدَهُ عَلِيٌّ. قَالَ الْعَجَلِيُّ: سَمِعْتُ مِنْ (٤٨) صَحَابِيَا، وَ لَا- يَكَادُ يَرْسَلُ إِلَّا صَحِيحًا.

قال ابن أبي حاتم عن أبيه: و سئل عن الفرائض التي رواها الشعبي عن علي عليه السلام، فقال: هذا عندي ما قاسه علي قول علي، و ما أرى عليًا كان يتفرغ لهذا.

قال ابن حبان في ثقات التابعين: كان فقيها شاعرا، مولده سنة (٢٠) و مات سنة (١٠٩)، و كان فيه دعاة. و قال أبو جعفر الطبري: كان ذا أدب و فقه و علم. و قال أبو اسحاق: كان واحد زمانه في فنون العلم «١».

هذا، و لم يكن حظ الشعبي من التهم بأحسن من سابقه، كسائر الكوفيين كانوا معرض التهم.

### ١٧- عمرو بن شرحبيل

أبو ميسرة الهمداني الوداعي الكوفي. روى عن علي عليه السلام و عبد الله بن مسعود، و كان من أصحابه، و من نفر الستة الذين كانوا يقرءون الناس و يعلمونهم السنة، و يصدر الناس عن رأيهم «٢». و هكذا روى عن حذيفة و سلمان و قيس بن سعد بن عبادة و أشباههم من خلص أصحاب. قال عاصم بن بهدلة عن أبي وائل: ما اشتملت همدانية على مثل أبي ميسرة. كان صواما قواما، ناسكا زاهدا، من أفاضل أصحاب ابن مسعود. و كان إمام مسجد بني وادعة بالكوفة.

كان موضع ثقة ابن مسعود، سأله يوما قال: ما تقول يا أبا ميسرة في بالخسن، (١) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٦٥-٦٩.

(٢) تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٦

بِالْخُسْنِ، الْجَوَارِ الْكُنْسِ «١»؟ قَالَ عَمْرُو: قُلْتُ: لَا- أَعْلَمُهَا إِلَّا بِقَرِ الْوَحْشِ. قَالَ: وَ أَنَا لَا أَعْلَمُ فِيهَا إِلَّا مَا قُلْتُ. تَوَفِّيَ سَنَةَ (٦٣) فِي وَلايَةِ عبيد الله بن زياد «٢».

قال الشهيد الثاني- في درايته- تابعي فاضل من أصحاب ابن مسعود «٣».

و كانت له صحبة أو رؤية، كان ممن روى حديث الغدير، حسبما ذكره الخوارزمي «٤».

و

ذكر ابن حجر في الإصابة عن الطبراني أنه أخرج من رواية عبد العزيز بن عبد الله القرشي عن سعيد بن أبي عروبة عن القاسم بن عبد الغفار عن عمرو بن شرحبيل، قال: سمعت النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «اللهم أنصر من نصر عليا، اللهم أكرم من أكرم عليا، اللهم أخذل من خذل عليا...» «٥».

و في نسخة الإصابة: شراحيل، بدل شرحبيل. و هو خطأ في النسخة؛ إذ لم يرد لشراحيل والد عمرو، ذكر في كتب التراجم إطلاقا. مع أنه ذكره ابن عبد البر «٦»، و كذا ابن الأثير، «٧» بهذا العنوان: عمرو بن شرحبيل. فيبدو أن نسخة الإصابة قد أصابها تصحيف.

نعم ذكر ابن عبد البر أنه غير عمرو بن شرحبيل الهمداني، أبي ميسرة صاحب ابن مسعود، و ذكر أنه لم يقف على نسبه، لكن رجح ابن الأثير كونهما واحدا. (١) التكوير/ ١٥.

(٢) الطبقات لابن سعد، ج ٦، ص ٧١-٧٤ و تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٤٧.

(٣) قاموس الرجال، ج ٧، ص ٢١١.

(٤) الغدير للعلامة الأميني، ج ١، ص ٥٧ رقم ٩٣.

(٥) الإصابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥٤٣ رقم ٥٨٦٩.

(٦) الاستيعاب بهامش الإصابة، ج ٢، ص ٥٢٦.

(٧) أسد الغابة، ج ٤، ص ١١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٧

قلت: و هو الصحيح؛ لأن ولادته كانت في أوائل الهجرة أو قبلها، فهو و إن كان تابعياً، لكنه أدرك النبي صلى الله عليه و آله و سلم و إن لم تكن له صحبة لصغر سنّه، غير أنه يجوز سماعه منه و هو صبي مراهق.

### ١٨- زيد بن وهب

أبو سليمان الجهني الكوفي. رحل إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هاجر إليه فلم يدركه، قبض صلى الله عليه و آله و سلم و هو في الطريق. و هو معدود في كبار التابعين، روى عن عليّ عليه السلام و ابن مسعود و حذيفة و أبي الدرداء و أبي ذرّ، و روى عنه خلق كثير، منهم الأعمش، قال: إذا حدّثك زيد بن وهب عن أحد، فكأنك سمعته من الذي حدّثك عنه. و قد وثقه أصحاب التراجم. أخرج ابن حجر عن ابن خراش قال: كوفي ثقة و روايته عن أبي ذرّ صحيحة «١».

سكن الكوفة، و كان في الجيش الذي مع عليّ عليه السلام في حربه الخوارج. و هو أول من جمع خطب عليّ عليه السلام في الجمع و الأعياد و غيرها. توفّي سنة (٩٦) و قد عمّر طويلاً.

### ١٩- أبو الشعثاء الكوفي

هو سليم بن أسود المحاربي الكوفي. روى عن أبي ذرّ و حذيفة و سلمان و ابن عباس و ابن مسعود، و كان خصيصاً به. قال أبو حاتم: لا يسأل عن مثله.

و ذكره ابن حبان في الثقات. (١) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٤٢٧. أسد الغابة، ج ٢، ص ٢٤٢. الإصابة، ج ١، ص ٥٨٣ رقم ٣٠٠١.

الشافعي ٢/٢٨٨، الهامش ٣. قاموس الرجال، ج ٤، ص ٢٨١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٨

قال الواقدي: شهد مع عليّ عليه السلام مشاهده. توفّي سنة (٨٢) «١».

### ٢٠- أبو الشعثاء الأزدي

هو جابر بن زيد الأزدي اليمامي الجوفي «٢» البصري. روى عن ابن عباس و عكرمة و غيرهما. قال ابن عباس: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله. قال العجلي: تابعي ثقة. قال ابن سعد: مات سنة (١٠٣) قال قتادة- لما مات جابر بن زيد-: اليوم مات أعلم أهل العراق. و كان يخلف الحسن في الفتوى «٣».

### ٢١- الأصمغ بن نباتة

التميمي ثم الحنظلي، أبو القاسم الكوفي. من أصحاب عليّ و الحسن بن عليّ عليهما السلام. قال العجلي: كوفي تابعي ثقة. قال ابن سعد: كان شيعياً، و كان على شرطه عليّ عليه السلام.

قال ابن حبان: فتن بحبّ عليّ، فأتى بالطامات «٤» فاستحق الترك. قال ابن عدّي: و إذا حدّث عنه ثقة فهو عندي لا بأس بروايته، و إنما



أتى الإنكار من جهة من روى عنه «٥».

قال سيدنا الخوئي - دام ظله -: هو من المتقدمين من سلفنا الصالحين، ذكره (١) تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١٦٥.

(٢) نسبة إلى درب الجوف، محلة بالبصرة.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٨ رقم ٦١. وراجع: الحلية لأبي نعيم، ج ٣، ص ٨٥.

(٤) قال العقيلي: كان يقول بالرجعة!

(٥) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٦٢ رقم ٦٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٩

النجاشي. و قال الأصعب بن نباتة المجاشعي: كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام و عمر بعده، روى عنه عهد الأشر، و وصيته إلى محمد ابنه.

و هو من العشرة الذين دعاهم الإمام أمير المؤمنين للحضور لديه. فقد روى ابن طاوس من كتاب الرسائل للكلينى أنه عليه السلام دعا كاتبه عبد الله بن أبى رافع، فقال: أدخل على عشرة من ثقاتي. فقال: سمهم لى يا أمير المؤمنين. فقال: أدخل:

أصعب بن نباتة، و أبى الطفيل عامر بن واثلة الكنانى، و زر بن حبيش، و جويرية بن مسهر ... حسبما أوردناه فى ترجمه علقمة بن قيس «١».

## ٢٢- زر بن حبيش

الأسدى أبو مريم الكوفى مخضرم أدرك الجاهلية. كان من أصحاب ابن مسعود، و من ثقات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكرنا من حديث العشرة فى ترجمه علقمة. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. قال عاصم: كان زر من أعرب الناس. و كان ابن مسعود يسأله عن العريثة. قال: كان أبو وائل «٢» عثمانيا و كان زر علويًا، و كان مصلاهما فى مسجد واحد، و كان أبو وائل معظما لزر. قال ابن عبد البر فى الاستيعاب: كان قارنا فاضلا. قال أبو جعفر البغدادي: قلت لأحمد: فرز و علقمة و الأسود؟ قال: هؤلاء أصحاب ابن مسعود، و هم الثبت فيه. مات سنة (٨٣)، و كان ابن (١٢٧) «٣». (١) معجم رجال الحديث، ج ٣، ص ٢١٩ رقم ١٥٠٩.

(٢) هو شقيق بن سلمة الأسدى الكوفى. أدرك النبى صلى الله عليه و آله و سلم و لم يره. قال عاصم: قيل لأبى وائل: أيهما أحب إليك، على أو عثمان؟ قال: كان على أحب إلى ثم صار عثمان! مات بعد الجماجم سنة (٨٢) (تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٣٦١ رقم ٦٠٩)

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٢١-٣٢٢، رقم ٥٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٠

## ٢٣- ابن أبى ليلى

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى، أبو عبد الرحمن الكوفى الفقيه، قاضى الكوفة. قال أبو حاتم، عن أحمد بن يونس، ذكره زائدة، فقال: كان أفقه أهل الدنيا. و قال العجلي كان فقيها صاحب سنه، صدوقا جائر الحديث، و كان عالما بالقرآن، و كان من أحسب الناس، و كان جميلا نبيلًا. و أول من استفضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفى. قيل: كان سيى الحفظ و لا سيما عند ما اشتغل بالقضاء فساء حفظه. قالوا: لا يتهم بشىء من الكذب، و إنما ينكر عليه كثرة الخطاء. قال الساجى: كان سيى الحفظ لا يتعمد الكذب، فكان يمدح فى قضائه، فأما فى الحديث فلم يكن حجة. قال: و كان الثورى يقول: فقهاؤنا ابن أبى ليلى و ابن شبرمة. و قال ابن خزيمة ليس بالحافظ، و إن كان فقيها عالما. توفى سنة (١٤٨) «١».

**٢٤- عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني**

كان من أصحاب عليّ عليه السّلام و ابن مسعود. أسلم قبل وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلم بسنتين، و لم يلقه. كان ابن سيرين من أروى الناس عنه: و كان يقول: أدركت الكوفة و بها أربعة مّمن يعدّ في الفقه، و عدّه ابن المديني في الفقهاء من أصحاب ابن مسعود.

قال ابن نمير: و كان شريح إذا أشكل عليه الأمر كتب إلى عبيدة. توفّي سنة (٧٢) «٢». (١) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٠١-٣٠٣ رقم ٥٠١.

(٢) المصدر، ج ٧، ص ٨٤ رقم ١٨٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١١

**٢٥- الربيع بن أنس البكري**

و يقال: الحنفي البصري ثم الخراساني. روى عن أنس بن مالك و أبي العالبيّة و الحسن البصري، و أرسل عن أمّ سلمة. و عنه أبو جعفر الرازي و الأعمش و مقاتل بن حيان و غيرهم. قال العجلي و أبو حاتم: صدوق. و قال ابن معين: كان يتشيع فيفطر. و ذكره ابن حبان في الثقات. توفّي سنة (١٣٩) أو (١٤٠) «١».

**٢٦- الحارث بن قيس الجعفي الكوفي**

من أصحاب ابن مسعود، و كانوا معجبين به قال. عليّ بن المديني: قتل مع عليّ عليه السّلام، و عدّه ابن حبان في الثقات «٢».

**٢٧- قتادة بن دعامة**

قتادة بن دعامة، أبو الخطاب السدوسي البصري، ولد أكمه «٣». كان تابعيًّا و عالما كبيرا، كان فقيه أهل البصرة عالما بالأنساب و أشعار العرب. قال أبو عبيدة:

كان أجمع الناس، و كان ينيخ على باب داره كل يوم من يأتيه فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر «٤». و كان أحفظ الناس، لا ينسى ما حفظه أو قرئ عليه و لو مرة واحدة. قال عليّ بن المديني: انتهى علم البصرة إلى يحيى بن أبي كثير، و قتادة.

كما انتهى علم الكوفة إلى أبي إسحاق، و الأعمش. و انتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب، و عمرو بن دينار «٥». (١) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٣٨ رقم ٤٦١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٤ رقم ٢٦٦.

(٣) الأكمه: الذي ولد أعمى.

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٤، ص ٨٥ رقم ٥٤١.

(٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٤٠ رقم ٧٩١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٢

قال مطر بن الوراق: ما زال قتادة متعلّمًا حتى مات «١». قال قتادة: ما قلت لمحدّث قطّ: أعد عليّ. و ما سمعت أذناي شيئا قطّ، إلّا وعاه قلبي. و قال: ما في القرآن آية إلّا قد سمعت فيها بشيء.

قال أبو حاتم: سمعت أحمد بن حنبل و ذكر قتادة، فأطنب في ذكره، فجعل ينشر من علمه و فقهه و معرفته بالاختلاف و التفسير، و

وصفه بالحفظ و الفقه.

و قال: قلما تجد من يتقدمه، أما المثل فلعل. و قال الأثرم: سمعت أحمد يقول: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لم يسمع شيئا إلا حفظه. و قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها، و كان يقول: الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر. و قال له سعيد بن المسيب - لما رأى منه العجيب من حفظه -: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

و قال ابن حبان - في الثقات: كان من علماء الناس بالقرآن و الفقه و من حفاظ أهل زمانه «٢».

كانت ولادته سنة (٦١) قال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الذهلي: ولد عمر بن عبد العزيز، و هشام بن عروة، و الزهري، و قتادة، و الأعمش، ليالى قتل الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام، و كانت شهادته عليه السلام يوم عاشوراء سنة (٦١) للهجرة «٣». و توفي بواسط في الطاعون سنة (١١٨) و غمز فيه بأنه كان يقول بالقدر. قال ابن سعد: كان ثقة، مأمونا، حجة في (١) تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣٥٣ رقم ٦٣٥. و الجرح و التعديل، ج ٧ (ج ٣، ق ٢)، ص ١٣٣ - ١٣٥. رقم ٧٥٦.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣٥٤ - ٣٥٥. و طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ٢، ص ١.

(٣) الوفيات، ج ٦، ص ٨٠ رقم ٧٨١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٣

الحديث، و كان يقول بشيء من القدر. و أخرج ابن خلكان عن أبي عمرو بن العلاء، قال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر «١». و لكن مع ذلك فقد اعتمده القوم و اعتبروه حجة في الحديث، كما قال ابن سعد. قال علي بن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: إن عبد الرحمن يقول: أترك كل من كان رأسا في بدعة، يدعو إليها. قال: كيف تصنع بقتادة، و ابن أبي رواد، و عمر ابن ذر؟! و ذكر قوما، ثم قال يحيى: إن تركت هذا الضرب، تركت ناسا كثيرا «٢».

قلت: رميه بالقدر، أو شيء من القدر، إنما جاء من قبل قوله بالعدل، حسبما كان يقوله شيخه الحسن البصري، على ما تقدم في ترجمته. و كانت العامة ممن تأثروا بمذهب أبي موسى الأشعري و حفيده أبي الحسن الأشعري، كانوا يرون خلاف ذلك، و أن الأفعال كلها مخلوقة لله و عن إرادته، و ليس للعبد اختيار في عمله... عقيدة جاهلية أولى، كانت تمكنت من نفوس العرب، و لم تكد تنخلع بعد، ما دامت العامة و على رأسهم الأشعريان، منحرفين عن تعاليم آل بيت الرسول - صلوات الله عليهم أجمعين -.

هذا، و قد عرف قتادة السدوسي بالولاء لأهل البيت و على رأسهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و في التاريخ منه مواقف مشرفة سجلها أهل السير و الحديث:

أخرج ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني بإسناده عن أبان بن عثمان البجلي، قال: حدثني الفضيل البرجمي، قال: كنت بمكة، و خالد بن عبد الله (١) الطبقات، ج ٧، ق ٢، ص ١. و الوفيات، ج ٤، ص ٨٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٤

القسري «١» أمير، و كان في المسجد عند زمزم، فقال: ادعوا لي قتادة، فجاء شيخ أحمر الرأس و اللحية، فدنوت لأسمع. فقال خالد: يا قتادة، أخبرني بأكرم وقعة كانت في العرب، و أعزّ وقعة كانت في العرب، و أذلّ وقعة كانت في العرب! فقال قتادة: أصلح الله الأمير، أخبرك بأكرم وقعة، و أعزّ وقعة، كانت في العرب واحدة! فقال خالد: ويحك، واحدة؟! قال: نعم، أصلح الله الأمير. قال: أخبرني؟

قال قتادة: بدر! قال: و كيف ذا؟ قال: إن بدرا أكرم الله بها الإسلام و أهله، و بها أعزّ الله الإسلام و أهله. فلما قتلت قريش يومئذ، ذلت العرب؛ فكانت أذلّ وقعة في العرب.

فقال له خالد: كذبت لعمر الله، إن كان، في العرب يومئذ هو أعزّ منهم «٢».

ثم قال خالد: ويلك يا قتادة، أخبرني ببعض أشعارهم؟

قال: خرج أبو جهل يومئذ، وقد أعلم ليرى مكانه، وعليه عمامة حمراء، وبيده ترس مذهب، وهو يقول:

ما تنقم الحرب الشموس منى بازل عامين حديث السن

لمثل هذا ولدتنى أمى (١) كان عاملا لهشام بن عبد الملك على العراقيين. و كان ملحدا زنديقا مخنثا عدوا للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. كان يقول: لو أمرنى هشام بتخريب الكعبة لهدمتها و نقلت حجارتها إلى الشام.

كان أبوه من أصل يهود تيماء. و كان أبوه عبد الله بن يزيد مع معاوية في صفين. و كانت أمه رومية نصرانية، كان بنى لها قبة في مسجد الكوفة، و كان إذا أذن المؤذن ضرب لها الناقوس، و إذا خطب الخطيب رفع النصارى أصواتهم حولها. (سفينة البحار، ج ١، ص ٤٠٦- خ ل د)

(٢) غلبته حمية جاهلية، فلم يرضه الاعتراف بمذلة العرب يومذاك.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٥

فقال خالد: كذب عدو الله، إن كان، ابن أخى لأفرس منه، يعنى خالد بن الوليد، و كانت أمه من بنى قسر. ويلك يا قتادة، من الذى كان يقول: أوفى بميعادى و أحمى عن حسب؟

فقال: أصلح الله الأمير، ليس هذا يومئذ، هذا يوم أحد، خرج طلحة بن أبي طلحة، فخرج إليه على بن أبى طالب عليه السلام و هو يقول:

أنا ابن ذى الحوضين عبد المطلب و هاشم المطعم فى العام السغب

أوفى بميعادى و أحمى عن حسب و هنا لم يتحمل خالد سماع منقبة لأمر المؤمنين عليه السلام فقال- مغضبا-: كذب لعمرى أبو تراب، ما كان كذلك.

فعند ذلك قام قتادة، و قال: أيها الأمير، ائذن لى فى الانصراف، فجعل يفرج بيده و يخرج و هو يقول: زنديق و رب الكعبة، زنديق و رب الكعبة «١».

قال المحدث القمى: هذا ينبؤك عن ولاء قتادة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام «٢».

و له أيضا مع الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام مواقف نذكر منها:

أخرج الكليني أيضا بإسناده إلى أبى حمزة الثمالي، قال: كنت جالسا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذ أقبل رجل، فقال لى: أتعرف أبى جعفر؟ قلت: نعم، فما حاجتك؟ قال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها، فما كان من حق أخذته، و ما كان من باطل تركته. فما انقطع كلامه حتى أقبل أبو جعفر و حوله أهل خراسان و غيرهم يسألونه عن مناسك الحج. فمضى حتى جلس مجلسه، و جلس الرجل (١) روضة الكافي (ج ٨، ص ١١١-١١٣) الحديث رقم ٩١. و البحار، ج ١٩، ص ٢٩٨-٣٠٠.

(٢) سفينة البحار، ج ٢، ص ٤٠٥ (ق ت د)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٦

قريبا منه. فلما انصرف الناس، التفت أبو جعفر إليه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصرى.

فقال له أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال: ويحك يا قتادة، إن الله تعالى خلق خلقا من خلقه، فجعلهم حججا على خلقه، و هم أوتاد فى أرضه، قوام بأمره، نجباء فى علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه.

فسكت قتادة طويلا، ثم قال: أصلحك الله، و الله لقد جلست بين يدى الفقهاء، و قدام ابن عباس، فما اضطرب قلبى قدام واحد منهم، ما اضطرب قدامك! فقال أبو جعفر: أ تدرى أين أنت؟ بين يدى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو و الآصال، رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، فأنت ثم و نحن أولئك! فقال قتادة: صدقت و الله،

جعلني الله فداك، و الله ما هي بيوت حجارة و لا طين «١».

و

أخرج - أيضا - عن زيد الشحام، قال: دخل قتادة على أبي جعفر عليه السلام و جرى بينهما كلام حتى انتهى إلى تأويل قوله تعالى: وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّامًا آمِنِينَ «٢»، فقال له الإمام: ذلك من خرج من بيته بزاز و راحله و كراء حلال، يروم هذا البيت، عارفا بحقنا، يهوانا قلبه، كما قال عز و جل: (١) الكافي الشريف، ج ٦، ص ٢٥٦ من كتاب الأئمة. و البحار، ج ١٠، ص ١٥٤، رقم ٤ و ج ٢٣ ص ٣٢٩ رقم ١٠.

(٢) سبأ/ ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٧

فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ «١». و لم يعن البيت فيقول إليه: فنحن و الله دعوة إبراهيم عليه السلام من هوانا قلبه قبلت حجته. يا قتادة، فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة.

قال قتادة: لا جرم، و الله لا فسرتها إلّا هكذا. فقال له أبو جعفر: يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به «٢».

قلت: هذا النمط من الكلام يعد من أسرار الولاية، لا يوحون به إلّا لأصحاب السر... و لا سيما مع إذعان قتادة لهذا الخطاب و تحمله هذا العتاب و استسلامه للأمر. و لعل انقداحة حصلت في نفسه بعد هذا التقرير، و هكذا تفعل الموعظة بأهلها إن صادقت نفوسا مستعدة.

له كتاب في التفسير. و يرى فؤاد سزكين أنه ربما كان تفسيراً كبيراً ضخماً.

فقد استخدمه الخطيب البغدادي، كما في مشيخته. قال شواخ: و استخدمه الطبري أكثر من (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف مرة. و ربما نقل كل مادته نقلاً، بالرواية التالية: «حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة». و قد عرف الثعلبي عدا ذلك روايتين أخريين لهذا الكتاب، كما يظهر من كتابه «الكشف و البيان» «٣».

## ٢٨- زيد بن أسلم

أبو أسامة العدوي المدني، الفقيه المفسر، أحد الأعلام. كان مولى عمر بن (١) إبراهيم/ ٣٧.

(٢) روضة الكافي (ج ٨ ص ٣١١-٣١٢) حديث رقم ٤٨٥- و البحار، ج ٢٤، ص ٢٣٧ رقم ٦، و ج ٤٦، ص ٣٤٩ رقم ٢.

(٣) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٣ رقم ٩٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٨

الخطاب، و برع حتى أصبح من كبار التابعين المرموقين، كانت له حلقة في مسجد المدينة، يحضرها جلّ الفقهاء، و ربما بلغوا أربعين فقيها. قال الذهبي: و لزيد تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن، و كان من العلماء الأبرار. قال ابن عجلان: ما هبت أحدا هبتي زيد بن أسلم «١».

قال ابن حجر: أخذ العلم من جماعة، منهم علي بن الحسين عليهما السلام، قال: و قال يعقوب بن شيبه: ثقة من أهل الفقه و العلم و كان عالماً بتفسير القرآن «٢». و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام، و قال: كان يجالسه كثيرا «٣»، و له رواية عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام.

فقد روى ابنه عبد الرحمن عنه عن عطاء بن يسار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «كل مسكر حرام، و كل مسكر خمر» «٤».

و

روى عبد الرحمن (و في نسخة عبد الله) عن أبيه زيد بن أسلم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم» (٥).

و من ثم عدّه الشيخ في رجال الصادق أيضا «٦».

و استغرب سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - دام ظلّه - أن يكون زيد مولى عمر، (١) طبقات المفسرين للداودي، ج ١، ص ١٧٦-١٧٧ رقم ١٧٥. و تقريب ابن حجر، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٩٥ و ٣٩٦ رقم ٧٢٨.

(٣) رجال الطوسي، ص ٩٠ رقم ٥.

(٤) الكافي الشريف، ج ٦، ص ٤٠٨، رقم ٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠ أول حديث في فرض العلم و فضله.

(٦) رجال الطوسي، ص ١٩٧ رقم ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٩

و يدرك الصادق عليه السلام «١».

لكن زيدا توفي سنة (١٣٦) «٢». و كانت إمامة مولانا الصادق عليه السلام بعد وفاة أبيه الباقر عليه السلام من سنة (١١٤) حتى نهاية عام (١٤٨) هذا، و قد أخذ على زيد أنه كان يكثر من التفسير برأيه. قال الذهبي: تناكد «٣» ابن عدّي بذكره في الكامل، فإنه ثقة حجة، فروى عن حماد بن زيد، قال: قدمت المدينة و هم يتكلمون في زيد بن أسلم، فقال لي عبيد الله بن عمر: ما نعلم به بأسا إلا أنه يفسر القرآن برأيه «٤».

و قال مالك: كان زيد يحدث من تلقاء نفسه، فإذا قام فلا يجترئ عليه أحدا! وثقه أحمد «٥».

قلت: و هذا نظير ما كان يؤخذ على الحسن البصري كثرة إرساله، و المحذور نفس المحذور، فتتبه.

## ٢٩- أبو العالية

رفيع بن مهران الرياحي البصري، أدرك الجاهلية، و أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله و سلم بستين. قال العجلي: تابعي ثقة من كبار التابعين المشهورين بالتفسير. روى عن علي عليه السلام و عبد الله بن مسعود، و أبي بن كعب، و عبد الله بن عباس، و حذيفة، و أبي ذر، و أبي أيوب، و غيرهم من أكابر الأصحاب، و هو (١) معجم رجال الحديث، ج ٧، ص ٣٣٥ رقم ٤٨٣٣.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٣) التناكد: التضايق و التعاسر.

(٤) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٩٨ رقم ٢٩٨٩.

(٥) خلاصة تذهيب التهذيب، ص ١٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٠

مجمع علي وثاقته.

قال ابن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية، و بعده سعيد بن جبير، و بعده السدي، و بعده الثوري. مات سنة (٩٣)، و هو أول من أذن بما وراء النهر «١».

و قال الحافظ شمس الدين الداودي: قرأ القرآن على أبي بن كعب و غيره، و سمع من ابن مسعود و علي و طائفة. و عنه قتادة و خالد الحذاء و الربيع بن أنس و أبو عمرو بن العلاء و طائفة.

و عن أبي خلدَةَ عنه قال: كان ابن عباس يرفعني على سريره، و قريش أسفل منه، و يقول: هكذا العلم، يزيد الشريف شرفاً، و يجلس المملوك على الأَسْرَةِ.

قال: ثقةٌ كثير الإرسال، و له تفسير رواه عنه الربيع بن أنس البكري، خرّج حديثه الجماعة «٢».

و قال السيوطي: و تروى عن أبي بن كعب نسخة كبيرة في التفسير، يرويها أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالِيَّة، عن أبي. قال: و هذا إسناد صحيح، و قد أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم منها كثيراً. و كذا الحاكم في مستدركه، و أحمد في مسنده «٣».

قال الدكتور شَوَّاح - عند الكلام عن تفسير الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني المتوفى سنة (١٣٩): و قد أخذ منه الثعلبي في كتابه «الكشف و البيان» (١) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٨٤ - ٢٨٦.

(٢) طبقات المفسرين، ج ١، ص ١٧٢ - ١٧٣ رقم ١٧٠.

(٣) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢١

على أنه تفسير أبي العالِيَّة «١».

### ٣٠- جابر الجعفي

هو جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي أبو عبد الله، و يقال أبو يزيد الكوفي عربي صميم، روى عن عكرمة و عطاء و طاوس و خيثمة و المغيرة ابن شبيب و جماعة. و عنه شعبة و الثوري و مسعر و غيرهم. توفى سنة (١٢٨) ذكر ابن حجر عن أبي نعيم عن الثوري: إذا قال جابر حدّثنا و أخبرنا فذاك.

و قال ابن مهدي عن سفيان: ما رأيت أروع في الحديث منه. و قال ابن عثية عن شعبة: جابر صدوق في الحديث. و قال يحيى بن أبي بكير عن شعبة: كان جابر إذا قال: حدّثنا و سمعت، فهو من أوثق الناس. و عن زهير بن معاوية: كان إذا قال:

سمعت أو سألت، فهو من أصدق الناس. و قال وكيع: مهما شككتم في شيء فلا تشكّوا في جابر ثقة «٢».

قال عادل نويهض: تابعي، فقيه إمامي، من أهل الكوفة. كان واسع الرواية غزير العلم بالدين. أثنى عليه بعض رجال الحديث، و اتّهمه آخرون بالقول بالرجعة. مات بالكوفة، له «تفسير القرآن» «٣». و هكذا قال الزركلي في الأعلام «٤».

و عدّه الطوسي في رجال الإمامين محمد بن عليّ الباقر، و جعفر بن محمد الصادق عليهما السّلام «٥». (١) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٦ رقم ١٠٠٤.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٧.

(٣) معجم المفسرين، ج ١، ص ١٢٣.

(٤) الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٩٢.

(٥) رجال الطوسي، ص ١١١ و ١٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٢

و قال السيد الصدر بشأنه: جابر بن يزيد الجعفي إمام في الحديث و التفسير، أخذهما عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام «١».

و قال النجاشي: جابر بن يزيد، أبو عبد الله، و قيل: أبو محمد الجعفي، عربي قديم، لقي أبا جعفر و أبا عبد الله. و مات في أيامه سنة (١٢٨)، له كتب منها:

التفسير، ثم ذكر سنده إليه.

و عدّه المفيد في رسالته «العدديّة» ممن لا مطعن فيهم و لا طريق للذمّ واحد منهم. و عدّه ابن شهر آشوب من خواصّ أصحاب الصادق

عليه السلام. و

روى العلامة بإسناده إلى الحسين بن أبي العلاء: أن الصادق عليه السلام ترخّم عليه، وقال: إنه كان يصدق علينا.

و

روى الكشي بإسناده إلى المفضل بن عمر الجعفي، قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير جابر. فقال: لا تحدّث به السفلة فيذيعونه. «٢» وهذا يدل على أن تفسيره كان فيه شيء من الارتفاع. وهناك روايات تدل على أنه كان يحمل أسراراً من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم رفضه القوم بالغلو والرفض، ولكن مع صدق الحديث والورع في الإيمان. وكفى به مدحا وإخلاصاً في الدين.

قال النجاشي: و كان في نفسه مختلطاً. وهذا يعني الاعتلاء في عقيدته بشأن أئمة أهل البيت عليهم السلام فحسبوه غلوًا. روى أبو عمرو ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي بإسناده إلى ابن أبي عمير عن عبد الحميد بن أبي العلاء، قال: دخلت المسجد حين قتل الوليد، فإذا الناس مجتمعون، فأتيهم فإذا جابر الجعفي عليه (١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص ٣٢٦.

(٢) راجع: معجم رجال الحديث لسيدنا الخوئي، ج ٤، ص ١٧-٢١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٣

عمامة خزّ حمراء، وإذا هو يقول: حدّثني وصي الأوصياء و وارث علم الأنبياء محمد بن عليّ عليه السلام ... قال: فقال الناس: جنّ جابر، جنّ جابر «١».

و من ثم، قال جرير: لا استحلّ أن أروى عن جابر، كان يؤمن بالرجعة. وقال أبو الأحوص: كنت إذا مررت بجابر الجعفي سألت ربّي العافية. إلى أمثال ذلك ممّا لم يتحمّله عقول العامة «٢».

و من ثمّ كان أبو جعفر الباقر عليه السلام يوصيه بأن لا يذيع من أسرارهم شيئاً و لا يحدث الناس بما لا تطيقه عقولهم.

قال له: يا جابر، حديثنا صعب مستصعب، لا يتحمّله إلّا مؤمن ممتحن «٣».

و إلّا فلا غمز في الرجل، كما قال شعبة: جابر صدوق في الحديث «٤».

و لسيدنا الأستاذ الخوئي - دام ظلّه - كلام يشيد به من شأن جابر، لشهادة الأجلّاء بجلالة قدره و علوّ مرتبته، «٥» و كفى.

### قيمة تفسير التابعي

لقد اهتم أرباب التفسير بالمأثور من تفاسير الأوائل، و لا سيّما الصحابة و التابعين لهم بإحسان. و لم يكن ذلك منهم إلّا عناية بالغة بشأنهم و بمواضعهم الرفيعة من التفسير.

إنّ ذلك الحجم المتضخّم من التفسير المنقول عن السلف الصالح، و أكثرها (١) اختيار معرفة الرجال (ط المصطفوي)، ص ١٩٢ رقم ٣٣٧.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٩.

(٣) اختيار معرفة الرجال، ص ١٩٣ برقم ٣٤١.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٧.

(٥) معجم رجال الحديث، ج ٤، ص ٢٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٤

الساحق من التابعين. بعد أن كان المأثور عن ابن عباس منقولاً عن طريق متخرّجى مدرسته التابعين أيضاً. إنّ ذلك إن دلّ فإنما يدلّ



على مبلغ الاهتمام بتفاسيرهم، و الإجلال بمقامهم الرفيع. و ليس إلّا لأنهم أقرب عهدا بنزول الوحي، و أطول باعا في الإحاطة بأسباب النزول، و أسهل تناولا. لفهم معانى القرآن الكريم. فإن كان القرآن قد نزل بلغة العرب و على أساليب كلامهم، فإنّ الأوائل أصفى ذهنا و أقرب تناوشا لتصاريف اللغة و مجارى ألفاظها و تعابيرها. إنهم أعرف بمواضع اللغة فى عهد خلوصها، و أطول يدا فى البلوغ إلى مجانيها من ثمرات و أعواد.

كما أنّهم أمسّ جانبنا بأحاديث الرسول صلّى الله عليه و آله و سلم، و العلماء من صحابته الأخيار. فهم أقرب فهما لأبعاد الشريعة فى أصولها و الفروع، و الإحاطة بجوانب الكتاب و السنّة و السيرة الكريمة. فكان الاهتمام بشأنهم، و الرجوع إلى آرائهم و نظراتهم، و معرفة أقوالهم فى التفسير، إنما هو لمكان تقدمهم و سبقهم فى الحياة على قصب السبق فى هذا المضممار، شأن كل متأخر فى التفسير يرجع إلى آراء سلفه. لا ليتقلدها أو يتعبّد بها، بل ليستعين بها و يستفيد فى سبيل الوصول إلى أقصاها، و الصعود على أعلاها. فكان تمحيصا و تحقيقا فى الاختيار، لا تقليدا، أو تعبّدا برأى. و لا شكّ أنّ الإحاطة بآراء العلماء سلفا و خلفا، لهى من أكبر وسائل التوسعة فى الفكر و الإجلال فى النظر، و بالتالى أكثر توسعا فى العلوم و المعارف و الصعود على مدارج الفضيلة و الكمال. هكذا تقدّم العلم و ازدهرت معارف الإنسان. فلآراء السلف قيمتها و وزنها فى سبيل الرقى على مدارج الكمال. و لولاه لتوقف العلم على نقطته الأولى، و لم يخط خطواته تلك الواسعة، فى مسيرته هذه الحثيثة، نحو التكامل و الازدهار.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٥

قال الإمام بدر الدين الزركشى: و فى الرجوع إلى قول التابعى روايتان عن أحمد. و اختار ابن عقيل «١» المنع. و حكوه عن شعبة «٢». لكن عمل المفسرين على خلافه، و قد حكوا فى كتبهم أقوالهم، كالضحّاك ابن مزاحم (١٠٥) و سعيد بن جبير (٩٥) و مجاهد بن جبر (١٠٣) و قتادة بن دعامة (١١٧) و أبى العالية الرياحى (٩٠) و الحسن البصرى (١١٠) و الربيع بن أنس (١٣٩) و مقاتل بن سليمان (١٥٠) و عطاء بن أبى سلمة الخراسانى (١٣٥) و مزّة بن شراحيل الهمدانى (٧٦) و على بن أبى طلحة الوالى (١٤٣) و محمد بن كعب القرظى (١١٩) و أبى بكر الأصمّ عبد الرحمن بن كيسان، و إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير (١٢٧) و عكرمة مولى ابن عباس (١٠٥) و عطية بن سعد بن جنادة العوفى (١١١) و عطاء بن أبى رباح (١١٤) و عبد الله بن زيد بن أسلم (١٦٤) و من المبرزين فى التابعين، الحسن، و مجاهد، و سعيد بن جبير. ثم يتلوهم عكرمة و الضحّاك.

قال: و هذه تفاسير القدماء المشهورين، و غالب أقوالهم تلقّوها من الصحابة. و لعل اختلاف الرواية عن أحمد إنّما هو فيما كان من أقوالهم و آرائهم «٣». قلت: إن أريد التعبّد بأقوالهم، فلا. و لعل المانعين يريدون ذلك، و لكننا ذكرنا أنّ اعتبار آرائهم و نظراتهم إنّما كان لأجل تقدّمهم، و كونهم أقرب عهدا إلى نزول (١) هو عبد الله بن محمد بن عقيل الهاشمى: ذكره ابن سعد فى الطبقة الرابعة من أهل المدينة. كان كثير العلم توفى سنة (١٤٥)

(٢) هو شعبة بن الحجاج أبو بسطام الواسطى ثم البصرى أجمع الناس حديثا و أوثقهم رواية. توفى سنة (١٦٠)

(٣) البرهان للزركشى، ج ٢، ص ١٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٦

الوحي، و أصفى ذهنا لفهم معانيه. و كان الرجوع إليهم لأجل التمحيص و النقد، لا التعبّد المحض. و من ثمّ اهتم القدماء بضبط تفاسيرهم و جمعها و تهذيبها، و سار على منهاجهم المتأخرون و لا يزال. قال الحافظ أبو أحمد ابن عدى: للكلى «١» أحاديث صالحه، و خاصه عن أبى صالح «٢»، و هو معروف بالتفسير، و ليس لأحد تفسير أطول منه و لا أشيع فيه.

و بعده مقاتل بن سليمان (١٥٠) إلا أن الكلبى يفضل عليه.

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة و التابعين، كتفسير سفيان بن عيينة (١٩٨) و وكيع بن الجراح (١٩٦) و شعبة بن الحجاج (١٦٠) و يزيد بن هارون (٢٠٦) و المفضل بن صالح (١٨١) و عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١) و إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (٢٣٨) و روح بن عبادة (٢٠٥) و يحيى بن قريش، و مالك بن سليمان الهروي، و عبد بن حميد بن نصر الكشي (٢٤٩) و عبد الله بن الجراح (٢٣٧) و هشيم بن بشير (٢٨٣) و صالح ابن محمد اليزيدي، و على بن حجر بن أياس السعدي (٢٤٤) و يحيى بن محمد ابن عبد الله الهروي، و على بن أبي طلحة (١٤٣) و ابن مردويه أحمد بن موسى الأصبهاني (٤٠١) و سنيد بن داود (٢٢٠) و النسائي، و غيرهم. و وقع فى مسند (١) هو أبو المنذر هشام بن أبى النضر محمد بن السائب الكلبى الكوفى. كان أعلم الناس بعلم الأنساب. كان من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام. و كان إلى جنب علمه بالأنساب عالما بالتفسير كبيرا. توفى سنة (١٤٦)

(٢) هو باذام مولى أم هانئ بنت أبى طالب. و هو صاحب التفسير الذى رواه عن ابن عباس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٧

أحمد بن حنبل و البزار و معجم الطبرانى و غيرهم، كثير من ذلك. ثم إن محمد بن جرير الطبرى «١» جمع على الناس أشات التفاسير، و قرب البعيد، و كذلك عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى، و أضرابهم «٢».

قال جلال الدين السيوطى: و كتاب ابن جرير الطبرى أجل التفاسير و أعظمها، ثم ابن أبى حاتم، و ابن ماجه، و الحاكم، و ابن مردويه، و أبو الشيخ بن حيان، و ابن المنذر، فى آخرين. و كلها مسنده إلى الصحابة و التابعين و أتباعهم، و ليس فيها غير ذلك. إلا ابن جرير، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال و ترجيح بعضها على بعض، و الإعراب و الاستنباط، فهو يفوقها بذلك.

ثم قال: فإن قلت: فأى التفاسير ترشد إليه، و تأمر الناظر أن يعول عليه؟

قلت: تفسير الإمام أبى جعفر ابن جرير الطبرى، الذى أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف فى التفسير مثله. قال النورى- فى تهذيبه:- كتاب ابن جرير فى التفسير لم يصنف أحد مثله.

قال: و قد شرعت فى تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه، من التفاسير المنقولة، و الأقوال المقولة، و الاستنباطات، و الإشارات، و الأعراب، و اللغات، و نكت البلاغة، و محاسن البدائع و غيره، ذلك بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلا، و سمّيته بمجمع البحرين و مطلع البدرين. و هو الذى جعلت هذا الكتاب (الإتقان) مقدمه له. و الله أسأل أن يعين على إكماله، بمحمد و آله «٣». (١) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى قال الذهبى: الإمام الجليل المفسر، ثقة صادق، فيه تشيع يسير، و موالاة لا تضمر. (ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٤٩٨-٤٩٩، رقم ٧٣٠٦)

(٢) البرهان للزركشى، ج ٢، ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) الإتقان، ج ٤، ص ٢١٢-٢١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٨

و هكذا ذكر فى مقدمه الإتقان: أنه جعله مقدمه للتفسير الكبير الذى شرع فيه، و سمّاه بمجمع البحرين و مطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية و تقرير الدراية «١».

لكنه لم يذكر أنه أتمه و أخرجه للنشر أم لا. «٢» و الظاهر أنه لم يتمه؛ إذ لا أثر له إطلاقا. نعم أخرج كتابه «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» حافلا بأقوال الصحابة و التابعين و أتباعهم، مستوعبا و مستقصيا كل ما ورد بذلك من نقول و روايات؛ و بذلك كان أجمع كتاب فى هذا الباب (التفسير النقلى) و ليس فيه شىء من تقرير الدراية أصلا، و قد أصبح بذلك مخزنا كبيرا يجمع فى طيه من كل رطب و يابس، و الاعتبار فيها إنما هو بذكر السند، و هو المعيار لتمييز الصحيح عن السقيم عند العلماء.

وقال أحمد بن عبد الحليم: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجح كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين:

كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. وقال: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً. وعن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعها ألواح، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله؛ ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد (١) الإتقان، ج ١، ص ١٤.

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة، ج ٢، ص ١٥٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٩

فحسبك به.

وكسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس (١٣٩) البصري الخراساني، و قتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم، من التابعين و تابعيهم، و من بعدهم «١». وقال: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبيرة وأمثالهم. وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود؛ ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم. و علماء أهل المدينة في التفسير، مثل زيد بن أسلم (١٣٦) الذي أخذ عنه التفسير مالك، وكذا ابنه عبد الرحمن «٢». وعدّ السيوطي من مبرزى التابعين مجاهداً، قال خصيف: كان أعلمهم بالتفسير، ولهذا على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم - كما قال ابن تيمية - و كان غالب ما أورده الفريابي في تفسيره عنه.

ومنهم سعيد بن جبيرة. قال الثوري: خذوا التفسير من أربعة: عن سعيد بن جبيرة، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك. وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام، وكان أعلمهم بالتفسير سعيد بن جبيرة.

ومنهم عكرمة مولى ابن عباس. قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من (١) مقدمته في أصول التفسير، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) مقدمته في أصول التفسير، ص ٢٣ - ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٠

عكرمة. وكان ابن عباس يجعل في رجليه الكبل، يعلمه القرآن والسنة.

ومنهم الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي سلمة الخراساني، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية، والضحاك، وعطيئة، و قتادة، وزيد بن أسلم، ومرة الهمداني، وأبو مالك.

و يليهم الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، «١» في آخرين.

فهؤلاء قدماء المفسرين، و غالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة.

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة و التابعين، كتفسير سفيان بن عيينة، و وكيع بن الجراح، و شعبة بن الحجاج، و يزيد بن هارون، و عبد الرزاق، و آدم بن أبي أياس، و إسحاق بن راهويه، و روح بن عباد، و عبد بن حميد، و سنيد، و أبي بكر ابن أبي شيبة و آخرين «٢».

هذا، و قد تعلل بعضهم في اعتبار ما ورد من تفاسير التابعين؛ إذ ليس لهم سماع من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهي من آرائهم، و يجوز عليهم الخطاء، كما لم ينص على عدالتهم كما نص على عدالة الصحابة. فقد نقل عن أبي حنيفة أنه قال: ما جاء عن رسول الله فعلى الرأس و العين، و ما جاء عن الصحابة تخيرنا، و ما جاء عن التابعين فهم رجال و نحن رجال.

وقال شعبه بن الحجاج: أقوال التابعين ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟! (١) توفي سنة (١٨٢) قال ابن خزيمة كان من أهل العبادة والتشّف، ولم يكن من أجلس الحديث.

(تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ١٧٧-١٧٩)

(٢) الإتقان، ج ٤، ص ٢١٠-٢١٢.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣١

وقد عرفت عن أحمد روايتين، احدهما بالقبول، والأخرى بالرفض.

قال الأستاذ الذهبي: والذى تميل إليه النفس، هو أنّ قول التابعى فى التفسير لا يجب الأخذ به، إلّا إذا كان ممّا لا مجال للرأى فيه، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة. فإن ارتبنا فيه، بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، فلنا أن نترك قوله ولا نعلمد عليه. أمّا إذا أجمع التابعون على رأى فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره «١».

قلت: إن كان أريد التعبد بأقوال التابعين والتسليم لآرائهم، فهذا لا وجه له، ولا مبرر لذلك، فإنهم - كما قال أبو حنيفة - رجال و نحن رجال.

لكن مقصود البحث غير ذلك، وإنما هو الاعتبار العقلانى، بالنظر إلى أسبقيتهم وأقربيتهم إلى منابع الوحي ومهبط التنزيل، وأمس بجوانب الشريعة، وأقرب تناولا إلى أعتاب أعلام الصحابة والأئمة الهداء، كما تبهنا، فضلا عن أنهم أعرف بمواضع اللغة وأساليب العرب الفصحى، ممن نزل القرآن بلغتهم وعلى أساليب كلامهم المعروف.

فكانت آراؤهم ونظراتهم المستنبطة من أصول متينة، المستقاة من مناهل صافية وضافية، من خير الوسائل السليمة لفهم معانى القرآن الكريم؛ فهى بالاستعانة بها والاستفادة منها أقرب منها إلى التعبد والتقليد.

وقد عرفت أن جلّ التابعين من متخرّجى مدارس الصحابة الأولين كعبد الله ابن مسعود، وابن عباس، الذى كان هذا بدوره متخرّجا من مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فجمله علومهم وأصول معارفهم مستندة إلى منابع أصيلة منتهية (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٢٨-١٢٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٢

إلى مصدر الوحي الأمين، الأمر الذى يجعل الفرق واضحا بين من كان شأنهم هذا، وبين من كان مستقى علمه بعيد المنال، ينتهى إليه بوسائط كثيرة، وفى جهد بليغ.

كما هى حالتنا الحاضرة بالنسبة إلى حالة التابعين، وهم على مشارف منابع الأولى يستقون منها بالمباشرة، وعن تناول قريب. وعلى أى حال، فإن اجتهاد من كانت منابع فى متناوله القريب، أصوب وأسد وأبين طريقا، ممن كان على مراحل من منابع الاجتهاد. ولا أقل من كون اجتهاد السابقين دلائل تنير الدرب لاجتهاد اللاحقين، الأمر الذى لا ينبغى إنكاره.

### مميزات تفسير التابعى

يمتاز التفسير فى عهد التابعين بمميزات، تفصلها عن تفاسير الصحابة من وجوه:

أولا: التوسع فيه. فقد تعرّض التابعون لمختلف أبعاد التفسير، وخاضوا معانى القرآن، من مختلف الجهات والمناحي. بينما كان تفسير الصحابة مقتصرًا على جوانب محدودة من اللغة، وشأن النزول، وبعض المفاهيم الشرعية؛ لرفع ما أبهم على الناس من هذه الجهات فحسب. فقد خطا تفسير التابعى خطوات أوسع، وفى جوانب أكثر.

ومن ثم فإن التفسير فى هذا العهد يشمل جوانب الأدب واللغة فى أبعاد مترامية، وهكذا التاريخ لأمم سالفه، وأمم معاصرة مجاورة

لجزيرة العرب، تاريخ حياتهم و بلادهم، على ما وصلت إليهم من أخبارهم، و حتى بعض لغاتهم و ثقافتهم، مما يمس جانب القرآن. و هكذا دخل في التفسير بحوث كلامية نشأت ذلك العهد، و ارتبطت مع كثير من آي القرآن بعض الربط، كآيات الصفات و المبدأ و المعاد، و ما شابه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٣

و قد أخذ هذا التوسع بازدياد مطرد، و في أبعاد مستجدة كلما توسّعت العلوم و المعارف، و ازداد التعرف إلى آداب و ثقافات كان يملكها أمم يدخلون في دين الله أفواجا، و معهم علومهم و معارفهم، يحملونها و يجعلونها في خدمة الإسلام و المسلمين، و كانت لم تزل تتسع مع اتساع رقعة الإسلام.

و لا يزال حجم التفسير يتضخم؛ حيث و فرة العلوم و المعارف المساعدة لحلّ قسط وافر من مشاكل غامضة، مما تحتضنه كثير من آيات كونية أو لافته إلى خبايا أسرار الوجود. و للعلم و الفلسفة في جميع مناحيهما حظهما الأوفر في هذا المجال. ثانيا: تشكّله و ثبته، ثم تدوينه.

كان التفسير على عهد الصحابة كحاله في عهد الرسالة، منتثرا على أفواه الرجال، و ميثوثا بين أظهرهم، محفوظا في الصدور، لقصر خطاه و قرب مداها.

و مقتصر على بضع كلمات لبضع آيات، كانت خافية المفاد، أو مبهمه المراد حينذاك.

أما و كونه منتظما رتبا، و مثبتا ذا تشكيل و تدوين، فهذا قد حصل أو أخذ في الحصول على عهد التابعين و تابعي التابعين. كان أحدهم يعرض القرآن من بدئه إلى الختم، على شيخه يقرؤه عليه، يقف لدى كل آية آية يسأله عنها و يستفهمه معانيها، أو يستعلم منه مقاصدها و مراميها، و لا يجوزها حتى يدونها في سجلّ، أو يثبتها في دفتر أو لوح، كان يحمله معه. و هكذا أخذ التفسير يتشكل و يتدوّن ذلك العهد.

قال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرّات، أقف عند كل آية، أسأله فيم أنزلت، و كيف نزلت. قال ابن أبي مليكة: رأيت مجاهدا يسأل ابن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٤

عباس عن تفسير القرآن، و معه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله. و من ثم قيل: أعلمهم بالتفسير مجاهد (١).

و كان ابن عباس يجتهد في تربية عكرمة مولاه، فرباه فأحسن تربيته، و علمه فأحسن تعليمه، حتى أصبح فقيها، و أعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن (٢).

و لقتادة كتاب في التفسير، و ربما كان كبير الحجم ضخما. فقد استخدمه الخطيب البغدادي، كما استخدمه الطبري في أكثر من ثلاثة آلاف موضع من تفسيره (٣).

و هكذا لجابر بن يزيد الجعفي (٤)، و الحسن البصري (٥)، و أبان بن تغلب (٦)، و زيد بن أسلم (٧)، و غيرهم كتب معروفة في التفسير و علوم القرآن.

قال عادل نويهض: أبان بن تغلب مقرئ جليل، مفسّر، نحويّ، لغويّ، محدّث، من أهل الكوفة. وثقه أحمد و ابن معين و أبو حاتم. خرّج له مسلم و الأربعة. من آثاره «معاني القرآن» و «غريب القرآن». و لعله أول من صنّف في هذا الموضوع. توفي سنة (١٤١) (٨).

و سندكر في فصل قادم بدء التدوين في التفسير، الأمر الذي تحقق منذ عهد (١) و قد سبق ذلك في ترجمته.

(٢) راجع: ترجمته هنا.

(٣) الشواخ في معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٣، رقم ٩٩٩.

(٤) فهرست مصنفى الشيعة، ص ٩٣.

(٥) الشواخ، ج ٢، ص ١٦١.

(٦) طبقات المفسرين، ج ١، ص ١.

(٧) الطبقات للداودى، ج ١، ص ١٧٦.

(٨) معجم المفسرين، ج ١، ص ٧-٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٥

التابعين.

و ثالثا: النظر و الاجتهاد. كانت هي ميزة كبرى حظى بها عهد التابعين، أن قام عديد من كبار العلماء ذاك العهد، فاعملوا النظر فى كثير من مسائل الدين، و منها مسائل قرآنية كانت تعود إلى: معانى الصفات، و أسرار الخليفة، و أحوال الأنبياء و الرسل، و ما شاكل. فكانوا يعرضونها على شريعة العقل، و يحاكونها وفق حكمه الرشيد، و ربما يؤولونها إلى ما يتوافق مع الفطرة السليمة.

و أول مدرسة أخذت فى الاجتهاد و أعمال النظر لاستنباط معانى القرآن، مدرسة مكة، التى أشادها الصحابى الجليل تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الموقف، عبد الله بن عباس. و كان متخرجو هذه المدرسة هم الذين أسسوا ببيان الاجتهاد فى التفسير، و على يدهم شاعت و ذاعت طريقة الاجتهاد فى مناحى الشريعة المقدسة، على الإطلاق.

ثم مدرسة الكوفة، تأسست على يد عبد الله بن مسعود، و تخرّجت منها علماء أفذاذ، أصحاب نظر و اجتهاد. و أصبحت مدرسة الكوفة بعدئذ معهد الدراسات الإسلامية، يقصدها روّاد العلم من جميع أطراف البلاد؛ حيث محطّ جلّ الصحابة، و لا سيّما بعد مهجر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فقد ارتحل إليها العلم برمته، و أخذت مجامع الكوفة تحتضن الكبار من علماء الإسلام يومذاك، و عليهم دارت رحى العلم و فاضت ينابيع المعارف إلى أرجاء البلاد.

و لم تدم مدرسة مكة طويلا، و أخذت بالأفول بعد وفاة صاحبها و مؤسسها عام (٦٨)، و تفرّق متخرجيها و انتشارهم فى أكناف الأرض. فقد ارتحلوا إلى خراسان و مصر و الشام و سائر الديار.

غير أن مدرسة الكوفة أخذت تزدهر و تزداد صيتا و نشاطا مع تقادم الأيام. و هاتان المدرستان هما الأساس لنشر العلم و بثّ المعارف بين العباد، و إن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٦

كانت إحداهما أخذت فى الاندثار، بينما الأخرى استمرت فى الازدهار و التوسّع و الانتشار.

و أكثر العلماء التابعين بل الغالبية الساحقة، هم المتخرجون من هاتين المدرستين.

فكان لهما الفضل الكبير على الأمة، فى تثقيفهم و التنشيط فى السعى وراء العلم و المعرفة. و يعود الفضل فى ذلك إلى الصحابين الجليلين: ابن عباس و ابن مسعود، و على رأسهما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

هذا مجاهد بن جبر، متخرّج مدرسة ابن عباس، و قد أجمعت الأمة على إمامته و الاحتجاج بكلامه «١».

رمى بحرية الرأى فى التفسير، و إن شئت فقل: حظى بقوة الفهم و حدّة النظر و وفور العقل و الذكاء.

نعم، حيث كانت عقلية الجمود هي الساطية على غوغاء الناس حينذاك، كان توجيهه هكذا تهيم إلى أمثال هؤلاء الأفذاذ، يبدو طبيعيا فى ظاهر الحال.

قيل له: أنت الذى تفسّر القرآن برأيك؟! فبكى، و قال: إننى إذن لجرىء. لقد حملت التفسير (أى أصول مبانيه و طرائق استنباط معانيه) عن بضعة عشر رجلا من أصحاب النبى صلّى الله عليه و آله و سلم.

نعم كان مجاهد يحمل ذهنية متحرّرة عن قيود الأوهام، و عقلية واعية تمكّنه من إدراك الحقائق و لمسها فى واقع أمرها، دون

الاقتصار على الظاهر و الاقتناع (١) هكذا ذكر الذهبي. و عن سفيان: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. و عن الأعمش: إذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ. راجع: ترجمته فيما قدّمنا.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٧

بالقشور.

إنه كان يعرض الآي القرآنية- لغرض فهم معانيها- على المتفاهم العام من الألفاظ و الكلمات، ثم على مباني الشريعة و شواهد التاريخ و نحوها، ممّا كان متعارفا لفهم المعاني لدى العرف العام. لكن من غير أن يقتنع بذلك، حتى يعرضها على فهم العقل و توافق الفطرة، من غير أن يختفى عنه شيء من الشواهد و دقائق الكلام.

قال- في تفسير قوله تعالى: فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ-: «١» لم يمسيخوا قردة، و إنما هو مثل ضربه الله، كما قال: كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَجْمَلُ أَشْفَاراً «٢»، قال:

إنه مسخت قلوبهم، فجعلت قلوب القردة، لا تقبل و عطا و لا تتقى زجرا «٣».

و قد تكلمنا عن تفسيره هذا لهذه الآية، في ترجمته السالفة، و ذكر أوجه ترجيحه، و كلام السلف و علماء المفسرين بشأنه.

و قال- في تفسير قوله تعالى: رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوْلَادِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنكَ- «٤» قال: مثل ضرب لم ينزل عليهم شيء، قال أبو جعفر الطبري: قال قوم: لم ينزل على بني إسرائيل مائدة، فقال بعضهم: إنما هذا مثل ضربه الله تعالى لخلقه،

نهاهم به عن مسألة نبي الله الآيات. ثم أسند ذلك إلى مجاهد «٥». (١) البقرة/ ٦٥.

(٢) الجمعة/ ٥.

(٣) راجع: مجمع البيان- الطبرسي-، ج ١، ص ١٢٩. و الطبري، ج ١، ص ٢٦٣. و تفسير مجاهد، ص ٧٥-٧٦.

(٤) المائدة/ ١١٤.

(٥) جامع البيان للطبري، ج ٧، ص ٨٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٨

و عند تفسير قوله تعالى: وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ «١»، قال:

تنتظر الثواب من ربها. قيل له: إن أناسا يقولون: إنه تعالى يرى، فيرون ربهم: فقال:

لا يراه من خلقه شيء «٢».

قال الأستاذ الذهبي: إن مثل هذا التفسير عن مجاهد، أصبح مكننا قويا للمعتزلة فيما بعد، فيما ذهبوا إليه من مذاهب عقليّة.

قلت: ليس مجاهد وحده ممن فتح باب الاجتهاد و النظر في مفاهيم القرآن، بل كان يرافقه- ذلك العهد- كثير من أرباب العقول الراجحة، ممن سمّاهم الله تعالى أُولَى الْأَلْبَابِ، و هم وفره في أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و التابعين لهم بإحسان. و في هذا التأليف تنويه بجلّة من أعلامهم.

كما أن المعتزلة ليسوا هم وحدهم- ممن تبعوا طريقة العقل الرشيد، و نبذوا الجمود في الرأى وراء الظهور. ففيما عدا السلفيين الحفاه الجفاه و أذناهم الأشاعرة العراء، خلق كثير و زرافات من الأمية المرحومة، و اكبوا أهل الاعتزال أو سبقوهم في هذا المضمار، و لا يزال.

و من الموصوفين بحريّة الرأى و الاجتهاد في التفسير، عكرمه مولى ابن عباس، الذي رباه فأحسن تربيته و علمه فأحسن تعليمه، حتى أصبح من الفقهاء و أعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن «٣».

كان يرى مسح الأرجل في الوضوء مستفادا من الكتاب، كما فهمه شيخه ابن (١) القيامة/ ٢٣.

(٢) تفسير الطبري، ج ٢٩، ص ١٢٠. و قد أسبقنا الحديث عن ذلك أيضا في ترجمته.

(٣) ابن خلكان، ج ٣، ص ٢٦٥ رقم ٤٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٩

عباس، و يرفض ما استظهره سائر الفقهاء، و يخطئهم في استظهار الخلاف (١).

و هكذا في المسح على الخفين كان ينكره أشد الإنكار. كان يقول: «سبق الكتاب المسح على الخفين» (٢)، يعني: أن الكتاب جاء بالمسح على الأرجل. أما المسح على الخفين فأمر حادث، لا يجوز ترك القرآن بذلك.

أمّا القوم فكانوا يرون المسح على الخفين ناسخا للمسح على الأرجل. ذكر الجصاص أن أبا يوسف كان يرى أن سنة المسح على الخفين نسخت آية المسح على الأرجل (٣).

و زيد بن أسلم مولى عمر، الفقيه المفسر، برع حتى أصبح من كبار التابعين المرموقين. كانت له حلقة في مسجد المدينة يحضرها جلّ الفقهاء و ربّما بلغوا أربعين فقيها. له تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن. قال ابن حجر: أخذ العلم من جماعة، منهم على بن الحسين زين العابدين عليه السلام، و عدّه أبو جعفر الطوسي من أصحاب الإمام السجاد. قال: كان يجالسه كثيرا. له رواية عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام.

و قد أخذ عليه حرّيته في الرأى و الاجتهاد، على خلاف مذهب الاحتياط و الوقوف لدى المأثور. قال حمّاد: قدمت المدينة و هم يتكلمون في زيد بن أسلم. فقال لى عبيد الله بن عمر: ما نعلم به بأسا إلّا أنه يفسر القرآن برأيه. (١) راجع: الطبري، ج ٦، ص ٨٢-٨٣ و الطبرسي، ج ٣، ص ١٦٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٨.

(٣) أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٣٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٠

و المعروف عن أهل المدينة أنّهم أصحاب وقف و احتياط (١).

هذا، و قد راج التفسير العقلي فيما بعد، و لا سيّما عند المعتزلة و من حذا حذوهم في تقديم العقل على ظاهر النقل.

هذا أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (٢٥٥-٣٤٤) قد وضع تفسيره على أساس من التفكير الصحيح، وفق ما يرتضيه الدين الإسلامي الحنيف، من نبذ التقليد و التمسك بعري التحقيق أ فلا يتبدّبزّون القرآن أم على قلوب أقفالها، و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكّرون .. (٢).

هو عند ما يفسر قوله تعالى: قال رب اجعل لي آية. قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلّا رمزا. و اذكر ربك كثيرا و سبح بالعشي و الأبيكار (٣) بأن زكريا لما طلب من الله تعالى آية تدلّه على حصول العلق (انعقاد النطفة في رحم زوجته) قال: آيتك أن لا تكلم، أى تصوير مأمورا بأن لا تتكلم ثلاثة أيام لباليها مع الخلق (أى إذا جاءك الأمر بذلك، فاعلم أن الحمل يحيى قد تحقق عند ذلك) أى تكون مشتغلا بالذكر و التسبيح و التهليل، معرضا عن الخلق و الدنيا، شاكرًا لله تعالى على إعطاء مثل هذه الموهبة. فإن كانت لك حاجة، دلّ عليها بالرمز. فإذا أمرت بهذه الطاعة فاعلم أنه قد حصل المطلوب. (١) طبقات المفسرين للداودي، ج ١، ص ١٧٦. و ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٩٨، و راجع:

ترجمته هنا.

(٢) محمد/٢٤، النحل/٤٤.

(٣) آل عمران/٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤١

يقول الإمام الرازى بشأنه- و هو أشعري يخالفه في المذهب:- «و هذا القول عندى حسن معقول. و أبو مسلم حسن الكلام في التفسير،



كثير الغوص على الدقائق و اللطائف» (١).

هذه شهادة راقية من أكبر علم من أعلام التحقيق في الفلسفة و الكلام، بشأن ألمع شخصية بارزة، مارس عقله و شاور لُبّه عند تفهّم القرآن، ممّن نبذ التقليد و أخذ في التدقيق.

و أنت إذا قارنت هذا التفسير لهذا الموضوع بالذات، مع سائر التفاسير التي عرضها القوم، تجد الفرق باثنا و البون شاسعا. ذكر أبو جعفر الطبري: أن عدم التكلم هنا كان عن عجز، سلبه الله القدرة على الكلام، فيما سوى التسبيح و التحميد؛ و ذلك تمحيصا له من هفوته و خطأ قبله في سؤاله الآية. قيل: إنه لما سمع نداء الملائكة يبشرونه بيحيى، جاءه الشيطان من فوره، و قال له: يا زكريا، إن الصوت الذي سمعت ليس من عند الله، إنما هو الشيطان يسخر بك. قالوا: فشكّ زكريا في مكانه، و قال: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ «٢». و من ثم طلب من الله أن يجعل له آية، يرتفع بها شكّه، فعاتبه الله على مسأله تلك و أنه لا ينبغي لنبي أن يشكّ. قال الطبري - فيما رواه -: إنما عوقب بذلك، لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك، فبشّرته بيحيى، فلما سأل الآية بعد كلام الملائكة مشافهة، أخذ الله عليه (١) التفسير الكبير، ج ٨، ص ٤٠ - ٤١.

(٢) آل عمران / ٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٢

بلسانه، فكان لا يقدر على الكلام إلّا إيماء «١».

و قال القرطبي: لما بشّر بالولد. و لم يبعد عنده هذا في قدرة الله، طلب آية يعرف بها صحه هذا الأمر، و كونه من عند الله، فعاقبه الله بأن أصابه السكوت عن كلام الناس؛ لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إيّاه. «٢» و هكذا أكثر المفسرين من أصحاب النقل في التفسير كابن كثير و أضرابه «٣».

غير أن أرباب التحقيق رفضوا تلك النقول المنافية لأصول العقيدة الإسلامية، و لا سيّما فيما يمسّ جانب عصمة الأنبياء و صيانتهم عن إمكان غلبه الشيطان على مشاعرهم.

قال الشيخ محمد عبده: و من سخافات بعض المفسرين، و التي لا تليق بمقام الأنبياء عليهم السلام زعمهم أن زكريا عليه السلام اشتبه عليه وحي الملائكة و نداؤهم، بوحى الشياطين؛ و لذلك سأل سؤال التعجب، ثم طلب آية للتثبت. روى ابن جرير فيما روى: أن الشيطان هو الذي شكّكه في نداء الملائكة، و قال له: إنه من الشيطان.

قال: و لو لا الجنون «٤» بالروايات مهما هزلت و سمجت، لما كان لمؤمن أن يكتب مثل هذا الهزل و السخف الذي ينبذه العقل، و ليس في الكتاب ما يشير إليه.

و لو لم يكن لمن يروى مثل هذا إلّا هذا، لكفى في جرحه، و أن يضرب بروايته على وجهه. فعفا الله عن ابن جرير، إذ جعل هذه الرواية ممّا ينشر.

ثم فسر الآية وفق ما فسرّها أبو مسلم: قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً، أي علامه (١) جامع البيان للطبري، ج ٣، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٨٠.

(٣) راجع: تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٦٢.

(٤) أي الشغف بجمع الأخبار مهما كان نمطها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٣

تتقدم هذه العناية و تؤذن بها قال آيتك أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ...، أي ترك ذلك مختارا لتفرغ لعبادة الله «١».

و هكذا في قصة إبراهيم الخليل و الطيور الأربعة: قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِيَّاكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنِكَ سَعِيًّا «٢».

قال الرازي: أجمع أهل التفسير على أن المراد: قطعهم، غير أبي مسلم فإنه أنكر ذلك، و قال: إن إبراهيم عليه السلام لما طلب إحياء الميت من الله تعالى أراه الله مثالا قَرَبَ إليه الأمر، و المراد ب «فَصِيْرُهُنَّ إِلَيْكَ»: الإمامة و التميرين على الإجابة، أى فعود الطيور الأربعة أن تصير بحيث إذا دعوتها إجابتك و أتتك، فإذا صارت كذلك فاجعل على كل جبل واحدا حال حياته ثم ادعهنَّ يأتينك سعيا. و الغرض منه ذكر مثال محسوس فى عود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة. و أنكرو القول بأن المراد منه: فقطعهن. قال: و احتج على مذهبه بوجوه:

الأول: أن المشهور فى اللغة فى قوله «فَصِيْرُهُنَّ»: أملهنَّ. أما التقطيع و الذبح فليس فى الآية ما يدل عليه. فكان إدراجه فى الآية إلحاقا لزيادة بالآية لم يدل الدليل عليها، و أنه لا يجوز.

الثانى: أنه لو كان المراد ب «صرهنَّ»: قطعهن، لم يقل: «إليك»، فإن ذلك لا (١) تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩٨-٢٩٩. و لسيدنا العلامة الطباطبائى هنا كلام غريب رجح رأى سائر المفسرين و جوز اشتباه الأمر على الأنبياء لو لا عنايته تعالى برفعه منهم هو عجيب منه. راجع: الميزان ج ٣، ص ١٩٤. (٢) البقرة/ ٢٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٤

يتعدى بالى، و إنما يتعدى بهذا الحرف إذا كان بمعنى الإمامة. فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال فى الكلام تقديم و تأخير، و التقدير: فخذ إليك أربعة من الطير فصرهنَّ؟

قلنا: التزام التقديم و التأخير من غير دليل ملجئ إلى التزامه خلاف الظاهر.

و أيضا الضمير فى «يأتينك» عائد إليها لا إلى أجزائها، و على قولكم: إذا سعى بعض الأجزاء إلى بعض كان الضمير فى «يأتينك» عائدا إلى أجزائها لا إلى الطيور أنفسها «١».

ثم إن الإمام الرازي يذكر حجج المشهور رادا على أبي مسلم. و قد نقلها صاحب تفسير المنار و ضعفها، و أيد مذهب أبي مسلم فى تفسير الآية فى شرح و تفصيل، ثم قال:

و جملة القول: أن تفسير أبي مسلم لهذه الآية هو المتبادر الذى يدل عليه النظم، و هو الذى يجلى الحقيقة فى المسألة، و أخذ فى تقريب ذلك. و أخيرا قال:

و لله درّ أبى مسلم، ما أدق فهمه و أشد استقلاله فيه «٢».

و هذه أيضا شهادة بشأن أبى مسلم، من أكبر علماء التفسير فى العصر الأخير.

هذا، و لأمثال أبى مسلم مواقف مشرفة تجاه سائر المفسرين الظاهريين، كانت نوافذ قلوب أمثاله متفتحة، يسرون فى ضوء العقل، و على مناهج التفكير المتين «٣».

و هذا إن دلّ فإنما يدل على مدى قوة الاجتهاد و دوره المجيد فى تفسير (١) التفسير الكبير، ج ٧، ص ٤١-٤٢.

(٢) راجع: تفسير المنار، ج ٣، ص ٥٦-٥٨.

(٣) و سنعرض نماذج من تفاسيرهم التى جاء نسجها على نفس المنوال، فى فصول قادمة إن شاء الله.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٥

القرآن الكريم، و الذى فتح بابه بمصرعين، نبهاء السلف الصالح أيام الصحابة و التابعين، و استمرت طريقتهم الحميدة سنه حسنة متبعة حتى اليوم.

قال الرازي فى تفسير قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا. فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، فَتَعَالَى

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «١».

قال- بعد إيراد إشكال و اعتراضات على ظاهر الآية-: إذا عرفت هذا فنقول:

في تأويل الآية وجوه صحيحة سليمة خالية عن هذه المفاسد:

الأول: فما ذكره القفال «٢»؛ أنه تعالى ذكر هذه القصّة على تمثيل ضرب المثل، و بيان أنّ هذه الحالة هي صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم و قولهم بالشرك.

قال: و تقرير هذا الكلام، كأنه تعالى يقول: هو الذى خلق كل واحد منكم من نفس واحدة، و جعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه فى الإنسانية. فلما تغشّى الزوج زوجته و ظهر الحمل، دعا الزوج و الزوجة ربهما لئن آتيتنا ولدا صالحا سويا ل نكوننّ من الشاكرين. فلما آتاهما الله ولدا صالحا سويا، جعل الزوج و الزوجة لله شركاء فيما آتاهما؛ لأنهما تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبايع كما هو قول الطبايعيين، و تارة إلى الكواكب كما هو دأب المنجمين، و تارة إلى الأصنام و الأوثان كما هو قول عبدة الأصنام. (١) الأعراف / ١٨٩-١٩٠.

(٢) توفى سنة (٣٦٥ ق)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٦

ثم قال الرازى: و هذا جواب فى غاية الصّحة و السّداد، ثم ذكر بقية الوجوه، فراجع «١».

و قد حمل العلامة جار الله الزمخشري آية عرض الأمانة على السماوات و الأرض (الأحزاب: ٧٢) على ضرب من التمثيل، ثم قال: و نحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب، و ما جاء القرآن إلّا على طرقهم و أساليبهم؛ من ذلك قولهم:

لو قيل للشحم: أين تذهب؟ لقال: أسوى العوج. و كم و كم لهم من أمثال على ألسنة البهائم و الجمادات «٢».

و يروى ابن كثير- فى تفسير قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ... «٣» بإسناده إلى ابن جريج عن عطاء- قال: هذا مثل، يعنى أنها ضرب مثل لا قصّة وقعت «٤».

رابعا: رواج الإسرائيليات فى هذا العهد.

ففى هذا الدور دخل كثير من الإسرائيليات فى التفسير؛ و ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب، فى الإسلام فى هذا العهد بالذات، و كان لا يزال عالقا بأذهانهم من الأفاصيص و أساطير أسلافهم، ما يعود إلى بدء الخليقة و أسرار (١) التفسير الكبير، ج ١٥، ص ٨٦-٨٧.

(٢) الكشّاف، ج ٣، ص ٥٦٥.

(٣) البقرة / ٢٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٩٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٧

الوجود و بدء الكائنات و أخبار الأمم الخالية و أحاديث الأنبياء، و كثير من القصص الأسطورية التى جاءت فى التوراة، و سائر الكتب السالفة.

و كانت النفوس ميّالة لسماع تفاصيل ما جاء إجمالها فى القرآن الكريم، و لا سيّما فيما يعود إلى أحداث يهودية أو نصرانية، ممّا جاء فى العهدين. فكان المسلمون يستمعون إلى أقاصيص هؤلاء، و يصغون مسامعهم إلى تلكم الأساطير.

و قد تساهل التابعون- رغم مناهى النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و أصحابه الكرام- فرجوا فى التفسير بكثير من هذه الإسرائيليات، بدون تحزّ و تمحيص. و أكثر من روى عنه ذلك من مسلمى أهل الكتاب: عبد الله بن سلام، و كعب الأبحار، و وهب بن متبه، و عبد الملك بن جريج، و أضرابهم.

الأمر الذى يؤخذ على التابعين مساهلتهم هذه، كما هو مأخوذ على من جاء بعدهم، و سار على نفس المنوال من غير روية و تحقيق «١».

و سوف نستعرض هذه الناحية عرضا موسعا، عند الكلام عن أسباب الوهن فى التفسير بالمأثور، و أن الروايات التفسيرية غير نقيه، هى بحاجة إلى تنقيح.

### منابع التفسير فى عهد التابعين

كان التلقى فى التفسير هو العنصر الأولى، و الأداة المفضلة لفهم كتاب الله تعالى، ذلك العهد؛ إذ كان التابعون يسيرون فى أثر الصحابة و كانوا تربيتهم بالذات، فانتهجوا منهجهم بطبيعة الحال. غير أنهم أخذوا بالتوسع و التفتح إلى آفاق واسعة الأرجاء، حسب توسع رقعة الإسلام و دخول الأقوام فى دين الله (١) راجع: أحمد أمين فجر الإسلام، ص ٢٠٥ و التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٣٠.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٨

أفواجا، و معهم علومهم و آدابهم و ثقافتهم، كما تبيننا. فازداد التبصر و التفتح إلى آفاق أوسع، و التطلع إلى أرجاء أبعد. و لا شك أنه كلما ازداد علم الرجل و تنوعت ثقافته و ترامت معارفه، فإنه يزداد تبصيره و يتوسع تفكيره و تفهمه للأمور، مهما كان نمطها، و أيا كان نسجها.

و بعد، فيمكننا تنوع المصادر التى كان التابعون يعتمدونها لفهم معانى كلام الله تعالى، و تبيين مقاصده و مرامينه، إلى الأمور التالية: أولا: مراجعة الكتاب نفسه؛ حيث القرائن و الدلائل فى كلام أى متكلم، خير شهود على كشف مراده و الوقوف على مرامه. و هكذا القرآن ينطق بعبءه ببعض و يشهد بعبءه على بعض، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثانيا: ملاحظة ما تلقوه من أقوال الصحابة و أحاديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بشأن تبيين معانى الكتاب.

حيث الأسئلة حول لفيق من معانى القرآن كانت كثيرة على عهدده صلى الله عليه و آله و سلم، و كان عليه البيان، كما كان عليه البلاغ. و من تلك الأسئلة و أجوبتها كانت وفرة و فيرة مدخرة على أيدي الصحابة، يؤدونها إلى الذين اتبعوهم بإحسان. و قد تقدم حديث مسروق بن الأجدع، و وصفه لعلوم الأصحاب المتلقاه من النبى الكريم.

ثالثا: مراعاة أسباب النزول و المناسبات المستدعية لنزول آية أو آيات أو سورة و نحوها؛ حيث كانت فى متناولهم القريب، و هم الذين نقلوها إلينا فيما نقلوه من الآثار و الأخبار.

و حيث كانت الآيات النازلة بشأنها ناظرة إلى جوانب و خصوصيات تحتضنها تلك الحوادث و المناسبات، فإنها بدورها تصبح خير دلائل على رفع كثير من الإبهام الوارد فى ألفاظ تلك الآيات بالذات. و كان أصحاب ذلك العهد

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٩

(عهد التابعين) إما حضروا تلك المشاهد بأنفسهم، أو بإمكانهم الملاقاة مع شهود القضايا، و الأخذ منهم مشافهة.

و هذا من أكبر المصادر لرفع الإبهام عن وجه كثير من الآيات، و كان فى متناولهم القريب.

رابعا: مراجعة اللغة فى صميمها، و لا سيما أشعار العرب، و هى ديوانها و دائرة معارفها، للوقوف على مزايا اللغة و أساليب كلام العرب. و القرآن نزل على نمطها و على نفس نسجها فى التعبير و البيان، و إن كان فى أسلوب أرقى و على نسج أقوى.

و كان ابن عباس يوصى أصحابه بل يحضهم على مراجعة أشعار العرب للتعرف على غريب القرآن. و لقد عدّ زعيم هذه الناحية من التفسير بالخصوص، حتى لقد قيل بشأنه: إنه هو الذى أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن «١».

كان يقول: الشعر ديوان العرب، فإذا خفى علينا حرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا ذلك منه.

و أيضا قوله: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب «٢».

خامسا: أنحاء العلوم و المعارف التي تعرّف إليها المسلمون، بفضل التوسع في رقعة الإسلام. و ازدحام وفود الآداب و الثقافات المستوردة عليهم، يحملها أمم ذوا حضارات عريقة، كانوا يدخلون في دين الله أفواجا.

و قد أسلفنا أن التوسع في الاطلاع على العلوم و المعارف، مهما كان نمطها، (١) المذاهب الإسلامية لتفسير القرآن، ص ٦٩. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٧٥.

(٢) الإتقان، ج ١، ص ١١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٠

فإنه يزيد في قوة الفهم و إمكان لمس حقائق الأمور، و يرتفع مستوى قدرة الاستنباط بدرجات، لا يبلغها من أعوزه النيل منها بنسبة إعوازه.

و هكذا استفاد التابعون- و من بعدهم- بالعلوم و المعارف المستجدة، و المستزادة مع تقادم الأيام، استفادوا بها في فهم معاني كلام الله تعالى، و قد أنزله الذي يعلم السر في السماوات و الأرض «١».

سادسا: اعتمادهم على ما فتح الله عليهم من طريق الاجتهاد و النظر في كتاب الله تعالى، و قد روت لنا كتب التفسير كثيرا من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير، قالوها بطريق الرأي و النظر و الاجتهاد، مما لم يصل إلى علمهم شيء فيها عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أو عن أحد الصحابة. فكانوا يعملون النظر فيها، يامعان النظر في دلائل و قرائن كانت تساعدهم على فهم الآيه، مما مّرت الإشارة إلى بعضها، و غير ذلك من أدوات الفهم، و وسائل البحث و التنقيب.

الأمر الذي ساعد على فتح باب الاجتهاد بشأن التفسير، و في سائر شؤون الشريعة، و استمرت الطريقة المرضية عبر التاريخ، و قد نوهنا عنها.

سابعا: استنادهم إلى نصوص من كتب العهدين، مما جاء إجماله في القرآن، و تعرّضت لتفاصيلها كتب السالفين، مما لم يحتمل فيه التحريف. كجوانب من تاريخ أنبياء بنى إسرائيل و سيرة ملوكهم، و ما شابه من قصصهم و أخبارهم.

و ذلك ككثير من قصص إبراهيم الخليل و لوط و يوسف. ففي التوراة ما في القرآن من تفاصيل أخبارهم، سوى أن القرآن جاء بالصحيح المعقول منها، مختزلا، بينما في التوراة صور محرّفة و مرفوضة لدى العقل السليم، سوى بعض لقطات و خطافات جاءت سليمة، يمكن الاستفادة منها أحيانا. الأمر الذي كان (١) الفرقان / ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥١

نبهاء الصحابة و التابعين يعنونه بالذات «١»، دون الاستناد المطلق من غير تحرّ أو تحقيق فبشر عباد. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ «٢».

أما الأخذ من أهل الكتاب، و الانصياع لهم في كل ما يسطرون، فهذا كان مما يتحاشاه الصحابة و التابعون، نعم سوى شراذم من غوغاء العوام، أو أهل الدغل من الساسة الحاكمة على البلاد، على ما نسرد قصصهم في فصله القادم إن شاء الله.

فالذي ذكر الذهبي، من اعتماد التابعين، في فهم معاني كتاب الله تعالى، على ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، «٣» فإنه- على إطلاقه- مرفوض. و قد فتدنا مزاعم الرجوع إلى أهل الكتاب، فيما حسبه بشأن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس. (١) و هذا نظير ما وقف عليه المولى أبو الكلام آزاد، بشأن «ذى القرنين» من الدلائل في التوراة، أنه كورش، الملك الفارسي الذي قام بإعادة بناء البيت و تحريره و إيراد أبناء إسرائيل، الذين كان قد اضطهدهم الطاغية بخت نصر ملك بابل يومذاك.

(٢) الزمر / ١٧.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٣

### المرحلة الرابعة دور أهل البيت في التفسير

#### إشارة

\* العترة إلى جنب القرآن \* دورهم في التفسير دور تربية و تعليم \* خلط التفسير بالتأويل عن بعض \* الوضع عن لسان الأئمة \* نماذج من تفاسير أهل البيت

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٥

دور أهل البيت في التفسير

#### العترة إلى جنب القرآن

(هم ورثة الكتاب و حملته و خزنة علومه و معارفه) ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «١» أَوْصَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِشَأْنِ الْعَتَرَةِ الظاهرة، إلى جنب كتاب الله العزيز الحميد، و جعلهما خلفه الباقي في أمته. و عتبر عنهما بالثقلين - محرّك: كل شىء نفيس مصون «٢» و لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. كناية عن تواصل مسيرهما حتى انقضاء العالم. يتداومان علمين للأمة ما أن تمسكوا بهما لن يضلوا أبدا.

حديث مستفيض، بلفظ «كتاب الله و عترتي»

أو

«كتاب الله و أهل بيتي»

أو (١) فاطر / ٣٢.

(٢) قال السيد محمد مرتضى الزبيدي: الثقل - محرّك - متاع المسافر و حشمه. و كل شىء خطير نفيس مصون، له قدر و وزن، ثقل عند العرب. قال الفيروز آبادي: و منه حديث «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي». قال الزبيدي: جعلهما ثقلين إعظاما لقدرهما و تفخيما لهما. قال ثعلب:

سماهما ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما و العمل بهما ثقل. (تاج العروس بشرح القاموس، ج ٧، ص ٢٤٥)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٦

بالجمع بين التعبيرين

«عترتي أهل بيتي»

ليكون أحدهما تبيينا للآخر و توضيحا له. و على التعابير، فهو متفق على صحته و إحكام طرقه و أسانيده.

قال العلامة الأميني: هذا الحديث مما اتفقت الأمة و الحفاظ على صحته «١».

و قال الحافظ ابن حجر الهيتمي: و لهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع و عشرين صحابيا «٢». (١) الغدير، ج ٦، ص ٣٣٠ (ط بيروت) بالهامش رقم ٤.

(٢) الصواعق المحرقة باب وصية النبي بشأن أهل البيت، ص ١٣٦.

و إليك الأهم من مصادر هذا الحديث في الصحاح المعروفة:

أ-

روى مسلم في صحيحه (ج ٧، ص ١٢٣) في باب فضائل علي من كتاب فضائل الصحابة، بعده أسانيد عن زيد بن أرقم، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم، فحمد الله وأثنى عليه وعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ... ثم قال: وأهل بيتي.

أذركم الله في أهل بيتي، قالها ثلاثا.

فسئل زيد عمّن يكون أهل بيته؟ قال: من حرمت عليه الصدقة، هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس، ونفى أن تكون نساؤه منهم. رواه مسلم هنا بأربعة طرق كلها صحاح. ب- و

روى الترمذی في سننه (ج ٧، ص ٦٦٥) باب مناقب أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله -ص- في حجته يوم عرفه وهو على ناقته القصواء يخطب، يقول: «يا أيها الناس إنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي». و

بإسناده أيضا عن زيد بن أرقم عنه -ص-: «إنني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن النفسير والمفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٧ يتفرقا حتى يردا علي الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيهما. الحديث رقم ٣٧٨٦ و ٣٧٨٨. ج- و رواه الدارمي في سننه (ج ٢، ص ٤٣٣) بإسناده إلى زيد بن أرقم، كما في صحيح مسلم.

د- و

روى أحمد في مسنده (ج ٣، ص ١٤) بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله -ص-: «إنني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض. وعترتي أهل بيتي، وأنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ... وفي ص ١٧: فانظروني بم تخلفوني فيهما. و راجع: ص ٢٦ و ص ٥٩. وفي ج ٤، ص ٣٦٧ عن زيد بن أرقم على ما رواه مسلم، وكذا في، ص ٣٧١ إشارة.

و

في ج ٥، ص ١٨٢ عن زيد بن ثابت: إنني تارك فيكم خليفتين، و ص ١٨٩.

هو

أخرج الحاكم في المستدرک (ج ٣، ص ١٠٩) عن زيد بن أرقم: «إنني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما ... و ص ١١٠ و، ص ١٤٨.

قال الحاكم بشأن الحديث بأسانيده في المواضع الثلاثة: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

و- والمتقى الهندي في كنز العمال (مؤسسة الرسالة)، ج ١، ص ٣٨١ رقم ١٦٥٧. و ص ٣٨٤ رقم ١٦٦٧.

ز- و أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء، ج ٩، ص ٦٤.

ح- و مرتضى الحسيني الفيروزآبادي في فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٤٣-٥٣.

ط- و ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، ص ١٣٦ و ص ٧٥.

فيه أيضا بدل «عترتي» «سنتي»، لكنه لم يسنده إلى أصل وثيق.

ي- قال ابن كثير- في تفسيره (ج ٤، ص ١١٣) ذيل آية المودة في القربى من سورة الشورى.

و

قد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال- في خطبته بغدير خم-: «إنني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله و

عترتي. و أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، و جعل يسرد أحاديث

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٨

### و المستفاد من حديث الثقلين أمور:

أولاً: لزوم مودّتهم. قال ابن حجر الهيتمي: و في هذه الأحاديث، لا سيما

قوله- ص:- انظروا كيف تخلفوني فيهما، و أوصيكم بعترتي خيرا، و أذكركم الله في أهل بيتي»

الحث الأكيد على مودّتهم و مزيد الإحسان إليهم و احترامهم و إكرامهم و تأديّة حقوقهم الواجبة و المندوبة، كيف و هم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا و حسبا و نسبا.

قال: و في قوله- ص:- «لا تقدموهما فتهلكوا، و لا تقصروا عنهما فتهلكوا، و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»

دليل على أنّ من تأهل منهم للمراتب العليّة و الوظائف الدينية كان مقدّما على غيره. و يدل عليه التصريح بذلك بشأن قريش، فأهل البيت النبوي الذين هم غزّة فضلهم و محتد فخرهم و السبب في تميّزهم على غيرهم، بذلك أخرى و أحق و أولى ... و أخيرا قال: و صحّ عن أبي بكر أنه قال: ارقبوا محمدا في أهل بيته، أى احفظوا عهده و ودّه في أهل بيته «١».

و عند ذكره لتأويل الآية: وَقَفُوهُمْ إِنِّي نَسُؤُلُونَ «٢»

أسند إلى أبي سعيد الخدرى، أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «وقفوهم أنهم مسئولون عن ولايئه عليّ».

قال:

و كأن هذا هو مراد الواحدى بقوله:

روى- فى الآية- أنهم مسئولون عن ولايئه عليّ وردت بنفس التعبير، قالها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى مواطن كثيرة؛

حيث كان يجد مجتمع أصحابه، و لا سيّما فى أخريات سنى حياته الكريمة.

(١) الصواعق المحرقة، ص ١٣٦-١٣٧. و الرواية عن أبي بكر هذه أخرجها البخارى فى الصحيح، قال: «ارقبوا محمدا صلّى الله عليه و

آله و سلّم فى أهل بيته» (جامع البخارى، ج ٥، ص ٢٦) باب مناقب قرابة النبيّ- ص- و أخرجه بأسناد آخر فى باب مناقب الحسين

(ج ٥، ص ٣٣)

(٢) الصفات/ ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٩

و أهل البيت؛

لأنّ الله أمر نبيّه أن يعزّف الخلق أنه لا- يسألهم على تبليغ الرسالة أجزا إلّا المودة فى القربى. و المعنى: أنهم يسألون هل والوهم حقّ

الموالاة كما أوصاهم النبيّ- ص- أم أضاعوها و أهملوها، فتكون عليهم المطالبة و التبعة «١».

قال الهيتمي: و أشار الواحدى بقوله: «كما أوصاهم» إلى الأحاديث الواردة فى ذلك، و هى كثيرة، ثم ذكر طرفا منها، و من جملتها

حديث الثقلين. و ذكر متنوع متونه، و

فى رواية «كتاب الله و سنى»

. و قال: و هى المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب؛ لأنّ السنّة مبيّنة له فأغنى ذكره عن ذكرها. قال: و الحاصل أنّ الحث وقع

على التمسك بالكتاب و بالسنّة، و بالعلماء بهما من أهل البيت.

و أخيرا قال: و يستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة.

ملحوظة: قال الهيتمي: إن للحديث طرفا كثيرة وردت عن تيف و عشرين صحابيا. و فى بعض تلك الطرق أنه- ص- قال ذلك بحجّة



الوداع بعرفة، و في أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه و قد امتلأت الهجرة بأصحابه، و في ثالثة أنه قال ذلك غدیر خم، و في رابعة أنه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف.

قال: و لا- تنافي؛ إذ لا- مانع من أنه- ص- كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن و غيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز و العترة الطاهرة «٢».

ثانياً: تداوم إمامتهم ما تداومت أيام هذه الأمة عبر الأزمان، و كونهم مراجع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في فهم الشريعة و معاني القرآن، مرجعية عاصمة، (١) أخرجه الحافظ الكبير الحاكم الحسكاني بعدة طرق. راجع: شواهد التنزيل، ج ٢، ص ١٠٦-١٠٨.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ٨٩-٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٠

نظير عصمة القرآن، و مرجعيتها عبر الخلود.

قال السيد الأمين العاملي- بعد ذكر أحاديث الثقلين التي رواها أئمة علماء السنة و أكابر محدثيهم، في صحاحهم بأسانيدهم المتعددة، و اتفق على روايتها الفريقان:

«دلت هذه الأحاديث على عصمة أهل البيت من الذنوب و الخطأ، لمساواتهم فيها بالقرآن الثابت عصمته، في أنهم أحد الثقلين المخلفين في الناس، و في الأمر بالتمسك بهم كالتمسك بالقرآن. و لو كان الخطأ يقع منهم لما صحح الأمر بالتمسك بهم الذي هو عبارة عن: جعل أقوالهم و أفعالهم حجة. و في أن التمسك بهم لا يضل كما لا يضل التمسك بالقرآن. و لو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان التمسك بهم يضل. و أن في اتباعهم الهدى و النور كما في القرآن، و لو لم يكونوا معصومين لكان في اتباعهم الضلال. و في أنهم حبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن، و هو كناية عن أنهم واسطة بين الله تعالى و بين خلقه، و أن أقوالهم عن الله تعالى، و لو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك.

و في أنهم لن يفارقوا القرآن و لا يفارقهم مدة عمر الدنيا. و لو أنهم أخطئوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن و فارقهم.

و في عدم جواز مفارقتهم بتقدم عليهم بجعل نفسه إماماً لهم، أو تقصير عنهم و ائتمام بغيرهم، كما لا يجوز التقدم على القرآن بالإفتاء بغير ما فيه، أو التقصير عنه باتباع أقوال مخالفه.

و في عدم جواز تعليمهم و ردّ أقوالهم، و لو كانوا يجهلون شيئاً لوجب تعليمهم، و لم ينع عن ردّ قولهم.

قال: و دلت هذه الأحاديث أيضاً على أن منهم من هذه صفته في كل عصر و زمان بدليل

قوله- ص:- إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، و أن اللطيف

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦١

الخبير أخبره بذلك.

و ورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا، فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض «١».

ثالثاً: أنهم الراسخون في العلم و المصداق الأوفى لوصف أهل الذكر، الذين يعلمون تفسير القرآن و تأويله، فهم وحدهم مراجع الأمة، في فهم معاني الكتاب و درس آياته عبر العصور، إنهم أبواب الهدى و مصابيح الدجى و سفن النجاة.

قال الهيثمي- في مقارنته لطيفة بين «الكتاب» و «العترة»:- سمي رسول الله- ص- القرآن و عترته ثقلين؛ لأن الثقل كل نفيس خطير مصون. و هذان كذلك؛ إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية و الأسرار و الحكم العلية و الأحكام الشرعية؛ و لذا حث رسول الله- ص-

على الاقتداء و التمسك بهم و التعلم منهم، و

قال: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت».

وقيل: سَميًا ثقلين؛ لثقل وجوب رعاية حقوقهما.

ثم الذين وقع الحثّ عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله و سنّه رسوله؛ إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، و يؤيده الخبر السابق

«و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»

. و تميّزوا بذلك عن بقية العلماء؛ لأن الله أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيرا، و شرّفهم بالكرامات الباهرة و المزايا المتكاثرة. و في أحاديث الحثّ على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك؛ و لهذا كانوا أمانا لأهل الأرض - حسبما يأتي -. و يشهد لذلك

قوله - ص -: «في كل خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي (١) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٧٠ في السابع من دلائل فضل عليّ عليه السلام على سائر الصحابة، و نقله الغدير، ج ٣، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٢

ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين، ألا- إن أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ و جلّ فانظروا من توفدون».

ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم و عالمهم علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- لمزيد علمه و دقائق مستنبطاته، و من ثم قال أبو بكر: عليّ عتره رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم «١».

و قال في قوله تعالى: و ما كان الله ليعدّ بهم و أنت فيهم «٢»: أشار صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى وجود هذا المعنى في أهل بيته و أنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو أمانا لهم.

و في ذلك أحاديث كثيرة، منها ما

رواه الحاكم و صحّحه على شرط الشيخين: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق و أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس».

و

قال: و جاء من طرق عديدة يقوى بعضها بعضها: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا»

و .

في رواية مسلم: «و من تخلف عنها غرق»

و .

في رواية: «هلك»، «و إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له» «٣».

روى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك و تعالى طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه و حجّته في أرضه.

و جعلنا مع القرآن، و جعل القرآن معنا، لا نفارقه و لا يفارقنا».

و

روى - أيضا- عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال- في قل الله عزّ (١) الصواعق المحرقة، ص ٩٠ و ٩١.

(٢) الأنفال / ٣٣.

(٣) الصواعق المحرقة، ص ٩٠ و ٩١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٣

و جَلَّ: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا «١»:-

نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله و سلم خاصة. في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، و محمد صلى الله عليه وآله و سلم شاهد علينا «٢».

و

في كلامه عليه السلام إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله و سلم:- «يحمل هذا الدين في كل قرن عدول، ينفون عنه تأويل المبطلين و تحريف الغالين و انتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد» «٣».

و

سأل عبيدة السلماني و علقمة بن قيس و الأسود بن يزيد النخعي، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من ذا يسألونه عما إذا أشكل عليهم فهم معاني القرآن؟

فأجابهم الإمام عليه السلام: «سلوا عن ذلك آل محمد» «٤».

و

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لعمر بن عمرو بن عبيد «٥»: «فإنما على الناس أن يقرءوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره، فالاهتداء بنا و إلينا يا عمرو» «٦».

و

قال عليه السلام: «إن العلم الذي نزل مع آدم - كناية عن العلم الذي كان يحمله (١) النساء / ٤١.

(٢) الكافي الشريف، ج ١، ص ١٩٠ و ١٩١ رقم ١ و ٥.

(٣) اختيار معرفة الرجال لأبي عمرو الكشي، ص ٤ رقم ٥. و الكير: زق أو جلد غليظ ذو حافات ينفخ فيه الحداد لإلانة الحديد.

(٤) بصائر الدرجات للصفار، ص ١٩٦ رقم ٩.

(٥) عمرو بن عبيد هذا كان من زعماء المعتزلة و من العلماء الزهاد، و كان منقطعاً إلى آل أبواب البيت مواليا لهم، و له معهم مواقف مشرفة. قال حفص بن غياث: ما وصف لي أحد إلا وجدته دون الصفة، إلا عمرو بن عبيد فوجدته فوق ما وصف لي. قال: و ما لقيت أحداً أزهد منه. توفي سنة ١٤٢. (تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٧٠)

(٦) تفسير فرات الكوفي، ص ٢٥٨ رقم ٣٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٤

الأنبياء منذ البداية - لم يرفع، و العلم يتوارث، و كان على عليه السلام عالم هذه الأمة. قال:

و إنه لم يمت منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه، أو ما شاء الله ... «١».

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنا أهل بيت لم يزل الله يبعث منا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره» «٢».

نعم كان ذلك هو مقتضى تلازم الكتاب و العترة، فلا يمكن الاهتداء بأحدهما بعيداً عن الآخر؛ إذ كما أن للكتاب موضع التشريع و التأسيس، كان للعترة موضع التفصيل و التبيين، كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله و سلم.

هكذا عرفت الصحابة و الذين اتبعوهم بإحسان، هذا الموضع الرفيع لآل البيت، و لا سيما رأسهم و رئيسهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. فكانوا يراجعونهم فيما أشكل عليهم من مسائل الشريعة و مفاهيم القرآن، مدعنين لهم هذا المقام السامي.

هذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، و من أكابر الصحابة قدراً و أجلاً شأننا، تراه يدعن برفعة مقام شاخص هذا البيت الإمام أمير المؤمنين.

و أنه قد تتلمذ على يده حتى في حياة صادق الرسالة الأمين - صلوات الله عليه -.

أخرج أبو جعفر الطوسي - في أماليه - بإسناده إلى ابن مسعود، قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه، و قرأت سائر القرآن على خير هذه الأمة و أفضاهم بعد نبيهم، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه «٣». (١) الكافي الشريف، ج ١، ص ٢٢٢ رقم ٢.

(٢) بصائر الدرجات، ص ١٩٤ رقم ٦.

(٣) الأمالي - للطوسي، ج ٢، ص ٢١٩. و إذ كنا نعرف أن السور المكية (٨٦) سورة. نعرف أن ابن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٥

أخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام بإسناده إلى عبيدة السلماني قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لو أعلم أحدا أعرف بكتاب الله مني تبلغه المطايا ...

فقال له رجل: فأين أنت من علي؟ قال: به بدأت، إنني قرأت عليه «١».

و أخرج عن زاذان عنه، قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعين سورة، و ختمت القرآن على خير الناس بعده. قيل له: من هو؟ قال: علي بن أبي طالب «٢».

و هو القائل: القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا له ظهر و بطن.

و أن علي بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر و الباطن «٣».

و

أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن علقمة، قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عن علي، فقال: «قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطى علي تسعة أجزاء، و أعطى الناس جزء واحد» «٤».

و لابن عباس الصحابي العظيم أيضا شهادات راقية بشأن الإمام. و كذا غيره من أجلاء الأصحاب، قد مرّت الإشارة إليها في ترجمة الإمام، و هكذا تصريحات من أعلام التابعين لا نعيد ذكرها.

الأمر الذي دعا بنبيه الأمة في جميع الأدوار، أن يجعلوا من أئمة أهل البيت، قدوتهم في كل أبعاد الشريعة، و لا سيما طريقة فهم القرآن و استنباط معانيه و الوقوف على دقائق تعابيره و ظرائف نكاته. و كان قولهم هو فصل الخطاب و القول الفصل في جميع الأبواب. مسعود قد تعلم القرآن من علي عليه السلام في وقت مبكر، أيام كونهم في مكة قبل الهجرة إلى المدينة.

(١) تاريخ دمشق - ترجمة الإمام -، ج ٣، ص ٢٥ - ٢٦ رقم ١٠٤٩.

(٢) المصدر رقم ١٠٥١ و راجع: سعد السعود لابن طاوس، ص ٢٨٥ و البحار، ج ٨٩، ص ١٠٥.

(٣) ابن عساكر رقم ١٠٤٨.

(٤) شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٠٥ رقم ١٤٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٦

هذا أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب الملل و النحل (٤٦٧-٥٤٨) يحاول - عند دراسته لتفسير القرآن - أن يجعل رائده علما من أعلام هذا البيت الرفيع، معتقدا أن الصحيح من القول، لا يوجد إلّا عندهم لا عند غيرهم. و إليك بعض كلامه بهذا الشأن:

«و خصّ الكتاب بحملة من عترته الطاهرة و نقله من أصحابه الزاكية الزاهرة، يتلونه حق تلاوته، و يدرسونه حق دراسته، فالقرآن تركته، و هم ورثته، و هم أحد الثقلين، و بهم مجمع البحرين، و لهم قاب قوسين، و عندهم علم الكونين، و العالمون.

«و كما كانت الملائكة عليهم السلام معقبات له من بين يديه و من خلفه تنزيلا، كذلك كانت الأئمة الهادية، و العلماء الصادقة

معقبات له من بين يديه و من خلفه تنزيلا، كذلك كانت الأئمة الهادية، و العلماء الصادقة معقبات له من بين يديه و من خلفه تفسيرا و تأويلا- إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ «١». فتتزيل الذكر بالملائكة المعقبات، و حفظ الذكر بالعلماء الذين يعرفون تنزيله و تأويله، و محكمه و متشابهه، و ناسخه و منسوخه، و عامه و خاصه، و مجمله و مفصّله، و مطلقه و مقيدده، و نصّه و ظاهره، و ظاهره و باطنه. و يحكمون فيه بحكم الله، من مفروغه و مستأنفه، و تقديره و تكليفه، و أوامره و زواجره، و واجباته و محظوراته، و حلاله و حرامه، و حدوده و أحكامه، بالحق و اليقين، لا بالظنّ و التخمين، أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولو الألباب.

«و لقد كانت الصحابة- رضى الله عنهم- متفقين على أن علم القرآن مخصوص بأهل البيت عليهم السلام؛ إذ كانوا يسألون على بن أبى طالب رضى الله عنه هل خصصتم أهل البيت دوننا بشيء سوى القرآن؟ و كان يقول: لا و الذى فلق الحبة و (١) الحجر / ٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٧

برأ النسمة إلا بما فى قراب سيفى هذا. فاستثناء القرآن بالتخصيص دليل على إجماعهم بأن القرآن و علمه تنزيله و تأويله مخصوص بهم.

«و لقد كان حبر الأئمة عبد الله بن عباس رضى الله عنه مصدر تفسير جميع المفسرين، و قد دعا له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأن قال: «اللهم فقهه فى الدين و علمه التأويل . تتلمذ لعلّى رضى الله عنه حتى فقهه فى الدين و علمه التأويل .

قال: «و لقد كنت على حدائثه سنّى أسمع تفسير القرآن من مشايخى سماعا مجردا، حتى وفقت فعلقته على أستاذى ناصر السنّة أبى القاسم سلمان بن ناصر الأنصارى رضى الله عنه تلقفا. ثم أطلعنى مطالعات كلمات شريفة عن أهل البيت و أوليائهم- رضى الله عنهم- على أسرار دفينه و أصول متينه فى علم القرآن، و نادانى من هو فى شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة الطيبة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ «١» فطلبت الصادقين طلب العاشقين، فوجدت عبدا من عباد الله الصالحين، كما طلب موسى عليه السلام مع فتاه، فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا «٢».

فتعلّمت منه مناهج الخلق و الأمر، و مدارج التضادّ و الترتيب، و وجهى العموم و الخصوص، و حكمى المفروغ و المستأنف. فشبعنا من هذا المعاء الواحد دون الأمعاء التى هى مآكل الضلال و مداخل الجهال، و ارتويت من شرب التسليم بكأس كان مزاجه من تسنيم، فاهتديت إلى لسان القرآن: نظمته و ترتيبه و بلاغته و جزالته و فصاحته و براعته «٣». (١) التوبة / ١١٩.

(٢) الكهف / ٦٥.

(٣) عن مقدمته تفسيره الذى أسماه «مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار» مخطوط.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٨

و من طريف ما يذكر هنا، ما شهد به مثل الحجاج بن يوسف الثقفى بشأن هذا البيت الرفيع، حسبما رواه على بن إبراهيم القمى فى تفسيره: أن أباه حدّثه عن سليمان بن داود المنقرى عن أبى حمزة الثمالى عن شهر بن حوشب، قال: قال لى الحجاج بن يوسف: بأن آية فى كتاب الله قد أعيتنى! فقلت: أيها الأمير، آية آية هى؟ فقال: قوله: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ «١»، و الله لأمر باليهودى و النصرانى فيضرب عنقه، ثم أرمقه بعينى، فما أراه يحرك شفّتيه حتى يحمد! فقلت: أصلح الله الأمير، ليس على ما تأوّلت! قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهودى و لا نصرانى إلا آمن به قبل موته، و يصلّى خلف المهدي. قال: ويحك، أنى لك هذا، و من أين جئت به؟! فقلت: حدّثنى به محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام، فقال: جئت بها، و الله من عين صافية «٢».

كان الحجاج قد حسب أن الضمير فى قوله تعالى «قَبْلَ مَوْتِهِ» يعود إلى «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» فجاء تفسير الإمام بإرجاع الضمير إلى المسيح؛ و بذلك زالت علته.

و أورد الإمام الرازي الحديث بلفظ آخر، ناسبا له إلى محمد ابن الحنفية، قال:  
فأخذ ينكت في الأرض بقضيب، ثم قال: لقد أخذتها من عين صافية «(٣)».

### دور أهل البيت في التفسير

كان الدور الذي قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، هو دور تربية و تعليم، و إرشاد إلى معالم التفسير، و أنه كيف ينبغي أن يفهم معاني كلامه (١) النساء / ١٥٩.  
(٢) تفسير القمي، ج ١، ص ١٥٨. و نقله الطبرسي في المجمع، ج ٣، ص ١٣٧.  
(٣) التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٠٤.  
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٩  
تعالى، و كيف الوقوف على دقائق و رموز هذا الوحي الإلهي الخالد. فقد كانت تفاسيرهم للقرآن، المأثورة عنهم عليهم السلام تفاسير نموذجية، كانوا قد عرضوها على الأمة و على العلماء، لكي يتعرفوا إلى أساليب التفسير، تلك الأساليب المعتمدة على أصول متينة و قواعد رصينة. و أن في الجم الغفير من التفسير الوارد عنهم عليهم السلام ما ينبؤك عن حرصهم الشديد على تعليم هذه الأمة كيف يفسرون القرآن الكريم، و ايقافهم على نكت و ظرف من هذا الكلام البارع. نعم كانوا عليهم السلام ورثة القرآن العظيم، و حملته إلى الناس، في أمانه صادقة و أداء و إيفاء كريم.  
و سوف نذكر نماذج من تفاسير مأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، هي شواهد على كونها مناهج تعليمية لكيفية التفسير، و طريقة استنباط معانيه الحكيمة.

### الخلط في التفاسير المأثورة

هناك في التفسير المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بعض الخلط بين تفسير الظاهر و تفسير الباطن، كما حصل خلط بين بعض التطبيقات و التفسير؛ حيث كان المنصوص عليه مصداقا أو من أبرز مصاديق الآية، فحسبها البعض تفاسير.  
فكان من الضروري التمييز بين الأمرين، و فصل أحدهما عن الآخر، ليعرف وجه الصواب.  
من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: فَسَيَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِأَنَّهُمْ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ. فقد وردت هذه الآية في سورة النحل: مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَيَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ «(١)». (١).  
٤٣ / ١٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٠  
و في سورة الأنبياء وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَيَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ «(١)».  
و ظاهر الآيتين يقضى بكون الخطاب موجها إلى المشركين، الذين استغربوا نزول الوحي على بشر أو على رجل منهم؛ حيث قالوا: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ «(٢)»، و قال تعالى: أ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ «(٣)».  
فرغوا لاستغرابهم أفسح لهم المجال كي يتساءلوا بذلك أهل الكتاب ممن يلونهم و كانوا يعتمدونهم. و من ثم جاءت في الآية الأولى: إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ، أي لا تعلمون الكتاب و لا تاريخ الأنبياء و الأمم السالفة، فعليكم بمراجعة من يعلم ذلك من أهل الكتاب.

كما جاء تعقيب الآية الثانية بقوله: وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ حيث استغرابهم أن يكون النبي إنسانا

يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق.

هذا هو ظاهر معنى الآيتين: تفسير «أهل الذكر» ب «أهل الكتاب».

لكن ورد فى تأويلهما ما يقضى بالعموم، بأن تشمل الآية كل ذوى العلم من أهل الثقافة و المعرفة، و على رأسهم أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و ذلك بإلقاء الخصوصيات المكتنفة بالكلام، و الأخذ بعموم اللفظ و عموم الملاك (أى عموم مناط الحكم) و هو ما يقتضيه العقل من رجوع الجاهل إلى العالم إطلاقاً، و فى جميع مجالات العلم و المعرفة، بما يعم جميع الثقافات. (١). ٧/٢١.

(٢) الأنعام/ ٩١.

(٣) يونس / ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧١

فهذا من التأويل الذى هو مفاد باطن الآية، و ليس من التفسير الذى هو مفاد ظاهرها.

هذا المولى محسن الفيض الكاشانى، حسب من هذه الروايات الواردة بتفسير الآية بأهل البيت، تفسيراً حقيقياً حسب ظاهر اللفظ. قال:

فى الكافى و القمى و العياشى عنهم عليهم السلام فى أخبار كثيرة: رسول الله «الذكر» و أهل بيته المسئولون و هم «أهل الذكر» و أضاف: أن المستفاد من هذه الأخبار أن المخاطبين بالسؤال هم المؤمنون دون المشركين، و أن المسئول عنه هو كل ما أشكل عليهم دون كون الرسل رجالات. قال: و هذا إنما يستقيم إذا لم يكن «و ما أَرْسَلْنَا» ردّاً للمشركين، أو كان «فَسْتَلُوا...» كلاماً مستأنفاً، أو كانت الآية ممّا غير نظمه، و لا سيّما إذا علّق قوله «بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ» بقوله «أَرْسَلْنَا»، فإن هذا الكلام، بينهما. و أما أمر المشركين بسؤال أهل البيت عن كون الرسل رجالات لا ملائكة، مع عدم إيمانهم بالله و رسوله، فمما لا وجه له «١».

انظر إلى هذا التكلف الذى وقع فيه لتوجيه ما حسبه تفسيراً للآية، فلو أنه أخذه تأويلاً لها مستخلصاً عموم المراد من ظاهر اللفظ؛ و ذلك لعموم مناط الحكم فى المراجعة و السؤال؛ لكان قد استراح بنفسه.

نعم، وردت الآية بشأن المشركين، و هم جهال، ليسألوا أهل الكتاب؛ لأنهم علماء. و هذا الدستور العقلانى عام فى ملاكته و مناطه، فليكن عاماً فى خطابه و شموله. هكذا يستفاد العموم من اللفظ و يستخلص الشمول من الملاك، و يسمّى ذلك تأويلاً، أى مآل الكلام فى نهاية المراد.

و هكذا قوله تعالى: (١) راجع: تفسير الصافى، ج ١، ص ٩٢٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٢

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (١) فقد فسّرها قوم حسبما ورد من روايات فى تأويلها، فحسبوا مفسرات. قال على بن إبراهيم - بصدد تفسير الآية -: أ رأيتم أن أصبح إمامكم غائباً فمن يأتيكم بإمام مثله، و اكتفى بذلك. و استشهد بحديث الرضا عليه السلام سئل عن هذه الآية، فقال: ماؤكم: أبوابكم، أى الأئمة عليهم السلام. و الأئمة أبواب الله بينه و بين خلقه، فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ، يعنى بعلم الإمام (٢).

و كناية «الماء المعين» عن العلم الصافى عن أكنادار الشبهات، أمر معروف، قال تعالى: وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (٣). و هكذا جاء فى تفسير الصافى للمولى محسن الفيض (٤).

غير أن ذلك تأويل للآية و ليس تفسيراً لها؛ حيث أخذ «الماء» فى مفهومه الأعم من الحقيقى و الكنائى، أى فيما يورث الحياة و يوجب تداومها و بقاءها، إن مادياً أو معنوياً، ليشمل الماء الزلال و العلم الصافى جميعاً، و بهذا المعنى العام يشمل كلا الأمرين. فاستخلاص مثل هذا العموم من لفظ الآية، يعتبر تأويلاً لها.

في رواية الصدوق- في الإكمال- تصريح بذلك؛ حيث سئل الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السّلام عن تأويل هذه الآية بالذات، فقال: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فما ذا تصنعون؟! ليمتاز التأويل عن التفسير.

وقوله تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (١) الملك / ٣٠.

(٢) تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧٩.

(٣) الجن / ١٤.

(٤) تفسير الصافي، ج ٢، ص ٧٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٣

وَ نُمْكِنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ «١».

فالآية- حسب ظاهرها- وردت بشأن قوم موسى و استضعاف فرعون لهم، فأراد الله أن يرفع بهم و يستذل فرعون و قومه.

لكن الآية في مفادها العام وعد بنصر المستضعفين في الأرض و رفعهم على المستكبرين، في أي عصر و في أي دور، سنّ الله التي جرت في الخلق. لكن على شرائط يجب توفرها كما توفرت حينذاك على عهد موسى و فرعون، فإن عادت الشرائط و تهيات الظروف، فإن السنّة تجرى كما جرت أول الأمر.

و بذلك جاء تأويل الآية بشأن مهديّ هذه الأئمة، و استخلاص المستضعفين في الأرض على يده من نير المستكبرين.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام: «لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، ثم تلا هذه الآية» «٢».

و

في كتاب الغيبة قال أمير المؤمنين عليه السّلام:- «هم آل محمد- صلوات الله عليه- يبعث الله مهديهم بعد جهدهم، فيعزهم و يذل أعدائهم»

. و الروايات بهذا المعنى كثيرة جدا «٣».

فقد جاء ذكر موسى و قومه و فرعون و قومه، و المقصود- في باطن الآية- كل مستضعف في الأرض و مستكبر فيها.

قال الإمام السجاد: و الذي بعث محمدا بالحق بشيرا و نذيرا، إن الأبرار منا (١) القصص / ٥.

(٢) يقال: شمس الفرس شموسا و شماسا، إذا استعصى على راكبه. و الضروس: الناقة السيئة الخلق تعضّ حالها.

(٣) راجع: تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٤

أهل البيت، و شيعتهم بمنزلة موسى و شيعته، و إن عدونا و أشياعهم بمنزلة فرعون و أشياعه «١».

و عبنا حاول بعضهم جعل ذلك تفسيراً مباشراً للآية، و أخذ فرعون و هامان لفظاً كنايياً بحتاً عن مطلق العتاة في الأرض «٢».

و نظير هذه الآية في شمولها العام، و تأويلها بشأن المهديّ المنتظر- عجل الله تعالى فرجه الشريف- قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا «٣».

فإن مصداقها الحقيقي المنطبق على بسيط الأرض كلّها، إنّما يتحقق بظهور المهديّ و إضلال الإسلام على كافّة وجه الأرض، عند ذلك تكون العبادة لله في الأرض خالصة من الشرك، لا يشرك به أحد من خلقه.

قال الإمام الصادق عليه السّلام: نزلت في القائم و أصحابه «٤»، أي بشأنهم في تأويل الآية.

و هكذا قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ «٥».

قال الإمام الباقر عليه السّلام: هم أصحاب المهديّ في آخر الزمان. (١) تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٥٤.



(٢) راجع في ذلك: محاولة القمى في تفسيره، ج ٢، ص ١٣٣.

(٣) النور/ ٥٥.

(٤) الغيبة للنعماني، ص ٢٣٠ رقم ٣٥.

(٥) الأنبياء/ ١٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٥

و قد فضل الكلام في ذلك الطبرسى في مجمع البيان، فراجع «١».

وقوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا- إلى قوله- مَتَاعًا لَكُمْ «٢».

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: إلى علمه الذى يأخذه عمن يأخذه «٣».

لا شك أن العلم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الجسد. فكما يجب على الإنسان أن يعرف أن الطعام الصالح و الغذاء النافع الكافل لسلامة الجسد و صحّة البدن، هو الذى يأتيه من جانب الله، و أنه تعالى هو الذى هتأه له ترفيها لمعيشته، كذلك يجب عليه أن يعلم أن العلم النافع و الغذاء الصالح لتنمية روحه و تزكية نفسه هو الذى يأتيه من جانب الله، و على يد أوليائه المخلصين الذين هم أئمة الهدى و مصابيح الدجى، فلا يستطرق أبواب البعداء الأجانب عن مهابط و حى الله، و مجارى فيضه المستدام.

قال الحكيم الربانى الفيض الكاشانى: لأن الطعام يشمل طعام البدن و طعام الروح جميعا كما أن الإنسان يشمل البدن و الروح. فكما أنه مأمور بأن ينظر إلى غذائه الجسمانى ليعلم أنه نزل من عند الله، فكذلك غذاؤه الروحانى الذى هو العلم، ليعلم أنه نزل من عنده تعالى بأن صبّ أمطار الوحي إلى أرض النبوة و شجرة الرسالة، و ينبوع الحكمة، فأخرج منها حبوب الحقائق و فواكه المعارف، ليغذى بها أرواح القابلين للتربية.

فقوله عليه السلام: «علمه الذى يأخذه عمن يأخذه»

أى ينبغى له أن يأخذ علمه من مهابط الوحي و منابع الحكمة، أهل بيت رسول (١) مجمع البيان، ج ٧، ص ٦٦-٦٧.

(٢) عبس/ ٢٤-٣٢.

(٣) رجال الكششى، ص ١٠-١١ (ط نجف)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٦

الله صلى الله عليه و آله و سلم الذين أخذوا علومهم من مصدر الوحي الأمين، خالصة صافية ضافية.

قال: و هذا تأويل الآية، الذى هو باطن الآية، مرادا إلى جنب ظاهرها حسبما عرفت «١».

## الوضع عن لسان الأئمة

من المؤسف جدا أن نجد كثرة الوضع فى التفاسير المنسوبة إلى السلف الصالح، و لا سيما أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ حيث وجد الكذابون- من رفيع جاه آل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بين الأئمة، و مواضع قبولهم من الخاصة و العامة- أرضا خصبة استثمروها لترويج أباطيلهم و تنفيق بضائعهم المزجاة. فصاروا يضعون الحديث و يختلقون لها أسانيد، يرتفعون بها إلى السلف و الأئمة المرضيين؛ كى تحظى بالقبول و التسليم.

و فى أكثر هذه المفتريات ما يتنافى و قدسيّة الإسلام و تتعارض مع مبانيه الحكيمه، فضلا عن منافرتها لدى الطبع السليم و العقل الرشيد.

و لحسن الحظ، أن غالبية أسانيد هذه الروايات المفتعلة، أصبحت مقطوعة أو موهونة برجال ضعاف أو مشهورين بالوضع و الاختلاق. و من ثم فإن الجوامع الحديثية التى حوت على أمثال هكذا تفاسير ماثورة نقلا عن الأئمة عليهم السلام لم تكد تصح منها إلّا القليل

النادر، على ما نتبه عليه.

ففى مثل تفسير أبى النضر محمد بن مسعود العياشى (توفى سنة ٣٢٠) الذى كان من أجمع التفاسير المأثورة، قد أصبح مقطوع الإسناد، حذف أسانيده بعض (١) تفسير الصافى، ج ٢، ص ٧٨٩ بتصرف و تلخيص.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٧

الناسخين لعذر غير وجهه، و بذلك أسقط مثل هذا التفسير الثمين عن الحجية و الاعتبار. و الذى وصل إلينا من هذا التفسير هو قسم من أوله، مع حذف الإسناد، و يا للأسف.

و هكذا تفسير فرات بن إبراهيم الكوفى (توفى حدود ٣٠٠) و قد أسقطت أسانيده أيضا. و مثلها تفسير محمد بن العباس ماهيار المعروف بابن الحجاج (توفى حدود ٣٣٠) لم يوجد منه سوى روايات مقطوعة الإسناد.

هذه تفاسير كانت بروايات مسنده إلى أئمة أهل البيت، و قد أصبحت مقطوعة الإسناد فاقده الاعتبار، لا يجوز الاستناد إليها فى معرفة آراء الأئمة عليهم السلام فى التفسير.

و أما مثل تفسير أبى الجارود، زياد بن المنذر الهمداني الخارفى الملقب بسرحوب «١» (توفى سنة ١٥٠) الذى يرويه عن الإمام أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام فضيف كما لا اعتبار به؛ لأنه من زعماء الزيدية - المنحرفين عن طريقة الأئمة، و إليه تنسب الفرقة الجارودية أو السرحوية.

فقد ورد لعنه عن لسان الصادق عليه السلام، قال: لعنه الله، إنه أعمى القلب أعمى البصر

. و قال فيه محمد ابن سنان: أبو الجارود لم يمت حتى شرب المسكر و تولى الكافرين «٢».

و

عن أبى بصير قال: ذكر أبو عبد الله الإمام الصادق عليه السلام ثلاثة نفر: كثير النوا، و سالم بن أبى حفصة، و أبى الجارود. فقال: كذابون مكذبون كفار، عليهم لعنة (١) سرحوب: اسم ابن آوى. و يقال: إنه شيطان أعمى يسكن البحر.

(٢) فهرست ابن النديم، ص ٢٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٨

الله «١».

و التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام فيه تفسير فاتحة الكتاب و آيات متقطعة من سورة البقرة حتى الآية رقم (٢٨٢) إلى قوله تعالى: «وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا». و هذا آخر الموجود من هذا التفسير. زعموا أنه من إملاء الإمام أبى محمد الحسن بن على العسكري، أملاه على أبى يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، و أبى الحسن على بن محمد بن سيار، كانا من أهل استرآباد، و حضرا سامراء فى طلب العلم لدى الإمام عليه السلام. و الراوى عنهما أبو الحسن محمد ابن القاسم الخطيب، المعروف بالمفسر الاسترآبادى.

غير أن النفرين الأولين مجهولان، و الراوى عنهما أيضا مجهول، فهنا ثلاثة مجاهيل حقا بهذا التفسير المبتور «٢».

و هناك لأحمد بن محمد السيارى (توفى سنة ٢٤٨) تفسير متقطع مختصر اعتمد المأثور عن الأئمة، غير أنه ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفوق الرواية، كثير المراسيل، حسبما وصفه أرباب التراجم. و كان القميون - المحتاطون فى نقل الحديث - يحذفون من

كتب الحديث ما كان برواية السيارى «٣». (١) معجم رجال الحديث للإمام الخوئى، ج ٧، ص ٣٢٣.

(٢) راجع: الذريعة للطهرانى، ج ٤، ص ٢٨٥، و معجم رجال الحديث، ج ١٢، ص ١٤٧ و ج ١٧، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) راجع: الذريعة، ج ١٧، ص ٥٢. و المعجم، ج ٢، ص ٢٨٢ - ٢٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٩

و تفسير النعماني المنسوب إلى أبي عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني من أعلام القرن الرابع (توفي سنة ٣٦٠) تفسير مجهول، لم يعرف واضعه، وإنما نسب إلى النعماني عفواً ولم يثبت. فقد عزي هذا التفسير المشتمل على توجيه الآيات المتعارضة - فيما زعمه واضعه - إلى ثلاثة من شخصيات لامعة في تاريخ الإسلام، هم: السيد المرتضى علم الهدى، وسعد بن عبد الله الأشعري القمي، والنعماني هذا. والجميع مكذوب عليهم، يتحاشاه قلم علم من أعلام الدين القويم (١).

وأما التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي (توفي سنة ٣٢٩) فهو من صنع أحد تلاميذه المجهولين، هو: أبو الفضل العباس بن محمد العلوي، أخذ شيئاً من التفسير بإملاء شيخه علي بن إبراهيم، ومزجه بتفسير أبي الجارود، الآنف، وأضافه إليه شيئاً مما رواه هو عن غير طريق شيخه بسائر الطرق، فهو تفسير مزيج ثلاثي الأسانيد. ولم يعرف لحد الآن من هذا العباس العلوي، واضع هذا التفسير. كما أن الراوي عن أبي الفضل هذا أيضاً مجهول، فلم يصح الطريق إلى هذا التفسير. كما لم يعتمد أرباب الجوامع الحديثية، فلم يرووا عن الكتاب، وإنما كانت رواياتهم عن علي بن إبراهيم بإسنادهم إليه لا إلى كتابه، فهو تفسير مجهول الانتساب (٢). (١) راجع ما كتبناه بشأن هذه الرسالة المجهولة الانتساب في كتابنا «صيانة القرآن من التحريف». ص ٢٢٢-٢٢٥.

(٢) راجع: الذريعة، ج ٤، ص ٣٠٢-٣٠٣. والصيانة، ص ٢٢٩-٢٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٠

وفي القرن الحادي عشر قام مؤلفان كبيران، هما: السيد هاشم بن سليمان البحراني المتوفى سنة (١١٠٧ أو ١١٠٩) و عبد علي بن جمعة الحويزي المتوفى (١٠٩١)، فجمعا المأثور من أحاديث أهل البيت الواردة في التفسير، من الكتب الآنفه، وما جاء عرضاً في سائر الكتب الحديثية، أمثال الكافي و كتب الصدوق و كتب الشيخ، ونحوها. فجاء ما جمعه السيد البحراني باسم «البرهان»، والشيخ الحويزي باسم «نور الثقلين». وقد اشتملا على تفسير كثير من الآيات القرآنية، بصورة متقطعة، ولكن حسب ترتيب السور، من كل سورة آيات، ومن غير وفاء بتفسير كامل الآيه، سوى الموضع الذي تعرض له الحديث المأثور.

غير أن غالبية هذه الروايات مما لا يوزن بالاعتبار؛ حيث ضعف إسنادها، أو إرسالها، أو مخالفة مضامينها مع أصول العقيدة أو مباني الشريعة، فضلاً عن مخالفة العلم أو العقل الرشيد، الأمر الذي يوهن صدور مثلها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ إذ يجب تنزيه ساحتهم عن صدور مثل هذه الأخبار الضعاف.

ولنأخذ لذلك مثلاً التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، فإنه من أحسن التفاسير المعتمدة على النقل المأثور، سوى اشتماله على بعض المعايير - ومن حسن الحظ إنها قليلة إلى جنب محاسنها الكثيرة - ومن ثم فإنها معدودة في جنب محاسنها غير المعدودة «كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه» ونشر إلى بعضها كمنادج:

فقد جاء فيه، تفسيراً لقوله تعالى: الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨١

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً «١»: أَنَّ حَوَاءَ بَرَأَهَا اللَّهُ مِنْ أَسْفَلِ أَضْلاعِ آدَمَ ... تجد ذلك في مواضع من هذا التفسير (٢). في حين أن المراد هنا: الجنس، أي من جنسه، كما في قوله تعالى: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنِينَ وَحَفَدَةً «٣».

وقوله تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً «٤».

وقصة خلقه حواء من ضلع آدم، ذات منشأ إسرائيلي تسرب في التفسير.

وهكذا قصة الملكين ببابل هاروت و ماروت، كفرا - والعياذ بالله - وزنيا و عبدا للصنم، ومسخت المرأة نجمة في السماء «٥»، وغير

- ذلك مما ينافي عصمة الملائكة المنصوص عليها في القرآن الكريم «٦».
- وقصة الجنّ والنسّاس، خلقوا قبل الإنسان، فكانوا موضع عبرة الملائكة «٧».
- وكذا تسمية آدم وحواء وليدهما بعبد الحارث، فجعل الله شريكاً «٨».
- وقصة: أنّ الأرض على الحوت، والحوت على الماء، والماء على الصخرة، (١) النساء / ١.
- (٢) تفسير القمّي (ط نجف)، ج ١، ص ٤٥ و ص ١٣٠ و ج ٢، ص ١١٥.
- (٣) النحل / ٧٢.
- (٤) الروم / ٢١.

(٥) تفسير القمّي، ج ١، ص ٥٦.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥١.

(٧) المصدر، ج ١، ص ٣٦.

(٨) المصدر، ص ٢٥١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٢

والصخرة على قرن ثور أمّلس، و الثور على الثرى ... ثم لا يعلم بعدها شيء «١».

كلها أساطير بائدة، جاءت في هذا التفسير عفواً، و من غير ما سبب معقول.

و جاء فيه ما ينافي عصمة الأنبياء كما ينافي مقام قداستهم بين الناس.

فتلك قصة داود و أوريا- على ما جاءت في الأساطير الإسرائيلية- جاءت في هذا التفسير مع الأسف «٢».

وهكذا قصة زينب بنت جحش على ما ذكرته القصص العامية «٣».

وقصة شكّ زكريا و عقوبته بصوم ثلاثة أيام و غلق لسانه «٤».

وقصة حجر موسى «٥» و ابتلاء أيوب و نتن جسده «٦»، و فوات سليمان صلاة العصر «٧»، و همّ يوسف بارتكاب الفاحشة «٨»، و أنه

الذي نسي ذكر ربّه «٩»، و أن موسى دفن بلا غسل و لا كفن «١٠»، و قوله للربّ: إن لم تغضب لي فلست لك (١) تفسير القمّي، ج ٢،

ص ٥٨-٥٩.

(٢) المصدر، ص ٢٣٠-٢٣٢.

(٣) المصدر، ص ١٧٢-١٧٣.

(٤) تفسير القمّي، ج ١، ص ١٠١-١٠٢.

(٥) المصدر، ج ٢، ص ١٩٧.

(٦) المصدر، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٧) المصدر، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٨) المصدر، ج ١، ص ٣٤٢.

(٩) المصدر، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(١٠) المصدر، ج ٢، ص ١٤٦.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٣

بنبي «١».

و ما إلى ذلك من أساطير ألصقت بأنبياء الله العظام، و حاش الأئمة عليهم السلام أن يتكلموا بمثلها.

وجاء فيه ما ينافي العلم، فقد ورد بشأن الخسوف والكسوف غرائب وعجائب:

جاء في تفسير قوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّئَلَّا تُكْفِرُوا بِاللَّهِ إِذْ كُنْتُمْ يُكْفِرُونَ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مُبْصِرَةً ﴿٢﴾.

أن من الأوقات التي قدرها الله، البحر الذي بين السماء والأرض، وأن الله قدر فيها مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب. ثم قدر ذلك كله على الفلك، ثم وكل بالفلك ملكا معه سبعون ألف ملك، يدرون الفلك، فإذا دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه، نزلت في منازلها.

وإذا كثرت ذنوب العباد وأراد الله أن يستعذبهم بآيته، أمر الملك الموكل بالفلك أن يزِيل الفلك الذي عليه مجرى الشمس والقمر والنجوم والكواكب.

فيأمر الملك أولئك السبعين ألف ملك أن يزِيلوا الفلك عن مجاريه. فيزيلونه فتصير الشمس في البحر فيطمس حرّها ويغيّر لونها، وكذلك يفعل بالقمر. فإذا أراد الله أن يخرجهما ويردّهما أمر الملك أن يردّ الفلك إلى مجاريه، فتخرج الشمس من الماء وهي كدرّة، والقمر مثل ذلك.

وجاء في مساحة الأرض والشمس والقمر: أن الأرض مسيرة خمسمائة عام، (١) تفسير القمّي، ج ٢، ص ١٤٥.

(٢) الإسراء / ١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٤

مسيرة أربعمائة عام خراب، و مسيرة مائة عام عمران. و الشمس ستون فرسخا في ستين، و القمر أربعون فرسخا في أربعين. و علّل أحرّيّة الشمس من القمر بما يلي:

أن الله خلق الشمس من نور النار و صفو الماء، طبقا من هذا و طبقا من هذا، حتى إذا صارت سبعة أطباق، ألبسها الله لباسا من نار، فمن هنالك صارت الشمس أحرّ من القمر.

قلت: فالقمر؟ قال: إن الله خلق القمر من ضوء النار و صفو الماء طبقا من هذا و طبقا من هذا، حتى إذا صارت سبعة إطباق، ألبسها الله لباسا من ماء، فمن هناك صار القمر أبرد من الشمس «١».

وجاء فيه من قصص أساطيرية ما ينافي العقل والعادة.

كقصّة الرجل الذي عقلت رجله بالهند أو من وراء الهند، و قد عاش ما عاشت الدنيا «٢».

وقصّة ملك الروم و حضور الإمام الحسن و يزيد لديه، و محاكمته لهما في أسئلة غريبة، طرحها عليهما «٣».

وقصّة عناق كانت لها عشرون إصبعا في كل إصبع ظفران كالمنجلين «٤».

وقصّة إسرافيل كان يخطو كل سماء خطوة، و أنه حاجب الرب تعالى «٥». (١) راجع: تفسير القمّي، ج ٢، ص ١٤-١٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) المصدر، ج ٢، ص ٢٦٩-٢٧٢.

(٤) المصدر، ص ١٣٤.

(٥) المصدر، ص ٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٥

و كان الوزغ ينفخ في نار إبراهيم و الضفدع يطفئها «١».

و أن يأجوج و مأجوج يأكلون الناس «٢».

كما فسّرت كلمات بأشياء أو بأشخاص لا مناسبة بينهما.

فقد فسّرت البعوضة بأمر المؤمنين عليه السلام «٣». و كذا دابة الأرض به «٤»، و هكذا الساعة في قوله تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ أَي

بعلى عليه السلام «٥». و الورقة بالسقط، و الحبة بالولد «٦». و المشرقين برسول الله و على عليهما السلام. و المغربيين بالحسن و الحسين عليهما السلام، و كذا البحرين بعلى و فاطمة عليهما السلام. و البرزخ برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «٧»، و كذا الثقلان فى قوله تعالى: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ بِالْعَتْرَةِ و الكتاب «٨». و فسر الفاحشة بالخروج بالسيف «٩». (١) تفسير القمى، ج ٢، ص ٧٣.

(٢) المصدر، ص ٧٦.

(٣) المصدر، ج ١، ص ٣٥.

(٤) المصدر، ج ٢، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٥) المصدر، ص ١١٢، الفرقان / ١١.

(٦) المصدر، ج ١، ص ٢٠٣.

(٧) المصدر، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٨) المصدر، ج ٢، ص ٣٤٥، الرحمن / ٣١.

(٩) المصدر، ج ٢، ص ١٩٣.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٦

### نماذج مختارة من صحاح التفاسير المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام

#### إشارة

و بعد، فإليكم نماذج من تفاسير مأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، هى مناهج تعليمية لكيفية دراسة القرآن الكريم و طريقة استنباط معانيه الحكيمه. أخذنا الأهم منها مأخوذة من كتب ذوات اعتبار، و فى أسانيد صحيحة لا غبار عليها. فمنها: ما ورد فى تفسير آية الوضوء، و آية التقصير فى الصلاة، و آية خمس الغنائم، و قطع يد السارق، و تحريم الخمر، و جزاء قتل المؤمن، و الطلاق الثلاث، و متعة النساء و الحج، و الرجعة قبل الحشر الأكبر، و مسأله البداء فى التكوين. و إليك:-

#### الأول - آية الوضوء

#### إشارة

قوله تعالى: وَ امْسُحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَ أَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَتَيْنِ «١».

#### أ- مسح الرأس:

روى ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني بإسناده عن طريق على بن إبراهيم إلى زرارة، سأل أبا جعفر الباقر عليه السلام قال: ألا تخبرنى من أين علمت و قلت: إن المسح ببعض الرأس؟ فضحك الإمام عليه السلام ثم قال: يا زرارة، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و نزل به الكتاب. ثم فضّل الكلام فيه و قال: لأن الله عزّ و جلّ يقول: فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ فَعَرَفْنَا أَنَّ الْوَجْهَ كُلَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَغْسَلَ، ثم قال: وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى

المُرافق. ثم فصل بين الكلامين فقال: وَامْسُحُوا بِرُؤُوسِكُمْ فَعَرَفْنَا حِينَ قَالَ: «بِرُؤُوسِكُمْ» أَنَّ الْمَسْحَ (١) الْمَائِدَةُ/ ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٧

يبعض الرأس، لمكان الباء ... «١».

يعنى أنه غير الأسلوب و زاد حرف الربط «الباء» بين الفعل و متعلقه، مع عدم حاجة إليه فى ظاهر الكلام؛ حيث كلا الفعلين (الغسل و المسح) متعديان بأنفسهما، يقال: مسحه مسحاً، كما يقال: غسله غسلًا «٢». فلا بدّ هناك من نكتة معنوية فى هذه الزيادة غير اللازمة حسب الظاهر؛ إذ زيادة المباني تدل على زيادة المعانى.

و قد أشار عليه السّلام إلى هذا السرّ الخفى بإفادة معنى التبعض فى المحل الممسوح، استنباطاً من موضع الباء هنا. ذلك أنه لو قال: و امسحوا رءوسكم، لاقتضى الاستيعاب، كما فى غسل الوجه.

فقوله: وَامْسُحُوا بِرُؤُوسِكُمْ يستدعى التكليف بالمسح مرتباً بالرأس، أى أن التكليف هو حصول ربط المسح بالرأس، الذى يتحقق بأول إمرار اليد المبتلة بأول جزء من أجزاء الرأس؛ إذ حين وضع اليد على مقدّم الرأس - مثلاً - و إمرارها، يحصل ربط المسح بالرأس، و عنده يسقط التكليف؛ لأنّ المكلف به قد حصل بذلك. و لا تعدّد فى الامتثال، كما قرر فى الأصول.

فكانت زيادة «الباء» هى التى دلّتنا على هذه الدققة فى شريعة المسح، بعد ورود القول به من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم. فإيا له من استنباط رائع مستند إلى دقائق الكلام.

هذا، و غير خفى أن هذه الاستفادة الكلامية لا تعنى استعمال الباء فى معنى (١) الكافى الشريف، ج ٣، ص ٣٠ رقم ٤. و الآية من سورة المائدة.

(٢) قال ابن مالك:

علامة الفعل المعدى أن تصل ها غير مصدر به نحو عمل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٨

التبعض - كما و همه البعض - بل إن بنية الكلام و تركيبه الخاص (بزيادة ما لا لزوم فيه ظاهراً) هو الذى أفاد هذا المعنى، أى كفاية مسح بعض الرأس. فالتبعض فى الممسوح مستفاد من جملة الكلام لا من خصوص الباء؛ إذ ليس التبعض من معانى الباء البتة، فلا موضع لما نازع بعضهم فى كون الباء تفيد التبعض.

قال الشيخ محمد عبده: و نازع بعضهم فى كون الباء تفيد التبعض، قيل:

مطلقاً، و قيل: استقلالاً. و إنما تفيده مع معنى الإلصاق، و لا يظهر معنى كونها زائدة ..

قال: و التحقيق أنّ معنى الباء: الإلصاق لا التبعض أو الآلة، و إنّما العبرة بما يفهمه العربى من: مسح بكذا أو مسح كذا، فهو يفهم من: مسح رأس اليتيم أو على رأسه، و مسح بعنق الفرس أو ساقه أو بالركن أو الحجر، أنه أمرّ يده عليه. لا يتقيد ذلك بمجموع الكف الماسح، و لا- بكل أجزاء الرأس أو العنق أو الساق أو الركن أو الحجر الممسوح. فهذا ما يفهمه كلّ من له حظّ من هذه اللّغة، ممّا ذكر، و من قوله تعالى: فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ «١»- على القول الراجح المختار أنّ المسح باليد لا بالسيف- و من مثل قول الشاعر:

و لما قضينا من منى كل حاجة و مسح بالأركان من هو ماسح

و أخيراً ينتهى إلى القول بأنّ ظاهر الآية الكريمة أن مسح بعض الرأس يكفى فى الامتثال، و هو ما يسمّى مسحاً فى اللّغة، و لا يتحقق إلّا بحركة العضو الماسح ملصقاً بالممسوح، فلفظ الآية ليس من المجمل «٢».

و هكذا استدلل الإمام عليه السّلام لعدم وجوب استيعاب الوجه و اليدين فى (١) سورة ص / ٣٣.

(٢) تفسير المنار، ج ٦، ص ٢٢٦-٢٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٩

مسحات التيمم بدخول «الباء»، في قوله تعالى: فَأَمْسَيْحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ «١»، إذ لم يقل: امسحوا وجوهكم و أيديكم، لثلا يفيد الاستيعاب فيهما.

و لم يحتمل محمد بن إدريس الشافعي في آية الوضوء «و امسحوا برءوسكم» غير هذا المعنى، أي المسح لبعض الرأس. قال: «و كان معقولا في الآية أن من مسح من رأسه شيئا فقد مسح برأسه، و لم تحتمل الآية إلا هذا، و هو أظهر معانيها، أو مسح الرأس كله. قال: و دلت السنة على أن ليس على المرء مسح رأسه كله. و إذا دلت السنة على ذلك، فمعنى الآية: أن من مسح شيئا من رأسه أجزاءه» (٢). و زاد- في الأم- «إذا مسح الرجل بأى رأسه شاء إن كان لا شعر عليه، و بأى شعر رأسه، ياصبع واحدة أو بعض إصبع أو بطن كفه، أو أمر من يمسح به أجزاء ذلك. فكذلك إن مسح نزعته أو إحداها أو بعضهما أجزاءه؛ لأنه من رأسه» (٣).

و قد بين وجه المعقولية في الآية بقوله: «لأنه معلوم أن هذه الأدوات موضوعة لإفادة المعاني، فمتى أمكننا استعمالها على فوائد منضمة بها وجب استعمالها على ذلك، و إن كان قد يجوز وقوعها صلة للكلام و تكون ملغاة. لكن متى أمكننا استعمالها على وجه الفائدة، لم يجز لنا إلغاؤها، و من أجل ذلك قلنا: إن الباء في «الآية» للتبويض. و يدل على ذلك أنك إذا قلت: مسحت يدي بالحائط كان معقولا مسحها ببعضه دون جميعه، و لو قلت: مسحت الحائط كان المعقول مسحه جميعه دون بعضه. فقد وضح الفرق بين إدخال الباء و بين إسقاطها، في (١) المائدة/ ٦.

(٢) أحكام القرآن للشافعي، ... جمع و ترتيب أبى بكر البيهقي صاحب السنن، ج ١، ص ٤٤.

(٣) الأم للشافعي، ج ١، ص ٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٠

العرف و اللغة. ثم أيد ذلك بما رواه عن إبراهيم «١»، قال: إذا مسح ببعض الرأس أجزاءه، قال: و لو كانت «امسحوا رءوسكم» كان مسح الرأس كله. قال: فأخبر إبراهيم أن «الباء» للتبويض، و قد كان عند أهل اللغة مقبول القول فيها «٢». قال الرازى: حجة الشافعي أنه لو قال: مسحت المنديل، فهذا لا يصدق إلا عند مسحه بالكتيفة، أما لو قال: مسحت يدي بالمنديل، فهذا يكفى في صدقه مسح اليدين بجزء من أجزاء ذلك المنديل «٣».

و هذا الذى ذكره الشافعي، و إن كان يتوافق- في ظاهره- مع نظرة الإمام الصادق عليه السلام، و لعله ناظر إليه، لكنه يتخالف معه في مواضع:

أحدها: زعمه أن «الباء» استعملت- هنا- بمعنى التبويض نظير «من» التبويض، في حين أنه لم تأت «الباء» في اللغة للتبويض، و لا شاهد عليه البتة.

و استناده إلى كلام إبراهيم النخعي غير وجيه؛ لأنه لم يصرح بذلك، بل إن كلامه ككلام الإمام الصادق يهدف إلى أن موضع «الباء» هنا أفاد أجزاء مسح بعض الرأس- بالبيان الذى تقدم- و هذا يعنى أن «الباء»- فى موضعها الخاص هنا- تفيد التبويض فى مسح الرأس و هذا غير كونها مستعملة فى معنى التبويض، كما عرفت.

الثانى: أن التمثيل بالمنديل غير صحيح؛ لأن المنديل ممّا يمسح به و ليس ممسوحاً؛ إذ لا يقال- فى العرف و اللغة-: مسحت المنديل، فقولنا: مسحت يدي (١) هو إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفى الفقيه، كان مفتى أهل الكوفة، قال ابن حجر: كان رجلا صالحا فقيها متوقيا قليل التكلف، مات سنة (٩٦) و هو مختف من الحجاج (تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٧٧)

(٢) أحكام القرآن لأبى بكر الجصاص، ج ٢، ص ٣٤١.

(٣) التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩١



بالمندبل، يفيد كون اليد هي الممسوحة لا المندبل.

الثالث: أن الشافعي لم يشترط أن يكون المسح باليد، قال: فإذا رش الماء على جزء من رأسه أجزاءه «١». ولا ندرى كيف يكون الرش مسحاً؟! ولعله أخذ بالملاك قياساً «٢»، خروجاً عن مدلول لفظ الشرع.

والحنفية قالوا بكفاية مسح ربع الرأس من أى الأطراف، ويشترط أن يكون بثلاث أصابع. أما المالكية والحنابلة فقد أوجبوا مسح الرأس كله، وأغفلوا موضع «الباء» «٣».

كما أن المذاهب الأربعة جميعاً أغفلوا جانب «الباء» فى آية التيمم، فأوجبوا مسح الوجه كله، وكذا مسح اليدين مع المرفقين «٤». يقول القرطبي - وهو مالكي المذهب -: وأما الرأس فهو عبارة عن الجملة التى منها الوجه، فلما عتق الله الوجه للغسل بقى باقى للمسح، ولو لم يذكر الغسل للزم مسح جميعه، ما عليه شعر من الرأس وما فيه العينان والأنف والفم. قال: وقد أشار مالك فى وجوب مسح الرأس إلى ما ذكرناه، فإنه سئل عن الذى يترك بعض رأسه فى الوضوء، فقال: أ رأيت أن ترك غسل بعض وجهه أ كان يجزئه؟

قال: ووضح بهذا الذى ذكرناه أن الأذنين من الرأس، وأن حكمهما حكم الرأس. (١) راجع: الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، ج ١، ص ٦٠ - ٦١.

(٢) زعمنا بأن المطلوب هو بل بعض الرأس بالماء بأى سبب كان، حتى وإن لم يصدق عليه المسح! وهو من القياس المستنبط، وهو غير حجة عندنا بعد إن كان خروجاً عن لفظ النص الوارد فى الشريعة.

(٣) راجع: الفقه على المذاهب، ج ١، ص ٥٦ و ٥٨ و ٦١.

(٤) المصدر، ص ١٦١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٢

و أما «الباء» فجعلها مؤكدة زائدة ليست لإفادته معنى فى الكلام. قال: والمعنى: و امسحوا رءوسكم «١».

## ب- مسح الرجلين

من المسائل المستعصية التى أشغلت فراغاً كبيراً فى التفسير و الأدب الرفيع، هى مسألة مسح الأرجل فى الوضوء مستفاداً من كتاب الله تعالى.

فقد زعم بعضهم أن القراءة بالخفض تتوافق مع مذهب الشيعة الإمامية فى وجوب المسح، و القراءة بالنصب تتوافق مع سائر المذاهب. و لكل من الفريقين دلائل و شواهد من السنة أو الأدب و لغة العرب، يجدها الطالب فى مظانها.

غير أن الوارد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فى تفسير الآية الكريمة، هو التصريح بأن القرآن نزل بالمسح على الأرجل، و هكذا نزل به جبرائيل، و عمل به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و أمير المؤمنين و أولاده الأطهار، و هكذا خيار الصحابة و جل التابعين لهم بإحسان.

فقد روى الشيخ بإسناده الصحيح إلى سالم و غالب ابنى هذيل، عن أبى جعفر عليه السلام سألاه عن المسح على الرجلين؟ فقال: هو الذى نزل به جبرئيل عليه السلام «٢».

يعنى: أن الذى يبدو من ظاهر الكتاب هو وجوب مسح الرجلين، عطفاً على الرءوس. و لا يجوز كونه عطفاً على الوجوه و الأيدي، لاستتازمه الفصل بالأجنبي، و هو لا يجوز فى مثل القرآن. و هذا سواء قرئ بخفض الأرجل أم بنصبها.

أما على قراءة الخفض فظاهر، و قد قرأ بها ابن كثير و أبو عمرو و حمزة من السبعة، و شعبة أحد راوى عاصم. لكن مقتضاها المسح

لبعض الأرجل، كما في (١) تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٨٧.

(٢) الاستبصار، ج ١، ص ٦٤ رقم ١/١٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٣

الرأس.

أم قرئ بالنصب عطفًا على المحل؛ لأن محل «برءوسكم» نصب مفعولًا به لامسحوا، و هو فعل متعد يقتضى النصب. و قد أقحمت «الباء» إقحاما لحكمة إفادة التبعض، حسبما عرفت.

و

قد قرأ النصب أيضا ثلاثة من السبعة: نافع و ابن عامر و الكسائي. و حفص الراوى الآخر لعاصم، و هى القراءة المسندة إلى أبى عبد الرحمن السلمى عن أمير المؤمنين عليه السلام . و قد مضى شرحها فى فصل القراءات من التمهيد «١».

غير أن القراءة بالنصب تستدعى الاستيعاب، «٢» لتعلق الفعل «امسحوا» بالمسوح بلا واسطة، و حيث حدّدت الأرجل بالكعبين كالأيدى بالمرفقين، كان ظاهره إرادة استيعاب ما بين الحدّين (من رءوس الأصابع إلى الكعبين)، الأمر الذى يؤكد صحّة قراءة النصب، و هى القراءة التى جرى عليها المسلمون، و هى المختارة حسب الضوابط التى قدّمتها. و على أىّ تقدير، سواء أقرئ بالخفض أم بالنصب، فهو عطف على الرءوس، و ليس عطفًا على الأيدى، فلا موجب لإرادة الغسل فى الأرجل.

و من ثمّ فظاهر الكتاب هو «المسح» كما نصّ عليه أئمّة أهل البيت. و

عن (١) التمهيد، ج ٢، ص ١٥٩ و ٢٣٢.

(٢) أى الاستيعاب طولًا من رءوس الأصابع إلى الكعبين.

فقد روى الكلينى بإسناده الصحيح إلى أحمد بن محمد بن أبى نصر البزنطى عن الإمام أبى الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفّه على الأصابع فمسحها إلى الكعبين إلى ظاهر القدم، فقلت: لو أن رجلا قال بإصبعين من أصابعه هكذا؟ قال: لا إلّا بكفّه. (الكافى الشريف، ج ٣، ص ٣٠ رقم ٦) أما ما ورد من الاجتزاء بثلاثة أصابع (أنّ المسح على بعضها- المصدر رقم ٤) فهو ناظر إلى جانب العرض.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٤

مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ما نزل القرآن إلّا بالمسح «١». و عن ابن عباس: أنّ فى كتاب الله المسح، و يأبى الناس إلّا الغسل «٢».

و هذا استنكار على العامّة فى مخالفتهم لظاهر القرآن، المتوافق مع قواعد الفنّ فى الأدب و الأصول.

قال الشيخ محمد عبده: و الظاهر أنه عطف على الرأس، أى و امسحوا بأرجلكم إلى الكعبين.

قال: اختلف المسلمون فى غسل الرجلين و مسحهما، فالجماهير على أن الواجب هو الغسل، و الشيعة الإمامية أنه المسح. و ذكر الرازى عن القفال أن هذا قول ابن عباس و أنس بن مالك و عكرمة و الشعبى و أبى جعفر محمد بن على الباقر، قال: و عمدة الجمهور فى هذا الباب عمل الصدر الأول، و ما يؤيده من الأحاديث القولية. و قد أسهب المقال و نقل عن الطبرى اختياره الجمع بين الأمرين، ثم أردفه بكلام آلوسى و تحامله على الشيعة بما يوجد مثله فى كتب أهل السنّة، فى كلام يطول، و إن شئت فراجع «٣».

من الآيات التي وقعت موضع بحث و جدل من حيث دلالتها على المراد، هل المقصود بيان صلاة الخوف فقط أم يعم صلاة المسافر أيضا، فما وجه دلالتها؟

ذهب المفسرون إلى تعميم دلالتها استنادا إلى فعل النبي عليه السلام و الأئمة و سائر المسلمين، منذ العهد الأول كانوا يقصرون من الصلاة استنادا إلى هذه الآية (١) راجع: الوسائل للحر العاملي، ج ١، ص ٢٩٥ رقم ٨ / ١٠٩٥. (٢) المصدر، رقم ٧.

(٣) تفسير المنار، ج ٦، ص ٢٢٧ - ٢٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٥

الكريمة، الواردة - بظاهرها - في صلاة الخوف فقط.

قال تعالى: وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ، إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا. إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا. وَ إِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا آسْلِحَتِهِمْ، فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ، وَ لَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ آسْلِحَتِهِمْ. وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ آمْنَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ... (١).

ظاهر العبارة، أن جملة الشرط «إِنْ خِفْتُمْ» قيد في الموضوع، يعنى القصر في الصلاة - عند الضرب في الأرض - مشروط بوجود الخوف، و من ثم جاء شرح صلاة الخوف في الآية التالية لها.

و الفتنة - هنا -: الشدة و المحنة و البلاء، أى خوف أن يفجعوكم بالقتل و النهب و الأسر، كما فى قوله تعالى: عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ، و قوله: وَ أَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ، و وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ (٢) أى يفجعوك ببليء و شدة و مصيبة.

قال الطبرسى: ظاهر الآية يقتضى أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف. لكننا قد علمنا جواز القصر عند الأمن ببيان النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و يحتمل أن يكون ذكر الخوف فى الآية قد خرج مخرج الأعم الأغلب عليهم فى أسفارهم، فإنهم كانوا يخافون الأعداء فى عامتها، و مثلها فى القرآن كثير (٣). (١) النساء / ١٠١ - ١٠٢.

(٢) يونس / ٨٣، المائدة / ٤٩، الإسراء / ٧٣.

(٣) مجمع البيان، ج ٣، ص ١٠١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٦

قال المحقق الفيض: قيل: كأنهم ألفوا الإنتماء و كان مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى التقصير، فرفع عنهم الجناح؛ لتطيب نفوسهم بالقصر و يطمنوا إليه (١).

و

روى أبو جعفر الصدوق بإسناده الصحيح عن زرارة و محمد بن مسلم، إنهما قالا: قلنا للإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام: ما تقول فى الصلاة فى السفر، كيف هى، و كم هى؟

فقال: إن الله عز و جل يقول: وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ (٢) فصار التقصير فى السفر واجبا كوجوب التمام فى الحضر.

قالا: قلنا: إنما قال الله - عز و جل - : فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ وَ لَمْ يَقُلْ: افعلوا، فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام فى الحضر؟ فقال عليه السلام: أو ليس قد قال الله - عز و جل - : إِنَّ الصَّافَا وَ الْمَرَوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا (٣)، ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض؛ لأن الله - عز و جل - ذكره فى كتابه و صنعه نييه عليه السلام، و كذلك التقصير فى السفر شىء صنعه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و ذكره الله تعالى ذكره فى كتابه.

قالا: قلنا له: فمن صَلَّى في السفر أربعا أ يعيد أم لا؟

قال: إن كان قد قرئت عليه آية التقصير و فسرت له، فصَلَّى أربعا أعاد و إن لم (١) تفسير الصافي، ج ١، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢) النساء/ ١٠١.

(٣) البقرة/ ١٥٨.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٧

يكن قرئت عليه و لم يعلمها فلا إعادة عليه. و الصلاة كلها في السفر، الفريضة ركعتان، كل صلاة، إلا صلاة المغرب، فإنها ثلاث ليس فيها تقصير، تركها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم في السفر و الحضر ثلاث ركعات. و قد سافر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم إلى ذي خشب «١»- و هي مسيرة يوم من المدينة، يكون إليها بريدان: أربعة و عشرون ميلا- فقَصَّر و أفطر؛ فصارت سنة، و قد سمى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم قوما صاموا حين أفطر العصاء.

قال: فهم العصاء إلى يوم القيامة، و إنا لنعرف أبناءهم و أبناء أبنائهم إلى يومنا هذا «٢».

و هذا الحديث- على طوله- مشتمل على فوائد جمّة:

أولا: عدم منافاة بين وجوب التقصير في السفر، و بين قوله تعالى في الآية الكريمة: «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ»، نظير نفي الجناح الوارد في السعي بين الصفا و المروة، فإنه واجب بلا شك.

و إنما جاء هذا التعبير لدفع توهم الحظر؛ حيث شعر المسلمون بأن التكليف هو التمام، كما في سائر العبادات، لا تختلف سفرا و حضرا، سوى الصوم و الصلاة؛ فدفعوا لهذا الوهم نزلت الآية الكريمة.

ثانيا: إن الآية دلّت على مشروعيتها القصر في السفر، و قد فعله رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و فعله المسلمون، و كذلك الأئمة بعده، و لم يتم أحد منهم الصلاة في (١) قال ياقوت الحموي: بضم أوله و ثانيه، واد على مسيرة ليلة من المدينة. معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ رقم ١٢٦٦.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٨

السفر. فمقتضى قواعد علم الأصول، عدم جواز الإتمام؛ لأن الصلاة عبادة، و هي توقيفية، و لم يعلم مشروعيتها التمام في السفر، لا من الآية و لا من فعل الرسول و صحابته الأخيار، فمقتضى القاعدة عدم الجواز.

لأن الشكّ دائر بين التعيين و التخير، و الشكّ في التكليف في مقام الامتثال، يقتضى الأخذ بالاحتياط، الذي هو القصر في الصلاة؛ إذ يشكّ في مشروعيتها ما زاد على الركعتين، و لا تصح عبادة مع الشكّ في مشروعيتها.

ثالثا: إن الإمام عليه السلام لم يتعرض للخوف الذي جاء شرطا في الآية، فكأنه عليه السلام فهم أنه موضوع آخر مستقل موضوع السفر، و ليس قيدا فيه. فالخوف بذاته سبب مجوّز للتقصير، كما أن السفر أيضا سبب، و لا ربط لأحدهما بالآخر.

فالأية و إن كانت ظاهرة في القيد، و أن أحدهما قيد للآخر، لكن فعل الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم و أصحابه و سائر الأئمة، دلّنا على هذا التفصيل، و أن كلا منهما موضوع مستقل لجواز القصر. و هكذا فهم الإمام عليه السلام، و فهمه حجّة علينا بالإضافة إلى عمل الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم.

### الثالث- آية الخمس

قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى «١».

نزلت هذه الآية بعد واقعة بدر؛ حيث لم يخمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غنائم بدر. قال عبادة بن الصامت: فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين الخمس فيما كان من كل غنيمه بعد بدر «٢»، و هي عامه تشمل كل الغنائم الحربية. عن ابن (١) الأنفال / ٤١.

(٢) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٨٧. و الطبري، ج ١٠، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٩

عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا بعث سرية فغنموا، خمس الغنيمه «١».

و لكن جاء في تفسير أهل البيت: شمول الآية لكل ما يغنمه الإنسان في حياته من تجارة أو صناعة أو زراعة. فكل ما ربحه الإنسان في مكاسبه، مما هو فاضل مئونه - مئونه نفسه و عياله - طول السنة، ففيه الخمس «٢».

هكذا ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث أخذوا من لفظ «الغنيمه» عمومها اللغوي الشامل لكل ربح و فائده؛ لأن «الغنم» مطلق الفوز بالشيء، كما قاله الخليل في العين، فقلوه: «ما غنمتم» كان الموصول عاما يشمل كل ما فاز به الإنسان من غنيمه أو ربح أو فائده.

قال الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام: «فأما الغنائم و الفوائد، فهي واجبه عليهم في كل عام. قال الله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ .... و الغنائم و الفوائد - يرحمك الله - فهي الغنيمه يغنمها المرء، و الفائده يفيدها، و الجائزه من الإنسان للإنسان التي لها خطر، و الميراث الذي لا يحتسب ...» «٣».

و

عن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام سأله سماعه عن الخمس، فقال: في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير «٤».

قال الطبرسي: قال أصحابنا: إن الخمس واجب في كل فائده تحصل للإنسان من المكاسب و أرباح التجارات، و في الكنوز و المعادن و الغوص و غير ذلك. (١) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٨٥.

(٢) راجع: الوسائل، ج ٦، ص ٣٤٩.

(٣) الوسائل، ج ٦، ص ٣٤٩ رقم ١٢٥٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥٠ رقم ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٠

قال: و يمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية، فإن في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم «الغنم» و «الغنيمه» «١».

و أما مستحق هذا الخمس، فهم آل الرسول و ذريته الأطيبون، إن شاءوا أخذوه، و إن شاءوا تركوه للمعوزين من فقراء المسلمين، أو في وجوه البر و في سبيل الله.

و قد سأل نجدة الحروري عبد الله بن عباس عن ذوى القربى الذين يستحقون الخمس، فقال: إنا كنا نرى أنا هم، فأبى ذلك علينا قومنا، فقال: لمن تراه؟ فقال ابن عباس، هو القربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسيمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضا رأيناه دون حقا فرددناه عليه و أبيتنا أن نقبله. و كان عرض عليهم أن يعيننا نكحهم، و أن يقضى عن غارمهم، و أن يعطى فقيرهم، و أبى أن يزيدهم على ذلك.

و

أخرج ابن المنذر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: سألت عليا عليه السلام عن الخمس، فقلت: يا أمير المؤمنين، أخبرني كيف كان صنع أبي بكر و عمر في الخمس نصيبكم؟ فقال: أما أبو بكر فلم تكن في ولايته أخماس. و أما عمر، فلم يزل يدفعه إلي في كل خمس. حتى كان خمس السوس و جنديسابور، فقال - و أنا عنده -: هذا نصيبكم أهل البيت من الخمس، و قد أحل بعض المسلمين

و اشتدّت حاجتهم. فقلت: نعم. فوثب العباس بن عبد المطلب، فقال: لا تعرض في الذي لنا ... ثم قال: فوالله ما قبضناه ولا قدرت عليه في ولاية عثمان.

و عن زيد بن أرقم، قال: آل محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم الذين أعطوا الخمس، آل علي و آل (١) مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٤٤. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠١ عباس و آل جعفر و آل عقيل «١».

و في الصحيح عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: ذو القربى هم قرابة الرسول. و الخمس لله و للرسول و لنا .

في حديث الرضا عليه السلام: فما كان لله فلرسوله، و ما كان لرسول الله فهو للإمام «٢». و الصحيح عندنا: أنّ الخمس كلّه للإمام - الذي هو وليّ أمر المسلمين - يضعه حيث يشاء، نعم عليه أن يعول منه فقراء بني هاشم من نصف الخمس، فإن احتاجوا زادهم من عند نفسه. و المسألة محرّرة في الفقه، على اختلاف في الأقوال.

#### الرابع - آية القطع

روى أبو النضر محمد بن مسعود العياشي، بإسناده إلى زرقان صاحب ابن أبي داود قاضي القضاة، قال: أتى بسارق إلى محضر المعتصم، و قد أقرّ على نفسه بالسرقة، و سأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه. فجمع الخليفة لذلك الفقهاء، و قد أحضر محمد بن علي الجواد عليه السلام، فسألهم عن موضع القطع.

فقال ابن أبي داود: من الكرسوع (طرف الزند) و استدللّ بآية التيمّم، و وافقه قوم. و قال آخرون: من المرفق، نظرا إلى آية الوضوء. فالتفت الخليفة إلى الإمام الجواد مستفهما رأيه في ذلك، فاستعفاه الإمام. لكنه أصرّ على معرفة رأيه، و أقسم عليه بالله أن يخبره برأيه.

فقال الإمام: أما إذا أقسمت عليّ بالله، إني أقول: إنهم أخطئوا فيه السنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل الأصابع، فيترك الكف. (١) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٨٦.

(٢) الوسائل، ج ٦، ص ٣٥٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٢

قال الخليفة: و ما الحجّة في ذلك؟

قال الإمام: قول رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم: «السجود على سبعة أعضاء، الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين» فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها، و قد قال الله تعالى: وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ، يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا «١»، و ما كان لله لم يقطع.

فأعجب المعتصم ذلك، و أمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف «٢».

انظر إلى هذه الالتفاتة الرقيقة التي تتبها لها الإمام و لم يلتفت إليها سائر الفقهاء، ذلك أن اليد في آية القطع وقعت مجملّة قد أبهم المراد منها، فلا بدّ من تبينها إما من السنّة أو الكتاب ذاته. و قد التفت الإمام عليه السلام لوجه التبيين إلى السنّة مدعّمه بنصّ الكتاب، فبيّن أنّ راحة الكف هي إحدى المواضع السبعة التي يجب على المصلّي أن يسجد عليها، و ذلك بنصّ الحديث الوارد عن الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم، و هذا كيان الصغرى. ثم أردفه ببيان الكبرى المستفادة من الآية الكريمة الشاملة بعمومها لكل مسجد،

سواء الموضع الذى يسجد فيه، أو العضو الذى يسجد عليه، كل ذلك لله. و ما كان لله لا تشمله عقوبه الحد، لأن العقوبة إنما ترجع إلى ما للحد المذنب، و لا تعود على ما كان لله تعالى، و هو استنباط ظريف جدًا.

و مما يستغرب فى المقام ما ذكره الجزيرى تعليلا بوجوب القطع من مفصل (١) الجن / ١٨.

(٢) تفسير العياشى، ج ١، ص ٣١٩-٣٢٠ و راجع: الوسائل، ج ١٨ باب ٤ حد القطع، ص ٤٨٩-٤٩١. و الآية من سورة المائدة / ٣٨. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٣.

الكف، أى الزند، قال: لأن السرقة تقع بالكف مباشرة، و الساعد و العضد يحملان الكف، و العقاب إنما يقع على العضو المباشر للجريمة، و لذلك تقطع اليمنى أولاً؛ لان التناول يكون بها فى غالب الأحيان «١».

قلت: هذا التعليل يقتضى وجوب القطع من مفصل الأصابع، كما عليه فقهاء الإمامية و به رواياتهم؛ لأن الأصابع هى التى تناوش المتاع المسروق، و الكف تحمل الأصابع.

و

قد ذكر ابن حزم الأندلسى أن علينا عليه السلام كان يقطع الأصابع من اليد و نصف القدم من الرجل. و كان عمر يقطع كل ذلك من المفصل. و أما الخوارج فأروا القطع من المرفق أو المنكب «٢».

### الخامس - تحريم الخمر

لم ترد آية فى المنع عن شرب الخمر، بلفظ التحريم صريحا، و إنما هو أمر بالاجتناب عنه أو مما ينبغى الانتهاز منه، مما هو ظاهر فى الإرشاد إلى حكم العقل محضا، الأمر الذى قد يوهم أنها غير محرمة فى شريعة الإسلام! و من ثم سأل المهديّ العباسيّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن ذلك، قال: هل هى محرمة فى كتاب الله عزّ و جلّ؟ فإن الناس إنما يعرفون النهى عنها و لا يعرفون التحريم لها؟

فقال له الإمام: بل هى محرمة فى كتاب الله، يا أمير المؤمنين.

قال: فى أى موضع هى محرمة فى كتاب الله، يا أبا الحسن؟

فقال: فى قول الله عزّ و جلّ: (١) الفقه على المذاهب، ج ٥، ص ١٥٩.

(٢) المحلى، ج ١١، ص ٣٥٧ رقم ٢٢٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٤.

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ .. «١».

قال عليه السلام: أمّا «ما ظهر» فهو الزنى العلن، و نصب الرايات التى كانت ترفعها الفواجر للفواحش فى الجاهلية، و أمّا «ما بطن» فيعنى ما نكح من الآباء، كان الناس قبل البعثة إذا كان للرجل زوجة و مات عنها، تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه.

قال: و أمّا «الإثم» فإنّها الخمره بعينها. و قد قال تعالى فى موضع آخر:

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ... «٢».

فالتفت المهديّ إلى على بن يقطين- و كان حاضر المجلس و من وزرائه- و قال: يا على، هذه و الله فتوى هاشميّة! فقال ابن يقطين: صدقت و الله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذى لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت، فما صبر المهديّ أن قال: صدقت يا رافضى، و كان يعرف منه الولاء لآل البيت «٣».

و بهذه المقارنة الدقيقة بين آيتين قرآنتين يعرف التحريم صريحا فى كتاب الله، الأمر الذى أعجب المهديّ العباسى، و استعظم هذا

التبته الرقيق و الذكاء المرهف الذى حظى به البيت الهاشمى الرفيع.

و هكذا روى عن الحسن تفسير «الإثم» فى الآية «بالخمر» (٤).

قال العلامة المجلسى: المراد بالإثم ما يوجب، و حاصل الاستدلال أنه تعالى حكم فى تلك الآية بكون ما يوجب الإثم محرما، و حكم فى الآية الأخرى بكون (١) الأعراف / ٣٣.

(٢) البقرة / ٢١٩.

(٣) الكافى الشريف، ج ٦، ص ٤٠٦.

(٤) مجمع البيان للطبرسى، ج ٤، ص ٤١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٥

الخمر و الميسر مما يوجب الإثم، فثبت بمقتضاهما تحريمهما (١).

و الكناية بالإثم عن الخمر؛ لأنها أمّ الخبائث و رأس كل إثم (٢)، كان قد شاع ذلك الوقت و قبله، و تعارف استعماله. أنشد الأخفش:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلى كذاك الإثم تذهب بالعقول

و قال آخر:

نهانا رسول الله أن نقرب الخنا و أن نشرب الإثم الذى يوجب الوزر (٣)

و أيضا قال قائلهم فى مجلس أبى العباس:

نشرب الإثم بالصواع جهارا و ترى المسك بيننا مستعارا (٤)

و قد صرح الجوهري بوروده فى اللغة، قال: و قد تسمى الخمر إثمًا، ثم أنشد البيت الأول. كذلك عدّها الفيروز آبادى أحد معانيه.

و أما إنكار جماعة أن يكون الإثم اسما للخمر، فهو إنما يعنى الإطلاق الحقيقى دون المجاز و الاستعارة، فكل معصية إثم، غير أن

الخمر لشدة تأثيرها (١) مرآة العقول بشرح الكافى، ج ٢٢، ص ٢٦٤.

(٢)

أخرج الكلينى بإسناده إلى أبى عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «أن الخمر رأس كل إثم» (الكافى الشريف،

ج ٦، ص ٤٠٣) (٣) مجمع البيان، ج ٤، ص ٤١٤.

و الخنا: الفحش من الكلام، و استعير لكل أمر قبيح. و قد كتى بالإثم عن الخمر فإنها؛ إذ لو كان بمعنى الوزر لم يكن يوجب الوزر، و

لم يصح تعلق الشرب به.

(٤) ذكره ابن سيده. (ابن منظور- لسان العرب) و الصواع: إناء يشرب فيه. و مستعار: متداول، أى تتعاوره بأيدينا نشتمه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٦

سميت إثمًا؛ لأنها رأس المآثم و أصلها و أساسها، كما تبينها. و إلى هذا يرجع كلام ابن سيده، قال: و عندى أنه إنما سمّاها إثمًا؛ لأن

شربها إثم، فهو من الإطلاق الشائع الدائر على الألسن، و ضعا ثانويا عرفيا بكثرة الاستعمال. نعم ليس من الوضع اللغوى الأصل.

و إلى هذا المعنى أيضا يرجع إنكار ابن الأنبارى أبى بكر النحوى أن يكون الإثم من أسماء الخمر (١)، لا إنكار استعماله فيها مجازا

شائعا. قال الزبيدى: و قد أنكر ابن الأنبارى تسمية الخمر إثمًا، و جعله من المجاز، و أطلال فى ردّ كونه حقيقة (٢). قلت: و هو كذلك

بالنظر إلى أصل اللغة.

و أنكره ابن العربى رأسا قال: «لا حجة فيما أنشده الأخفش؛ لأنه لو قال:

شربت الذنب أو شربت الوزر لكان كذلك، و لم يوجب أن يكون الذنب أو الوزر اسما من أسماء الخمر، كذلك الإثم. قال: و الذى

أوجب التكلم بمثل هذا الجهل باللغة، و بطريق الأدلة فى المعانى».



لكن الفارق أن العرب استعملت «الإثم» في الخمر و تعارف استعماله في عرفهم، حتى خصّ به على أثر الشيعاء. أما «الذنب» و «الوزر» فلم يتعارف استعمالهما في ذلك، و لو تعارف لكان كذلك.

قال القرطبي - في ردّه -: أنه مروى عن الحسن، و ذكره الجوهري مستشهدا بما أنشده الأخصش، و هكذا أنشده الهروي في غريبه، على أن الخمر: الإثم .. قال:

فلا يبعد أن يكون «الإثم» يقع على جميع المعاصي و على الخمر أيضا لغة، فلا (١) لسان العرب لابن منظور، ج ١٢، ص ٧.  
(٢) تاج العروس بشرح القاموس، ج ٨، ص ١٧٩.  
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٧  
تناقض «١».

### السادس - قتل المؤمن متعمدا

قال تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا «٢».  
هذه الآية دلّت على أن قاتل المؤمن مخلمد في النار، و لا يخلمد في النار إلّا الكافر الذي يموت على كفره؛ لأن الإيمان مهما كان فإنه يستوجب المثوبة، و لا بدّ أن تكون في نهاية المطاف، على ما أسلفنا «٣».

كما أنها صرّحت بأن الله قد غضب عليه و لعنه، و لا يلعبن الله المؤمن إطلاقا، كما في الحديث عن الإمام أبي جعفر عليه السلام «٤».  
و من ثم وقعت أسئلة كثيرة من أصحاب الأئمة بشأن الآية الكريمة:  
روى الكليني بإسناده إلى سماعة بن مهران، سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الآية، فقال: «من قتل مؤمنا على دينه فذلك المتعمد الذي قال الله عزّ و جلّ: و أعدّ له عذابا عظيما». قال: فالرجل يقع بينه و بين الرجل شيء فيضربه بسيفه فيقتله؟ قال: «ليس ذلك المتعمد الذي قال الله عزّ و جلّ...».

و هكذا أسئلة أخرى من عبد الله بن بكير و عبد الله بن سنان، و غيرهما بهذا (١) تفسير القرطبي، ج ٧، ص ٢٠١.  
(٢) النساء/ ٩٣.

(٣) في الجزء الثالث من التمهيد، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ و الجزء الثاني، بحث المنسوخات رقم ٥٢ / ٢١، ص ٣٣٩.

(٤) في حديث طويل رواه الكليني في الكافي الشريف، ج ٢، ص ٣١. و الوسائل، ج ١٩، ص ١٠ رقم ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٨

الشأن «١».

فقد بين الإمام عليه السلام أن من يقتل مؤمنا لإيمانه، إنما عمد إلى محاربة الله و رسوله و ابتغاء الفساد في الأرض، و ليس عمله لغرض شخصي يرتبط بذاته، إنما هو إرادة محق الإيمان من على وجه الأرض. و لا شكّ أنه كافر محارب لله و رسوله، و مخلمد في النار - إن مات على عقيدة الكفر - و غضب الله عليه، و لعنه و أعدّ له عذابا عظيما.

و هكذا سار مفسرو الشيعة على هدى الأئمة في تفسير الآية «٢».

أمّا سائر المفسرين ففسّروه بقتل العمد الموجب للدية «٣»، و لم يبينوا وجه الخلود في النار، و الغضب و اللعنة من الله.

### السابع - الطلاق الثالث

مما وقع الخلاف بين الفقهاء قديما و لا يزال هي مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد، فقد ذهب فقهاء الإمامية إلى أنها طلاق واحد لعدم فصل الرجوع بينهما. أما باقى الفقهاء فأقروها ثلاثا و كانت بائنة.

و قد عدّ أئمة أهل البيت عليهم السّلام ذلك مخالفا للكتاب و السنّة، قال تعالى: (١) الكافى الشريف، ج ٧، ص ٢٧٥-٢٧٦. و راجع: تفسير العياشى، ج ١، ص ٢٦٧ رقم ٢٣٦.

(٢) راجع: التبيان للطوسى، ج ٣، ص ٢٩٥. و مجمع البيان للطبرسى، ج ٣، ص ٩٣. و الصافى للكاشانى، ج ١، ص ٣٨٢. و الميزان للطباطبائى، ج ٥، ص ٤٢. و كنز الدقائق للمشهدى، ج ٢، ص ٥٧٦. و العياشى ج ١، ص ٢٦٧.

(٣) راجع: الرازى، ج ١٠، ص ٢٣٧. و القرطبى، ج ٥، ص ٣٢٩. و ابن كثير، ج ١، ص ٥٣٦. و المنار، ج ٥، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٩

فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ «١»، و قال: الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحُ بِإِحْسَانٍ - إلى قوله- فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ «٢».

فقد روى عبد الله بن جعفر بإسناده إلى صفوان الجمال عن أبى عبد الله الصادق عليه السّلام أن رجلا قال له: إنى طلقت امرأتى ثلاثا فى مجلس؟ قال: ليس بشىء، ثم قال: أما تقرأ كتاب الله: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ كَلِّمًا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ وَ السُّنَّةَ فَهُوَ يَرُدُّ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ السُّنَّةِ «٣».

و

بإسناده إلى إسماعيل بن عبد الخالق، قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول: طلق عبد الله بن عمر امرأته ثلاثا، فجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحدة، و رده إلى الكتاب و السنّة «٤».

قال الشيخ: معنى قوله تعالى: فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ أَنْ يَطَّلِقَهَا وَ هى طاهر من غير جماع، و يستوفى باقى الشروط «٥»، أى يكون الطلاق فى حاله تمكّنها أن تعتدّ عدتها ..

فمعنى «لِعَدَّتِهِنَّ»: لقبيل عدتهن، و هكذا قرئ أيضا. قال الشيخ: و لا خلاف أنه أراد ذلك- أى تفسيرا و توضيحا للآية- و إن لم تصح القراءة به «٦».

و

فى سنن البيهقى عن ابن عمر: قرأ النبى - ص - «فى قبل عدتهن»

و ،

فى (١) الطلاق / ١.

(٢) البقرة / ٢٢٩-٢٣٠.

(٣) قرب الإسناد للحميرى، ص ٣٠. الوسائل، ج ١٥، ص ٣١٧ رقم ٢٥.

(٤) قرب الإسناد، ص ٦٠. و الوسائل رقم ٢٦.

(٥) تفسير التبيان، ج ١٠، ص ٢٩-٣٠.

(٦) كتاب الخلاف، ج ٢، ص ٢٢٤ كتاب الطلاق.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٠

رواية: «لقبل عدتهن» «١».

و

فى شواذ ابن خالويه: فطلقوهن فى قبل عدتهن عن النبى

و ابن عباس و مجاهد «٢».

قال الطبرسى: إنه تفسير للقراءة المشهورة: «فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ» أى عند عدتهن، و مثله قوله: «لا يُجَلِّبُهَا لَوْ قَتَلَهَا» أى عند وقتها «٣».

فقال الزمخشري: فطلقوهن مستقبلا لعدتهن، كقولك: أتيت ليلة بقيت من الشهر، أى مستقبلا لها. و

فى قراءة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «فى قبل عدتهن» «٤».

قال الرازى: اللام- هنا- بمنزلة «فى»، نظير قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ «٥». و

الآية بهذا المعنى؛ لأن المعنى فطلقوهن فى عدتهن، أى فى الزمان الذى يصلح لعدتهن «٦».

قال الزمخشري: اللام فى «لأَوَّلِ الْحَشْرِ» هى اللام فى قوله تعالى: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي «٧»، و قولك: جئته لوقت كذا. و المعنى:

أخرج الذين كفروا عند أول الحشر. و معنى «أول الحشر»: أن هذا أول حشرهم إلى الشام، و كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط، و هم

أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب (١) السنن الكبرى، ج ٧، ص ٣٢٧.

(٢) الشواذ لابن خالويه، ص ١٥٨.

(٣) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٤) الكشاف، ج ٤، ص ٥٥٢.

(٥) الحشر / ٢.

(٦) التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٣٠.

(٧) الفجر / ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١١

إلى الشام، أو هذا أول حشرهم «١».

قال ابن المنير- فى الهامش-: كأنه يريد أنها اللام التى تصحب التاريخ، كقولك: كتبت لعام كذا و شهر كذا.

إذن فمعنى الآية الكريمة: فطلقوهن لمبدأ عدتهن، أى فى زمان يمكن بدء العدة منه.

و الطلاق ينقسم- فى الشريعة- إلى طلاق سنّة و طلاق بدعة. و الأول ما كان مجتمعا للشرائط، ففى المدخول بها: أن تكون فى طهر

غير مواقع فيه، فتطلق تطليقة ثم تترك حتى تنقضى عدتها، ثم يعقد عليها و تطلق ثانية على نفس الشرائط، و هكذا فى الثالثة. و هذا

من أحسن طلاق السنّة.

و يجوز أن يراجعها زوجها فى عدتها و يطأها ثم يطلقها، أو يطلقها بعد الرجوع من غير وطء. و هذا من الطلاق العدى، كل هذا من

الطلاق السنّى الجائز بالاتفاق. و يقابله الطلاق البدعى، و هو الطلاق غير المستجمع للشرائط.

قال الشيخ: الطلاق المحرّم (البدعى) هو أن يطلق مدخولا بها، غير غائب عنها غيبة مخصوصة، فى حال الحيض، أو فى طهر جامعها

فيه، فإنه لا يقع عندنا (الإمامية) و العقد ثابت بحاله. و قال جميع الفقهاء: إنه يقع و إن كان محظورا، ذهب إليه أبو حنيفة و أصحابه، و

مالك، و الأوزاعى، و الثورى، و الشافعى.

و قال- أيضا-: إذا طلقها ثلاثا بلفظ واحد كان مبدعا، وقعت واحدة عند تكامل الشروط عند أكثر أصحابنا، و فيهم من قال: لا يقع

شئ أصلا. و قال الشافعى: المستحب أن يطلقها طلقه، فإن طلقها ثنتين أو ثلاثا فى طهر لم يجامعها (١) الكشاف، ج ٤، ص ٤٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٢

فيه، دفعة أو متفرقة، كان ذلك مباحا غير محظور، و وقع، و به قال أحمد و إسحاق و أبو ثور.

و قال قوم: إذا طلقها فى طهر واحد ثنتين أو ثلاثا، دفعة واحدة أو متفرقة، فعل محرّما و عصى و أثم. و فى الفقهاء من قال بالحرمة إلّا

أنه يقع، و هم أبو حنيفة و أصحابه و مالك «١».

و الخلاصة أن الشافعي و أحمد لا يريان ذلك طلاق بدعة، فيجيزان الطلاق الثلاث بلفظ واحد و إن كان الثاني و الثالث لغير عدّة، فإنّه جائز و نافذ أيضاً.

أما أبو حنيفة و مالك فيريانه بدعة و إثما، لكنه يقع نافذا «٢».

و على أيّ تقدير، فالمذاهب الأربعة متّفقة على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد. قال الجزيري: فإذا طلق الرجل زوجته ثلاثا دفعه واحدة، بأن قال لها: أنت طالق ثلاثا، لزمه ما نطق به من العدد، في المذاهب الأربعة، و هو رأى الجمهور «٣».

و هذا من جملة الموارد التي خالف الفقهاء صريح الكتاب، لزعم أنه وردت السنّة به، إمّا تأويلا لنص الآية أو نسخا لها فيما زعموا. حاشا فقهاء الإمامية، لم يخالفوا الكتاب في شيء، كما هو عملوا بالسنّة الصحيحة الواردة عن طرق أهل (١) راجع: الخلاف، ج ٢، ص ٢٢٤ م ٢. و ص ٢٢٦ م ٣.

(٢) راجع: صحيح النسائي، ج ٦، ص ١١٦ الهامش.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ٤، ص ٣٤١.

لكن في كتاب مسائل الإمام أحمد بن حنبل الذي جمعه أبو داود السجستاني صاحب السنن (ص ١٦٩): أن أبا داود قال: سمعت أحمد، سئل عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا بكلمة واحدة، فلم ير ذلك، لكنه في موضع آخر (ص ١٧٣) في البكر تطلق ثلاثا، قال: هي ثلاث لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٣

البيت عليهم السلام.

و قد أصرّ أئمة أهل البيت على أن مثل هذا الطلاق (ثلاثا بلفظ واحد) مخالف لصريح الكتاب، و ما كان مخالفا للكتاب فهو باطل يجب ضربه عرض الجدار.

إذ قوله تعالى: فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ يشمل الطلاق الثاني و الطلاق الثالث، لم يقعا للعدّة؛ حيث كانت العدّة عدة للطلقة الأولى فحسب.

قال الإمام الصادق عليه السلام لابن أشيم: «إذا طلق الرجل امرأته على غير طهر و لغير عدة كما قال الله عزّ و جلّ، ثلاثا أو واحدة، فليس طلاقه بطلاق. و إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا و هي على طهر من غير جماع بشاهدين عدلين فقد وقعت واحدة و بطلت الثنتان. و إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا على العدّة كما أمر الله عزّ و جلّ فقد بانت منه و لا تحلّ له حتى تنكح زوجا غيره» «١».

إذن فالطلقة الثانية و كذا الثالثة، لم تقع للعدّة حسبما ذكره الله تعالى في كتابه، و من ثمّ وقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، موضع إنكار رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في الجرأة، على مخالفة صريح الكتاب:

أخرج النسائي من طريق مخرمة عن أبيه بكير بن الأشج، قال: سمعت محمود بن لبيد قال: أخبر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا، فقام غضبان، ثم قال: أيلعب بكتاب الله و أنا بين أظهركم! حتى قام رجل و قال: يا رسول الله، ألا- أقتله؟ «٢» و ذكر الشارح المراد به قوله تعالى: الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ- إلى قوله- (١) وسائل الشيعة للحر العاملي، ج ١٥، ص ٣١٩ رقم ٢٨.

(٢) سنن النسائي، ج ٦، ص ١١٦ و راجع: ابن جزم، المحلى، ج ١٠، ص ١٦٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٤

و لا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا «١»، فإن معناه: التطبيق الشرعي تطليقه بعد تطليقه على التفريق دون الجمع، و الإرسال مرة واحدة. و لم يرد بالمرتين التثنية، و مثله قوله تعالى:

ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ «٢» أي كره بعد كره، لا كرتين اثنتين. و معنى قوله:

فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ «٣» تخيير لهم- بعد أن علمهم كيف يطلقون- بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة- و هو الرجوع إليها- و بين أن

يسرّحوهنّ السراح الجميل الذي علمهم. و الحكمة في التفريق ما يشير إليه قوله تعالى: لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا أَيْ قد يقبل الله تعالى قلب الزوج بعد الطلاق، من بغضها إلى محبتها «٤».

و هكذا

روى أصحاب السنن: أن ركانه طلق امرأته ثلاثا في مجلس واحد، فحزن عليها و ندم، فأتى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ذكر ندمه و حزنه الشديد على ذلك، فسأله رسول الله: كيف طلقته ثلاثا؟ قال: في مجلس واحد! فقال رسول الله: إنما تلك واحدة فارجعها إن شئت، فارجعها.

و

في حديث ابن عباس: أن عبد يزيد طلق زوجته و تزوج بأخرى، فأتت النبي صلى الله عليه و آله و سلم فشكت إليه. فقال النبي لعبد يزيد: راجعها، فقال: إني طلقته ثلاثا يا رسول الله. قال: قد علمت، راجعها، و تلا: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ «٥». قال أبو داود: أن ركانه طلق امرأته البتة (أي الثلاث البائن) فجعلها (١) البقرة / ٢٢٩ - ٢٣١.

(٢) الملك / ٤.

(٣) البقرة / ٢٢٩.

(٤) هامش النسائي، ج ٦، ص ١١٦، الطلاق / ١.

(٥) سنن البيهقي، ج ٧، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٥

النبي صلى الله عليه و آله و سلم واحدة.

و معنى ذلك: أن الثلاث بلفظ واحد - من غير مراجعة بينهن - تكون الواحدة منهن للعدّة، دون مجموع الثلاث.

فتلاوة النبي صلى الله عليه و آله و سلم للآية تلميح إلى عدم وقوع الثلاث جميعا للعدّة سوى واحدة، و من ثم كانت رجعية و ليست بائنة.

و من غريب الأمر أن جمهور الفقهاء، مع علمهم بأن الثلاث بلفظ واحد مخالف للكتاب و السنّة. أمّا الكتاب فلما عرفت، و أمّا السنّة فلما رواه مسلم في الصحيح بإسناده إلى ابن عباس، قال: كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أبي بكر و سنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب:

إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنْاءٌ، فَلَوْ أَمْضِيْنَاهُ عَلَيْهِمْ: فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ «١».

نرى الفقهاء مع علمهم بذلك، فإنهم تبعوا سنّة عمر، و تركوا صريح الكتاب و سنّة الرسول و الصحابة المرضيين.

يقول الجزيري: إن الأئمة سلموا جميعا بأن الحال في عهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان كذلك، و لم يطعن أحد منهم في حديث مسلم. و كل ما احتجوا به: أن عمل عمر و موافقة الأكثرين له مبني على أن الحكم كان مؤقتا، فنسخه عمر بحديث لم يذكره لنا، و الدليل على ذلك الإجماع. قال: و لكن الواقع أنه لم يوجد إجماع، فقد خالفهم كثير من المسلمين. و ممّا لا شكّ فيه أن ابن عباس من المجتهدين المعول عليهم في الدّين، فتقليده جائز، و لا يجب تقليد عمر فيما رآه ... قال: و لعلّه كان (١) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٦

تحذيرا للناس من إيقاع الطلاق على وجه مغاير للسنّة، فإن السنّة أن تطلق المرأة في أوقات مختلفة، فإذا تجرأ أحد على تطبيقها دفعة واحدة فقد خالف السنّة، و جزاؤه أن يعامل بقوله زجرا له «١».

و ناقش ابن حزم الأندلسي فيما أخرجه النسائي عن طريق مخرمه، عن أبيه بكير بن عبد الله بن الأشج، أنه سمع محمود بن لبيد ... الخ

بأن خبر محمود مرسل لا حجة فيه، و أن مخرمة لم يسمع من أبيه شيئا.  
و كذا ناقش فيما أخرجه مسلم، عن طريق محمد بن رافع، بإسناده إلى ابن عباس، بجهالة ابن رافع هذا «٢».  
أما محمود بن ليبد فزعموا أنه لم تصح له رؤية و لا سماع من النبي؛ لأنه كان طفلا لم يبلغ الحلم يومذاك.  
لكن ذكر الواقدي و غيره: أنه مات سنة ست و تسعين، و هو ابن تسع و تسعين سنة، قال ابن حجر: على هذا يكون له يوم مات النبي  
ثلاث عشرة سنة، و هذا يقوى قول من أثبت الصحبة، و هو قول البخارى. و من ثم قال ابن عبد البر:  
قول البخارى أولى، يعنى فى إثبات الصحبة، و هو الذى  
روى أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أسرع يوم مات سعد بن معاذ حتى تقطعت نعالنا  
. قال الترمذى: رأى النبي و هو غلام صغير «٣».

قلت: لا يقل هذا عن ابن عباس الذى كان يوم مات النبي ابن ثلاث عشرة سنة (١) الفقه على المذاهب، ج ٤، ص ٣٤١-٣٤٢.  
(٢) المحلى، ج ١٠، ص ١٦٨.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٦٥-٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٧

أيضا.

أما عدم سماع مخرمة من أبيه فليس يضره، بعد أن كان يروى من كتاب أبيه.

قال أبو طالب: سألت أحمد عنه، قال: ثقة و لم يسمع من أبيه إنما يروى من كتاب أبيه. و قال مالك: حدثني مخرمة بن بكير و كان  
رجلا صالحا. قال أبو حاتم: سألت إسماعيل بن أبي أويس، قلت: هذا الذى يقول مالك بن أنس: حدثني الثقة، من هو؟ قال: مخرمة  
بن بكير بن الأشج. و قال الميمونى عن أحمد: أخذ مالك كتاب مخرمة فنظر فيه، فكل شيء يقول فيه: بلغنى عن سليمان بن يسار،  
فهو من كتاب مخرمة، يعنى عن أبيه عن سليمان «١».

و أما المناقشة فى إسناده مسلم بجهالة ابن رافع، و لا حجة فى مجهول! فيدفعها أن مسلما رواه من طريق إسحاق بن إبراهيم و محمد بن  
رافع، جميعا عن عبد الرزاق.

أمّا محمد بن رافع فقد وثقه الأئمة كلمة واحدة. قال البخارى: حدثنا محمد بن رافع بن سابور، و كان من خيار عباد الله. و قال  
النسائى: حدثنا محمد بن رافع الثقة المأمون. و قال أبو زرعة: شيخ صدوق. و قال الحاكم: هو شيخ عصره بخراسان فى الصدق و  
الرحلة «٢».

و هكذا إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهويه المروزي، هو أحد الأئمة المرموقين بخراسان ممن قل نظيره. قال أبو زرعة:  
ما رؤى أحفظ من إسحاق. و قال أحمد: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثله. قال: لا أعرف له بالعراق (١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص  
٧٠.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٦١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٨

نظيرا «١».

فقد صح قول الجزيرى: لم يطعن أحد فى حديث مسلم؛ حيث كان طعن ابن حزم موهونا إلى حد بعيد.

و بعد، فمما يبعث على الاعتزاز ذلك موقف فقهاء الإمامية جنبا إلى جنب، من صراحة الكتاب و الصحيح من سنة الرسول صلى الله  
عليه و آله و سلم حتى و إن خالفهم الجمهور. و هذا من بركات تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام الثابتين على صلب الشريعة و  
الحافظين لناموس الدين، ذلك فضل الله يؤتاه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

## الثامن - حديث المتعة

## إشارة

قال تعالى: **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** (٢).

## أ- متعة النساء

وقع الخلاف في هذه الآية الكريمة، هل هي منسوخة الحكم، و ما ناسخها، هل هو الكتاب أم السنة الشريفة؟ ذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى أنها محكمة لا يزال حكمها ثابتا في الشريعة، ليس لها ناسخ لا في الكتاب ولا في السنة، و إليه ذهب جملة الأصحاب و التابعين.

و خالفهم فقهاء سائر المذاهب، نظرا لمنع عمر ذلك، و كان يشدد عليه، كما (١) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢١٧ و ٢١٨. (٢) النساء/ ٢٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٩

افترضوا له دلائل من الكتاب و السنة، لم تثبت عند أئمة النقد و التمحيص ..

قال ابن كثير: و قد استدلل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة. و لا شك أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك ... و قد روى عن ابن عباس و طائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة، و هو رواية عن أحمد. و كان ابن عباس، و أبي بن كعب، و سعيد بن جبير، و السدي يقرءون **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ** - إلى أجل مسمى - **فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** - قراءة على سبيل التفسير - و قال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة.

قال: و لكن الجمهور على خلاف ذلك «١».

و قال ابن قيم الجوزي: الناس في هذا (حديث المتعة) طائفتان: طائفة تقول:

إن عمر هو الذي حرّمها و نهى عنها، و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم باتّباع ما سنّه الخلفاء الراشدون و لم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة عام الفتح، فإنه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة الجهني، عن أبيه عن جده، و قد تكلم فيه ابن معين. و لم ير البخاري إخراج حديثه في صحيحه مع شدة الحاجة إليه، و كونه أصلاً من أصول الإسلام، و لو صحّ عنده لم يصبر عن إخراجها و الاحتجاج به. قالوا: و لو صحّ حديث سبرة لم يخف على ابن مسعود، حتى يروى عنه: أنهم فعلوها، و يحتج بالآية. و أيضا لو صحّ لم يقل عمر: إنها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أنهى عنها و أعاقب عليها، بل كان يقول:

إنه صلى الله عليه و آله و سلم حرّمها و نهى عنها. قالوا: و لو صحّ لم تفعل على عهد الصديق و هو (١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٧٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٠

عهد خلافة النبوة حقاً. قال: و الطائفة الثانية رأت صحة حديث سبرة، و لو لم يصحّ فقد صحّ حديث على عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حرّم متعة النساء، فوجب حمل حديث جابر على أن الذي أخبر عنها بفعلها لم يبلغه التحريم، و لو لم يكن قد اشتهر حتى كان زمن عمر، فلما وقع فيها النزاع ظهر تحريمها و اشتهر. قال:

و بهذا تأتلف الأحاديث الواردة فيها «١».

و ذهب القرطبي - من المفسرين - إلى أن الآية ليست بشأن المتعة، وإنما هي بشأن النكاح التام. قال: ولا يجوز أن تحمل الآية على جواز المتعة؛ لأن النبي - ص - نهى عن نكاح المتعة و حرّمه؛ ولأن الله تعالى قال: «فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ» و معلوم أن النكاح ياذن الأهلين هو النكاح الشرعي بوليّ و شاهدين، و نكاح المتعة ليس كذلك.

قال: و قال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام، و نسختها آية ميراث الأزواج؛ إذ كانت المتعة لا ميراث فيها. و قالت عائشة و القاسم بن محمد: تحريمها و نسخها في القرآن، و ذلك قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» (٢)، و ليست المتعة نكاحاً و لا ملك يمين.

و نسب إلى ابن مسعود أنه قال: المتعة منسوخة نسختها الطلاق و العدة و الميراث.

و قال بعضهم: إنها أبيحت في صدر الإسلام ثم حرّمت عدة مرات. قال ابن (١) زاد المعاد لابن قيم، ج ٢، ص ١٨٤ - ١٨٥. (٢) المؤمنون / ٥ - ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢١

العربي: و أما متعة النساء فهي من غرائب الشريعة؛ لأنها أبيحت في صدر الإسلام، ثم حرّمت يوم خيبر، ثم أبيحت في غزوة أوطاس، ثم حرّمت بعد ذلك، و استقر الأمر على التحريم. و ليس لها أخت في الشريعة إلا مسألة القبلة؛ لأن النسخ طرأ عليها مرتين، ثم استقرت بعد ذلك.

و قال غيره - ممن زعم أنه جمع طرق الأحاديث في ذلك -: إنها تقتضى التحليل و التحريم سبع مرات.

و قال جماعة: لا - ناسخ لها سوى أن عمر نهى عنها ... و روى عطاء عن ابن عباس، قال: ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها عباده، و لو لا نهى عمر عنها ما زنى إلا شقيّ (١).

و هكذا

روى ابن جرير الطبري بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لو لا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقيّ» (٢). و يروى «إلا شقيّ»

بالفاء المفتوحة، أى قليل من الناس (٣).

قال ابن حزم الأندلسي: كان نكاح المتعة - و هو النكاح إلى أجل - حلالاً على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم ثم نسخها الله تعالى على لسان رسوله، نسخاً باتاً إلى يوم القيامة.

و قد ثبت على تحليلها بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم جماعة من السلف، منهم من (١) تفسير القرطبي، ج ٥، ص ١٣٠ - ١٣٢.

(٢) تفسير الطبري، ج ٥، ص ٩.

(٣) قال ابن الأثير: من قولهم: غابت الشمس إلا شقي، أى قليلاً من ضوءها عند غروبها. و

قال الأزهرى: «إلا شقي» أى إلا أن يشقى، يعنى يشرف على الزنى و لا يواقعه. فأقام الاسم و هو الشقى مقام المصدر الحقيقي، و هو الإشفاء على الشىء.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٢

الصحابة: أسماء بنت أبي بكر (١)، و جابر بن عبد الله الأنصاري (٢)، و ابن مسعود (٣)، و ابن عباس (٤)، و عمرو بن حريث (٥)، و أبو سعيد الخدري (٦)، و سلمة و معبد ابنا أمية بن خلف (٧). (١) أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده، ص ٢٢٧ عن مسلم القرني قال: دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألناها عن متعة النساء، فقالت: فعلناها على عهد النبي. (الغدير، ج ٦، ص ٢٠٩) و فى محاوره جرت بين ابن عباس و عروة بن الزبير فى المتعة، فقال له ابن عباس: سل أمك يا عريّة. (زاد المعاد لابن قيم الجوزي، ج ١، ص ٢١٣) و كذا



بينه و بين عبد الله، فقال له ابن عباس:

أول مجمر سطع في المتعة مجمر آل الزبير (العقد الفريد، ج ٤، ص ١٤) و في محاضرات الراغب (ج ٢، ص ٩٤): عير عبد الله بن الزبير عبد الله بن عباس بتحليله المتعة، فقال له: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها و بين أبيك: فسألها، فقالت: ما ولدتك إلا في المتعة.

راجع تفصيل القصّة في مروج الذهب للمسعودي (ج ٣، ص ٩٠-٩١) و راجع أيضا صحيح مسلم (ج ٤، ص ٥٥-٥٦) (٢) يأتي الحديث عنه، و هو الذي أعلن صريحا أنها كانت مباحة منذ عهد الرسول فإلى النصف من خلافة عمر، حتى نهى عنها عمر لأسباب يأتي ذكرها. و يفند من زعم أنه كان بمنع رسول الله أيام حياته.

(٣) فقد ذكر النووي عنه أنه قرأ فما استمتعتم به منهن إلى أجل. (شرح مسلم، ج ٩، ص ١٧٩)

(٤) و هو المشتهر بفتواه الإباحة في ربوع مكة، و سارت عنه الركبان في سائر البلدان (فتح الباري، ج ٩ ص ١٤٨)

(٥) و هو الذي استمتع بموالاة فأحبها في أيام عمر. (فتح الباري، ج ٩، ص ١٤٩)

(٦) و هو الذي واكب جابرا في الإعلان بإباحة المتعة منذ عهد الرسول. (عمدة القارئ للعيني، ج ٨ ص ٣١٠) و (فتح الباري، ج ٩، ص ١٥١)

(٧) نسب ذلك إلى كل منهما؛ أخرج عبد الرزاق بسند صحيح: أنه لم يرع عمر إلا أم أراكة قد خرجت

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٣

قال: و رواه جابر عن جميع الصحابة، مدّة رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و مدّة أبي بكر و عمر إلى قرب آخر خلافته.

قال: و من التابعين: طاوس و عطاء و سعيد بن جبير و سائر فقهاء مكة «١».

و بعد، فالذي يشهد به التاريخ و متواتر الحديث، أن المتعة (النكاح المؤقت) كانت ممّا أحلّه الكتاب و جرت به السنّة و عمل بها الأصحاب، منذ عهد الرسالة و تمام عهد أبي بكر و نصفا من خلافة عمر، حتى نهى عنها و شدّد عليه لأسباب و علل، كان يرى أنها تخوّله صلاحية المنع.

أخرج مسلم من طريق عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن جريج عن عطاء، قال: قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجنّاه في منزله، فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و أبي بكر و عمر ...

و أيضا عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر و الدقيق، الأيام على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و أبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث «٢».

و في حديث قيس عنه قال: رخص لنا أن نكح المرأة بالثوب إلى أجل ... ثم قرأ عبد الله: يا أيّها الذين آمنوا لا تُحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم و لا تغتدوا إنّ الله لا يحبّ المُتعدّين «٣». حبلي فسألها عمر، فقالت: استمتع بي سلمة، و في أخرى: معبد. (فتح الباري،

ج ٩، ص ١٥١) و (الإصابة، ج ٢، ص ٦٣)

(١) المحلّي لابن حزم، ج ٩، ص ٥١٩-٥٢٠ رقم ١٨٥٤.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٠. و الآية من سورة المائدة/ ٨٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٤

و كان استشهاده بهذه الآية تدليلا على أنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه، و لا سيّما الطيبات، ما لم ينه عنه الشارع الحكيم ذاته. إشارة إلى أنّ نهى مثل عمر لا تأثير له في حكم شرعي مستدام بذاته.

أما قضية عمرو بن حريث فهو ما أخرجه الحافظ عبد الرزاق في مصنّفه عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير عن جابر قال: قدم عمرو

بن حريث الكوفة فاستمتع بمولاه، فأتى بها عمر و هي حبلى، فسأله فاعترف، قال: فذلك حين نهى عنها عمر «١».

و قريب منها قصه سلمة و معبد ابني أمية بن خلف:

أخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس، قال: لم يرع عمر إلا أم أراكه قد خرجت حبلى، فسألها عمر، فقالت:

استمتع بي سلمة بن أمية «٢».

و ذكر ابن حجر- في الإصابة- أن سلمة استمتع من سلمى مولاه حكيم بن أمية الأسلمي فولدت له فجحد ولدها.

و زاد الكلبي: فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعة، و روى أيضا أن سلمة استمتع بامرأة فبلغ عمر فتوعدده «٣».

قال ابن حجر: القصة بشأن سلمة و معبد ابني أمية واحدة، أختلف فيها هل وقعت لهذا أو لهذا «٤». (١) فتح الباري بشرح البخاري لابن

حجر (ج ٩، ص ١٤٩) و أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج (الغدِير، ج ٦، ص ٢٠٦-٢٠٧)

(٢) فتح الباري، ج ٩، ص ١٥١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٦٣ رقم ٣٣٦٣.

(٤) فتح الباري، ج ٩، ص ١٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٥

و أخرج مالك و عبد الرزاق عن عروة بن الزبير: أن خولته بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب، فقالت: إن ربيعه بن أمية استمتع بمرأة مولدة فحملت منه.

فخرج عمر بن الخطاب- يجزّ رداءه فزعا، فقال: هذه المتعة! و لو كنت تقدّمت فيها لرجمت «١»، أى لو أعلنت بالمنع قبل ذلك.

و أخرج أبو جعفر الطبري في تاريخه بالإسناد إلى عمران بن سواده، قال:

صليت الصبح مع عمر، ثم انصرف و قمت معه، فقال: أ حاجة؟ قلت: حاجة. قال:

فالحق، فلحقت. فلما دخل أذن لي، فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء. فقلت:

نصيحة؟ فقال: مرحبا بالناصح غدوا و عشيا. قلت: عابت أمتك عليك أربعا! فوضع رأس درّته في ذقنه و وضع أسفلها على فخذه، ثم قال: هات:

فذكر أولا: أنه حرّم العمرة في أشهر الحج «٢». و لم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و لا أبو بكر، و هي حلال،

فاعتذر عمر: أنهم لو اعتمروا في أشهر الحج لرأوا مجزيه عن حجهم.

و الثاني: أنه حرّم متعة النساء، و قد كانت رخصة من الله. نستمتع بقبضة و نفارق عن ثلاث، فاعتذر عمر: أن رسول الله أحلها في

زمان ضروره، و الآن قد (١) الدر المنثور، ج ٢، ص ١٤١.

(٢) كانت العرب في الجاهلية يرون العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور (البخاري، ج ٢، ص ١٧٥) و (مسلم، ج ٤، ص ٥٦) و قد

كافح النبي صلى الله عليه و آله و سلّم هذه العادة الجاهلية و أصرّ على معارضتها و نقضها قولا و عملا، و من ثم فإن ما قام به عمر

كانت محاوله لإعادة رسم غابر خالف شريعة الإسلام.

راجع: الغدير (ج ٦، ص ٢١٧) تجد الدعوة إلى الاعتمار في غير أشهر الحج عودا إلى الرأي الجاهلي عن قصد أو غير قصد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٦

رجع الناس إلى السعة.

و الثالث: أنه حكم بعقاق الأمة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقه سيدها «١». فقال عمر: ألحقت حرمة بحرمة و ما أردت إلا الخير، و

استغفر الله.

و الرابع: أنه يأخذ الرعية بالشدة و العنف، فأجاب عمر بما حاصله: أن ذلك مما لا بد منه في انتظام الرعية «٢».

### قصة المنع من المتعنين

و الذى يبت من الأمر بتأ أن عمر هو الذى حال دون تداوم شريعة المتعة، و أنها كانت محللة حتى أصدر الخليفة المنع منها لا عن سابقة نسخ أو تحريم.

تلك قولته المعروفة: «متعنتان كانتا على عهد رسول الله، و أنا محزّمتان و معاقب عليهما: متعة النساء و متعة الحج».

و هذا الكلام و إن كان ظاهره منكرا- كما قال ابن أبي الحديد المعتزلى «٣»- فله مخرج و تأويل اختلف الفقهاء فيه.

و فى ذلك يقول الإمام الرازى: ظاهر قول عمر: و أنا أنهى عنهما، أنهما مشروعاتان غير منسختين، و أنه هو الذى نسخهما. و ما لم ينسخه الرسول فلا ناسخ له أبدا.

ثم أخذ فى تأويل كلامه بأن المراد: أنا أنهى عنهما لما ثبت عندى أن النبى نسخها. قال: لأنه لو كان مراده أن المتعة كانت مباحة فى شرع محمد صلى الله عليه و آله و سلم و أنا (١) الأمة ذات الولد لا تباع و لا تنقل لتحرّر بعد موت سيدها، و تكون من نصيب ولدها فى الإرث.

(٢) لخصناه عن الطبرى، ج ٤، ص ٢٢٥، حوادث سنة ٢٣ (ط المعارف) و نقله ابن أبي الحديد فى شرح النهج (ج ١٢، ص ١٢١) عن الطبرى و شرح الغريب من ألفاظه رواية عن ابن قتيبة.

(٣) شرح النهج، ج ١، ص ١٨٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٧

أنهى عنها، لزم تكفيره و تكفير كل من لم يحاربه، و يفضى ذلك إلى تكفير أمير المؤمنين؛ حيث لم يحاربه و لم يرد عليه ذلك القول «١».

و أغرب القسطلانى فى شرحه على البخارى، حيث قوله: إن نهى عمر كان مستندا إلى نهى النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و كان خافيا على سائر الصحابة، فبينه عمر لهم؛ و لذلك سكتوا أو وافقوا!! «٢».

اللهم إن هذا إلّا تحرّص بالغيب، و تفسير كلام بما لا يرضى صاحبه.

و أشدّ غرابة ما ذكره القوشجى- فى شرحه على تجريد الاعتقاد للخواجه نصير الدين الطوسى- قال: إن عمر قال على المنبر: أيها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أنهى عنهنّ و أحزمتهنّ و أعاقب عليهنّ: متعة النساء، و متعة الحج، و حى على خير العمل، ثم اعتذر بأن ذلك ليس ممّا يوجب قدحا فيه، فإن مخالفة المجتهد لغيره فى المسائل الاجتهادية ليس ببدع!! «٣» انظر إلى هذا الرجل العالم المتجاهل، كيف يجعل من صاحب الرسالة الذى لا ينطق إلّا عن وحي يوحى إليه، كيف يجعله عدلا لفرد من آحاد أمته، و لا سيما مثل ابن الخطاب الذى أعلن صريحا و مرارا: كلّ الناس أئمة منه «٤».

و بعد، فلنعطف الكلام عن حديث المتعنين الذى أعلن به عمر على رءوس (١) التفسير الكبير ج ١٠، ص ٥٣-٥٤.

(٢) إرشاد السارى بشرح البخارى للقسطلانى، ج ١١، ص ٧٧.

(٣) شرح التجريد آخر مباحث الإمامة.

(٤) و قد عقد ابن أبي الحديد (شرح النهج، ج ١، ص ١٨١) بابا ذكر فيه موارد أفتى فيها عمر ثم نقضها، و راجع أيضا نواذر الأثر فى علم عمر للعلامة الأمينى (الغدیر، ج ٦، ص ٨٣-٣٢٥) و كان مستقانا فى هذا العرض.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٨

الأشهاد:

١- أخرج البيهقي في سننه بالإسناد إلى أبي نضرة قال: قلت لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن ابن الزبير ينهى عن المتعة وإن ابن عباس يأمر بها! قال: على يدي جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي بكر، فلما ولي عمر خطب الناس فقال:

«إن رسول الله هذا الرسول، وإن هذا القرآن هذا القرآن. وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله، وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما، إحداهما: متعة النساء، ولا أقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلا غيبتة بالحجارة، والأخرى: متعة الحج» (١).

٢- وأخرج مسلم في صحيحه أيضا عن أبي نضرة، قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكرت ذلك لجابر، فقال: على يدي دار الحديث. تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قام عمر قال: «إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازل، فأتموا الحج والعمرة لله كما أمر الله، وأبوا نكاح هذه النساء، فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمت بالحجارة» (٢).

٣- وأخرج أبو بكر الجصاص بإسناده إلى شعبة عن قتادة، قال: سمعت أبا نضرة يقول: كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها، قال: فذكرت ذلك لجابر فقال: على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قام عمر قال: «إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج والعمرة كما أمر (١) السنن الكبرى للبيهقي، ج ٧، ص ٢٠٦.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٩

الله، وانتهوا عن نكاح هذه النساء، لا أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمت.

قال الجصاص: فذكر عمر الرجم في المتعة، وجائز أن يكون على جهة الوعيد والتهديد لينزجر الناس عنها (١).

٤- وذكر بشأن متعة الحج، وهي إحدى المتعتين اللتين قال عمر بن الخطاب: «متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أنهي عنهما وأضرب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء» (٢).

وهكذا رواه الحافظ أبو عبد الله بن القيم الجوزي، قال: ثبت عن عمر أنه قال (٣).

وقال شمس الدين السرخسي: وقد صح أن عمر نهى الناس عن المتعة، فقال:

متعتان كانتا ... (٤).

وذكره القرطبي بنفس اللفظ (٥)، والفخر الرازي بلفظ: «متعتان كانتا مشروعيتين ...» (٦).

إلى غير ذلك من تصريحات أعلام الفقه (٧) والتفسير، تنبؤك عن تواتر حديث (١) أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ١٤٧ و استند السرخسي في المبسوط (ج ٥، ص ١٥٣) إلى ما روى عن عمر أنه قال: «لا أوتي برجل تزوج امرأة إلى أجل إلا رجمته ولو أدركته ميتا لرجمت قبره»!

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٣) زاد المعاد، ج ٢، ص ١٨٤.

(٤) المبسوط للسرخسي، ج ٤، ص ٢٧.

(٥) تفسير القرطبي، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٦) التفسير الكبير، ج ١٠، ص ٥٢-٥٣.

(٧) راجع: المحلّي لابن حزم، ج ٧، ص ١٠٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٠

منع المتعتين منعا مستندا إلى عمر بالذات، وليس مستندا إلى شريعة السماء.

الأمر الذي دعا بكثير من النبهاء أن يأخذوا من قوله عمر هذه دليلا على الجواز، استنادا إلى روايته تاركين رأيه إلى نفسه، أو لا حجة لرأى في مقابلة الشريعة، كما لا اجتهاد في مقابلة النص.

يذكر ابن خلكان - في ترجمه يحيى بن أكنم - أن المأمون العباسي أمر فنودي بتحليل المتعة. فدخل عليه ابن أكنم فوجده يستاك، و يقول - وهو مغتاظ -:

متعتان كانتا على عهد رسول الله و على عهد أبي بكر و أنا أنهى عنهما! و من أنت يا جعل؟! «١» و في لفظ الخطيب: و من أنت يا أحول حتى تنهى عما فعله النبي و أبو بكر؟! «٢» و ذكر الراغب أن يحيى بن أكنم - و كان قاضيا في البصرة نصبه المأمون - قال لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطاب! قال: كيف، و عمر كان أشد الناس فيها؟ قال: لأن الخبر الصحيح أنه صعد المنبر، فقال: إن الله و رسوله قد أحلّا لكم متعتين و إنّي محرّمهما عليكم و معاقب عليهما. فقبلنا شهادته و لم نقبل تحريمه! «٣» و هناك من الصحابة و التابعين من ثبتوا على القول بالتحليل الأول منذ عهد (١) تاريخ ابن خلكان (وفيات الأعيان)، ج ٦، ص ١٤٩-١٥٠، و جعل معناه: لجوج.

(٢) تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٩٩.

(٣) محاضرات الراغب الأصبهاني، ج ٢، ص ٩٤ (الغدِير، ج ٦، ص ٢١٢)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣١

الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم و لم يستسلموا لنهي عمر، و جاهروا في مخالفته إما في حياته أو بعد مماته.

هذا جابر بن عبد الله الأنصاري هو أول من جاهر بالتحليل، و أعلن بالمخالفة لنهي عمر.

و هذا أبو سعيد الخدري قد عرفت مواكبته مع جابر في إعلام المخالفة.

و عبد الله بن مسعود قرأ: إلى أجل مُسَمَّى ... بملاء من الناس.

و أبي بن كعب كان يقرأ قراءة ابن مسعود.

و سعيد بن جبير، و طاوس، و عطاء، و مجاهد، و سائر فقهاء مكة، و أضرابهم حسبما تقدم الكلام عنهم.

و

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لو لا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شفى - أو - إلا شقى، «١» على ما سبق بيانه.

و كذلك ابن عباس في قوله: يرحم الله عمر، ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها أمه محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و لو لا

نهي ما احتاج إلى الزنى إلا شقى - أو - إلا شفى «٢».

و قد عرّض ابن الزبير بابن عباس في قوله: إن ناسا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة، فناده ابن عباس: إنك لجلف

جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين - يريد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم - فقال له ابن الزبير: فجرب

بنفسك فو الله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك «٣». (١) فتح الباري، ج ٥، ص ٩.

(٢) الدر المنثور، ج ٢، ص ١٤١.

(٣) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣٣. و النووي، ج ٩، ص ١٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٢

و هذا ابنه عبد الله تراه لا يكثرث بنهي نهاه أبوه تفاديا دون سنة سنّها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و نطق بها الكتاب. فقد

أخرج أحمد في مسنده عن أبي الوليد، قال: سألت رجل ابن عمر عن المتعة و أنا عنده (متعة النساء)، فقال: و الله ما كنّا على عهد

رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم زانين و لا مسافحين «١».

و هكذا نجد كبار الصحابة و التابعين و من ورائهم الفقهاء، لم يابهاوا بنهي عمر عن متعة الحج، مع تصريحه بالمنع و إردافه لها مع متعة النساء. و ما ذلك إلا من جهة عدم اعتبار أي اجتهاد في مقابلة نصّ الشريعة.

هذا ابن عمر نراه كما لم يكثر بنهي أبيه عن متعة النساء، كذلك لم يكثر بنهي عمر عن متعة الحج:

روى الترمذى بإسناده إلى ابن شهاب أن سالما حدثه أنه سمع رجلا من أهل الشام، و هو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد الله:

هي حلال. فقال الشامى: إن أباك قد نهى عنها! فقال عبد الله: أ رأيت إن كان أبى نهى عنها، و صنعها رسول الله، أ أمر أبى نتبع، أم أمر رسول الله؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «٢».

و كذلك

روى ابن إسحاق عن الزهرى عن سالم، قال: إني لجالس مع ابن عمر في المسجد؛ إذ جاءه رجل من أهل الشام فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال ابن عمر: حسن جميل. قال: فإن أباك كان ينهى عنها! فقال: ويلك، فإن كان أبى نهى عنها و قد فعله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أمر به، أ فبقول أبى آخذ أم بأمر رسول (١) مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٩٥.

(٢) جامع الترمذى، ج ٣، ص ١٨٥-١٨٦ رقم ٨٢٤ كتاب الحج.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٣

الله؟ قم عنى. قال القرطبي: أخرجه الدار قطنى «١». و هكذا نرى سعد بن أبى وقاص لم يأبه بمنع عمر تجاه سنّة سنّها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم،

رواه الترمذى أيضا بإسناده إلى شهاب، عن محمد بن عبد الله بن الحارث: أنه سمع سعد بن أبى وقاص و الضحّاك بن قيس، و هما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال الضحّاك: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله. فقال سعد: بس ما قلت، يا ابن أخى! فقال الضحّاك: فإن عمر قد نهى عن ذلك، فقال سعد: قد صنعها رسول الله، و صنعناها معه. «٢» و هذا

عمران بن الحصين يحذو حذوهما فى جرأة و صراحة، يقول: «إنّ الله أنزل فى المتعة آية و ما نسخها بآية أخرى. و أمرنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالمتعة و ما نهانا عنها

، قال رجل فيها برأيه ما شاء»، يريد عمر بن الخطاب، على ما صرح به الرازى «٣» و ابن حجر «٤». أخرجه ابن أبى شيبة و البخارى و مسلم «٥».

و

أخرجه أيضا أحمد فى مسنده عنه قال: «نزلت آية المتعة فى كتاب الله تبارك و تعالى، و عملنا بها مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلم تنزل آية تنسخها، و لم ينه (١) تفسير القرطبي، ج ٢، ص ٣٨٨.

(٢) جامع الترمذى، ج ٣، ص ١٨٥ رقم ٨٢٣.

(٣) أورده الإمام الرازى بشأن متعة النساء (التفسير الكبير، ج ١٠، ص ٥٣)

(٤) قال ابن حجر: لأنه أول من نهى عنها و كأن من بعده (عثمان و معاوية) كان تابعا له فى ذلك. (فتح البارى، ج ٣، ص ٣٤٥)

(٥) الدر المنثور، ج ١، ص ٢١٦. و راجع: صحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٨-٤٩ أورده بألفاظ مختلفة و متقاربة تماما. و أورده البخارى فى

تفسير سورة البقرة باب فمن تمتع (ج ٦، ص ٣٣) و فى كتاب الحج باب التمتع على عهد رسول الله (ج ٢، ص ١٧٦)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٤

عنها النبى حتى مات «١».

و عمران هذا من فضلاء الصحابة و فقهاءهم، و قد بعثه عمر ليفقه أهل البصرة، ثقة بمكان فقهه و أمانته. قال ابن سيرين: كان أفضل من نزل البصرة من الصحابة «٢».

قال الشيخ أبو عبد الله المفيد- في جواب من سأله عن

قول مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام «ليس منا من لم يقل بمتعتنا»

-: إن المتعة التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام هي النكاح المؤجل الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباحها لأُمَّته في حياته و نزل بها القرآن أيضا، فتؤكد ذلك بإجماع الكتاب و السنة فيه؛ حيث يقول الله:

وَ أَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ، فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً «٣»، فلم يزل على الإباحة بين المسلمين لا- يتنازعون فيها، حتى رأى عمر بن الخطاب النهي عنها، فحظرها و شدد في حظرها و توعد على فعلها، فتبعه الجمهور على ذلك. و خالفهم جماعة من الصحابة و التابعين فأقاموا على تحليلها إلى أن مضوا لسبيلهم، و اختص بإباحتها جماعة من الصحابة و التابعين و أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام، فلذلك أضافها الصادق عليه السلام بقوله: متعتنا «٤». (١) مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٤٣٦.

(٢) الإصابة لابن حجر، ج ٣، ص ٢٦-٢٧.

(٣) النساء / ٢٤.

(٤) المسائل السروية (المسألة الأولى) المطبوعة ضمن رسائل المفيد، ص ٢٠٧-٢٠٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٥

### لا نسخ و لا تحريم

و بعد، إذ عرفت أن القوم لم يكذبوا أن يصدقوا منع عمر ذاته لشريعة سنّها الكتاب و السنة، التمسوا لتبرير موقفه ذاك معاذير و تعاليل، لا تكاد تشفى العليل و لا تروى الغليل.

قال الشيخ محمد عبده: و العمدة عند أهل السنة في تحريمها وجوه:

أولها: ما علمت من منافاتها لظاهر القرآن في أحكام النكاح و الطلاق و العدة، إن لم نقل لنصوصه.

ثانيها: الأحاديث المصرحة بتحريمها تحريما مؤبدا إلى يوم القيامة، و قد جمع متونها و طرقها مسلم في صحيحه.

ثالثها: نهى عمر عنها في خلافته، و إشادته بتحريمها على المنبر، و إقرار الصحابة له على ذلك.

قال: و كان إسناد التحريم إلى نفسه (أنا محرّمهما) فمجاز، و معناه: أنه مبيّن لتحريمهما.

و قد شاع مثل هذا الإسناد، كما يقال: حرّم الشافعي النيذ و أحله أو أباحه أبو حنيفة. لم يعنوا إنهما شرعا ذلك من عند أنفسهما، و

إنما يعنون أنهم بينوه بما ظهر لهم من الدليل. قال: و قد كنّا قلنا: إن عمر منع المتعة اجتهادا منه، ثم تبين لنا أن ذلك خطأ، فنستغفر الله

منه «١».

### و لننظر في هذه البنود باختصار:

أما التنافي مع ظاهر الكتاب أو نصّه، فلم يتبين وجهه بوضوح؛ إذ المتمتع بها زوجة عند القائل بها، و لها أحكام تغاير أحكام الدائمة،

فطلاقها انقضاء أجلها، (١) تفسير المنار، ج ٥، ص ١٥-١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٦

و عدتها كعدة الأمة «١»: نصف عدة الحرّة الدائمة.

قال المحقق: و لا- يقع بها طلاق، و تبين بانقضاء المدّة، و عدتها: حيضتان أو خمسة و أربعون يوماً، و لا يثبت بينهما ميراث، إلّا إذا شرط على الأشهر. و لو أخلّ بالمهر مع ذكر الأجل بطل العقد، و لو أخلّ بالأجل بطل متعه، و انعقد دائماً «٢».

و ذكر الشيخ محمد عبده وجهاً آخر للتناهي مع القرآن؛ حيث قوله عزّ و جلّ في صفة المؤمنين: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إلّا على أزواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنْ ابْتِغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ «٣»، قال:

و المرأة المتمتع بها ليست زوجةً ليكون لها مثل الذي عليها بالمعروف، و الشيعة أنفسهم لا يعطونها أحكام الزوجة و لوازمها، فلا يعدونها من الأربع، و لا- يكون بها إحصان، و ذلك قطع منهم بأنه لا يصدق على المستمتعين «محصنين غير مسافحين»، و ليس لها ميراث و لا نفقة و لا طلاق و لا عدة «٤».

لكن أسبقنا أنها زوجة و إن كانت تخالف أحكامها أحكام الدائمة. و استدل الشهيد الثاني «٥» على أنها زوجة بنفس الآية؛ حيث عدّ ابتغاء ما وراء الزوجة و ملك ليمين سفاحاً. و السورة مكّيّة، نزلت قبل الهجرة بفترة طويلة؛ حيث نزلت (١) راجع: شرائع الإسلام للمحقّق الحلّي، ج ٣، ص ٤١. و بداية المجتهد لابن رشد، ج ٢، ص ١٠١.

(٢) شرائع الإسلام، ج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٣) المؤمنون / ٥ و ٦.

(٤) تفسير المنار، ج ٥، ص ١٣-١٤.

(٥) راجع: الروضة بشرح اللمعة لزين الدين الشهيد الثاني، ج ٥، ص ٢٩٩ و ج ٥، ص ٣٣٦ (ط نجف)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٧

بعدها- و هي برقم ٧٤- اثنتا عشرة سورة إلى تمام العدد (٨٦) السورة المكيّة، و لا- شكّ إنها كانت محلّلة ذلك العهد، و آخر تحريمها- على الفرض- بعد سنة الفتح (عام أو طاس سنة ٨ للهجرة)، و لازمه أن المسلمين كانوا مسافحين في تلك الفترة، إذا لم يكن المتمتع بها زوجة؛ إذ لم تكن ملك يمين أيضاً.

كما أن تحليل الأمة عند القاتل بإباحته داخل في ملك يمين، بنفس دليل الحصر في الآية «١».

نعم ذكرنا أن طلاقها انقضاء أمدها، و أن لها عدة نصف عدة الدائمة، و نفقتها أجزتها. و الميراث حكم تعبدي خاص، يمكن أن لا يجعله الشارع في موارد، منها: القاتل، و خارج الملمّة، و المتقرب بالأب مع وجود المتقرب بالأبوين أو الأم، و غير ذلك ممّا هو تخصيص في عموم الكتاب.

على أن فقهاء أهل السنّة يجيزون نكاح الكتابيّة و لا يقولون بالتوارث بينهما، «٢» و ذلك تخصيص في عموم الكتاب، كما هنا حرفاً بحرف. كما أنهم لا يرون الإحصان بملك يمين «٣»، فكذلك المتعة عندنا، و هو حكم خاص ثابت في الشريعة بالتعبّد.

أما مسألة العدة فقد عرفت أن الشيخ اشتبه عليه الأمر، فتدبّر.

و أما الأحاديث التي هي عمدة استدلالهم على التحريم، فقد ادّعى ابن رشد (١) الروضة بشرح اللمعة لزين الدين الشهيد الثاني، ج ٥، ص ٢٩٩ و ج ٥، ص ٣٣٦ (ط نجف)

(٢) ابن رشد في بداية المجتهد ج ٢، ص ٣٨١ و ٤٧٠.

(٣) المصدر نفسه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٨

الأندلسي تواترها «١». لكنه كلام ملقى على عواهنه؛ إذ لا تعدو رواية التحريم إسنادها إلى ثلاثة من أصحاب النبي صلّى الله عليه و



آله و سلم:

١- علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- سلمة بن الأكوع.

٣- سبرة بن معبد الجهني.

أما الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام فمفتعلة عليه بلا شك؛ لأنه عليه السلام كان من أشد الناقمين على عمر في تحريمه المتعة، و لو لا- نهيه ما زنى إلما شفى، فكيف يؤنب علي عمر أمرا سبقه تحريم رسول الله، لا- سيما و روايته هو بذلك؟! علي أن الراوى فى ذلك- حسب إسناد البخارى «٢»- هو سفیان بن عيينة المعروف بالكذب و التدليس عن لسان الثقات «٣».

و كذا الرواية عن سلمة أيضا لا أصل لها، و إنما هى فريضة ألصقوها بصحابى كبير. و من ثم لم يورد البخارى رواية التحريم عنه، بل العكس أورد عنه رواية الإباحة، رغم عقد الباب للتحريم «٤».

فقد أسند عنه و جابر، قال: كنا فى جيش فأتانا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا. و أيضا عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أيما (١) ابن رشد فى بداية المجتهد ج ٢، ص ٦٣.

(٢) راجع: صحيح البخارى، ج ٧، ص ١٦ (ط مشكول) اقتصر عليه باعتباره أحسن الأسانيد.

(٣) قال ابن حجر: و كان ربما دلّس لكن عن الثقات (تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣١٢ رقم ٣١٨) و هكذا قال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال (ج ٢، ص ١٧٠)

(٤) قال ابن حجر: و ليس فى أحاديث الباب التى أوردتها التصريح بذلك، لكن قال فى آخر الباب: إن عليا بين أنه منسوخ (فتح البارى، ج ٩، ص ١٤٣)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٩

رجل و امرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبّا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا.

و هنا يأتى البخارى ليجهتد فى الموضوع قائلا: قال أبو عبد الله: و بينه على عن النبى أنه منسوخ!! و كذلك روى مسلم عن سلمة و جابر- إلى قوله- «أذن لكم أن تستمتعوا» فقال مسلم: يعنى متعة النساء «١».

نعم تفرد مسلم عن البخارى فى إسناد حديث النهى إلى سلمة، عن طريق فيه ضعف، تركه البخارى لذلك.

روى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبه عن يونس بن محمد عن عبد الواحد ابن زياد عن أبى عميس عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: «رخص رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عام أو طاس فى المتعة ثلاثا ثم نهى عنها» «٢».

و أبو بكر بن أبى شيبه هذا، هو عبد الرحمن بن عبد الملك الحزامى. ضعفه أبو بكر بن أبى داود، و قال أبو أحمد الحاكم: ليس بالمتين عندهم. و ابن حبان مع عدّه فى الثقات وصفه بأنه ربما أخطأ «٣». و فى لفظ ابن حجر: ربما خالف. قال: و لم يخرج عنه البخارى سوى حديثين «٤».

و كذا عبد الواحد بن زياد، كان مدلسا، يدلس فى حديثه عن الأعمش. قال أبو داود الطيالسى: عمد إلى أحاديث كان يرسلها الأعمش فوصلها كلّها، و قد بينه (١) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣٠.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣١.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٥٧٨ رقم ٤٩١٤. و المغنى فى الضعفاء أيضا له، ج ٢، ص ٣٨٣ رقم ٣٥٩٨.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٢٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٠

القطانى. و قال ابن معين: ليس بشيء، و كانت له مناكير نقتت عليه. و وصفه الذهبى بأنه صدوق، يغرّب! «١».

و هكذا حديث سبرة الجهني، لم يروه عنه سوى ابنه الربيع، و من ثم لم يخرج البخاري، «٢» و إنما أخرجه مسلم بإسناده إلى عبد الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه عن جدّه قال: أمرنا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها «٣».

كما لم يخرج مسلم للربيع عن أبيه حديثا غير حديث المتعة، و لم يأت ذكره في غير هذا الباب «٤». الأمر الذي يثير الريب بشأن الربيع، و حديثه ذلك عن أبيه حديثا لم يروه عنه غيره إطلاقا؟! قال ابن قسيم الجوزي - بعد تقسيمه للناس إلى طائفتين بشأن حديث المتعة، طائفة تقول: إن عمر هو الذي حرّمها و نهى عنها - قال: و لم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة، فإنه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جدّه. و قد تكلم فيه ابن معين، و لم ير البخاري إخراج (١) المغني في الضعفاء، ج ٢، ص ٤١٠ رقم ٣٨٤٧. و ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٤٧٢ رقم ٥٢٨٧.

(٢) إذ لم يخرج عن الربيع في صحيحه شيئا، و لا عن أبيه سبرة، سوى ما علّقه في أحاديث الأنبياء فقال: و يروي عن سبرة بن معبد و أبي الشموس أن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم أمر بإلقاء الطعام، يعني من أجل مياه ثمود. و وصله الطبراني من طريق الحميدى عن حرمله بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة (تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٤٥٣ و ج ٤، ص ٣٣٦) (٣) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣٢-١٣٣.

(٤) راجع: الجمع بين رجال الصحيحين، ج ١، ص ١٣٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤١

حديثه في صحيحه، مع شدة الحاجة إليه، و كونه أصلا من أصول الإسلام، و لو صحّ عنده لم يصبر عن إخرجه و الاحتجاج به «١». قال ابن حبان - في ترجمته عبد الملك هذا - منكر الحديث جدا، يروي عن أبيه ما لم يتابع عليه. قال: و سئل يحيى بن معين عن أحاديث عبد الملك عن أبيه عن جدّه، فقال: ضعاف «٢».

هذه حالة الأحاديث المزريّة، و التي استندها القوم دليلا على التحريم، فتدبر، و اقض ما أنت قاض.

## محاورة مفيدة

### إشارة

و يتناسب هنا أن ننقل محاورة وقعت بين الشيخ أبي عبد الله المفيد، و شيخ من الإسماعيلية كان على مذهب الجماعة يعرف بابن لؤلؤ. قال المفيد: حضرت دار بعض قواد الدولة، و كان بالحضرة شيخ من الإسماعيلية، فسألني: ما الدليل على إباحة المتعة؟ فقلت له: الدليل على ذلك قول الله عزّ و جلّ: وَ أَجَلٌ لَّكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَةً بَيْنَ عَيْرٍ مُّسَافِحِينَ. فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً. وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا «٣». فأحلّ جلّ اسمه نكاح المتعة بصريح لفظها، و بذكر أوصافها من الأجر عليها، (١) أوردنا تمام كلامه فيما تقدّم، راجع: زاد المعاد لابن قيم، ج ٢، ص ١٨٤.

(٢) كتاب المجروحين و الضعفاء لأبي حاتم محمد بن حبان، ج ٢، ص ١٣٢-١٣٣. و تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٣) النساء / ٢٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٢

و التراضى بعد الفرض له، من الإزدیاد فی الأجل، و زیادة الأجر فیها.

فقال: ما أنكرت أن تكون هذه الآية منسوخة بقوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ «١». فحظر الله تعالى النكاح إلا لزوجة أو ملك يمين.

و إذا لم تكن المتعة زوجة و لا ملك يمين، فقد سقط من أحلها.

فقلت له: قد أخطأت في هذه المعارضة من وجهين:

أحدهما: إنك ادّعت أن المستمتع بها ليست بزوجة، و مخالفك يدفعك عن ذلك، و يثبتها زوجة في الحقيقة.

و الثاني: إن سورة المؤمنون مكّية، و سورة النساء مدنية، و المكي متقدم على المدني، فكيف يكون ناسخا له و هو متأخر عنه، و هذه غفلة شديدة! فقال: لو كانت المتعة زوجة لكانت تراث، و يقع بها الطلاق.

فقلت له: و هذا أيضا غلط منك في الديانة؛ و ذلك أن الزوجة لم يجب لها الميراث، و يقع بها الطلاق من حيث كانت زوجة فقط، و إنما حصل لها ذلك بصفة تزيد على الزوجية «٢».

و الدليل على ذلك أن الأمة إذا كانت زوجة لم تراث و لم تورث «٣». و القاتلة لا تراث، و الذميمة لا تراث و الأمة المبيعة تبين بغير طلاق «٤»، و الملاعنة أيضا تبين (١) المؤمنون / ٥-٦.

(٢) يعنى أن مسألة الطلاق ليست من لوازم الطبيعة للزوجية، بل لكونها دائمة أو نحو ذلك مما هو خارج الطبيعة ...

(٣) بناء على أن المملوك لا يملك.

(٤) يعنى إذا بيعت الأمة المزوجة و لم يأذن مالکها الجديد بالزواج، فإن الزوجية تنفسخ حالا بغير طلاق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٣

بغير طلاق «١»، و كذلك المختلعة «٢»، و المرتد عنها زوجها «٣»، و المرضعة قبل الفطام بما يوجب التحريم من لبن الأم، و الزوجة تبين بغير طلاق «٤».

و كل ما عدّناه زوجات في الحقيقة، فبطل ما توهمت. فلم يأت بشيء.

فقال صاحب الدار- و هو رجل أعجمي، لا معرفة له بالفقه و إنما يعرف الظواهر:- أنا أسألك في هذا الباب عن مسألة: هل تزوج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم متعة، أو تزوج أمير المؤمنين؟ فلو كان في المتعة ما تركاها! فقلت له: ليس كل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان محرما، و ذلك أن رسول الله و الأئمة عليهم السلام لم يتزوجوا الإماء و لا- نكحوا الكتابيات و لا خالعوا، و لم يفعلوا كثيرا من أشياء كانت مباحة. و بعد ان تبادلنا مسائل من هذا القبيل، قال الشيخ المفيد:

فقلت له: إن أمرنا مع هؤلاء المتفقهة عجيب، و ذلك أنهم مطبقون على تبديعنا في نكاح المتعة مع إجماعهم على أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد كان أذن فيها، و أنها عملت على عهده، و مع ظاهر الكتاب و إجماع آل محمد عليهم السلام على إباحتها، و الاتفاق على أن عمر حرّمها في أيامه، مع إقراره بأنها كانت حلالا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

فلو كنّا على ضلالة فيها لکنّا في ذلك على شبهة، تمنع ما يعتقده المخالف (١) بناء على أن اللعان يوجب الفرقة من غير حاجة إلى طلاق.

(٢) بناء على عدم الحاجة إلى الطلاق و كفاية صيغة الخلع.

(٣) إذا ارتد الزوج تبين منه زوجته بغير طلاق.

(٤) إذا أرضعت أمّ الزوجة وليدتها، أى وليدة زوجة الرجل، حرمت عليه؛ إذ لا ينكح أبو المرتضع فى أولاد صاحب اللبن. و كذا لو أرضعت الزوجة الكبيرة المدخول بها الزوجة الصغيرة حرمتا؛ لأن الأولى أصبحت أمّ الزوجة، و الثانية بنت المدخول بها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٤

فينا من الضلال و البراءة منا. و فيمن خالفنا من يقول فى النكاح و غيره بصد القرآن و خلاف الإجماع و المنكر فى الطباع- ثم جعل يعدّد موارد منها «١»- ثم قال: و هم يتولى بعضهم بعضا، و ليس ذلك إلا لاختصاص قولنا بآل محمد عليهم السلام «٢».

## ب- متعة الحج

تنقسم فريضة الحج إلى تمتع وقران وفراد. و الأول فرض من نأى عن مكة، و لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، فيهل بالعمرة إلى الحج. فإذا طاف و سعى قصر و خرج عن إحرامه، حتى إذا كان يوم التروية أهل بالحج، و ذهب إلى عرفات. و كان له بين تحلله و إحرامه هذا أن يتمتع بما كان قد حرم عليه لأجل إحرامه؛ و من ذلك جاءت هذه التسمية.

و لا زال يعمل بها المسلمون على مختلف مذاهبهم، جريا مع نص الكتاب و سنة الرسول و عمل الأصحاب. غير أن عمر حاول المنع منه، لما استهجنه من توجه الناس إلى عرفات و رءوسهم تقطر ماء، اجتهدا مجردا في مقابلة النص الصريح. و قد عرفت تشديده بشأن المتعتين، لكن تعليله لذلك يبدو أغرب.

أخرج مسلم بإسناده عن أبي موسى أنه كان يفتى بالتمتع، فقال له رجل:

رويدك ببعض فتياك، فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعد، حتى (١) راجع تلك الموارد في الفصول المختارة من العيون و المحاسن للشيخ المفيد، ص ١٢٢-١٢٣، فإنه ممتع!

(٢) الفصول المختارة، ص ١١٩-١٢٣ (ط نجف)

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٥

لقيه بعد فسأله، فقال عمر: كرهت أن يظلوا معرسين بهن في الأراك «١»، ثم يروحون في الحج تقطر رءوسهم «٢».

و لعلها بقية من عقائد قديمة «٣»، وقع مثلها في حياة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مما أثار غضبه.

فقد أخرج مسلم بإسناده عن عطاء: أن جماعة من صحابة النبي صلى الله عليه و آله و سلم أهلوا بالحج مفردا، فقدم النبي صباح رابعة مضت من ذى الحجة، فأمرهم أن يحلوا و يصيبوا النساء، قال عطاء: لم يعزم عليهم و لكن أحلهم لهم. فقال بعضهم لبعض: ليس بيننا و بين عرفة إلا خمس، فكيف يأمرنا أن نفضى إلى نسائنا فنأتى عرفة، تقطر مذاكيرنا.

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقام فيهم، و قال- مستغربا هذا الفضول من الكلام:-

قد علمتم أنى أتقاكم لله و أصدقكم و أبركم أبركم، و لو لا هديي لحلت كما تحلون. و لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى، فحلوا. قال جابر:

فحللنا، و سمعنا و أطعنا.

و فى رواية: فكبر ذلك علينا و ضاقت به صدورنا ... و

فى أخرى: كيف نجعلها متعة و قد سمينا الحج، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: افعلوا ما أمركم به، ففعلوا «٤». (١) يقال: أعرس الرجل بامرأته إذا بنى بها. و الأراك: موضع قرب نمره.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٥-٤٦ باب نسخ التحلل.

(٣) قال ابن قيم الجوزى: كانت العرب فى الجاهلية تكره العمرة فى أشهر الحج، و كانوا يقولون: إذا أدبر الدبر و عفا الأثر و انسلخ

صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر، (زاد المعاد، ج ١، ص ٢١٤) و (البخارى، ج ٢، ص ١٧٥) و (مسلم، ج ٤، ص ٥٦)

(٤) راجع: صحيح مسلم فى عدة روايات، ج ٤، ص ٣٦-٣٨. و صحيح البخارى، ج ٢، ص ١٧٥-١٧٦.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٦

و

فى حديث طويل أخرجه مسلم بإسناده إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن أبيه عن جابر، يشرح حج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى ينتهى إلى قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل و ليجعلها عمرة» قال:

فقام سراقه بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبد؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بل لأبد أبداً (١).

قال العلامة الأميني: ولم يكن نهى عمر عن المتعتين إلّا رأياً محضاً واجتهاداً مجرداً تجاه النص، أما متعة الحج فقد نهى عنها لما استهجنه من توجه الناس إلى الحج و رءوسهم تقطر ماء. لكن الله سبحانه أبصر منه بالحال، و نبه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم ذلك حين شرع إباحتها متعة الحج حكماً باتاً أبدياً (٢).

قال ابن قيم: و منهم من يعدّ النهى رأياً رآه عمر من عنده، لكراهته أن يظلّ الحاجّ معرسين بنسائهم في ظلّ الأراك. قال أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد، قال: بينما أنا واقف مع عمر بن الخطاب بعرفة عشية عرفة، فإذا هو برجل مرجل شعره يفوح منه ريح الطيب، فقال له عمر: أ محرم أنت؟ قال: نعم. فقال عمر: ما هيئتك بهيئة محرم، إنما المحرم الأشعث الأغبير الأذفر (٣). قال: إني قدمت متمتعا و كان معي أهلي، إنما أحرمت اليوم. فقال عمر- عند ذلك: لا تتمتعوا في هذه الأيام، فإنّي لو رخصت في المتعة لهم لعرسوا بهنّ في الأراك ثم راحوا بهنّ حجاجا. قال ابن قيم: و هذا يبيّن أنّ هذا من عمر رأى (١) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٣٩-٤٣. و في المحلى لابن حزم (ج ٧، ص ١٠٨): بل لأبد الأبداً.

(٢) الغدير، ج ٦، ص ٢١٣.

(٣) الذفر- بالتحريك- يقع على الطيب و الكريه، و يفرق بينهما بما يضاف إليه و يوصف به. و المراد هنا الريح الكريهة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٧

رآه (١).

### مذاهب الفقهاء في حج التمتع

ذهب الفقهاء من الإمامية إلى أفضلية حج التمتع على الأفراد و القران، و أنه فرض من نأى عن مكة (٢).

و قالت الشافعية: بأفضلية الأفراد ثم التمتع ثم القران، إن كان قد اعتمر في عامه؛ لأن تأخير العمرة عن عام الحج عندهم مكروه (٣).

و قالت المالكية: بأفضلية الأفراد ثم القران ثم التمتع (٤).

و الحنابلة: أفضلها التمتع ثم الأفراد ثم القران (٥).

و الحنفية: أفضلها القران ثم التمتع ثم الأفراد (٦).

و المذاهب الأربعة جميعاً قائلون بالتخيير.

### التاسع - حديث الرجعة

(١) زاد المعاد لابن قيم، ج ١، ص ٢١٤. و هكذا ذهب ابن حزم أن هذا رأى رأى عمر (المحلى، ج ٧، ص ١٠٢)

(٢) شرائع الإسلام، ج ١، ص ٢٣٦-٢٤٠.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٦٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٩٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٨

قال تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ «١».

هذه الآية الكريمة أظهر آية دللتنا على ثبوت الرجعة، و هي الحشرة الصغرى قبل الحشرة الكبرى يوم القيامة؛ حيث التعبير وقع فى هذه الآية بحشر فوج من كل أمة، أى جماعة منهم و ليس كلهم. أما الحشر الأكبر فهو الذى قال فيه تعالى:

وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا «٢». و قد تكرر قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا «٣».

قال الإمام الصادق عليه السلام: هذا فى الرجعة، فقل له: إن القوم يزعمون أنه يوم القيامة! فقال: فيحشر الله يوم القيامة من كل أمة فوجا و يدع الباقين؟! لا، و لكنه فى الرجعة، أما يوم القيامة فهى: وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا «٤».

و مسألة الرجعة، حسبما تعتقده الشيعة الإمامية، و هى رجعة أموات إلى الحياة قبل قيام الساعة، ثم يموتون موتهم الثانى. ليست بدعا من القول إلى جنب قدرة الله تعالى فى الخلق، كما قص فى كتابه من قصّة عزيز، و أصحاب الكهف، و الذين خرجوا من ديارهم و هم ألوفاً، و السبعين رجلا من قوم موسى، و غير ذلك، ممّا وقع فى أمم خلت، فلا بدع أن يقع فى هذه الأمة مثلها.

و لعلمائنا الأعلام بهذا الشأن دلائل و مسائل استقصوا فيها الكلام نذكر منها:

و للصدوق رحمه الله فى رسالة الاعتقاد بيان واف بشأن إثبات الرجعة، استشهاد (١) النمل / ٨٣.

(٢) الكهف / ٤٧.

(٣) الأنعام / ٢٢ و ١٢٨. يونس / ٢٨. سبأ / ٤٠.

(٤) تفسير الصافى، ج ٢، ص ٢٤٧-٢٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٩

بآيات جاء فيها ذكر الإحياء لأموات فى هذه الحياة، فبعثهم الله أحياء بعد ما أماتهم، فعاشوا زمانا ثم ماتوا موتهم الثانى. نظير ما نقوله فى الرجعة، يعود أقوام إلى الحياة و يعيشون فترة ثم يموتون قبل قيام الساعة. كل ذلك دليل على إمكان الرجعة، و أنها ليست بدعا من القول، أو يستنكر إلى جنب قدرة الله تعالى فى الخلق.

و الآيات التى استشهاد بها هى:

١- قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ «١». هؤلاء قوم حزقيل- و يقال له ابن العجوز «٢»- فزوا من القتال أو الطاعون، فأماتهم الله، فخرج حزقيل فى طلبهم فوجدهم موتى، فدعا الله أن يعيد إليهم الحياة، فأحياهم الله، فرجعوا إلى الدنيا و سكنوا الدور، و أكلوا الطعام و نكحوا النساء، و مكثوا ما شاء الله ثم ماتوا بأجالهم «٣».

٢-

قوله: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ- إلى قوله- وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ «٤». هو عزيز، و قيل: أرميا. و كلاهما مروى، الأول عن الإمام أبى عبد الله، و الثانى عن الإمام أبى جعفر عليهما السلام.

و

روى عن عليّ عليه السلام أنّ عزيز خرج من أهله و امرأته حامل، و له خمسون سنة، ثم لما رجع و هو على سنه الأولى وجد ابنه أكبر منه، ابن مائة سنة، و هذا من (١) البقرة / ٢٤٣.

(٢) و ذلك أن أمة كانت عجوزا فسألت الله الولد و قد كبرت فوهبه الله لها. (مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٤٦)

(٣) روى ذلك حمران بن أعين عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام (مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٤٧)

(٤) البقرة / ٢٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٠

آيات الله «١».

٣- وقوله تعالى: وَإِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «٢».

قال الطبرسي: أى ثم أحييناكم لاستكمال آجالكم.

قال: و استدلل قوم من أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة. و قول القائل:

لا- تجوز إلما فى حياة النبى لتكون دليلا على نبوته، باطل؛ لأنه عندنا بل عند أكثر الأمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الأئمة و الأولياء. و قال أبو القاسم البلخي: لا تجوز الرجعة مع الإعلام بها، لاستلزامه الإغراء بالمعاصي اتكالا على التوبة عند الكثرة. و جوابه: أن الرجعة التى نقول بها ليست لجميع الناس فلا إغراء؛ إذ لا قطع برجوع أى أحد «٣».

٤- وقوله تعالى - خطابا مع عيسى عليه السلام: - وَإِذِ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي «٤».

قال الصدوق: و جميع الموتى الذين أحياهم عيسى المسيح بإذن الله، عاشوا فترة ثم ماتوا بآجالهم.

٥- و أصحاب الكهف لبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين و أزدادوا تسعا ثم بعثهم الله، قال تعالى: فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا- إلى قوله- وَ كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ. قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ «٥». (١) مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٢) البقرة/ ٥٥-٥٦.

(٣) مجمع البيان، ج ١، ص ١١٥.

(٤) المائدة/ ١١٠.

(٥) الكهف/ ١١-٢٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥١

قال الصدوق: و حيث كانت الرجعة فى الأمم السالفة، فلا غرو أن يقع مثلها فى هذه الأمة، كما

فى الحديث: يكون فى هذه الأمة ما وقع فى الأمم السالفة «١».

٦- و زاد أبو عبد الله المفيد الاستدلال بقوله تعالى: قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ «٢»، فهذا الاعتراف و الاستدعاء كان يوم القيامة، و المراد بالحياتين و المماتين: الحياة قبل الرجعة و الحياة بعدها، و كذا الموتان قبل و بعد الرجعة؛ و ذلك لأنهم ندموا على ما فرط منهم فى تينك الحياتين، و معلوم أن لا عمل نافعا و لا تكليف إلما فى الحياة الدنيا.

و قد استوفى الكلام حول الآية بمناسبة المقام، حسبما يأتى عند نقل كلامه.

٧- و هكذا قوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا «٣».

حيث سئل عن هذا النصر، فأجاب من وجوه: و قال: و قد قالت الإمامية: إن الله تعالى ينجز الوعد بالنصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم، و الكثرة التى وعد بها المؤمنين فى العاقبة «٤».

٨- و استدلل الصدوق أيضا بقوله تعالى: وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، بلى وَ عَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ «٥».

قال: يعنى فى الرجعة، و ذلك أنه يقول: لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ «٦»، (١) عقائد الصدوق، ص ٦٢. و البحار، ج ٥٣، ص ١٢٨-١٢٩.

(٢) غافر/ ١١.

(٣) غافر / ٥١.

(٤) في أجوبة المسائل العكبرية. (البحار، ج ٥٣، ص ١٣٠)

(٥) النحل / ٣٨.

(٦) النحل / ٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٢

و التبيين يكون في الدنيا «١».

٩- و

ذكر جار الله الزمخشري في حديث ذي القرنين عن علي أمير المؤمنين عليه السلام، سأله ابن الكواء: ما ذو القرنين، أملك أم نبي، فقال: ليس بملك ولا نبي، ولكن كان عبدا صالحا. ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله. فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله؛ فسمى ذا القرنين. و فيكم مثله «٢»، يعني نفسه عليه السلام.

قال السيد رضى الدين بن طاوس:

قول مولانا علي عليه السلام: «و فيكم مثله»

إشارة إلى ضرب ابن ملجم له، و أنه يعود إلى الدنيا بعد وفاته كما رجح ذو القرنين. و هذا أبلغ من روايات الشيعة في الرجعة «٣».

١٠- و

روى الشيخ حسن بن سليمان فى كتابه المحتضر حديث الأئمة الاثنى عشر، رواه سلمان الفارسى عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ثم قال سلمان: فبكيت و قلت يا رسول الله، فأنتى لسلمان لإدراكهم؟ قال: يا سلمان إنك مدركهم و أمثالك و من تولاهم حقيقة المعرفة. قال سلمان: فشكرت الله كثيرا، ثم قلت: يا رسول الله، إننى مؤجل إلى عهدهم؟ قال: يا سلمان، اقرأ: ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا «٤».

قال سلمان: قلت بعهد منك يا رسول الله؟ قال: إى ... و كل من هو منا و مظلوم فىنا، ثم ليحضرون إبليس و جنوده و كل من محض الإيمان محضا (١) رسالة الاعتقاد و البحار، ج ٥٣، ص ١٣٠.

(٢) تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٧٤٣ سورة الكهف / ٨٣-٨٨.

(٣) سعد السعود، ص ٦٥.

(٤) الإسراء / ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٣

و محض الكفر محضا. حتى تؤخذ الأوتار و الثارات، و لا يظلم ربك أحدا. و نحن تأويل هذه الآية: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَ نَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ... «١».

قال العلامة المجلسى: و رواه ابن عياش فى المقتضب بإسناده إلى سلمان أيضا «٢».

قلت: و هذا عن تأويل الآيتين، و تفسير معانى القرآن الباطنة.

قال أبو على الطبرسى: و استدلل بهذه الآية- سورة النمل / ٨٣- على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية. بأن قال: إن دخول «من» فى الكلام يوجب التبعض، فدل ذلك على أن اليوم المشار إليه فى الآية يحشر فيه قوم دون قوم، و ليس ذلك صفة يوم القيامة الذى يقول فيه سبحانه: وَ حَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا.

قال: و قد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله و سلم فى أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوما ممن تقدم موتهم من أوليائه و شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته و يبتهجوا بظهور دولته، و يعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم و ينالوا



بعض ما يستحقونه من الخزي والهوان.

قال: ولا يشك عاقل أن هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه. وقد فعل الله ذلك في الأمم الخالية، ونطق به القرآن في عدة مواضع، مثل قصة عزيز وغيره على ما فسرناه في موضعه. (١) القصص / ٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٤٢-١٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٤

قال: إلا أن جماعة من الإمامية تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة، إلى رجوع دولة الحق، دون رجوع الأشخاص بإحياء الأموات. وأولوا الأخبار الواردة في ذلك، ما ظنوا أن الرجعة تنافي التكليف.

قال: وليس كذلك؛ لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب و الامتناع من القبيح، و التكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة و الآيات القاهرة.

قال: ولأن الرجعة لم تثبت بطواهر الأخبار ليتطرق إليها التأويل، و إنما المعول في ذلك إجماع الشيعة الإمامية، و إن كانت الأخبار تعضده «١».

و للعلامة المجلسي كلام مسهب حول مسألة الرجعة، أورد أكثر من مائتي حديث عن مصادر معتبرة، ثم يقول: وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهار، فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح رواها تيف و أربعون من الثقات العظام و العلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم ... ثم يأخذ في تعداد من ألف في ذلك بالخصوص، أو أورد أحاديثه في كتابه من قدماء أصحابنا و متأخريهم. و يأخذ بالاستشهاد بآيات، و كذا روايات عن غير طرق أهل البيت، مما يمس مسألة الرجعة أو تكون نظيرة لها، فراجع «٢».

و كان بين السيد إسماعيل بن محمد الحميري و القاضي سوار «٣» مناوشة (١) مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٣ (باب ٢٩ الرجعة)، ص ٣٩-١٤٤.

(٣) هو سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة، و ينتهي نسبه إلى كعب بن العنبر بن عمرو بن تميم. ولأه

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٥

و عداء على عهد المنصور العباسي. فمما جرى بينهما- فيما رواه الشيخ أبو عبد الله المفيد بإسناده إلى الحرث بن عبد الله الربيعي- قال: كنت جالسا في مجلس المنصور، و هو بالجسر الأكبر، و سوار عنده، و السيد ينشده:

إن الإله الذي لا شيء يشبهه آتاكم الملك للدين و للدين

آتاكم الله ملكا لا زوال له حتى يقاد إليكم صاحب الصين

و صاحب الهند مأخوذ برمته و صاحب الترك محبوس على هون

حتى أتى على القصيدة و المنصور مسرور.

فقال سوار: هذا و الله يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، و الله إن القوم الذين يدين بحبهم لغيركم، و إنه لينطوى على عداوتكم.

فقال السيد: و الله إنه لكاذب، و إنني في مديحك لصادق، و لكنه حملة الحسد؛ إذ رآك على هذه الحال. و أن انقطاعي و موذتي لكم أهل البيت لمعرق «١» لي فيها عن أبوي، و أن هذا و قومه لأعداؤكم في الجاهلية و الإسلام، و قد أنزل الله عز و جل في أهل بيت هذا إن الذين ينادونك من وراء الحُجرات أكثرهم لا يعقلون «٢». المنصور قضاء البصرة سنة ١٣٨، و مات بها سنة ١٥٦. (تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢٦٩)

(١) يقال: أعرق الرجل، أي صار عريقا، أي أصيلا في الشرف. أي موذتي ذات عرق و أصالة قديمة.

(٢) الحجرات / ٤. نزلت في بني العنبر. كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم سبي قوما منهم فجاءوا في فدائهم، فأعتق نصفهم و فادى

النصف، و كانوا مذ أتوا النبي جعلوا ينادونه من وراء الحجرات ليخرج إليهم، و كان ذلك منهم سوء أدب؛ إذ لم يعرفوا مقام النبي. يقول تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ الحجرات / ٤-٥ (مجمع البيان، ج ٩، ص ١٣١) و كان سوار من بني العنبر، و كان عثمانيا خرج مع أصحاب الجمل أيضا. و في ذلك يقول السيد الحميرى يهجو بمحضر المنصور:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٦

فقال المنصور: صدقت.

فقال سوار: يا أمير المؤمنين، إنه يقول بالرجعة، و يتناول الشيخين.

فقال السيد: أما قوله: بأنى أقول بالرجعة، فإن قولى فى ذلك على ما قال الله تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ «١»، و قد قال فى آخر: وَ حَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا «٢». فعلمت أن هاهنا حشرين: أحدهما عام و الآخر خاص. و قال سبحانه: رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَخَيَّبْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ «٣»، و قال الله تعالى: أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ «٤»، و قال الله تعالى: فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ «٥».

فهذا كتاب الله عز و جل. و

قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «يحشر المتكبرون فى صورة الذر يوم القيامة»

، و

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «لم يجر فى بنى إسرائيل شىء إلا و يكون يا أمين الله يا منصور يا خير الولاة إن سوار بن عبد الله من شر القضاة»

نعلى جملى لكم غير مؤات جدّه سارق عنز فجرة من فجرات و الذى كان ينادى من وراء الحجرات يا هنات اخرج إلينا إننا أهل هنات (الفصول المختارة للشيخ المفيد، ص ٦٠) و راجع: اخبار السيد فى الأغانى (ج ٧، ص ٢٤٨-٢٩٧) و لا- سيمما ما جرى بينه و بين القاضى سوار فإنه ممتع.

(١) النمل / ٨٣.

(٢) الكهف / ٤٧.

(٣) غافر / ١١.

(٤) البقرة / ٢٤٣.

(٥) البقرة / ٢٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٧

فى أمتى مثله حتى المسخ و الخسف و القذف».

و قال حذيفة: «و الله ما أبعد أن يمسخ الله كثيرا من هذه الأمة قرده و خنازير».

فالرجعة التى نذهب إليها هى ما نطق به القرآن و جاءت به السنّة. و إننى أعتقد أن الله تعالى يردّ هذا- يعنى سوار- إلى الدنيا كلبا أو قردا أو خنزيرا أو ذرّة، فإنه و الله متجبّر متكبر كافر، فضحك المنصور «١».

و قال الشيخ أبو عبد الله المفيد، فى جواب من سأله عن

قول مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يقل بمتعتنا و لم يؤمن برجعتنا»

أهى حشر فى الدنيا مخصوص للمؤمنين أو لغيرهم من الظلمة الجائرين يوم القيامة؟

فأجاب عن المتعة بما أسلفنا، ثم قال: و أما

قوله عليه السلام: من لم يؤمن برجعتنا فليس منا

، فإنما أراد بذلك ما اختصه من القول به في أن الله تعالى يحيى قوما من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد موتهم قبل يوم القيامة. وهذا مذهب مختص به آل محمد، وقد أخبر الله عزّ وجلّ في ذكر الحشر الأكبر: وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَقَالَ فِي حَشْرِ الرَّجْعَةِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. فأخبر أن الحشر حشران: حشر عام و حشر خاص. وقال سبحانه يخبر عمّن يحشر من الظالمين أنه يقول في القيامة يوم الحشر: رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ.

و للعامة في هذه الآية تأويل مردود، وهو: أن المعنى بقوله: أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ أنه (١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ أبي عبد الله المفيد (ص ٦١-٦٢) ونقله العلامة المجلسي في البحار (ج ٥٣، ص ١٣٠-١٣١)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٨

خلقهم أمواتا ثم أماتهم بعد الحياة «١».

وهذا باطل لا يجرى على لسان العرب؛ لأن الفعل لا يدخل إلّا على ما كان بغير الصفة التي انطوى اللفظ على معناها، ومن خلقه الله ميتا لا- يقال له: أماته، وإنما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة «٢»؛ ولذلك لا يقال: جعله الله ميتا إلّا بعد ما كان حيا. وهذا بين.

قال: وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمسائله، فتكون الأولى قبل الإحياء و الثانية بعده.

وهذا أيضا باطل من وجه آخر، وهو: أن الحياة للمسائله ليست لتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حياته، و ندم القوم على ما فاتهم في حياتهم مرتين، يدل على أنه لم يرد حياة المسائله، لكنه أراد حياة الرجعة التي يكون لتكليفهم الندم على تفریطهم، فلم يفعلوا فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك «٣».

و سئل السيد المرتضى علم الهدى عن حقيقة الرجعة؛ لأنّ شذاذ الإمامية يذهبون إلى أن الرجعة رجوع دولتهم في أيام القائم عليه السلام، من دون رجوع أجسامهم.

فأجاب قدس سره بأنّ الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه: أن الله يعيد عند ظهور إمام (١) ذكر الفخر الرازي أن كثيرا من المفسرين قالوا بأن الموتة الأولى هي الحالة الحاصلة عند كون الإنسان نطفة و علقه، و رجح ذلك بقوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ، و رتب على ذلك إنكار الحياة البرزخية في القبر. (التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ٣٩)

(٢) أما قوله تعالى: وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ الْبَقْرَةَ / ٢٨. فلأن الميت يصدق على ما لا حراك فيه و لا حياة منذ البداية، نظير الموات من الأرضين.

(٣) المسائل السروية (ضمن رسائل المفيد)، ص ٢٠٨-٢٠٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٩

الزمان المهدي عليه السلام قوما ممن كان قد تقدم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته و معونته و مشاهدته دولته، و يعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق و علو كلمة أهله.

و الدلالة على صحة هذا المذهب أن الذي ذهبوا إليه بما لا شبهة على عاقل في أنه مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، فإننا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلة غير مقدورة.

و إذا ثبت جواز الرجعة و دخولها تحت المقدور، فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها، فإنهم لا يختلفون في ذلك، و

إجماعهم قد بينا في مواضع من كتبنا أنه حجة.

وقد بينا أن الرجعة لا تنافي التكليف، وأن الدواعي مترددة معها؛ حيث لا يظن ظان أن تكليف من يعاد باطل. و ذكرنا أن التكليف كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة، فكذلك مع الرجعة؛ لأنه ليس في الجميع ملجئ إلى فعل الواجب و الامتناع من فعل القبيح.

فأما من تأول الرجعة من أصحابنا، على أن معناها رجوع الدولة و الأمر و النهي، من دون رجوع الأشخاص و إحياء الأموات، فإن قوما من الشيعة لما عجزوا عن نصره الرجعة و بيان جوازها و أنها تنافي التكليف، عولوا على هذا التأويل للأخبار الواردة بالرجعة. و هذا منهم غير صحيح؛ لأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة، فيطرق التأويلات عليها، فكيف يثبت ما هو مقطوع على صحته بأخبار الآحاد التي لا- توجب العلم؟! و إنما المعول في إثبات الرجعة على إجماع الإمامية «١». (١) المسائل الرازية (المسألة الثامنة) رسائل الشريف الرضي المجموعة الأولى، ص ١٢٥-١٢٦ و

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٠

و قال الإمام كاشف الغطاء- رداً على من زعم أن القول بالرجعة ركن من أركان التشيع- «١».

«و ليس التدبّر بالرجعة في مذهب التشيع بلازم، و لا إنكارها بضرار، و إن كانت ضرورية عندهم، و لكن لا يناط التشيع بها وجودا و عدما. و ليست هي إلا كبعض أنباء الغيب، و حوادث المستقبل، و أشرط الساعة، مثل: نزول عيسى من السماء، و ظهور الدجال، و خروج السفيناني و أمثالها، من القضايا الشائعة عند المسلمين. و ما هي من الإسلام في شيء، ليس إنكارها خروجاً منه، و لا الاعتراف بها بذاته دخولا فيه. و كذا حال الرجعة عند الشيعة».

ثم قال: هل ترى المتهوسين على الشيعة بحديث الرجعة قديما و حديثا، عرفوا معنى الرجعة و المراد بها عند من يقول بها من الشيعة؟ و أي غرابه و استحالة في العقول أن سيحيي الله سبحانه جماعة من الناس بعد موتهم، و أي نكر في هذا بعد أن وقع مثله بنص الكتاب الكريم. ألم يسمع المتهوسون قصة ابن العجوز التي قصها الله سبحانه بقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ «٢»، ألم تمر عليهم كريمة قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا «٣»، مع أن يوم القيامة تحشر فيه جميع الأمم، لا من كل أمة فوج.

قال: و حديث الطعن بالرجعة كان دأب علماء السنة من العصر الأول إلى هذه نقلها البحار، ج ٥٣، ص ١٣٨-١٣٩.

(١) يقول أحمد أمين: فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة (فجر الإسلام، ص ٢٧٦)، و راجع:

صفحات (٢٦٩-٢٧٠ و ٢٧٣ أيضا)

(٢) البقرة/٢٤٣.

(٣) النمل/٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦١

العصور، فكان علماء الجرح و التعديل منهم إذا ذكروا بعض العظماء من رواة الشيعة و محدثيهم و لم يجدوا مجالا للطعن فيه لوثاقته و ورعه و أمانته نبزوه بأنه يقول بالرجعة. فكأنهم يقولون: يعبد صنما أو يجعل لله شريكا. و نادرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة معروفة. و أنا لا أريد أن أثبت- في مقامى هذا و لا غيره- صحة القول بالرجعة، و ليس لها عندي من الاهتمام قدر صغير أو كبير، و لكنني أردت أن أدلّ (فجر الإسلام) على موضع غلطه و سوء تحامله «١».

و قال العلامة العميد الشيخ محمد رضا المظفر: الذي تذهب إليه الإمامية أخذا بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّ فريقا و يذلّ فريقا آخر، و يدين المحقّين من المبطلين، و المظلومين منهم من الظالمين؛ و ذلك عند قيام مهدي آل محمد عليهم السلام.

ولا يرجع إلّا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت، و من بعده إلى الشور و ما يستحقونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم، تمنى هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع، فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثاً لعلهم يصلحون: قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ «٢».

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا، و تظافت به الأخبار عن بيت العصمة. و الإمامية بأجمعها عليه إلّا قليلون منهم تأولوا ما ورد في الرجعة، (١) أصل الشيعة و أصولها للعلامة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، رحمه الله، ص ٩٩-١٠١. (٢) المؤمن / ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٢

بأن معناها رجوع الدولة و الأمر و النهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر، من دون رجوع أعيان الأشخاص و إحياء الموتى. ثم يتعرض للنقاش حول إمكان الرجعة، و الروايات الواردة بشأنها، و أنها ممّا تواترت عن أئمة آل البيت، و لا موضع للتشنيع بها على الشيعة، و أخيراً يقول:

و على كل حال فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها و النظر فيها، و إنما اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب، و هي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها، و لا يمتنع وقوعها «١».

و فسر الآية (النمل / ٨٣) من لا يعتقد بالرجعة بأنه حشر ثان إلى النار، بعد الحشر الأكبر من القبور.

قالوا: و المراد بالفوج هم الزعماء و قادة الضلال، يحشرون إلى النار في مقدّمة أتباعهم، فيساق أبو جهل و الوليد بن المغيرة و شعبة بن ربيعة بين يدي كفار مكّة، و هكذا يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار «٢».

قال الزمخشري: فَهَمْ يُوزَعُونَ أَي يَحْبَسُونَ أُولَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعُوا فَيَكْبِكِبُوا فِي النَّارِ. قال: و هذه عبارة عن كثرة العدد و تباعد أطرافه، كما وصفت جنود سليمان بذلك «٣». (١) عقائد الإمامية للمظفر، ص ٨٠-٨٤ رقم ٣٢.

(٢) روح المعاني لمحمود الألوسي، ج ٢٠، ص ٢٦.

(٣) الكشف، ج ٣، ص ٣٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٣

قال تعالى:- وَ حَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهَمْ يُوزَعُونَ «١».

غير أن الذين يحشرون إلى النار هم أعداء الله جميعاً و ليس فريق منهم، قال تعالى: وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهَمْ يُوزَعُونَ «٢».

قوله: يوزعون، أي يدفع بعضهم بعضاً فيتدافعون إلى النار لكثرتهم و ازدحامهم.

أمّا تلك الآية فالحشر و التدافع كان بالفوج فحسب، و ليس كل أعداء الله.

و التفسير بالزعماء و القادة أمام الأتباع و السفلة، تحزص بالغيب لا مستند له.

## العاشر - مسألة البداء

البداء في التكوين كالنسخ في التشريع، أمر واقع، و قد صرح به الكتاب و تواترت به الروايات، عن أهل بيت العصمة. و هو كالنسخ، له معنى باطل و مستحيل على الله تعالى، و هو عبارة عن نشأة رأى جديد. هذا المعنى مستحيل على الله، و لا تصح نسبته إليه تعالى شأنه.

و له معنى آخر، هو معقول، عبارة عن ظهور أمر بعد خفائه على الناس. كان يعلم به الله منذ الأزل، و قدره كذلك منذ البدء، و لكن لمصلحة في التكليف أخفاه ثم أبداه لوقته. كما في مسألة النسخ، كان الأمد (أمد التكليف) معلوماً لله و مقدراً من البدء، سوى أن

الناس حسبوا دوامه و استمراره استنادا إلى ظهور اللفظ في الدوام، ما لم يأت ناسخ.

و هكذا الأجل في مسألة البداء، له ظاهر يعلمه أولو البصائر في أسرار الوجود، و له واقع يعلمه علماء الغيوب، فيبديه لوقته وفق حكمته.

(١) النمل / ١٧.

(٢) فصلت / ١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٤

فالبداء من البدو، أى الظهور، إنما يحصل للناس، و كانت نسبته إلى الله مجازا بالمناسبة؛ لأنه الذى يظهره لهم. و تشبيهه فى التعبير، كأنه بدا لله، و هو فى الحقيقة إبداء منه تعالى.

و إليك من دلائل الكتاب ما يدل على هذه الحقيقة، مشفوعة بنبد من كلمات الأئمة الأطهار.

١- قال تعالى: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ «١».

الآجال مقدرة فى الأزل حسب استعدادات الأشياء و الأشخاص كل بحسب ذاته و طبعه، لو لا عروض الطوارئ المغيرة للآجال، و التى لا يعلمها سوى الله، و من ثم يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب، أى العلم النهائى المكون فى اللوح المحفوظ.

فعلمه تعالى التدبيرى لأحوال الخلق علمان: علم مخزون لا يعلمه سوى الله، و هو المسمى باللوحة المحفوظ. و علم علمه ملائكته و أنبياءه و سائر أوليائه، و هو الذى يصير فيه البداء، المعبر عنه بلوح المحو و الإثبات.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن لله علمين، علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء. و علم علمه ملائكته و رسله و أنبياءه و نحن نعلمه» «٢».

قوله: «من ذلك يكون البداء»

أى منشأ البداء هو ذلك العلم الأزلى المخزون الذى لا يتغير. فهناك علم يكون منه البداء، و هو اللوح المحفوظ، و علم يكون فيه (١) الرعد / ٣٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٠٩ - ١١٠ رقم ٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٥

البداء، و هو لوح المحو و الإثبات.

قال عليه السلام: «من زعم أن الله عزّ و جلّ يبدو له فى شىء لم يعلمه أمس، فابروا منه» «١».

و هذا هو معنى البداء الباطل، المستحيل على الله سبحانه و تعالى.

٢- و قال تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا، وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ «٢».

فهناك أجلان: أجل قضى و قدر حسب طبائع الأشياء و استعداداتها، يعلمه من يعلم من أسرار طبيعة الوجود، حسبما علمه الله، و فيه البداء. و أجل مسمى عنده فى علمه المخزون الذى لا يتغير، و يكون منه البداء حسب، تعبیر الإمام الصادق عليه السلام.

و قد احتار الإمام الرازى فى تفسير هذه الآية و الآية الأولى. قال فى قوله تعالى: وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ: اختلف المفسرون على وجوه:

الأول: «قضى أجلاً»: آجال الماضين، «وَ أَجَلٌ مُسَمًّى»: آجال الباقين.

الثانى: أن الأول أجل الموت، و الثانى أجل القيامة.

الثالث: أن الأول أجل هذه الحياة، و الثانى أجل الحياة البرزخية.

الرابع: القبض عند النوم، و القبض عند الموت.

الخامس: مقدار ما انقضى من العمر، و مقدار ما بقى من العمر.

السادس: و هو قول الحكماء: أحدهما الآجال الطبيعية، و الثانى الآجال (١) بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١١ رقم ٣٠.

(٢) الأنعام / ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٦

الاخترايمية «١».

و قال فى قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ... فى هذه الآية قولان:

القول الأول: إنها عامه فى كل شىء، فهو تعالى يزيد فى الرزق و ينقص، و كذا فى الأجل و السعادة و الشقاء و الإيمان و الكفر، و هو مذهب جماعة من السلف.

القول الثانى: إنها خاصة ببعض الأشقياء، قال: و على هذا التقرير فى الآية وجوه:

الأول: المحو و الإثبات، بنسخ حكم سابق و إثبات حكم لاحق.

الثانى: المحو من ديوان الحفظه ما ليس بحسنه و لا سيئه.

الثالث: إثبات الإثم بالذنب و محوه بالتوبه.

الرابع: يمحو ما يشاء، أى يتوفى من جاء أجله. و يثبت من لم يجرى أجله فيقيه.

الخامس: يثبت فى ابتداء السنه، فإذا انتهت محاه.

السادس: يمحو نور القمر و يثبت نور الشمس. (١) التفسير الكبير، ج ١٢، ص ١٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٧

## الفهارس

## إشارة

\* فهرس الآيات القرآنية \* فهرس الأحاديث \* فهرس الرواه و الأعلام \* فهرس المواضيع

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٩

## فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية / الصفحة (١) الفاتحة / ٤ / مالك يوم الدين / ٣٦٩ (٢) البقرة / ٧ / ختم الله على قلوبهم و على سمعهم / ١٠٣ / ٢٢ / أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات / ٤١ / ٢٨ / و كنتم أمواتا فأحياكم / ٢٣٦، ٥٥٨ / ٣٠ / قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها / ٢٦٥ / ٣٤ / و إذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم / ١٦٧ / ٤٣ / و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة / ٥٨، ١٧٤، ١٨٢ / ٥٥ / و إذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى / ٥٥٠ / ٥٦ / ثم بعثناك من بعد موتك / ٥٥٠ / ٦٤ / فلولا - فضل الله عليكم و رحمته / ١٠٨ / ٦٥ / فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين / ٣٣٧، ٤٣٧ / ٨٨ / و قالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله / ١٠٣

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٠

٩٦ / يود أحدهم لو يعمر ألف سنة / ٢٤٨ / ١٠٢ / و ما هم بضارين به من أحد / ١٠٢ / ١٤٣ / و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء / ١٥٣، ٢٩٧ / ١٥٥ / و لنبلونكم بشىء من الخوف و الجوع / ٢١٠ / ١٥٨ / إن الصفا و المروة من شعائر الله / ٢٥١، ٤٩٦ / ١٥٩ / اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللعانون / ١٥٣ / ١٨٥ / شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن / ٣٨، ٣٩، ٢٥١ / ١٨٧ / و كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض / ٢٠٥ / ١٩٥ / و أنفقوا فى سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة / ٢٣ / ٢٠٠ / فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله / ٢٥٠ / ٢٠٧ / و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله / ٣٥٨ / ٢١٠ / هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله / ٢٥٦، ٢٥٩ / ٢١٩ / يسألونك عن الخمر و الميسر

قل فيهما إثم كبير/ ٥٠٤ ٢٢٠/ و يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم/ ١٩٤ ٢٢٣/ نساؤكم حرث لكم/ ٣٠٤ ٢٢٨/ و المطلقات  
يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء/ ١٨٤ ٢٢٩/ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح/ ٥٠٩، ٥١٤ ٢٣٠/ فإن طلقها فلا تحل له من بعد/  
٥٠٩، ٥١٤ ٢٣١/ و لا تتخذوا آيات الله هزوا/ ٥١٤ ٢٤٠/ و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجا/ ١٨٧ ٢٤٣/ ألم تر إلى الذين خرجوا  
من ديارهم/ ٤٤٦، ٥٤٩، ٥٥٦، ٥٦٠ ٢٥٧/ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات/ ٧٨ ٢٥٩/ أو كآلذي مر على قرية و هي خاوية  
على عروشها/ ٥٤٩، ٥٥٦ ٢٦٠/ قال فخذ أربعة من الطير فصرهن/ ٤٤٣ ٢٦٩/ يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة/ ٢٠٣

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧١

٢٧٥/ و أحل الله البيع و حرم الربا/ ١٨٣ ٢٨٢/ و اتقوا الله و يعلمكم الله/ ٥٧ ٢٨٦/ لا يكلف الله نفسا إلّا وسعها/ ١٥١ (٣) آل عمران  
٧/ هو الذي أنزل عليك الكتاب ... فأما الذين في قلوبهم زيغ/ ٢٠ ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٨ ٢٦/ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من  
تشاء/ ١٠٤ ٣١/ قل إن كنتم تحبون الله/ ١٠٨ ٤٠/ أتى يكون لى غلام/ ٤٤١ ٤١/ قال رب اجعل لى آية/ ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣ ٧٧/ و لا  
ينظر إليهم يوم القيامة/ ٣٤١ ٩٣/ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها/ ١٢٩ ٩٧/ و لله على الناس حج البيت/ ٣١، ١٧٤، ١٨٣، ١٨٩ ١٠٤/ و لتكن  
منكم أمة يدعون إلى الخير/ ١٤٠، ١٥٣ ١٣٨/ هذا بيان للناس و هدى/ ١٤، ١٥٣ ١٦٤/ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا/  
٢٧ ١٧٣/ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم/ ١٠٦ ١٨٧/ لتبينه للناس و لا- تكتُمونه/ ٤٨ ١٩٠/ إن فى خلق السموات و  
الأرض/ ٨٥ ١٩١/ الذين يذكرون الله قياما و قعودا/ ٨٥ (٤) النساء ١/ الذي خلقكم من نفس واحدة/ ٢٩٧، ٤٨٠ ٢/ و أتوا اليتامى  
أموالهم و لا تبدلوا/ ١٩٣

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٢

٤/ فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا/ ٣٨٧ ٦/ و لا تأكلوها إسرافا و بدارا/ ١٩٣ ١٢/ من بعد وصية توصون بها أو دين/ ١٨٤ ١٧/ إنما  
التوبة على الله للذين يعملون السوء/ ٣٣٢ ٢٤/ فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن/ ٥١٨، ٥٣٤، ٥٤١ ٢٨/ و خلق الإنسان ضعيفا/  
٢٩ ٣٤٨/ و لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما/ ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨ ٤١/ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد/ ٤٦٣ ٥٩/ فإن تنازعتم  
فى شىء فردوه إلى الله و الرسول/ ٢٠ ٨٣/ و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم/ ٢١ ٩٣/ و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه  
جهنم/ ١٨٤، ٣٩٨، ٥٠٧ ١٠١/ و إذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح/ ٤٩٥، ٤٩٦ ١٠٢/ و إذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة/ ٤٩٥  
١٠٣/ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا/ ١٧٤، ١٨٣ ١٢٣/ من يعمل سوء يجز به/ ١٩٥ ١٤٢/ إن المنافقين يخادعون الله و هو  
خادعهم/ ١٩٥ ١٥٩/ و إن من أهل الكتاب ألوئمنن به قبل موته/ ٤٦٨ ١٧٤/ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم/ ١٤ (٥) المائدة  
٣/ غير متجانف لإثم/ ٣٠٨ ٦/ فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق/ ٨٥، ٤٨٦، ٤٨٩ ٣٥/ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله/ ٣٣٣  
٣٨/ و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما/ ٧٩ ٤٩/ و احذرهم أن يفتنوك/ ٤٩٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٣

٦٠/ و أضل عن سواء السبيل/ ٣٣٨ ٦٨/ قل يا أهل الكتاب لستم على شىء/ ١٢٩ ٨٢/ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود/  
١٠٥ ٨٣/ و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول/ ١٠٦ ٨٤/ و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحق/ ١٠٦ ٨٥/ فأتابهم الله بما قالوا جنات/  
١٠٦ ٨٦/ و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا/ ١٠٦ ٨٧/ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم/ ٥٢٣ ٨٩/ فكفارته إطعام  
عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون/ ١٨٩ ١٠٣/ و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة/ ١٦ ١١٠/ و إذ تخرج الموتى بإذنى/ ٥٥٠ ١١٤/ ربنا  
أنزل علينا مائدة من السماء/ ٤٣٧ ١١٧/ و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم/ ١٦٧ (٦) الأنعام ٢/ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى  
أجلا/ ٥٦٥ ٧/ و لو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه/ ٤٠ ١٩/ و أوحى إلى هذا القرآن لأنذركم/ ١٤٨، ١٥٣ ٢٢/ و يوم نحشرهم  
جميعا/ ٥٤٨ ٣٧/ و قالوا لو لا نزل عليه آية من ربه/ ٤٠ ٨٢/ و لم يلبسوا إيمانهم بظلم/ ١٧، ١٨٤ ٨٣/ نرفع درجات من نشاء/ ١٠٥ ٩٠/  
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده/ ٥٣ ٩١/ الكتاب الذي جاء به موسى نورا/ ١٢٩، ٤٧٠ ١٠٣/ لا تدركه الأبصار و هو يدرك



الأبصار/ ٧٣

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٤

١١٠/ و نقلت أفئدتهم و أبصارهم/ ٧٩، ١٠٣/ ١١٤/ و هو الذى أنزل اليكم الكتاب/ ١٤، ١٢٥/ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره/ ١٩٠، ١٢٨/ و يوم نحشرهم جميعا/ ٥٤٨، ١٥١/ و لا- تقتلوا النفس التى حرم الله ألّا بالحق/ ٩٤ (٧) الأعراف/ ٣٣/ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها و ما بطن/ ٤٣، ٥٠٣/ الحمد لله الذى هدانا لهذا/ ١٠٨، ٥٣/ هل ينظرون ألّا تأويله يوم يأتى تأويله/ ٢١، ٣٢، ٥٨/ و البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه/ ١٠٣، ٨٩/ افتح بيننا و بين قومنا بالحق/ ٢٤٦، ١٤٦/ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون/ ٥٦، ١٥٦/ و اكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة/ ١٦٥، ١٧٦/ و لو شئنا لرفعناه بها و لكنّه أخلد إلى الارض/ ٧٩، ١٨٩/ هو الذى خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها/ ٤٤٥، ١٩٠/ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء/ ٤٤٥، ٢٠١/ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان/ ٣٣٢، ٨) الأنفال/ ١٧/ و ما رميت إذ رميت و لكنّ الله رمى/ ١٠٩، ٢٤/ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله/ ٢٧، ٧٧، ٧٨، ١٠٤، ٢٥/ و اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا/ ٢٢٠، ٢٩/ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا/ ٥٧، ٣٣/ و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم/ ٤٦٢

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٥

٤١/ و اعلموا أنّ ما غنمتم من شىء فإنّ لله خمسة/ ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣

عن الذي أوحينا إليك / ٧٨ ٤٩٥ / أقم الصلاة لدلوك الشمس / ١٨٣ ٩٥ / لنزلنا عليهم من السماء ملكا / ٩٧ ٤٠ / ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم / ١٩١ ١١٠ / ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها / ٢٣٨ (١٨) الكهف / ١١ / فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا / ٥٥٠ ١٢ / ثم بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى / ٥٥٠ ١٨ / ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال / ١٠٣ ١٩ / وكذلك بعثناهم لئلا يفتخروا بينهم / ٥٥٠

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٨

٢٥ / لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا / ٥٥٠ ٤٧ / وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا / ٢٩٠، ٥٤٨، ٥٥٦ ٦٥ / فوجدا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا / ٧٨ ٤٦٧ / سأنتبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا / ٢٠ ٨٢ / ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا / ٢٠ (١٩) مريم / ٢٧ / فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا / ١٦٦ (٢٠) طه / ٢٤ / اذهب إلى فرعون إنه طغى / ٦٥ ١٠٤ / أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما / ٣٢٦ ١١١ / وعت الوجوه للحى القيوم / ١٦٦ (٢١) الأنبياء / ٧ / وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم / ٤٧٠ ٨ / وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام / ٤٧١ ٢٠ / يسبحون الليل والنهار لا يفترون / ٢٦١ ٣٠ / وجعلنا من الماء كل شيء حي / ١٩٧ ٤٤ / أفلا يرون أنا نأتى الأرض نقصها من أطرافها / ٢١٠ ١٠٥ / ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون / ٤٧٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٩

(٢٢) الحج / ٢٤ / وهدوا إلى الطيب من القول / ٧٨ ٥٤ / ما جعل عليكم فى الدين من حرج / ٨٨ ٢٤٢، ٢٤٥ (٢٣) المؤمنون / ٥ / والذين هم لفروجهم حافظون / ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٤٢ / إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم / ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٤٢ / ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون / ٢٠٦ ٦٠ / والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم و جلة / ٢٠٦ ٦١ / أولئك هم يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون / ٢٠٦ ٧٦ / فما استكانوا لربهم وما يتضرعون / ١٩٢ ١٠٤ / تفتح وجوههم النار وهم فيها كالحون / ١٩٧ (٢٤) النور / ٣٠ / قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم / ١٩٣ ٥٥ / وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات / ٤٧٤ (٢٥) الفرقان / ١ / تبارك الذى نزل الفرقان على عبده / ١٥٢ ٦ / أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض / ٤٥٠ ٧ / وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام / ٢٣٨ ١١ / بل كذبوا بالساعة / ٤٨٥ ٢٠ / وما أرسلنا قبلك من المرسلين / ٢٣٨ ٢٢ / يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين / ٢١ ٣٢ / لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة / ٤٠

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٠

٣٣ / لا- يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق / ١٣، ١٤ ٣٤ / الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم / ١٩١ (٢٦) الشعراء / ١١٩ / الفلك المشحون / ٢٤٤ ١٩٦ / وأنه لفى زبر الأولين / ١٤٧ (٢٧) النمل / ١٧ / وحشر لسليمان جنوده من الجن والأنس / ٥٦٣ ٣٥ / وإنى مرسله إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون / ٣٤٠ ٥٢ / فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا / ٢٦٦ ٨٢ / وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض / ٢٩٠ ٨٣ / ويوم نحشر من كل أمة فوجا / ٢٩٠، ٥٤٧، ٥٥٦، ٥٦٠ ٨٧ / ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات / ٢٩٠ (٢٨) القصص / ٥ / ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض / ٤٧٢، ٥٥٣ ١٤ / ولما بلغ أشده واستوى آتيناها حكما / ٢٨ ١٧ / قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين / ٢٨ ٢٤ / رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير / ٣٢٦ ٨٦ / وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب / ١٠٨ (٢٩) العنكبوت / ٢٩ / وتأتون فى ناديك المنكر / ١٩٢ ٦٩ / والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا / ٧٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨١

(٣٠) الروم / ٢١ / ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا / ٤٨١ (٣١) لقمان / ١٣ / ان الشرك لظلم عظيم / ١٧ ٢٧ / ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام / ٢٣٨ (٣٢) السجدة / ١٧ / فلا- تعلم نفس ما أخفى لهم / ٣٣ (٣٣) الأحزاب / ٢٣ / رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه / ٢٩٨ (٣٤) السبا / ١٥ / لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية / ١٩٧ ١٨ / وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين / ٤١٦ ٢٨ / وما أرسلناك إلا كافة للناس / ١٥٢ ٤٠ / ويوم يحشرهم جميعا / ٥٤٨ (٣٥) الفاطر / ١ / فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا / ٢٤٦

٩/ و الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا/ ١٣٢ ٣٢/ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا/ ١٩٨، ٤٥٥ (٣٦) يس ٧٨/ قال من يحيى العظام و هى رميم/ ١٥٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٢

٧٩/ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة/ ١٥٥ (٣٧) الصافات ٢٤/ وقفوهم انهم مسئولون/ ٤٥٨ ١٢٥/ أ تدعون بعلا/ ٢٤٨ ١٥٩/ سبحان الله عما يصفون/ ٧٣ (٣٨) ص ٣/ ولات حين مناص/ ٢١ ٢٩/ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته/ ٥٢، ٧٦، ٨٣ ٣٣/ فطفق مسح بالسوق و الأعناق/ ٤٨٨ (٣٩) الزمر ٥/ يكور الليل على النهار/ ١٧ ١٣٣/ فبشّر عباد/ ١٨ ٤٥١/ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه/ ٥٤ ٢٨/ قرآنا عربيا غير ذى عوج/ ٨٣ ٦٠/ و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله/ ٣٨٠ ٦٨/ و نفخ فى الصور/ ١٩٤ (٤٠) المؤمن (الغافر) ١١/ قالوا ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين/ ٢٣٥، ٥٥١، ٥٥٦، ٥٦١ ٤٠/ و من عمل صالحا من ذكر أو أنثى/ ٥٣ ٥١/ انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا فى الحياة الدنيا/ ٥٥١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٣

(٤١) فصلت ١٩/ و يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون/ ٣٨ ٥٦٣/ يستبحون له بالليل و النهار و هم لا يسأمون/ ٢٦١ ٤٤/ اولئك ينادون من مكان بعيد/ ٣٤٨ (٤٢) الشورى ١١/ ليس كمثلها شىء/ ٧٣ (٤٣) الزخرف ٣/ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون/ ٨٣ ٢٤٣ ٤/ و الكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا/ ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٢ ٦٧/ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو/ ٣٤٧ (٤٤) الدخان ٥/ حم. و الكتاب المبين. أمرا من عندنا/ ٣٨ ٥٨/ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون/ ٨٢ (٤٥) الجاثية ٢٠/ هذا بصائر للناس و هدى/ ١٤ (٤٦) الأحقاف ٣٥/ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلّا ساعة من نهار/ ٢١ (٤٧) محمد ١٧/ و الذين اهتدوا زادهم هدى و آتاهم تقويمهم/ ٥٤ ١٨/ فهل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتة/ ٣٦٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٤

١٩/ فاعلم انه لا إله إلّا الله/ ٥٨ ٢٠/ و يقول الذين آمنوا لو لا- نزلت سورة/ ٤٠ ٢٤/ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها/ ٧٦، ٨٢، ٤٤٠ ٣٨/ و ان تولوا يستبدل قوما غيركم/ ١٥٤، ١٩٦ (٤٨) الفتح ١١/ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا/ ١٠٦ ١٢/ و كنتم قوما بورا/ ٢٤٧ (٤٩) الحجرات ٤/ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات/ ٥٥٥ ٧/ و لكن الله حبب إليكم الإيمان/ ١٠٧ ٨/ فضلا من الله و نعمته و الله عليم حكيم/ ١٠٨ ١٣/ إن أكرمكم عند الله أتقاكم/ ١٠٩ (٥٠) ق ١٠/ و النخل باسقات لها طلع نضيد/ ١٩٤ ٣٧/ ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب/ ١٠٤ (٥٣) النجم ٣٢/ و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى/ ٣٣٢ ٦١/ و أنتم سامدون/ ٢٤٧ (٥٤) القمر ١٧/ و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر/ ٨٣ ١٣٤ ٤٨/ يوم يسحبون فى النار على وجوههم/ ١٩١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٥

(٥٥) الرحمن ٩/ و أقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان/ ٢٥ ٢٢/ المرجان/ ٢٥٥ ٣١/ سنفرغ لكم أيها الثقلان/ ٤٨٥ ٥٢/ فيهما من كل فاكهة زوجان/ ١٣٦ (٥٦) الواقعة ٢٨/ فى سدر مخضود/ ١٧٥ ٦٣/ أ فرأيتم ما تحرثون/ ١٠٩ ٧٧/ إنه لقرآن كريم/ ٥٦ ٧٨/ فى كتاب مكنون/ ٥٦ ٨٠/ لا- يمسه إلّا المطهرون/ ٤٣، ٥٦ (٥٩) الحشر ٢/ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب/ ٥١٠ ١٩/ و لا تكونوا كالذين نسوا الله/ ٧٩، ١٠٤ ٢١/ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل/ ٤٠ (٦٢) الجمعة ٢/ هو الذى بعث فى الأميين رسولا/ ١٥، ٢٩٨ ٥/ كمثل الحمار يحمل أسفارا/ ٣٣٧، ٤٣٧ (٦١) الصف ٢/ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون/ ٢٦٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٦

(٦٥) الطلاق ١/ فطلّقوهن لعدّتهن/ ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٣، ٥١٤ ٣/ و من يتوكل على الله فهو حسبه/ ٧٧ (٦٤) التغابن ٩/ و من يؤمن بالله و يعمل صالحا يكفر عنه سيئاته/ ٥٣ (٦٦) التحريم ٤/ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما/ ٢٣٧ (٦٧) الملك ٤/ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا و هو حصير/ ٥١٤ ٣٠/ قل أ رأيتم إن أصبح ماءكم غورا/ ٢٦، ٤٧١ (٦٨) القلم ١٣/ عتّل بعد ذلك زنيماً/

٢٤٥ ١٥ / إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين / ٢٣٧ (٧٠) المعارج ٣٧ / عن اليمين و عن الشمال عزيز / ٢٤٤ (٧٢) الجن ٣ / و أنه تعالى جد ربنا / ٢٤٥ ١٦ / و أن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم / ٢٩٨، ٤٧٢ ١٨ / فلا تدعو مع الله أحدا / ٨٠، ٥٠٢

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٧

(٧٣) المزمل ٦ / إن ناشئة الليل هي أشد وطئا و أقوم قیلا / ٢٤٨ (٧٤) المدثر ٢٩ / لواءه للبشر / ٣٠٣، ٣٠٤ ٥١ / فزت من قسورة / ٢٤٨ (٧٥) القيامة ١١ / كلاً لا وزر / ٢٤٨ ٢٣ / وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة / ٣٣٨، ٤٣٨ (٧٦) الإنسان ٣٠ / و ما تشاءون إلّا أن يشاء الله / ١٠٣ (٧٨) النبأ ٧ / ألم نجعل الأرض مهادا / ١٣٢ (٧٩) النازعات ٣٠ / و الأرض بعد ذلك دحاهبا / ١٣٢ (٨٠) عبس ٢٤ / فلينظر الإنسان إلى طعامه / ٢٧، ٢٠٨، ٢٢٣، ٤٧٥ ٢٥ / أنا صبينا الماء صبيا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٢٦ / ثم شققنا الأرض شقا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٢٧ / فأنبثنا فيها حبا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٢٨ / و عبا و قضبا / ٢٠٨، ٤٧٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٨

٢٩ / و زيتونا و نخلا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٣٠ / و حدائق غلبا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٣١ / و فاكهة و أبنا متاعا لكم و لأنعامكم / ٤٦، ٢٠٨، ٤٧٥ (٨١) التكوير ١٥ / الخنس، الجوارى الكنس / ٤٠٦ ٢٩ / و ما تشاءون إلّا ان يشاء الله / ١٠٢ (٨٤) الانشقاق ٧ / فأما من أوتى كتابه يمينه / ١٧ ٨ / فسوف يحاسب حسابا يسيرا / ١٧ ١٤ / انه ظن أن لن يحور / ٢٤٧ (٨٥) البروج ٢٢ / بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ / ٤٣ (٨٧) الأعلى ١٨ / إن هذا لفى الصحف الأولى / ١٤٧ ١٩ / صحف إبراهيم و موسى / ١٤٧ (٨٩) الفجر ١٠ / و فرعون ذى الأوتاد / ١٣٢ ٢٤ / فيومئذ لا يعذب عذابه أحد / ١٦٧، ٥١٠ ٢٥ / و لا يوثق وثاقه أحد / ١٦٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٩

(٩٧) القدر ١ / إنا أنزلناه فى ليلة القدر / ٣٨ (٩٩) الزلزال ٤ / يومئذ تحدث أخبارها / ١٩٨ (١٠٨) الكوثر ٢ / فصل لربك و انحر / ١٩٢ (١١١) المسد ١ / ثبت يدا أبى لهب و تب / ٣٤٥ (١١٢) الإخلاص ١ - ٢ / قل هو الله أحد. الله الصمد / ٢٨٢

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٠

## فهرس الأحاديث

النبي صلى الله عليه و آله و سلم اتقوا الحديث على إلما ما علمتم / ٦٣ إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم و لا تكذبوهم / ٢٥٦ افعلوا ما أمركم به / ٥٤٥ الإيمان يمان / ٣٤٣ البشرى فى الحياة الدنيا هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن / ١٩١ الثقلان كتاب الله و عترتى / ٣٧٨ الحمد لله الذى جعل فىنا الحكمة أهل البيت / ٤٦١ السابق و المقتصد يدخلان الجنة غير حساب / ١٩٨ القرآن أنزل على سبعة أحرف / ٤٦٥ اللهم أنصر من نصر عليا / ٤٠٦ اللهم بارك فيه و أنشر منه / ٢٢٤، ٢٣١ اللهم ثبت لسانه و اهد قلبه / ٢١٢ اللهم علمه الكتاب و الحكمة / ٢٢٤ اللهم فقهه فى الدين / ٤٩، ٦٤، ٢٢٤، ٢٩٩ النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم / ١٩٥ إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم / ١٩١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩١

إن الرجل الأعجمى من أمتى ليقرأ القرآن بعجميته / ١٣٨ إن الله أمرنى أن أدنیک و لا أقصیک / ٢١٦ إن على كل حق حقيقة، و على كل صواب نورا / ٨٦ إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن / ٢٢ إن كنت تليط حوضها، و تردّ ناديتها / ١٩٣ إنما فاطمة بضعة منى / ٣٣٤ إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا / ٤٦٢ إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله به / ٣٦٠ أ تدرّون ما أخبارها؟ قالوا: الله و رسوله أعلم / ١٩٨ أكثر ما أخاف على أمتى من بعدى، رجل يناول القرآن / ٦١ ألا إنى أوتيت القرآن و مثله معه / ١٧٨، ١٨١ أما تبتلون فى أموالكم و أنفسكم و ذراريكم / ١٩٥ أنا سيد النبيين و وصيى سيد الوصيين و أوصياؤه سادة الأوصياء / ٢٨٣ أنا مدينة العلم و على بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها / ٢١٤ أنزل القرآن على أربعة أحرف / ٢٣٣ أول ما خلق

الله الماء / ١٩٧ أ يلعب بكتاب الله و أنا بين أظهركم / ٥١٣ أيما رجل و امرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال / ٥٣٨ أيها الناس، إن الله أحل لكم الفروج / ٢٧٧ أيها الناس ما جاءكم عنى يوافق كتاب الله فأنا قلته / ٨٦ بلغوا عنى و لو آية، و حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج / ٢٥٢ تشويها النار فتقلص شفاهها العليا / ١٩٧ تعلموا القرآن بعريته / ١٢٤، ١٣٨ حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج / ٢٥٢، ٢٥٣ خذوا عنى مناسككم / ١٧٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٢

ذلك العرض، و من نوقش الحساب عذب / ١٧ زوجتك خير أمتى / ٣٧٩ سئل عن معنى «عضين»؟ فقال: «آمنوا ببعض و كفروا ببعض / ١٩٠ سياحة أمتى الصيام / ١٨٩ سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد بعده / ٣٨٩ صلوا كما رأيتموني أصلى / ١٧٤، ١٨٥ طلب العلم فريضة على كل مسلم / ٤١٨ على مع الحق، و الحق معه / ٢٢٧ على مع القرآن و القرآن مع على / ٢١٤ فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن / ٨٣ فما من آية إلا و لها ظهر و بطن / ٩٧ فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل و ليجعلها عمرة / ٥٤٦ فى كل خلف من أمتى عدول من أهل بيتى / ٤٦١ قد علمتم أنى أتقاكم لله و أصدقكم / ٥٤٥ كانوا يخذفون أهل الطريق و يسخرون / ١٩٢ كتاب الله و أهل بيتى / ٤٥٥ كتاب الله و عترتى / ٤٥٥ كل شىء خلق من الماء / ١٩٧ لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء / ٢٥٩ لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم / ٢٥٣، ٢٥٨ لا تقدموهما فتهلكوا، و لا تقصروا عنهما فتهلكوا / ٤٥٨ لا، و لكنّه الذى يصوم و يصلى و يتصدق و يخاف الله / ٢٠٧ لعن الله المجادلين فى دين الله على لسان سبعين نبيا / ٦٦ لقد جئتكم بها بيضاء نقية / ٢٥٩ لم يجر فى بنى إسرائيل شىء إلا و يكون فى أمتى مثله / ٥٥٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٣

له ظهر و بطن، فظاهره حكمه و باطنه علم / ٧٦ ما أنعم الله على عبد، بعد الإيمان بالله / ٨٥ ما فى القرآن آية إلا و لها ظهر و بطن / ٢١ من تركه (الحج) لا يخاف عقوبته و لا يرجو ثوابه / ١٨٩ من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ / ٦١ من تكلم فى القرآن برأيه فليتوبأ مقعده من النار / ٦٢ من تكلم فى القرآن بغير علم فليتوبأ مقعده من النار / ٥٩ من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ / ٥٢ من فسّر القرآن برأيه فليتوبأ مقعده من النار / ٥٢ من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم / ٦١ من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ / ٦٢، ٦٣ من قال فى القرآن برأيه فقد كفر / ٥٢ من قال فى القرآن برأيه فليتوبأ مقعده من النار / ٦١، ٦٣ من قال فى القرآن بغير ما علم فليتوبأ مقعده من النار / ٦١، ٦٢ من قال فى القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار / ٦١ من كذب على متعمدا فليتوبأ مقعده من النار / ٥٠ من كنت مولا فعلى مولا / ٣٤٧ نور يقذف به فينشرح له و ينفسح / ١٩٠ و أبوهما خير منهما / ٣٧٩ و أنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض / ١٠، ٢٢٣، ٤٥٥، ٤٦٠ و لكل شىء فارس، و فارس القرآن ابن عباس / ٢٢٥ و هو الدليل يدل على خير سبيل، و هو كتاب فيه تفصيل / ٩٧ وقضوهم أنهم مسئولون عن ولاية على / ٤٥٨ ويل لمن لاكها بين لحييه ثم لم يتدبرها / ٨٥ هم الفرس. هذا و قومه / ١٩٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٤

هو رجل ولد عشرة من الولد / ١٩٦ هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو ترى له / ١٩١ يا ابن مسعود، أنه قد أنزلت على آية / ٢٢٠ يا سلمان إنك مدرّكهم و أمثالك و من تولّاهم حقيقة المعرفة / ٥٥٢ يا على، ما من عبد لقي الله يوم يلقاه / ٣٨٢ يحشر المتكبرون فى صورة الذرّ يوم القيامة / ٥٥٦ يحمل هذا الدين فى كل قرن عدول / ٤٦٣ أمير المؤمنين على عليه السلام ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب / ٤٩، ٢٢٤ إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار / ٣٤٥ القرآن حمال ذو وجوه / ١٣٧ القرآن ينطق بعضه ببعض / ٤٤٨ إن علم القرآن ليس يعلم ما هو / ٥٦ إن الله قسم كلامه ثلاثة أقسام / ٥٦، ٩٣ إن فى القرآن تعابير كثيرة / ١٠١ إن فى جهنم حيات كالقلال و عقارب / ٣٤٥ إن كان الوزر فى الأصل محتوما / ٣٨٠ إن الله تبارك و تعالى طهرنا / ٤٦٢ إياك أن تفسر القرآن برأيك / ٦٠ أ تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فهاب الإمام / ١٨٧ أصحاب عبد الله سرج هذه القرية / ٢٢٢ ألا لا خير فى قراءة لا تدبر فيها / ٨٥ أما

أبو بكر فلم تكن في ولايته أخماس / ٥٠٠ أن عزيز خرج من أهله و امرأته / ٥٤٩

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٥

سأل فاطمة ما خير النساء؟ قالت: ان لا يرين / ٣٣٤ سلوا عن ذلك آل محمد / ٤٦٣ سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله / ٢١٣ سلوني عن كتاب الله، فإنه ليست آية إلا و قد عرفت بلبيل نزلت أم بنهار / ٢١٤ فانظر ايها السائل فما ذلك القرآن عليه / ٤٤ فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها و أملاها علي / ٢١٥ قال رسول الله قال الله جل جلاله: ما آمن بي / ٦٠ قالت الحكمة من أرادني فليعمل بأحسن ما علم / ٥٤ قسمت الحكمة عشرة أجزاء / ٤٦٥ كنت أول داخل على النبي صلى الله عليه و آله و سلم و آخر خارج من عنده / ٢١٥ لا حجة لهم في هذا لان القرآن المنزل علينا على لسان نبينا صلى الله عليه و آله و سلم لم ينزل على الأولين / ١٥١ لا تملثوا أعينكم من أعوان الظلمة / ٣٣٤ لا- و الذي فلق الحبة و برأ النسمة / ٤٦٦ لاخني كنت إذا سألته أنبأني / ٢١٤ لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها / ٤٧٣ لما نزلت الآية فصل لرَبِّكَ / ١٩٢ لو لا- أن عمر نهى عن المتعة / ٥٢١، ٥٣١ ما تحمد الله عليه فهو منه / ٣٧٩ ما نزل القرآن إلا بالمسح / ٤٩٤ من اتقى الله عاش قويا / ٣٣٤ من وسع عليك الطريق / ٣٨٠ و ليس كل اصحاب رسول الله كان يسأله / ١٧٥ قد علمتم موضعي من رسول الله / ٢١٦

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٦

و إنما هو تعلم من ذى علم / ٢٩٩ و فيكم مثله / ٥٥٢ هل عندك علم عن النبي لم يقع إلى غيرك قال: لا / ٥٤ هم آل محمد يبعث الله / ٤٧٣ يا حسن أسبغ الوضوء / ٣٧٦ يا ابن آدم أ زعمت أن الذي نهاك / ٣٧٩ فاطمة عليهما السلام أن لا يرين الرجال و لا يرونهن / ٣٣٤ السجاد عليه السلام إذا كنتم في أئمة جور فاقضوا / ٣٦٦ أ ترضى يا حسن نفسك الموت / ٣٨١ سعيد بن المسيب أعلم الناس / ٣٢٨، ٣٢٩ و الذي بعث محمدا بالحق بشيرا / ٤٧٣ الباقر عليه السلام اجلس في مسجد المدينة و أفت للناس / ٣٦٧ إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فما ذا تصنعون / ٢٦ الفجر هو الخيط الأبيض المعترض / ٢٠٦ إلى العلم الذي يأخذه عن يأخذه / ٢٢٣، ٤٧٥ إن العلم الذي نزل مع آدم كناية عن العلم / ٤٦٣ إن الله عز و جل يقول و إذا ضربتم / ٤٩٦ أتى عمار بن ياسر رسول الله فقال: / ٢٠٧ أنظروني حتى أرجع اليكم / ٣٥٦

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٧

جاء رجل إلى النبي و سأله عن / ١٩٣ ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء / ٣٧٢ ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة / ٤١٦ ذو القربى هم قرابة الرسول / ٥٠١ ظهر القرآن الذين نزل فيهم / ١٠٠ ظهره تنزيله و بطنه تأويله / ٢١، ١٠٠ فأما الغنائم و الفوائد فهي واجبة عليهم / ٢٣ فأنما على الناس أن يقرءوا القرآن / ٤٦٣ قال زرارة بن أعين قلت لأبي جعفر أ لا تخبرني من أين / ٨٦ قال رسول الله كل مسكر حرام / ٤١٨ كذب أبو ظبيان أما بلغك قول علي فيكم / ٣٦١ ما علمتم فقولوا / ٦٧ ما بقى على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج / ٣٦٢ و لو أن الآية إذا نزلت في قوم / ٢١، ١٠٠ ويحك يا قتادة إن الله تعالى خلق / ٤١٦ هم أصحاب المهدي في آخر الزمان / ٤٧٤ يا جابر حديثنا صعب مستصعب / ٤٢٣ الصادق عليه السلام إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له / ٨٦ إذا طلق الرجل امرأته على غير طهر / ٥١٣ الق عبد الملك بن جريج فسله عنها / ٢٧٦ الميزان الذي وضعه الله للأنام / ٢٥ إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نزلت عليه الصلاة / ١٥ إن هذا القرآن فيه منار الهدى / ٨٤

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٨

إن الله أنزل على رسوله الصلاة / ١٨١ إن رجلا- قال له إنني طلق امرأتى / ٥٠٩ إن لله علم مكنون / ٥٦٤ إننا أهل بيت لم يزل الله / ٤٦٤ أنما هلك الناس في المتشابه / ٧٠ أنما القرآن أمثال لقوم يعلمون / ٨٥ إنه أعمى القلب أعمى البصر / ٤٧٧ اللهم: الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه / ٣٣٢ أما و الله لقد أوجع قلبي موت أبان / ٣٦٨ أنظر ما علمت من قولهم فأخبرهم بذلك / ٣٦٨ تعلموا العربية فإنها كلام الله / ١٣٨ جالس أهل المدينة فإني أحب أن يروا / ٣٦٨ صلاة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة / ٣٣٣ طلق عبد الله بن عمر

امراته ثلاثا/ ٥٠٩ علمه الذي يأخذه عن يأخذه/ ٢٧ فيحشر الله يوم القيامة من كل أمة/ ٥٤٨ كثير النوا و سالم بن أبي حفصة و أبا الجارود/ ٤٧٧ كل شيء مردود إلى الكتاب و السنة/ ٨٦ كل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يضعه/ ٤٢ لا تحدث به السفلة فيذيعونه/ ٤٢٢ لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه/ ٨٥ ليس منّا من لم يقل بمتعتنا/ ٥٣٤، ٥٥٧ من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر/ ٤١، ٤٧ من قتل مؤمنا على دينه فذلك/ ٥٠٧ من زعم أن الله عز و جل يبدو له/ ٥٤٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٩

نزلت في أمة محمد خاصّة/ ٤٦٣ و الأواب: التواح المتعبد الراجع عن ذنبه/ ٣٣٣ و كان أبان إذا قدم المدينة/ ٣٦٧ يعرف هذا و أشباهه من كتاب الله عزّ و جلّ/ ٨٨ الكاظم عليه السّلام الخمس في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير/ ٢٣ بل هي محرمة في كتاب الله يا أمير المؤمنين/ ٥٠٣ في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير/ ٤٩٩ الرضا عليه السّلام لا تؤوّل كتاب الله عزّ و جلّ برأيك/ ٤١ ماؤمكم، أبوابكم الأئمة و الأئمة أبواب الله/ ٢٦، ٤٧٢ الجواد عليه السّلام أما إذا أقسمت علىّ بالله/ ٨٠، ٥٠١ ما استوى رجلان في حسب و دين قطّ/ ١٣٨ فأما الغنائم و الفوائد/ ٤٩٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٠٠

### فهرس الأعلام

(حرف الألف) آدم عليه السّلام: ١٦٨، ٤٦٣، ٤٨١ آدم بن أياس: ٣٤١، ٤٣٠ الآلوسى: ٤٩٤ إبراهيم عليه السّلام: ١٤٧، ٤١٧، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٨٥ إبراهيم: ٢٢١ إبراهيم بن ميسرة: ٣٤٧ إبراهيم بن هلال الثقفي: ٣٩٢، ٣٩٣ إبراهيم التيمي: ٤٦، ٤٨ إبراهيم الحربي: ٢٨١، ٢٨٢ إبراهيم الحسين الهمداني: ٣٤١ إبراهيم حمروش: ١٤٤ إبراهيم النخعي (ابن سويد): ٣٨٥ إبراهيم النخعي (ابن يزيد): ٣٢٦، ٣٦٩، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٠٣، ٤٩٠ ابن اسحاق: ٢٣٧، ٢٤٩، ٢٧٢، ٢٧٨، ٣٨٥، ٤٢٨ ابن أبي حاتم: ٢٢٣، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨١، ٢٨٥، ٣٥٤، ٤٠٥، ٤٢٠، ٤٢٧ ابن أبي الحديد: ٤٥، ٢١٤، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٩٢، ٥٢٦ ابن أبي داود: ٧٩، ٤٢٠، ٥٠١، ٥٣٩ ابن أبي ربيعة: ٢٤٠، ٢٤١ ابن أبي رواد: ٤١٣ ابن أبي شيبة: ٢٥٩، ٢٧١، ٤٣٠، ٥٣٣، ٥٣٩ ابن أبي الصلت: ٢٤٥ ابن أبي عمير: ٤٢٢ ابن أبي ليلى: ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٢١، ٣٩٦، ٤١٠ ابن أبي مليكة: ٣٣٥، ٤٢٨، ٤٣٣ ابن أبي يزيد: ٢٤٥ ابن الأثير: ٢٠٤، ٢١٣، ٤٠١، ٤٠٦ ابن أذينة: ٢٧٧ ابن الأزرق: ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٧ ابن الأشعث: ٢٨٧ ابن أشيم: ٥١٣ ابن أم مكتوم: ٢٠٦ ابن الأنباري: ٤٣، ٢٤٢، ٢٤٣، ٥٠٦ ابن تيمية: ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٨، ١٧٦، ١٧٨، ٢٥٢، ٣١٦، ٣٤٢، ٤٢٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٠١

ابن جريج: ٢٧٤-٢٧٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٨-٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٩٠، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١

٦١، ٦٣، ٦٤، ١٧٦، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٨، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٤، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٠٢

٤٥١، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٩٤، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥١٠، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٣١ ابن عبد البر: ٣٥٤، ٣٧٨، ٣٩١، ٤٠٦، ٤٠٩ ابن عبد الحكم: ٢٣٢ ابن عجلان: ٣٧٠، ٤١٨ ابن العجوز (حزقيل): ٥٤٩، ٥٦٠ ابن عدى: ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٧٠، ٤٠٨، ٤١٩، ٤٢٦ ابن العربي: ٥٠٦، ٥٢١ ابن عساکر: ٤٦٥ ابن عطية: ٤٩، ٥٠، ٥٤، ١٨٢ ابن عقيل: ٤٢٥ ابن عون: ٣٨٩ ابن فهد الحلبي: ١٣٨ ابن قتيبة: ٢٧٩، ٣٢٥ ابن كثير: ٤٨، ٢٦٠، ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٩٢، ٥١٩ ابن الكواء: ٥٥٢ ابن لؤلؤ: ٥٤١ ابن المبارك: ٢٨١ ابن المديني: ٢٧٤، ٢٩٢، ٣٢٧، ٣٥١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٩٢، ٤١٠، ٤١١، ٤١٣ ابن مردويه: ٢١٩، ٢٨١، ٤٢٦، ٤٢٧ ابن مسعود: ٣، ٤٩، ٥٠، ٥١، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٨، ٢٠٤، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣١٦، ٣١٧، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٦٤، ٤٦٥، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٣١ ابن معين: ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٩٢، ٣٤٣، ٣٥٥، ٣٦٣، ٤١١، ٤٣٤، ٥١٩، ٥٤١ ابن ملجم: ٥٥٢ ابن مندة: ٣٥١، ٣٥٤ ابن المنير: ٣٤٠، ٥١١ ابن مهدي: ٤٢١ ابن الناعمة الحمصي: ١١٩ ابن النديم: ٢٩٥ ابن النقيب (محمد بن سليمان البلخي): ٦٨ ابنة ذى يزين: ٢٤٦ إسحاق بن جرير: ٣٢٩، ٥١٢ إسحاق بن عبد الله بن الحرث: ٢٦١، ٢٦٢ إسحاق بن عيسى: ٣٥٣ إسرافيل عليه السلام: ٤٨٤ إسماعيل بن أبي أويس: ٥١٧ إسماعيل بن أبي خالد: ٢٩٣، ٣٥٠ إسماعيل بن عبد الخالق: ٥٠٩ إسماعيل بن الفضل: ٢٧٦ الأسترآبادي (محمد أمين): ١٨٩ الأسترآبادي (محمد بن القاسم): ٤٧٨ إلهي قمشه اي: ١٦٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٠٣

أبان بن أبي عياش: ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٨ أبان بن تغلب: ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٢١، ٣٦٧، ٣٧٠، ٤٣٤ أبان بن صالح: ٤٢٨ أبان بن عثمان البجلي: ٤١٣ أبان بن محمد بن أبان بن تغلب: ٣٦٩ أبو ادريس الخولاني: ٣١٩ أبو اسحاق (إبراهيم بن علي الذهلي): ٣٦٦، ٣٩٤، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٢ أبو الأحوص: ٤٢٣ أبو الأسود الدئلي: ٢٩٤، ٣٥٣ أبو أمامة: ١٧٥، ٣٥٣ أبو أيوب: ٤١٩ أبو بردة بن أبو موسى الأشعري: ٣١٨، ٣١٩، ٣٨٧ أبو بصير: ٣٥٦، ٤٧٧ أبو بكر: ٤٦، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٥٦، ٤٠٢، ٤٥٨، ٤٦٢، ٥٠٠، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٣٠ أبو بكر بن أحمد: ١٥٩ أبو بكر بن عياش: ٢٢٢، ٣٩١، ٥٥٣ أبو بكر الحضرمي: ٣٥٨ أبو بكر الهذلي: ٣٨٠ أبو بكره: ٢٢٥ أبو البلاد: ٣٦٩ أبو ثور: ٣٥٥، ٥١٢ أبو الجارود (ابن المنذر سرحوب): ٢٦٩، ٢٨٦، ٤٢٧، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٩، ٥٠٠ أبو جعفر بن محمد بن علي: ١٥٩ أبو الجلد (غيلان بن فروة الأزدي): ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٤، ٤١٤، ٥٦٢ أبو الجهم خالد بن هاني: ١٥٩ أبو حاتم: ٢٨٥، ٢٩١، ٣٢٧، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٧٠، ٣٧٤، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٤، ٥١٧ أبو الحسن الأشعري: ٤١٣ أبو حمزة الثمالي: ٤١٥، ٤٦٨ أبو حنيفة: ١٢٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ٢٨٢، ٣٦٣، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣١، ٥١١، ٥١٢، ٥٣٥، ٥٤٦ أبو خالد الكابلي: ٣٢٨، ٣٣٠ أبو الخطاب: ٣٠٦ أبو خلدة: ٤٢٠ أبو داود (الطيالسي): ٥١٤، ٥٣٩ أبو الدرداء: ٣، ١٩٨، ٢٠٤، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٨٥، ٣٩٠، ٤٠٧ أبو ذر الغفاري: ٣٤٣، ٣٥٨، ٣٩٠، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٩ أبو رافع: ٢٢٥، ٣٨٨ أبو رجاء: ٣١٨، ٣٧٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٠٤

أبو روق: ٢٨٠، ٣٦٨، ٣٧٠ أبو الزبير: ٥٢٣ أبو زرعة: ٢٧٠، ٢٧٩، ٣٢٧، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٥١٧ أبو سعيد الخدري: ١٩٧، ٢٨٤، ٣٧٤، ٤٥٨، ٥٢٢، ٥٣١ أبو سفيان: ١٠٦ أبو الشعثاء الأزدي: ٣١٦، ٣٢١، ٤٠٨، ٤٢٩ أبو الشعثاء الكوفي: ٣٢١، ٤٠٧ أبو صادق (ابن عاصم بن كليب الجرمي): ٣٩٣ أبو صالح: ٢١٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٤١، ٤٢٦ أبو طالب مكى: ٥١٧ أبو الطفيل: ٢١٣، ٣٨٨، ٤٠٩ أبو ظبيان: ٣٦١ أبو العالية: ٢٢٣، ٣٢١، ٣٦٠، ٤١١، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠ أبو العباس: ٥٠٥ أبو عبد الله الجدلي:



٢٨٦ أبو عبد الله الزنجاني: ١٥٦ أبو عبد الله الشامي: ٣٤٧ أبو عبد الله (محمد بن علي السراج): ٢٢٠ أبو عبد الرحمن السلمي: ٥١، ١٧٤، ١٧٨، ٢٢١، ٣٦٦، ٣٩١، ٤٩٣ أبو عبيد: ٢٤٢، ٢٤٦ أبو عبيدة: ٢٠٩، ٢١٠، ٤١١ أبو عمرو بن العلاء: ٢٣٨، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٩٢ أبو عمرو الزاهد: ٢١٤ أبو عميس: ٥٣٩ أبو عوانة: ٢٩٠ أبو الفرج الأصبهاني: ٢٤٠ أبو الفضل العباس بن محمد العلوي: ٤٧٩ أبو الفضل الميبدي: ١٦٠ أبو القاسم (علي بن محمد): ٢٢٦ أبو قطن: ٣٦٦ أبو مالك: ٢١٨، ٢٣٦، ٢٧٢، ٤٣٠ أبو المثنى رباح: ٣٨٦ أبو مخنف: ٤٠٢ أبو مروان: ٣٢٩ أبو مسعود: ٢٧٦ أبو مسلم: ٣٨٢، ٤٤٠-٤٤٤ أبو معاوية: ٢٦١ أبو معمر: ٤٦ أبو مليكة: ٥١ أبو موسى الأشعري: ٢١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٨، ٣٧٤، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٣، ٥٤٤ أبو النجود: ٣٩١ أبو نجيح: ٢٩٥ أبو نصر: ٥٢٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٠٥

أبو نعيم الأصبهاني: ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٧٠، ٤٢١ أبو نعيم الفضل بن دكين: ٣٩٣، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٦ أبو نوف: ٣٦٣ أبو وائل: ٣٠٠، ٣١٧، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤٠٩ أبو الورد: ٣٦١ أبو الوليد: ٥٣٢ أبو هريرة: ١٩٧، ١٩٨، ٢١١، ٢٣٢، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٥، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥ أبو هلال: ٣٨٤ أبو الهيثم ابن التيهان: ٣٩٥ أبو يسار بن أبي نجيح: ٢٩٥، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢ أبو يعقوب (يوسف بن محمد بن زياد): ٤٧٨ أبو يوسف: ١٢٥، ١٤٨، ٤٣٩ أبو يونس: ٣٢٩ أبي بن قيس: ٣٨٥، ٣٨٨ أبي بن كعب: ٣، ٤٩، ٢١١، ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٧٨، ٣١٣، ٣١٦، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤١٩، ٤٢٠، ٤١٩، ٥١٩، ٥٣١ الأجدع بن مالك: ٣٩٢ أحمد أمين: ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠ أحمد بن حنبل: ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ٢٢٣، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٩٦، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٦٦، ٣٧٠، ٤١٢، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٩٤، ٥١٧، ٥١٩، ٥٣٢، ٥٣٣ أحمد بن سيار: ٢٨١ أحمد بن عبد الحلیم: ٤٢٨ أحمد بن محمد بن السيار: ٤٧٨ أحمد بن محمد بن السيار: ٤٧٨ أحمد بن محمد بن السيار: ٣٦٢ أحمد بن موسى الأصبهاني: ٤٢٦ أحمد بن يونس: ٤١٠ أحمد الدلبشاني: ١٤٤ أحمد نصر: ١٤٥ الأخفش: ٥٠٥، ٥٠٦ الأخنس بن زيد: ٢٧٤ أرميا (عزير): ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٣ أسباط بن سالم: ٣٢٩ أسباط بن نصر: ٢٧٣ الإسكافي: ٣٩٢ أسلم المنقري: ٣٦٢ الأسود بن يزيد: ٣١٧، ٣٢١، ٣٨٥، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤٦٣، ٤٦٦ أصبغ بن نباتة: ٣٢١، ٣٨٨، ٤٠٨، ٤٠٩ الأصمعي: ٢٩٠، ٢٩٣ الأعمش: ٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٨٦، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٩ أم سلمة: ٣٧١، ٣٨٢، ٤١١ أم قيس: ٤٠٠ أم هانئ: ١٩٢، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٠٦

أنس بن مالك: ٢٠٩، ٢١١، ٣٦٠، ٣٨٢، ٤٧١ أوربا: ٤٨٢ الأوزاعي: ٥١١ أويس القرني: ٣٩٥ أياس بن سلمة: ٥٣٩ أيوب: ٢٧٥، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٨٤ أيوب عليه السلام: ٤٨٢ (حرف الباء) البحراني (سيد هاشم بن سليمان): ٤٨٠ البحراني (الشيخ جعفر): ٩٢ البحراني (يوسف): ٩٣، ٩٤، ٢٧٧، ٣٣٠ البخاري: ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٩٤، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٤٢٩، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٧، ٥٣٣، ٥٣٨، ٥٣٩ البراء بن عازب: ٣٩٠ برد: ٣٥٣ بريدة: ٣٤٧ البزار (أبو بكر): ١٧٦، ٢٥٩، ٢٨٥، ٣٥٦، ٣٧٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠ بشر بن عمار: ٢٨٠ بشر بن عمرو: ٢٨٩ بشر بن معاذ: ٤١٧ بطرس طليطلي: ١٥٦ البغدادي (أبو جعفر): ٤٠٩ بقية بن الوليد: ٢٨٢ بكير بن الأشج: ٥١٣، ٥١٦، ٥١٧ بلاذري: ٢١٣ بلال: ٢٠٥، ٢٠٦، ٣١٩، ٤٠٣ البلخي (أبو القاسم): ٥٥٠ بهاء الدين العاملي: ١١٩ البيهقي: ١٩٦، ٣٦٠، ٥٠٩، ٥٢٨ (حرف التاء) الترمذي: ٦٣، ٢٨٥، ٣٧٥، ٣٩٠، ٥١٦، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥،



٥٧، ٤٨، ١٦٥، ١٨٠، ٢١٢ ٣٠٦، ٤٢٥ الزركلى: ٤٢١ زكريا عليه السلام: ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٨٢ الزمخشري: ١٦٥، ٢٤٧، ٣٣٧، ٣٣٩، ٤٤٦ ٥١٠، ٥٥٢، ٥٦٢ الزهري: ٣٢٨، ٣٥٤، ٤١٢، ٥٣٢ زهير بن معاوية: ٤٢١ زياد بن أبيه: ٣٩٩، ٤٠٠ زيد بن أرقم: ٢٨٤، ٣٨٧، ٥٠٠ زيد بن أسلم: ٣٢١، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٩ زيد بن ثابت: ٤٩، ٢١١، ٣١٧، ٣٧١ زيد بن وهب الجهني: ٢١٩، ٣١٩، ٣٢١، ٤٠٧ زيد الشحام: ٢٧، ٤١٦ زينب بنت جحش: ٤٨٢ زين الدين العاملي: ٦١ (حرف السين) الساجي: ٢٨٥، ٢٩٠، ٤١٠ سالم: ٥٣٢ سالم بن أبي حفصة: ٤٧٧ سالم بن هذيل: ٤٩٢ سبأ: ١٩٦، ١٩٧ سبرة بن معبد الجهني: ٥١٩، ٥٢٠، ٥٣٨، ٥٤٠ السجستاني (حزير بن عبد الله): ٣٦٧ السدي (الصغير): ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧ السدي (الكبير): ٢١٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٤٠٤، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٩، ٥١٩ سراقه بن مالك: ٣٧٥، ٥٤٦ السرخسي: ١٤٨، ١٥٢، ٣٩٠، ٥٢٩ سعد بن أبي وقاص: ٥٣٣ سعد بن عباد: ٢٢٤ سعد بن عبد الله الأشعري القمي: ٤٧٩ سعد بن معاذ: ٥١٦ سعيد بن أبي عروبة: ٤٠٦ سعيد بن جبير: ٤٩، ٥١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٩، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٣-٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٦٦، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٢٩، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٣١ سعيد بن قيس: ٣٨٩ سعيد بن محمد: ٢٨٧ سعيد بن المسيب: ٤٧، ٦٦، ٢١٣، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٦-٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٥١، ٣٥٣، ٤١٢

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦١١

٤٢٩ سفيان بن عبد الملك: ٢٨٢ سفيان بن عيينة: ٥٦، ٢٨٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٧٠، ٤٢٦، ٤٢٦، ٤٣٠، ٥٣٨ سفيان الثوري: ٢١٨، ٢٧٣، ٢٩٢، ٣٢٦، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٠، ٤١٠، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٥١١ السفياني: ٥٦٠ سلّام بن مسكين: ٣٤٩، ٣٥٠ سلمان بن ناصر الأنصاري: ٤٦٧ سلمان الفارسي: ١٢٥، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٧، ١٩٦، ٢٢٠، ٣٨٥، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٥٢، ٥٥٣ سلمة بن الأكوع: ٥٣٨، ٥٣٩ سلمة بن أمية: ٥٢٢، ٥٢٤ سلمة بن قتيبة: ٢٧٩ سلمة بن كهيل: ٣٦٤، ٣٨٥، ٣٩٣، ٣٩٤ سلمى: ٥٢٤ سليمان عليه السلام: ٤٨٢، ٥٥٣ سليمان بن داود المنقري: ٤٦٨ سليمان بن رفيع: ٣٦٤ سليمان بن صرد: ٣٨٩ سليمان بن عبد الملك: ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٦، ٣٤٨ سليمان بن موسى: ٣٢٧ سليمان بن هشام: ٣٦٣ سليمان بن يسار: ٥١٧ سليم بن أبي حية: ٣٧٠ سليم بن قيس الهلالي: ٣٧٣، ٣٧٥ سماعة: ٤٩٩، ٥٠٧ سماك بن حرب: ٢٩٣ السمرقندي (علي بن اسحاق): ٢٩٦ سنيد بن داود: ٤٢٦، ٤٣٠ سويد بن غفلة: ٣١٩ السيد الأمين العاملي: ٤٦٠ السيد الصدر: ٤٢٢ سيد قطب: ٤٣ السيوطي: ٤٦، ٤٦، ٥٥، ٥٦، ٤٨، ١٦٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ٢١١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٥، ٣٠٤، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٢٩ (حرف الشين) الشاطر: ١٢٨، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦ الشافعي: ١٧٨، ٢٣٢، ٢٥٤، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٢٧، ٣٦٢، ٤٢٩، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٥١١، ٥١٢، ٥٣٥ شريح: ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤١٠ شعبة بن الحجاج: ٢١٨، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨٢، ٣٦٦، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٩٢، ٥٢٨ شعبة بن ربيعة: ٥٦٢ الشعبى: ٤٧، ٣٢١، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٧٩، ٣٨٠

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦١٢

٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٢٩، ٤٩٤ شواخ: ١٢٧، ١٢٨، ٢٨٧، ٢٩٢، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٨٥، ٤١٧، ٤١٨ شهر بن حوشب: ٣٥٠، ٤٣٥، ٤٦٨ الشهرستاني: ٣١٨، ٣٨٤، ٤٦٦ الشهيد الثاني: ٢٧٢، ٤٠٦، ٥٣٦ شيبان: ٢٦١ (حرف الصاد) صالح بن أحمد: ٢٧٥ صالح بن محمد: ٢٦٩، ٤٢٦ الصاوي: ٢٣٣، ٢٦٥ صدر الأفاضل: ١٥٤ الصدوق (أبو جعفر): ٦٠، ٦٦، ١٩١، ٢١٩، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٣، ٣٢٠، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٨٢، ٣٩١، ٤٧٢، ٤٨٠، ٤٩٦، ٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥١ صفوان الجمال: ٥٠٩ الصفوي: ١١٩ صهيب: ٣٥٨ (حرف الضاد) ضحّاك بن مزاحم: ٢٧٨-٢٨٢، ٣٤١، ٣٥٠، ٣٦٠، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠ الضحّاك الفهري: ٥٣٣ (حرف الطاء) جعفر بن أبي طالب: ٣٧٩ طاوس اليماني: ٢٢٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٦٤، ٤٢١، ٤٢٩، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣١ الطباطبائي (محمد حسين): ٣٣، ٣٦، ٣٩، ٤٢، ٧١، ١٠١، ٣٠١ الطبراني: ٢٤٣، ٢٧٢، ٤٠٦، ٤٢٧ الطبرسي: ٤٣، ٩٣، ١٥٠، ١٦٦، ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٩، ٢٤٤، ٣٣٧، ٣٦٠، ٤٧٥، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥١٠، ٥٥٠، ٥٥٣ الطبري الإمامي: ٣٩٥ الطبري (أبو القاسم): ٣٢٤ الطبري (محمد بن جرير): ١٨، ٤٦، ٤٨، ٥٧، ٦١، ٦٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٧٤، ١٩٦، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٤٢، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣٣٩

٣٤٢، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٧٥، ٣٨٥، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٥، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٩٤، ٥٢١، ٥٢٢ طلحة: ٥٠، ٣٩٧ طلق بن حبيب: ٤٧ الطوسي: ٢٥، ٩٣، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٨٣، ٣٤٠، ٣٦١، ٤١٨، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٦٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦١٣

الطوسي (خواجه نصير الدين): ٥٢٧ (حرف العين) عائشة: ١٧، ٤٨، ٥٠، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٩، ٢٠٦، ٢١١، ٢٣٧، ٣٧٦، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٢، ٥٢٠ عادل نويهض: ٤٢١ عاصم: ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤٩٢، ٤٩٣ عامر بن عبد الله بن زبير: ٥٠ عامر بن عبد قيس: ٣٩٥ العاملي (السيد محمد): ١٤٩، ١٥٠ عباد بن كثير: ٢٨٢ عبادة بن الصامت: ١٩٠، ٤٩٨ عباس بن عبد المطلب: ٥٠٠ عباس الجمل المحامي الشرعي: ١٤٦ عبد الله بن أبي رافع: ٤٠٩ عبد الله بن أحمد: ٢٧٩ عبد الله بن بديلة: ٣٨٩ عبد الله بن ثعلبة: ٣٢٧ عبد الله بن الجراح: ٤٢٦ عبد الله بن جعفر: ٣٩٠، ٥٠٩ عبد الله بن الحارث: ٢٦٢ عبد الله بن الحسن المثنى: ٣٤٤ عبد الله بن خففة: ٣٧٠ عبد الله بن الزبير: ٢١١، ٢٨٦، ٥٢٨، ٥٣١ عبد الله بن زيد بن أسلم: ٤٢٥ عبد الله بن سلام: ٢٥٥، ٤٤٧ عبد الله بن سنان: ٥٠٧ عبد الله بن عبد ياليل: ٢٢٦ عبد الله بن عطاء: ٣٤٦ عبد الله بن عمر: ٢١١، ٢٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٩، ٥٢٣، ٥٣٢ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (الهباري): ١٥٤، ١٥٩ عبد الله بن عمرو بن عاص: ٤٩، ١٩٤، ٢١١، ٢٢١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٠٦ عبد الله بن ميسرة الحراني: ٢٦٠ عبد الله بن نمير: ٣٩٣ عبد الله العتكي: ٣٥٩ عبد الأعلى: ٨٧ عبد بن حميد: ٤٢٦، ٤٣٠ عبد الجبار بن وائل الخضرمي: ٤٠٠ عبد الحق: ٢٩٢ عبد الرحمن بن أبي حاتم: ٤٢٧ عبد الرحمن بن أبي ليلى: ٥٠٠ عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد: ٤٠٣، ٤١٣ عبد الرحمن بن بشر (أخو السائب): ٢٨٩ عبد الرحمن بن الحجاج: ٣٦٩ عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الهمداني: ٣٤١ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ٤١٨، ٤٢٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦١٤

٤٣٠، ٤٣٩ عبد الرحمن بن عبد الملك الحزامي: ٥٣٩ عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي: ٣٦٨ عبد الرحمن بن يزيد (أخ الأسود): ٤٠٣ عبد الرحمن عlish الحنفي: ١٤٥ عبد الرحمن قراءة: ١٤٤ عبد الرحيم محمد علي: ١٣٩ عبد الرزاق بن همام (الصنعاني): ٢٥٨، ٢٨٢، ٤٢٦، ٤٣٠ عبد الرزاق (حافظ): ٥١٧، ٥٢٣، ٥٢٤ عبد علي بن جمعة الحويزي: ٤٨٠ عبد المجيد سليم: ١٤٤ عبد المجيد اللبان: ١٤٤ عبد المطلب: ٢٢٩ عبد الملك بن الربيع: ٥١٩، ٥٤٠ عبد الملك بن عطاء: ٣٤٦ عبد الملك بن مروان: ٣١٩، ٣٣٥، ٣٧٧، ٣٨٤ عبد الملك بن ميسرة: ٣٧٩ عبد مناف: ٢٧٩ عبد الواحد بن زياد: ٥٣٩ عبد الوهاب (ابن مجاهد): ٣٣٦ عبد الوهاب الطالقاني: ١٦٧ عبد يزيد: ٥١٤ عبيد الله بن أبي يزيد: ٣٤٣ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ٢٥٨ عبيد الله بن علي بن أبي رافع: ٢٢٥، ٣٨٧ عبيد الله بن عمر: ٤٧، ٤١٩، ٤٣٩، عبيد الله بن موسى: ٢٢١ عبيد بن الأبرص: ٢٤٤ عبيد بن بشر (أخو السائب): ٢٨٩ عبيد بن عمير: ٣٣١ عبيدة السلماني: ٤٧، ٣١٧، ٤١٠، ٤٦٣، ٤٦٥ عثمان: ٥٠، ٢٠٥، ٢١١، ٢٢٤، ٢٤٦، ٢٤٢، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٩٥، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٣، ٥٠٠ العجلي: ٢٩٢، ٣٥٥، ٣٩٠، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٤٦، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٤٥ عطاء بن أبي سلمة: ٢٨١، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٦٢-٣٦٥، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٠٢، ٤٠٤ عطاء بن يسار: ٣٣١، ٤١٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦١٥

عطاء الخراساني البلخي: ٢٧٦ عطية بن سعد العوفي: ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٢٥، ٤٣٠ العقيلي: ٣٣١، ٣٧٠ عكرمة: ٢٤٢، ٢٧٢، ٢٨٤، ٣١٦، ٣٢١، ٣٣٩، ٣٤٨-٣٤١، ٣٦٥، ٣٦٨، ٤٠٨، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٩٤ العلامة الأميني: ٤٥٦، ٥٤٦ العلامة الحلبي: ٢٢٩، ٤٢٢ العلامة الفاني: ٢٣١ العلاء بن عتبة الحمصي: ٢٧٠ علقمة بن قيس: ٢١٤، ٢١٨، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢١، ٣٨٥-٣٨٩، ٤٠٩، ٤٦٣، ٤٦٥ علم الهدى (السيد المرتضى): ٢١٩، ٣٧٣، ٣٨٠، ٤٧٩، ٥٥٨، ٥٥٩، ٤٦٩، ٤٧٩، ٤٨٤، ٤٩٩، ٥٤٤







نصيري، مرويان، بهادري، اكبرى، مريجكاني، شهركي فلاح، على زاده، حاتمي، شيخ حافظ في إنجاز هذا المشروع الضخم و ساهموا في مراجعته و إخراجاته الفتيه و إعداد فهارسه و تنضيد حروفه المطبعية بالحاسب الإلكتروني و غيرها، في قسم الدراسات القرآنية في الجامعة الرضوية. فنقدم لهم جزيل شكرنا المتواصل و نبتهل إلى الله أن يوفق الجميع لخدمة الدين و لا سيما أساسه القويم القرآن الكريم إنه تعالى ولى التوفيق.

الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية قسم الدراسات القرآنية

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١

### التفسير في عهد التدوين

كان التفسير في عهد نشوئه إنما يتلقى شفاها و يحفظ في الصدور، ثم يتناقل نقل الحديث يدا بيد. هكذا كان التفسير على عهد الرسالة، و على عهد الصحابة و التابعين الأول. أما في عهد تابعي التابعين، فجعل يضبط و يثبت في الدفاتر و الألواح؛ و بذلك بدأ عهد تدوين التفسير إلى جنب كتابة الحديث، و ذلك في أواسط القرن الثاني؛ حيث راج تدوين الأحاديث المأثورة عن السلف. و لعل أول من سجل التفسير في الدفاتر و الألواح هو مجاهد بن جبر، توفي سنة (١٠١). يقول ابن أبي مليكة: «رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، و معه ألواحه. فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتى سأله عن التفسير كله» (١). و كان أعلم الناس بالتفسير. قال الفضل بن ميمون: «سمعت مجاهدا يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة» (٢).

و له تفسير متقطع و مرتب على السور، من سورة البقرة إلى نهاية القرآن. (١) راجع: تفسير الطبري، ج ١، ص ٣١.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ١٠، ص ٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢

يرويه عنه أبو يسار عبد الله بن أبي نجیح الثقفي الكوفي، توفي سنة (١٣١) و قد صححه الأئمة و اعتمده أرباب الحديث، و قد طبع أخيرا في باكستان سنة (١٣٦٧ هـ ق) حسبما تقدم في ترجمته.

و يذكر ابن حجر عند ترجمته لعطاء بن دينار المصري- و كان من ثقات المصريين، توفي سنة (١٢٦)- أن له تفسيرا يرويه عن سعيد بن جبیر، قتل سنة (٩٥) و كان في صحيفه. قال: و لا دلالة أنه سمع من سعيد بن جبیر. و عن أبي حاتم أنه أخذه من الديوان؛ و ذلك أن عبد الملك بن مروان، توفي سنة (٨٦) سأل سعيدا أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير. فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه، فأرسله عن سعيد (١).

فهذا صريح في أن سعيد بن جبیر جمع تفسير القرآن في كتاب، و هذا الكتاب أخذه عطاء بن دينار. و بما أن سعيد بن جبیر قتل سنة (٩٥) و لا شك أن تأليفه هذا كان قبل موت عبد الملك سنة (٨٦) فهذا التفسير قد كتب و دون قبل هذا الحين.

و يذكر ابن خلكان: أن عمرو بن عبيد- شيخ المعتزلة، توفي سنة (١٤٤)- كتب تفسيرا للقرآن عن الحسن البصري المتوفى سنة ١١٦ (٢).

و لابن جريج، توفي سنة (١٥٠) تفسير كبير في ثلاثة أجزاء، يرويه بواسطة عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس، توفي سنة (٦٨)، و يرويه عنه محمد بن ثور.

و قد صححه الأئمة (٣). و ذكر أحمد بن حنبل: أنه أول من صنف الكتب (٤). (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ١٩٨-١٩٩، رقم (٣٨٢).

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٣، ص ٤٦٢، رقم (٣). (٥).

(٣) الإقتان للسيوطي، ج ٤، ص ٢٠٨.



(٤) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٣-٤٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣

و أمثال هذه التفاسير مما كتب على الألواح أو في صحائف ذلك العهد كثير، كانت تقتضيه طبيعة الأخذ و التلقى ذلك الحين، و قد قلّ الاعتماد على الحفظ و الضبط في الصدور.

غير أنّ هذه التفاسير كانت مقتصرة على نقل المعاني و روايتها عن التابعين و الأصحاب، و ثبتها في الدفاتر خشية الضياع، و لم يكن التفسير قد توسّع أو دخله الاجتهاد في شكل ملحوظ.

و لعلّ أوّل من توسّع في التفسير و ضمّ إلى جانب المعاني جوانب آخر و لا-سيما التعرّض لأدب القرآن و ذكر خصائص اللّغة، و اجتهد في ذلك، هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة (٢٠٧).

يذكر ابن النديم في «الفهرست» أنّ أبا العباس ثعلب قال: كان السبب في إملاء كتاب الفراء في معاني القرآن، أنّ عمر بن بكير كان من أصحابه، و كان منقطعاً إلى الحسن بن سهل. فكتب إلى الفراء: أنّ الأمير الحسن بن سهل، ربّما سألتني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب. فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً، أرجع إليه فعلت. فقال الفراء لأصحابه:

اجتمعوا حتى أملى عليكم كتاباً في القرآن، و جعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم، و كان في المسجد رجل يؤذّن و يقرأ بالناس في الصلاة. فالتفت إليه الفراء، فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسيرها، ثمّ نوفي الكتاب كلّه. فقرأ الرجل و يفسّر الفراء. قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله مثله، و لا أحسب أنّ أحداً يزيد عليه «١». (١) الفهرست لابن النديم، ص ١٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤

و لا شك أنّ تفسير الفراء هذا هو أوّل تفسير تعرض لآيات القرآن آية آية، حسب ترتيب المصحف و فسرها على التابع، و توسّع فيه. و كانت التفاسير قبله تقتصر على تفسير المشكل، و بصورة متقطّعة، غير مستوعبة لجميع الآيات على التابع. و قد جنح إلى هذا الرأي الأستاذ أحمد أمين المصري في «ضحى الإسلام» «١».

و على أيّ تقدير، فإنّ ذلك يعدّ أوّل بذرة غرست للتفسير المدوّن بشكل رتيب. فقد كان القرن الثاني من بدايته إلى نهايته، عهد تطوّر التفسير، من مرحلة تناقله بالحفظ إلى مرحلة كتابته بالثبوت. كما أخذ بالتوسّع و الشمول أيضاً بعد ما كان مقتصرًا على النقل بالمأثور.

و ازداد في القرن الثالث فما بعد، في الأخذ في التنوع، و تلوّنه بألوان العلوم و المعارف و الثقافات التي كانت دارجة في تلك العصور.

### تدرّج التفسير و تلوّنه

و في هذا الدور أخذ التفسير يخطو من مرحلة إلى أخرى و يزداد توسّعا و تنوعاً. فقد انتقل من دور التفسير بالمأثور إلى دور الاجتهاد العقلي و إعمال النظر و الرأي، و استنباط معاني القرآن الكريم في ضوء الأدب- أوّلاً- ثمّ في ضوء أنواع العلوم و المعارف التي كان ذلك العهد أهلاً بها، مضافاً إليه بعض النظرات الفلسفية الكلامية، ممّا نشأ على يد أرباب الكلام و ذوى النزعات المذهبية العقائدية، و كانت متنوّعة ذلك العهد. كل ذلك أثر في التفسير، و زاد في حجمه، (١) ضحى الإسلام، ج ٢، ص ١٤٠-١٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥

كما جعله على أنواع و أشكال مختلفة.

فمنهم من اقتصر على أسلوب السلف بالاكتفاء بالتفسير بالمأثور من أقوال الصحابة و كبار التابعين، و منهم من زاد عليه بالتوسّع في اللّغة و الأدب، و منهم من تجاوز إلى معارف آخر من فلسفه و كلام؛ و بذلك تلوّن التفسير حسب ألوان الثقافات الموجودة آنذاك.

و لكلّ من هذه الألوان و الأنحاء التفسيرية مميّزاته و مشخصاته، بها يمتاز كل نوع من التفسير عن سائر الأنواع، و منهم من جمع بين

هذه الألوان أو بعضها؛ فكانت تفاسير جامعة تتعرض لمختلف أبعاد التفسير، كاللغة و الأدب و الكلام، إلى جنب المأثور من الأحاديث الواردة و نقل الأقوال. و قد كثر في العهد المتأخر هذا النمط الجامع من التفسير، كما قد زاد عليه المتأخرون جوانب الشؤون الاجتماعية و السياسية التي تعرض لها القرآن، و بسطوا القول فيها حسب حاجة الزمن.

و هكذا تدرج التفسير، و اتجهت الكتب المؤلفة فيه اتجاهات متنوعة و تحكمت الاصطلاحات العلمية و العقائد المذهبية في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية و العلمية للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار العرفان الصوفى، و آثار النحل و الأهواء فيه ظهورا جليا.

و ذلك أن كل من برع في فنّ من فنون العلم و الأدب، يكاد يقتصر تفسيره على الفنّ الذي يرع فيه. فالنحويّ تراه لا-همّ له إلّا الإعراب، و ذكر ما يحتمل في ذلك من أوجه. و تراه ينقل مسائل النحو و فروع و خلافاته، و ذلك كالزجاج، و الواحدى في «البيسط»، و أبى حيان في «البحر المحيط».

و صاحب العلوم العقلية تراه يعنى في تفسيره بأقوال الحكماء و الفلاسفة، كما يذكر شبههم و الردّ عليها، و ذلك كالفخر الرازى في كتابه «مفاتيح الغيب».

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦

و صاحب الفقه تراه قد عنى بتقريره الأدلّة للفروع الفقهيّة، و الردّ على من يخالف مذهبه، و ذلك كالجصاص و القرطبي و أمثالهما كثير.

و صاحب التاريخ ليس له شغل إلّا القصص، و ذكر أخبار السلف، ما صحّ منها و ما لم يصحّ، و ذلك كالثعلبي و الخازن و غيرهما. و أصحاب المذاهب الكلامية إنما يحاولون تأويل الظواهر إلى ما يتفق و مذاهبهم في الكلام، و يقصرون الكلام في تفاسيرهم على هذا الجانب؛ حيث يتوسعون فيه، و ذلك كالرمانى و الجبائى، و القاضى عبد الجبار، و الزمخشري و الفيض الكاشانى. و أرباب التصوّف و العرفان الصوفىّ إنما يتجهون بكلّ اتجاهاتهم إلى ناحية تركية الروح و تطهير النفس، و الترفع بها إلى ذروة الأخلاق الحميدة، كما يحاولون في استخراج المعانى الإشارية- حسبما يزعمون- من الآيات القرآنية بما يتفق مع مشاربهم، و يتناسب مع رياضاتهم و مواجيدهم في عرفان الذات.

و من هؤلاء ابن عربى، و أبو عبد الرحمن السلمى، و القشيري في «لطائف الإشارات»، و الفيض الكاشانى في أكثر مواضع تفسيره. و هكذا فسّر كل صاحب فنّ أو مذهب بما يتناسب مع فنّه أو يشهد لمذهبه.

و قد استمرت هذه النزعة العلمية و العقائدية، و راجت في فترة غير قصيرة راجا عظيما، كما راجت في عصر متأخر تفسيرات يحاول أهلها أن يحملوا آيات القرآن كل العلوم ما ظهر منها و ما لم يظهر، كأنّ هذا فيما يبدو وجه ووجه إعجاز القرآن و صلاحيته، لأنّ يتمشى مع الزمن، فيما زعموا.

أما في عصرنا الحاضر فقد راج اللون الأدبى الاجتماعى على التفسير، و وجدت بعض محاولات علمية، في كثير منها تكلف باهت و غلوّ ظاهر و سنتكلم عن مختلف هذه الألوان، بما وسع لنا المقال إن شاء الله.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧

كان التفسير في اجتيازه تلك المراحل و تطوره مع سير الزمان، قد وجدت له ألوان و ظهرت أشكال، أشرنا إليها. غير أنّ هذه الأشكال و الألوان لم تزل مستمرة، و دام وجودها في كل عصر من الأعصار. و من ثمّ فإنّ المفسرين لم يزلوا يتنوعون في التفسير، و تظهر على أيديهم أنواع من التفسير، حسب مختلف براعاتهم في الفنون و العلوم، و تخصصاتهم في أنحاء المعارف و الثقافات؛ و بذلك نستطيع أن نؤنوع التفسير منذ عهد تدوينه فإلى الآن، إلى أنواع مختلفة:

و لقد كان التفسير في بدء نشوئه متقطعا و مترتبا حسب ترتيب السور و الآيات. كان المفسر يراجع شيخه في مواضع من القرآن، كان

قد أشكل عليه فهمه، فيسأله عنه و يسجله في دفتره، مبتدئا من أول القرآن إلى آخره. هذا هو نمط التفسير المأثور عن السلف، المحفوظ بعضه إلى اليوم، كتفسير مجاهد وغيره.

فأول نوع من التفسير الذي جاء إلى الوجود هو «التفسير بالمأثور» و متقطعا، و لكن مرتبا حسب ترتيب السور و الآيات. ثم بعده أخذ في تشكّل أكثر و انسجام أبلغ، مضافا إليه بعض التوسع و التنوع، كما عرفت.

و لكن ظهر إلى جنب هذا النوع من التفسير الترتيب، نوع آخر تعرض للجوانب الفقهيّة أو اللغويّة فقط، تاركا جوانبه الأخر، و هذا نوع من «التفسير الموضوعي» الذي ظهر إلى عالم الوجود، من أول يومه و لا يزال.

فهذه كتب آيات الأحكام، و كتب غريب القرآن، هي تفاسير موضوعيّة، مقتصرة على جانب فهم الأحكام، و استنباط فروع المسائل من القرآن، و هكذا تفسير ما ورد في القرآن من غريب الألفاظ.

و هكذا تنوع التفسير من أول يومه إلى تفسير رتيب و تفسير موضوعي، غير أنّ التفسير الرتيب كان مقتصرًا في الأكثر على المأثور من الأقوال و الآثار،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨

و الموضوعي على الفقه و اللغة فحسب. و زاد المتأخرون جانب الناسخ و المنسوخ في القرآن، و أسباب النزول، و غيرهما من مواضيع قرآنيّة، أفردوا لها كتبًا تبحث عنها بالخصوص.

و التفسير الرتيب مذ نشأ، نشأ على نمطين: تفسير بمجرد المأثور من الآراء و الأقوال، و تفسير اجتهادي معتمد على الرأي و النظر و الاستدلال العقلاني.

و من هذا النمط الثاني التفاسير التي غلب عليها اللون المذهبي أو الكلامي أو الصوفي العرفاني - و هو من التفسير الباطني في مصطلحهم - و كذلك اللغوي و الأدبي و ما شاكل. و هناك من جمع بين هذه الأبعاد المتنوعة، فجاء تفسيره جامعا لمختلف الجوانب التي تعرّض لها المفسرون المتخصّصون.

و قد شاع هذا النمط الجامع من التفسير في العصور المتأخّرة، فكانت تفاسير جامعة بين العقل و النقل، مضافا إليه جانب أدب القرآن، أمثال تفسير أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - من أكبر علماء القرن السادس - و بحق أسمى تفسيره ب «مجمع البيان»؛ حيث كان من أحسن التفاسير و أجمعهن لمختلف جوانب القرآن الكريم. و هكذا تفسير أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - من علماء القرن السابع - المسمّى ب «الجامع لأحكام القرآن»، فإنه تفسير جامع نافع، و غيرهما كثير، و سنتعرّض لها.

و أما التفاسير المقتصرة على مجرد النقل فأقدمها من حيث البسط و الشمول تفسير «جامع البيان» تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفّى سنة (٣١٠)، ثم «الدرّ المنثور» لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفّى سنة (٩١١)، و بعدهما تفسير «نور الثقلين» لعبد علي بن جمعة العروسي الحويزي المتوفّى سنة (١٠٩١) و «البرهان في تفسير القرآن» للسيد هاشم بن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩

سليمان البحراني التوبلي الكتكاني المتوفّى سنة (١١٠٩)، و هذان اقتصرًا على المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام. و قد زاد عليهما و بسط الكلام في هذا النوع من التفسير المولى صالح البرغانى القزويني المتوفّى سنة (١٢٩٤)، له تفسير كبير معتمد على المأثور من أحاديث أهل البيت عليهم السّلام.

و أما المناهج التفسيرية التي يسلكها المفسر و يتّجه نحوها في تفسيره للآيات القرآنيّة، فتختلف حسب اختلاف اتجاهات المفسرين و أذواقهم، و أيضا حسب معطياتهم و مواهبهم في العلوم و المعارف و أنحاء الثقافات، فمنهم من لا يعدو النقل، معتقدا أن لا سبيل للعقل في تفسير كلامه تعالى، و منهم من أجاز للعقل التدخّل فيه، و يرى للرأي و النظر و الاجتهاد مجالا واسعا في التفسير؛ حيث قوله تعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» ١ و قوله تعالى:

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ فالتدبر في القرآن، و التفكير حول آياته و مفاهيمه مجال واسع، قد فتح القرآن ذاته أبوابه بمصراعين. غير أن بعضهم أسرف في التعقل، و ربما التحق بالتوهم المتكلف فيه. و على أى تقدير، فالمنهج الذى انتهجه المفسرون إما نقلى أو اجتهادى. و قد عرفنا سبيل النقلى و اعتماده على المأثور من الآراء و الأقوال، إما مع شىء من البيان و التوضيح، كما سلكه أبو جعفر الطبرى، أو مجرد النقل من غير نظر و بيان، كالذى انتهجه جلال الدين السيوطى و السيد البحرانى. و أما النظرى الاجتهادى فمعمده إما مجرد الرأى الخاص حسب عقيدته (١) محمد / ٢٤. (٢) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠  
 و مذهبه، فهذا كأكثر تفاسير أهل الباطن. أو مجموعة مصادر التفسير من المنقول و المعقول، و هذا هو الشائع من التفاسير المعتمدة الدارجة بين المسلمين، منذ العهد الأول و لا يزال. و لنذكر هذين النمطين من التفسير، اللذين بدئ بهما منذ أول يومه، و نذكر شيئا من آفاتها. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١

## النمط الأول التفسير بالمأثور

### إشارة

يعتمد التفسير النقلى أو التفسير بالمأثور على ما جاء فى القرآن نفسه من البيان و التفصيل أولا، ثم على ما نقل عن المعصوم: النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو الأئمة من خلفائه المرضيين عليهم السلام ، و بعده على المأثور من الصحابة الأخيار و التابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم، مما جاء بيانا و توضيحا لجوانب أبهم من القرآن. و كان إدراج ما روى عن التابعين فى التفسير بالمأثور، من جهة أن أقدم كتب التفسير بالمأثور كتفسير ابن جرير و غيره اعتمد على أقوال التابعين و آرائهم فى التفسير، على نحو اعتماده على المأثور من المعصوم. فنراهم قد أوردوا ما نقل عن التابعين إلى جنب المنقول عن الصحابة، بل إلى جنب أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و سائر الأئمة عليهم السلام. و لتكلم عن أنحاء التفسير بالمأثور، و مقدار صحته، و مدى اعتباره، فى التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢ عالم التفسير:

## أنحاء التفسير بالمأثور

### ١- تفسير القرآن بالقرآن

لا شك أن أتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه؛ لأنه ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض «١»- كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - حيث ما جاء منه مبهما فى موضع منه، قد جاء مفسِّلا و مبينا فى موضع آخر، بل و فى القرآن تبيان لكل شىء جاء مبهما فى

الشريعة، فلأن يكون تبياناً لنفسه أولى.

و من ذلك جاء

قولهم: «القرآن يفسر بعضه بعضاً»

كلام معروف.

و تفسير القرآن بالقرآن على نمطين: منه ما أبهم في موضع و بين في موضع آخر - فكان أحدهما متناسباً مع الآخر تناسباً معنوياً أو لفظياً - كما في قوله تعالى:

حم. وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ «٢» و قد جاء تبين هذه الليلة المباركة بليلة القدر في سورة القدر: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «٣» و قد بين في سورة البقرة أنها وقعت في شهر رمضان: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «٤».

فقد تبين من مجموع ذلك: أن القرآن نزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان.

و من ذلك أيضاً قوله تعالى: (١) نهج البلاغة، خ ١٣٣، ص ١٩٢ (صباحي صالح).

(٢) الدخان / ١ - ٣.

(٣) القدر / ١.

(٤) البقرة / ١٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ. وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ «١» ما هذه الحيلولة و كيف هي، و هو تهديد لاذع بأولئك الزائفين المتمردين عن الشريعة و الدين.

و هذا الإبهام يرتفع عند مراجعته قوله تعالى: وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ. أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ «٢». فعرفنا أنها نسيان الذات، فالذي يجعل من شريعة الله وراء ظهره، إنما حرم نفسه و نسي حظه، فقد تاه في غياهب ضلالة الجهل و العمى.

و هكذا قوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا. وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ الْأَرْضِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ «٣» ما هو المقصود من «الأرض» هنا في هذه الآية، و كيف يقع نقصانها؟

أما الأرض فالمقصود منها هو العمران منها، و ليس المراد هي الكرة الأرضية.

و يشهد لذلك قوله تعالى بشأن المحاربين المفسدين في الأرض: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا. أَوْ يُصَلَّبُوا. أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ. أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ. ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ «٤». فَإِنَّ النِّفْيَ مِنَ الْأَرْضِ، يراد به الإبعاد عن العمران ليظل حيراناً بين البراري و القفار.

أما كيف يقع النقصان؟

فقد فسره الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام و كذا ولده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بفقد العلماء، و أن عمارة الأرض (١) الأنفال / ٢٤.

(٢) الحشر / ١٩.

(٣) الرعد / ٤١.

(٤) المائدة / ٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤

سوف تزول و تندثر عند ذهاب علمائها و خيار أهلها

، و هكذا ورد تفسير الآية بذلك عن ابن عباس «١».

و من هذا النمط أيضا قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا «٢».

ما هذه الأمانة التي كان الإنسان صالحا لحملها، دون سائر المخلوق؟

فجاءت آية أخرى تفسرها بالخلافة: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً «٣».

ثم ما هذه الخلافة التي منحت للإنسان، و حظى بها هذا المخلوق دون سائر الخلق؟

كانت آية ثالثة تفسر الخلافة بقدرة الإبداع و إمكان التصرف في ساحه الوجود: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ «٤» وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا «٥» فقدره الإنسان التسخيرية و إمكان تصرفه في عالم الوجود، علوه و سفله، هي قدرته الإبداعية التي تمثل قدرة الله الحاكمة على عالم الوجود بذاته المقدسة.

فجاءت كل آية تفسر أختها، و القرآن يفسر بعضه بعضا. (١) راجع: تفسير البرهان للبحراني، ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٢) الأحزاب / ٧٢.

(٣) البقرة / ٣٠.

(٤) لقمان / ٢٠.

(٥) الجاثية / ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥

و النمط الآخر من تفسير القرآن بالقرآن، كان ما جاء فيه البيان غير مرتبط ظاهرا لا- معنويا و لا لفظيا مع موضع الإبهام من الآية الأخرى، سوى إمكان الاستشهاد بها لرفع ذلك الإبهام.

مثال ذلك، آية السرقة؛ حيث أبهم فيها موضع قطع اليد،

فقد بين الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام أنه من موضع الأشاجع (مفصل أصول الأصابع) مستشهدا لذلك بقوله تعالى: وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا «١» حيث إن السارق إنما جنى على نفسه؛ فتعود عقوبته إلى ما يمسه من الأعضاء، و بما أن مواضع السجود لله تعالى، لا يشركه فيها أحد، و راحة الكف من مواضع السجود لله، فلا موضع للقطع فيها «٢».

و جميع الآيات التي بظاهرها التشبيه، يفسرها قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ «٣» حيث إنها تنفي التشبيه على الإطلاق، فلا بد هناك في آيات التشبيه من تأويل صحيح

## ٢- تفسير القرآن بالسنة

لا شك أن مجموعة أحكام الشريعة و فروع مسائلها، جاءت تفاصيل عمّا أبهم في القرآن و أجمل من عموم و إطلاق. و هكذا ما ورد في لسان المعصوم و فعله و تقريره، بيانا لمختلف أبعاد الشريعة، هي بيانات عمّا جاء في القرآن من (١) الجن / ١٨.

(٢) راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٣) الشورى / ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦

رءوس الأحكام و الأخلاق و الآداب.

قال الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «١». فقد كانت وظيفة النبي الأساسية هي بيان و تبين ما جاء في الذكر الحكيم، و كل ما صدر عنه في بيان أبعاد الشريعة، فإنما هو تفسير للقرآن الكريم.

هذا فضلا عمّا سئل عن معاني القرآن، حيثما أبهم على الصحابة، فبينه لهم في شرح و تبين، على ما أسلفنا في الكلام عن التفسير

المأثور عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وهكذا ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام تفسيراً لما أبهم أو تفصيلاً لما أجمل في القرآن الكريم. وقد تكلمنا عن دور أهل البيت في التفسير في فصل خاص.

### ٣- تفسير القرآن بقول الصحابي

و نحن قد تكلمنا عن قيمة تفسير الصحابي الذي تربى في أحضان الرسالة، وقد أخذ العلم مباشرة من منهله العذب السائغ، و كان ممن تفقه على يده الكريمة، و تحت هديه و إرشاده المستقيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلا بدّ أنّهم- أي صحابته الأخيار- أقرب الناس فهما إلى معاني القرآن الحكيم، و أهداهم إلى معالمه الرشيدة.

هذا ابن مسعود يقول: «كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات، لم يجاوزهنّ حتى (١) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧

يعلم معانيهنّ و العمل بهنّ» (١).

و هذا

الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: «و إنما هو تعلّم من ذى علم ... علم علمه الله نبيّه فعلمنيه و دعا لى بأن يعيه صدرى و تضطّم عليه جوانحى» (٢).

إلى غير ذلك من تصريحات تنبؤك عن مدى حرصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على تعليم صحابته و تثقيفهم الثقافة الإسلامية القرآنية الكاملة.

### ٤- تفسير القرآن بقول التابعي

لا- شك أنّ التابعين هم أمسّ جانباً بأحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و العلماء من صحابته الأخيار، و كانوا أقرب فهما لمعاني القرآن الكريم؛ حيث قربهم بأصول معاني اللغة الفصحى غير المتحوّرة، الباقية على صفوها الأوّل، كما كانت الحوادث و الوقائع المقترنة بنزول الآيات، و الموجبة أحياناً للنزول، كانت تلك الحوادث و الأسباب و الموجبات فى متناولهم القريب، كما كان باب الفهم و السؤال لديهم مفتوحاً، و بالتالى كان باب العلم بأسباب النزول و فهم معاني القرآن و السؤال عن مواضع الإبهام فيه منفتحاً لهم بمصرعين، الأمر الذى لم يحظ بها من تأخر من أرباب التفسير.

هذا، و مع ذلك إنّما نعتبر قول التابعى شاهداً و مؤيداً، و ليس حجّة على الإطلاق، كما كان حديث المعصوم عليه السّلام حجّة برأسه، أو قول الصحابي بالنسبة و فى الغالب الأكثر حجّة معتبرة، فإنّما يقع قول التابعى فى الدرجة الثالثة من (١) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٢٧ و ٣٠.

(٢) نهج البلاغة، خ ١٢٨، ص ١٨٦ (صبحى صالح).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨

الاعتبار، و ليس على إطلاقه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩

## إشارة

علمنا أن التفسير النقلي يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة، وما كان موقوفاً على الصحابة، أو المروى عن التابعين. أما تفسير القرآن بالقرآن بعد وضوح الدلالة، أو بما ثبت من السنة الصحيحة فذلك مما لا خلاف فيه ولا شك يعتريه؛ لأنه من أحسن الطرق إلى فهم معاني كلامه تعالى، و أمتنها و أتقنها.

و أما ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وآله و سلم أو إلى أحد الأئمة الأطهار، و كان في سنده ضعف أو في متنه وهن، فذلك مردود غير مقبول، ما دام لم تصح نسبته إلى المعصوم.

و أما تفسير القرآن بالمروى عن الصحابة و التابعين، فقد تسرب إليه الخلل، و تطرق إليه الضعف و الوهن الكثير، إلى حدّ كاد يفقدنا الثقة بكل ما روى من ذلك- كما قال الأستاذ الذهبي «١»- حيث و فره أسباب الضعف و الوهن في ذلك الخضمّ من المرويّات، في كتب التفسير المعزّوة إلى الصحابة و التابعين. و قد (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٥٦.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠

خلط سليمها بسقيمها؛ بحيث خفى وجه الصواب.

و لقد كانت كثرة المروى من ذلك كثرة جاوزت الحدّ، و بخاصّة ما إذا وجدنا التناقض و تضارب الأقوال، و كثيراً ما تضادّ ما نسب إلى شخص واحد، كالمرويّات عن ابن عباس، كان ذلك من أكبر عوامل زوال الثقة بها أو بالأكثرية الساحقة منها، الأمر الذي يستدعى التثبت لديّها، و إمعان النظر و البحث و التمحيص.

هذا الإمام أحمد بن حنبل يصرّح بأنه لم يثبت في التفسير شيء، يقول: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، و الملاحم، و التفسير. قال المحققون من أصحابه:

مراده أنّ الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متّصلة «١».

و هذا الإمام محمد بن إدريس الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلّا شبيه بمائة حديث «٢». مراده: عدم صحّة الإسناد إليه في الكثير من المرويّات عنه.

و هذا الكلام، و إن كان مبالغاً فيه، إلّا أنّه يدلّنا على مبلغ ما دخل في التفسير النقلي من الروايات المكذوبة المصطنعة، فضلاً عن الضعاف و المراسيل.

و على أيّ تقدير فأسباب الوهن في التفسير النقلي تعود إلى الأمور الثلاثة التالية:

أولاً: ضعف الأسانيد و إرسالها أو حذفها رأساً؛ مما يوجب القدح في التفسير بالمأثور.

و ثانياً: كثرة الوضع و الدسّ و التزوير في الحديث و التفسير، بما أوجب (١) الإلتقان، ج ٤، ص ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١

زوال الثقة به.

و ثالثاً: و فره الإسرائيليات في التفسير و التاريخ بما شوّه وجه التفسير.

و لتتكلّم عن هذه الأمور الثلاثة في شيء من التوضيح:

## ١- ضعف الأسانيد

مما أوجب الوهن في وجه التفسير النقلي، ضعف الأسانيد بكثرة المجاهيل أو ضعاف الحال أو الإرسال أو حذف الإسناد رأساً، و ما إلى ذلك مما يوجب ضعف الطريق في الحديث المأثور.



هذا إذا كنا نرافق علماء الأصول- أصول الفقه- في أساليبهم في توثيق الأسانيد أو تضعيفها، وجرينا معهم على غرار ما نجرى في فقه الأحكام، و ملاحظة شرائط استنباطها من دلائل الكتاب و السنة. فإن كانت الشرائط هناك تجرى هنا- في باب التفسير- أيضا، كانت نفس الأساليب واجبة الأتباع، غير أن باب التفسير يختلف عن الفقه اختلافا في الجذور.

الفقه: استنباط أحكام و تكاليف ترجع إلى عمل المكلفين، إما فعلا- أو تركا، إلزاما أو رجحانا. فلا بد للفقيه من أن يستوثق في الاستنباط، و يبنى الفروع على أصول متينة. و الاستيثاق و الاطمئنان إنما يحصلان بحصول الظن الغالب المعتبر شرعا و عقلايا؛ فيجب عليه اتباعه، و إن لم يحصل له القطع و اليقين؛ لأنّ ظنه هذا حجّة معتبرة.

أما التفسير- و كذا التاريخ- فليس الأمر كذلك؛ حيث طريق الاستيثاق و الحجية تختلف أساليبه عن أساليب الفقه. إذا لا حجية تعبدية هنا، كما كانت حجّة تعبدا هناك. فإنّ دليل التعبد قاصر الشمول هنا؛ إذ لا عمل يوجب التعبد فيه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢

إنما هو عقيدة و ركون نفس، إن حصلت أسبابه حصل، و إلّا فلا، و لا معنى للتعبد في العقيدة و الرأي أو في وقوع حادثه أو عدم وقوعها.

مثلا: لا معنى للتعبد بأن تفسير الآية الفلانية كذا؛ إذ التفسير: كشف القناع عن وجه اللفظ المبهم، فإن ارتفع الإبهام و انكشف المعنى، أصبح موضع القبول و الإذعان به، و إن لم يرتفع الإبهام، فلا موضع للقبول و الإذعان تعبدا محضا.

و هذا نظير الأحداث التاريخية، إنما يذعن بها إذا حصل الاطمئنان الشخصي بوقوعها من أى سبب كان، و لا يمكن التعبد بوقوع حدث تاريخي إطلاقا.

و هذا معنى قولهم: لا اعتبار بالخبر الواحد في باب التفسير و التاريخ و العقائد؛ إذ لا يوجب علما و لا عملا، حيث المطلوب في هذه الأبواب هو العلم، الذي لا يحصل بخبر الواحد بمجرد، كما لا عمل- فعلا أو تركا- هنا، كى يستدعى الخبر الواحد التعبد به. و من ثمّ اختص باب التعبد في اعتبار الخبر الواحد بالفقه؛ حيث العمل هناك محضا.

إذن فما قيمة الحديث- الخبر الواحد- في باب التفسير و كذا التاريخ؟ الأمر الذي يجب الإمعان فيه: قيمة الخبر الواحد في باب التفسير و التاريخ إنما هي بملاحظة المتن الوارد فيه، دون مجرد السند. فإن كان مضمون الخبر- و هو محتوى الحديث الوارد- ما يعالج دفع مشكلة إبهام في الأمر، فنفس المتن شاهد على صدقه، و إلّا فلا دليل على التعبد به.

فالحديث المأثور عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أو عن أحد الأئمة عليهم السلام أو أحد الصحابة العلماء أو التابعين الكبار، إن كان يزيد في معرفه أو يرفع من إبهام في اللفظ أو المعنى فهو شاهد صدقه؛ ذلك أنهم أعرف بمواضع النزول و أقرب تناولا فيه؛ حيث قرب عهدهم به، أو أنهم حضروا الحادثة فنقلوها.

و للعلاء طريقتهم في قبول خبر الثقة بل من لم يظهر فسقه علانية

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣

فيعتمدونه؛ و عليه جاء قوله تعالى: **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** «١»، فقد أقرّ العقلاء على قبولهم للنبا ما لم يكن الآتى به متجاهرا بالفسق، ممن لا يتورّع الكذب، و لا يخاف الله في سرّه و علانيته.

فمن عرف بالصدق و الأمانة قبل نبؤه، و من عرف بالكذب و الخيانة ترك، و من كان مجهولا تريتنا، فإن ظهرت منه دلائل الصدق قبلناه و إلّا رفضناه.

إذن فشرط قبول الخبر احتفاهه بقرائن الصدق: من وجوده في أصل معتبر، و كون الراوى معروفا بالصدق و الأمانة، و على الأقل غير معروف بالكذب و الخيانة، و سلامة المتن و استقامته، مما يزيد علما أو يزيل شكّا. و أن لا يخالف معقولا أو منقولا ثابتا في الدين و الشريعة، الأمر الذي إذا توفّر في حديث أو جب الاطمئنان به و إمكان ركون النفس إليه؛ و عليه فلا يضّرّه حتى الإرسال في السند إن

وجدت سائر شرائط القبول

## ٢- الوضع في التفسير

### إشارة

كان الوضع و التزوير من أهم أسباب الوهن في التفسير المأثور. فقد كانت الدواعي متوفرة للدس و الاختلاق في المأثور من التفسير، إلى جنب الوضع في الحديث، فهناك أسباب سياسية و أخرى مذهبية و كلامية، و ربما عاطفية، كانت عن قصور النظر لا عن سوء نية. و العمدة أن القرآن كان المحور الأساسي الذي يدور عليه رحي الدين و السياسة و السلوك آنذاك، فلا بد لكل منتحلي مسلك من المسالك أن يتشبت بعري القرآن، و يجعل من آياته الكريمة وسيلة ناجعة، لبلوغ (١) الحجرات / ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤

أهدافه إن خيرا و إن شرا، الأمر الذي جعل من سوق الكذب و التزوير في التفسير و الحديث رابحة ذلك العهد. و قد بدئ ذلك على يد معاوية، حيث كان يجعل الجعائل على وضع الحديث أو قلبه تمشية لسياسته الغاشمة ذلك الحين «١»، و راج ذلك طول عهد الأمويين و بعدهم العباسيين؛ حيث أخذ بالتوسع و الاطراد.

قال الأستاذ الذهبي: و كان مبدأ ظهور الوضع في سنة إحدى و أربعين بعد وفاة الإمام أمير المؤمنين حين اختلف المسلمون سياسيا، و تفرقوا شيعا، و وجد من أهل البدع و الأهواء من روجوا لبدعهم و تعصّبوا لأهوائهم. و دخل في الإسلام من تبطن الكفر و التحف الإسلام بقصد الكيد له و تضليل أهله. فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة ليصلوا بها إلى أغراضهم السيئة و رغباتهم الخبيثة «٢».

قال الأستاذ أبو ريّة: و قد أجمع الباحثون و العلماء المحققون، على أن نشأة الاختراع في الرواية و وضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إنما كان في أواخر عهد عثمان و بعد الفتنة التي أودت بحياته، ثم اشتد الاختراع و استفاض بعد مبايعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعه تامّة، حتى ذرّ قرن الشيطان الأموي ليغتصب الخلافة من صاحبها، و يجعلها حكما أمويا. و قد كان و أسفاه! «٣» و في ذلك يقول الإمام الشيخ محمد عبده: و توالى الأحداث بعد الفتنة (١) راجع: شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٣، و سيأتي ذلك عند الكلام عن الوضع للسياسة.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٥٨.

(٣) أضواء على السنة المحمدية، ص ١١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥

الكبرى، و نقض بعض المبايعين للخليفة الرابع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما عقدوا، و كانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين! غير أن بناء الجماعة قد انصدع، و انفصمت عرى الوحدة بينهم، و تفرقت بهم المذاهب في الخلافة، و أخذت الأحزاب في تأييد آرائهم، كل ينصر رأيه على رأى خصمه بالقول و العمل، و كانت نشأة الاختراع في الرواية و التأويل، و غلا كل قبيل «١».

### أهم أسباب الوضع

ذكروا لوضع الحديث و الكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على أصحابه الخيار و الأئمة الأطهار أسبابا كثيرة، نأتى على أهمها:

١- ما وضعه الزنادقة اللابسون لباس الإسلام غشا و نفاقا، و قصدهم بذلك إفساد الدين و إيقاع الخلاف و الافتراق بين المسلمين. قال حماد بن زيد:

وضعت الزنادقة أربعة آلاف حديث. قال أبو رية: هذا بحسب ما وصل إليه علمه و اختباره في كشف كذبها «٢»، و إلا فقد أكثر الزنادقة من وضع الأحاديث في أعداد هائلة. فهذا عبد الكريم بن أبي العوجاء- و كان خال معن بن زائدة و ربيب حماد بن سلمة، و كان يدس الأحاديث في كتب حماد- فلما أخذ و أتى به إلى محمد بن سليمان بن علي، فأمر بضرب عنقه لزندقته، فلما أيقن بالقتل قال: و الله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال و أحل فيها الحرام. (١) رسالة التوحيد، (ط ١)، ص ٧-٨.

(٢) الأضواء، ص ١٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦

و لقد فطرتكم في يوم صومكم و صومتمكم في يوم فطركم. فهذا زنديق واحد يضع آلاف حديث، فكيف بغيره و هم كثيرون. و أيضا روى حماد بن زيد عن جعفر بن سليمان، قال: سمعت المهدي يقول: أقرّ عندى رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمئة حديث، فهي تحوّل في أيدي الناس.

كما روى ابن الجوزي بإسناده إلى حماد بن زيد، يقول: وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أربعة عشر ألف حديث «١».

و أخرج جلال الدين السيوطي بإسناده إلى ابن مبارك، أنه قال بشأن حديث فضائل السور المعزوة إلى أبي بن كعب: أظنّ الزنادقة وضعت «٢»؛ و ذلك تشويها لسمعة القرآن الكريمة.

و ذكر ابن الجوزي أن جماعة من الكذابين ندموا على كذبهم و تنصّلوا من ذلك. فقد حدّث عن أبي شيبة، قال: كنت أطوف بالبيت و رجل من قدامي يقول:

اللهم اغفر لي، و ما أراك تفعل! فقلت: يا هذا قنوطك أكثر من ذنبك؟! فقال:

دعني، فقلت: أخبرني، فقال: إني كذبت على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خمسين حديثا، و طارت في الناس، ما أقدر أن أردّ منها شيئا و قال ابن لهيعة: دخلت على شيخ و هو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: وضعت أربعمئة حديث أدرجتها إدراجا مع الناس، فلا أدري كيف أصنع؟! «٣» (١) الموضوعات لابن الجوزي، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

(٢) اللتالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعه، ج ١، ص ٢٦٧، و راجع: الموضوعات، ج ١، ص ٢٤١.

(٣) الموضوعات، ج ١، ص ٤٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧

٢- الوضع لنصرة المذاهب في أصول الدين و فروعها. فإنّ المذاهب و الآراء لما تشعبت، جعل كل فريق يستفرغ ما بوسعه لإثبات مذهبه و دعم عقيدته، لا- سيّما بعد ما فتح باب المجادلة و المناظرة في المذاهب و الآراء. و لم يكن المقصود من ذلك إلا إفحام الجانب الآخر مهما بلغ ثمن ذلك، و لو بالحطّ من كرامة الدين.

فقد روى ابن الجوزي بإسناده إلى الدارقطني عن أبي حاتم ابن حبان، قال:

سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت محمد بن أحمد بن الجنيدي يقول:

سمعت عبد الله بن يزيد المعري يقول عن رجل من أهل البدع رجع عن بدعته، فجعل يقول: انظروا هذا الحديث ممّن تأخذونه، فإنّا كنّا إذا رأينا رأيا جعلنا له حديثا.

و بإسناده إلى ابن لهيعة قال: سمعت شيئا من الخوارج تاب و رجع، و هو يقول: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم، فإنّا كنّا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا. و عن آخر، قال: كنّا إذا اجتمعنا استحسنا شيئا جعلناه حديثا «١».

قال أبو رية: و ليس الوضع لنصرة المذاهب محصورا في المبتدعة و أهل المذاهب في الأصول، بل إن من أهل السنة المختلفين في الفروع من وضع أحاديث كثيرة لنصرة مذهبه أو تعظيم إمامه.

من ذلك ما رواه الأحناف، قدحا في الشافعي و مدحا لأبي حنيفة،

بإسناد رفعوه إلى أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: «يكون في أمتي رجل يقال له: محمد بن إدريس، أضّر على أمتي من إبليس. و يكون في أمتي رجل يقال له: أبو حنيفة، هو سراج أمتي». (١) الموضوعات، ج ١، ص ٣٨ - ٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨

و قد رواه الخطيب مقتصرًا على ما ذكره في أبي حنيفة، و قال: موضوع وضعه محمد بن سعيد المروزي البورقي، و هكذا حدّث به في بلاد خراسان ثم حدّث به في العراق، و زاد فيه:

«و سيكون في أمتي رجل يقال له: محمد بن إدريس، فتنته أضّر على أمتي من فتنة إبليس».

قال أبو رية: و هذا الإفك مما لا يحتاج إلى بيان بطلانه، و مع هذا تجد فقهاء الأحناف المعترين يذكرون في كتبهم الفقهيّة شقّ الحديث الذي يصف أبا حنيفة بأنه سراج الأئمة و يسكنون إليه، بل يستدلّون به على تعظيم إمامهم على سائر الأئمة.

الأمر الذي اضطرّ الشافعية إزاء ذلك أن يضعوا في إمامهم حديثًا يفضّلونه على كل إمام، و هذا نصّه:

«أكرموا قريشا فإنّ عالمها يملأ طباق الأرض علما».

و أنصار الإمام مالك لم يلبثوا أن وضعوا في إمامهم هذا

الحديث: «يخرج الناس من المشرق إلى المغرب، فلا يجدون أعلم من عالم أهل المدينة»

. و أحاديث مشابهة وضعوها بهذا الشأن (١).

هذا فضلا عن الدسّ و التزوير في الأحاديث لنصرة المذهب.

هذا أبو العباس القرطبي - في شرح صحيح مسلم - يقول: أجاز بعض فقهاء أهل الرأي، نسبة الحكم الذي دلّ عليه القياس الجليّ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ نسبة قولية. فيقولون في ذلك: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: كذا و كذا؛ و لهذا

نرى كتبهم مشحونة بأحاديث تشهد متونها بأنها موضوعة؛ لأنها تشبه فتاوى الفقهاء، (١) أضواء على السنة المحمّدية، ص ١٢٢. و راجع: الغدير (ج ٥، ص ٢٧٧ - ٢٨٨) للعلامة الأميني تجد فضلا مشبعا بهذه المدسوسات من المناقب و المكرمات.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩

و لا تليق بجزائه كلام سيّد المرسلين، كما لا يقيمون لها أسنادا.

قال أبو شامة في مختصر كتابه «المؤمل»: مما يفعله شيوخ الفقه في الأحاديث النبوية و الآثار المروية، كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة على ما يذهبون إليه، نصره لقولهم، و ينقصون في ألفاظ الحديث، و تارة يزيدون فيه. قال: و ما أكثره في كتب أبي المعالي و

صاحبه أبي حامد (١).

٣- شدة التهيب و زيادة الترغيب لأجل هداية الناس. فقد تساهل الوعّاظ و علماء الأخلاق في تصحيح ما يروونه بهذا الشأن، و ربما تنازل بعضهم فأجاز الاختلاق في ذلك، ما دام الغرض هو هداية الناس، و ليس إغواءهم. فقد كان الوضع لله، و بزر بعضهم ذلك

بأنه إنما كذب لرسول الله و لم يكذب عليه.

يقول أبو رية عن العباد و الصوفية: إنه راجت عليهم الأكاذيب و حدّثوا عن غير معرفة و لا بصيرة، فيجب أن لا يعتمد على الأحاديث التي حشيت بها كتب الوعظ و الرقائق و التصوّف، من غير بيان تخريجها و درجتها. و لا يختص هذا الحكم بالكتب التي لا يعرف

لمؤلفها قدم في العلم، ككتاب «نزهة المجالس» المملوء بالأكاذيب في الحديث و غيره. بل إن كتب أئمة العلماء ك «الإحياء للغزالي» لا تخلو من الموضوعات الكثيرة (٢).

قلت: و هكذا بعض كتب الوعظ و الإرشاد عندنا، ككتاب «الأنوار النعمانية» للسيد نعمه الله الجزائري، مملوء بالأكاذيب و المخاريق، و مثله كتاب «خزائن الجواهر» للشيخ علي أكبر النهاوندي فيه من المخاريق الطامات. و أيضا كتب (١) المختصر، ص ٢١، (الأضواء،

ص ١٢٢).

(٢) الأضواء، ص ١٢٢-١٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠

المقاتل و المراثي من المتأخرين، ككتاب «محرق القلوب» للمولى مهدي النراقي، و كتاب «أسرار الشهادة» لآقا بن عابد الدربندي المملوء بالأكاذيب و الطامات.

و أمثال هذه الكتب كثير مع الأسف، كتبتها أيدي أناس ضعاف العقول، ممن تساهلوا في أمر الدين، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، سامحهم الله.

أخرج ابن الجوزي بإسناده إلى محمود بن غيلان قال: سمعت مؤملاً يقول:

حدّثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروي عن أبي بن كعب. فقلت للشيخ: من حدّثك؟ قال: حدّثني رجل بالمدائن و هو حيّ، فصرت إليه. فقال: حدّثني شيخ بواسطة و هو حيّ، فصرت إليه. فقال: حدّثني شيخ بالبصرة، فصرت إليه. فقال:

حدّثني شيخ بعبادان، فصرت إليه. فأخذ بيدي فأدخلني بيتا فإذا فيه قوم من المتصوّفة و معهم شيخ. فقال: هذا الشيخ حدّثني. فقلت: يا شيخ من حدّثك؟

فقال: لم يحدّثني أحد، و لكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن «١».

و من ثمّ قال يحيى بن سعيد القطان: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث.

و أوله مسلم بأنّه يجري الكذب على لسانهم و لا يتعمدون الكذب «٢».

قال القرطبي في «التذكار» لا التفات لما وضعه الواضعون و اختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة و الأخبار الباطلة في فضل سور القرآن، و غير ذلك من فضائل الأعمال، و قد ارتكبتها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبه - كما زعموا - يدعون الناس إلى فضائل

الأعمال، كما روى عن أبي عصمة نوح بن أبي (١) الموضوعات، ج ١، ص ٢٤١. و اللئالي المصنوعة للسيوطي، ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) مقدمة صحيح مسلم؛ الحديث، رقم ٤٠، ج ١، ص ١٣-١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١

مريم المروزي و محمد بن عكاشة الكرمانى، و أحمد بن عبد الله الجوبيارى، و غيرهم. قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بفقّه أبي حنيفة و مغازى محمد

بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبه! و قال: قد ذكر الحاكم و غيره من شيوخ المحدثين: أن رجلا من الزهاد انتدب في وضع أحاديث في فضل القرآن و سورة. فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال:

رأيت الناس زهدوا في القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه! فقيل له: فإن

النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

فقال: أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له.

قال تحذيرا من الأحاديث الموضوعّة: و أعظمهم ضررا، قوم منسوبون إلى الزهد، وضعوا الحديث حسبه! فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم و ركونا إليهم، فضلوا و أضلّوا «١».

و هذا ميسرة بن عبد ربّه - كان كذابا و ضاعا - وضع في فضل قزوين أربعين حديثا. قال أبو زرعة: كان يقول: إني أحسب في ذلك. و قال ابن الطبايع: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من قرأ كذا فله كذا»؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه. و قد وصفه جماعة

بالزهد.

و هكذا كان الحسن - الراوى عن المسيّب بن واضح - ممن يضع الحديث حسبه.

و كان نعيم بن حماد يضع الحديث في تقوية السنّة «٢». (١) التذكار للقرطبي، ص ١٥٥-١٥٦. (الغدِير، ج ٥، ص ٢٧٥-٢٧٦).

(٢) راجع: الغدير، ج ٥، ص ٢٦٨ و ٢٦٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢

و كان الهيثم الطائي يقوم عامّة الليل بالصلاة، فإذا أصبح يجلس و يكذب، و أمثاله كثير من الزهاد كانوا من الوضّاعين حسبّة لله فيما زعموا «١».

قال ابن الجوزي: منهم قوم وضعوا الأحاديث في الترغيب و التهيب؛ ليحثوا الناس بزعمهم على الخير و يذروهم عن الشرّ. و هذا تعاط على الشريعة، و مضمون فعلهم أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى تتمّة، فقد أتممناها. ثم أسند إلى أبي عبد الله النهاوندي، قال: قلت لغلام خليل: هذه الأحاديث التي تحدّث بها من الرقائق؟ فقال: وضعناها لترقق بها قلوب العامّة. و كان غلام خليل هذا يتزهد و يهجن شهوات الدنيا و يتقوّت الباقلاء تصوّفًا. و غلقت أسواق بغداد يوم موته «٢».

٤- وضع الحديث تزلفا لدى الأمراء. كان بعض ضعفاء النفوس من المحدّثين الضعيفي الإيمان يتزلفون لدى الأمراء و السلاطين، بوضع أحاديث تروقهم، أو تشيد من شناعاتهم في السياسة و الحكم.

كان الرشيد يعجبه الحمام و اللّهُو به، فأهدى إليه حمام، و عنده

أبو البختری القاضي «٣»، فقال: روى أبو هريرة عن النبي أنه قال: لا سبق إلّا في خفّ أو حافر أو جناح. فزاد جناح

. و قد وضعها تزلفا لدى الرشيد، فأعطاه جائزة ستيّة. و لمّا (١) و قد أفرد العلامة الأميني فصلا أورد أسماءهم فيه (الغدِير، ج ٥، ص ٢٧٥-٢٧٧).

(٢) الموضوعات، ج ١، ص ٣٩-٤٠.

(٣) أبو البختری، و هب بن و هب، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولّاه القضاء بعسكر المهدي (المحلّة المعروفة بالرصافة بالجانب الشرقي من بغداد) ثم عزله و ولاه القضاء بمدينة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بعد بكار بن عبد الله الزبيري، و جعل إليه ولاية حربها، مع القضاء. ثم عزله، فقدم بغداد و أقام بها إلى أن هلك سنة ٢٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣

خرج قال الرشيد: و الله لقد علمت أنّه كذاب، و أمر بالحمام أن يذبح. فقيل له:

و ما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم «١». و حكى ابن الجوزي نظير هذه القصة لغيث بن إبراهيم بمحضر المهدي العباسي «٢».

و هكذا

حدّث الرشيد: أن جعفر بن محمد حدّثه عن أبيه: أنّ جبرائيل نزل على النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و عليه قباء أسود و منطقة. و إنّما قال ذلك؛ لأن ذلك كان شعار العباسيين. فدخل يحيى بن معين، فقال له: كذبت يا عدوّ الله، و قال للشرطيّة خذوه ... فقال فيه المعافي التيمي:

ويل و عول لأبي البختری إذا توافى الناس في المحشر

من قوله الزور و إعلانه بالكذب في الناس على جعفر

إلى آخر الأبيات، و هي مشهورة. و لما بلغ ابن المهدي موته قال: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه «٣».

و

روى ابن الجوزي عن زكريا بن يحيى الساجي، قال: بلغني أن أبا البختری دخل على الرشيد- و هو قاض- و هارون إذ ذاك يطير الحمام، فقال: هل تحفظ في هذا شيئا؟ فقال: حدّثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: «إن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم كان

يطير الحمام». فقال هارون: أخرج عني. ثم قال: لو لا أنه رجل من قريش لغزله.

قال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل أبي البختری، و اسمه وهب بن (١) راجع: تفسير القرطبي (المقدمة)، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

(٢) الموضوعات، ج ١، ص ٤٢.

(٣) لسان الميزان لابن حجر، ج ٦، ص ٢٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤

وهب. كان من كبار الوضّاعين «١».

و

روى حديث القباء الأسود، قال: لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَبَاءِ أُسُودٍ وَ مَنْطِقَةٍ. فقال أبو البختری: «حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: نزل جبرئيل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ عَلَيْهِ قَبَاءُ أُسُودٍ وَ مَنْطِقَةٍ، محتجزا فيها بخنجر».

قال يحيى بن معين: وقفت على حلقة أبي البختری و هو يحدث بهذا الحديث، مسندا عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر. فقلت له: كذبت يا عدوّ الله، على رسول الله. قال: فأخذني الشرط. فقلت: هذا يزعم أن رسول رب العالمين نزل على النبي و عليه قباء. فقالوا لي: هذا و الله قاصّ كذاب. و أفرجوا عني «٢».

و الأحاديث في أولاد العباس و ملكهم، و لا سيّما الزيّ العباسي الذي تزيا به جبرائيل، كثيرة، أوردها ابن الجوزي في موضوعاته و فنّدها خير تفنيد فراجع «٣».

٥- الوضع نزولا- مع سياسة الطغاة. كان معاوية أول من وضع سياسته على وضع الأحاديث و قلبها، تمشيئ مع أهدافه المرتدلة، في التغلب على واقع الإسلام الرفيع.

قال الأستاذ أبو ريّة: لا بد لنا أن نكشف عن ناحية خطيرة من نواحي الوضع في الحديث، كان لها أثر بعيد في الحياة الإسلامية، و لا يزال هذا الأثر يعمل عمله (١) الموضوعات، ج ٣، ص ١٢.

(٢) الموضوعات، ج ٣، ص ٤٧-٤٨.

(٣) المصدر، ج ٢، ص ٣٠-٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥

في الأفكار العفنة و العقول المتخلفة و النفوس المتعصبة. ذلك أن السياسة قد دخلت في هذا الأمر، و أثرت فيه تأثيرا بالغا، فسخرته ليؤيدها في حكمها، و جعلته من أقوى الدعائم لإقامة بنائها.

و قد علا موج هذا الوضع السياسي و طغا ماؤه في عهد معاوية الذي أعان عليه و ساعده بنفوذه و ماله، فلم يقف وضاع الحديث عند بيان فضله و الإشادة بذكره، بل أمعنوا في مناصرته، و التعصّب له، حتى رفعوا مقام الشام الذي يحكمه إلى درجة لم تبلغها مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و لا البلد الحرام الذي ولد فيه. و أسرفوا في ذلك إسرافا كثيرا، و أكثروا حتى ألفت في ذلك مصنّفات «١».

و ذكر ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي: أن معاوية وضع قوما من الصحابة و قوما من التابعين، على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السّلام تقتضي الطعن فيه و البراءة منه، و جعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه. منهم: أبو هريرة، و عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبة، و من التابعين عروة بن الزبير.

روى الزهري أن عروة بن الزبير حدّثه، قال: حدّثني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذ أقبل العباس و علي. فقال: يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملّتي - أو قال - غير ديني.

و في حديث آخر عنه، قال: حدثني عائشة، قالت: كنت عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ إذ أقبل العباس و علي، فقال: يا عائشة، إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار، فانظري إلى هذين قد طلعا.

و أما

عمرو بن العاص فقد أخرج عنه البخارى و مسلم بإسناد متصل إليه، (١) الأضواء، ص ١٢٦-١٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦

قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ يقول: «إن آل أبي طالب ليسوا لى بأولياء. إنما وليي الله و صالح المؤمنين».

و

أما أبو هريرة فروى عنه الحديث الذى معناه: أن عليا عليه السّلام خطب ابنه أبى جهل فى حياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فأسخطه، فخطب، و قال: لاها الله، لا تجتمع ابنه ولى الله و ابنه عدو الله أبى جهل، إن فاطمة بضعة منى يؤذيها ما يؤذيها. فإن كان على يريد ابنه أبى جهل فليفارق ابنتى، و ليفعل ما يريد.

و أيضا

روى أبو جعفر عن الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة «١»، جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلته مرارا، و قال: يا أهل العراق، أتزعمون أنى أكذب على الله و على رسوله «٢» و أحرقت نفسى بالنار! و الله لقد سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ يقول: «إن لكل نبي حراما، و إن حرمى بالمدينة ما بين غير إلى ثور. فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين»، و أشهد أن عليا أحدث فيها

. فلما بلغ معاوية قوله أجازته و أكرمه و ولّاه إمارة المدينة «٣». (١) هو العام الذى نزل فيه الإمام السبط الأكبر عن الحكم لمعاوية الطاغية، حقنا لدماء المسلمين سنة ٤١. و سمّوه عام الجماعة. قال أبو ريّة: و هو فى الحقيقة كان عام التفرقة.

الأضواء- بالهامش- ص ٢١٦.

(٢) قال أبو ريّة: يبدو من هذا القول أن كذب أبى هريرة على النبي كان قد أشتهر من أول يومه حتى عم الآفاق. لأنه قال ذلك و هو بالعراق، و أن الناس جميعا كانوا يتحدثون عن هذا الكذب فى كل مكان. قلت: و لقد كان معروفا بالكذب قبل ذلك. روى ابن أبى الحديد فى الشرح (ج ٤، ص ٦٧-٦٨): أن عمر ضربه بالدرّة، و قال له: قد أكثرت من الرواية و أحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ.

(٣) راجع: شرح النهج لابن أبى الحديد، ج ٤، ص ٦٣-٦٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧

و أيضا روى عن شيخه أبى جعفر: أن معاوية بذل لسمره بن جندب- الرجل الوقح- مائة ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ «١» و أن الآية الأخرى نزلت فى ابن ملجم، و هى قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرَى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رُوْفٌ بِالْعِبَادِ «٢» فلم يقبل، فبذل له مائتى ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، و روى ذلك «٣».

نعم كان معاوية يرى لنفسه ما يضاهاى به عليا فى مثل مقامه و مرتبته، و من ثم كان يحاول الانتشال من مقامه الوضع ليتسنى له المقابلة مع مثل أمير المؤمنين عليه السّلام فكان يجعل الجعائل للوضع فى تفضيله و تفضيل بلاده التى كان يحكمها، و حاضرة ملكه، كان يجهد جهده فى ذلك.

قال أبو ريّة: و معاوية- كما هو معروف- أسلم هو و أبوه يوم فتح مكة، فهو بذلك من الطلقاء. و كان كذلك من المؤلفة قلوبهم



الذين كانوا يأخذون ثمننا لإسلامهم. و هو الذى هدم مبدأ الخلافة الرشيدة فى الإسلام، فلم تقم لها من بعده إلى اليوم قائمة. و قد اتخذ دمشق حاضرة لملكه، و قد وضعوا فيه و فى تفضيل الشام أحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نذكر منها:

أخرجه الترمذى أن النبى قال لمعاوية: اللهم اجعله هاديا مهديا

و .

فى حديث آخر أن النبى قال: (١) البقرة/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) البقرة/ ٢٠٧.

(٣) شرح النهج، ج ٤، ص ٧٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨

اللهم علمه الكتاب و الحساب و قه العذاب- و هناك زيادة:- و أدخله الجنة

. و على كثرة ما جاء فى فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها، فإن إسحاق بن راهويه و هو الإمام الكبير و شيخ البخارى قد قال: إنه لم يصح فى فضائل معاوية شىء «١».

و للعلامة الأمينى هنا مقال ضاف بشأن المغالاة فى فضائل معاوية، و قد أردفها بما ورد فى ذمه من أحاديث صحاح لا مغمز فى إسنادها، جعلنا فى غنى عن الكلام فيه هنا، فراجع «٢».

و هكذا ذكر الأستاذ أبو رية: أن إشادة كهان اليهود- يريد كعبا و أذنا به- إلى أن ملك النبى سيكون بالشام إنما هو لأمر حبيبى فى أنفسهم. و قد تبين أن الشام ما كان لينال من الإشادة بذكره و الثناء عليه، إلا لقيام دولة بنى أمية فيه، تلك الدولة التى قلبت الحكم من خلافة عادلة إلى ملك عضوض، و التى تحت كنفها و فى أيامها نشأت الفرق الإسلامية التى فتت فى عضد الدولة الإسلامية و مزقتها تمزيقا، و استفاض فيها وضع الحديث. فكان جديرا بكهنة اليهود أن ينتهزوا هذه الفرصة و ينفخوا فى نار الفتنة، و يمدوها بجيوش الأكاذيب و الكيد. و كان من هذه الأكاذيب أن بالغوا فى مدح الشام و أهلها، و أن الخير كل الخير فيه، و الشر كل الشر فى غيره «٣».

و مما قاله هؤلاء الكهنة بهذا الشأن: إن ملك النبى سيكون بالشام،

روى البيهقى فى الدلائل عن أبى هريرة- تلميذ كعب- مرفوعا: الخلافة بالمدينة (١) الأضواء، ص ١٢٨.

(٢) الغدير، ج ١٠، ص ١٣٨، فما بعد.

(٣) الأضواء، ص ١٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩

و الملك بالشام

. و عن كعب: أهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم ممن عصاه.

و من

حديث: ستفتح عليكم الشام، فإذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها: «دمشق»- و هى حاضرة الأمويين- فإنها معقل المسلمين فى الملاحم، و فسطاطها منها بأرض يقال لها: «الغوطة».

و قد جعلوا دمشق هذه، هى الربوة التى ذكرت فى القرآن الكريم:

وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ «١» و ذلك فى حديث مرفوع إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و قد جعلها أبو هريرة من مدائن الجنة أيضا فى

حديث رفعه إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم هذا نصه: «أربع مدائن من مدائن الجنة: مكة، و المدينة، و بيت المقدس، و دمشق»

«٢». و هكذا نرى معاوية الذي تعلم من كعب كيف يضع الحديث، يصف نفسه بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعده بأنه سيلي الخلافة من بعده.

قال في خطبته لما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعه الإمام الحسن عليه السلام سنة (٤١): «أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنك ستلي الخلافة من بعدى، فاحتر الأرض المقدسة، فإن فيها الإبدال» (٣) قال أبو ريّة: و ما كاد معاوية يذكر أن الشام أرض الأبدال إلّا و ظهرت أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال و قد أوردتها السيوطي في «الجامع الصغير» (٤). (١) المؤمنون / ٥٠. (٢) الأضواء، ص ١٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢.

(٤) الأضواء، ص ١٣٠ - ١٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠

و بذلك نكشف عن جانب خطير من كيد الدهاء اليهودي للمسلمين و دينهم و ملكهم.

ذلك أنهم لم يكتفوا بما قالوه في الشام بل زادوا على ذلك بأن جعلوا الطائفة الظاهرة على الحق تكون في الشام كذلك، و حتى نزول عيسى الذي قالوا عنه:

سيكون بأرضه.

فقد جاء في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم و لا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله و هم كذلك

. روى البخاري: هم بالشام (١) . و

في رواية أبي أمامة الباهلي: أنهم لما سألوا النبي قال:

بيت المقدس و أكناف بيت المقدس (٢).

و

في مسلم عن أبي هريرة: أن النبي قال: لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة

. قال أحمد و غيره: هم أهل الشام.

و في «كشف الخفاء»: أن كعب الأخبار قال: أهل الشام سيف من سيوف الله، ينتقم الله بهم من العصاة.

قال أبو ريّة: و لعل العصاة هنا هم الذين لا ينضون تحت لواء معاوية، و يتبعون غيره. و غيره هو الإمام أمير المؤمنين على بن أبي

طالب عليه السلام (٣). (١) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٥٢.

(٢) نهاية الإرب، ج ١، ص ٣٣٣.

(٣) الأضواء، ص ١٧٠ - ١٧١. و من طريف ما يذكر هنا: أن رجلا لقي كعب الأخبار فسلم عليه و دعا له. فسأله كعب: ممن هو؟ فقال:

من أهل الشام. قال: لعلك من الجند الذين يدخلون الجنة منهم سبعون ألفا بغير حساب. قال الرجل: و من هم؟ قال: أهل دمشق. قال:

لست منهم. قال: فلك من الجند الذين ينظر الله إليهم في كل يوم مرتين، قال: و من هم؟ قال:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١

نعم وجد أهل الحقد على الإسلام في معاوية و الشام أرضية خصبة لبذر النفاق و التفريق بين كلمة المسلمين، فعادوا عليا عليه السلام

حيث وجدوه المثال الأتم لحقيقة الإسلام الناصعة، و أفرغوا عداؤهم له و للإسلام، في قالب الثناء على معاوية و الشام بلد الأبدال، فيما

اختلقوه.

أخرج ابن الجوزي من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي ما تقول في علي و معاوية؟ فأطرق، ثم قال: ايش أقول

فيهما، أن عليا عليه السلام كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيبا فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل - يريد معاوية - قد حاربه و قاتله فأطروه، كيدا منهم لعلّ عليه السلام «١».

قال ابن حجر: فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له.

قال: وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة، ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد. و بذلك جزم إسحاق بن راهويه و النسائي و غيرهما «٢».

و من طريف الأمر، أنّ البخارى فى كتاب «الفضائل» نراه عنوان الباب الذى خصّه بمعاوية، بقوله: «باب ذكر معاوية»، و لم يجرأ أن يعنونه بلفظة «الفضائل» كما فى سائر الأبواب، و بالفعل لم يأت فيه شيئا مذكورا «٣»، و هكذا ابن الجوزى «٤» و غيره. و من ثم قال ابن حجر فى الشرح: عبّر البخارى فى هذه أهل فلسطين. قال الرجل: أنا منهم. و فى لفظ: قال: لعلك من الجند الذين يشفع شهيدهم بسبعين، قال: و من هم؟ قال: أهل حمص. (تاريخ ابن عساکر، ج ١، ص ٥٧). قال أبو ريّة:

و حمص هذه هى البلدة التى دفن فيها جثمان كعب.

(١) الموضوعات، ج ٢، ص ٢٤.

(٢) فتح البارى بشرح البخارى، ج ٧، ص ٨١.

(٣) صحيح البخارى، ج ٥، ص ٣٥.

(٤) الموضوعات، ج ٢، ص ١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢

الترجمة بقوله «ذكر» و لم يقل: «فضيلة» و لا «منقبة»، لكون «الفضيلة» لا تؤخذ من حديث الباب «١»، أى لا تستفاد فضيلة من الحديث الذى ذكره تحت هذه الترجمة، و قد عرفت أنه لم يصح فيه حديث.

و روى الذهبى قال: سئل النسائي - و هو بدمشق - عن فضائل معاوية، فقال:

ألا يرضى رأسا برأس، حتى يفصل؟! قال الذهبى: فما زالوا يدافعونه حتى أخرج من المجلس، و حمل إلى الكوفة، فتوفى بها «٢».

و هكذا استمر الحال بعد معاوية ما دامت السلطة الأموية قائمة. فهذا هشام بن عبد الملك نراه يفرض على أتباعه و متملكيه من علماء ذلك العصر أن يرووا أنّ الآية: وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ «٣» نزلت فى عليّ عليه السلام فأقرّوه على ذلك «٤».

٦- الوضع نزولا مع رغبة العامة، و رغبة فيما بأيديهم من حطام الدنيا. و هذه مهنة القصاصين، يقصون على الناس القصص و الأساطير البائدة و يحدثونهم الغرائب و العجائب، ليستدرّوا ما لديهم من نقود و إعانات و فضول طعام.

و قد كان وضع الحديث لإرضاء الناس و ابتغاء القبول عندهم، و استمالتهم لحضور مجالسهم الوعظية، و توسيع حلقاتهم، أمرا رائجا و

لا يزال. (١) فتح البارى، ج ٧، ص ٨١.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ١٣٢. و هو الذى

روى حديث «اللهم لا تشعب بطنه»، ص ١٢٩. (٣) النور / ١١.

(٤) الموضوعات فى الآثار و الأخبار، هاشم معروف الحسنى، ص ١٣٧ و ١٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣

قال القرطبي فى مقدمته تفسيره: منهم (من الوضاع و الكذابين) قوم من السوّال و المكدين، يقفون فى الأسواق و المساجد، يضعون على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد «١».

قال ابن الجوزى: هناك قوم شقّ عليهم الحفظ، فضربوا نقد الوقت، و ربّما رأوا أن الحفظ معروف، فأتوا بما يغرب مما يحصل مقصودهم، فهؤلاء قسمان، أحدهما: القصاص، و معظم البلاء منهم يجرى؛ لأنهم يزيدون أحاديث تتقف و ترقق، و الصحاح يقلّ فيها

هذا. ثم إنَّ الحفظ يشقُّ عليهم و يتفق عدم الدين، و من يحضرهم جهال، فيقولون. و لقد حكى لى فقيهان ثقتان عن بعض قصاص زماننا و كان يظهر النسك و التخشع، أنه حكى لهما، قال: يوم عاشوراء، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من فعل اليوم كذا فله كذا، و من فعل كذا فله كذا، إلى آخر المجلس. فقالا له: و من أين حفظت هذه الأحاديث؟ فقال: و الله ما حفظتها، و لا أعرفها، بل فى وقتى قلتها.

قال: و لا جرم كان القصاص شديداً النعير، ساقطى الجاه، لا يلتفت الناس إليهم، فلا لهم دنيا و لا آخرة. و قد صنف بعض قصاص زماننا كتاباً فذكر فيه:

«أن الحسن و الحسين دخلا على عمر بن الخطاب و هو مشغول، فلما فرغ من شغله رفع رأسه فرآهما، فقام فقبلهما، و وهب لكل واحد منهما ألفاً، و قال: اجعلانى فى حلّ، فما عرفت دخولكما، فرجعا و شكراه بين يدى أبيهما على عليه السلام. فقال على: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: عمر بن الخطاب نور فى الإسلام و سراج لأهل الجنة. فرجعا فحدّثاه. فدعا بدواة و قرطاس و كتب: بسم الله الرحمن (١) تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤

الرحيم، حدّثنى سيدا شباب أهل الجنة عن أبيهما المرتضى عن جدّهما المصطفى أنه قال: عمر نور الإسلام فى الدنيا و سراج أهل الجنة فى الجنة.

و أوصى أن تجعل فى كفنه على صدره، فوضع. فلما أصبحوا وجدوه على قبره، و فيه: صدق الحسن و الحسين و صدق أبوهما و صدق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: عمر نور الإسلام و سراج أهل الجنة».

قال ابن الجوزى: و العجب بهذا الذى بلغت به الوقاحة إلى أن يضيف مثل هذا. و ما كفاه حتى عرضه على كبار الفقهاء، فكتبوا عليه تصويب ذلك التصنيف.

فلا هو عرف أنّ مثل هذا محال و لا هم عرفوا. و هذا جهل متوفّر، علم به أنّه من أجهل الجهال الذين ما شمّوا ريح النقل، و لعلّه قد سمعه من بعض الطرفين «١».

قال الإمام أحمد بن حنبل: أكذب الناس السّؤال و القصاص.

و عن أبى قلابه: ما أمت العلم إلا القصاص.

و كان أبو عبد الرحمن يقول: اتقوا القصاص «٢».

و كان الذى أحدث القصص - فى المساجد - هو معاوية بن أبى سفيان. فقد أخرج الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن نافع و غيره من أهل العلم، قالوا: إنما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة «٣».

لكن سيوافيك فى قصة الإسرائيليات أنّ القصص فى المساجد، حدث فى أواخر عهد عمر، حين استجاره تميم الدارى فأجازه أن يقصّ قائماً فى مسجد (١) الموضوعات، ج ١، ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) الأضواء لأبى ربه، ص ١٢٤.

(٣) المصدر نفسه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥

المدينة «١». و هكذا استمر على عهد عثمان، حتى كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الذى طرد القصاص من المساجد على عهده «٢»، الأمر الذى قد أصرّ معاوية على تداومه فى المساجد، منذ أن أجازه عمر بن الخطاب.

و كان الذى أشاع القصّ فى المساجد هو كعب الأبحار؛ حيث انتهز الفرصة أيام الفتنة لبثّ مخاريقه بين المسلمين كيدا بالإسلام؛ و ذلك أن وجد من سياسة معاوية إمكان إشاعة أساطيره بين الناس.

كان كعب قد توَعَّده عمر بالنفى إلى أرض القردة إذا هو روى إسرائيلياته أو ما كان يلصقه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أحاديث خرافة (ستوافيك في حقل الإسرائيليات).

فلم يجد كعب تلقاء هذا التهديد مناصا من أن يذعن في غيظ و موجده، ثم أخذ يسعى في الخفاء لكي يحقق أغراضه التي أسلم من أجلها. قال أبو ريّة: و ما لبث أن أتاحت له فرصة المؤامرة التي دبرتها جمعيتُه سريةً لقتل عمر، فاشترك هو فيها، و نفخ في نارها. فلما خلا له الجوّ بقتله، أطلق العنان لنفسه لكي يبث ما شاء الكيد اليهودي أن يبث من الخرافات الإسرائيليات التي تشوّه بهاء الدين، يعاونه في ذلك تلاميذه الكبار أمثال: عبد الله بن عمرو بن العاص، و عبد الله بن عمر بن الخطاب، و أبي هريرة. و قد درس هذا الكاهن اليهودي في ملامح معاوية تحقيق أهدافه و إمكان رواج إسرائيلياته، فلم يدع تلك الفرصة، و اغتنمها منذ عهد عثمان.

ذلك أنه لما اشتعلت نيران الفتنة في زمن عثمان و اشتد زفيرها، حتى التهمت (١) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٧. (٢) فجر الإسلام لأحمد أمين، ص ١٥٩ - ١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٦

عثمان فقتلته و هو - أي كعب الأخبار - في بيته، لم يدع هذا الكاهن الماكر هذه الفرصة تمرّ دون أن يبتهلها، بل أسرع ينفخ في نارها، و يسهم بكيده اليهودي فيها ما استطاع إلى ذلك سبيلا. و قد كان من كيده في هذه الفتنة أن أرهص بيهوديته بأن الخلافة بعد عثمان ستكون لمعاوية.

فقد روى وكيع عن الأعمش عن أبي صالح: أن الحادي كان يحدو بعثمان يقول:

إن الأمير بعده عليّ و في الزبير خلق رضيتي «١»

فقال كعب: بل هو صاحب البغلة الشهباء - يعني معاوية - و كان يراه يركب بغلة، فبلغ ذلك معاوية فأتاه، فقال: يا أبا إسحاق ما تقول هذا؟ و هاهنا عليّ و الزبير و أصحاب محمد! قال: أنت صاحبها - لعله أردف ذلك بقوله: إنني وجدت ذلك في التوراة - كما هي عادة.

و قدّر معاوية هذه اليد الجليئة لكعب، و أخذ يغمره بإفضاله.

و قد عرف من تاريخ هذا الكاهن أنه تحوّل إلى الشام في عهد عثمان، و عاش تحت كنف معاوية، فاستصفاه معاوية لنفسه و جعله من خلصائه، لكي يروى من أكاذيبه و إسرائيلياته ما شاء أن يروى في قصصه؛ لتأييده، و تثبيت قوائم دولته.

و قد ذكر ابن حجر العسقلاني بأن معاوية هو الذي أمر كعبا بأن يقصّ في الشام «٢». و هو الذي بثّ أحاديث تفضيل الشام و أهلها، سواء بنفسه أو على يد تلاميذه. (١) النزاع و التخاصم فيما بين بني أمية و بني هاشم، للمقرزي، ص ٥١.

(٢) الإصابة، ج ٣، ص ٣١٦ و راجع: الأضواء، ص ١٧٩ - ١٨١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧

## أقسام الوضّاعين

قسّم ابن الجوزي الرواة الذين وقع في حديثهم الموضوع و الكذب و المقلوب إلى خمسة أقسام: القسم الأول: قوم غلب عليهم الزهد و التقشّف، فتغفّلوا عن الحفظ و التمييز. و منهم من ضاعت كتبه أو احترقت أو دفنها، ثم حدّث من حفظه فغلط.

فهؤلاء تارة يرفعون المرسل، و تارة يسندون الموقوف، و تارة يقلبون الإسناد، و تارة يدخلون حديثا في حديث.

و القسم الثاني: قوم لم يعانوا على النقل، فكثرت خطاؤهم و فحش، على نحو ما جرى للقسم الأول.

و القسم الثالث: قوم ثقات لكنهم اختلطت عقولهم في آخر أعمارهم، فخلطوا في الرواية.

و القسم الرابع: قوم متغفلون، فمنهم من كان يلقن فيتلقن، و منهم من يروى حديثا فيظن أنه سمعه و لم يسمعه، أو يظن جواز إسناد ما لم يسمع. و قد قيل لبعضهم: هذه الصحيفة سماعك؟ فقال: لا، و لكن مات الذي رواها فرويتها مكانه. و منهم من كان بعض أولاده يضع له الحديث، فيدون و لا يعلم.

و القسم الخامس: قوم تعمدوا الكذب، و هؤلاء على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: قوم رووا الخطأ من غير أن يعلموا أنه خطأ. فلما عرفوا وجه الصواب أنفوا أن يرجعوا، فأصروا على خطائهم، أنفأ أن ينسبوا إلى غلط.

و الصنف الثاني: قوم رووا عن كذابين و عن ضعفاء يعلمونهم، لكنهم دلّسوا في أسمائهم. فالكذب من أولئك المجروحين، و الخطأ القبيح من هؤلاء المدلسين.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨

و الصنف الثالث: قوم تعمدوا الكذب الصريح.

و هؤلاء، منهم الزنادقة، وضعوا الحديث قصدا إلى إفساد الشريعة، و إيقاع الشك في قلوب العامة، و التلاعب بالدين، أمثال: ابن أبي العوجاء وضع أربعة آلاف حديث. و غيره ممن وضعوا كميات كبيرة، أحلّوا بها الحرام و حرّموا بها الحلال.

و منهم، أصحاب العصبية الجاهلة، كانوا يضعون الحديث نصرة لمذهبهم، و سؤل لهم الشيطان أن ذلك جائز.

و منهم، أهل التصوّف و التقشّف، وضعوا الحديث في الترغيب و التهيب، ليحثّوا الناس - بزعمهم - على فعل الخير و ترك الشر، و هذا تعاط على الشريعة، و مضمون فعلهم أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى تتمّة فقد أتّموها.

و منهم، قوم استجازوا وضع الأسانيد لكل كلام حسن، فقد حدّث محمد بن خالد عن أبيه قال: سمعت محمد بن سعيد يقول: لا بأس إذا كان الكلام حسنا أن تضع له إسنادا.

و منهم قوم وضعوا الحديث ترلّفا إلى سلطان أو نيلا إلى نوال، كما وضع غياث بن إبراهيم

حديث «لا سبق في جناح»

ترلّفا إلى المهدي، و كان يحبّ الحمام.

و منهم من كان يضع الحديث جوابا لسائله ليحظى منزلة رفيعة لديه.

و منهم من كان يضع الحديث لمدح أو مدح في أناس لأغراض مختلفة، كالأحاديث الموضوعية في قدح و مدح الشافعي و أبي حنيفة.

و منهم من كان يضع الغريب من الحديث، استجلابا لأنظار العامة، كما كان يفعله القصاص؛ و معظم البلاء منهم يجري، لأنهم يزيدون أحاديث تثقف و ترقق، و الصحاح يقل فيها هذا. لا جرم كان القصاص شديدي النعير ساقطي

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩

الجاه، لا التفات إليهم، ليست لهم دنيا و لا آخرة.

و من هؤلاء القصاص شحاذون، يضعون الحديث و يسندوه إلى من شاءوا، و لا سيما من كان معروفا لدى العامة بالجاه و القبول.

قال جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل و يحيى بن معين في مسجد الرصافة. فقام بين أيديهم قصاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين، قالوا: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من

قال: لا إله إلا الله، خلق الله كل كلمة منها طيرا متقاره من ذهب و ريشه من مرجان...» و أخذ في قصّيه نحو عشرين ورقة. فجعل

أحمد ينظر إلى يحيى، و يحيى ينظر إلى أحمد، فقال له: أنت حدّثته بهذا؟ فقال: و الله ما سمعت بهذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه

و أخذ القطيعات، ثم قعد ينتظر بقيتها، أشار إليه يحيى بيده أن تعال، فجاء متوهما النوال. فقال له يحيى: من حدّثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل و يحيى بن معين. فقال: أنا يحيى و هذا أحمد، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم فإن كان لا- بدّ و الكذب فعلى غيرنا! فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم. قال: لم أزل أسمع أنّ يحيى بن معين أحق، ما تحقّقتة إلّا الساعة. قال له يحيى: كيف علمت أنّي أحق؟ قال: كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين و أحمد بن حنبل غيركما. قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل و يحيى بن معين. فوضع أحمد كفه على وجهه، و قال: دعه يقوم. فقام كالمستهزئ بهما «١». (١) الموضوعات، ج ١، ص ٣٥-٤٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠

### أقطاب الوضّاعين

قال الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي - صاحب السنن -: الكذّابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، و الواقدي ببغداد، و مقاتل بن سليمان بخراسان، و محمد بن سعيد بالشام، يعرف بالمصلوب «١». أمّا ابن أبي يحيى، فهو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، و اسمه سمعان الأسلمي المدني. روى عن الزهري و يحيى بن سعيد الأنصاري، و روى عنه الثوري و الإمام الشافعي. رمى بالقدر و التشيع و الكذب. قال ابن عدى: لم أجد لإبراهيم حديثا منكرا إلّا عن شيوخ يحتملون. و قد حدّث عنه ابن جريج و الثوري و الكبار. له كتاب صنّفه في المسانيد أسماه «الموطأ» أضعاف موطأ مالك، و أحاديثه كثيرة، رواه عنه الشافعي بمصر، و كان يكتئب عنه. و في مسند الشافعي عنه أحاديث، و كان يقول عنه: لأن يخرّ إبراهيم من بعد، أحب إليّ من أن يكذب، و كان ثقة في الحديث. و قال أبو أحمد ابن عدى: سألت أحمد بن محمد بن سعيد - يعني ابن عقدة - فقلت له: تعلم أحدا أحسن القول في إبراهيم غير الشافعي؟ فقال: نعم، حدثنا أحمد بن يحيى الأودي، قال: سمعت حمدان بن الأصبهاني، قلت: أتدين بحديث إبراهيم بن أبي يحيى؟ قال: نعم. ثم قال لي أحمد بن محمد بن سعيد: نظرت في حديث إبراهيم كثيرا و ليس بمنكر الحديث. قال ابن عدى: و هذا الذي قاله، كما قال. و قد نظرت أنا أيضا في حديثه الكثير فلم أجد فيه منكرا إلّا عن شيوخ يحتملون، و إنما روى المنكر من قبل الراوي عنه أو من قبل شيخه. قال: و هو من جملة من يكتب حديثه. (١) ملحق كتابه في الضعفاء و المتروكين، ص ١٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١

نعم يقال: إنّ الرجل كان يقع في بعض السلف، و من ثم اتّهم و رمى بالاعتزال تارة، و بالرفض و التشيع أخرى «١». في حين أنّ الرجل مستقيم لا بأس به، و لا مغمز فيه سوى جانب إخلاصه لأهل البيت و صحبته للأئمة من ذرية الرسول صلّى الله عليه وآله و سلم، و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من رجال الإمامين الباقر و الصادق عليهما السّلام. قال: إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى أبو إسحاق مولى أسلم، مدنيّ. روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السّلام، و كان خاصّا بحديثنا، و العامّة تضعّفه لذلك. ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه في أسباب تضعيفه عن بعض الناس، أنّه سمعه ينال من الأولين. و ذكر بعض ثقات العامّة أنّ كتب الواقدي سائرها - أي جميعها - إنما هي كتب إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، نقلها الواقدي و ادّعاها، و لم نعرف منها شيئا منسوباً إلى إبراهيم. و له كتاب مبوب في الحلال و الحرام عن جعفر بن محمد عليه السّلام، و للشيخ إليه طريق «٢».

و الواقدي هو: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم الواقدي المدني القاضي، صاحب التصانيف و المغازي، العلامة الامام أبو عبد الله، أحد أوعية العلم على ضعفه. سمع من صغار التابعين، فمن بعدهم بالحجاز و الشام و غير ذلك. و قد اتفقوا على تضعيفه غير جماعة، فوثّقه كإبراهيم الحربي، قال:

الواقدي أمين الناس على أهل الإسلام، كان أعلم الناس بأمر الإسلام. و قال (١) راجع: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٤٥٠، رقم ١١٩. و

تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٥٨، رقم ٢٨٤.

(٢) راجع: الفهرست للشيخ أبي جعفر الطوسي، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢

إبراهيم بن جابر الفقيه: سمعت أبا بكر الصاغاني - و ذكر الواقدي - فقال: و الله لو لا أنه عندي ثقة ما حدثت عنه، قد حدث عنه أبو بكر بن أبي شيبة، و أبو عبيد، و غيرهما. و لإبراهيم الحربى شهادة أخرى قال: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: الواقدي ثقة مأمون. و سئل معن بن عيسى عن الواقدي، فقال: أنا أسأل عن الواقدي؟! الواقدي يسأل عني! قال الذهبي: و سألت ابن نمير عنه فقال: أما حديثه هاهنا فمستو، و أما حديث أهل المدينة، فهم أعلم به. و عن يزيد بن هارون: الواقدي ثقة. الحربى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: الواقدي ثقة.

و تجاه ذلك من ضعفه: قال يحيى بن معين: أغرب الواقدي على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عشرين ألف حديث. و قال يونس بن عبد الأعلى: قال لى الشافعي: كتب الواقدي كذب. و عن ابن معين: ليس الواقدي بشيء. و قال مرة: لا يكتب حديثه. و عن أحمد بن حنبل: الواقدي كذاب.

قال الذهبي: و قد تقرر أن الواقدي ضعيف، يحتاج إليه في الغزوات و التاريخ، أما في الفرائض فلا ينبغي أن يذكر. فهذه الكتب الستة و مسند أحمد، نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء، بل و متروكين، و مع هذا لا يخرجون للواقدي شيئاً. قال: مع أن وزنه عندي مع ضعفه أنه يكتب حديثه و يروى، لأنى لا أتهمه بالوضع، و قول من أهدر فيه مجازفةً من بعض الوجوه «١». قلت: و هذا المنهج الذى انتهجه الذهبي هو الأرجح فى النظر؛ لأن الرجل رجل التاريخ و السير و المغازى، و ليس من رجال الفقه و الحديث و التفسير.

و العمدة أنه لم يكن ممن يضع و إن خلط الغث بالسمين و الخرز بالدر الثمين، (١) سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٥٤ - ٤٦٩، رقم ١٧٢. و تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٣ - ٢١. و غيرهما من أمهات كتب التراجم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٣

شأن سائر أرباب التاريخ و السير كابن جرير و ابن الأثير و أبى الفداء و غيرهم من أعلام التاريخ. ولد سنة (١٣٠)، و مات سنة (٢١٧) ببغداد، و هو قاض بعسكر المهدي من قبل المأمون.

و مقاتل بن سليمان بن بشير الخراسانى المروزي. أصله من بلخ و انتقل إلى البصرة، و دخل بغداد و حدث بها. و كان مشهوراً بتفسير كتاب الله، و له تفسير معروف. أخذ العلم عن مجاهد و عطاء و الضحّاك و غيرهم من كبار التابعين.

و كان من العلماء الأجلاء. قال الإمام الشافعي: الناس كلهم عيال على مقاتل بن سليمان فى التفسير. و كان تفسيره هذا موضع إعجاب العلماء من أول يومه، و قد أتهمه من لا خلاق له حسداً عليه. قال إبراهيم الحربى و قد سئل ما بال الناس يطعنون عليه؟ فقال: حسداً منهم له. و له حديث عن الإمام أبى عبد الله الصادق عليه السّلام يرفعه إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم يدل على رفيع منزلته لدى أئمة أهل البيت عليهم السّلام. و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السّلام. و قد أتينا على ترجمته - و أن الرجل صالح لا مغمز فيه - عند الكلام عن الطرق إلى ابن عباس «١» توفى سنة (١٥٠).

و أما محمد بن سعيد المصلوب، فهو من أهل دمشق، أتهم بالزندقة فصلبه أبو جعفر. و هو الذى وضع

الحديث المروى من طريقه، عن حميد عن أنس مرفوعاً: «أنا خاتم النبيين، لا نبى بعدى، إلا أن يشاء الله»

فقد وضع و افترى هذا (١) راجع: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٦٠ - ١٦٩. و ابن خلكان، ج ٥، ص ٢٥٥، رقم ٧٣٣.

و غيرهما من أمهات التراجم.



التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٤

الاستثناء، تأييدا لمذهبه في الزندقة «١». ثم أخذ يدعى النبوة «٢». و كان يضع الحديث و يضع الأسانيد. قال: لا بأس إذا كان الكلام حسنا أن تضع له إسنادا.

و عن أحمد بن حنبل قال: عمدا، كان يضع الحديث «٣».

و قال ابن الجوزي: و الكذّابون و الوضّاعون خلق كثير، قد جمعت أسماءهم في كتاب «الضعفاء و المتروكين». و كان من كبار الكذّابين: وهب بن وهب القاضى، و محمد بن السائب الكلبى، و محمد بن سعيد الشامى، المصلوب، و أبو داود النخعى، و إسحاق بن نجیح الملطى، و غياث بن إبراهيم النخعى، و المغيرة بن سعيد الكوفى، و أحمد بن عبد الله الجويبارى، و مأمون بن أحمد الهروى، و محمد بن عكاشة الكرمانى، و محمد بن القاسم الكانكانى.

و روى بإسناده عن أبي عبد الله محمد بن العباس الضبى، قال: سمعت سهل بن السرى يقول: قد وضع أحمد بن عبد الله الجويبارى، و محمد بن عكاشة الكرمانى، و محمد بن تميم الفارابى، على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أكثر من عشرة آلاف حديث «٤».

و للعلامة الأمينى فهرس بأسماء الكذّابين ممن كان يكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صريحا من غير أن يتورّع. أوردته فى كتابه القيم «الغدير» بعنوان (١) تفسير القرطبى، ج ١، ص ٧٨.

(٢) هامش ملحق الضعفاء للنسائى، ص ١٢٤.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٣، ص ٥٦١، رقم ٧٥٩٢.

(٤) الموضوعات، ج ١، ص ٤٧-٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٥

«سلسلة الكذّابين و الوضّاعين» «١» ذكر فيها الأهم ممن كان يضع الحديث، و نحن نقتطف منها نماذج:

إبراهيم بن الفضل الأصبهاني أبو منصور توفى سنة (٥٣٠) أحد الحفاظ كذّاب. كان يقف فى سوق أصفهان و يروى من حفظه بسنده، و كان يضع فى الحال. قال معمر: رأيت فى السوق و قد روى مناكير بأسانيد الصحاح، و كنت أتأمله مفرطاً أظنّ أنّ الشيطان تبدى على صورته.

إبراهيم بن هذبه البصرى، كذّاب خبيث حدّث بالأباطيل و وضع على أنس.

كان رقاصا بالبصرة يدعى إلى العرائس فيرقص لهم، و كان يشرب المسكر. بقى إلى سنة (٢٠٠).

أحمد بن الحسن بن أبان البصرى من كبار شيوخ الطبرانى، كان كذّابا دجالا يضع الحديث على الثقات.

أحمد بن داود، ابن أخت عبد الرزاق، من أكذب الناس، عامّة أحاديثه مناكير.

أحمد بن عبد الله الشيبانى أبو على الجويبارى، كذّاب، يضع الحديث، دجال. قال البيهقى: إنى أعرفه حقّ المعرفة بوضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقد وضع عليه أكثر من ألف حديث. و سمعت الحاكم يقول:

هذا كذّاب خبيث، وضع كثيرا فى فضائل الأعمال، لا تحلّ روايته حديثه بوجه.

و قال ابن حبان: دجال من الدجاله، روى عن الأئمة ألوف أحاديث، ما حدّثوا بشيء منها.

أحمد بن عبد الله بن محمد أبو الحسن البكرى، كذّاب دجال واضح القصص التى لم تكن قطّ، فما أجهله و أقلّ حياءه. قاله الذهبى فى «ميزان الاعتدال». (١) راجع: الغدير، ج ٥، ص ٢٠٩-٢٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٦

أحمد بن محمد بن محمد أبو الفتح الغزالى الطوسى الواعظ المقوّه المتوفى سنة (٥٢٠)، أخو أبى حامد، كان يضع، و الغالب على

كلامه التخليط و الأحاديث الموضوعه، و كان يتعصب لإبليس و يعذره.

أحمد بن محمد بن الصلت، و ضاع، لم يكن في الكذابين أقل حياء منه.

أحمد بن محمد بن غالب الباهلي أبو عبد الله المتوفى سنة (٢٧٥)، غلام الخليل، من كبار الزهاد ببغداد، كذاب و ضاع، و كان دجالا.

إسحاق بن بشر البخارى أبو حذيفه المتوفى سنة (٢٠٦)، قد أجمعوا على أنه كذاب يضع الحديث.

إسحاق بن ناصح، من أكذب الناس، يحدث عن النبي عن ابن سيرين، برأى أبي حنيفه.

إسحاق بن نجيج الملقى الأزدي، دجال، أكذب الناس، عدو الله، رجل سوء، خبيث، كان يضع الحديث.

إسحاق بن وهب الطهرمسي، كذاب متروك، كان يضع صراحا.

إسماعيل بن علي بن المثنى الواعظ الأسترابادى المتوفى (٤٤٨)، كذاب ابن كذاب، كان يقص و يكذب، يركب المتون الموضوعه

على الأسانيد الصحيحة.

بشير بن نمير البصرى المتوفى (٢٣٨)، كان ركنا من أركان الكذب، كذاب يضع الحديث.

الحسن بن علي الأهوازي أبو علي المتوفى سنة (٤٤٦)، كذاب فى الحديث و القراءة، كان من أكذب الناس، صنف كتابا أتى

بالموضوعات و الفضائح.

الحسن بن علي أبو علي النخعي المعروف بأبي الاثنان. قال ابن عدى:

رأيت به ببغداد يكذب كذبا فاحشا و يحدث عن قوم لم يرههم، و كان يلزق أحاديث قوم تفرّدوا به، على قوم ليس عندهم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٧

الحسن بن علي بن زكريا أبو سعيد العدوى البصرى، شيخ قليل الحياء كذاب أفاك، يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه و

آله و سلم و يسرق الحديث، و يلزقه على قوم آخرين، و يحدث عن قوم لا يعرفون، و عامه أحاديثه إلّا القليل موضوعات، يتيقن أنه

هو الذى وضعه. كذاب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول عليه ما لم يقله. قال ابن حبان: لعله قد حدث عن الثقات

بالأشياء الموضوعه، ما يزيد على ألف حديث.

الحسن بن عماره بن المضرب أبو محمد الكوفى المتوفى سنة (١٥٣)، فقيه كبير كذاب ساقط متروك، و كان يضع الحديث. قال

شعبة: من أراد أن ينظر إلى أكذب الناس فليتنظر إلى الحسن بن عماره.

الحسين بن حميد بن ربيع الكوفى الخزاز المتوفى (٢٨٢)، كذاب ابن كذاب ابن كذاب.

الحسين بن محمد البزرى المتوفى سنة (٤٢٣)، كذاب، أحد المشايخ الأربعة الكذابين ببغداد.

حماد بن عمر النصيبى. قال يحيى بن معين: إنه من المعروفين بالكذب و وضع الحديث.

داود بن المحبر أبو سليمان البصرى نزيل بغداد، و المتوفى بها (٢٠٦)، كذاب و ضاع على الثقات، صاحب مناكير، متروك الحديث.

ربيع بن محمود الماردى المتوفى (٦٥٢)، دجال مفتر ادعى الصحبة و التعمير توفى سنة (٥٩٩).

زكريا بن يحيى المصرى أبو يحيى الوكار المتوفى (٢٥٤)، كذاب من الكذابين الكبار، و كان فقيها صاحب حلقه. و من الصالحاء و

العباد و الفقهاء.

سليمان بن داود البصرى أبو أيوب المعروف بالشاذكونى المتوفى (٢٣٤)،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٨

أحد الحفاظ، كذاب خبيث، كان يضع الحديث فى الوقت، و كان يتعاطى المسكر و يتماجن.

سليمان بن عمرو أبو داود النخعي. كان أكذب الناس على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم معروف بوضع الحديث، و كان

رجلا صالحا فى الظاهر، إلّا أنه كان يضع الحديث وضعاً. قال الخطيب: كان ببغداد رجال يكذبون و يضعون، منهم أبو داود النخعي.

و قال الحاكم: لست أشك في وضعه الحديث على تقشفه و كثرة عبادته.

صالح بن بشير أبو بشر المزي البصرى، قاص كذاب، متروك الحديث.

عامر بن صالح حفيد الزبير بن العوام، كذاب خبيث، عدو لله.

عبد الله بن الحارث الصنعاني، شيخ دجال يضع الحديث وضعا، حدث عن عبد الرزاق بنسخة كلها موضوعة.

عبد الله بن عبد الرحمن الكلبي الأسامي، من أكذب خلق الله، روى بالأباطيل.

عبد الله بن علان بن رزين الخزاعي الواسطي، كان كذابا، كثير الكذب و التزوير.

عبد المنعم بن إدريس اليماني المتوفى (٢٢٨)، قصاص كذاب خبيث، يضع الحديث.

كثير بن عبد الله بن عمرو المزني المدني، ركن من أركان الكذب.

محمد بن شجاع أبو عبد الله الثلجي الحنفي المتوفى (٢٦٦)، فقيه العراق في وقته. كان كذابا، يضع الحديث في التشبيه. احتال في

إبطال الحديث عن رسول الله، و رده نصره لأبي حنيفة و رأيه.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو الفتح الخشاب، كان يضرب به المثل في الكذب و التخيلات و وضعها، و كان منهمكا على

الشرب. قال فيه إبراهيم بن

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٩

عثمان العربي:

أوصاه أن ينحت الأخشاب والده فلم يطقه و أضحي ينحت الكذاب

نوح بن مريم أبو عصمة المروزي المتوفى (١٧٣)، شيخ كذاب، كان يضع الحديث. وضع حديث فضائل القرآن الطويل.

هناد بن إبراهيم النسفي، كذاب وضاع، راوية للموضوعات و البلايا. توفي سنة (٤٦٥).

وهب بن وهب القاضي أبو البختری القرشي المدني، أكذب الناس. توفي سنة (٢٠٠)، كذاب خبيث، دجال عدو الله، كان يضع

الحديث وضعا. و كان عامه الليل يضع الحديث. قال فيه سويد بن عمرو بن الزبير:

إنا وجدنا ابن وهب حدثنا عن النبي أضاع الدين و الورعا

يروى أحاديث من إفك مجمعة أف لوهب و ما روى و ما جمعا

إلى آخر أبيات.

قال ابن عدي: أبو البختری من الكذابين الوضاعين، و كان يجمع في كل حديث يرويه أسانيد من جسارته على الكذب، و وضعه على

الثقات.

يحيى بن هاشم الغساني السمسار أبو زكريا، كذاب، دجال هذه الأمة كان يضع الحديث و يسرقه.

أبو المغيرة شيخ، من أكذب الناس و أحبهم.

فهؤلاء أربعون شيخا من كبار المحدثين الوضاعين، المعروفين بالكذب و الاختلاق، اخترناهم من سبعمائة شيخ كذاب، أوردتهم

العلامة الأميني في «الغدير». و لعلك تستغرب هذا العدد الهائل من الكذابين على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث عدم

المبالاة في الفرية في الدين. و لكن لا غرابة فيمن سؤلت له نفسه

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٠

و أنساه الشيطان ذكر ربه. فهؤلاء ممن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله إن هؤلاء مذبذبون ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون «١»

صدق الله العلي العظيم.

و بعد، فهذا غيض من فيض، احتمله سيل الكذابين ممن اجترءوا على الله و اجترحوا السيئات، فشوهوا وجه الحديث عن رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَلَقَدْ صَدَقَ حَيْثُ قَوْلُهُ فِي خُطْبَتِهِ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ: «قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكُذَابَةُ وَاسْتَكْثَرْتُ. فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَتَعَمِدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. فَإِذَا أَتَاكُمْ الْحَدِيثَ فَاعْرَضُوهُ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي فَلَا تَأْخُذُوا بِهِ» (٢). فَقَدْ زَالَتْ الثَّقَةُ بِكُتُبِ الْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْحَشْوِ، مَعَ هَذَا الْخُضْمِ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَدْسُوسَةِ فِي الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ.

### أنحاء الموضوعات

كانت الأكاذيب تتنوع حسب تنوع الأسباب الداعية للكذب والاختلاق، فهناك كذب سياسي وآخر تحمس مذهبي أو تعصبي جاهلي أو تزلف لذي أمير أو رغبة في جاه أو استماله للعامة؛ لغرض استدرار ما لديهم من نقود وقطيعات، وما أشبه ذلك. وقد تكفلت الكتب المخصصة لبيان الموضوعات كل هذه الجوانب، (١) الأعراف / ١٣٩. (٢) بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٢٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧١

ورتبها في فصول وأبواب، ونحن نورد من ذلك أمثلة نموذجية:

فمما وضعته يد السياسة الغاشمة، ما

رواه داود بن عَفَّان عن أنس مرفوعاً: «الأمناء سبعة: اللُّوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل، ومحمد، و معاوية».

و داود هذا من الوضّاعين. قال الذهبي: روى عن أنس بنسخة موضوعة. وقال ابن حبان: كان يدور بخراسان و يضع على أنس «١».

و ذكره ابن كثير في تاريخه (٨: ١٢٠) قال: هذا أنكر من الأحاديث التي قبله، و أضعف إسنادا.

و عن واثلة مرفوعاً: «أن الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا و معاوية. و كاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه و ائتمانه على كلام ربي.

يغفر الله لمعاوية ذنوبه، و وقاه حسابه، و علمه كتابه، و جعله هادياً مهدياً، و هدى به».

قال الحاكم: سئل أحمد بن عمر الدمشقي - و كان عالماً بحديث الشام - عن هذا الحديث، فأنكره جداً. أخرجه ابن عساكر في تاريخه

(٧: ٣٢٢) «٢».

و مما وضع تزلفاً لذي الأمراء ما

أخرجه الخطيب في تاريخه (١٣: ٤٥٢) قال: لما قدم الرشيد المدينة، أعظم أن يرقى منبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَبَاءِ

أَسُودَ وَ مَنْطِقَهُ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: نَزَلَ جَبْرِئِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ

عَلَيْهِ قَبَاءُ وَ مَنْطِقَهُ، مَخْنَجِرًا فِيهَا بِخَنْجَرٍ

، وَ فِي ذَلِكَ قَالَ الْمَعَاذِيُّ التَّمِيمِيُّ:

وَيْلٌ وَ عَوْلٌ لِأَبِي الْبَخْتَرِيِّ إِذَا ثَوَى لِلنَّاسِ فِي الْمَحْشَرِ

(١) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ١٢-١٣، رقم ٢٦٣٢.

(٢) الغدير، ج ٥، ص ٣٠٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٢

من قوله الزور و إعلانه بالكذب في الناس على جعفر

و الله ما جالسه ساعة للفقهِ في بدو و لا محضر

و لا رآه الناس في دهره يمر بين القبر و المنبر

يا قاتل الله ابن وهب لقد أعلن بالزور و بالمنكر

يزعم أن المصطفى أحمدا أتاه جبريل التقى السرى  
عليه خفّ و قبا أسود مخنجرا في الحقو بالخنجر «١»  
مما وضع في الفضائل ما

أخرجه الخطيب في تاريخه (٢: ٩٧) عن أنس قال: لما نزلت سورة التين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرح لنا فرحا شديدا حتى بان لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس - بعد ذلك - عن تفسيرها، فقال: أما التين فبلاد الشام، والزيتون فبلاد فلسطين، وطور سينين فطور سينا الذي كلم الله موسى، وهذا البلد الأمين فبلد مكة، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم محمد، ثم ردذناه أسفل سافلين، عباد اللات والعزى، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أبو بكر وعمر، فلهم أجر غير ممنون عثمان، فما يكذبك بعبد بالدين علي، أليس الله بأحكم الحاكمين بعثك فيهم وجمعكم على التقوى.

قال الخطيب: هذا الحديث بهذا الإسناد باطل، لا أصل له يصح فيما نعلم.

و ذكر الذهبي في «الميزان» (٣: ٣٢) أن العلة فيه محمد بن بيان فقد رواه بقله حياء من الله، وهكذا ذكر ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢).

و

روى القرطبي في تفسيره مرسلًا رفعه إلى أبي بن كعب، قال: قرأت على (١) الغدير، ج ٥، ص ٣١١.

(٢) المصدر، ص ٣٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٣

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعصر. ثم قلت: ما تفسيرها يا نبي الله؟ قال: والعصر قسم من الله أقسم ربكم بآخر النهار، إن الإنسان لفي خسر أبو جهل، إلا الذين آمنوا أبو بكر، وعملوا الصالحات عمر، وتواصوا بالحق عثمان، وتواصوا بالصبر علي «١».

وروى الصفوري في «نزهة المجالس» قال: قال ابن عباس في قوله تعالى:

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ شُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ «٢»: إذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت أحمر، فيجلس أبو بكر على كرسى، وعمر على كرسى، وعثمان على كرسى، وعليّ على كرسى، ثم يأمر الله الكراسي فتطير بهم إلى تحت العرش، فتسبل عليهم خيمة من ياقوته بيضاء. ثم يؤتى بأربع كاسات، فأبو بكر يسقى عمر، وعمر يسقى عثمان، وعثمان يسقى عليا، وعليّ يسقى أبا بكر، ثم يأمر الله جهنم أن تتمخض بأمواجها، فتقذف الروافض على ساحلها، فيكشف الله عن أبصارهم، ينظرون إلى منازل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون: هؤلاء الذين سعد الناس بمتابعتهم وشقينا نحن بمخالفتهم، ثم يردون إلى جهنم بحسرة وندامة «٣».

و أيضا في قوله تعالى: وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا «٤» قال: إن نوحا لما عمل السفينة جاءه جبرئيل بأربعة مسامير مكتوب (١) تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ١٨٠.

(٢) الحجر / ٤٧.

(٣) نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢١٧. و راجع: أسباب النزول للواحدى، ص ٢٠٧. وللعلامة الأمينى هنا تفنيد لاذع فراجع: الغدير، ج ١٠، ص ١٣٤ - ١٣٦.

(٤) القمر / ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٤

على كل مسمار «ع»: عين عبد الله، وهو أبو بكر، وعين عمر، وعين عثمان، وعين علي، فجرت السفينة ببركتهم «١».

أورد ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عباس، قال: لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح جاء العباس إلى علي، فقال له: قم بنا إلى رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَاهُ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَتِي عَنْ دِينِ اللَّهِ وَوَحْيِهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ تَفْلِحُوا، وَاطِيعُوا تَرشُدُوا.

و

في حديث آخر: فأطيعوه بعدى تهتدوا، واقتدوا به ترشدوا

. قال ابن عباس: ففعلوا فرشدوا.

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا- يصح، ومدار الطريقتين على عمر بن إبراهيم، وهو الكردي. قال: الدار قطنى: كان كذابا يضع الحديث.

قال: هكذا روى أبو بكر الجوزقي من حديث أبي سعيد عن عمر، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لما عرج بي إلى السماء، قلت: اللَّهُمَّ اجعل الخليفة من بعدى علي بن أبي طالب، فارتجت السماوات، و هتف بي الملائكة من كل جانب: يا محمد اقرأ وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (٢). قد شاء الله أن يكون من بعدك أبا بكر الصديق.

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وضعه يوسف بن جعفر، و كان يضع الحديث «٣». (١) نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢١٤. (٢) الإنسان / ٣٠.

(٣) الموضوعات، ج ١، ص ٣١٥-٣١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٥

و مما وضع في المجون و الدجل ما رواه أبو صالح عمرو بن خليف الحتاوى، بإسناد وضعه عن ابن عباس، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبا، فقلت: أذئب في الجنة؟! قال: إني أكلت ابن شرطى. قال ابن عباس: هذا و إنما أكل ابنه، فلو أكله رفع في عليين «١». قال الأمينى: ليت ابن عباس كان يفصح عن أنه لو كان أكل مدير الشرطة أين كان يرفع؟! «٢» و قد عد ذلك من خزيات الحتاوى.

و روى محمد بن يزيد بإسناده عن أبي منظور- و كانت له صحبة- قال: لما فتح الله على نبيه خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج نعال، و أربعة خفاف، و عشرة أواق ذهب و فضة، و حمار أسود. قال: فكلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج من نسل جدى ستون حمارا كلهم لم يركبه إلما نبى، و لم يبق من نسل جدى غيرى و لا- من الأنبياء غيرك، أتوقعك أن تركبني، و قد كنت لرجل من اليهود كنت أعتز به عمدا. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قد سميتك يعفورا، يا يعفور، أ تشتهى الإناث؟ قال: لا. و كان النبي يركبه في حاجة، فإذا نزل بعث به إلى باب الرجل، فيأتى الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أو ما إليه أن أجب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلما قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جاء إلى بئر كانت لأبى الهيثم ابن التيهان فتردى فيها فصارت قبرا له، جزعا منه على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، فلعن الله واضعه، فإنه لم يقصد إلّا القدح في الإسلام و الاستهزاء به. قال أبو حاتم ابن حبان: لا أصل لهذا الحديث، (١) لسان الميزان، ج ٤، ص ٣٦٣، رقم ١٠٦١.

(٢) الغدير، ج ٥، ص ٢٤٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٦

و إسناده ليس بشيء، و لا يجوز الاحتجاج بمحمد بن يزيد «١».

و مما وضع شيئا على مقام النبوة، حديث القضيب الممشوق:

روى أبو جعفر الصدوق في أماليه بإسناد فيه ضعف، رفعه إلى ابن عباس، قال: لما مرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال بلال: هلم، علي بالناس. فاجتمع الناس، فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ متعصبا بعمامته، متوكيا على قوسه حتى سعد

المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: «معاشر أصحابي، أي نبي كنت لكم، ألم أجاهد بين أظهركم، ألم تكسر رباعيتي، ألم يعفر جيني، ألم تسل الدماء على حرّ وجهي حتى كنفحت لحيتي، ألم أكابد الشدة و الجهد مع جهال قومي، ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟»

قالوا: بلى يا رسول الله، لقد كنت لله صابرا و على منكر بلاء الله ناهيا، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء. قال: و أنتم فجزاكم الله. ثم قال: إن ربي عزّ و جل حكم، و أقسم أن لا يجوز ظلم ظالم، فناشدتكم بالله، أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه. فالقصاص في دار الدنيا أحب إليّ من القصاص في دار الآخرة على رءوس الملائكة و الأنبياء. فقام إليه رجل من أقصى القوم، يقال له:

سواده بن قيس. فقال له: فداك أبي و أمي يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك و أنت على ناقتك العضاء، و بيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب و أنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمدا أو خطأ؟ فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: معاذ الله أن أكون تعمّدت.

ثم قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق. فخرج بلال، (١) الموضوعات، ج ١، ص ٢٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٧

و هو ينادى في سكك المدينة، معاشر الناس، من ذا الذي يعطى القصاص من نفسه قبل يوم القيامة، فهذا محمد صلى الله عليه و آله و سلم يعطى القصاص من نفسه قبل يوم القيامة. و طرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام و هو يقول: يا فاطمة قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق. فأقبلت فاطمة و هي تقول: يا بلال، و ما يصنع والدي بالقضيب، و ليس هذا يوم القضيب! فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أنّ والدك قد صعد المنبر و هو يودّع أهل الدين و الدنيا، فصاحت فاطمة و قالت: وا غمّاه لغمّيك يا أبتاه، من للفقراء و المساكين و ابن السبيل يا حبيب الله و حبيب القلوب.

ثم ناولت بلالا القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأبي أنت و أمي. فقال: تعال، فاقصص مني حتى ترضى. فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف عن بطنه. فقال الشيخ: بأبي أنت و أمي يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا سواده بن قيس، أتعفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو، يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. فقال: اللهم اعف عن سواده بن قيس كما عفا عن نبيك محمد (١).

و رواه ابن شهر آشوب في كتاب «المناقب» مرسلا (٢). و رجال إسناده الصدوق في هذا الحديث أكثرهم مجاهيل أو ضعاف، فضلا عن عدم استقامة المتن على أصول المذهب؛ إذ لا يشرع القصاص في غير العمدة، (١) الأمالي لأبي جعفر الصدوق، (ط نجف)، المجلس ٩٢، الحديث رقم ٦، ص ٥٦٧-٥٦٨.

(٢) المناقب، ج ١، ص ٢٣٤-٢٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٨

كما لا قصاص في الضرب بالعصا. و لعل واضح هذا الحديث غفل عن مباني شريعة القصاص في الإسلام، أو لعله أراد الحط من سيد الأنبياء، في حادثه وضعها على خلاف الشريعة.

هذا، و سواده بن قيس، مجهول في زمرة أصحاب رسول الله، لم يأت له ذكر في التراجم. نعم ذكر ابن حجر ما يقارب هذه القصة بشأن سواده بن غزيرة الأنصاري تارة، و بشأن سواد بن عمرو أخرى، و ذكر القصة في يوم بدر.

كان صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم يعدّل الصفوف و في يده قدح (هو السهم قبل أن يراش) فمرّ بسواد بن غزیه فطعن في بطنه، فقال: أوجعتني فأقديني، فكشف عن بطنه، فاعتنقه و قبل بطنه، فدعا له بخير.

قال أبو عمر: رويت هذه القصة لسواد بن عمرو. قال ابن حجر: لا يمتنع التعدّد، لا سيما مع اختلاف السبب.

روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه: أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم كان يتخطّى بعرجون فأصاب به سواد بن غزیه

، فذكر القصة، و

عن معمر عن رجل عن الحسن نحوه. لكن قال: فأصاب به سواده بن عمرو، و كان يصيب من الخلوف فنهاه النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم و آله و سلم، و فيها: فلقية ذات يوم و معه جريدة فطعنه في بطنه، فقال:

أقديني يا رسول الله؟ فكشف عن بطنه فقال له: اقتص. فألقى الجريدة و طفق يقبله. قال الحسن: حجزه الإسلام (١).

و القصة - كما رواه أبو جعفر الصدوق - رواها ابن الجوزي بإسناده إلى أبي نعيم الأصبهاني، أسنده إلى وهب بن متبه عن جابر بن عبد الله و ابن عباس و ذكر (١) الإصابة، ج ٢، ص ٩٥-٩٦، رقم ٣٥٨٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٧٩

القصة بطولها لكن جاء بدل سواده بن قيس، رجل يقال له: «عكاشة» و القصة أطول مما ذكره الصدوق، و على الغرائب أشمل.

قال ابن الجوزي بعد سردها بكاملها: هذا حديث موضوع، كافأ الله من وضعه و قبح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد، و الكلام الذي لا يليق بالرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم و آله و سلم و لا بالصحاب، و المتهم به: عبد المنعم بن إدريس. قال أحمد بن حنبل: كان يكذب على وهب. و قال يحيى: كذاب خبيث (١).

و هكذا ذكر جلال الدين السيوطي القصة في الموضوعات (٢).

### ٣- الإسرائيليات

#### إشارة

إسرائيليات: جمع إسرائيليّ، و هي قصّة أو أسطورة تروى عن مصدر إسرائيلي، سواء أ كان عن كتاب أو شخص، تنتهي إليه سلسلة إسناد القصة.

و النسبة فيها إلى إسرائيل، و هو لقب يعقوب النبي عليه السلام، و إليه تنسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل، سواء أ كانوا منسوبين إليه بالنسب، أو بالإيمان. فكل من آمن باليهودية فهو إسرائيليّ، سواء أ كان منتسبا إلى أحد الأسباط أم لم يكن (٣).

و اللفظة عبرية تعطي معنى: الغلبة على الله؛ حيث القصة الأسطورية في مصارعة يعقوب مع الله ليلة كاملة، و غلبته عليه عند الصباح (٤). (١) الموضوعات، ج ١، ص ٢٠١-٢٩٥.

(٢) اللثالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ج ١، ص ٢٧٧-٢٨٢.

(٣) صرّح بهذا التعميم جيمس هاكس في قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٣.

(٤) راجع: سفر التكوين، إصحاح ٣٢، عدد ٢٥ «فقال له الله: ما اسمك؟ قال: يعقوب. فقال

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٠

و «إسرا» بمعنى الغلبة، و «ئيل» بمعنى القدرة الكاملة، لقب الإله، و تلقّب به الأصنام أيضا (١). فمعنى «إسرائيل»: الغالب على القدرة الكاملة، و هو الله تعالى - في زعمهم -، و قد أصبح لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؛ لأنه صار مع الله و غلب عليه.

و لفظ «إسرائيليات» و إن كان بظاهاه يدل على القصص الذي يروى أصلا عن مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير و الحديث، و



يطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية. فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث والتاريخ من أساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودى أو نصرانى أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث، من أخبار لا أصل لها حتى في مصدر قديم. وإنما هي من صنع أعداء الإسلام، صنعوها بخبث ثيه و سوء طويته، ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين.

و إنما أطلق لفظ الإسرائيليات على كل ذلك، من باب التغليب للون اليهودى على غيره؛ لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل، يرجع فى أصله إلى مصدر يهودى؛ ولأنهم الفئة التى كانت العرب الأوائل و كذا المسلمون فى العهد الأول يرجعون إليها فى الأغلب الأكثر. و اليهود قوم بهت، و هم أشد الناس عداوة و بغضا للإسلام و المسلمين، كما قال سبحانه: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله و الناس و قدرت».

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٣ و ١٤٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨١

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ... «١». و اليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين. و ثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم، و حيلهم التى يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام كانت ماكرة خادعة، و كان لهم نصيب كبير فى هذا الهشيم المروم من الإسرائيليات الدخيلة. فمن أجل هذا كله، غلب اللون اليهودى على غيره من ألوان الدخيل على التفسير والحديث، و أطلق عليه كله لفظ «الإسرائيليات».

### الإسرائيليات فى التفسير و الحديث

كانت العرب منذ أول يومها تزعم من أهل الكتاب، و لا سيما اليهود القاطنين بين أظهرهم، أهل دين و ثقافه و معرفه بشئون الحياة، و من ثم كانوا يراجعونهم فيما تتوق إليه نفوسهم فى معرفه شئون الخليقة و تواريخ الأمم السالفة و الأنبياء و ما إلى ذلك. و هكذا بعد ظهور الإسلام كانوا يفضلون مراجعة أهل الكتاب فى معرفه شئون الإسلام و الدعوة.

و لا سيما و قد حدا بهم القرآن إلى مساءله أهل الذكر و الكتاب. قال تعالى مخاطبا لهم: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «٢». و هذا من باب و ما لى لا أعبد الذى فطرنى و إليه ترجعون «٣».

المخاطب، و إن كان هو النبى صلى الله عليه و آله و سلم لكن المقصود غيره ممن شك فى (١) المائة/ ٨٢.

(٢) يونس / ٩٤.

(٣) يس / ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٢

رسالته، فليراجعوا أهل الكتاب فى معرفه سمات نبى الإسلام. و هذا كان فى إبان الدعوة؛ حيث كان يرجى الصدق من أهل الكتاب. و هكذا قوله تعالى: و ما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون «١».

و قوله: و ما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات و الزبر «٢».

و قوله: و لقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بنى إسرائيل إذ جاءهم ... «٣».

إلى غيرها من آيات، تخاطب المشركين، فيما لو ارتابوا فى صحه ما جاء به القرآن، أن يراجعوا أهل الكتاب.

و قد حسب بعض المسلمين الأوائل، أن ذلك تجوز لهم أيضا فى مراجعة اليهود، فيسألوهم عن بعض شئون الشريعة، و لا سيما فى أصول معارفها و شئون الخليقة و تاريخ الأنبياء.

لكن الأمر لم يستمر على ذلك حتى جاء النهى الصريح عن مراجعة أهل الكتاب؛ وذلك بعد أن عرف منهم الخبث و اللؤم في تضليل المسلمين، و تشويه سمعة الإسلام، و تضعيف العقائد. (١) الأنبياء / ٧.

(٢) النحل / ٤٣.

(٣) الإسراء / ١٠١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٣

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِلِطَانِهِمْ مِنْ دُونِكُمْ. لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا. وَدُوا مَا عَنْتُمْ. قَدْ يَدَّتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ. قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ «١».

(البطانة): ما يستبطنه الإنسان من ثيابه التي تلي جسده، أى لا تتخذوا أصحاب سر من غيركم.

لا يألونكم خبالاً، أى لا يقصرون فى إفساد ذهبتاتكم عن الإسلام، و منه الخبل: فساد العقل. و رجل مخبل: فاسد الرأى.

ودوا ما عنتم، أى كانت غاية جهدهم إيقاع العنت بكم. و العنت: المشقة الروحية، و القلق الفكرى.

و من ثم أصدر النبى صلى الله عليه و آله و سلم نهيه الصريح عن مراجعة أهل الكتاب، بما أنهم لا يخلصون النصيحة للمسلمين، و لا يأبهون إن حقا قالوا أو باطلا، ما دامت الغاية هى إيقاع الفساد و العنت بين المؤمنين.

فقد أخرج أحمد فى مسنده و كذا ابن أبى شيبة و البزار من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: إن عمر

بن الخطاب أتى النبى صلى الله عليه و آله و سلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه (و فى نسخة أحمد: فقرأه النبى)

فغضب، فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! و الذى نفسى بيده لقد جثتكم بها بيضاء نقيّة. لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق

فتكذبوا به، أو باطل فتصدقوا به. و الذى نفسى بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى «٢». (١) آل عمران /

١١٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٣٨٧. و راجع: فتح البارى فى شرح البخارى لابن حجر

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٤

المتهوك: الذى خاس عقله، فيرد فى الأمور من غير روية و لا تعقل، كالمتهور غير المبالى.

و هذا اللحن من الخطاب غاية فى الاستنكار على صنيع قبيح لا يليق بشأن إنسان عاقل متدبر بصير. فقد وبخ صلى الله عليه و آله و

سلم عمر فى صنيعه هذا، و أنه راجع اليهود فى بعض مسائله، و هذا الإسلام ناصع جلى بين يديه يجب على جميع مسائل الإنسان فى

الحياة، لا إبهام فيه و لا قصور.

فقد أبان صلى الله عليه و آله و سلم أن نبى الله موسى عليه السلام لو أدرك هذا الزمان، لكان الواجب نبذ ما لديه، و الأخذ بما جاء

به نبى الإسلام، فكيف بالمسلمين يراجعون اليهود فى مخاريق قديمة العهد، لا وزن لها و لا اعتبار، و أنها مزيج أباطيل قد يوجد فى

طبيها بعض الحقيقة، مما لا يمكن الوثوق من صحتها، ما دامت ضائعة بين الأباطيل.

و قد عقد البخارى فى صحيحه بابا عنونه

بقول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء» «١». و ذكر فيه حديث معاوية عن كعب الأجار: إن كان

من أصدق هؤلاء المحذّثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب، و إن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

قوله: «نبلو عليه الكذب»، أى نخبره فنجد فى أخباره كذبا. هذا الحديث قاله - ج ١٣، ص ٢٨١. قال ابن حجر: رجاله موثوقون إلا أن

فى مجالد ضعفا ... غير أن البخارى قال: إنه صدوق. و قال يعقوب بن سفيان: تكلم الناس فيه و هو صدوق. قال ابن عدى: له عن

الشعبى عن جابر أحاديث صالحة. قلت: و هذا الحديث من هذا الطريق الصالح.

راجع: تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٤٠ - ٤١.

(١) صحيح البخارى، ج ٩، ص ١٣٦. وراجع: ج ٣، ص ٢٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٥

معاوية عند ما حج في خلافته «١».

و

روى بإسناده عن أبى هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم، و قولوا آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل إليكم» «٢».

أقول: ويل تلك الفئة من المنتحلين بالإسلام، يتركون القرآن العربى الفصيح، و يستمعون إلى سفاسف عبرية يفسرها ذوو الأحقاد من أهل الكتاب.

و هذا كان فى أخريات حياة النبى صلى الله عليه و آله و سلم حيث كان أبو هريرة «٣» ممن يستمع إلى مثل تلك السفاسف، فجاء النهى، و الأمر بالافتناع بما جاء به القرآن.

و روى حديث ابن عباس فى الاستنكار لمراجعة بعض المسلمين لأهل الكتاب، و سذكه.

هذا، و مع ذلك كان من المسلمين من لم ينته عن مراجعة أهل الكتاب أو النظر فى كتبهم و رسائلهم، بغية الحصول على مطالب كان يزعم افتقادها فى أحاديث المسلمين.

و قد راجت هذه العادة الجاهلية- التى كانت تضعف حينا و تقوى حينا آخر- بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله و سلم حيث انسد على كثير من الناس باب علم الله المتمثل فى شخصية الرسول صلى الله عليه و آله و سلم متغافلين عن خلفائه العلماء أبواب علومه الفياضة، و لا سيما باب علم النبى على أمير المؤمنين عليه السلام و من كان على حذوه كابن عباس (١) راجع: فتح البارى، ج ١٣، ص ٢٨٢.

(٢) صحيح البخارى، ج ٩، ص ١٣٦.

(٣) لأن أبى هريرة أسلم بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٦

و ابن مسعود و أضرابهما، فتركوا السبيل السوى و لجأوا إلى معوج الطريق.

هذا ابن عباس يناديهم فيقول:

«كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء، و كتابكم الذى أنزل على رسول الله أحدث «١»، تقرءونه محضا لم يشب «٢». و قد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله و غيره و كتبوا بأيديهم الكتاب، و قالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا.

ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم. لا و الله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم» «٣».

و كان من الآثار السيئة التى خلفتها مراجعة أهل الكتاب رغم نهى النبى عنها أن خلطت الأكاذيب الإسرائيلية بالتفسير و الحديث الوارد عن النبى و الخيار من صحابته الأجلء، فشوهت وجه التفسير، فضلا عن التاريخ و الحديث. و سوف نذكر نماذج من هذا التشويه، و لا سيما فى التفسير بالمأثور.

قال ابن خلدون:

و صار التفسير على صنفين: تفسير نقلى مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، و هى معرفة الناسخ و المنسوخ و أسباب النزول و مقاصد الآى، و كل ذلك لا يعرف إلما بالنقل عن الصحابة و التابعين، و قد جمع المتقدمون فى ذلك و أروعوا، إلّا أن كتبهم و منقولاتهم تشتمل على الغث و السمين و المقبول (١) فى نسخة: «أحدث الأخبار بالله».

(٢) لم يشب: من الشوب و هو الخلط، أى لم يشبه شىء، كناية عن عدم الدس فيه و التحريف، كما كان عليه كتب السالفين.

(٣) صحيح البخارى، ج ٩، ص ١٣٦. و ج ٣، ص ٢٣٧. و فى الموضوعين بعض الاختلاف فى لفظ الحديث.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٧

و المردود. و السبب فى ذلك: أن العرب لم يكونوا أهل كتاب و لا علم، و إنما غلبت عليهم البداوة و الأمية، و إذا تشوقوا إلى معرفة شىء مما تشوق إليه النفوس البشرية، فى أسباب المكونات و بدء الخليقة و أسرار الوجود، فأنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، و يستفيدونه منهم، و هم أهل التوراة من اليهود، و من تبع دينهم من النصارى. و أهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، و لا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، و معظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة و ما يرجع إلى الحدثن و الملاحم و أمثال ذلك. و هؤلاء مثل كعب الأحبار و وهب بن منبه و عبد الله بن سلام و أمثالهم، فامتألت التفاسير من المنقولات عندهم فى أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم. و تساهل المفسرون فى مثل ذلك، و ملثوا كتب التفسير بهذه المنقولات، و أصلها - كما قلنا - عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية و لا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد صيتهم و عظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات فى الدين و الملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ «١».

### هل تجوز مراجعة أهل الكتاب؟

و هل هناك ما يبرر مراجعة أهل الكتاب؟

زعم الكثير من الكتّاب المتأخرين - تبريرا لمواقف لفييف من الصحابة الذين صمدوا على الرجوع إليهم، و لا سيما مسلمة أهل الكتاب - أن هناك دلائل على (١) المقدمة، ص ٤٣٩ - ٤٤٠، آخر الفصل الخامس فيما ذكره بشأن التفسير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٨

الجواز، إما فى زمن متأخر عن المنع الذى كان فى ابتداء الأمر، أو فى شئون لا تمس أحكام الشريعة فى مثل القصص و التواريخ، أو فيما لم تمسه يد التحريف و قد توافق مع ما جاء به القرآن الكريم، أو نحو ذلك.

هذا ابن تيمية يذكر عن السدي الكبير (هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي توفى سنة ١٢٧) أنه كان فى بعض الأحيان ينقل ما يحكى من أقاويل أهل الكتاب، التى أباها - فيما زعم -

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث قال: بلغوا عنى و لو آية، و حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج، و من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار «١»، رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

و لهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين «٢» من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن فى ذلك «٣».

قال: و لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق.

و الثانى: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

و الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل و لا من هذا القبيل، فلا تؤمن به و لا تكذبه، و تجوز حكايته، لما تقدم «٤». و غالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر دينى و لهذا اختلف علماء أهل الكتاب فى مثل هذا كثيرا، فى مثل أسماء أهل (١) رواه البخارى فى باب ما ذكر عن بنى إسرائيل من كتاب الأنبياء، ج ٤، ص ٢٠٧.

(٢) الزاملة: هى الملفقة، و ربما كانت حمل بعير، و قد فسر أبو شهبه الزاملتين بحمل بعيرين. (الإسرائيليات و الموضوعات، ص ٩٢)

(٣) سنأتى على تفسير هذا الحديث بغير ما فهمه هؤلاء.

(٤) من عدم تصديقهم ولا تكذيبهم فيما يحكونه. ذكر ذلك في ص ١٩ من رسالته.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٨٩

الكهف و أسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم و دينهم. و لكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز «١».

و يستدل الذهبي لجواز مراجعة أهل الكتاب و النقل عنهم فيما لا يخالف الشريعة بآيات، زعم دلالتها على إباحة الرجوع إليهم، قال: و إذا نحن نظرنا في القرآن الكريم، وجدنا من آياته البينات ما يدعو نبي الإسلام و جماعة المسلمين إلى أن يرجعوا إلى علماء أهل الكتاب من اليهود و النصارى ليسألوهم عن بعض الحقائق التي جاءت في كتبهم، و جاء بها الإسلام فأنكروها، أو أغفلوها، ليقم عليهم الحجّة، و لعلهم يهتدون.

و من هذه الآيات الدالة على إباحة رجوع النبي صلى الله عليه و آله و سلم و من تبع دينه من المسلمين إلى أهل الكتاب قوله تعالى: فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «٢»، و قوله: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ «٣»، و قوله:

و سِئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا «٤». قال: و معناه: و أسأل أممهم و علماء دينهم. قال الفراء ميّنا وجه المجاز في الآية: هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل، فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم السلام، و قوله: و سِئَلُهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ، و قوله: فَسِئَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، و قوله: (١) مقدمته في أصول التفسير، ص ٤٥-٤٦، (المطبعة السلفية) و راجع: مقدمته تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤.

(٢) يونس / ٩٤.

(٣) الأنبياء / ٧، و النحل / ٤٣.

(٤) الزخرف / ٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٠

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ «١».

قال: كل ما تقدم من أمر الله لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم بسؤال أهل الكتاب، يدلّ على جواز الرجوع إليهم، و لكن لا في كل شيء، بل فيما لم تصل له يد التحريف و التبديل من الحقائق التي تصدق القرآن و تلزم المعاندين منهم و من غيرهم الحجّة «٢».

قال: و على هذا فما جاء موافقا لما في شرعنا تجوز روايته، و عليه تحمل الآيات الدالة على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب، و عليه أيضا يحمل

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج»

؛ إذ المعنى: حدّثوا عنهم بما تعلمون صدقه.

و أما ما جاء مخالفا لما في شرعنا أو كان لا يصدّقه العقل، فلا تجوز روايته؛ لأن حديث الإباحة لا يتناول ما كان كذبا. و أما ما سكت عنه شرعنا، و لم يكن ما يشهد لصدقه و لا لكذبه و كان محتملا، فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدّقه و لا نكذّبه؛ و على هذا يحمل

قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تصدّقوا أهل الكتاب و لا تكذّبوهم».

أما روايته فجائز على أنها مجرد حكاية لما عندهم؛ لأنها تدخل في عموم الإباحة المفهومة، من

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج» «٣».

و أضاف قائلا: ما ثبت من أن بعض الصحابة كأبي هريرة و ابن عباس، كانوا يراجعون بعض من أسلم من أهل الكتاب، يسألونهم عمّا

في كتبهم، و ما روى من (١) الإسرائيليات في التفسير و الحديث، محمد حسين الذهبي، ص ٦٠-٦١، الأعراف/١٦٣، الإسراء/١٠١، البقرة/٢١١.

(٢) المصدر، ص ٦٣.

(٣) الإسرائيليات في التفسير و الحديث، ص ٦٤-٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩١

أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما، لا يعارض ما رواه البخارى من إنكار ابن عباس على من يسأل أهل الكتاب.

و لا ما

رواه عبد الرزاق في مسنده عن ابن مسعود من نهيه عن سؤال أهل الكتاب بقوله: «لا- تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم و قد أضلوا أنفسهم».

و لا ما رواه أحمد من إنكار الرسول صلى الله عليه و آله و سلم على عمر لما أتاه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب بقوله: «أمتهم كون فيها يا ابن الخطاب».

قال: «نعم لا- تعارض بين هذا و ذاك؛ لأن صحابة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كانوا أعرف الناس بأموال دينهم، و كان لهم منهج سديد و معيار دقيق في قبول ما يلقى إليهم من الإسرائيليات، ما كانوا يرجعون إليهم في كل شيء، و إنما كانوا يرجعون إليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث و الأخبار.

قال: أما إنكار الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و إنكار الصحابة على من كان يرجع إليهم، فقد كان في مبدأ الإسلام و قبل استقرار الأحكام، مخافة التشويش على عقائدهم و أفكارهم «١».

قال ابن حجر: «و كأنّ النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية و القواعد الدينيّة خشية الفتنة. ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار» «٢». (١) الإسرائيليات في التفسير و الحديث، ص ٦٦-٦٧.

(٢) راجع: فتح الباري، ج ٦، ص ٣٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٢

### مناقشة دلائل الجواز

غير أن هذه الدلائل غير وافية بإثبات المطلوب، و لا هي تبرر مراجعة أهل الكتاب في شيء من تفسير القرآن الحكيم أو تاريخ الأنبياء عليهم السلام.

ذلك لأنّ اليهود الذين جاؤوا العرب كانوا أهل بادية مثلهم- كما قال ابن خلدون- لا علم لهم و لا تحقيق بمعرفة الصحيح من الأخبار، سوى ما شاع لديهم من أخبار عاميّة ممّا لا يمكن الوثوق بها. أما علماؤهم فكانوا أهل دجل و تزوير، كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم- كما حكى عنهم القرآن- و يزورون الحديث و يقولون: هذا من عند الله، و ما هو من عند الله، ليشتروا به ثمنا قليلا، بغية حطام الدنيا الرذيلة.

و من ثمّ كان المنع من ذلك شديدا كما عرفت في مناهي النبي و أصحابه الكبار عن ذلك، و لم يدل على جوازه شيء من الأخبار و الآثار.

أمّا الآيات التي زعموها مبيحة لذلك، فلا استدلال بها عقيم؛ لأنها من باب «إياك أعني و اسمعي يا جارة». كان الخطاب في ظاهره مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم غير أنّ المقصود غيره من المتشككين في أمر الرسالة، و ليسوا هم المسلمين أيضا، بل الكفار و

المنافقون هم المقصودون، بدليل صدر الآية و ذيلها: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «١».

و العجب من الذهبي كيف يزعم أن هذه الآية جاءت رخصة للنبي في مراجعة أهل الكتاب؟! أو هل يشك النبي فيما أنزل إليه؟! أو هل يمتري النبي في صدق رسالته كي يؤمر بالانتهاه منه؟! (١) يونس / ٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٣

لا شك أن المقصود غيره من الذين كانوا يتشككون في صدق رسالته، و لقد كان المرجع الوحيد الذي يمكن أولئك المتشككين اللجوء إليه هم (أهل الكتاب) الذين جاورهم، و ليس النبي صلى الله عليه و آله و سلم بمقصود البتة، و لا المسلمون المعتقدون بصحة الرسالة.

و هكذا قوله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ «١» خطاب محض موجه إلى العرب الجاهلي.

أما

حديث «حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج»

فهو كناية عن التوسع في تفضيع شأنهم؛ حيث كل ما حدثته عنهم من رذائل و فضائح فهو حق لا مريه فيه؛ حيث توسعهم في ارتكاب الآثام و ركوبهم جميع القبائح المحتملة بشأنهم، كما جاء في المثل: «حدث عن البحر و لا حرج» كناية عن التوسع في الأمر، و أنه كل ما قلت عنه فهو صحيح. و منه قولهم بشأن معن بن زائدة الشيباني و كان من أجواد العرب: «حدث عن معن و لا حرج»، كناية عن توسعه في المكرمات، فكل ما حدثت عنه من فضيلة، فهو صدق واقع «٢».

فهذا تعبير كنائي عن مطلق التوسع في أمر إن شينا أو زينا، و ليس المقصود التحدث، بمعنى الرواية و النقل عنهم.

و يتأيد هذا المعنى، بما

ورد في لفظ أحمد: «حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج، فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا و قد (١) النحل / ٤٣.

(٢) راجع: مجمع الأمثال للميداني رقم ١١٠٣، ج ١، ص ٢٠٧. و فرائد الأدب للأب لويس معلوف.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٤

كان فيهم أعجب منه «١»، أي كل ما حدثت عنهم من فضيحة أو رذيلة شائنة، فهو صدق؛ لأنهم أوسع فضاحة و أكثر رذالة مما يحتمل بشأنهم.

و

في لفظه الآخر: «حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج، و حدثوا عني و لا تكذبوا» «٢».

ففي هذه المقارنة بين التوسع في الحديث عن بني إسرائيل، و التقيد لدى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم دلالة واضحة على صدق الحديث عنهم مهما كان الحديث، أما عند التحدث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيجب تحري الصدق، و لئلا يكون كذبا عليه. فإنه من كذب عليه متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

## أقطاب الروايات الإسرائيلية

### إشارة

عند ما نتصفح كتب السير و التفاسير و أخبار الملاحم، نجد أن أكثرية ما يروى من الإسرائيليات تكاد تدور على أقطاب ثمانية، كانوا هم الأساس لشياع الأساطير الإسرائيلية بين المسلمين.

و هم: عبد الله بن سلام، و كعب الأحبار، و محمد بن كعب القرظي، و وهب بن متبه، و تميم بن أوس الداري، و عبد الملك بن عبد

العزیز بن جریج، و عبد الله بن عمرو بن العاص، و أبو هريرة.

أما الأولان فهما من مسلمة أهل الكتاب. و الثلاثة بعدهما ممن ولدوا عن أبوين كتابيين. و الأخيران أسلما عن شرك. و لكن أخذنا علمهما ممن سبقهما من (١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٣. (٢) المصدر، ص ٥٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٥

أهل الكتاب.

أما الخمسة الأول فكانت لهم إمامة بثقافات موروثه من أهل الكتاب، لكن لا على حدّ التحقيق و النقد، بل على حدّ الشيع العام- حسبما تبه عليه ابن خلدون- لأنهم كانوا أيضا كإخوانهم العرب، من البائدة القاطنين في الجزيرة. كان هؤلاء جميعا، يقصون على الناس- في حلقات إما في أندية أو جوامع- القصص و الأخبار البائدة، و يحكون لهم غرائب الآثار الأساطيرية، و ربما كانت مهيجته، و من ثم كانت لهم أسواق رائجة في الأوساط العامية؛ الأمر الذي أشاع عنهم الكثير من الأساطير الإسرائيلية، و أخذ عنهم أهل السير و التاريخ، و أدرجوها ضمن كتبهم في التفسير و الحديث و التاريخ. و إليك إمامة قصيرة ب حياة هؤلاء الأقطاب الثمانية:

#### ١- عبد الله بن سلام

اسمه الحصين بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، حليف النوافل من الخزرج، و هم بنو عوف، كان حبرا من أحبار اليهود، فأسلم عند مقدم النبي صلى الله عليه و آله و سلم المدينة، و قيل: قبل وفاته بستين، فسماه النبي صلى الله عليه و آله و سلم عبد الله.

قال ابن حجر: و كان من بنى قينقاع «١».

قيل: إنه جاء إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: إنني قد قرأت القرآن و التوراة. فقال: «اقرأ بهذا ليلة، و بهذا ليلة»

. قال الإمام شمس الدين الذهبي: إسناده ضعيف «٢».

لأن الراوى له هو إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، و هو متروك الحديث. (١) الإصابة، ج ٢، ص ٣٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٨-٤١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٦

و بعضهم اتهمه. قال الأستاذ شعيب الأرنؤوط: فالحديث ضعيف جدًّا، بل يكاد يكون موضوعا، فإنه مخالف

لحديث جابر بن عبد الله الأنصاري: أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفتري أن نكتب بعضها؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «أمتهوكون كما تهوكت اليهود و النصرى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية. و لو كان موسى حيا لما وسعه إلا أتباعي».

قال: و هو حديث حسن «١».

كان عبد الله بن سلام ممن يحوك الأحاديث ليستجلب أنظار العامة و يرفع بمنزلته لديهم، من ذلك ما حاكه حول صفة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في التوراة، كان يملئها على العامة تزلفا إليهم. فكان يذكر من أوصاف الرسول الراهنة، و يقول:

وجدتها كذلك في التوراة «٢»، و كان يدعى أنه أعلم اليهود و أخبرهم بكتب السالفين «٣».

و قد حكيت حوله أحاديث في فضله و نبله، غير أنها ضعيفة الإسناد موهونة. توفي بالمدينة سنة (٤٣).



## ٢- كعب الأخبار

هو كعب بن ماتب الحميري من آل ذي رعين أو من آل ذي الكلاع «٤». و يكتنى (١) هامش سير أعلام النبلاء. أخرج الحديث عن «مجمع الزوائد، ج ١، ص ١٧٣-١٧٤».

(٢) أوردها ابن سعد في الطبقات (ط ليدن)، ج ١، ص ٨٧، ص ١٤.

(٣) الإصابة، ج ٢، ص ٣٢١، و سير الأعلام، ج ٢، ص ٤١٦.

(٤) وربما رجح الثاني، لما

رواه الطبراني من طريق يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عوف بن التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٧

أبا إسحاق، من كبار أخبار اليهود، كان أبوه كاهنا، و ورث الكهانة من أبيه. ولد قبل الهجرة باثنتين و سبعين سنة، و أسلم بعد وفاة النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم في أوائل خلافة عمر. و هلك أيام عثمان سنة (٣٢). فقد عاش (١٠٤) سنة.

كان من أهل اليمن - من يهودها - فهاجر إلى المدينة عند ما أسلم، ثم تحوّل إلى الشام، فاستصفاه معاوية و جعله من مستشاريه، لما زعم فيه من كثرة العلم «١».

و هو الذى أمره أن يقصّ فى بلاد الشام؛ و بذلك أصبح أقدم الإخباريين فى موضوع الأحاديث اليهودية المتسربة إلى الإسلام. و بواسطة كعب و ابن مته و سواهما من اليهود الذين أسلموا تسربت إلى الحديث طائفة من أقاصيص التلمود- الإسرائيلية- و ما لبثت هذه الروايات أن أصبحت جزءا من الأخبار التفسيرية و التاريخية فى حياة المسلمين.

افتجر هذا الكاهن لإسلامه سببا عجيبا ليتسلّل به إلى عقول المسلمين مالكا، أنه دخل المسجد يتوكأ على ذى الكلاع، و كعب يقصّ على الناس، فقال عوف لذى الكلاع: ألا تنهى ابن أخيك هذا عما يفعل؟ قيل: إنه نهاه و ذكره بحديث عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «لا يقصّ على الناس إلّا أمير أو مأمور أو متكلف محتال» فأمسك كعب عن القصص حتى أمره معاوية، فصار يقصّ بعد ذلك.

(الإصابة، ج ٣، ص ٣١٥-٣١٦)

(١) قال معاوية فى وصف علمه: ألا إنّ كعب الأخبار أحد العلماء، إن كان عنده علم كالثمار و إن كنا فيه لمفرطين.

و الذى يدل على مبلغ علمه الموهوم ما قاله هو لقيس بن خرشة القيسى: ما من شبر فى الأرض إلّا و هو مكتوب فى التوراة التى أنزل الله على موسى، ما يكون عليه و ما يخرج منه إلى يوم القيامة، يعنى أنه يعلم بذلك. (راجع: تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٤٣٩، و الاستيعاب فى ترجمة قيس بن خرشة، هامش الإصابة، ج ٣، ص ٢٤٣).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٨

و قلوبهم. فقد أخرج ابن سعد بإسناد صحيح- حسبما ذكره أبو رية- عن سعيد بن المسيّب قال: قال العباس بن عبد المطلب لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و أبى بكر، حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟ فقال: إن أبى كتب لى كتابا من التوراة و دفعه لى، و قال: اعمل بهذا. و ختم على سائر كتبه، و أخذ على بحق الوالد على ولده أن لا أفصّ الخاتم. فلمّا كان الآن، و رأيت الإسلام يظهر و لم أر بأسا، قالت لى نفسى: لعلّ أباك غيب عنك علما كتمك، فلو قرأته، ففضضت الخاتم، فقرأته، فوجدت فيه صفة محمّد و أمته.

فجئت الآن مسلما. فوالى العباس «١».

قلت: و لا يخفى ما فى هذا التبرير من تفاهة إن لم يكن فى طيها سفاهة تصحبها خباثة.

و كان عمر يكرهه و يسىء الظنّ به، لما كان قد أفسد فى الحديث و أشاع الأكاذيب. قال له يوما و قد أحضره: لتتركنّ الأحاديث أو لألحقنّك بأرض القردة «٢»، يعنى أرض اليهود التى هى أصله. و

روى أهل السير أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام كان يذمّه، و يقول عنه: إنّ كعب الأخبار لكذاب

. و قد كان منحرفا عن على عليه السّلام، كما ذكره ابن ابى الحديد «٣». (١) الطبقات، ج ٧، ق ٢، ص ١٥٦. و راجع: الإصابة، ج ٣، ص ٣١٦. و الأضواء لأبى ربه، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) أخرجه أبو زرعّة الدمشقى فى تاريخه، ج ١، ص ٥٤٤. راجع: هامش سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٩٠. و رواه ابن كثير فى البداية و النهاية، ج ٨، ص ١٠٨، ط السعادة (راجع الإسرائيليات للذهبي، ص ٩٦).

(٣) شرح النهج، ج ٤، ص ٧٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٩٩

و من سخافاته ما روى عن سعد الجارى مولى عمر، قال: إنّ عمر دعا أمّ كلثوم- و كانت تحته- فوجدها تبكى. فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: هذا اليهودى- تعنى كعبا- يقول: إنك على باب من أبواب جهنّم! فقال عمر: ما شاء الله، و الله إنى لأرجو أن يكون ربّى خلقنى سعيدا. ثم أرسل إلى كعب فدعاه، فلمّا جاءه قال: يا أمير المؤمنين لا تعجل علىّ، و الذى نفسى بيده، لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة.

فقال عمر: أى شىء هذا، مرّة فى الجنة و مرّة فى النار؟! فقال: يا أمير المؤمنين، و الذى نفسى بيده، إنا لنجدك فى كتاب الله- يعنى به التوراة- على باب من أبواب جهنم، تمنع الناس أن يقعوا فيها. فإذا متّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة «١».

و يروى الطبرى أنه جاء إلى عمر قبل مقتله بثلاثة أيام، و قال له: اعهد، فإنك ميت فى ثلاثة أيام. قال: و ما يدريك؟ قال: أجده فى كتاب الله عزّ و جل فى التوراة! قال عمر: إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟ قال: اللهم، لا، و لكن أجد صفتك و حليتك، و أنه قد فنى أجلك «٢».

قال أحمد أمين تعقيبا على هذه القصة: و هذه القصة إن صحّت دلّت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر، ثم وضعها هو فى هذه الصبغة الإسرائيلية. كما (١) طبقات ابن سعد، ج ٣، ق ١، ص ٢٤٠، س ٤-١٢.

(٢) جاء فى تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٢٦٤ (مطبعة الاستقامة) حوادث سنة (٢٣): أن عمر كان لا يحسّ ألما و لا وجعا حتى كان من الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين ذهب و بقى يومان. ثم جاءه من غد الغد فقال: ذهب يومان و بقى يوم و ليلة، و هى لك إلى صبيحتها.

فلما كان الصبح خرج إلى الصلاة فطعنه أبو لؤلؤة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٠

تدلّنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل «١».

و هكذا ذكر أبو ربيّة: و ممّن اشترك فى مؤامرة قتل عمر، و كان له أثر كبير فى تدبيرها كعب الأخبار. و هذا لا يمتري فيه أحد إلّا الجهلاء «٢».

و ذكر ابن سعد أنّ كعبا كان يقول: كان فى بنى إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرناه عمر، و إذا ذكرنا عمر ذكرناه. و كان إلى جنبه نبى يوحى إليه. فأوحى الله إلى النبى أن يقول له: اعهد عهدك و اكتب وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام، فأخبره النبى بذلك. فلما كان فى اليوم الثالث وقع بين الجدر و بين السرير؛ ثم جاء إلى ربّه فقال: اللهم إن كنت تعلم أنّى كنت أعدل فى الحكم، و إذا اختلفت الأمور اتّبع هواك و كنت و كنت، فزدنى فى عمرى حتى يكبر طفلى و تربو أمّتى. فأوحى الله إلى النبى أنه قد قال كذا و كذا، و قد صدق، و قد زدته فى عمره خمس عشرة سنة، ففى ذلك ما يكبر طفله و تربو أمّته.

فلما طعن عمر قال كعب: لئن سألت عمر ربّه ليقينّه الله. فأخبر بذلك عمر، فقال عمر: اللهم، اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم «٣». و ذكر أيضا: لما طعن عمر، جاء كعب فجعل يبكي بالباب، ويقول: والله لو أنّ أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخّره لأخّره. فدخل ابن عباس عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كعب يقول كذا وكذا! قال: إذن والله لا أسأله. ثم قال: ويل لي ولأمي إن لم يغفر الله لي «٤». (١) فجر الإسلام، ص ١٦١.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، ص ١٥٥.

(٣) الطبقات، ج ٣، ق ١، ص ٢٥٧، س ٢-١٢.

(٤) المصدر، ص ٢٦٢، س ١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠١

و من ثمّ كان ما يحكيه كعب عن الكتب القديمة، ليس بحجة عند أحد من أهل العلم و التحقيق، و لم يثبت أهل الحديث الأوائل. قال شعيب الأرنؤوط:

و أخطأ من زعم أنه خرّج له البخاري و مسلم، فإنهما لم يسندا من طريقه شيئا من الحديث. و إنّما جرى ذكره في الصحيحين عرضا. قال: و لم يؤثر عن أحد من المتقدمين توثيق كعب إلّا أنّ بعض الصحابة- يعنى معاوية- أثنى عليه بالعلم «١».

و قد سمعت قول معاوية- صديقه الوفيّ- بشأنه، حينما حجّ في خلافته: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، و إن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب «٢».

قال ابن حجر: و روى عنه من الصحابة عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير و أبو هريرة و معاوية «٣»، و ذكر ابن عباس أيضا. لكنّا قد فنّدنا ذلك بتفصيل. و في «الطبقات»: أن تبع ابن امرأة كعب حمل من كعب علما كثيرا «٤».

قال أحمد أمين: و أما كعب الأخبار فيهودي من اليمن، و من أكبر من تسرّبت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين. و قد أخذ عنه اثنان، هما أكبر من نشر علمه: ابن عباس! و أبو هريرة. و ما نقل عنه يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية و أساطيرها. جاء في «الطبقات الكبرى» حكاية عن رجل دخل المسجد فإذا عامر بن عبد الله بن عبد قيس جالس إلى كتب و بينها سفر من أسفار التوراة و كعب يقرأ. و قد لاحظ بعض الباحثين أن بعض الثقات كابن قتيبة و النووي (١) هامش سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٩٠. و معاوية هو الذي أثنى عليه بالعلم. راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٨٢.

(٢) راجع: البخاري بهامش الفتح، ج ١٣، ص ٢٨٢.

(٣) الإصابة، ج ٣، ص ٣١٦.

(٤) الطبقات، ج ٧، ق ٢، ص ١٦٠، س ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٢

لا يروى عنه أبدا. و ابن جرير يروى عنه قليلا «١».

قال الذهبي بعد نقل كلام أحمد أمين: و هذا يدلنا على أن كعبا كان لا يزال بعد إسلامه يرجع إلى التوراة و التعاليم الإسرائيلية «٢». قلت: أمّا رواية ابن عباس عن كعب فشيء موضوع، و لم تثبت روايته عنه، و هو الناقد على مراجعي أهل الكتاب على ما أسلفنا. نعم، كان أبو هريرة لقلبه بضاعته كثيرا ما يراجع أهل الكتاب، و لا سيّما كعبا، كان يعدّ شيخه و مرشده في هذا الطريق. و كان أبو هريرة أكثر من نشر عن كعب و أفاض بمعلوماته الجمّة عن مثله.

قال الأستاذ أبو ريّة- و نعم ما قال:- «إن كعبا أظهر الإسلام خداعا، و طوى قلبه على يهوديته، و أنّه سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه و ينيمه، ليلقنه كل ما يريد أن يبثّه في الدين الإسلامي من خرافات و أوهام.

و أنّه قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعل يردّد كلامه بالنصّ، و يجعله حديثا مرفوعا «٣».

قال: وقد استطاع هذا اليهودي أن يدس من الخرافات والأوهام والأكاذيب في الدين، ما امتلأت به كتب التفسير والحديث والتاريخ، فشوّهتها وأدخلت الشك إليها. وما زالت تمدنا بإضرارها «٤». (١) فجر الإسلام، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٨٨.

(٣) الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ص ٩٥. قال أبو رية في الأضواء، ص ١٦٤:

يرجع إلى كتابنا «شيخ المضيرة» ليعلم كيف اتصل أبو هريرة بكعب الأحبار، وكيف وقع في فخه.

(٤) أضواء على السنة المحمدية، ص ١٦٤.

التفسير والمفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٣

### ٣- تميم بن أوس الداري

هو أبو رقية، تميم بن أوس بن حارثة أو خارجة الداري، اللخمي الفلسطيني. والدار: بطن من لخم، فخذ من يعرب بن قحطان. وقد تميم وأخوه نعيم في وفد كانوا عشرة نفر من بني الدار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد منصرفه من تبوك سنة (٩) فأسلما وكانا نصرانيين. قال أبو نعيم: كان تميم راهب عصره وعابد فلسطين.

يقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عنه قصة «الجساسة» والدجال، فحدث عنه بذلك على المنبر، فكان ذلك منقبة له «١».

و التمس من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يهب له قريتين من قرى فلسطين، إن فتح الله عليه الشام. قال: كانت لنا جيرة من الروم، ولهم قريتان يقال لإحدهما: حبرى والأخرى بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. قال صلى الله عليه وآله وسلم فهما لك.

و كتب له كتابا. فلما قام أبو بكر بالأمر أعطاه ذلك «٢». وقيل: إنه جاء بالكتاب إلى عمر فقال: أنا شاهد ذلك فأمضاه. و ذكر الليث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «ليس لك أن تبيع» فجعلها وفقا عليه.

قال ابن جريج: فهي في أيدي أهله إلى اليوم «٣».

أخرجه أبو عبيد من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه «٤».

وقد بالغ أصحاب التراجم بشأنه وذكروا له كرامات ومناقب، منها قصة (١) والجساسة: دابة- فيما زعمه هذا الراهب النصراني - كان رآها في جزيرة من البحر كانت تجس الأخبار لدجال. أوردتها مسلم في الفتن وأشراف الساعة (ج ٨، ص ٢٠٣) وأحمد في مسنده، ج ٦، ص ٣٧٣-٣٧٤ والطبراني وغيرهم، وسند ذكر قصتها.

(٢) الإصابة، ج ١، ص ١٨٣-١٨٤، والطبقات، ج ١، ق ٢، ص ٧٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٤) الأموال لأبي عبيد بن سلام، ص ٣٤٩-٣٥٠.

التفسير والمفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٤

مدافعتة النار حتى أطفالها، كما ذكره ابن حجر، قال: له قصة مع عمر فيها كرامة واضحة لتمام و تعظيم كثير من عمر له - فذكرها في ترجمة معاوية بن حرملة - وهي: أن معاوية بن حرملة - صهر مسيلمة الكذاب والذي ارتد معه - جاء إلى المدينة تائبا، فلبث في المسجد لا يؤوى ولا يطعم شيئا. قال فأتيت عمر، فقلت: تائب من قبل أن تقدر عليه. قال: من أنت؟ قلت: معاوية بن حرملة.

قال: اذهب إلى خير المؤمنين، فأنزل عليه.

قال: و كان تميم الدارى إذا صَلَّى ضرب يديه على يمينه و شماله فذهب برجلين، فصليت إلى جنبه. فأخذنى، فأوتينا بطعام. فبينما نحن ذات ليلة؛ إذ خرجت نار بالحزّة، فجاء عمر إلى تميم يستنجده، فقال: قم إلى هذه النار. فقال: يا أمير المؤمنين: و من أنا! و ما أنا، و ما تخشى أن يبلغ من أمرى! يستصغر نفسه. فلم يزل به عمر حتى قام معه، و تبعتهما. فانطلقا إلى النار. فجعل تميم يحوشها (أى يدفعها إلى الداخل) بيده حتى دخلت الشعب، و دخل تميم خلفها.

فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يرا! قالها ثلاثا. قال: فخرج و لم تضره النار «١».

قال الذهبي: هذه القصة سمعها عفان من حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي العلاء عن ابن حرملة. قال: و ابن حرملة لا يعرف. قلت: قد أهمل معاوية بن حرملة فى كتب ترجمة الرجال.

و هذا الكاهن المسيحي - الذى بقيت معه نزعة المسيحية (الرهينة) إلى ما (١) ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة معاوية بن حرملة، ج ٣، ص ٤٩٧. و سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٦-٤٤٧. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٥

بعد إسلامه - هو أول من سن القصّ فى المسجد، و تكاد تتفق الروايات على أنه أول قاصّ فى الإسلام «١». و ذلك كان على عهد عمر بن الخطاب، و لعله فى أواخر ولايته. روى الزهري عن السائب بن يزيد، قال: أول من قصّ تميم الدارى، استأذن عمر، فأذن له فقصّ قائما «٢». و روى عن ابن شهاب، أن أول من قصّ فى مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ تميم الدارى، استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه، حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر الناس فى يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر. و استأذن تميم عثمان بن عفان فأذن له أن يذكر يومين فى الجمعة، فكان تميم يفعل ذلك.

قال أحمد أمين: و قد نما القصص بسرعة؛ لأنه يتفق و ميول العائىة، و أكثر القصص من الكذب حتى روى أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طردهم من المساجد، و استثنى الحسن البصرى، لتحزبه الصدق «٣». و أما قصة «الجساسة»،

فقد ذكر مسلم فى كتاب الفتن و أشراط الساعة، بإسناده عن الحسين بن ذكوان عن ابن بريده عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس، و كانت من المهاجرات الأول، قالت: سمعت منادى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ ينادى:

الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ فكنت فى صفّ النساء التى تلى ظهور القوم. قالت: فلما قضى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ صلاته جلس على المنبر و هو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أ تدرّون لم جمعتمكم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: إنى و الله ما جمعتمكم لرغبة و لا رهبة، (١) كما قال أحمد أمين، فجر الإسلام ص ١٥٩.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٧.

(٣) فجر الإسلام، ص ١٥٩-١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٦

و لكن جمعتمكم لأدّ تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء و بايع و أسلم، و حدّثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. حدّثنى أنه ركب فى سفينة بحريّة مع ثلاثين رجلا من لحم و جذام، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس. فجلسوا فى أقرب (جمع قارب و هو الزورق) السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقبهم دابة أهل «١» كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة! «٢» قالوا: و ما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير (الدير هو القصر) فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال (أى الدارى): لما سمّمت لنا رجلا فرقنا (أى فرعنا) منها أن

تكون (أى الدابة) شيطانة. قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا، و أشده وثاقا، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب. فقصوا عليه قصيتهم، فقال: أخبروني عن نخل بيسان! «٣» قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: أسألکم عن نخلها هل تثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما أنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية! قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هى كثيرة الماء. قال: أما أن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر «٤». (١) غليظ الشعر.

(٢) فى الهامش: سميت جتاسه لتجسسها الأخبار للدجال. قال صاحب التحفة: هى دابة الأرض التى تخرج فى آخر الزمان. راجع: شرح النووى. ج ١٨، ص ٧٨.

(٣) بيسان، مدينة بالأردن بالغور الشامى، و هى بين حوران و فلسطين. يقال عنها: إنها لسان الأرض و بها عين يقال: إنها من الجنة فيها ملوحة يسيرة. (معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٧)

(٤) على وزان زفر: بلدة فى الجانب القبلى من الشام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٧

قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فى العين ماء، و هل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هى كثيرة الماء، و أهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبى الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة و نزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟

قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم، فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب و أطاعوه. قال: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما أن ذاك خير لهم أن يطيعوه، و إنى أخبركم عنى: إنى أنا المسيح «١»، و إنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج، فأخرج فأسير فى الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة، غير مكة و طيبة، فهما محرمتان على كلتاها، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا «٢» يصدنى عنها، و أن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و طعن بمخضرتة فى المنبر: هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة، يعنى المدينة «٣».

هذه القصة على غرابتها فى سندها ضعف؛ لأنها رويت بطريقتين: مسلم فى «الصحيح»، و أحمد فى «المسند». و كلاهما ينتهى إلى عامر الشعبى، غير أن الذى يروى عن الشعبى فى المسند، هو مجالد بن سعيد، و كان يكذب فى الحديث.

قال عمرو بن على: سمعت يحيى بن سعيد يقول لبعض أصحابه: أين تذهب؟

قال: إلى وهب بن جرير أكتب السيرة عن أبيه عن مجالد بن سعيد! قال: تكتب (١) أى المسيح الدجال الذى زعموا أنه يخرج فى آخر الزمان.

(٢) أى مسلولا.

(٣) صحيح مسلم، ج ٨، ص ٢٠٣-٢٠٥. و رواه أحمد فى المسند، ج ٦، ص ٣٧٣، باختلاف يسير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٨

كذبا كثيرا، لو شئت أن يجعلها إلى مجالد كلها عن الشعبى عن مسروق عن عبد الله، فعل. و قال أبو طالب عن أحمد: ليس بشيء. يرفع حديثا كثيرا لا يرفعه الناس. و قال الدورى عن ابن معين: لا يحتج بحديثه. و قال ابن أبى خيثمة عن ابن معين: ضعيف واهى الحديث. كان يحيى بن سعيد يقول: لو أردت أن يرفع لى مجالد حديثه كله رفعه، إلى غيرها من شهادات بضعفه فى الحديث، و رفعه الحديث لمكان ضعفه «١». و قال محمد بن حبان: كان ردىء الحفظ يقلب الأسانيد و يرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به «٢».

و فى مسند مسلم وقع: ابن بريده عن الشعبى. و ابن بريده هذا هو عبد الله بن بريده أخو سليمان. قال البزار: فحيث أبهم علقمة و محارب و محمد و كذا الأعمش عند ابن حجر فالمراد: سليمان بن بريده. و أمّا من عدا هؤلاء حيث أبهموا فهو عبد الله بن بريده «٣»- كما هنا- لأن الذى أبهم فى إسناد مسلم هو الحسين بن ذكوان.

و عبد الله بن بريدة هذا، قد ضعف حديثه أحمد، و كانوا يرجحون أخاه سليمان عليه. قال إبراهيم: له عن أبيه أحاديث منكروة. و تعجب من الحاكم كيف زعم أن سند حديثه من رواية الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أصح الأسانيد لأهل مرو «٤».

(١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٤٠.

(٢) كتاب المجروحين و الضعفاء لابن حبان، ج ٣، ص ١٠.

(٣) راجع: الكنى فى تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ٢٨٦.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٠٩

#### ٤- وهب بن منبه

هو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني. و قال أحمد بن حنبل: كان من أبناء فارس. قيل: إن منبه من خراسان من أهل هراء، أخرجه كسرى من هراء إلى اليمن، فأسلم فى عهد النبى و حسن إسلامه فسكن ولده فى اليمن، و كان وهب بن منبه يختلف إلى هراء و يتفقد أمرها. كان يقول: قرأت بضعة و سبعين كتابا من كتب الأنبياء. ولد سنة (٣٤) و مات سنة (١١٠). قيل: ضربه يوسف بن عمر حتى مات «١».

و قد أكثر من سرد الإسرائيليات، و نسب إليه قصص كثيرة، كانت ماثارا للنيل منه و الطعن عليه، حتى رمى بالكذب و التدليس، و إفساد عقول المسلمين.

#### ٥- محمد بن كعب القرظى

هو محمد بن كعب سليم القرظى، كان أبوه من سبى قريظة، من أولاد كهنة اليهود. ولد سنة (٣٩) و مات سنة (١١٧). كان يقص فى المسجد، فسقط عليه السقف، فمات هو و جماعة معه «٢».

فقد كان من القصاصين، يقصون على الناس عن كتب السلف و أساطيرهم، و فيها كان حتفه. (١) تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٦٦-١٦٨.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٢٠-٤٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٠

#### ٦- عبد الله بن عمرو بن العاص

قيل: كان اسمه العاص فغيره رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و سماه عبد الله.

أسلم قبل أبيه عمرو، و عمرو أسلم قبل الفتح سنة ثمان. ولد قبل الهجرة بسبع سنين، و مات سنة (٦٥). فقد عاش (٧٢) سنة. هو أول من أشاع الإسرائيليات بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله و سلم زعم أنه أصاب يوم اليرموك «١» زاملتين «٢» من كتب اليهود، فكان يحدث منهما. و يبزر ذلك بما

رواه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قوله: «حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج». رواه البخارى بإسناده عنه «٣». هكذا فهم من هذا الحديث، جواز الرواية عنهم، حسبما ذكره ابن تيمية «٤».

و

أضاف إليه حديثا آخر اختلقه بهذا الشأن، قال: رأيت فيما يرى النائم كأن فى إحدى إصبعي سمنا و فى الأخرى عسلا فأنا ألعقهما.

فلَمَّا أصبحت ذكرت ذلك للنبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ، فقال: تقرأ الكتابين، التوراة و الفرقان. و من ثمَّ كان (١) يرموك: واد بناحية الشام كانت به حرب بين المسلمين و الروم في أواخر أيام أبي بكر.

و كان عبد الله بصحبة أبيه في تلك الحرب؛ حيث أصاب زاملتين من كتب اليهود فيما زعم.

(٢) الزاملة: الملقبة، من زميل الشيء بثوبه أو في ثوبه: لفته. و ربما كانت حمل بعير، و هكذا عبّر عنها ابن حجر في الفتح (ج ١، ص ١٨٤)، قال: إنَّ عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها و يحدث منها، و من ثمَّ تجنَّب الأخذ عنه كثير من أئمة التابعين.

و عبّر عنها أبو شهبه: بحمل بعيرين. (الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير، ص ٥٤).

(٣) صحيح البخارى، ج ٤، ص ٢٠٧.

(٤) مقدمته في التفسير، ص ٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١١

يقرأهما «١».

و كانت له صحيفة يسميها «الصادقة» زعم أنه كتبها من أحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ عن إجازته له في كتابتها. قال: استأذنت النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ في كتاب ما سمعت منه فأذن لي فكتبته.

فكان يسمي صحيفته تلك الصادقة.

قال مجاهد: رأيت عنده صحيفة فسألت عنها، فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ ليس بيني و بينه فيها أحد «٢».

روى البخارى بإسناده إلى همام بن منبه عن أخيه وهب، قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب و لا أكتب «٣».

و لقد كان ضعيف الرأي و هن السلوك، كان قد صحب أباه في الوقوف مع معاوية في وقعة صفين، في حين أنه كان يعلم أنهم كانوا هم الفئة الباغية على ما وصفهم بها رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ و قد اعتذر لذلك بأنه كان لوصية رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ إياه أن يتابع أباه عمرو بن العاص. و قد نسي قوله تعالى:

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لَا يَهْتَدُونَ «٤».

و كذا قوله تعالى: (١) سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٨٦. و مسند أحمد، ج ٢، ص ٢٢٢. و حلية الأولياء، ج ١، ص ٢٨٦.

(٢) الطبقات، ج ٢، ق ٢، ص ١٢٥.

(٣) جامع البخارى، ج ١، ص ٣٩، باب كتابة العلم. و راجع: الفتح، ج ١، ص ١٨٤.

(٤) البقرة / ١٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٢

وَ إِنِّ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا «١».

و مع ذلك نراه قد تابع أباه في ضلال كان يعلمه.

أخرج ابن سعد عن الغنوي، قال: بينا نحن عند معاوية؛ إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما؛ أنا قتلته. فقال عبد الله بن عمرو:

ليطب به أحد كما نفسا لصاحبه، فإنني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ يقول: «تقتله الفئة الباغية». فقال معاوية: ألا تغني

عنا مجنونك يا عمرو «٢» فما بالك معنا؟! قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ فقال: أطع أباك حيا و لا



تعصه. و أنا معكم و لست أقاتل «٣».

## ٧- أبو هريرة

أما أبو هريرة فقد اختلف في اسمه، كما لم يعرف أصله و نسبه و نشأته، و لا شيء من تاريخه قبل إسلامه، غير ما ذكر هو عن نفسه، من أنه كان يلعب بهزة صغيرة، و أنه كان معدما فقيرا حامل الذكر، يخدم الناس على شبع بطنه. قال:

كنت أرعى غنم أهلي، و كانت لي هزة صغيرة، فكنت أضعها بالليل في شجرة، و إذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها، فكثرتني «أبا هريرة». قال: نشأت يتيما (١) لقمان/ ١٥.

(٢) هكذا في النسخ، و لعله: مجونك، هو المزاح في وقاحة.

(٣) و هكذا

أخرج ابن سعد عن عبد الله بن الحارث، قال: إنني لأسير مع معاوية في منصرفه عن صفين بينه و بين عمرو بن العاص. فقال عبد الله: يا أبا، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول لعمار: ويحك يا ابن سميء، تقتلك الفئة الباغية. فقال عمرو لمعاوية: أ لا تسمع ما يقول هذا! فقال معاوية: ما تزال تأتينا بهنة تدحض بها في بولك. أ نحن قتلناه؟! إنما قتله الذين جاءوا به!! (الطبقات، ج ٣، ق ١، ص ١٨٠-١٨١) التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٣

و هاجرت مسكينا، و كنت أجيروا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني و عقبه رجلى، فكنت أخدم إذا نزلوا، و أخدم إذا ركبوا. قدم أبو هريرة بعد أن تخطى الثلاثين من عمره، و كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم حينذاك في غزوة خيبر التي وقعت عام (٧) من الهجرة، قال ابن سعد: قدم الدوسيون فيهم أبو هريرة و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بخير فكلم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أصحابه في أن يشركوا أبا هريرة في الغنيمه، ففعلوا. و لفقروا اتخذ سبيله إلى الصفة (موضع مظلل في مؤخرة مسجد النبي من الناحية الشمالية). قال أبو الفداء: و أهل الصفة أناس فقراء لا منازل لهم و لا عشائر، ينامون في المسجد و يظلون فيه. و كانت صفة المسجد ماثمهم، فنسبوا إليها. و كان إذا تعشى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يدعو منهم طائفة يتعشون معه، و يفرق منهم طائفة على الصحابة ليعشواهم.

روى مسلم عنه، قال: كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على ملاء بطني. و في رواية: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على ملاء بطني. و كان أكلوا، إذا كان يطعم في بيت أحد الصحابة، كان بعضهم ينفر منه. و روى البخاري عنه، قال: أستقرئ الرجل الآية و هي معي، كي ينقلب بي فيطعمني. و كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته. و روى الترمذي عنه: و كنت إذا سألت جعفر عن آية لم يجبني حتى يذهب بي إلى منزله. قال أبو رية: و من أجل هذا كان جعفر في رأى أبي هريرة أفضل الصحابة جميعا، فقدّمه على أبي بكر و عمرو على عثمان و غيرهم من كبار الصحابة.

فقد أخرج الترمذي و الحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة: ما احتذى النعال و لا ركب المطايا و لا وطئ التراب، بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أفضل من جعفر بن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٤

أبي طالب «١».

كان أبو هريرة يلقب بشيخ المضيرة (طعام يطبخ باللبن المضر، أي الحامض) و قد نالت هذه المضيرة من عناية العلماء و الكتاب و الشعراء ما لم ينله مثلها من أصناف المآكل و الحلويات. و ظلوا يتندرون بها و يغمزون أبا هريرة قرونا طويلة من أجلها.

قال الثعالبي، و كان أبو هريرة تعجبه المضيرة جدا، فيأكل مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي عليه السلام، فإذا قيل له

فى ذلك، قال: مضيرة معاوية أدم و أطيب، و الصلاة خلف على أفضل و أتم. و من كلامه: ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز الحار، و ما رأيت فارسا أحسن من زيد على تمر (٢).

و قد أخذ العلماء على أبى هريرة كثرة حديثه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم مع قلّة صحبته و قلّة بضاعته حينذاك، و من ثم رموه بالتدليس و الاختلاق. كان يسمع الحديث من أحد الصحابة ثم يدلس، فيرفعه إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم. و كان كثيرا ما يسمع الحديث من أهل الكتاب و لا سيما كعب الأحبار، فيسنده إلى النبى أو أحد كبار صحابته تدليسا و تمويها على العامة.

فقد روى مسلم عن بسر بن سعيد، قال: اتقوا الله و تحفظوا من الحديث.

فو الله لقد رأيتنا نجالس أبى هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يحدث عن كعب الأحبار، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن كعب، و حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و فى رواية: يجعل ما قاله كعب (١) راجع: فتح البارى، ج ٧، ص ٦٢. (٢) الأضواء لأبى رية، ص ١٩٥-١٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٥

عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن كعب. فاتقوا الله و تحفظوا فى الحديث. و قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس، أى يروى ما سمعه من كعب و ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لا يميز هذا من هذا. و قال ابن قتيبة: و كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كذا، وإنما سمعه من الثقة عنده فحكاه. و كانت عائشة أشدهم إنكارا على أبى هريرة. و ممن اتهم أبى هريرة بالكذب عمر و عثمان و على و غيرهم، فكما قال الأستاذ الرفعى: «كان أول رواية اتهم فى الإسلام» (١).

و الحديث بشأن تدليس أبى هريرة و إنكار الصحابة عليه ذو شجون، عرضه بتفصيل الأستاذ أبو رية فى كتابه: «شيخ المضيرة»، و «الأضواء». و كان هذا العرض القصير مستقى منه (٢).

أخذ أبو هريرة عن كعب الأحبار الشىء الكثير، غير أن الشىء الذى كان يرتكبه، إسناد ما سمعه من كعب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما نوهنا عنه.

قال أبو رية: ذكر علماء الحديث فى باب «رواية الصحابة عن التابعين، أو رواية الأكابر عن الأصغر» إن أبى هريرة و العبادلة (٣) و معاوية و أنس و غيرهم، قد رووا عن كعب الأحبار اليهودى الذى أظهر الإسلام خداعا، و طوى قلبه على (١) راجع: تاريخ آداب العرب، ج ١، ص ٢٧٨.

(٢) راجع: الأضواء، ص ٢٠٢-٢٠٦.

(٣) هم: عبد الله بن عمرو بن العاص. و عبد الله بن عمر. و عبد الله بن عباس، غير أن الأخير مكذوب عليه، و قد فصلنا الكلام فيه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٦

يهوديته.

قال: و يبدو أن أبى هريرة كان أكثر الصحابة انخداعا به، و ثقته فيه، و رواية عنه و عن إخوانه، من سائر أهل الكتاب. و يتبين من الاستقراء أن كعب الأحبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه، و ينيمه ليلقنه كل ما يريد أن يبثه فى الدين الإسلامى، من خرافات و أوهام. و كان له فى ذلك أساليب غريبة و طرق عجيبة.

فقد روى الذهبى فى «طبقات الحفاظ» فى ترجمة أبى هريرة أن كعبا قال فيه- أى فى أبى هريرة-: ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة، أعلم بما فيها من أبى هريرة!! فانظر مبلغ دهاء هذا الكاهن و مكره بأبى هريرة، الذى يتجلى فى درس تاريخه أنه كان رجلا فيه غفلة و غرّة؛

إذ من أين يعلم أبو هريرة ما في التوراة و هو لا يعرفها، و لو عرفها لما استطاع أن يقرأها.

و مما يدلّك على أنّ هذا الحبر الداهية قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردّد كلام هذا الكاهن بالنصّ، و يجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبيّ، ما نورد لك شيئاً منه.

روى البزار عن أبي هريرة: أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: إنّ الشمس و القمر ثوران في النار يوم القيامة!! فقال الحسن: و ما ذنبهما؟ فقال: أحدّثك عن رسول الله، و تقول: ما ذنبهما؟!

و هذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصّه، فقد روى أبو يعلى الموصلي، قال كعب: يجاء بالشمس و القمر يوم القيامة كأنّهما ثوران عقيران، فيقذفان في

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٧

جهنم، يراهما من عبدهما «١».

و

روى الحاكم في «المستدرک» و الطبراني- و رجاله رجال الصحيح- عن أبي هريرة: أنّ النبيّ قال: إنّ الله أذن لي أن أحدّث عن ديك رجله في الأرض و عنقه مثبتة تحت العرش، و هو يقول: سبحانك ما أعظم شأنك! قال: فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا

. و هذا الكلام من قول كعب، و نصّه: أنّ لله ديكا عنقه تحت العرش و برائته في أسفل الأرض، فإذا صاح صاحت الديكة، فيقول: سبحان القدوس الملك الرحمن لا إله غيره «٢».

و

روى أبو هريرة: أنّ رسول الله قال: النيل و سيحان و جيحان و الفرات من أنهار الجنة

، و هذا القول نفسه قاله كعب: أربعة أنهار الجنة وضعها الله في الدنيا:

فالنيل نهر العسل في الجنة، و الفرات نهر الخمر في الجنة، و سيحان نهر الماء في الجنة، و جيحان نهر اللبن في الجنة «٣».

و قال ابن كثير في تفسيره: إنّ حديث أبي هريرة في مأجوج و مأجوج، و نصّه- كما رواه أحمد- عن أبي هريرة: أنّ مأجوج و مأجوج ليحفرون السدّ كلّ يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذين عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، فيعودون ... و قد روى أحمد هذا الحديث عن كعب، قال ابن كثير: لعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنّه كثيرا ما كان يجالس كعبا و يحدثه «٤». و بين في (١) حياة الحيوان للدميري، ج ١، ص ٢٥٧.

(٢) نهاية الأرب للنوبري، ج ١٠، ص ٢٢٠.

(٣) الأضواء لأبي ربه، ص ٢٠٨.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٤-١٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٨

مواضع كثيرة من تفسيره ما أخذه أبو هريرة من كعب.

و

في الصحيحين من حديث أبي هريرة: أنّ الله خلق آدم على صورته.

و هذا الكلام قد جاء في الإصحاح الأوّل من التوراة (العهد القديم) و نصّه هناك:

«و خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» «١».

و

روى مسلم عن أبي هريرة: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي! فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة. وقد روى هذا الحديث أحمد و التّسائي أيضا عن أبي هريرة.

قال البخاري وابن كثير وغيرهما: إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأخبار؛ لأنه يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والأرض في سنة أيام «٢».

قال أبو رية: وقد بلغ من دهاء كعب واستغلاله لسذاجة أبي هريرة وغفلته، أن كان يلقنه ما يريد بثه في الدين الإسلامي من خرافات وتزوهات، حتى إذا رواها أبو هريرة عاد هو فصدق أبا هريرة، وذلك ليؤكد هذه الإسرائيليات، وليمكن لها في عقول المسلمين، كأن الخبر جاء عن أبي هريرة، وهو في الحقيقة عن كعب (١) قال أبو رية: من روايات هذا الحديث: وطول آدم ستون ذراعا. وقد انتقد هذا الحديث ابن حجر في شرح البخاري، قال: ويشكل على هذا من الآن، الآثار للأمم السالفة كديار عاد و ثمود، فإن مسألتهم تدل على أن فأماتهم لم تكن مفرطة في الطول، على حسب ما يقتضيه الترتيب الذي ذكره أبو هريرة. وأنكر مالك هذا الحديث.

(الأضواء، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ بالهامش)

(٢) الأضواء، ص ٢٠٧ - ٢١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١١٩

الأخبار.

و إليك مثلا ما

رواه أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرءوا إن شئتم: وظل ممدود» (١). ولم يكذب أبو هريرة يروي هذا الحديث حتى أسرع كعب، فقال: صدق والذى أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد، لو أن رجلا ركب حقه أو جذعه ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما! وهكذا كانا - كعب و أبو هريرة - يتعاونان على نشر مثل هذه الخرافات. ومن العجيب أن يروي مثل هذا الخبر الغريب أيضا وهب بن متبه في أثر غريب، فيرجع إليه من أراده «٢».

هلك أبو هريرة سنة (٥٩) عن (٨٠) سنة بقصره بالعقيق، وحمل إلى المدينة و دفن بالبقيع، و صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، و كان أميرا على المدينة تكريما له. و لما كتب الوليد إلى عمه معاوية ينعي إليه أبا هريرة، أرسل إليه معاوية: «انظر من ترك، و ادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم، و أحسن جوارهم، و افعل إليهم معروفا». قال أبو رية: و هكذا يترادف ردهم له حتى بعد وفاته «٣».

قال السيد رشيد رضا بشأن أبي هريرة: كان إسلامه في سنة (٥٧)، فصحب رسول الله ثلاث سنين و نيفا، فأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي. و إنما سمعها من الصحابة و التابعين. فإذا كان جميع الصحابة عدولا في الرواية - كما يقول جمهور المحدثين - فالتابعون ليسوا كذلك، و قد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأخبار، و أكثر أحاديثه عنه، على أنه صرح بالسماع من النبي،

في حديث «خلق الله التربة (١) الأضواء، ص ٢١٠.

(٢) راجع: تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٥١٣ - ٥١٤.

(٣) الأضواء، ص ٢١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٠

يوم السبت»

و قد جزموا بأن هذا الحديث أخذه عن كعب. و كان يكثر في أحاديثه النقل بالمعنى و الإرسال - أي لا يذكر اسم الصحابي الذي سمع منه - و رواية الحديث بالمعنى كانت ماثرا لمشكلات كثيرة. كما أنه انفرد بأحاديث كثيرة، كان بعضها موضع الإنكار أو مظنة لغرابة موضوعها، كأحاديث الفتن و الأخبار ببعض المعيّيات، إلى غيرها من علل ذكرها أهل النقد في الحديث «١».

## ٨- ابن جريج

هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، من أصل رومي نصراني. ولد سنة (٨٠) و مات سنة (١٥٠). و هو من أول من صنف الكتب بالحجاز. قال الذهبي:

هو قطب الإسرائيليات في عهد التابعين. قال: و لو أننا رجعنا إلى تفسير ابن جرير الطبري و تتبعنا الآيات التي وردت في النصاري، لوجدنا كثيرا مما يرويه ابن جرير في تفسير هذه الآيات يدور على عبد الملك الذي يعبر عنه دائما ب «ابن جريج» (٢).

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: من أول من صنف الكتب؟ قال:

ابن جريج و ابن أبي عروبة. و كان رَحَالَهُ في طلب العلم، فقد ولد بمكة ثم طَوَّف في كثير من البلاد. و قد رويت عن ابن جريج أجزاء كثيرة في التفسير عن ابن عباس، منها الصحيح و منها غير الصحيح؛ لأنه لم يقصد الصحة فيما جمع، بل روى كل ما ذكر في كل آية من صحيح أو سقيم (٣). (١) مجلة المنار، ج ١٩، ص ٩٧ (الأضواء، ص ٢١٨-٢١٩).

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) الإتقان، ج ٢، ص ١٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢١

قال الإمام مالك بشأنه: كان ابن جريج حاطب ليل، لا يبالي من أين يأخذ.

و عن أحمد بن حنبل: إذا قال ابن جريج: قال فلان و قال فلان و أخبرت، جاء بمنكبر. و إذا قال: أخبرني و سمعت، فحسبك به.

و قال الدارقطني، تجنب تدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلّا فيما سمعه من مجروح (١).

## مبدأ نشر الإسرائيليات

قد عرفت منع النبي صلى الله عليه و آله و سلم من مراجعة أهل الكتاب، منعه البات، حتى الاستنساخ من كتبهم فضلا عن الرجوع إلى أقاويلهم. و من ثم لم يكن يجرأ أحد من الصحابة أن يراجع أهل الكتاب أو يأخذ عنهم شيئا من الأخبار، و ذلك ما دام النبي على قيد الحياة.

و في حديث عمر الأنف، لما زجره النبي صلى الله عليه و آله و سلم على استنساخه عن كتب القوم، قام و قال متندما على ما فرط منه: «رضيت بالله رباً، و بالإسلام ديناً، و بك رسولا» (٢). (١) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٢-٤٠٦.

(٢)

حدّث عمر عن نفسه، قال: انتسخت كتابا من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ما هذا في يدك يا عمر؟ قلت: كتاب نسخته لزيد به علما إلى علما، فغضب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقال: يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم و خواتيمه، و اختصر لي اختصارا. و لقد أتيتم بها بيضاء نقية، فلا تهوؤا، و لا يغرنكم المتهوؤون. فقامت و قلت: رضيت بالله رباً و بالإسلام ديناً و بك نبياً. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٢

و هكذا انتهج المسلمون منهجا سليما عن شوب أكدار أهل الكتاب، مدّة حياته صلى الله عليه و آله و سلم، و مدّة أيام أبي بكر، و طرفا من أيام عمر.

ثم لمّا توسّعت رقعة الإسلام و فاضت بلاد المسلمين بكثرة الوافدين، و فيهم الأجانب عن روح الإسلام، ممّن لا معرفة له بأصول الشريعة، نرى أنّ هذا السد المنيع قد أزيل، و جعلت أكاذيب أهل الكتاب تتسرّب بين المسلمين، و لم تزل تتوسّع دائرتها مع توسّع

البلاد.

هذا كعب الأحبار، أتى بخزعلاته في هذا العهد، و أبدى عبد الله بن عمرو بن العاص بمفترياته عن زاملته أيضا في هذا العهد، كما كظ أبو هريرة بمخاريقه في هذا الدور المتأخر عن حياة الرسول. و هكذا نرى عمر بن الخطاب قد أذن لتميم بن أوس الدارى أن يقص قصصه قائما في المسجد النبوي، علانية على رؤوس الأشهاد في هذا العهد «١»، كما أصاح بأذنيه لمخاريق كعب. يقول ابن كثير بعد ما ساق الروايات في أن الذبيح هو إسحاق: و هذه الأقوال كلها مأخوذة عن (تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٧) و

روى أحمد بإسناده عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك! قال: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. قال عبد الله بن ثابت: فقلت لعمر: ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال عمر: رضينا بالله تعالى ربنا، و بالإسلام ديننا، و بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم رسولا. قال: فسرى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال: و الذى نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه و تركتموني لضللتهم، إنكم حظى من الأمم و أنا حظكم من النبيين. (مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٦٥-٢٦٦) (١) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٣

كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه قديما، فربما استمع له عمر، فترخص الناس في استماع ما عنده، و نقلوا ما عنده عنه، غثها و سمينها، و ليس لهذه الأمة حاجة إلى حرف واحد مما عنده «١».

فقد كان العقد الثانى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عهد رواج القصص الأسطورية و الإسرائيلية، حسبما قال الدكتور أبو شهبه: إن بدعة القصص قد حدثت في آخر عهد الفاروق: عمر بن الخطاب «٢».

و هل كان هناك نكير على هذا الفعل؟

كان عمر بين حين و آخر يشدد النكير على هذا الصنيع، و لكن من غير تداوم عليه، فكان هناك - رغم تشديد عمر - أناس يقومون بنسخ أو ترجمة كتب العهد القديم، و التحديث عنها بين المسلمين، أما المراجعة إلى أهل الكتاب و القصص على الناس فقد تعارف و شاع ذلك العهد.

أخرج الحافظ أبو يعلى الموصلى عن خالد بن عرفطة، قال: كنت جالسا عند عمر، إذ أتى برجل مسكنه السوس «٣». فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدى؟

قال: نعم. قال: و أنت النازل بالسوس؟ قال: نعم. فضربه بقناة معه. فقال الرجل:

ما لى يا أمير المؤمنين؟! فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم. الر، تلک آيات الكتاب المبین. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

(١) راجع تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٧.

(٢) الإسرائيلية و الموضوعات، ص ٨٩.

(٣) سوس: مدينة شوش التى بها قبر دانيال، من أرض خوزستان.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٤

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَ إِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ «١»، فقرأها عليه ثلاثا و ضربه ثلاثا. فقال له الرجل: ما لى يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذى نسخت كتاب دانيال؟ قال: مرنى بأمرك أتبعه، قال: انطلق فامحه بالحميم و الصوف الأبيض، ثم لا تقرأه و لا تقرئه أحدا من الناس، فلئن بلغنى عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأنهكتك عقوبة.

ثم قال له عمر: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فاتسخت كتابا من أهل الكتاب، ثم جئت به فى أديم. فقال لى رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما هذا في يدك يا عمر؟! قلت: كتاب نسخته لتزداد به علما إلى علمنا، فغضب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى احمرّت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم؟، السلاح السلاح. فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: «يا أيها الناس إنى قد أوتيت جوامع الكلم و خواتيمه، و اختصر لى اختصارا، و لقد أتيتكم بها بيضاء نقيّة، فلا تهوّكوا و لا يغرنكم المتهوّكون». قال عمر: فقلت و قلت: رضيت بالله ربّا و بالإسلام ديننا و بك رسولا، ثم نزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

. و يقرب من ذلك ما

أخرجه الحافظ أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي عن جبير بن نصير، حدّثهم، قال: إن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر، فأرسل إليهما في من أرسل من أهل حمص، و كانا قد اكتبنا من اليهود صلاصفة «٢»، فأخذها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين، يقولون: إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة، و إن نهانا عنها رفضناها. فلما قدما عليه قالا: إننا بأرض أهل الكتاب، و إنا نسمع منهم كلاما تقشعرّ منه جلودنا، أفأخذ منه أو تترك؟ فقال:

لعلكما كتبتما منه شيئا! فقالا: لا. قال عمر: سأحدّثكما: (١) يوسف / ١-٣.

(٢) صلاصفة: جمع صلصفة هي الصحيفة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٥

انطلقت في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى أتيت خبير، فوجدت يهوديا يقول قولاً أعجبنى، فقلت: هل أنت مكتبي مما تقول؟ قال: نعم، فأتيت بأديم فأخذ يملئ عليّ حتى كتبت في الأكرع «١». فلما رجعت، قلت: يا نبي الله - و أخبرته - قال: اتنى به. فانطلقت أرغب عن الشيء رجاء أن أكون جئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ببعض ما يحبّ. فلما أتيت به قال: اجلس اقرأ عليّ. فقرأت ساعة، ثم نظرت إلى وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإذا هو يتلّون. فتحيّرت من الفرق «٢»، فما استطعت أن أجز منه حرفا. فلما رأى الذي بي رفعه «٣» ثم جعل يتبعه رسما رسما فيمحوه بريقه، و هو يقول: لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد هوكوا و تهوّكوا «٤»، حتى محاه عن آخره حرفا حرفا.

قال عمر: فلو علمت أنّكما كتبتما شيئا جعلتكما نكالا لهذه الأمة. قالوا: و الله ما نكتب منه شيئا أبدا. فخرجا بصلاصفتهما، فحفرا لها، فلم يألوا أن يعمّقا، و دفناها، فكان آخر العهد منها «٥».

و لكن هل أثر تشديد عمر في الحدّ عن مراجعة أهل الكتاب؟

إنه لم يشدّد على مراجعتهم، و إنما شدّد على الكتابة من كتبهم كما شدّد على كتابة الحديث. و من ثمّ نراه قد أجاز للداري أن يقصّ على الناس، كما شاع القصّ في مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فضلا عن سائر المساجد ذلك العهد. (١) الأكرع: جمع الكرع: مقدم عظم الساق، و المقصود: العظام الرقيقة.

(٢) الفرق: الفرع.

(٣) أى أخذه منى.

(٤) الهوك: الحمق.

(٥) راجع: تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٧-٤٦٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٦

و هكذا سار على منهجه في إجازة القصّ في المساجد، من جاء بعده من الخلفاء. و أصبح ذلك مرسوما إسلاميا فيما بعد، كما حدّث عليه معاوية في إجازته لكعب أن يقصّ على الناس حسبما عرفت.

و بعد، فإنّ عصر الصحابة و هي الفترة بين وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و ظهور التابعين في عرصة الفتيا و التفسير كان عصر

نشوء الإسرائيليات و تسربها في التفسير و الحديث، فضلا عن التاريخ، ذلك أن غالبية الشئون التاريخية كانت ممّا يرجع عهدا إلى تاريخ الأمم الماضية و الأنبياء الماضين، و كان المرجع الوحيد لدى العرب حينذاك لمعرفة أحوالهم و تواريخهم هي التوراة و أهل الكتاب، فكانوا يراجعونهم و يأخذون عنهم بهذا الشأن.

قال الأستاذ الذهبي: نستطيع أن نقول: إن دخول الإسرائيليات في التفسير، أمر يرجع إلى عهد الصحابة، و ذلك نظرا لاتفاق القرآن مع التوراة و الإنجيل في ذكر بعض المسائل «١» مع فارق واحد، هو الإيجاز في القرآن و البسط و الإطناب في التوراة و الإنجيل. و لقد كان الرجوع إلى أهل الكتاب، مصدرا من مصادر التفسير عند الصحابة «٢». فكان الصحابي إذا مرّ على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلا- إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها و لم يتعرّض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام، و حملوا إلى (١) للأستاذ عبد الوهاب النجار في «قصص الأنبياء» محاولة في استخراج قصص القرآن من التوراة، و مقارنة بين ما جاء في القرآن بصورة موجزة، و جاءت في التوراة (العهد القديم) مبسطة.

(٢) لا نصادقه في هذا الرأي، و إنما كان يراجع أهل الكتاب من قلت بضاعته من الأصحاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٧

أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار و القصص «١».

و نحن إذ نصادق الذهبي في أن الصحابة- على وجه الإجمال- كانوا يراجعون أهل الكتاب، فيما أبهم عليهم من قصص القرآن، و كان أولئك يلقون إليهم ما كان لديهم من قصص و أساطير.

لكن لا نصادقه في حكمه ذلك على الصحابة على وجه العموم؛ إذ كان علماء الصحابة يأبون الرجوع إلى غيرهم من ذوى المعلومات الكاسدة، بل كانوا يستنكرون من يراجعهم في قليل أو كثير؛ حيث وفرة المعلومات الصحيحة لدى علماء الأصحاب الكبار. و قد كان مستقاهم مساءلة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مهبط الوحى و معدن علوم الأولين و الآخرين، فلم يدعوا صغيرة و لا كبيرة إلّا سألوها عنها الرسول الكريم.

هذا ابن عباس حبر الأمة و ترجمان القرآن ينادى برفيع صوته: هلا من مستفهم أو مستعلم. و يستنكر على أولئك الذين يراجعون أهل الكتاب و لديهم الرصيد الأوفر من ذخائر العلوم. فقد كان ابن عباس يسئ الظن بأهل الكتاب حتى المسلمة منهم. روى البخارى بإسناده إلى ابن عباس، كان يقول:

«يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، و كتابكم الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه و آله و سلم أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب «٢». و قد حدّثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله و غيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٦٩.

(٢) لم يشب، أى كان محفوظا عن الدسّ فيه، فهو كلام الله الخالص، من غير أن تشوّهه يد التدليس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٨

ثمنا قليلا. أ فلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، و لا و الله ما رأينا منهم رجلا قطّ يسألكم عن الذى أنزل عليكم «١». و هذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب، سبط العلم و باب مدينة علم الرسول، و كذا عبد الله بن مسعود و أبى بن كعب و أمثالهم من أوعية العلم، لم يحتمل بشأنهم الرجوع إلى كتابي قطّ. و هذا معلوم بالضرورة من التاريخ.

نعم إنما كان يراجع أهل الكتاب من الأصحاب، من لا بضاعة له و لا سابقه علم، أمثال عبد الله بن عمر بن العاص، و عبد الله بن عمرو بن الخطاب، و أبى هريرة و أضرابهم، من المفلسين المعوزين.

و قد سمعت مراجعة عبد الله بن عمرو بن العاص إلى أهل الكتاب و لا سيما زاملتيه اللتين زعم أنه عثر عليهما في واقعة اليرموك، و كذا أبو هريرة تربية كعب الأخبار.



و قد ذكر أصحاب التراجم: أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان ممن نشر علم كعب، و كان راوية له.

هذا عماد الدين ابن كثير عند كلامه عن قصة هاروت و ماروت يحكم بوضع هذه القصة، و أن منشأها روايات إسرائيلية تدور حول ما نقله عبد الله بن عمر بن الخطاب عن كعب الأحبار، و هي مما ألصقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام، و أن روايات الرفع إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم غريبة جدًا، قال:

«و أقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا (١) راجع: صحيح البخارى، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة، ج ٩، ص ٢٣٧. و ج ٣، ص ١٣٦، باب لا تسألوا أهل الكتاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٢٩

عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثورى عن موسى بن عقبه عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار. و هكذا روى ابن جرير بإسناده إلى سالم أنه سمع ابن عمر يحدث عن كعب الأحبار» (١).

و هذا أبو هريرة يراجع كعبا و عبد الله بن سلام في معرفة الساعة في يوم الجمعة، لا يوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلى، يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه (٢)، فيجيبه بأنها آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، فيرد عليهما كيف و هي ساعة لا ينبغي الصلاة فيها. فيراجع كعب التوراة و يرى الحق مع أبي هريرة، و كذا ابن سلام، و يجيبه بأن الجلوس في انتظار الصلاة كأنه في الصلاة (٣).

و هكذا تداومت مراجعة كتب العهدين و أهل الكتاب على عهد التابعين و تابعى التابعين و من بعدهم، على أثر تساهل السلف في ذلك، و صارت مهنة القصص على الناس عادة مألوفة بين المسلمين على طول التاريخ.

فقد كانت هناك فئة تقص بالمساجد، و تذكر الناس بمواعظها و ترغبهم و ترهبهم. و لما كان هؤلاء - على أمثال أسلافهم المعوزين - ليسوا أهل علم و دراية، و كان غرضهم استمالة العوام، فجعلوا يختلقون القصص و الأساطير الخرافية، و روجوا الأباطيل. و فى هذا الكثير من الإسرائيليات و الخرافات العامية، ما يتصادم مع العقيدة الإسلامية، و قد تلقفها الناس منهم؛ لأن من طبيعة (١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٣٨. و راجع تاريخه البداية و النهاية أيضا، ج ١، ص ٣٧. و هكذا تفسير الطبرى، ج ١، ص ٣٦٣. حيث يحدث ابن عمر عن كعب صريحا.

(٢) البخارى في باب الجمعة، ج ٢، ص ١٣.

(٣) القسطلانى فى شرحه للحديث المذكور، ج ٢، ص ١٩٠ (الذهبي، ج ١، ص ١٧٠ - ١٧١).

و أبو شهبه، ص ١٠٣ - ١٠٤).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٠

العوام الميل إلى العجائب و الغرائب.

يقول ابن قتيبة بشأن القصاصين و شعوذتهم:

إنهم يميلون وجه العوام إليهم، و يستدرّون ما عندهم بالمناكير و الأكاذيب من الأحاديث. و من شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيبا خارجا عن فطر العقول، أو كان رقيقا يحزن القلوب. فإن ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، و عجيزتها ميل فى ميل، و بيوى الله و لئيه قصرا من لؤلؤة بيضاء، فيها سبعون ألف مقصورة، فى كل مقصورة سبعون ألف قبة، و لا يزال هكذا فى السبعين ألفا، لا يتحول عنها (١).

و من هؤلاء القصاص، من كان يبتغى الشهرة و الجاه بين الناس. و منهم، من كان يقصد التعيش و الارتزاق. و منهم، من كان سيئ التية خبيث الطوية، يقصد الإفساد فى عقائد الناس، و ربما حجب جمال القرآن و تشويه سمعة الإسلام، بما يأتى من تفاسير باطلة و خرافات تتنافى العقول.

قال أبو شهبه: و قد حدثت بدعة القصص فى آخر عهد عمر، و فيما بعد صارت حرفة، و دخل فيه من لا خلاق له فى العلم، و قد

ساعدهم على الاختلاق، أنهم لم يكونوا من أهل الحديث و الحفظ، و غالب من يحضرهم جهال. فجالوا و صالوا في هذا الميدان و أتوا بما لا يقضى منه العجب (٢).

و يظهر أنه اتخذ القصص أداه سياسية وراء ستار التذكير و الترهيب، يستعين بها أرباب السياسات في دعم سياساتهم و توجيه العامة نحوها، كالتى نشاهدها.

و قد حدثت في عهد معاوية، و هو أول من أبدع مزج السياسة بالوعظ الإرشادى، (١) تأويل مختلف الحديث، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) الإسرائيليات و الموضوعات، ص ٨٩ - ٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣١

و من ثم ارتفع شأن القصص حتى أصبح عملا رسميا يعهد إلى رجال رسميين يعطون عليه أجرا. و فى كتاب «القضاء» للكندى أن كثيرا من القضاء كانوا يعينون قصاصا أيضا. و أول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبى فى سنة (٣٨)، و جمع له القضاء و القصص، ثم عزل عن القضاء و أفرد بالقصص.

و هكذا أمر معاوية- فى هذا الوقت- رجالا يقصون فى المساجد بعد صلاة الصبح و بعد المغرب، يدعون له و لأهل ولايته كل صباح و مساء (١).

و صورة القصص: أن يجلس القاص فى المسجد و حوله الناس، فيذكرهم الله و يقص عليهم حكايات و أحاديث و قصصا عن الأمم السالفة، و أساطير و نحو ذلك، و لا يتحزون الصدق ما دام الغرض هو الترغيب و الترهيب و التوجيه الخاص، مهما كانت الوسيلة، جريا مع قاعدة «الغاية تبرر الوسيلة».

قال الليث بن سعد: هما قصصان: قصص العامة، و قصص الخاصة. فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع إليه النفر من الناس يعظهم و يذكرهم. فذلك مكروه لمن فعله و لمن استمعه.

و أما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية، و لى رجلا على القصص، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس و ذكر الله و حمده و مجده و صلى على النبى، و دعا للخليفة و لأهل ولايته و حشمه و جنوده، و دعا على أهل حربه و على المشركين كافة (٢).

و قد نما القصص بسرعة؛ لأنه كان يتفق و ميول العاقبة، فضلا عن اتفاقها مع الاتجاهات السياسية الظالمة فى الأغلب. و قد أكثر القصاص من الأكاذيب (١) فجر الإسلام، ص ١٦٠.

(٢) خطط المقرئى، ج ٢، ص ٢٥٣، ط اميرية.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٢

و الافتعالات، يصحبها كثير من التهم و الافتراءات، فأتوا بالطامات الكبرى و ضلالات.

و قد عدّ الغزالي ذلك من منكرات المساجد المحرّمة و المبتدعات الباطلة، قال: فلا يجوز حضور مجلسه، إلا على قصد إظهار الردّ عليه، فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة، قال الله تعالى لنبىه: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فى حَدِيثٍ غَيْرِهِ (١).

و قد عرفت أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طردهم من المساجد و استثنى الحسن البصرى، لأنه كان يتحرى الصدق فى قوله (٢).

و من صفقاتهم فى ذلك، ما

روى أنه صلى أحمد بن حنبل، و يحيى بن معين بمسجد الرصافة. فقام بين أيديهم قاص، فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين، قال: حدّثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من قال: لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب و ريشه من مرجان...» و أخذ فى قصة نحو من عشرين ورقة.

فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، و يحيى ينظر إلى أحمد، يسأل أحدهما الآخر:

هل أنت حدّثته بهذا؟! قال: و الله ما سمعت بهذا إلا هذه الساعة.

فلما انتهى الخطيب القاصّ أشار إليه يحيى، فجاء متوهماً نوالاً، فقال له: من حدّثك بهذا؟ قال: أحمد بن حنبل و يحيى بن معين. فقال يحيى: أنا يحيى بن معين و هذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله. فإن كان و لا بدّ من الكذب فعلى غيرنا. فقال القاصّ: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين (١) إحياء العلوم لأبى حامد الغزالي، ج ٢، ص ٣٣١، ط ١٩٣٩. الأنعام / ٦٨. (٢) فجر الإسلام، ص ١٥٩ - ١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٣

و أحمد بن حنبل أحقمان، ما تحقّقتة إلّا الساعة. فقال له يحيى: و كيف؟ قال: كأنه ليس فى الدنيا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين غير كما. لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل و يحيى بن معين!! فما كان منهما إلّا أن رضيا من النقاش بالسلامة «١».

و من يدري، فلعلهما لو أطلاا معه القول، لئالهما ما نال الشعبى، فقد دخل مسجدا، فإذا رجل عظيم اللحية، و حوله أناس يحدثهم، و هو يقول: إنّ الله خلق صورين، فى كل صور نفختان. قال: فخففت صلاتى، ثم قلت له: اتق الله يا شيخ، إنّ الله لم يخلق إلّا صورا واحدا. فقال لى: يا فاجر، أنا يحدثنى فلان و فلان، و ترد على! ثم رفع نعله و ضربنى، فتتابع القوم علىّ ضربا. فو الله ما ألقوا علىّ حتى قلت لهم: إنّ الله خلق ثلاثين صورا فى كل صور نفختان!! «٢».

و هكذا كان القصاص مصدر شرّ و بلاء على الإسلام و المسلمين.

## أقسام الإسرائيليات

### إشارة

قسّم الأستاذ الذهبى، الإسرائيليات تقسيمات ثلاثة:

- ١- تقسيمها إلى صحيح أو ضعيف أو موضوع.
  - ٢- و إلى موافقتها لما فى شريعتنا أو مخالفتها أو مسكوت عنها.
  - ٣- و إلى ما يتعلّق بالعقائد أو بالأحكام أو بالمواعظ و الحوادث و العبر.
- و أخيرا حكم عليها بأنّها متداخلة، يمكن إرجاع بعضها إلى بعض، كما (١) راجع: تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٩. (٢) الإسرائيليات و الموضوعات، ص ٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٤

يمكن أن ندخلها تحت الأقسام الثلاثة التالية: مقبول، و مردود، و متردّد فيه بين القبول و الردّ «١».

فالأحسن تقسيمها - حسب تقسيم الدكتور أبى شهبه - إلى موافق لما فى شرعنا، و مخالف، و مسكوت عنه «٢».

و تقسيم آخر أيضا لعلّه أولى: إما منقول بالحكاية شفاها - و هو الأكثر المروى عن كعب الأحبار و ابن سلام و ابن متبه و أمثالهم - أو موجود بالفعل فى كتب العهدين الموجودة بأيدينا اليوم، و هذا كأكثر ما ينقله أئمّة الهدى، و لا سيّما الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام احتجاجا على أهل الكتاب، و ليس اعتقادا بمضمونه.

ثم إنّ المنقول شفاها أو الموجود عينا إمّا موافق لشرعنا أو مخالف أو مسكوت عنه. و لكل حكمه الخاص، نوجزه فيما يلى:

أما المنقولات الشفاهية، حسبما يحكيه أمثال كعب و ابن سلام و غيرهما، فجّلّها إن لم نقل كلّها، موضوع مختلق، لا أساس له، و إنما مصدرها شائعات عاميّة أسطورية، أو أكاذيب افتعلها مثل كعب و ابن سلام، أو عبد الله بن عمرو و أضرابهم؛ إذ لم نجد فى المرويّات عن هؤلاء ما يمكن الوثوق إليه. فهى بمجموعتها مردودة عندنا، حسبما تقتضيه قواعد النقد و التمحيص.

إنّنا نسيء الظنّ بأمثال هؤلاء ممن لم يخلصوا الولاء للإسلام و لم يمحصوا النصح للمسلمين، كما لا نتق بصحّة معلوماتهم غير الصادرة

عن تحقيق رصين، سوى الاعتماد على الشائعات العامية المتبدلة إن لم تكن مفتعلة. إننا نجد في طيات كلامهم بعض الخبث و اللؤم المتخذ تجاه موضع الإسلام القويم، و ربما (١) الإسرائيليات للذهبي، ص ٤٧-٥٤.

(٢) الإسرائيليات و الموضوعات، ص ١٠٦-١١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٥

كان حقدا على ظهور الإسلام و غلبة المسلمين. فحاولوا التشويه من سمعة الإسلام و التزعزع من عقائد المسلمين.

هذا هو الطابع العام الذي يتسم به وجه الإسرائيليات على وجه العموم.

قال الأستاذ أحمد أمين: و أما كعب الأخبار أو كعب بن ماتع اليهودي، كان من اليمن، و كان من أكبر من تسربت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين، و كان كل تعاليمه- على ما وصل إلينا- شفوئية، و ما نقل عنه يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية و أساطيرها.

قال: و نرى أن هذا القصص هو الذي أدخل على المسلمين كثيرا من أساطير الأمم الأخرى كاليهودية و النصرانية، كما كان بابا دخل منه على الحديث كذب كثير، و أفسد التاريخ بما تسرب منه من حكاية و قانع و حوادث مزيفة، أتعبت الناقد و أضاعت معالم الحق «١».

و هكذا قال ابن خلدون فيما سبق من كلامه: فإنما يسألون أهل الكتاب قبلهم، و هم أهل التوراة من اليهود و من تبع دينهم من النصارى. و أهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، و لا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، و معظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، و هؤلاء مثل كعب الأخبار و وهب بن منبه و عبد الله بن سلام و أمثالهم، فامتلت التفاسير من المنقولات عندهم، و هي أخبار موقوفة عليهم.

و تساهل المفسرون في مثل ذلك و ملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات، و أصلها- كما قلنا- عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، و لا تحقيق عندهم (١) فجر الإسلام، ص ١٦٠-١٦١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٦

بمعرفة ما ينقلونه من ذلك «١».

فعلى ما ذكره العلامة ابن خلدون تكون جل المنقولات عن هؤلاء الكتائين، لا وثوق بها؛ حيث مصدرها الشيعاء القومي، و لكل قوم أساطيرها المسطرة في تاريخ حياتها، يحكونها و ينقلونها يدا بيد، و هذا التنقل حصل فيها التحريف و التبديل الكثير، بما ألحقها بالخرافات و الأوهام، و هؤلاء أصحاب القوميات المختلفة، دخلوا في الإسلام و معهم ثقافتهم و تاريخهم، أتوا بها و بثوها بين المسلمين.

قال الأستاذ أحمد أمين: إن كثيرا من الشعوب المختلفة ذوات التواريخ دخلت في الإسلام، فأخذوا يدخلون تاريخ أممهم و يبثونه بين المسلمين، إما عصبية لقومهم أو نحو ذلك. فكثير من اليهود أسلموا و معهم ما يعلمون من تاريخ اليهودية و أخبار الحوادث، حسبما روت التوراة و شروحاتها، فأخذوا يحدثون المسلمين بها، و هؤلاء ربطوها بتفسير القرآن أحيانا، و بتاريخ الأمم الأخرى أحيانا. إن شئت فاقرا ما في الجزء الأول من «تاريخ الطبري» تجد منه الشيء الكثير، مثل ما أسند عن عبد الله بن سلام، أنه تعالى بدأ بالخلق يوم الأحد، و فرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عجل «٢»- حسبما جاء في التوراة- و كثير من هذا النوع روى حول ما ورد في القرآن من قصص الأنبياء.

كذلك كان للفرس تاريخ، و كان لهم أساطير، فلما أسلموا روى تاريخهم و روى أساطيرهم، و كذلك فعل النصارى. فكانت هذه الروايات و الأساطير عن (١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٩-٤٤٠.

(٢) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٧

الأمم المختلفة ماثوثة بين المسلمين، و مصدرها من مصادر الحركة التاريخية عندهم «١».

و عليه فنشط على جميع ما ينقل عن أهل الكتاب فيما يمس تفسير القرآن أو تاريخ الأنبياء إذا كان نقلا بالشفاه و ليس مستندا إلى نص كتاب قديم معتمد؛ حيث مصدرها الشيعاء العام، و لا اعتبار به أصلا. و سنورد أمثلة لإسرائيليات دخلت على الإسلام، و كان مصدرها الشيعاء و الأسطورية.

و لعلك تقول: بعض ما نقل عن أهل الكتاب كان مصدره النقل من الكتاب، إما يكتبونه منه أو ينقلونه عنه، كما فى زاملتى عبد الله بن عمرو بن العاص، كان ينقل من كتب زعم العثور عليها فى واقعة يرموك. و كما فى نسخة عمر بن الخطاب التى جاء بها إلى النبى، اكتتبها من كتب اليهود فيما حسب.

لكن لا يذهب عليك أن لا وثوق بنقلهم و لو عن كتاب، ما دام الدس و التزوير شيمه يهودية جلاوا عليها من قديم يكثبون الكتاب بأيديهم أى من عند أنفسهم ثم يقولون هذا من عند الله كذبا و زورا ليشتروا به ثمنا قليلا «٢».

و هذا هو الذى فهمه ابن عباس منذ أول يومه فحذر الأخذ عنهم بتاتا، قائلا:

و قد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله و غيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أ فلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلهم «٣». (١) فجر الإسلام، ص ١٥٧.

(٢) البقرة / ٧٩.

(٣) جامع البخارى، ج ٣، ص ٢٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٨

أما المراجعة إلى كتب السلف و تواريتهم من يونان أو فرس أو الهند أو اليهود أو غيرهم، فإن ذلك شىء آخر، يجب العمل فيه وفق سنن النقد و التمحيص، و على مناهج السبر و التحقيق، حسب المتعارف المعهود.

أما التوراة، فيها من الغث و السمين الشىء الكثير، و هو الكتاب الوحيد الذى احتوى على تاريخ الأنبياء و أممهم فيما سلف، مصحوبا بالأساطير و الخرافات، شأن سائر كتب التاريخ القديمة. و التوراة كتاب تاريخ، قبل أن يكون كتابا سماويا، و إنما سميت بالتوراة، لاحتوائها على تعاليم اليهود، و التى جاء بها موسى من شرائع وقعت موضع الدس و التحريف، و من ثم فالمراجعة إليها بحاجة إلى نقد و تحقيق، و ليس أخذا برأسه.

و فى العهد القديم جاءت تفاصيل الحوادث مما أوجز بها القرآن و طواها فى سرد قضايا قصار، أخذا بمواضع عبرها دون بيان

التفصيل، فتجوز المراجعة إلى تلكم التفاصيل لرفع بعض المبهمات فى القضايا القرآنية، و لكن على حذر تام وفق التفصيل التالى:

فالموجود فى كتب السلف - فيما يمس المسائل القرآنية - إما موافق مع شرعنا فى أصول مبانيه و فى الفروع، أو مخالف أو مسكوت عنه.

فالمخالف منبوذ لا محالة، لأن ما خالف شريعة الله فهو كذب باطل، و أما المسكوت عنه فالأخذ به و تركه سواء، شأن سائر أحداث التاريخ.

و إليك أمثلة على ذلك:

#### ١ - أمثلة على الموافقة:

أ - جاء فى المزمير، المزمور (٣٧) عدد (١٠):

«أما الودعاء فيرتون الأرض و يتلذذون فى كثرة السلامة».

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٣٩

و في عدد (٢٢): «لأنّ المباركين منه يرثون الأرض و الملعونين منه يقطعون».

و في عدد (٢٩): «الصدّيقون يرثون الأرض و يسكنونها إلى الأبد».

و جاء تصديق ذلك في القرآن، في قوله تعالى، في سورة الأنبياء / ١٠٥:

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾.

قوله: مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ حيث البشارة في مزامير داود (الزبور) جاءت بعد مواعظ و تذكير.

ب- و جاء في سفر التثنية الصحاح (٣٢) ع (٣) وصيّة جامعته لنبى الله موسى صلى الله عليه و آله و سلم جاء فيها وصف الربّ تعالى بالعدل و الحكمة و العظمة، على ما جاء به القرآن الكريم.

يقول فيها: «إني باسم الربّ أنادى، أعطوا عظمة لإلهنا، هو الصخر الكامل صنيعة» (٢)، إنّ جميع سبله عدل، إله أمانة لا جور فيه، صديق و عادل هو».

ج- و جاء في لاويين اصحاح (١٢) ع (٤) شريعة الختان، كما هو في الإسلام:

«و في اليوم الثامن يخنن لحم غرلته». و الغرلة: القلفة، و هى جلده عضو التناسل.

د- و في سفر التثنية اصحاح (١٤) ع (٨) جاء تحريم لحم الخنزير، لأنه نجس لا يجتز.

«... و الخنزير، لأنه يشقّ الظلف، لكنه لا يجتز، فهو نجس لكم». (١) الأنبياء / ١٠٥.

(٢) الصخر هنا: كناية عن الحجر الأساسى، فيه القوة و الصلابه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٠

## ٢- أمثلة على المخالفة:

و الأمثلة على مخالفة ما جاء في التوراة الموجودة مع ما فى القرآن فهى كثيرة جداً، فضلا عن مخالفته للفطرة و العقل الرشيد، على ما فصلناه فى مباحثنا عن الإعجاز التشريعى للقرآن، و مقارنته بعض ما جاء فيه، مع ما فى كتب العهدين «١».

إنّك تجد فى كتب العهدين مخالفات كثيرة مع شريعة العقل فضلا عن شريعة السماء، فمثلا تجد فيها ما يتنافى و مقام عصمة الأنبياء ما يذهلك:

ففى سفر التكوين (١ ص ١٩، ع ١٣٠): أن ابنتى لوط سقتا أباهما الخمر فاضطجعتا معه.

و فى (الملوك الأول، ١ ص ١١): أن سليمان عبد أوثانا، نزولا إلى رغبة نساءه.

و فى (الخروج، ١ ص ٣٢، ع ٢١-٢٤): أن هارون هو الذى صنع العجل و ليس السامرى.

كما تفرض التوراة عقوبة البهائم (الخروج، ١ ص ٢١، ع ٢٨).

و نجاسة من مس ميتا إلى سبعة أيام (سفر العدد، ١ ص ١٩، ع ١١-١٦).

و أمثالها كثير.

## ٣- أمثلة على المسكوت عنه

و الأمثلة على المسكوت عنه فى شرعنا على ما جاء فى كتب السالفين أيضا كثيرة فى كثير، كان شأنها شأن سائر الأحداث التاريخية التى جاءت فى الكتب القديمة. (١) التمهيد فى علوم القرآن، ج ٦، ص ٣١٠-٣١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤١

و لعلّ

الحديث الوارد: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» (١) ناظر إلى هذا النوع من المسكوت عنه في شرعنا، لا نعلم صدقه عن كذبه؛ لأنهم خلطوا الحق بالباطل. فلو صدقناه فلعله الباطل، أو كذبناه فلعله الحق. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به» (٢). وهكذا قال عبد الله بن مسعود:

«لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم - أى لن يخلصوا لكم النصيح - وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل» (٣). وعليه فيجب الحذر فيما لم نجد صدقه ولا كذبه في المأثور من شرعنا الإسلامى و يلزم إجراء قواعد النقد و التمحيص - التثبت - فيما وجدناه في كتب القوم من آثار و أخبار. هذه قصة يوسف صلى الله عليه وآله وسلم جاءت مواضع عبوها في القرآن و ترك الباقي، و قد تعرّض لتفاصيلها العهد القديم. و هكذا سائر قصص الأنبياء، و فيها الغث و السمين.

### نماذج من إسرائيلييات مبنوثة في التفسير

#### إشارة

سبق القول بأن في التفسير من الإسرائيليات طامات و ظلمات، أصبحت ماثرا للشك و الطعن و التقول على الإسلام و مقدساته. و يرجع أكثر اللوم على الأوائل الذين زجوا بتلكم الأساطير اليهودية و غيرها في التفسير و الحديث (١) جامع البخارى، ج ٩، ص ١٣٦. (٢) مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٨٧. (٣) فتح البارى بشرح البخارى، ج ١٣، ص ٢٥٩. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٢ و التاريخ، و هكذا تساهل أهل الحديث في جمع و ثبت تلكم الإسرائيليات في كتبهم، أمثال أبى جعفر الطبرى، و جلال الدين السيوطى، و أضرابهما من أرباب كتب التفسير بالمأثور. و قد أخذ على تفسير ابن جرير، أنه يذكر الروايات من غير بيان و تمييز بين صحيحها و سقيمها، و لعله كان يحسب أن ذكر السند - لو لم ينص على درجة الرواية قوة و ضعفا - يخلى المؤلف عن المؤاخذة و التبعات. و تفسيره هذا مشحون بالروايات الواهية و المنكرة و الموضوعات و الإسرائيليات، و ذلك فيما يذكره في الملاحم و الفتن و في قصص الأنبياء، و حتى في مثل قصص نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كما في قصة زينب بنت جحش، على ما يرويها القصاص و المبطلون، و أمثالها كثير. كما أخذ على تفسير «الدرّ المنثور»، أنه و إن عزي الروايات إلى مخرجها، لكن لم يبين منزلتها من الصحة و الضعف أو الوضع، و ليس كل قارئ يمكنه معرفة ذلك بمجرد ذكر السند أو المصدر المخرج منه، و لا - سيما في عصورنا المتأخرة. و لعله أيضا من المحدّثين الذين يرون أن إبراز السند أو المخرج يخلى من العهدة و التبعة. و في الكتاب إسرائيلييات و بلايا كثيرة، و لا سيما في قصص الأنبياء؛ و ذلك مثل ما ذكره في قصة هاروت و ماروت، و في قصة الذبيح و أنه إسحاق، و في قصة يوسف، و في قصة داود، و سليمان، و في قصة إياس. و أسرف في ذكر المروييات في بلاء أيوب. و معظمها مما لا يصحح و لا يثبت، و إنما هو من الإسرائيليات التى سردها بنو إسرائيل أكاذيبهم على الأنبياء.

و هذان التفسيران هما الأساس لبث و نشر الإسرائيليات، فيما تأخر من كتب التفسير. و سنعرض منها نماذج:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٣

## ١- الإسرائيليات في قصة هاروت و ماروت «١»

روى السيوطى فى «الدر المنثور»، فى تفسير قوله تعالى: «وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ» (٢) روايات كثيرة و قصصا عجيبه، رويت عن ابن عمر، و ابن مسعود، و عليّ، و ابن عباس، و مجاهد، و كعب، و الربيع، و السدى. رواها ابن جرير الطبرى فى تفسيره، و ابن مردويه، و الحاكم، و ابن المنذر، و ابن أبى الدنيا، و البيهقى، و الخطيب فى تفاسيرهم و كتبهم (٣). و خلاصتها: أنه لما وقع الناس من بنى آدم فيما وقعوا فيه من المعاصى و الكفر بالله، قالت الملائكة فى السماء: أى ربّ، هذا العالم إنّما خلقتهم لعبادتك، و طاعتك، و قد ركبوا الكفر، و قتل النفس الحرام، و أكل المال الحرام، و السرقة، و الزنى، و شرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم، و لا يعذرونهم، فقيل لهم: إنهم فى غيب، فلم يعذروهم. و فى بعض الروايات: أن الله قال لهم: لو كنتم مكانهم لعلتم مثل أعمالهم، قالوا: سبحانك، ما كان ينبغى لنا. و فى رواية أخرى: قالوا: لا، فقيل لهم: اختاروا منكم ملكين أمرهما بأمرى، و أنهما عن معصيتى. فاختروا هاروت و ماروت، فأهبطا إلى الأرض، و ركبت فيهما الشهوة، و أمرا أن يعبد الله، و لا يشركا به شيئا، و نهيا عن قتل النفس الحرام، و أكل المال (١) تركنا القلم هنا بيد الدكتور محمد بن محمد أبى شهبه فى كتابه «الإسرائيليات و الموضوعات» فقد استوفى هذا الجانب استيفاء كاملا و استقصى الإسرائيليات بشكل رتيب، و من ثم فقد اكتفينا على ما ذكره، مع شىء من التصرف و التلخيص أو الزيادة أحيانا. راجع: كتابه من ص ١٥٩ إلى ص ٣٠٥.

(٢) البقرة/١٠٢.

(٣) الدر المنثور، ج ١، من ص ٩٧-١٠٣. و تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٣٦٢-٣٦٧، ط بولاق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٤

الحرام، و السرقة، و الزنى و شرب الخمر. فلبثا على ذلك فى الأرض زمانا، يحكمان بين الناس بالحقّ، و ذلك فى زمان إدريس. و فى ذلك الزمان امرأة حسنها فى سائر الناس كحسن الزهرة فى سائر الكواكب و أنها أتت عليهما فخصعا لها بالقول، و أنهما أراداها (١) على نفسها، فأبت إلّا أن يكونا على أمرها و دينها، و أنهما سألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنما، فقالا: لا حاجة لنا فى عبادة هذا. فذهبا فصبرا ما شاء الله، ثم أتيا عليهما، فخصعا لها بالقول، و أراداها على نفسها، فأبت إلّا أن يكونا على دينها، و أن يعبد الصنم الذى تعبده، فأبيا، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبد الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدا هذا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا هذا الخمر. فقالا: كلّ هذا لا ينبغى، و أهون الثلاثة شرب الخمر، و سقتهما الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها (٢). فمر بهما إنسان، و هما فى ذلك، فخشيا أن يفشى عليهما، فقتلاه، فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما قد وقعا فيه من الخطيئة، و أرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا. و كشف الغطاء فيما بينهما، و بين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما قد وقعا فيه من الذنوب، و عرفوا أنّ من كان فى غيب فهو أقلّ خشية؛ فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن فى الأرض. فلما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة؛ قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فقالا: أمّا عذاب الدنيا فينقطع، و يذهب و أما عذاب الآخرة فلا انقطاع له، فاختارا عذاب الدنيا، فجعلنا- ببابل، فهما بها يعدّبان معلقين بأرجلهم. و فى بعض الروايات، أنهما علّماها الكلمه التى يصعدان بها إلى السماء، فصعدت، فمسخها الله، فهى هذا الكوكب المعروف (١) راوداها عن نفسها.

(٢) أى فعلا بها الفاحشه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٥

بالزهرة «١».

و يذكر السيوطى أيضا فى كتابه؛ ما رواه ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و الحاكم و صحّحه (٢)، و البيهقى فى سننه، عن عائشه: أنها قدمت عليها امرأة من دومه الجندل، و أنها أخبرتها أنها جىء لها بكليين أسودين فركبت كلبا، و ركبت امرأة أخرى الكلب الآخر، و لم يمض غير قليل، حتى وقفتا ببابل. فإذا هما برجلين معلقين بأرجلهم، و هما هاروت و ماروت، و استرسلت المرأة التى قدمت على



عائشه في ذكر قصه عجيبة غريبة.

و يذكر ايضا: أن ابن المنذر أخرج من طريق الأوزاعي، عن هارون بن رباب، قال: دخلت على عبد الملك بن مروان و عنده رجل قد ثبت له و سادة، و هو متكئ عليها، فقالوا: هذا قد لقي هاروت و ماروت، فقلت هذا، قالوا نعم، فقلت: حدثنا رحمك الله، فأنشأ الرجل يحدث بقصة عجيبة غريبة (٣).

و كل هذا من خرافات بنى إسرائيل، و أكاذيبهم التي لا يشهد لها عقل، و لا نقل، و لا شرع، و لم يقف بعض رواة هذا القصص الخرافي الباطل عند روايته عن بعض الصحابة و التابعين، و لكنهم أوغلو باب الإثم، و التجنى الفاضح، فألصقوا هذا الزور إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و رفعوه إليه.

فقد قال السيوطي: أخرج سعيد، و ابن جرير، و الخطيب في تاريخه، عن نافع، قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع، انظر هل طلعت الحمراء؟ قلت: لا، مرتين أو ثلاثا، ثم (١) الزهرة، كرتبة- يعني بضم الزاي و فتح الهاء-: نجم في السماء كما في القاموس و غيره.

(٢) تصحيح الحاكم غير معتد به؛ لأنه معروف أنه متساهل في الحكم بالتصحيح، كما قال ابن الصلاح و غيره. و قد صحح أحاديث تعقبها الإمام الذهبي و حكم عليها بالوضع.

(٣) الدر المنثور، ص ١٠١ و تفسير الطبري، ج ١، ص ٣٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٦

قلت: قد طلعت. قال: لا مرحبا بها، و لا أهلا. قلت: سبحان الله!! نجم مسخر، سامع، مطيع!! قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، قال: إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بنى آدم في الخطايا و الذنوب؟ قال: إنى ابتليتهم و عافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملكين منكم، فلم يألوا جهدا أن يختاروا فاختاروا هاروت و ماروت، فترلا، فألقى الله عليهم الشبق. قلت: و ما الشبق؟ قال: الشهوة، فجاءت امرأة يقال لها: الزهرة، فوقع في قلبيهما، فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه، ثم قال أحدهما للآخر: هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم فطلبها لأنفسهما، فقالت: لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء، و تهبطان، فأبيا، ثم سألاها أيضا، فأبت، ففعلا، فلما استطيرت طمسها الله كوكبا، و قطع أجنحتهما. ثم سألا- التوبة من ربهما، فخيرهما بين عذاب الدنيا، و عذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فأوحى الله إليهما: أن اثتيا «بابل» (١). فانطلقا إلى بابل، فحسفا بهما، فهما منكوسان بين السماء و الأرض، معدبان إلى يوم القيامة.

ثم ذكر أيضا رواية أخرى، مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا- تخرج في معناها عما ذكرنا (٢)، و لا ينبغي أن يشك مسلم عاقل فضلا عن طالب حديث في أن هذا موضوع على النبي صلى الله عليه و آله و سلم مهما بلغت أسانيده من الثبوت، فما بالك إذا كانت أسانيدها واهية، ساقطة، و لا تخلو من وضاع، أو ضعيف، أو مجهول؟! و نص على وضعه أئمة الحديث!! (١) بابل: بلد من بلاد العراق قرب الكوفة و الحلة.

(٢) الدر المنثور، ج ١، ص ٩٧ و تفسير الطبري، ج ١، ص ٣٦٤-٣٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٧

و قد حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج ابن الجوزي (١)، و نص الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت و ماروت أنهما ملكان يعدبان على خطيئتهما مع الزهرة، فهو كافر بالله تعالى العظيم (٢). و قال الإمام القاضي عياض في «الشفاء»: و ما ذكره أهل الأخبار، و نقله المفسرون في قصة هاروت و ماروت، لم يرد فيه شيء لا سقيم (٣)، و لا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و ليس هو شيئا يؤخذ بالقياس.

و كذلك حكم بوضع المرفوع من هذه القصّة الحافظ عماد الدين ابن كثير.

و أما ما ليس مرفوعاً فبين أن منشأه روايات إسرائيلية أخذت عن كعب وغيره ألقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام. قال ابن كثير فى تفسيره بعد أن تكلم على الأحاديث الواردة فى هاروت و ماروت، و أن روايات الرفع غريبة جداً:

«و أقرب ما يكون فى ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأخبار، كما قال عبد الرزاق فى تفسيره، عن الثورى، عن موسى بن عقبه، عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر، عن كعب: و رفع مثل هذه الإسرائيليات إلى النبى كذب و اختلاق، ألقه زنادقة أهل الكتاب، زورا و بهتاناً. و ذكر مثل ذلك فى البداية و النهاية» (٤).

قال أبو شهبة: و هذا الذى قاله ابن كثير هو الحق الذى لا ينبغى أن يقال غيره.

و ليس أدلّ على هذا من أن ابن جرير رواها بالسند الذى ذكره ابن كثير، و غيره عن ابن عمر، عن كعب الأخبار (٥). و لكن بعض الرواة غلطاً، أو لسوء نية رفعها (١) الموضوعات، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) روح المعانى، ج ١، ص ٣٤١.

(٣) لعله أراد به الضعيف، و اعتبر ما روى مرفوعاً ساقطاً عن الاعتبار.

(٤) البداية و النهاية، ج ١، ص ٣٧.

(٥) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٣٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٨

و نسبها إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و كذا ردّها المحققون من المفسرين الذين مهروا فى معرفة أصول الدين، و أبت عقولهم أن تقبل هذه الخرافات كالإمام الرازى، و أبى حيان، و أبى السعود، و الآلوسى.

ثم هذه من ناحية العقل غير مسلمة، فالملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر، التى لا تصدر إلّا من عبيد. و قد أخبر الله عنهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، و يفعلون ما يؤمرون. كما ورد فى بعض الروايات التى أشرنا إليها آنفاً ردّ لكلام الله، و فى رواية أخرى: أن الله قال لهما: لو ابتليتما بما ابتليت به بنى آدم لعصيتما، فقالا: لو فعلت بنا يا رب ما عصيناك!!، و ردّ كلام الله كفر، نزه عنه من له علم بالله و صفاته، فضلاً عن الملائكة.

ثم كيف ترفع الفاجرة إلى السماء، و تصير كوكبا مضيئاً؟! و ما النجم الذى يزعمون أنه «الزهره»، و زعموا أنه كان امرأة، فمسخت؟ إلّا فى مكانه، من يوم أن خلق الله السماوات و الأرض.

و هذه الخرافات التى لا يشهد لها نقل صحيح، و لا عقل سليم هى كذلك مخالفة لما صار عند العلماء المحدثين أمراً يقينياً، و لا أدرى ما ذا يكون موقفنا أمام علماء الفلك، و الكونيات، إذا نحن لم نزيّف هذه الخرافات، و سكتنا عنها، أو انتصرنا لها؟!.

و إذا كان بعض العلماء المحدثين «١» مال إلى ثبوت مثل هذه الروايات التى لا نشك فى كذبها، فهذا منه تشدّد فى التمسك بالقواعد، من غير نظر إلى ما يلزم من الحكم بثبوت ذلك من المحظورات. و نحن لا ننكر أن بعض أسانيدنا صحيحة أو حسنة، إلى بعض الصحابة أو التابعين، و لكن مرجعها و مخرجها من (١) هو الحافظ ابن حجر، و تابعه السيوطى.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٤٩

إسرائيليات بنى إسرائيل، و خرافاتهم، و الراوى قد يغلط، و بخاصة فى رفع الموقوف، و قد حققنا هذا فى مقدمات البحث، و أن كونها صحيحة فى نسبتها، لا ينافى كونها باطلة فى ذاتها. و لو أن الانتصار لمثل هذه الأباطيل يترتب عليه فائدة ما؛ لغضنا الطرف عن مثل ذلك، و لما بذلنا غاية الجهد فى التنبيه إلى بطلانها، و لكنّها فتحت على المسلمين باب شر كبير، يجب أن يغلق.

قال الإمام أبو محمد الحسن بن على العسكري عليه السلام و قد سئل عن الذى يقوله الناس بشأن الملكين هاروت و ماروت، و أنهما عصيا الله،

قال: «معاذ الله من ذلك، إن الملائكة معصومون محفوظون من الكفر و القبائح بألطف الله تعالى.

فقد قال الله عز و جل فيهم: لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون» (١).

و قال: و له من في السماوات و الأرض و من عنده- يعنى الملائكة- لا يشتكبرون عن عبادته و لا يستحسرون يسبحون الليل و النهار لا يفترون» (٢).

و قال- فى الملائكة:- بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم. و لا يشفعون إلا لمن ارتضى و هم من خشيته مشفقون» (٣).

و هكذا سأل الخليفة المأمون العباسى الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام عما يرويه الناس من أمر «الزهره» و أنها كانت امرأة، فتن بها هاروت و ماروت، و ما (١) التحريم / ٦.

(٢) الأنبياء / ١٩- ٢٠.

(٣) الأنبياء / ٢٦- ٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٠

يرويه الناس من أمر «سهيل»، و أنه كان عشارا باليمن.

فقال الإمام: كذبوا فى قولهم: إنهما كوكبان، و إنما كانتا دابتين من دواب البحر. و غلط الناس إنهما كوكبان، و ما كان الله تعالى ليمسخ أعداءه أنوارا مضيئة، ثم يبيعهما ما بقيت السماء و الأرض.

و

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى تفسير الآية:

كان بعد نوح عليه السلام قد كثرت السحرة و الممّوهون، فبعث الله تعالى ملكين إلى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة و ذكر ما يبطل به سحرهم و برد كيدهم.

فتلقاه النبي عن الملكين و أذاه إلى عباد الله بأمر الله، و أمرهم أن يفقوا به على السحر و أن يبطوه، و نهاهم أن يسحروا به الناس.

و هذا كما يدل على السّم ما هو، و على ما يدفع به غائلته. ثم يقال لمتعلم ذلك: هذا السّم فمن رأته سم فادفع غائلته بكذا، و إياك أن تقتل بالسّم أحدا.

و

قال الإمام أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام بشأن الشياطين فى الآية:

لما مات سليمان النبي عليه السلام وضع الشيطان السحر و كتبه فى كتاب ثم طواه، و كتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا فليعمل كذا، ثم دفنه تحت سرير سليمان، ثم استثاره لهم فقراء، فقال الكافرون: ما كان سليمان يغلبنا إلا بهذا، فقال الله:

و ما كفر سليمان- بأعمال السحر- و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر» (١).

إذن فليس فى الآية ما يدل- و لو من بعد- على هذه القصة المنكرة، و ليس (١) راجع: تفسير البرهان للسيد هاشم البحرانى، ج ١، ص ١٣٦-١٣٨. البقرة / ١٠٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥١

السبب فى نزول الآية ذلك، و إنما السبب أن الشياطين فى ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السماء، ثم يضمنون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها، و يلقونها إلى كهنة اليهود و أحبارهم. و قد دونها هؤلاء فى كتب يقرءونها، و يعلمونها الناس، و فشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا: هذا علم سليمان و ما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، و به يسخر الإنس، و الجن، و الريح التى

تجرى بأمره. و هذا من افتراءات اليهود على الأنبياء، فأكذبهم الله بقوله:

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا لِكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ «١».

ثم عطف عليه: و مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ... فالمراد بما أنزل هو «علم السحر» الذى نزل ليعلماه الناس، حتى يحذروا منه، فالسبب فى نزولهما هو تعليم الناس أبوابا من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر و النبوة، و أن سليمان لم يكن ساحرا، و إنما كان نبيا مرسلا من ربه. و قد احتاط الملكان غاية الاحتياط، فما كان يعلمان أحدا شيئا من السحر حتى يحذرا، و يقولان له: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ أَى بلاء و اختبار، فلا تكفر بتعلمه و العمل به. و أما من تعلمه للحذر منه، و ليعلم الفرق بينه و بين النبوة و المعجزة؛ فهذا لا شىء فيه، بل هو أمر مطلوب، مرغوب فيه، إذا دعت الضرورة إليه. و لكن الناس ما كانوا يأخذون بالنصيحة، بل كانوا يفرقون به بين المرء و زوجته، و ذلك بإذن الله و مشيئته.

و قد دلت الآية على أن تعلم السحر لتحذير الناس من الوقوع فيه و العمل به مباح، و لا إثم فيه، و أيضا تعلمه لإزالة الاشتباه بينه و بين المعجزة و النبوة مباح، و لا إثم فيه. و إنما الحرام و الإثم فى تعلمه أو تعليمه للعمل به، فهو مثل ما قيل: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه و من لا يعرف الشر من الناس يقع فيه (١) لأن تعلم السحر للعمل به كفر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٢

و اليهود- عليهم غضب الله- لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كانوا يعلمون أنه النبى الذى بشرت به التوراة، حتى كانوا يستفتحون به على المشركين قبل ميلاده و بعثته، فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به، و نبذوا كتابهم التوراة، و كتاب الله القرآن وراء ظهورهم، و بدل أن يتبعوا الحق المبين، اتبعوا السحر الذى توارثوه عن آبائهم و الذى علمتهم إياه الشياطين. و كان الواجب عليهم أن ينبذوا السحر، و يحذروا الناس من شره؛ و ذلك كما فعل الملكان: هاروت و ماروت من تحذير الناس من شروره، و العمل به. و هذا هو التفسير الصحيح للآية، لا ما زعمه المبطلون الخرفون؛ و بذلك يحصل التناسق بين الآيات، و تكون الآية متآخية متعاقبة. و لا أدرى ما الصلة بين ما رووه من إسرائيليات، و بين قوله: و مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ... «١».

و العجب أن مثل ابن جرير حوّم حول ما ذكرناه فى تفسير الآية، ثم لم يلبث أن ذكر ما ذكر «٢».

و الخلاصة: على القارئ أن يحذر من هذه الإسرائيليات، سواء و جدها فى كتاب تفسير، أو حديث أو تاريخ أو مواضع، أو أدب أو ....

## ٢- إسرائيلية فى المسوخ من المخلوقات

و يوغل بعض زنادقة أهل الكتاب، فيضعون على النبى صلى الله عليه و آله و سلم خرافات فى خلق بعض أنواع الحيوانات التى زعموا أنها مسخت. و لو أن هذه الخرافات (١) البقرة/ ١٠٢.

(٢) تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٣٥٩ و ٣٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٣

نسبت إلى كعب الأبحار و أمثاله أو إلى بعض الصحابة و التابعين، لهان الأمر، و لكن عظم الإثم أن ينسب ذلك إلى المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم، و هذا اللون من الوضع و الدس من أخبث و أقدر أنواع الكيد للإسلام و نبى الإسلام.

فقد قال السيوطى بعد ما ذكر طامات و بلايا فى قصة هاروت و ماروت، من غير أن يعلق عليها بكلمة:

أخرج الزبير بن بكار فى الموقفيات، و ابن مردويه، و الديلمى، عن على: أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم سئل عن المسوخ «١»، فقال: هم ثلاثة عشر: الفيل، و الدب، و الخنزير، و القرد، و الجرّيث «٢»، و الضب، و الوطواط، و العقرب، و الدعموص، و العنكبوت، و الأرنب، و سهيل، و الزهرة. فقيل: يا رسول الله، و ما سبب مسخهن؟- و إليك التخريف و الكذب الذى نبرئ ساحة رسول الله

منهما - فقال:

أميا الفيل فكان رجلا- جبارا لوطيا، لا- يدع رطبا و لا يابسا. و أما الدب فكان مؤثنا يدعو الناس إلى نفسه. و أما الخنزير فكان من النصارى الذين سألوا المائدة، فلما نزلت كفروا. و أما القردة فيهود اعتدوا في السبت. و أما الجرّيث فكان ديوتا «٣»، يدعو الرجال إلى حليلته. و أما الضب فكان أعرابيا يسرق الحاج بمحجنه. و أما الوطواط فكان رجلا يسرق الثمار من رءوس النخل. و أما العقرب فكان رجلا لا يسلم أحد من لسانه. و أما الدعموص «٤» فكان تماما يفرق بين (١) جمع مسخ، أى الممسوخ من حالة إلى حالة أخرى.

(٢) فى القاموس «الجرّيث كسكّيت: سمك».

(٣) الديوث: الذى لا يغار على زوجته.

(٤) الدعموص - بضم الدال - دويبة أو دودة سوداء، تكون فى الغدران إذا أخذ ماؤها فى النضوب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٤

الأحبة. و أميا العنكبوت فامرأة سحرت زوجها. و أما الأرنب فامرأة كانت لا تطهر من حيضها. و أما سهيل فكان عشارا باليمن. و أما الزهرة فكانت بنتا لبعض ملوك بنى إسرائيل افتتن بها هاروت و ماروت!!  
ألا قبح الله من وضع هذا الزور و الباطل، و نسبه إلى من لا ينطق عن الهوى.

و مما لا يقضى منه العجب أن السيوطى ذكر هذا الهراء من غير سند، و لم يعقب عليه بكلمة استنكار. و مثل هذا لا يشكّ طالب علم فى بطلانه، فضلا عن عالم كبير. و قد حكم عليه ابن الجوزى بالوضع، و قد ذكره السيوطى فى «اللئالى»، و تعقبه بما لا يجدى، و كان من الأمانة العلمية أن يشير إلى هذا.

و بعد هذا الكذب و التخريف ينقل السيوطى ما

رواه الطبرانى فى الأوسط بسند - ضعيف - كذا قال، عن عمر بن الخطاب، قال: جاء جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى غير حينه، ثم ذكر قصة طويلة فى وصف النار، و أن النبى بكى، و جبريل بكى، حتى نوديا: لا تخافا إن الله أئتمكما أن تعصياه «١». و أغلب الظن:

أنه من الإسرائيليات التى دسّت فى الرواية الإسلامية.

### ٣ - الإسرائيليات فى بناء الكعبة: البيت الحرام و الحجر الأسود

و كذلك أكثر السيوطى فى تفسيره «الدر المنثور» عند تفسير قوله تعالى:

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «٢»: (١) الدر المنثور، ج ١، ص ١٠٢ و ١٠٣.

(٢) البقرة/ ١٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٥

من النقل عن الأزرقى، و أمثاله من المؤرخين و المفسرين الذين هم كحاطبى ليل، و لا يميزون بين الغث و السمين، و المقبول و المردود، فى بناء البيت، و من بناه قبل إبراهيم؛ أهم الملائكة أم آدم؟ و الحجر الأسود؛ و من أين جاء؟ و ما ورد فى فضلها. و قد استغرق فى هذا النقل الذى معظمه من الإسرائيليات التى أخذت عن أهل الكتاب بضع عشرة صحيفة «١»، لا يزيد ما صح منها أو ثبت عن عشر هذا المقدار.

قال أبو شهبه: و لو أنه اقتصر على الرواية التى رواها البخارى فى صحيحه «٢»، و رواها غيره من العلماء، لأراحنا و أراح نفسه، و لما أفسد العقول، و ستم النفوس بكل هذه الإسرائيليات، التى نحن فى غنية عنها، بما تواتر من القرآن، و ثبت من السنة الصحيحة. و فى الحق: أن ابن جرير كان مقتصدا فى الإكثار من ذكر الإسرائيليات فى هذا الموضوع، و إن كان لم يسلم منها، و ذكر بعضها؛ و ذلك

مثل ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: لما أهبط الله آدم من الجنة قال: إني مهبط معك بيتا يطاف حوله كما يطاف حول عرشى، و يصلّى عنده، كما يصلّى عند عرشى. فلما كان زمن الطوفان، رفع، فكان الأنبياء يحجّونه، و لا يعلمون مكانه «٣»، حتى بوأه الله إبراهيم صلّى الله عليه و آله و سلّم و أعلمه، مكانه، فبناه من خمسة أجبل: من حراء، و ثبير، و لبنان، و جبل الطور، و جبل الخمر.

و أعجب من ذلك ما رواه بسنده عن عطاء بن أبي رباح، قال: «لما أهبط الله آدم من الجنة كان رجلاه في الأرض، و رأسه في السماء!! يسمع كلام أهل السماء، (١) الدر المنثور، ج ١، ص ١٢٥-١٣٧.

(٢) صحيح البخارى - كتاب أحاديث الأنبياء - باب «و اتخذ الله إبراهيم خليلاً».

(٣) و لا أدري كيف يحجّونه و لا يعلمون مكانه؟

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٦

و دعاءهم، يأنس إليهم؛ فهابته الملائكة، حتى شكت إلى الله في دعائها، و في صلاتها فخفضه إلى الأرض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه و في صلاته، فوجه إلى مكة، فكان موضع قدمه قرية، و خطوه مفازة، حتى انتهى إلى مكة، و أنزل الله ياقوته من ياقوت الجنة، فكانت على موضع البيت الآن، فلم يزل يطوف به، حتى أنزل الله الطوفان، فرفعت تلك الياقوتة، حتى بعث الله إبراهيم فبناه؛ فذلك قول الله تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» (١) إلى غير ذلك مما مرجعه إلى أخبار بنى إسرائيل و خرافاتهم.

و لم يصح في ذلك خبر عن المعصوم صلّى الله عليه و آله و سلّم و يرحم الله الإمام الحافظ ابن كثير، فقد بين لنا منشأ معظم هذه الروايات التي هي من صنع بنى إسرائيل، و دسّ زنادقتهم،

فقد قال فيما رواه البيهقي في «الدلائل»، من طرق عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: «بعث الله جبريل إلى آدم، فأمره، ببناء البيت، فبناه آدم، ثم أمره بالطواف به، و قال له: أنت أول الناس، و هذا أول بيت وضع للناس».

قال ابن كثير: إنه من مفردات ابن لهيعة، و هو ضعيف، و الأشبه - و الله أعلم - أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص، و يكون من الزاملتين «٢» اللتين أصابهما يوم اليرموك، من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث بما فيهما «٣».

و قال في «بدايته»: و لم يجيء في خبر صحيح عن المعصوم أن البيت كان مبنيًا قبل الخليل عليه السلام، و من تمسك في هذا بقوله: مَكَانَ الْبَيْتِ فليس بناهض (١) تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٤٢٨ و ٤٢٩. الحج / ٢٦.

(٢) الزاملة: البعير الذى يحمل عليه المتاع.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٨٣ و تفسير البغوى، ج ١، ص ١١٥ و فتح البارى، ج ٦، ص ٣١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٧

و لا ظاهر، لأن مراده: مكانه المقدر في علم الله تعالى، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه، من لدن آدم إلى زمان إبراهيم «١».

#### ٤ - الإسرائيليات فى قصة التابوت

و من الإسرائيليات التى التبس فيها الحق بالباطل ما ذكره غالب المفسرين فى تفاسيرهم، فى قصة طالوت، و تنصيبه ملكا على بنى إسرائيل، و اعتراض بنى إسرائيل عليه، و إخبار نبيهم لهم بالآية الدالة على ملكه، و هى التابوت؛ و ذلك عند قوله تعالى: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ» (٢).

فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبي، و البغوي، و القرطبي، و ابن كثير، و السيوطي في «الدر»، و غيرهم في تفاسيرهم، كثيرا من الأخبار عن الصحابة و التابعين، و عن وهب بن منبه، و غيره من مسلمة أهل الكتاب في وصف «التابوت»، و كيف جاء، و علام يشتمل؟، و عن «السكينة» و كيف صفتها؟

فقد ذكروا في شأن التابوت أنه كان من خشب الشمشاد (٣)، نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين، كان عند آدم إلى أن مات، ثم عند شيث، ثم توارثه أولاده، إلى (١) البداية و النهاية، ج ١، ص ١٦٣ و ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) البقرة/ ٢٤٨.

(٣) في «البغوي» بالمعجمتين و الدال المهملة، و في «القرطبي» بالمعجمة ثم ميم ثم سين مهملة آخره راء، و في بعض التفاسير، و الدال المعجمة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٨

إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل، ثم يعقوب، ثم كان في بني إسرائيل، إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة و متاعا من متاعه، فكان عنده إلى أن مات.

ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت شمويل، و كان عندهم حتى عصوا، فغلبوا عليه؛ غلبهم عليه العمالقة.

و هذا الكلام و إن كان محتملا للصدق و الكذب، لكننا في غنية، و لا يتوقف تفسير الآية عليه.

و قال بعضهم: إن التابوت إنما كان في بني إسرائيل، و لم يكن من عهد آدم عليه السلام، و أنه الصندوق الذي كان يحفظ فيه موسى عليه السلام التوراة. و لعل هذا أقرب إلى الحق و الصواب.

و كذلك أكثروا من النقل في «السكينة»،

فروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام: هي ريح فوجج (١) هفافة، لها رأسان و وجه كوجه الإنسان.

و قال مجاهد: حيوان كالهز، لها جناحان و ذنب، و لعينه شعاع، إذا نظر إلى الجيش انهزم.

و قال محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه: «السكينة» رأس هزة ميته، إذا صرخت في التابوت بصراخ هز أيقنوا بالنصر. و هذا من خرافات بني إسرائيل و أباطيلهم.

و عن وهب بن منبه أيضا قال: «السكينة» روح من الله تتكلم، إذا اختلفوا في شيء تتكلم، فتحبرهم ببيان ما يريدون.

و عن ابن عباس: «السكينة» طست من ذهب، كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء، أعطاه الله موسى عليه السلام. (١) شديد المرور في غير استواء، و لا أدري كيف يكون للريح رأسان، و وجه كوجه الإنسان؟.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٥٩

و الحق أنه ليس في القرآن ما يدل على شيء من ذلك، و لا فيما صح عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و إنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، و حملها عنهما بعض الصحابة و التابعين، و مرجعها إلى وهب بن منبه، و كعب الأخبار، و أمثالهما.

قال أبو شهبه: و الذي ينبغي أن تفسر به «السكينة» أن المراد بها الطمأنينة، و السكون الذي يحلّ بالقلب، عند تقويم التابوت أمام الجيش. فهي من أسباب السكون، و الطمأنينة؛ و بذلك تقوى نفوسهم، و تشتدّ معنوياتهم؛ فيكون ذلك من أسباب النصر. فهو مثل قوله تعالى: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ... (١)، أي طمأنينته، و ما ثبت به قلبه، و مثل قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ (٢)، و قوله: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ... (٣). فالمراد ب «السكينة» طمأنينة القلوب، و ثبات النفوس.

و من الإسرائيليات ما يذكره المفسرون في قصة قتل داود- و هو جندي صغير في جيش طالوت- جالوت الملك الجبار؛ و ذلك عند تفسير قوله تعالى: (١) التوبة/ ٤٠.

(٢) الفتح/ ٤.

(٣) الفتح/ ٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٠

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ «١».

فقد ذكر الثعلبي، و البغوي، و الخازن، و صاحب «الدر المنثور»، و غيرهم، في تفاسيرهم، ما خلاصته: أنه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت- ملك بني إسرائيل- إيشا: أبو داود، في ثلاثة عشر ابنا له، و كان داود أصغرهم، و كان يرمى بالقذافة «٢» فلا يخطئ، و أنه ذكر لأبيه أمر قذافته تلك، و أنه دخل بين الجبال، فوجد أسدا فأخذ بأذنيه، فلم يهجه، و أنه مشى بين الجبال، فسبح، فما بقى جبل حتى سبح معه، فقال له أبوه: أبشر فإن هذا خير أعطاك الله تعالى إياه.

فأرسل جالوت إلى طالوت أن أبرز إليّ، أو أبرز إليّ من يقاتلني، فإن قتلني فلکم ملكي، و إن قتلته فلي ملكکم. فشق ذلك على طالوت، فنادى في عسكره:

من قتل جالوت زوّجته ابنتي، و ناصفته ملكي. فهاب الناس جالوت، فلم يجبه أحد.

فسأل طالوت نبيهم أن يدعوا الله تعالى، فدعا الله في ذلك، فأتى بقرن فيه دهن القدس، و تئور من حديد، فقيل: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه، فيغلى الدهن حتى يدهن منه رأسه، و لا يسيل على وجهه، بل يكون على رأسه كالإكليل «٣»، و يدخل هذا التئور فيملؤه، و لا يتقلقل فيه. (١) البقرة/ ٢٥١.

(٢) شيء يقذف به كالمقلاع فلا يخطئ هدفه.

(٣) ما يلبسه الملوك على رءوسهم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦١

فدعا طالوت بني إسرائيل، فجزبهم، فلم يوافقهم منهم أحد، فأوحى الله إلى نبيهم: أن في ولد «إيشا» من يقتل الله به جالوت. فدعا طالوت إيشا، فقال: أعرض هذا على بنيك، فأخرج له اثني عشر رجلا أمثال السواري «١»، فجعل يعرضهم على القرن، فلا يرى شيئا، فقال لإيشا: هل بقى لك ولد غيرهم؟ فقال: لا، فقال نبي هذا الزمان: يا رب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم، فقال الله: كذب، فقال هذا النبي لإيشا: إن الله كذبك!!

فقال إيشا: صدق الله، يا نبي الله، إن لي ابنا صغيرا، يقال له: داود، استحيت أن يراه الناس لقصر قامته و حقارته، فخلفته في الغنم يرعاها، و هو في شعب كذا و كذا. و كان داود رجلا قصيرا، مسقاما، مصفارا، أزرق، أعر «٢»، فدعاه طالوت، و يقال: بل خرج إليه، فوجد الوادي قد سال بينه و بين الزريبة التي كان يريح إليها، فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل، و لا يخوض بهما الماء، فلما رآه قال: هذا هو لا شك فيه، هذا يرحم البهائم، فهو بالناس أرحم. فدعاه، و وضع القرن على رأسه، ففاض- يعني من غير أن يسيل على وجهه- فقال طالوت: هل لك أن تقتل جالوت، و أزوّجك ابنتي، و أجرى خاتمك في ملكي؟، قال: نعم، قال: و هل آنت من نفسك شيئا تتقوى به على قتله؟ قال: نعم، و ذكر بعض ذلك.

فأخذ طالوت داود، و رده إلى عسكره. و في الطريق مرّ داود بحجر، فناده يا (١) جمع سارية، و هي العمود، أي أنهم كالعمد الطويلة. (٢) أعر: قليل الشعر، أو نحيف الجسم، و هذا من أكاذيب بني إسرائيل، و رميهم الأنبياء بأبشع الصفات. فقاتلهم الله أنى يؤفكون، و



ما كان لأبيه و قد أخبره داود بما ذكره أول القصة، أن ينتقصه، و يصفه بهذه الأوصاف.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٢

داود احملنى، فإني حجر هارون الذى قتل بى ملك كذا، فحمله فى مخلاته، ثم مرّ بآخر، فناده قائلاً: إنه حجر موسى الذى قتل به ملك كذا، فأخذه فى مخلاته، ثم مرّ بحجر ثالث، فناده قائلاً له: احملنى، فإني حجر ك الذى تقتل بى جالوت، فوضعه فى مخلاته. فلما تصافوا للقتال، و برز جالوت، و سأل المبارزة، انتدب له داود، فأعطاه طالوت فرسا، و درعا، و سلاحا، فلبس السلاح، و ركب الفرس، و سار قريبا، ثم لم يلبث أن نزع ذلك، و قال لجالوت: إن لم ينصرنى الله لم يغن عنى هذا السلاح شيئا!!، فدعنى أقاتل جالوت كما أريد، قال: فافعل ما شئت، قال: نعم.

فأخذ داود مخلاته، فقتلدها، و أخذ المقلاع، و مضى نحو جالوت. و كان جالوت من أشد الرجال، و أقواهم، و كان يهزم الجيش وحده، و كان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد «١»، فلما نظر إلى داود ألقى الله فى قلبه الرعب. و بعد مقاوله بينهما، و توعد كل منهما الآخر أخرج داود حجرا من مخلاته، و وضعه فى مقلاعه، و قال: باسم إله إبراهيم، ثم أخرج الآخر و قال: باسم إله إسحاق، و وضعه فى مقلاعه، ثم أخرج الثالث و قال: باسم إله يعقوب، و وضعه فى مقلاعه؛ فصارت كلها حجرا واحدا و دور داود المقلاع، و رمى به، فسخر له الله الريح، حتى أصاب الحجر أنف البيضة، فخلص إلى دماغه، و خرج من قفاه، و قتل من ورائه ثلاثين رجلا، و هزم الله تعالى الجيش، و خرّ جالوت قتيلًا. فأخذه (١) البيضة: ما يلبسه المحارب على رأسه، و هذا من أكاذيبهم، و تخريفاتهم، و لا أدري و لا أى عاقل يدري كيف يمكن لجالوت أن يحارب، و على رأسه هذا القدر من الحديد؟. أى نحو مائة و خمسين كيلوجراما من الحديد، و لعل الرطل فى زمانهم كان أثقل من رطلنا اليوم، فيكون حمل على رأسه ما يزيد على ثلاثة قناطير من الحديد. و مما ذكره فى وصفه أن ظله كان ميلا، و هذا و لا شك خرافة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٣

يجره، حتى ألقاه بين يدي طالوت، ففرح جيش طالوت فرحا شديدا، و انصرفوا إلى مدينتهم سالمين، و الناس يذكرون بالخير داود. فجاء داود طالوت، و قال له: أنجز لى ما وعدتني، فقال: و أين الصّدق؟

فقال له داود: ما شرطت علىّ صداقا غير قتل جالوت، ثم اقترح عليه طالوت أن يقتل مائتى رجل من أعدائهم، و يأتيه بغلفهم «١»، ففعل، فزوجه طالوت ابنته، و أجرى خاتمه فى ملكه. فمال الناس إلى داود، و أحبوه، و أكثروا ذكره؛ فحسده طالوت، و عزم على قتله. فأخبر ابنه طالوت رجل من أتباعه، فحدّرت داود، و أخبرته بما عزم أبوها عليه. و بعد مغامرة من طالوت لقتل داود، و مكيدة و حيلة من داود، أنجى الله داود منه. فلما أصبح الصباح، و تيقن طالوت أن داود لم يقتل، خاف منه، و توجّس خيفة، و احتاط لنفسه، و لكن الله أمكن داود منه ثلاث مرات، و لكن لم يقتله. ثم كان أن فرّ داود من طالوت فى البرية، فرآه طالوت ذات يوم فيها، فأراد قتله، و لكن داود دخل غارا، و أمر الله العنكبوت، فنسجت عليه من خيوطها؛ و بذلك نجا من طالوت، و لجأ إلى الجبل، و تعيّد مع المتعبدين.

فطعن الناس فى طالوت بسبب داود، و اختفائه، فأسرف طالوت فى قتل العلماء و العباد، ثم كان أن وقعت التوبة فى قلبه، و ندم على ما فعل، و حزن حزنا طويلا، و صار يطلب من يفتيه أن له توبة فلم يجد، حتى دلّ على امرأة عندها اسم الله الأعظم، فذهب إليها، و أمن روعها فانطلقت به إلى قبر «شمويل»، فخرج من قبره و أرشده إلى طريق التوبة، و هو أن يقدم ولده و نفسه فى سبيل الله حتى يقتلوا، ففعل. و جاء قاتل طالوت إلى داود ليخبره بقتله، فكانت مكافأته على ذلك (١) الغلظة - بضم الغين -: القطعة التى تقطع من الصبى عند الختان.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٤

أن قتله. و أتى بنو إسرائيل إلى داود، و أعطوه خزائن طالوت، و ملكوه على أنفسهم. و قد استغرق ذلك من تفسير البغوى بضع

صحائف (١).

قال أبو شهبة: وفي هذا الذي ذكره الحق والباطل، والصدق، والكذب، ونحن في غنية عنه بما في أيدينا من القرآن والسنة و ليس في كتاب الله ما يدل على ما ذكره، ولسنا في حاجة إلى شيء من هذا في فهم القرآن وتدبره، فلا تلق إليه بالا، و ارم به دبر أذنيك، فإن فيه تجنيا على من اصطفاه الله ملكا عليهم، و كذبا على نبي الله داود.

و أما الإمام العلامة ابن كثير، فقد أعرض عن ذكره، ونبه إلى أنه من الإسرائيليات، فقال في قوله تعالى: وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ: ذكروا في الإسرائيليات (٢) أنه قتله بمقلاع كان في يده رماه به. فأصابه، فقتله، و كان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته، و يشاطره نعمته، و يشركه في أمره، فوفى له، ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله من النبوة العظيمة؛ ولهذا قال تعالى: وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ الَّذِي كَانَ يَبِيدُ طَالُوتَ، وَالْحِكْمَةَ أَى النبوة بعد شمويل، وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي اخْتَصَهُ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَام. (١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٠٣ و تفسير البغوي، ج ١، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) و يؤكد أنه من الإسرائيليات أن هذا جله مأخوذ من التوراة: انظر التوراة- سفر صمويل الأول- الإصحاح ١٦، ١٧، ١٨، ١٩ يحصل لك اليقين بهذا.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٥

#### ٦- الإسرائيليات في قصص الأنبياء و الأمم السابقة

و قد جاء في كتب التفسير- على اختلاف مناهجها- إسرائيلييات كواذب، و مرويات بواطل، لا يحصيها العد، و ذلك فيما يتعلق بقصص الأنبياء و المرسلين و الأمم و الأقوام السابقين. و قد رويت عن بعض الصحابة، و التابعين و تابعيهم، و ورد بعضها مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم كذبا، و زورا.

و هذه المرويات و الحكايات لا- تمت إلى الإسلام، و إنما هي من خرافات بنى إسرائيل و أكاذيبهم، و افتراءاتهم على الله، و على رسله، رواها عن أهل الكتاب الذين أسلموا، أو أخذها من كتبهم بعض الصحابة و التابعين، أو دسّت عليهم، بل فيها ما حرفوا لأجله التوراة، و ذلك مثل ما فعلوا في قصة إسحاق بن إبراهيم، و أنه هو الذبيح، كما سيأتى.

و لا يمكن استقصاء كل ما ورد من الإسرائيليات، و إلا لاقتضى هذا مجلدات كبارا، و لكنى سأكتفى بما هو ظاهر البطلان، و لا يتفق و سنن الله في الأكوان، و ما يخل بالعقيدة الصحيحة في أنبياء الله و رسله التي يدل عليها العقل السليم، و النقل الصحيح.

#### ٧- ما ورد في قصة آدم عليه السلام

##### إشارة

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ (١) فمن تلك الإسرائيليات ما رواه ابن جرير (٢) في تفسيره بسنده عن وهب بن (١) البقرة/٣٦.

(٢) هذا ابن جرير، و قد شك في اللفظ الذي سمعه ممن أخذ عنه: أ هو ذريته أم زوجته؟ فيذكر

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٦

متبه قال: لما أسكن الله آدم و ذريته أو زوجته- الشك من أبي جعفر، و هو في أصل كتابه «و ذريته»- و نهاه عن الشجرة، و كانت شجرة غصونها متشعبة بعضها في بعض، و كان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم (١)، و هى الثمرة التى نهى الله آدم عنها و زوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل فى جوف الحية، و كانت للحية أربعة قوائم، كأنها بخيتية (٢) من أحسن دابة خلقها الله. فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التى نهى الله عنها آدم و زوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظرى إلى هذه

الشجرة، ما أطيب ريحها، و أطيب طعمها، و أحسن لونها! فأخذت حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم، فقالت له مثل ذلك، حتى أكل منها؛ فبدت لهما سوءاتهما. فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هنا يا رب. قال: أ لا تخرج؟ قال: أستحيي منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها، لعنة يتحول ثمرها شوكا. ثم قال: يا حواء، أنت التي غررت عبدي، فإنك لا تحمليين حملا إلا حملتيه كرها، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا. و قال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، و لا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم، و هم أعداؤك. قال عمرو: قيل لوهب: و ما كانت الملائكة تأكل!! قال: يفعل الله ما يشاء «٣». قال ابن جرير: و روى ابن عباس نحو هذه القصة. ذلك رعاية للأمانة في الرواية، و الظاهر لفظ «زوجته» لأن آدم عليه السلام لم تكن له ذرية في الجنة.

(١) و كيف و الملائكة لا تأكل و لا تشرب؟.

(٢) و هي الأثني من الجمال البخت. و الذكر البختي، و هي جمال طوال الأعناق.

(٣) هذا تهرب من الجواب، و عجز عن تصحيح هذا الكذب الظاهر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٧

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس، و عن ابن مسعود، و عن ناس من الصحابة نحو هذا الكلام «١»، و في السند أسباط عن السدي، و عليهما تدور الروايات.

و كذلك ذكر السيوطي في «الدر المنثور» ما رواه ابن جرير و غيره في هذا، مما روى عن ابن عباس، و ابن مسعود، و لكنه لم يذكر الرواية عن و هب بن متبه «٢»، و أغلب كتب التفسير بالرأى ذكرت هذا أيضا. و كل هذا من قصص بني إسرائيل الذي تزيدوا فيه، و خلطوا حقا بباطل، ثم حمله عنهم الضعفاء من الصحابة و التابعين، و فسروا به القرآن الكريم.

و لقد أحسن ابن جرير، فقد أشار بذكره الرواية عن و هب إلى أن ما يرويه عن ابن عباس، و ابن مسعود، إنما مرجعه إلى و هب و غيره من مسلمة أهل الكتاب، و يا ليته لم ينقل شيئا من هذا، و يا ليت من جاء بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا. و في رواية ابن جرير الأولى ما يدل على أن الذين رووا عن و هب و غيره كانوا يشكون فيما يروونه لهم، فقد جاء في آخرها: (قال عمرو «٣»: قيل لوهب: و ما كانت الملائكة تأكل؟! قال: يفعل الله ما يشاء) فهم قد استشكلوا عليه؛ كيف أن الملائكة تأكل؟! و هو لم يأت بجواب يعتد به.

و وسوسة إبليس لآدم عليه السلام لا تتوقف على دخوله في بطن الحية؛ إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب و لا مشافهة، و قد يوسوس إليه و هو على بعد أميال منه.

و الحية خلقها الله يوم خلقها على هذا، و لم تكن لها قوائم كالبختي، و لا شيء من (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ١٨٦ و ١٨٧.

(٢) الدر المنثور، ج ١، ص ٥٣.

(٣) هو عمرو بن عبد الرحمن بن مهرب، الراوي عن و هب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٦٨

هذا «١».

### ما نسب إلى ابني آدم لما قتل أحدهما الآخر

و من ذلك: ما ذكره بعض المفسرين كابن جرير الطبري في تفسيره، و السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» في قصة ابني آدم: قابيل، و هابيل؛ و قتل أولهما الآخر، ما روى عن كعب: أن الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم، و عن و هب: أن الأرض نشفت دم ابن

آدم المقتول، فلعن ابن آدم الأرض؛ فمن أجل ذلك لا تنشف الأرض بما بعد دم هايل إلى يوم القيامة. و أن قابيل حمل هايل سنة في جراب على عنقه، حتى أنتن و تغير، فبعث الله الغرابين، قتل أحدهما الآخر، فحفر له، و دفنه برجليه و منقاره، فعلم كيف يصنع بأخيه. مع أن القرآن عبر بالفاء التي تدل على الترتيب و التعقيب من غير تراخ. قال تعالى:

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْأَةَ أَخِيهِ «٢».

و روى أيضا: أنه لما قتله اسودّ جسده، و كان أبيض، فسأله آدم عن أخيه، فقال: ما كنت عليه و كيلا. قال: بل قتلته فلذلك اسودّ جسدك، إلى نحو ذلك.

فكل هذا و أمثاله - عدا ما جاء في القرآن - من إسرائييات بنى إسرائيل، و قد جاءت بعض الروايات صريحة عن كعب، و وهب. و ما جاء عن ابن عباس، و مجاهد و غيرهما، فمرجهه إلى أهل الكتاب الذين أسلموا «٣». (١) انظر التوراة - سفر التكوين - الإصحاح الثالث لتزداد يقينا أنه من الإسرائييات، و ليس منه شيء عن المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم.

(٢) المائدة / ٣١.

(٣) تفسير الطبرى، ج ٦، ص ١١٨، عند قوله تعالى في سورة المائدة: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ الَّذِي أُوتِيَ الْحِكْمَةَ، ج ٢، ص: ١٦٩

### ما نسب إلى آدم عليه السلام من قول الشعر

و من الإسرائييات ما رواه ابن جرير في تفسيره، و ما ذكره السيوطى في «الدر»: من أن آدم لما قتل أحد ابنيه الآخر، مكث مائة عام لا يضحك حزنا عليه، فأتى على رأس المائة، فقيل له: حياك الله، و بياك، و بشر بغلام، فعند ذلك ضحك.

و كذلك ما

ذكره من أن آدم عليه السلام رثى ابنه بشعر، روى ابن جرير عن على بن أبى طالب عليه السلام قال: لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم، فقال:

تغيرت البلاد، و من عليها فوجه الأرض مغبرّ قبيح

تغير كل ذى لون و طعم و قل بشاشة الوجه المليح

قال السيوطى: و أخرج الخطيب و ابن عساكر عن ابن عباس قال: لما قتل ابن آدم أخاه قال آدم عليه السلام: و ذكر البيتين السابقين باختلاف قليل.

فأجابه إبليس عليه اللعنة:

تنح عن البلاد و ساكنيها فى فى الخلد ضاق بك الفسيح

و كنت بها و زوجك فى رحاء و قلبك من أذى الدنيا مريح

فما انفكت مكأيدتى و مكرى إلى أن فاتك الثمن الريح «١»

و قد طعن فى نسبة هذه الأشعار إلى نبي الله آدم الإمام الذهبى فى كتابه «ميزان الاعتدال»، و قال: إن الآفة فيه من المخرمى أو شيخه «٢».

و ما الشعر الذى ذكره إلا منحول مختلق، و الأنبياء لا يقولون الشعر، و صدق آدم... الآيات - الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٧٥.

(١) تفسير الطبرى، ج ٦، ص ١٢٢ و الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٧٦ و ٢٧٧.

(٢) الإسرائييات و الموضوعات، ص ١٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٠

الزمخشري حيث قال: «روى أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك

، و أنه رثاه بشعر، و هو كذب بحت. و ما الشعر إلّا منحول ملحون. و قد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر» (١).

و قد قال الله تبارك و تعالى: وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ (٢).

و قال الآلوسى فى تفسيره: و روى عن ميمون بن مهران عن الحبر ابن عباس أنه قال: «من قال: إِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ شِعْرًا فَقَدْ كَذَبَ، إِنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ فِى النَّهْيِ عَنِ الشُّعْرِ سَوَاءً. وَ لَكِنْ لَمَّا قَتَلَ قَائِلُ هَابِيلَ رِثَاءَ آدَمَ بِالسَّرْيَانِيَّةِ، فَلَمْ يَزَلْ يَنْقُلُ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى يَعْزَبِ بْنِ قِحْطَانَ، وَ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَ السَّرْيَانِيَّةِ، فَنَظَرَ فِيهِ، فَتَقَدَّمَ وَ آخَرَ، وَ جَعَلَهُ شِعْرًا عَرَبِيًّا. وَ ذَكَرَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ فِى ذَلِكَ الشُّعْرِ لِحْنًا، أَوْ إِقْوَاءً، أَوْ ارْتِكَابَ ضَرْوَرَةٍ. وَ الْأُولَى عَدَمُ نَسْبَتِهِ إِلَى يَعْزَبِ؛ لَمَّا فِيهِ مِنَ الرَّكَائِةِ الظَّاهِرَةُ (٣).

قال أبو شهبه: و الحق أنه شعر فى غاية الركائفة، و الأشبه أن يكون هذا الشعر من اختلاق إسرائيلى، ليس له من العربية إلا حظ قليل، أو قصاص يريد أن يستولى على قلوب الناس، بمثل هذا الهراء. (١) تفسير الكشاف، ج ١، ص ٦٢٦.

(٢) يس / ٦٩.

(٣) روح المعانى، ج ٦، ص ١٠٣. و راجع: القرطبي، ج ٦، ص ١٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧١

## ٨- الإسرائيليات فى عظم خلق الجبارين و خرافة عوج بن عوق

### إشارة

و من الإسرائيليات التى اشتملت عليها كتب التفسير، ما يذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا (١).

فقد ذكر الجلال السيوطى فى «الدرر» كثيرا من الروايات فى صفة هؤلاء القوم، و عظم أجسادهم، مما لا يتفق و سنه الله فى خلقه، و يخالف ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة، و ذلك مثل ما أخرجه ابن عبد الحكم عن أبى ضمرة قال: استظل سبعون رجلا من قوم موسى فى خفّ رجل من العماليق!! و مثل ما أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن يزيد بن أسلم قال: بلغنى أنه رؤيت ضبع و أولادها رابضة فى فجاج عين رجل من العماليق!! و مثل ما رواه ابن جرير، و ابن أبى حاتم عن ابن عباس، قال: أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين، فسار بمن معه، حتى نزل قريبا من المدينة، و هى «أريحاء» فبعث إليهم اثنى عشر نقيبا، من كل سبط منهم عين، ليأتوه بخبر القوم، فدخلوا المدينة، فرأوا أمرا عظيما من هيبتهم، و جسمهم و عظمهم، فدخلوا حائطا- أى بستانا- لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليبنى الثمار، فنظر إلى آثارهم فتبعهم، فكلما أصاب واحدا منهم أخذه، فجعله فى كفه مع الفاكهة و ذهب إلى ملكهم، فنثرهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم شأننا و أمرنا، اذهبوا فأخبروا صاحبكم، قال: فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوه من أمرهم، فقال: اكنموا عنا، فجعل الرجل يخبر أخاه و صديقه، و يقول: اكنم عنى، فأشيع فى عسكرهم، و لم يكتم منهم إلّا رجلا: يوشع بن نون، و كالب بن يوحنا، و هما اللذان أنزل الله فيهما: (١) المائدة/ ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٢

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكَبُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَانكَبُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَ لَوْ أَنَّ كُنْتُمْ فَاعِينَ

و يروى ابن جرير بسنده، عن مجاهد، نحو ما قدّمنا، ثم يذكر أن عنقود عنبهم لا يحمله إلّا خمسة أنفس، بينهم فى خشبة، و يدخل فى شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة (٢)، إلى غير ذلك من الإسرائيليات الباطلة.

## خرافة عوج بن عوق «٣»

و من الإسرائيليات الظاهرة البطلان، التي ولع بذكرها بعض المفسرين و الأخباريين، عند ذكر الجبارين: قصة عوج بن عوق، و أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع، و أنه كان يمسك الحوت، فيشوبه في عين الشمس، و أن طوفان نوح لم يصل إلى ركبته، و أنه امتنع عن ركوب السفينة مع نوح، و أن موسى كان طوله عشرة أذرع و عصاه عشرة أذرع، و وثب في الهواء عشرة أذرع، فأصاب كعب عوج فقتله، فكان جسرا لأهل النيل سنه، إلى نحو ذلك من الخرافات، و الأباطيل التي تصادم العقل و النقل، و تخالف سنن الله في الخليقة. و لا- أدرى كيف يتفق هذا الباطل، هو، و قول الله تبارك و تعالى: وَ نَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كَانَ فِي مَعْرِزٍ يَا بُنَيَّ اذْكَبْ مَعَنَا وَ لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَ حَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ (١) المائدة/ ٢٣.

(٢) تفسير الطبري، ج ٦، ص ١١٢، و الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٣) منهم من يقول: ابن عوق، و منهم من يقول: ابن عنق كما ذكر ابن كثير، و في القاموس:

«و عوج بن عوق بضمهما- أى العينين- رجل ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى، و ذكر من عظم خلقه شناعة». (٤) هود/ ٤٢-٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٣

اللهم إلا إذا كان عوج أطول من جبال الأرض!! فمن تلك الروايات الباطلة المخترعة ما رواه ابن جرير بسنده عن أسباط، عن السدي، في قصة ذكرها من أمر موسى و بنى إسرائيل، و بعث موسى النقباء الاثني عشر، و فيها: فلقبهم رجل من الجبارين يقال له: عوج، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حجزته «١»، و على رأسه حمله حطب، و انطلق بهم إلى امرأته، فقال:

انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا، فطرحهم بين يديها، فقال: أ لا أظنهم برجلي؟، فقالت امرأته: بل خل عنهم، حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك. و كذلك ذكر مثل هذا و أشنع منه غير ابن جرير و السيوطي بعض المفسرين و القصاصين، و هي كما قال ابن قتيبة: أحاديث خرافة، كانت مشهورة في الجاهلية، ألصقت بالحديث بقصد الإفساد «٢».

و إليك ما ذكره الإمام الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره، قال: و قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارا من وضع بنى إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، و أن منهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام، و أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع و ثلاثمائة و ثلاثة و ثلاثون ذراعا، و ثلث ذراع، تحرير الحساب، و هذا شيء يستحي من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إن الله خلق آدم، و طوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»،

ثم ذكروا: أن هذا الرجل كان كافرا، و أنه كان ولد زنية، و أنه امتنع من ركوب سفينة نوح، و أن الطوفان لم يصل إلى ركبته. و هذا كذب و افتراء، فإن الله تعالى ذكر: أن نوحا دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: (١) الحجة: موضع التكة من السروال.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ص ٢٨٤ و روح المعاني، ج ٦، ص ٩٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٤

رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا «١». و قال تعالى: فَانجِنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ «٢». و قال تعالى: لا- عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ «٣»، و إذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق، و هو كافر، و ولد زنية؟! هذا لا يسوغ في عقل، و لا شرع، ثم في وجود رجل يقال له:

عوج بن عنق، نظر، و الله أعلم «٤».

و قال ابن قيم الجوزية، بعد أن ذكر حديث عوج: «و ليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث، و كذب على الله، و إنما العجب

ممن يدخل هذا في كتب العلم من التفسير وغيره، فكل ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء، و السخرية بالرسول و أتباعهم».

قال أبو شهبه: و سواء أ كان عوج بن عوق شخصيئة وجدت حقيقة، أو شخصيئة خياليئة، فالذي ننكره هو: ما أضفوه عليه من صفات و ما حاكوه حوله من أثواب الزور و الكذب و التجزؤ، على أن يفسر كتاب الله بهذا الهراء. و ليس في نص القرآن ما يشير إلى ما حكوه و ذكروه، و لو من بعد، أو وجه الاحتمال، ثم أين زمن نوح من زمن موسى عليه السلام و ما يدل عليه آية: قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴿٥﴾ كان في زمن موسى قطعاً، و لا- مريئة في هذا، فهل طالت الحياة بعوج حتى زمن موسى؟! بل قالوا: إن موسى هو الذي قتله، ألا لعن الله اليهود، فكم من علم أفسدوا و كم من خرافات و أباطيل (١) نوح / ٢٦.

(٢) الشعراء / ١١٩ - ١٢٠.

(٣) هود / ٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٣٨.

(٥) المائدة / ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٥

وضعوا «١».

## ٩- الإسرائيليات في قصة التيه

فمن هذه الأخبار العجيبة التي رويت في قصيئة التيه، ما رواه ابن جرير بسنده عن الربيع، قال: لما قال لهم القوم ما قالوا، و دعا موسى عليهم، أوحى الله إلى موسى: إنها محرمة عليهم أربعين سنة، يتيهون في الأرض، فلا تأس على القوم الفاسقين، و هم يومئذ ستمائة ألف مقاتل؛ فجعلهم فاسقين بما عصوا، فلبثوا أربعين سنة في فراسخ سنة، أو دون ذلك، يسيرون كل يوم جادين، لكي يخرجوا منها، حتى يمسا و ينزلوا، فإذا هم في الدار التي منها ارتحلوا، و أنهم اشتكوا إلى موسى ما فعل بهم، فأنزل عليهم المنّ و السلوى «٢»، و أعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم، ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته. و سأل موسى ربه أن يسقيهم، فأتى «بحجر الطور»، و هو حجر أبيض، إذا ما أنزل القوم ضربه بعصاه، فيخرج منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط منهم عين، قد علم كل أناس مشربهم. و كذلك روى: أن ثيابهم ما كانت تبلى، و لا تتسخ. و كذلك نقل بعض المفسرين كالزمخشري وغيره: بأنهم كانوا ستمائة ألف، و سعة المعسكر اثنا عشر ميلا.

و كذلك ذكروا أن الحجر كان من الجنة، و لم يكن حجرا أرضيا. و منهم من قال: كان على هيئة رأس إنسان. و منهم من قال: كان على هيئة رأس شاة. و قيل: (١) الإسرائيليات و الموضوعات، ص ١٨٧.

(٢) المن: شيء كالعسل كان ينزل على الشجر من السماء فيأخذونه و يأكلونه، و السلوى: طير كالسماني.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٦

كان طوله عشرة أذرع، و له شعبتان تتقدان في الظلام، إلى غير ذلك من تزديدات بني إسرائيل. و ليس في القرآن ما يدل على هذا الذي ذكروه في وصف الحجر، مع أنه لو أريد بالحجر الجنس، و أن يضرب أي حجر ما؛ لكان أدل على القدرة، و أظهر في الإعجاز. و قد لاحظ ابن خلدون- من قبل- المغالط التي تدخل في مثل هذه المرويّات، فقال في مقدّمته المشهورة:

اعلم أن فنّ التاريخ فنّ عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولهم، و سياستهم، حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين و الدنيا، فهو محتاج إلى ما أخذ متعدّدة، و معارف متنوعه، و حسن نظر و تثبت، يفضيان بصاحبهما إلى الحق، و ينكبّان به عن المزلات و المغالط؛ لأن الأخبار

إذا اعتمد فيها على مجرّد النقل، و لم تحكم أصول العادة، و قواعد السياسة، و طبيعة العمران، و الأحوال في الاجتماع الإنساني، و لو قيس الغائب منها بالشاهد، و الحاضر بالذاهب، فربّما لم يؤمن فيها من العثور، و مزلة القدم، و الحيد عن جادة الصدق، و كثيرا ما وقع للمؤرخين، و المفسرين و أئمة النقل من المغالط في الحكايات، و الوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غثا أو سمينا، و لم يعرضوها على أصولها، و لا قاسوها بأشباهاها، و لا سبروها بمعيار الحكمة، و الوقوف على طبائع الكائنات و تحكيم النظر و البصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، و تاهوا في بيداء الوهم و الغلط، و لا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال، و العساكر إذا عرضت في الحكايات؛ إذ هي مظنة الكذب و مطية الهذر، و لا بدّ من ردها إلى الأصول، و عرضها على القواعد. و هذا: كما نقل المسعودي و كثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل، و أن موسى أحصاهم في التيه، بعد

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٧

أن أجاز من كان يطبق حمل السلاح خاصية من ابن عشرين، فما فوقها، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون، و يذهل في ذلك عن تقدير مصر و الشام، و اتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش، لكل مملكة حصه من الحامية تتسع لها، و تقوم بوظائفها، و تضيق عما فوقها، تشهد بذلك العوائد المعروفة، و الأحوال المألوفة.

و لقد كان ملك الفرس و دولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، يشهد لذلك: ما كان من غلب بخت نصر لهم، و التهامه بلادهم، و استيلائه على أمرهم، و تخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم و سلطانهم، و هو من بعض عيال مملكة فارس. و كانت ممالكهم بالعراقين، و خراسان، و ما وراء النهر، و الأبواب، أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير، و مع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد و لا قريبا منه. و أعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة و عشرين ألفا، كلهم متبوع، على ما نقله «سيف». قال: و كانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف. و عن عائشة، و الزهري: أن جموع رستم التي حفّ بهم سعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفا كلهم متبوع.

و أيضا: فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد، لآتسع نطاق ملكهم، و انفسح مدى دولتهم، فإن العمالات و الممالك في الدول، على نسبة الحامية، و القبيل القائمين بها في قلتها و كثرتها حسبما نبين ذلك في فصل الممالك من الكتاب الأول «١»، و القوم لم تتسع ممالكهم إلى غير الأردن، و فلسطين من الشام، و بلاد يثرب، و خيبر، من الحجاز، على ما هو المعروف.

و أيضا: فالذي بين موسى و إسرائيل، إن هو إلّا أربعة آباء، على ما ذكره المحققون، فإن موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث - بفتح الهاء و كسرهما - بن (١) يريد بالكتاب الأول من «مقدمته المشهورة» و قد قسمها إلى فصول.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٨

لاوى - بكسر الواو و فتحها - بن يعقوب و هو: إسرائيل، هكذا نسبة في التوراة.

و المدة بينهما على ما نقله المسعودي، قال: دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط، و أولادهم، حين أتوا إلى يوسف سبعين نفسا، و كان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى التيه، مائتين و عشرين سنة، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة. و يبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد!! و إن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان و من بعده، فبعيد أيضا؛ إذ ليس بين سليمان و إسرائيل إلّا أحد عشر آبا، و لا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى هذا العدد الذي زعموه، اللهم إلّا المئين و الآلاف، فربما يكون. و أما أن يتجاوز هذا إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد، و اعتبر ذلك في الحاضر المشاهد، و القريب المعروف تجد زعمهم باطلا، و نقلهم كاذبا.

قال: و الذي ثبت في «الإسرائيليات» أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفا خاصة، و أن مقرباته كانت ألفا، و أربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه. هذا هو الصحيح من أخبارهم، و لا يلتفت إلى خرافات العامة منهم، و في أيام سليمان عليه السلام، و ملكه كان عنفوان دولتهم، و اتساع ملكهم «١».



و هذا الفصل من النفاسة بمكان؛ فلذلك حرصنا على ذكره؛ لأنه يفيدنا في رد الكثير من الإسرائيليات التي وقعت فيها المغالط، و الأخبار الباطلة، و الخرافات التي كانت سائدة في العصور الأولى. (١) مقدمه ابن خلدون، ص ٩-١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٧٩

#### ١٠- الإسرائيليات في: «المائدة التي طلبها الحواريون»

و من الإسرائيليات التي ذكرها المفسرون عند تفسير قوله تعالى: إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَ تَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَ نَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنْكَ، وَ أَرْزُقْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ «١».

و قد اختلف العلماء في المائدة، أنزلت أم لا؟ و جمهور العلماء - سلفا و خلفا - على نزولها. و هذا هو ظاهر القرآن، فقد وعد الله، و وعده محقق لا محالة.

و ذهب الحسن و مجاهد إلى أنها لم تنزل؛ و ذلك لأن الله سبحانه لما توعدهم على كفرهم، بعد نزولها بالعذاب البالغ غاية الحد، خافوا أن يكفر بعضهم، فاستعفوا، و قالوا: لا نريدها فلم تنزل، و لا ندرى ما الحامل لهم على هذا!.

و قد أحيطت المائدة بأخبار كثيرة، أغلب الظن أنها من الإسرائيليات، رويت عن وهب بن منبه، و كعب، و سلمان، و ابن عباس، و مقاتل، و الكلبي، و عطاء و غيرهم، بل رووا في ذلك حديثا

عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «إنها نزلت خبزا و لحما، و أمروا أن لا يخونوا، و لا يدخروا لغد»

و .

في رواية:

بزيادة «و لا يخبثوا، فخانوا و ادخروا، و رفعوا لغد، فمسخوا قرده و خنازير».

و رفع مثل هذا إلى النبي غلط، و وهم من أحد الرواة على ما نرجح. فقد روى هذا ابن جرير في تفسيره مرفوعا، و موقوفا، و الموقوف أصح، و قد نص على أن (١) المائدة/ ١١٢-١١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٠

المرفوع لا أصل له الإمام أبو عيسى الترمذي، فقال بعد أن روى الروايات المرفوعة: «هذا حديث قد رواه أبو عاصم و غير واحد، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن خلاص عن عمار بن ياسر موقوفا، و لا نعرفه مرفوعا إلّا من حديث الحسن بن قزعة»، و بعد أن ذكر رواية موقوفة عن أبي هريرة، قال: «و هذا أصح من حديث الحسن بن قزعة، و لا نعرف للحديث المرفوع أصلا» (١).

و قد اختلفت المرويات في هذا، فروى العوفي عن ابن عباس: أنها خوان عليه خبز و سمك، يأكلون منه أينما نزلوا، إذا شاءوا. و قال عكرمة عن ابن عباس: كانت المائدة سمكة، و أريغفة (٢). و قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس:

أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز و اللحم.

و قال كعب الأحبار: نزلت المائدة تطير بها الملائكة بين السماء و الأرض، عليها كل الطعام إلّا اللحم.

و قال وهب بن منبه: أنزلها من السماء على بني إسرائيل، فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة، فأكلوا ما شاءوا من ضروب شتى، فكان يقعد عليها أربعة آلاف، و إذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم، فلبثوا على ذلك ما شاء الله عز و جل.

و قال وهب أيضا: نزل عليهم أقرصة من شعير، و أحوات (٣)، و حشا الله بين أضعافهن البركة، فكان قوم يأكلون، ثم يخرجون، ثم

يجيء آخرون فيأكلون، ثم يخرجون، حتى أكل جميعهم، و أفضلوا. وهكذا لم يتفق الرواة على شيء، مما (١) سنن الترمذى، ج ٤، ص ٣٢٥.

(٢) التصغير للتقليل هنا.

(٣) أحوات: جمع حوت، فى القاموس: الحوت: السمك، جمعه: أحوات، و حوتة، و حيتان.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨١

يدل على أنها إسرائيليات مبتدعة، و ليس مرجعها إلى المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم و الحق أبلج، و الباطل لجلج، لا يتفق عليه غالباً.

و سنكتفى بذكر

الرواية الطويلة التى ذكرها ابن حاتم، فى تفسيره بسنده، عن وهب بن متبه، عن أبى عثمان المهدى عن سلمان الفارسى - رضوان الله عليه - و خلاصتها: «أنّ الحواريين لما سألوا عيسى بن مريم عليه السّلام المائدة كره ذلك، خشية أن تنزل عليهم، فلا يؤمنوا بها؛ فيكون فيها هلا- كههم. فلمّا أبوابها إلّا أن يدعو لهم الله لكى تنزل دعا الله، فاستجاب له، فأنزل الله تعالى سفرة حمراء بين غماتين: غمامة فوقها، و غمامة تحتها، و هم ينظرون إليها فى الهواء منفضة من السماء، تهوى إليهم، و عيسى عليه السّلام يبكى خوفاً من الشرط الذى اتخذ عليهم فيها، فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يديه، و الحواريون حوله يجدون رائحة طيبة، لم يجدوا رائحة مثلها قط، و خرّ عيسى عليه السّلام و الحواريون سجداً، شكراً لله تعالى، و أقبل اليهود ينظرون إليهم، فرأوا ما يغمهم ثم انصرفوا، فأقبل عيسى عليه السّلام و من معه ينظرونها، فإذا هى مغطاة بمنديل، فقال عليه السّلام: من أجرؤنا على كشفه، و أوثقنا بنفسه، و أحسننا بلاء عند ربه، حتى نراها، و نحمد ربنا سبحانه و تعالى، و نأكل من رزقه الذى رزقنا؟ فقالوا: يا روح الله و كلمته، أنت أولى بذلك، فقام و استأنف و ضوءاً جديداً، ثم دخل مصلاً، فصلّى ركعات، ثم بكى طويلاً، و دعا الله تعالى أن يأذن له فى الكشف عنها، و يجعل له و لقومه فيها بركة و رزقاً، ثم انصرف و جلس حول السفرة و تناول المنديل، و قال: بسم الله خير الرازقين، و كشف عنها، فإذا عليها سمكة ضخمة مشوية، ليس عليها بواسير «١»، و ليس فى (١) أى قشر، فى رواية البغوى: ليس عليها فلوها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٢

جوفها شوك، يسيل السمن «١» منها، قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكزّاث، و عند رأسها خل، و عند ذنبها ملح، و حول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، و على الآخر تمرات، و على الآخر خمس رمانات، و فى رواية: على واحد منها زيتون، و على الثانى عسل، و على الثالث سمن، و على الرابع جبن، و على الخامس قديد «٢». فقال شمعون - رأس الحواريين - لعيسى: يا روح الله و كلمته، أ من طعام الدنيا هذا، أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات، و تنتهوا عن تنقير المسائل؟! ما أخوفنى عليكم أن تعاقبوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال له شمعون: لا و إله إسرائيل ما أردت بهذا سؤالاً «٣». يا ابن الصديقه، فقال عيسى عليه السّلام: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا، و لا من طعام الجنة، إنما هو شيء ابتدعه الله فى الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة.

فقالوا: يا روح الله و كلمته، إنا نحب أن يرينا الله آية فى هذه الآية، فقال عليه السّلام:

سبحان الله تعالى أما اكتفيتم؟! ثم قال: يا سمكة عودى ياذن الله تعالى حيّة كما كنت، فأحياها الله، و عادت حيّة طريّة. يا سمكة عودى ياذن الله تعالى كما كنت مشويّة، فعادت، ثم دعاهم إلى الأكل فامتنعوا، حتى يكون هو البادئ، فأبى، ثم دعا لها الفقراء و الزّمنى، و قال: كلوا من رزق ربكم، و دعوة نبيكم، و احمداوا الله تعالى الذى أنزلها لكم؛ فيكون مهتوها لكم، و عقوبتها على غيركم، و افتتحوا أكلكم: باسم الله تعالى، و اختتموه: بحمد الله. ففعلوا، فأكل منها ألف و ثلاثمائة (١) أى الدهن لسمنها.

(٢) قديد: أى لحم مجفّف.

(٣) لعل مراده سؤال تعنت؛ وأنهم لا يريدون بالسؤال أن يطعمهم الله من رزقه و خيره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٣

إنسان: بين رجل و امرأة، يصدرون عنها كل واحد منها شبعان يتجشأ. و نظر عيسى و الحواريون، فإذا ما عليها كهيته إذ نزلت من السماء، لم ينقص منها شيء، ثم إنها رفعت إلى السماء و هم ينظرون، فاستغنى كل فقير أكل منها، و برئ كل من أكل منها، و ندم الحواريون و أصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة سألت منها أشفارهم، و بقيت حسرتها في قلوبهم، إلى يوم الممات (١).  
و كانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبل إليها بنو إسرائيل يسعون من كل مكان، يزاحم بعضهم بعضا. فلما رأى ذلك، جعلها نوبا تنزل يوما و لا تنزل يوما، و مكثوا على ذلك أربعين يوما، تنزل عليهم غبا، عند ارتفاع النهار، فلا تزال موضوعة يؤكل منها، حتى إذا قالوا «٢» ارتفعت عنهم إلى جو السماء، و هم ينظرون إلى ظلها في الأرض، حتى تتوارى عنهم (٣).

فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: أن اجعل رزقي لليتامي، و المساكين، و الزمنى دون الأغنياء من الناس. فلما فعل ذلك ارتاب بها الأغنياء، و غمصوا ذلك، حتى شكوا فيها في أنفسهم، و شككوا فيها الناس، و أذاعوا في أمرها القبيح، و المنكر، و أدرك الشيطان منهم حاجته، و قذف و ساوسه في قلوب المرتابين. فلما علم عيسى ذلك منهم قال: هلكتم و إله المسيح، سألتكم نبيكم أن يطلب المائدة لكم إلى ربكم، فلما فعل، و أنزلها عليكم رحمة و رزقا، و أراكم فيها الآيات و العبر، كذبتم بها، و شككتم فيها؛ فأبشروا بالعذاب، فإنه نازل بكم إلاً (١) هذا مما يضعف القصة و يدل على الاختلاق، و إلاً فكيف يطلبونها، ثم يمتنعون عن الأكل؛ لأن عيسى لم يبدأ به؟

(٢) من القبلولة: الراحة وسط النهار.

(٣) القرآن الكريم يدل دلالة واضحة على أن المائدة لم تنزل إلا مرة واحدة، و هذا يدل على تكرار نزولها، و هذا أيضا يدل على اختلاق تفاصيل القصة، و أنها من تزيدات بنى إسرائيل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٤

أن يرحمكم الله تعالى. و أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني آخذ المكذبين بشرطى، فإنني معدب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لا أعدبه أحدا من العالمين. فلما أمسى المرتابون بها، و أخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين، فلما كان في آخر الليل مسحهم الله خنازير، فأصبحوا يتبعون الأقدار في الكناسات.

قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره: «هذا أثر غريب (١) جدا قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة، و قد جمعته أنا ليكون سياقة أتم، و أكمل، و الله سبحانه و تعالى أعلم».

و من هذه الروايات الغريبة دخل البلاء على الإسلام و المسلمين؛ لأن غالبها لا يصح، و لذا قال الإمام أحمد بن حنبل: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير، و عامتها عن الضعفاء».

و قال الإمام مالك: «شر العلم الغريب، و خير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس».

و قال ابن المبارك: «العلم: الذي يجيئك من هاهنا و هاهنا» يعنى المشهور الذى رواه الكثيرون. رواها البيهقى فى المدخل، و روى عن الزهرى أنه قال:

«ليس من العلم ما لا يعرف، إنما العلم ما عرف و تواطأت عليه الألسن» (٢).

و العمدة أن أصل القصة ثابت بالقرآن الذى لا شك فيه، و إنما موضع الشك فى كل هذه التزيدات التى هى من الإسرائيليات. (١) الغريب: ما تفرّد به رواه فى كل السند أو بعضه، و منه الصحيح، و منه غير الصحيح و هو الغالب و الكثير.

(٢) تدريب الراوى، ص ١٩٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٥

وقد ذكر المفسرون جميعا كل ما يدور حول قِصَّة المائدة، و إن اختلفوا في ذلك قلَّة و كثرة «١». و العجب أن أحدا لم يتبه على أصل هذه المرويَّات، و المنبع الذي نبت منه، حتى ابن كثير و الآلوسى - و إن كان ابن كثير قد أشار من طرف خفي إلى عدم صحَّة معظم ما روى - و لعلمهم اعتبروا ذلك مما يباح روايته، و يحتمل الصدق و الكذب، فذكروه من غير إنكار له؛ و كان عليهم أن يتزَّهوا التفسير عن هذا و أمثاله.

و قد شكك في القصة الطويلة التي اختصرناها أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، فقال: قلت: في هذا الحديث مقال، و لا يصح من قبل إسناده «٢».

ثم عرض بعد لما روى مرفوعا، و موقوفا، و ذكر ما قاله الإمام أبو عيسى الترمذى: من أن الموقوف أصح، و أن المرفوع لا أصل له «٣».

قال أبو شهبه: و لأجل أن نكون على بينة من أن تفسير الآيات، و الانتفاع بها، و الاهتداء بهديها ليس متوقفا على ما رووا من أخبار، و قصص، نفس لك الآيات (١) انظر تفسير الطبرى، ج ٧، ص ٧٨ و تفسير الدر المنثور، ج ٢، ص ٣٤٦ و تفسير الزمخشري، ج ١، ص ٦٩٣ و ٦٩٤ و التفسير الكبير، ج ١٢، ص ١٢٨-١٣٤ و تفسير أبي السعود عند تفسير الآيات، ج ٣، ص ٩٦-٩٧، و تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ١١٦-١١٩ و تفسير البغوى، ج ٢، ص ٧٨-٨٠ و الآلوسى، ج ٧، ص ٦٢-٦٥ و القرطبي، ج ٦، ص ٣٦٩-٣٧٢ إلا أنه قال: في هذا الحديث مقال، و لا يصح من قبل إسناده.

(٢) تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٣٧٢، ط الأولى.

(٣) هذه العبارة تطلق عند بعض المحدثين على ما هو موضوع و ليس من شك في أن رفع هذا إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم إن كان عمدا فهو كذب و اختلاق عليه، و إن كان غلطا و سهوا فهو ملحق بالوضع، كما نبه إليه أئمة علوم الحديث كابن الصلاح و غيره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٦

تفسيرا صحيحا، كما هو منهجنا في كل ما عرضنا له، فأقول و بالله التوفيق:

قال الله تعالى: إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ «١» إذ: ظرف لما مضى من الزمان، و هو مفعول لفعل محذوف، و التقدير: اذكر يا محمد ما حدث في هذا الزمن البعيد ليكون دليلا على صدق نبوتك، فما كنت معهم، و لا صاحبت أهل الكتاب، و لم تكن قارئا، و لا كاتباً.

الحواريون: جمع حواري، و هم المخلصون الأصفياء من أتباع عيسى عليه السلام و يطلق أيضا على الأصحاب المخلصين من أتباع الأنبياء.

المائدة: الخوان: الذي عليه الطعام، فإن لم يكن عليها طعام فهو خوان.

السماء: إما المعروفة أو المراد بها جهة العلو، فإنها قد تطلق و يراد بها كل ما علا.

و ليس المراد بالاستفهام هو أصل الاستطاعة، و أنهم ما كانوا يعلمون هذا؛ لأن السائلين كانوا مؤمنين، عارفين، عالمين بالله و صفاته، بل في أعلى درجات هذه الصفات. و إنما المراد بالسؤال: الإنزال بالفعل، من قبيل إطلاق السبب و إرادة المسبب، و المعنى: هل يجيبنا ربك - يا نبينا عيسى - إلى ذلك أم لا؟

و قال بعض العلماء: ليس ذلك بشك في الاستطاعة، و إنما هو تلطف في السؤال، و أدب مع الله تعالى بهذه الصيغة المهدبة، كقول الرجل لآخر: هل تستطيع أن تعتبنى على كذا، و هو يعلم أنه يستطيع.

و أما قول من قال: إنه من قول من كان مع الحواريين، فبعيد لخروجه عن ظاهر الآية، و لا سيما أن تفسير الآية مستقيم غاية الاستقامة، على ما ذكرنا.

و هذا السؤال إما لفقرهم و حاجتهم، و إما لتعرف فضل نبيهم عيسى، (١) المائدة/ ١١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٧

و فضلهم و كرامتهم عند ربهم.

و أما ما روى: أن عيسى أمرهم بصيام ثلاثين يوماً، ثم ليسألوا ربهم ما يشاءون، فصاموا و سألوا، فليست منه على ثلج قال: اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ.

ليس هذا شكاً في إيمانهم، و إنما هو أسلوب معهود، حملاً على التقوى، كما قال تعالى في حق المؤمنين الصادقين، من هذه الأمة المحمدية: وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ «١»، و المعنى: اتَّقُوا اللَّهَ وَ لَا تَسْأَلُوهُ، فعسى أن يكون فتنة لكم، و توكلوا على الله في طلب الرزق، أو اتَّقُوا اللَّهَ، و دعوا كثرة السؤال، فإنكم لا تدرُونَ ما يحلّ بكم عند اقتراح الآيات؛ لأن الله سبحانه إنما يفعل الأصلح لعباده، إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ من أهل الإيمان بالله، و رسله، و لا سيما أنه سبحانه آتاكم من الآيات ما فيه غنيه عن غيره قالوا نريد أن نأكل منها بدءاً بالغذاء المادى، ثم ثنوا بالغذاء الروحى، فقالوا: وَ تَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا، و هو مثل قول الخليل إبراهيم عليه السلام: وَ لَكِن لِيَطْمِئِنَّ قَلْبِي «٢».

وَ نَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْنَا أَى نَزَادَ عِلْمَا، و يقينا بصدقك، و حقيقه رسالتك وَ نَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ أَى الْمُقَرَّبِينَ الْمُعْتَرِفِينَ لِلَّهِ بِالوَحْدَانِيَّةِ، و لك بالنبوة و الرسالة، أو من الشاهدين عليها لمن لم يرها و يعاينها.

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا و آخرنا «٣».

العيد: يوم الفرح و السرور، لأولنا: لأول أمتنا و آخرنا: لآخر أمتنا، (١) الأنفال/ ١.

(٢) البقرة/ ٢٦٠.

(٣) المائدة/ ١١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٨

أو لنا، و لمن بعدنا.

وَ آيَةٌ مِنْكَ أَى دليلاً، و حجة على قدرتك، على كل شىء، و على إجابتك لدعوتى، فيصدقونى فيما أبلغه عنك، و أَرْزُقْنَا أَى من عندك رزقا هنيئاً لا كلفه فيه، و لا تعب، وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ أَى خير من أعطى و رزق؛ لأنك الغنى الحميد.

قال الله إني منزّلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين «١»، أَى فمن يكفر، أَى يكذب بها من أمتك يا عيسى، و عاندها، فإني أعذبه عذاباً، لا أعذبه أحداً من عالمى زمانكم. و هذا على سبيل الوعيد لهم، و التهديد. و ليس فى الآية ما يدل على أنهم كفروا، و لا- على أن غيرهم قد كفر بها، و لا- على أنهم استعفوا من نزول المائدة، و إنما الذى دعا بعض المفسرين إلى هذه الأقوال، ما سمعت من الروايات الإسرائيلية، و ها نحن قد فسرنا الآيات تفسيراً علمياً صحيحاً من غير حاجة ما إلى ما روى، مما يدلّ دلالة قاطعة على أن مفسر القرآن فى غنيه عن الإسرائيليات التى شوّهت جمال القرآن و جلاله.

#### ١١- الإسرائيليات فى «سؤال موسى ربه الرؤيه»

و من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: وَ لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ، قال رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قال لَنْ تَرَانِي، و لَكِن أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، وَ خَرَّ (١) المائدة/ ١١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٨٩

موسى صيِّعاً فلما أفاق قال شهبانك ثبت إليك و أنا أول المؤمنين «١»، فقد ذكر الثعلبى، و البغوى، و غيرهما عن وهب بن متبه، و ابن إسحاق، قالوا:

«لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الدواب، و الصواعق، و الظلمة، و الرعد، و البرق و أحاط بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، و أمر الله ملائكة السماوات أن يعترضوا على موسى، فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران «٢» البقر، تنبع أفواههم بالتسييح و التقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه. فهبطوا عليه أمثال الأسود، لهم لجب «٣» بالتسييح و التقديس، ففزع العبد الضعيف (ابن عمران) مما رأى، و سمع، و اقشعرت كل شعرة في رأسه و جسده، ثم قال: لقد ندمت على مسألتى، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه؟ فقال له خير الملائكة «٤» و رأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت، ثم أمر ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه.

فهبطوا أمثال النسور، لهم قصف، و رجف، و لجب شديد، و أفواههم تنبع بالتسييح، و التقديس كجلب الجيش العظيم، ألوانهم كلب النار. ففزع موسى، و اشتد فرعه، و أيس من الحياة، فقال له خير الملائكة: مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه. ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى بن عمران. (١) الأعراف / ١٤٣.

(٢) جمع ثور، و هذا من سوء أدب بنى إسرائيل مع الملائكة.

(٣) اللجب: تراحم الأصوات. و يقال لصهيل الفرس ايضا.

(٤) هو جبريل عليه السلام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٠

فهبطوا عليه، لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم، ألوانهم كلب النار، و سائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتقديس و التسييح، لا يقاربههم شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم؛ فاصطكت ركبته، و ارتعد قلبه، و اشتد بكأؤه، فقال له خير الملائكة و رأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى.

فهبطوا عليه، لهم سبعة ألوان، فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، لم ير مثلهم، و لم يسمع مثل أصواتهم؛ فامتأ جوفه خوفاً، و اشتد حزنه، و كثر بكأؤه، فقال له خير الملائكة و رأسهم: يا ابن عمران مكانك، حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه. ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه.

فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة نارا أشد ضوءا من الشمس، و لباسهم كلب النار، إذ سبّحوا و قدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم، يقولون بشدة أصواتهم: سبوح قدوس، رب الملائكة و الروح، رب العزة أبدا لا يموت. و في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه. فلما رأهم موسى رفع صوته، يسبح معهم حين سبّحوا، و هو يبكي و يقول: رب اذكرني و لا تنس عبدك، لا أدري أأنفقت مما أنا فيه أم لا؟ إن خرجت احترقت، و إن مكثت مت، فقال له كبير الملائكة و رأسهم: قد أوشكت «١» يا ابن عمران أن يشتد خوفك، و ينخلع قلبك، فاصبر للذي سألت.

ثم أمر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة، فلما بدا نور العرش، انفرج (١) لا أدري كيف يتفق هذا و ما ذكر من قبل من شدة خوفه و فرعه في المرات الخمس و هذا من أمارات التهافت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩١

الجبل من عظمة الرب جلّ جلاله و رفعت ملائكة السماوات أصواتهم جميعا، يقولون: سبحان الملك القدوس، رب العزة أبدا لا يموت، بشدة أصواتهم. فارتج الجبل، و اندكت كل شجرة كانت فيه، و خرّ العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه، ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح، فتغشاه، و قلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى، و جعله كهية القبة، لئلا يحترق موسى «١»، فأقام موسى يسبح الله، و يقول: آمنت بك ربّي، و صدقت أنه لا- يراك أحد، فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه، فما أعظمك و أعظم

ملائكتك، أنت رب الأرباب و إله الآلهة و ملك الملوك، و لا يعدلك شىء، و لا يقوم لك شىء، رب تبت إليك، الحمد لله لا شريك لك، ما أعظمك، و ما أجلك رب العالمين، فذلك قوله تعالى:

فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، و بعد أن ذكر الأقوال الكثيرة فيما تبدى من نور الله، قال: و وقع فى بعض التفاسير: طارت لعظمته ستة أجبل، وقعت ثلاثة بالمدينة: أحد، و ودقان، و رضوى، و وقعت ثلاثة بمكة: ثور، و ثبير، و حراء (٢).

و هذه المرويات و أمثالها مما لا نشك أنها من إسرائيليات بنى إسرائيل، و كذبهم على الله، و على الأنبياء، و على الملائكة، فلا تلق إليه بالا. و ليس تفسير الآية فى حاجة إلى هذه المرويات، و الآية ظاهرة واضحة.

و من ذلك أيضا: ما ذكره الثعلبى، و البغوى، و الزمخشرى فى تفاسيرهم عند قوله تعالى: وَ خَرَّ مُوسَى صِعْقًا عَلَى مَغْشَا عَلَيْهِ، و ليس المراد ميتا كما قال قتادة. (١) و هذا تهافت آخر، و أماره من أمارات الاختلاق؛ أليس الله بقادر على حمايته من غير الروح، و الحجر؟

(٢) تفسير البغوى، ج ٢، ص ١٩٥-١٩٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٢

فقد قال البغوى، فى بعض الكتب: إن ملائكة السماوات أتوا موسى و هو مغشى عليه، فجعلوا يركلونه بأرجلهم، و يقولون: يا ابن النساء الحيز، أطمعت فى رؤية رب العزة؟ (١)!! و ذكر مثل هذا الزمخشرى فى تفسيره (٢).

و هذا و أمثاله مما لا نشك أنه من الإسرائيليات المكذوبة، و موقف بنى إسرائيل من موسى، و من جميع أنبياء الله معروف، فهم يحاولون تنقيصهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

و قال الألوسى فى تفسيره: «و نقل بعض القصاصين، أن الملائكة كانت تمرّ عليه حينئذ، فيلكزونه بأرجلهم، و يقولون: يا ابن النساء الحيز، أطمعت فى رؤية ربّ العزة؟» و هو كلام ساقط لا يعول عليه بوجه، فإن الملائكة عليهم السلام مما يجب تبرئتهم من إهانته الكليم بالوكر بالرجل، و الغض فى الخطاب (٣).

## ١٢- الإسرائيليات فى ألواح التوراة

و من الإسرائيليات ما ذكره الثعلبى و البغوى، و الزمخشرى، و القرطبى و الألوسى و غيرهم، عند تفسير قوله تعالى: وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ، وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (٤). (١) تفسير البغوى، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) تفسير الكشاف عند تفسير قوله تعالى: وَ خَرَّ مُوسَى صِعْقًا، ج ٢، ص ١٥٥.

(٣) تفسير الألوسى، ج ٩، ص ٤٦، ط منير.

(٤) الأعراف / ١٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٣

فقد ذكر فى الألواح: مم هي؟ و ما عددها؟ أقوالا كثيرة عن بعض الصحابة و التابعين، و عن كعب و وهب، من أهل الكتاب الذين أسلموا، مما يشير إلى منبع هذه الروايات، و أنها من إسرائيليات بنى إسرائيل، و فيها من المرويات ما يخالف المعقول و المنقول، و إليك ما ذكره البغوى فى هذا، قال:

قوله تعالى: وَ كَتَبْنَا لَهُ، يعنى لموسى فى الألواح، قال ابن عباس:

يريد ألواح التوراة، و

فى الحديث: «كانت من سدر الجنة، طول اللوح اثنا عشر ذراعا»

، و جاء

في الحديث: «خلق الله آدم بيده، و كتب التوراة بيده، و غرس شجرة طوبى بيده» (١).

و قال الحسن: كانت الألواح من خشب، و قال الكلبي: كانت من زبرجده خضراء.

و قال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر، و قال الربيع: كانت الألواح من برد (٢).

و قال ابن جريج: كانت من زمرد، أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن، و كتبها بالقلم الذي كتب به الذكر، و استمد من نهر النور!!.

و قال وهب: أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء، لئنها الله له، فقطعها بيده، ثم شققها بيده، و سمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر، و كان ذلك في أول (١) لم يخرج البغوى - كما هي عادته - الحديثين و لم يبرز سندهما، و قد ذكر الآلوسى أن الحديث الأول رواه ابن أبي حاتم، و اختار القول به إن صح السند إليه، و أما الحديث الثاني فقال: إنه مروى عن عليّ، و عن ابن عمر، و عن غيرهما من التابعين (تفسير الآلوسى، ج ٧، ص ٥٧).

(٢) الظاهر أنها بضم الباء و سكون الراء: الثوب المختط، و إلّا فلو كانت من يرد - بفتح الباء و الراء - حبات الثلج فكيف يكتب عليها؟.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٤

يوم من ذى القعدة، و كانت الألواح عشرة أذرع، على طول موسى!!.

و قال مقاتل و وهب: و كتبتنا له في الألواح: كنعش الخاتم.

و قال الربيع بن أنس: نزلت التوراة و هي سبعون و قر بعير، يقرأ الجزء منه في سنة، لم يقرأها إلّا أربعة نفر: موسى، و يوشع، و عزير، و عيسى (١).

فكل هذه الروايات المتضاربة التي يرد بعضها بعضا مما نحيل أن يكون مرجعها المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم و إنما هي من إسرئيليات بنى إسرائيل، حملها عنهم بعض الصحابة و التابعين بحسن نية، و ليس تفسير الآيه متوقفا على كل هذا الذى رووه. و من ذلك: ما يذكره بعض المفسرين فى قوله تعالى: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ، فقد جعلوا التوراة مشتملة على كل ما كان و كل ما يكون، و هذا مما لا يعقل، و لا يصدق، فمن ذلك: ما ذكره الآلوسى فى تفسيره، قال: و ما أخرجه الطبرانى، و البيهقى فى «الدلائل» عن محمد بن يزيد الثقفى، قال: اصطحب قيس بن خرشة، و كعب الأخبار حتى إذا بلغا صفين، وقف كعب، ثم نظر ساعة، ثم قال: ليهاقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شىء لا يهاقن ببقعة من الأرض مثله.

فقال قيس: ما يدريك؟ فإن هذا من الغيب الذى استأثر الله تعالى به!؟.

فقال كعب: ما من الأرض شبر إلّا مكتوب فى التوراة التى أنزل الله تعالى على موسى، ما يكون عليه، و ما يخرج منه إلى يوم القيامة!!.

و هو من المبالغات التى روى أمثالها عن كعب و لا نصدق ذلك، و لعلها من الكذب الذى لاحظته عليه، معاوية بن أبى سفيان على ما أسلفنا سابقا، و لا يعقل قط أن يكون فى التوراة كل أحداث الدنيا إلى يوم القيامة. (١) لا أدري كيف يقبل عقل أنها حمل سبعين بعيرا، و إذا لم يقرأها إلّا أربعة، فلما ذا أنزلها الله؟.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٥

و المحققون من المفسرين سلفا و خلفا، على أن المراد أن فيها تفصيلا لكل شىء، مما يحتاجون إليه فى الحلال و الحرام، و المحاسن و القبائح مما يلائم شريعة موسى و عصره، إلّا فقد جاء القرآن الكريم بأحكام و آداب، و أخلاق، لا توجد فى التوراة قط.

و قد ساق الآلوسى هذا الخبر، للاستدلال به لمن يقول: إن كل شىء عام، و كأنه استشعر بعده، فقال عقبه: «و لعل ذكر ذلك من باب الرمز، كما ندعيه فى القرآن». (١)

و لا بد أن نقول للآلوسى و من لفّ لفّه: إن هذا مردود و غير مقبول، و نحن لا نسلم بأن فى القرآن رموزا، و إشارات لأحداث، و إن قاله البعض، و الحق أحق أن يتبع.



## ١٣- إسرائيلية مكذوبة في سبب غضب موسى لما ألقى الألواح

و من الإسرائيليات ما رواه ابن جرير في تفسيره، و البغوى في تفسيره، و غيرهما، في سبب غضب سيدنا موسى عليه السلام حتى ألقى الألواح من يديه؛ و ذلك في قوله تعالى: وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بُسَمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ؟ وَ أَلْقَى الْأَلْوَحَ «٢» وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَّ عَفْوُنِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَ لَا تَجْعَلْنِي (١) تفسير الألوسي، ج ٩، ص ٥٦ و ٥٧، ط منير.

(٢) طرحها و ألقى بها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٦

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «١».

فقد روى عن قتادة أنه قال: نظر موسى في التوراة، فقال: ربّ إنى أجد في الألواح أمية خير أمه أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، اجعلهم أمتي. قال: تلك أمه أحمد، قال: رب إنى أجد في الألواح أمية هم الآخرون- أى آخرون في الخلق- سابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أمية أحمد، قال: رب إنى أجد في الألواح أمية أناجيلهم في صدورهم، يقرءونها، و كان من قبلهم يقرءون كتابهم نظرا، حتى إذا رفعوها، لم يحفظوا شيئا، و لم يعرفوه، و إن الله أعطاهم من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم، قال: رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أمية أحمد، قال: رب إنى أجد في الألواح أمية يؤمنون بالكتاب الأول، و بالكتاب الآخر، و يقاتلون فصول الضلالة، حتى ليقاتلون الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمه أحمد، قال: رب إنى أجد في الألواح أمية صدقاتهم يأكلونها في بطونهم و يؤجرون عليها، و كان من قبلهم إذا تصدق بصدقة، فقبلت منه بعث الله نارا فأكلتها، و إن ردت عليه تركت، فتأكلها السباع و الطير، و إن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم، قال: رب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمه أحمد، قال: رب إنى أجد في الألواح أمية، إذا هم أحدهم بحسنه ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائه، رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أمه أحمد، قال: رب إنى أجد في الألواح أمية هم المشفقون، و المشفوع لهم، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمه أحمد.

قال قتادة: فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح، و قال: اللهم اجعلنى من أمه محمد. (١) الأعراف / ١٥٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٧

لا- شك أن آثار الوضع و الاختلاق بادية عليه، و السند مطعون فيه، و هى أمور مأخوذة من القرآن، و الأحاديث، ثم صيغت هذه الصياغة المريبة، و جعلت على لسان موسى عليه السلام و الظاهر المتعين أن إلقاء سيدنا موسى بالألواح إنما كان غضبا و حمية لدين الله، و غيره لانتهاك حرمة توحيد الله تبارك و تعالى.

و إليك ما قاله ابن كثير في تفسيره «١»، قال: ثم ظاهر السياق أنه- أى سيدنا موسى- ألقى الألواح غضبا على قومه، و هذا قول جمهور العلماء سلفا و خلفا.

و روى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة.

و قد ردّه ابن عطية، و غير واحد من العلماء، و هو جدير بالردّ، و كأنه تلقاه الناقل عن بعض أهل الكتاب، و فيهم كذابون، و وضاعون، و أفاكون، و زنادقة.

و صدق ابن كثير فيما قال، و يرحح أن يكون من وضع زنادقتهم كى يظهر الأنباء بمظهر المتحاسدين، لا بمظهر الإخوان المتحايين. و قال الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: وَ أَلْقَى الْأَلْوَحَ أى مما اعتراه من الغضب و الأسف، حين أشرف على قومه، و هم عاكفون على عبادة العجل، و على أخيه فى إهمال أمرهم، قاله سعيد بن جبير؛ و لذا قيل: «ليس الخبر كالمعاينة»، و لا التفات لما روى عن قتادة

إن صح، و لا يصح، أن إلقاء الألواح إنما كان لما رأى فيها من فضيلة أمه محمد صلى الله عليه و آله و سلم و لم يكن ذلك لأمته، و هذا قول ردى لا ينبغي أن يضاف إلى موسى عليه السلام «٢».

و مما يؤيد أنه من وضع بعض الإسرائيليين الدهاء: أن نحواً من هذا المروي عن قتادة قد رواه الثعلبي و تلميذه البغوي عن كعب الأحبار، و لا خلاف إلّا في (١) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٤٨ و تفسير البغوي، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٢) تفسير القرطبي، ج ٧، ص ٢٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٨

تقديم بعض الفضائل و تأخير البعض الآخر، إلّا أنه لم يذكر إلقاء الألواح في آخره:

«فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً و أمته قال: يا ليتني من أصحاب محمد، فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: يا موسى إني اضبطتكتك على الناس برسالاتي و بكلامي إلى قوله: دار الفاسقين: و من قوم موسى أمه يهدون بالحق و به يعدلون «١» قال: فرضى موسى كل الرضاء.

#### ١٤- إسرائيلييات و خرافات في بني إسرائيل

##### إشارة

و من الإسرائيليات و الخرافات ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: و من قوم موسى أمه يهدون بالحق و به يعدلون «٢».

فقد ذكر ابن جرير في تفسير «٣» هذه الآية خبراً عجيباً، فقال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله: و من قوم موسى أمه يهدون بالحق و به يعدلون.

قال: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم، و كفروا، و كانوا اثني عشر سبطاً، تبرأ سبط منهم مما صنعوا، و اعتذروا و سألوا الله عز و جل أن يفرق بينهم، و بينهم، ففتح الله لهم نفقا في الأرض، فساروا، حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمون، يستقبلون قبلتنا. (١) الأعراف / ١٤٤ و ١٤٥ و ١٥٩.

(٢) الأعراف / ١٥٩.

(٣) تفسير الطبري، ج ٩، ص ٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ١٩٩

قال ابن جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله: و قلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جننا بكم ليفياً «١».

و وعد الآخرة: عيسى بن مريم.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: ساروا في السرب سنة و نصفاً، و قال ابن عيينة، عن صدقه، عن أبي الهذيل، عن السدي: و من قوم موسى أمه يهدون بالحق و به يعدلون «٢» قال: قوم بينكم و بينهم نهر من شهد، و قد وصف ابن كثير ما رواه ابن جريج: بأنه خبر عجيب!! و

قال البغوي في تفسيره «٣»: قال الكلبي، و الضحاك و الربيع: هم قوم خلف الصين، بأقصى الشرق، على نهر مجرى الرمل، يسمى نهر أردن، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل، و يسقون بالنهار، و يزرعون، لا يصل إليهم منا أحد، و هم على دين الحق، و ذكر: أن جبريل عليه السلام ذهب بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم ليلة أسرى به إليهم، فكلّمهم، فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا، فقال لهم: هذا محمد النبى الأمي، فآمنوا به، فقالوا: يا رسول الله، إن موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد، فليقرأ عليه منى السلام، فردّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم على موسى و عليهم، ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة، و أمرهم بالصلاة و الزكاة، و أمرهم أن يقيموا مكانهم، و كانوا يسبتون «٤»، فأمرهم أن يجمعوا، و يتركوا السبت.

وقيل: هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْأَوَّلُ أَصْحَابُ!! (١) بنى إسرائيل / ١٠٤.  
(٢) الأعراف / ١٥٩.

(٣) تفسير البغوي، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٤) أى يعظمون السبت كاليهود.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٠

و هي من خرافات بنى إسرائيل و لا- محالة، و العجب من البغوي أن يجعل هذه الأكاذيب أصح من القول الآخر الذى هو أجدر بالقبول و أولى بالصحة، و نحن لا نشك فى أن ابن جريج و غيره ممن رووا ذلك، إنما أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا، و لا يمكن أبدا أن يكون متلقيا عن المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و قال الألوسى، بعد ذكر ما ذكرناه: «و ضَعَّفَ هذه الحكاية ابن الخازن، و أنا لا أراها شيئا، و أظنك لا تجد لها سندا يعول عليه و لو ابتغيت نفقا فى الأرض، أو سلما فى السماء» (١).

### التفسير الصحيح للآية

و الذى يترجح عندنا: أن المراد بهم أناس من قوم موسى عليه السلام اهدوا إلى الحق، و دعوا الناس إليه، و بالحق يعدلون فيما يعرض لهم من الأحكام و القضايا، و أن هؤلاء الناس وجدوا فى عهد موسى، و بعده، بل و فى عهد نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و قد بين الله تبارك و تعالى بهذا: أن اليهود و إن كانت الكثرة الكاثرة فيهم تجحد الحق و تنكره، و تجور فى الأحكام، و تعادى الأنبياء، و تقتل بعضهم، و تكذب البعض الآخر، و فيهم من شكاسة الأخلاق و الطباع، ما فيهم، فهناك أمه كثيرة منهم: يهدون بالحق، و به يعدلون، فهم لا يتأبون عن الحق، ففيه شهادة و تركية لهؤلاء، و تعريض بالكثرة الغالبة منهم، التى ليست كذلك، و التى جحدت نبوة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيمن جحدها من طوائف البشر، و ناصبته العداوة و البغضاء، و هو ما يشعر به قوله سبحانه قبل: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَاْمُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ (١) تفسير الألوسى، ج ٩، ص ٨٤ و ٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠١

تَهْتَدُونَ «١»، و بذلك تظهر المناسبة بين هذه الآية و التى قبلها مباشرة، و الآيات التى قبل ذلك.

أما ما ذكره فليس هناك ما يشهد له من عقل، و لا نقل صحيح، بل هو يخالف الواقع الملموس، و المشاهد المتيقن، و قد أصبحت الصين و ما وراءها معلوما كل شبر فيها، فأين هم؟، ثم ما هذا النهر من الشهد؟! و ما هذا النهر من الرمل؟! و أين هما؟! ثم أى فائدة تعود على الإسلام و المسلمين من التمسك بهذه الروايات التى لا خطام لها، و لا زمام؟!، و ما ذا يكون موقف الداعية إلى الإسلام فى هذا العصر الذى نعيش فيه، إذا انتصر لمثل هذه المرويات الخرافية الباطلة؟! إن هذه الروايات لو صحت أسانيدها لكان لها بسبب مخالفتها للمعقول، و المشاهد الملموس ما يجعلنا فى حلٍّ من عدم قبولها، فكيف و أسانيدها ضعيفة واهية؟! و قد نبهنا غير مرة أن كونها صحيحة السند فرضا لا ينافى كونها من الإسرائيليات.

### ١٥- الإسرائيليات فى نسبة الشرك إلى آدم و حواء

#### إشارة

و من الروايات التى لا تصح، و مرجعها إلى الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا «٢» فَلَمَّا تَغَشَّاهَا «٣» حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيْفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١) الأعراف / ١٥٨.

(٢) ليجد فيها سكن النفس وطمأنينة القلب.

(٣) أى: باشرها كما باشر الرجل زوجته.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٢

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «١».

و هذه الآية تعتبر من أشكال آيات القرآن الكريم؛ لأن ظاهرها يدل على نسبة الشرك لآدم و حواء، و ذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين: من أن المراد بالنفس الواحدة: نفس آدم عليه السّلام و بقوله: وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا حَواء. و قد أول العلماء المحققون الآية تأويلاً يتفق و عصمة الأنبياء فى عدم جواز إسناد الشرك إليهم عليهم السّلام كما سنين ذلك.

### الحديث المرفوع، و الآثار الواردة فى هذا

و قد زاد الطين بله ما ورد من الحديث المرفوع، و بعض الآثار عن بعض الصحابة و التابعين، فى تفسير قوله تعالى: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

و قد اغترّ بهذه الروايات كثير من المفسرين، كابن جرير «٢»، و الثعلبى، و البغوى «٣» و القرطبى «٤»، و إن كان قد ضعف الروايات، و لم تركن نفسه إليها، و اعتبرها من الإسرائيليات، و صاحب «الدر المنثور» «٥».

و العجيب أن مفسراً معروفاً له فى ردّ الموضوعات و الإسرائيليات يد طولى، و هو الآلوسى قد انخدع بهذه المرويات، فقال: «و هذه الآية عندى من (١) الأعراف / ١٨٩ و ١٩٠.

(٢) تفسير الطبرى، ج ٩، ص ٩٧.

(٣) تفسير البغوى، ج ٢، ص ٢٢١.

(٤) تفسير القرطبى، ج ٧، ص ٣٣٨ و ٣٣٩.

(٥) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٣

المشكلات، و للعلماء فيها كلام طويل، و نزاع عريض، و ما ذكرناه هو الذى يشير إليه الجبائى، و هو مما لا بأس به بعد إغضاء العين عن مخالفته للمرويات».

ثم قال: «و قد يقال: أخرج ابن جرير عن الحبر: أن الآية نزلت فى تسمية آدم، و حواء و لديهما بعبد الحارث، و مثل ذلك لا يكاد يقال من قبل الرأى، و هو ظاهر فى كون الخبر تفسيراً للآية. و أنت قد علمت أنه إذا صح الحديث فهو مذهبي، و أراه قد صح، و لذلك أحجم كميّ قلمي عن الجرى، فى ميدان التأويل، كما جرى غيره، و الله تعالى الموفق للصواب» «١».

و بعض المفسرين أعرض عن ذكر هذه المرويات، و ذلك كما صنع صاحب «الكشاف»، و تابعه النسفى.

و بعض المفسرين عرض لها، ثم بين عدم ارتضائه لها، و ذلك كما صنع القرطبى فى تفسيره، فقال: و نحو هذا مذكور فى ضعيف الحديث، و فى الترمذى و غيره، و فى الإسرائيليات كثير ليس لها إثبات، فلا يعول عليها من له قلب، فإن آدم و حواء، و إن غرّهما بالله الغرور،

فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

، على أنه قد سطر، و كتب، قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «خدعهما مرتين: خدعهما فى الجنة، و خدعهما فى الأرض» «٢».

و لكن فارس هذه الحلبه و هو ابن كثير، فقد نقد المرويات نقدا علميا أصيلا، على مناهج المحدثين و طريقتهم في نقد الرواء، و بين أصل هذه المرويات، و أن مرجعها إلى الإسرائيليات. (١) تفسير الآلوسى، ج ٩، ص ١٣٩ و ١٤٢.

(٢) تفسير القرطبي، ج ٧، ص ٣٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٤

و لنذكر كلام ابن كثير بنصه، و بطوله لنفاسته، و شدة الحاجة إليه في هذا المقام، قال: يذكر المفسرون هاهنا آثارا، و أحاديث، سأوردها و أبين ما فيها، ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك- إن شاء الله- و به الثقة.

قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد (قال) «١»: حدثنا عمر بن إبراهيم، (قال): حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: «و لما ولدت حواء طاف بها إبليس، و كان لا يعيش لها ولدا، فقال: سمّيه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث، فعاش، و كان ذلك من وحي الشيطان و أمره»، و هكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار، عن عبد الصمد ابن عبد الوارث به «٢»، و رواه الترمذى في تفسير هذه الآية، عن محمد بن المثنى، عن عبد الصمد، به، و قال: هذا حديث حسن غريب- يعنى انفرد به- راويه لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، و رواه بعضهم عن عبد الصمد، و لم يرفعه، يعنى لم ينسبه إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

و رواه الحاكم في مستدرکه، من حديث عبد الصمد مرفوعا، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد «٣»، و لم يخرجاه، و رواه الإمام أبو محمد، ابن أبى حاتم، فى تفسيره، عن أبى زرعۀ الرازى، عن هلال بن فياض، عن عمر بن إبراهيم به- أى ببقية السند- مرفوعا، و كذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه، فى تفسيره، من حديث شاذ بن فياض، عن عمر بن إبراهيم مرفوعا. (١) جرت عادة المحدثين أن يحذفوا من الأسانيد لفظ (قال) خطأ، و لكنهم ينطقون بها عند الرواية، و قد ذكرناها خطأ حتى لا يشكل الأمر على قارئ السند.

(٢) يعنى ببقية السند المذكور أولا.

(٣) أى صحيح الإسناد على شرط البخارى و مسلم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٥

قلت:- أى ابن كثير- و شاذ هو: هلال، و شاذ لقبه.

و الغرض: أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصرى، و قد وثقه ابن معين، و قال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، و لكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر، عن أبيه، عن الحسن، عن سمرة مرفوعا.

الثانى: أنه قد روى من قول سمرة نفسه، ليس مرفوعا، كما قال ابن جرير:

حدثنا ابن عبد الأعلى، (قال): حدثنا المعتمر عن أبيه، (قال): حدثنا بكر بن عبد الله، عن سليمان التيمى، عن أبى العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب، قال:

«سمى آدم ابنه عبد الحارث».

و الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه، قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع (قال): حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، قال: كان هذا فى بعض أهل الملل، و لم يكن بآدم. و حدثنا «١» محمد بن عبد الأعلى: (قال):

حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال: قال الحسن: عنى بها ذرية آدم، و من أشرك منهم بعده، يعنى: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا. و حدثنا «٢» بشر (قال): حدثنا يزيد، (قال): حدثنا سعيد عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود و النصارى، رزقهم الله أولادا، فهودوا و نصروا «٣». (١) القائل: و حدثنا هو ابن جرير.

(٢) راجع الهامش السابق.

(٣) فيه إشارة إلى

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه» رواه البخاري و مسلم ، و ما روى عن الحسن - رضی الله عنه - ليس اختلاف تضاد وإنما هو اختلاف تغاير في اللفظ، و المدلول واحد أو متقارب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٦

و قال ابن كثير: و هذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضی الله عنه أنه فسر الآية بذلك، و هو من أحسن التفاسير، و أولى ما حملت عليه الآية، و لو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما عدل عنه هو، و لا غيره، و لا سيما مع تقواه لله، و ورعه.

فهذا يدل لك على أنه موقوف على الصحابي، و يحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب: من آمن منهم مثل كعب، أو وهب بن منبه و غيرهما، كما سيأتي بيانه، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، و الله أعلم (١).

فأما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن سيار، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادا فيعبدهم لله، و يسميهم عبد الله، و عبيد الله و نحو ذلك، فيصيهم الموت، فأتاها إبليس، فقال:

إنكما لو سميتاهم بغير الذي تسميانه به لعاش، قال: فولدت له رجلا، فسماه عبد الحارث، ففيه أنزل الله يقول: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، و قال العوفي عن ابن عباس، قوله في آدم: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، إلى قوله: فَمَرَّتْ بِهِ: شَكَتْ أَحْمَلت أم لا؟ فَلَمَّا أَتَقَلَّتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا، الآية، فأتاها الشيطان، فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون أ بهيمه، أم لا؟ و زين لهما الباطل، إنه غوى مبين، و قد كانت قبل ذلك ولدت ولدين، فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي، لم يخرج سويا، و مات كما مات الأول، فسميا ولدهما عبد الحارث، فذلك قوله: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا الْآيَةَ.

و قال عبد الله بن المبارك، عن شريك، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن (١) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٧٥ و تفسير البغوي، ج ٢، ص ٢٢١ و ٢٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٧

ابن عباس في قوله تعالى: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَلَمَّا تَعَشَّاهَا آدَمَ (حملت)، أتاهما إبليس - لعنه الله - فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني، أو لأجعلن له قرني أيل (١)، فيخرج من بطنك، فيشقه، و لأفعلن، و لأفعلن، يخوفهما، فسمياه (٢) عبد الحارث، فأيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت، يعني الثانية فأتاها، فقال لهما مثل الأول، فأيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت الثالثة، فأتاها أيضا فذكر لهما، فأدر كهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا. رواه ابن أبي حاتم.

و قد نسب هذا الأثر إلى ابن عباس و جماعة من أصحابه: كمجاهد، و سعيد بن جبير، و عكرمة. و من الطبقة الثانية: قتادة، و السدي، و غير واحد من السلف، و جماعة من الخلف. و من المفسرين من المتأخرين: جماعات لا يحصون كثرة. و كأن أصله مأخوذ من أهل الكتاب؛ فإنهم رووا عن ابن عباس عن أبي بن كعب، كما رواه ابن أبي حاتم، قال: حدثنا أبي، (قال): حدثنا أبو الجماهر، (قال): حدثنا سعيد - يعني ابن بشير - عن عقبه، عن قتادة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، قال:

لما حملت حواء أتاهما الشيطان، فقال لها: أ تطيعيني و يسلم لك ولدك؟ سميه عبد الحارث، فلم تفعل فولدت، فمات، ثم حملت، فقال لها مثل ذلك، فلم تفعل، ثم حملت الثالثة، فجاءها فقال: إن تطيعيني يسلم، و إلا فإنه يكون بهيمه، فهبيهما، فأطاعا. (١) الأيل بضم الهمزة و كسرها، و الياء فيها مشددة مفتوحة: ذكر الأوعال، و هو التيس الجبلي.

(٢) بصيغة الأمر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٨

قال: و هذه الآثار يظهر عليها- و الله أعلم- أنها من آثار أهل الكتاب. ثم بين أن أخبار أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:

١. فمنها: ما علمنا صحته مما بأيدينا من كتاب أو سنة.

٢. و منها: ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب و السنة أيضا.

٣. و منها: ما هو مسكوت عنه، فهو المأذون في روايته

بقوله عليه السلام: «حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج» (١)، و هو الذى لا يصدق، و لا يكذب، قال: و هذا الأثر من الثانى أو الثالث، فيه نظر (٢).

قال: فأما من حدثت به من صحابى أو تابعى، فإنه يراه من القسم الثالث- يعنى ما يحتمل الصدق و الكذب- و أما نحن فعلى مذهب الحسن البصرى فى هذا، و أنه ليس المراد من هذا السياق: آدم و حواء، و إنما المراد من ذلك: المشركون من ذريته؛ و لهذا قال الله تعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) فذكر آدم و حواء أولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين، و هو كالاتطراد من الشخص إلى الجنس. و هذا الذى ذهب إليه ابن كثير فى تخريج الحديث و الآثار، هو الذى يجب أن يصار إليه، و هو الذى ندين الله عليه، و لا سيما أن التفسير الحق للآيتين لا يتوقف على شىء مما روى.

و المحققون من المفسرين؛ منهم من نحا منحى ابن كثير، فجعل الآية الأولى (١) قد تكلمنا عن هذا الحديث، و أنه من ضرب الأمثال، كناية عن توسعهم فى الفساد و العيث فى البلاد.

(٢) لا موضع لهذا التردد، بعد وضوح كونه أثرا مكذوبا محضا، حيث الأنبياء معصومون لا يحتمل بشأنهم شائبة شرك بالله العظيم!

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٧٥ و تفسير البغوى، ج ٢، ص ٢٢١، ط المنار.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٠٩

فى آدم و حواء، و جعل قوله: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا الْآيَةَ فى المشركين من ذريتهما، أى جعل أولادهما شركاء لله فيما آتاهما، و المراد بهم: الجنس، أى جنس الذكر و الأنثى، فمن ثم حسن قوله: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ بالجمع، و يكون هذا الكلام من الموصول لفظا المفصول معنى. و منهم من جعل الآيتين فى ذرية آدم و حواء، أى خلقكم من نفس واحدة، و هى نفس الذكر، و جعل منها، أى من جنسها زوجها، و هى الأنثى، فلما آتاهما صالحا، أى بشرا سويا كاملا، جعل أى الزوجان الكافران لله شركاء فيما آتاهما؛ و بذلك أبد لا شكر الله كفرانا به و جحودا، و على هذا لا يكون لآدم و حواء ذكر ما فى الآيتين. و هنالك تفاسير أخرى، لسنا منها على ثلج، و لا طمانينة (١).

## ١٦- الإسرايلىيات فى سفينة نوح

و من الإسرايلىيات التى اشتملت عليها بعض كتب التفسير، كتفسير ابن جرير، و «الدر المنثور»، و غيرها ما روى فى سفينة نوح عليه السلام فقد أحاطها بهالة من العجائب و الغرائب، من أى خشب صنعت؟ و ما طولها؟ و ما عرضها؟ و ما ارتفاعها؟، و كيف كانت طبقاتها؟ و ذكروا خرافات فى خلقه بعض الحيوانات من الأخرى، و قد بلغ ببعض الرواة أنهم نسبوا بعض هذا إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم،

قال صاحب «الدر»: و أخرج أبو الشيخ، و ابن مردويه، عن ابن عباس رحمهما الله عن (١) انظر تفاسير الكشاف، ج ٢، ص ١٨٦ و ١٨٧ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، ج ٧، ص ٣٣٧ و تفسير أبى السعود، ج ٣، ص ٣٠٢-٣٠٤. و روح المعانى للآلوسى، ج ٩، ص ١٣٧-١٤٢. و التبيان، ج ٥، ص ٥٠ و مجمع البيان، ج ٤، ص ٧٨٠، و غيرها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٠

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَتْ سَفِينَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا أَجْنَحَةٌ، وَتَحْتَ الْأَجْنَحَةَ إِيْوَانٌ»،  
أَقُولُ: قَبِيحُ اللَّهِ مِنْ نَسَبٍ مِثْلِ هَذَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و

أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَه عَنْ سَمْرَةَ بِنْتِ جَنْدَبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ»

وَذَكَرَ: أَنَّ طَوْلَ السَّفِينَةِ كَانَ ثَلَاثِمِائَةَ ذِرَاعٍ، وَعَرْضُهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا، وَطُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا، وَبَابُهَا فِي عَرْضِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَ ذَلِكَ: فِي طَوْلِهَا، وَارْتِفَاعِهَا، ثُمَّ قَالَ:

وَ أَخْرَجَ إِسْحَاقُ بْنُ بَشْرٍ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نُوحًا لَمَّا أَمَرَ أَنْ يُصْنَعَ الْفُلُوكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَ أَيْنَ الْخَشَبُ؟، قَالَ: اغْرَسِ الشَّجَرَ، فَغَرَسَ السَّاجَ عَشْرِينَ سَنَةً، إِلَى أَنْ قَالَ: فَجَعَلَ السَّفِينَةَ سِتْمِائَةَ ذِرَاعٍ طَوْلُهَا، وَ سِتِينَ ذِرَاعًا فِي الْأَرْضِ - يَعْنِي عَمَقُهَا- وَ عَرْضُهَا ثَلَاثِمِائَةَ وَ ثَلَاثَةَ وَ ثَلَاثُونَ «١» وَ أَمَرَ أَنْ يُطْلِيَهَا بِالْقَارِ «٢»، وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ قَارٌ، فَفَجَّرَ اللهُ لَهُ عَيْنَ الْقَارِ؛ حَيْثُ تَنَحَّتِ السَّفِينَةُ، تَغْلَى غُلْيَانًا، حَتَّى طَلَّاهَا، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا جَعَلَ لَهَا ثَلَاثَةَ أَبْوَابٍ، وَ أَطْبَقَهَا، وَ حَمَلَ فِيهَا السَّبَاعَ، وَ الدُّوَابَّ، فَأَلْقَى اللهُ عَلَى الْأَسَدِ الْحَمَى، وَ شَغَلَهُ بِنَفْسِهِ عَنِ الدُّوَابِّ، وَ جَعَلَ الْوَحْشَ وَ الطَّيْرَ فِي الْبَابِ الثَّانِي، ثُمَّ أَطْبَقَ عَلَيْهِمَا.

وَ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَ أَبُو الشَّيْخِ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «كَانَ طَوْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفَ ذِرَاعٍ وَ مَائَتِي ذِرَاعٍ، وَ عَرْضُهَا سِتْمِائَةَ ذِرَاعٍ» وَ إِلَيْكَ مَا ذَكَرَهُ بَعْدَ هَذَا مِنَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ، قَالَ:

وَ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُمَا اللهُ قَالَ: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى بْنِ (١) لَا نَدْرِي بِأَيِّ رِوَايَةٍ نَصَدِّقُ، أَمْ بِرِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذِهِ، أَمْ بِالسَّابِقَةِ، وَ هَذَا الْاضْطِرَابُ أَمَارَةٌ الْاِخْتِلَاقِ مِمَّنْ وَضَعُوهَا أَوَّلًا، وَ أَسْنَدُوهَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَ غَيْرِهِ.

(٢) فِي الْقَامُوسِ: الْقَيْرُ، وَ الْقَارُ: شَيْءٌ أَسْوَدُ تَطْلِي بِهِ الْإِبِلَ، أَوْ هُوَ: الزَّفْتُ.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١١

مَرِيَمُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَوْ بَعَثَتْ لَنَا رَجُلًا شَهِدَ السَّفِينَةَ، فَحَدَّثَنَا عَنْهَا. فَانْطَلَقَ بِهِمْ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَثِيبٍ مِنْ تَرَابٍ، فَأَخَذَ كِفَا مِنْ ذَلِكَ التَّرَابِ، قَالَ: أَمْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا كَعْبُ حَامِ بْنِ نُوحٍ، فَضْرَبَ الْكَثِيبَ بِعَصَاهُ، قَالَ: قُمْ يَا ذَنْبُ اللهِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَنْفُضُ التَّرَابَ عَنْ رَأْسِهِ، قَدْ شَابَ، قَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَكَذَا هَلَكْتَ؟!، قَالَ: لَا، مَتَّ وَ أَنَا شَابٌ، وَ لَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهَا السَّاعَةُ، فَمَنْ ثُمَّ شَبْتُ، قَالَ: حَدَّثْنَا عَنْ سَفِينَةِ نُوحٍ، قَالَ: كَانَ طَوْلُهَا أَلْفَ ذِرَاعٍ، وَ مَائَتِي ذِرَاعٍ، وَ عَرْضُهَا سِتْمِائَةَ ذِرَاعٍ، كَانَتْ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ، فَطَبَقَةٌ فِيهَا الدُّوَابُّ وَ الْوَحْشُ، وَ طَبَقَةٌ فِيهَا الْإِنْسُ، وَ طَبَقَةٌ فِيهَا الطَّيْرُ. فَلَمَّا كَثُرَ أَرْوَاثُ الدُّوَابِّ أَوْحَى اللهُ إِلَى نُوحٍ: أَنْ اغْمِزْ ذَنْبَ الْفِيلِ، فَغَمَزَهُ، فَوَقَعَ مِنْهُ خَنْزِيرٌ وَ خَنْزِيرَةٌ!!، فَأَقْبَلَا- عَلَى الرُّوثِ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفَأْرُ جَعَلَ يَخْرَبُ السَّفِينَةَ بِقَرَضِهِ أَوْحَى اللهُ إِلَى نُوحٍ: أَنْ اضْرِبْ بَيْنَ عَيْنِي الْأَسَدَ، فَخَرَجَ مِنْ مَنْخَرِهِ سُنُورٌ وَ سُنُورَةٌ، فَأَقْبَلَا عَلَى الْفَأْرِ فَأَكَلَاهُ.

وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: أَنَّ الْأَسَدَ عَطَسَ، فَخَرَجَ مِنْ مَنْخَرِهِ سُنُورَانِ، ذَكَرٌ وَ أُنْثَى، فَأَكَلَا الْفَأْرَ، وَ أَنَّ الْفِيلَ عَطَسَ، فَخَرَجَ مِنْ مَنْخَرِهِ خَنْزِيرَانِ، ذَكَرٌ وَ أُنْثَى، فَأَكَلَا أَدَى السَّفِينَةَ. وَ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ الْحِمَارُ أَنْ يَدْخُلَ السَّفِينَةَ أَخَذَ نُوحٌ بِأَذْنِي الْحِمَارِ، وَ أَخَذَ إِبْلِيسُ بِذَنْبِهِ، فَجَعَلَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجْذِبُهُ، وَ جَعَلَ إِبْلِيسُ يَجْذِبُهُ، فَقَالَ نُوحٌ: ادْخُلْ شَيْطَانُ- وَ يَرِيدُ بِهِ الْحِمَارُ- فَدَخَلَ الْحِمَارُ، وَ دَخَلَ مَعَهُ إِبْلِيسُ. فَلَمَّا سَارَتِ السَّفِينَةُ جَلَسَ إِبْلِيسُ فِي أَذْنَابِهَا يَتَغَنَّى، فَقَالَ لَهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيْلَكَ مِنْ أَدْنٍ لَكَ؟! قَالَ: أَنْتَ!! قَالَ: مَتَى؟! قَالَ: أَنْ قَلْتُ لِلْحِمَارِ: ادْخُلْ يَا شَيْطَانُ، فَدَخَلْتَ يَا ذَنْبُكَ.

وَ زَعَمُوا أَيْضًا: أَنَّ الْمَاعِزَ لَمَّا اسْتَصْعَبَتْ عَلَى نُوحٍ أَنْ تَدْخُلَ السَّفِينَةَ فَدَفَعَهَا فِي ذَنْبِهَا، فَمَنْ ثُمَّ انْكَسَرَ، وَ بَدَأَ حَيَاها، وَ مَضَتْ النَّعْجَةُ فَدَخَلَتْ مِنْ غَيْرِ مَعَاكِسَةٍ، فَسَمِحَ عَلَى ذَنْبِهَا، فَسْتَرَّ اللهُ حَيَاها- يَعْنِي فَرْجُها- وَ زَعَمُوا أَيْضًا: أَنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَافَتْ بِالْبَيْتِ أَسْبُوعًا، بَلْ



رووا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٢

أبيه، عن جده، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَصَلَّتْ عِنْدَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ!!»  
و هذا من تفاهات عبد الرحمن هذا، و

قد ثبت عنه من طرق أخرى، نقلها صاحب التهذيب (ج ٦، ص ١٧٩) عن الساجي، عن الربيع، عن الشافعي، قال: «قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: حدّثك أبوك عن جدك؛ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ، وَصَلَّتْ خَلْفَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ؟!!» قال: نعم،  
و قد عرف عبد الرحمن بمثل هذه العجائب المخالفة للعقل، و تندر به العلماء.

قال الشافعي فيما نقل في «التهذيب» أيضا: «ذكر رجل لمالك حديثا منقطعاً، فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه، عن نوح!» و أن لَمَّا رست السفينة على الجودي و كان يوم عاشوراء صام نوح، و أمر جميع من معه من الوحش و الدواب فصاموا شكراً لله، إلى غير ذلك من التخريفات و الأباطيل «١» التي لا نزال نسمعها، و أمثالها من العوامّ و العجائز، و هذا لا يمكن أن يمتّ إلى الإسلام بصلّة، و إنا لننزه المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أن يصدر عنه ما نسبوه إليه، و إنما هي أحاديث خرافة اختلقها اليهود و أضرابهم على توالي العصور، و كانت شائعة مشهورة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين، و أوغل زنادقة اليهود و أمثالهم في الكيد للإسلام و نبيّه، فرؤروا بعضها على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و ما كنا نحب لابن جرير، و لا للسيوطي، و لا لغيرهما أن يسودوا صحائف كتبهم بهذه الخرافات و الأباطيل.

فاحذر منها أيها القارئ في أي كتاب من كتب التفسير وجدتها، و ألق بها دبر أذنيك، و كن عن الحق منافحاً و للباطل مزيفاً. (١)  
تفسير الطبري، ج ١٢، ص ٢١-٢٩، و الدر المنثور، ج ٣، ص ٣٢٧-٣٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٣

## ١٧- الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام

و قد وردت في قصة يوسف عليه السّلام إسرائيليّات و مرويات مختلقة مكدوبة، فمن ذلك ما أخرجه ابن جرير في تفسيره، و السيوطي في «الدر المنثور» و غيرهما، في قوله تعالى: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا، وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ «١».

قال السيوطي: و أخرج سعيد بن منصور، و البزار، و أبو يعلى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و العقيلي و ابن حبان في «الضعفاء»، و أبو الشيخ، و الحاكم و صححه «٢»، و ابن مردويه، و أبو نعيم، و البيهقي معا في «الدلائل»، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «جاء بستانه يهودي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف عليه السّلام ساجدة له، ما أسماؤها؟ فسكت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلم يجبه بشيء، فنزل جبريل عليه السلام و أخبره بأسمائها، فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى البستاني اليهودي، فقال: «هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟ قال: نعم، قال: جريان، و الطارق، و الذيال، و ذو الكفتان، و قابس، و وثاب، و عمودان، و الفليق، و المصبح، و الضروح، و ذو الفرغ، و الضياء، و النور «٣»، رآها في أفق السماء ساجدة له. فلما قص يوسف على يعقوب، قال: هذا أمر مشئت يجمعه الله من (١) يوسف/٤.

(٢) تصحيح الحاكم على شرط الشيخين.

(٣) و هناك بعض الاختلاف في الأسماء. و قد جاءت ثلاثة عشر، و الضياء و النور هما الشمس و القمر. كناية عن أبويه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٤

بعد»، فقال اليهودى: إى و الله إنها لأسماؤها «١».

والذى يظهر لى أنه من الإسرائيليات، و ألصقت بالنبى زورا، ثم إن سيدنا يوسف رأى كواكب بصورها لا بأسمائها، ثم ما دخل الاسم فيما ترمز إليه الرؤيا؟! و مدار هذه الرواية على الحكم بن ظهير، و قد ضعفه الأئمة، و تركه الأكثرون، و قال الجوزجاني: ساقط «٢».

و قال الإمام الذهبى فى «ميزان الاعتدال» «٣»: قال ابن معين: ليس بثقة، و قال مرة: ليس بشيء، و قال البخارى: منكر الحديث، و قال مرة: تركوه، و لعله لروايته

حديث: «إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه»!!

## ١٨- الإسرائيليات فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ

### إشارة

«٤» و من الإسرائيليات المكذوبة التى لا- توافق عقلا- و لا- نقلا- ما ذكر ابن جرير فى تفسيره، و صاحب «الدر المنثور» و غيرهما من المفسرين، فى قوله تعالى:

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ فَقَدِ ذَكَرُوا فِي هَمِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَنَافَى عَصْمَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَ مَا يَخْجَلُ الْقَلَمُ مِنْ تَسْطِيرِهِ، لَوْ لَا أَنْ الْمَقَامَ مَقَامَ بَيَانٍ وَ تَحْذِيرٍ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَ عَلَى رَسُولِهِ، وَ هُوَ مِنْ أَوْجِبِ الْوَأْجِبَاتِ عَلَى أَهْلِ (١) تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ، ج ١٢، ص ٩٠ و ٩١ و الدر المنثور، ج ٤، ص ٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٨ و ٤٦٩.

(٣) ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٢٦٨، ط السعادة.

(٤) يوسف / ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٥

العلم.

فقد رووا عن ابن عباس- رضوان الله عليه- أنه سئل عن هَمِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما بلغ؟ قال: حلّ الهميان- يعنى السراويل- و جلس منها مجلس الخائن، فصيح به، يا يوسف لا تكن كالطير له ريش، فإذا زنى قعد ليس له ريش. و رووا مثل هذا عن على رضى الله عنه و عن مجاهد، و عن سعيد بن جبير.

و رووا أيضا فى البرهان الذى رآه، و لولاه لوقع فى الفاحشة بأنه نودى: أنت مكتوب فى الأنبياء، و تعمل عمل السفهاء، و قيل: رأى صورة أبيه يعقوب فى الحائط، و قيل: فى سقف الحجر، و أنه رآه عاضا على إبهامه، و أنه لم يتعظ بالنداء، حتى رأى أباه على هذه الحال. بل أسرف واضعو هذه الإسرائيليات الباطلة، فزعموا أنه لما لم يرعو من رؤية صورة أبيه عاضا على أصابعه، ضربه أبوه يعقوب، فخرجت شهوته من أنامله! و لأجل أن يؤيد هؤلاء الذين افتروا على الله و نبيه يوسف هذا الافتراء، يزعمون أيضا: أن كل أبناء يعقوب قد ولد له اثنا عشر ولدا ما عدا يوسف، فإنه نقص بتلك الشهوة التى خرجت من أنامله ولدا، فلم يولد له غير أحد عشر ولدا. بل زعموا أيضا فى تفسير البرهان، فيما روى عن ابن عباس: أنه رأى ثلاث آيات من كتاب الله: قوله تعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ «١»، و قوله تعالى: وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مَا تَتَلَوْنَ مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ «٢»، و قوله تعالى:

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ «٣»، و قيل: رأى (١) الانفطار / ١٠ و ١١.

(٢) يونس / ٦١.

(٣) الرعد / ٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٦

وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا «١»!!، و من البديهي أن هذه الآيات بهذا اللفظ العربي لم تنزل على أحد قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان الذين افتروا هذا لا يعدمون جوابا، بأن يقولوا: رأى ما يدل على معاني هذه الآيات بلغتهم التي يعرفونها، بل قيل في البرهان: إنه أرى تمثال الملك، وهو العزيز، وقيل: خياله «٢». و كل ذلك مرجعه إلى أخبار بنى إسرائيل و أكاذيبهم التي افتجروها على الله، و على رسله، و حمله إلى بعض الصحابة و التابعين: كعب الأحرار، و وهب بن متبه، و أمثالهما.

و ليس أدل على هذا، مما روى عن وهب بن متبه قال: «لما خلا يوسف و امرأة العزيز، خرجت كفّ بلا جسد بينهما، مكتوب عليها بالعبرانية: أَلَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، ثم انصرفت الكفّ، و قاما مقامهما، ثم رجعت الكفّ بينهما، مكتوب عليها بالعبرانية: إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ، ثم انصرفت الكفّ، و قاما مقامهما، فعدت الكفّ الثالثة مكتوب عليها: وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا و انصرفت الكفّ، و قاما مقامهما فعدت الكفّ الرابعة مكتوب عليها بالعبرانية: وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ «٣»، فولّى يوسف عليه السلام هاربا «٤».

و قد كان وهب أو من نقل عنه وهب ذكيا بارعا، حينما زعم أن ذلك كان مكتوبا بالعبرانية؛ و بذلك أجاب عما استشكلناه، و لكن مع هذا لن يجوز هذا (١) الإسراء / ٣٢.

(٢) تفسير الطبري، ج ١٢، ص ١٠٨ - ١١٤. و الدر المنثور، ج ٤، ص ١٣ و ١٤. و تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٧٤ و ٤٧٥. و تفسير البغوي، ج ٢، ص ٤١٨ - ٤٢٠.

(٣) البقرة / ٢٨١.

(٤) الدر المنثور، ج ٤، ص ١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٧

الكذب إلّا على الأغرار و السدّج من أهل الحديث. و لا ندري أى معنى يبقى للعصمة بعد أن جلس بين فخذيها، و خلع سرواله؟! و ما امتناعه عن الزنى على مروياتهم المفتراه إلّا و هو مقهور مغلوب؟! و لو أن عرييدا رأى صورة أبيه بعد مماته تحذره من معصية لكفّ عنها، و انزجر، فأى فضل ليوسف إذا، و هو نبي من سلاله أنبياء؟! بل أى فضل له فى عدم مقارفته الفاحشة، بعد ما خرجت شهوته من أنامل قدميه؟! و ما امتناعه حينئذ إلّا قسرى جبرى!! ثم ما هذا الاضطراب الفاحش فى الروايات؟! أليس الاضطراب الذى لا يمكن التوفيق بينها. و هذا من العلل التى ردّ المحذون بسببها الكثير من المرويات؟! لأنها أماره من أمارات الكذب و الاختلاق.

ثم كيف يتفق ما حيك حول نبي الله يوسف عليه السلام و قول الحق تبارك و تعالى عقب ذكر الهمم: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفُحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ «١»، فهل يستحق هذا الثناء من حلّ التكهة، و خلع السروال، و جلس بين رجليها؟! و لا أدري أ نصدق الله تبارك و تعالى أم نصدق كذبه بنى إسرائيل و مخرفهم؟! بل كيف يتفق ما روى هو و ما حكاه الله عزّ و جل عن زليخا بطله المرادة، حيث قالت: أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ «٢» و هو اعتراف صريح من (١) يوسف / ٢٤. قرئ فى السبع بضم الميم و فتح اللام، أى الذين اصطفاهم و اختارهم لنبوته و رسالته، و قرئ بكسر اللام، أى الذين أخلصوا لله التوحيد و العبادة، و المعنى الثانى لازم للأول، فمن اصطفاه الله لا بد أن يكون مخلصا.

(٢) يوسف / ٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٨

البطله التى أعيتهما الحيل عن طريق التزيين حيناً، و التودّد إليه بمعسول القول حيناً آخر، و الإرهاب و التخويف حيناً ثالثاً، فلم تفلح: لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَ لَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ «١».

و انظر ما ذا كان جواب السيد العفيف، الكريم ابن الكريم، ابن الكريم، ابن يوسف بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم عليهم

السِّلام: قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «٢» و قصده عليه السِّلام بقوله: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ... تبرؤ من الحول و الطول، و أن الحول و القوَّة إنما هما من الله، و سؤال منه لربه، و استعانة به على أن يصرف عنه كيدهنَّ، و هكذا شأن الأنبياء.

بل قد شهد الشيطان نفسه ليوסף عليه السِّلام فى ضمن قوله، كما حكاها الله سبحانه عنه بقوله: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ «٣»، و يوسف بشهادة الحق السالفة من المخلصين.

و كذلك شهد ليوסף شاهد من أهلها «٤»، فقال: إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ «٥»، و قد أسفر (١) يوسف / ٣٢.

(٢) يوسف / ٣٣ و ٣٤.

(٣) ص / ٨٢ و ٨٣.

(٤) قيل: كان رجلا عاقلا حكيما مجربا من خاصة الملك. و كان من أهلها، و قيل: كان صبيا فى المهد و كان ذلك إرھاصا بين يدي نبوة يوسف، إكراما له.

(٥) يوسف / ٢٦ - ٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢١٩

التحقيق عن براءة يوسف و إدانة زليخا، امرأة العزيز.

فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة الصادقة، و تلك الروايات المزورة؟! و قد ذكر الكثير من هذه الروايات ابن جرير الطبرى، و الثعلبى، و البغوى، و ابن كثير، و السيوطى، و قد مر بها ابن كثير بعد أن نقلها حاكيا من غير أن يتبته إلى زيفها، و هذا غريب!! و من العجيب حقا أن ابن جرير يحاول أن يضعف فى تفسيره مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور و البهتان، و يفسرون الآيات على حسب ما تقتضيه اللغة و قواعد الشرع، و ما جاء فى القرآن و السنة الصحيحة الثابتة، و يعتبر هذه المرويات التى سقنا لك زورا منها آنفا؛ هى قول جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين يؤخذ عنهم «١»، و كذلك تابعه على مقالته تلك الثعلبى و البغوى فى تفسيريهما «٢»!! و هذه المرويات الغثة المكذوبة التى يأبأها النظم الكريم، و يجزم العقل و النقل باستحالتها على الأنبياء عليهم السِّلام هى التى اعتبرها الطبرى و من تبعه «أقوال السلف»!! بل يسير فى خط اعتبار هذه المرويات، فيورد على نفسه سؤالا، فيقول: فإن قال قائل: و كيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا و هو لله نبى؟! ثم أجاب بما لا- طائل تحته، و لا يليق بمقام الأنبياء «٣». قاله الواحدى فى تفسيره «البسيط».

و أعجب من ذلك ما ذهب إليه الواحدى فى «البسيط» قال: قال المفسرون (١) تفسير الطبرى، ج ١٢، ص ١١٠.

(٢) تفسير البغوى، ج ٢، ص ٤٢٢.

(٣) تفسير الطبرى، ج ١٢، ص ١٠٩ و ١١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٠

الموثوق بعلمهم، المرجوع إلى روايتهم، الآخذون للتأويل، عمن شاهدوا التنزيل: هم يوسف عليه السِّلام بهذه المرأة همّا صحيحا، و جلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة منه.

و هى غفلة شديدة من هؤلاء الأئمة لا- نرضاها، و لو لا أننا ننزه لساننا و قلمنا عن الهجر من القول، و أنهم خلطوا فى مؤلفاتهم عملا صالحا و آخر سيئا لقسونا عليهم، و حق لنا هذا، و العصمة لله.

و هذه الأقوال التى أسرف فى ذكرها هؤلاء المفسرون: إما إسرائيليات و خرافات، و وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء، الذى أرادوا بها النيل من الأنبياء و المرسلين، ثم حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا، و تلقاها عنهم بعض الصحابة، و التابعين.

و إما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة، دسها عليهم أعداء الأديان، كى تروج تحت هذا الستار؛ و بذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد، و تعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة.

### الفريفة على المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم فى قوله تعالى: ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ... «١»

و لكى يؤيدوا باطلهم الذى ذكرناه آنفا، رروا عن الصحابة و التابعين ما لا يليق بمقام الأنبياء، و اختلقوا على النبى صلى الله عليه و آله و سلم زورا، و قولوه ما لم يقله، قال صاحب «الدر»:

و أخرج الفريابى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و أبو الشيخ، (١) يوسف / ٥٢.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢١

و البيهقى فى «شعب الإيمان» عن ابن عباس - رضوان الله عليه - قال: لما جمع الملك النسوة قال لهن: أنتن راودتن يوسف عن نفسه؟ قلن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصي حص الحق أنا راودته عن نفسه و إنه لمن الصادقين «١»، قال يوسف: ذلك ليعلم أنى لم أخنهُ بالغيب، فغمزه جبريل عليه السلام فقال: و لا حين هممت بها؟ فقال: و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء «٢».

قال: و أخرج ابن جرير عن مجاهد، و قتادة، و الضحاك، و ابن زيد، و السدى مثله، و

أخرج الحاكم فى تاريخه، و ابن مردويه و الديلمى عن أنس رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قرأ هذه الآية: ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ قال: لما قال يوسف ذلك قال له جبريل عليه السلام: و لا يوم هممت بما هممت به؟ فقال: و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء، قال: و أخرج ابن جرير عن عكرمة مثله.

و

أخرج سعيد بن منصور، و ابن أبى حاتم عن حكيم بن جابر فى قوله:

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ قال جبريل: و لا حين حلت السراويل؟

إلى غير ذلك من المرويات المكذوبة، و الإسرائيليات الباطلة، التى خرّجها بعض المفسرين الذين كان منهجهم ذكر المرويات، و جمع أكبر قدر منها، سواء منها ما صحّ و ما لم يصحّ. و الأخباريون الذين لا تحقيق عندهم للمرويات، و ليس أدل على ذلك من أنها لم يخرجها أحد من أهل الكتب الصحيحة، و لأصحاب الكتب المعتمدة الذين يرجع إليهم فى مثل هذا. (١) يوسف / ٥١.

(٢) يوسف / ٥٣.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٢

### القرآن يردّ هذه الأكاذيب

و قد فات هؤلاء الدسّاسين الكذابين أن قوله تعالى: ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ... الآيتين «١»، ليس من مقالة سيدنا يوسف عليه السلام و إنما هو من مقالة امرأة العزيز، و هو ما يتفق و سياق الآية، ذلك: أن العزيز لما أرسل رسوله إلى يوسف لإحضاره من السجن، قال له: ارجع إلى ربك، فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن؟ فأحضر النسوة، و سألهن، و شهدن براءة يوسف، فلم تجد امرأة العزيز بدا من الاعتراف، فقالت: الآن حصي حص الحق إلى قوله: و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء فكل ذلك من قولها؛ و لم يكن يوسف حاضرا ثم، بل كان فى السجن، فكيف يعقل أن يصدر منه ذلك فى مجلس التحقيق الذى عقده العزيز؟.

و قد انتصر لهذا الرأى الذى يوائم السياق و السباق الإمام الشيخ محمد عبده، فى تفسير «المنار». و هو آخر ما رقمه فى تفسير القرآن.

و هكذا قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ذلك ليعلم أنى لم أخنهُ بالغيب:

تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر. وإنما راودت هذا الشاب مراودة، فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث، وتمني؛ ولهذا راودته؛ لأن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي أي إلا من عصمه الله تعالى إن ربي عفور رحيم. (١) يوسف / ٥٢ و ٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٣

قال: وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاها الماوردي في تفسيره، وجعله أول الوجهين في تفسير الآية.

وبعد أن ذكر بعض ما ذكره ابن جرير الذي ذكرناه آنفا عن ابن عباس، وتلاميذه، وغيره قال: والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك «١». التفسير الصحيح لقوله تعالى: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا قَالَ أَبُو شَهْبَةَ: والصحيح في تفسير قوله تعالى: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ أَنْ الْكَلَامَ تَمَّ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ.

الكلام من قبيل التقديم والتأخير، والتقدير: ولو لا أن رأى برهان ربه لهم بها، فقوله تعالى: وَهَمَّ بِهَا، جواب «لولا» مقدم عليها، و معروف في العريية أن «لولا» حرف امتناع لوجود، أي امتناع الجواب لوجود الشرط؛ فيكون «الهم» ممتنعاً لوجود البرهان الذي ركزه الله في فطرته. والمقدم إما الجواب، أو دليله، على الخلاف في هذا بين النحويين، والمراد بالبرهان: هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنى، وهو شيء مركوز في فطر الأنبياء. ومعرفة ذلك عندهم وصل إلى عين اليقين، وهو ما نعبر عنه بالعصمة، وهي التي تحول بين الأنبياء والمرسلين، وبين وقوعهم في المعصية.

و يرحم الله

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث قال: البرهان: النبوة (١) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٨١-٤٨٢. و راجع تفسير الماوردي، ج ٣، ص ٤٧. و المنار، ج ١٢، ص ٣٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٤

التي أودعها الله في صدره، حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل.

وهذا هو القول الجزل الذي يوافق ما دل عليه العقل من عصمة الأنبياء، ويدعو إليه السابق واللاحق. وأما كون جواب «لولا» لا يجوز أن يتقدم عليها، فهذا أمر ليس ذا خطر، حتى نعدل عن هذا الرأي الصواب، إلى التفسيرات الأخرى الباطلة، لهم يوسف عليه السلام، والقرآن هو أصل اللغة، فورود أي أسلوب في القرآن يكفي في كونه أسلوباً عربياً فصيحاً، وفي تأصيل أي قاعدة من القواعد النحوية، فلا يجوز لأجل الأخذ بقاعدة نحوية، أن نقع في محذور لا يليق بالأنبياء كهذا.

والصحيح أن الجواب محذوف بقرينه المذكور، وهو ما تقدم على «لولا»؛ ليكون ذلك قرينه على الجواب المحذوف.

وقيل: إن ما حصل من «هم يوسف» كان خطرة، وحديث نفس بمقتضى الفطرة البشرية، ولم يستقر، ولم يظهر له أثره. قال البغوي في تفسيره: «قال بعض أهل الحقائق: الهم همان: هم ثابت، وهو إذا كان معه عزم، وعقد، ورضا، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به. وهم عارض، وهو الخطرة، وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به، ما لم يتكلم به أو يعمل» (١)، وقيل: هممت به هم شهوة وقصد للفاحشة، وهم هو بضر بها.

ولا أدري كيف يتفق هذا القول، وقوله تعالى: لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ.

والقول الجزل الفحل هو ما ذكرناه أولاً، و صرحت به الرواية الصحيحة عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. و

السّر في إظهاره في هذا الأسلوب - و الله أعلم -: تصوير المشهد المثير المغرى العرم، الذي هيأته امرأة العزيز لنبى الله يوسف، و أنه لو لا عصمة الله له، و فطرته النبوية الزكية، لكانت (١) تفسير البغوى، ج ٢، ص ٤١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٥

الاستجابة لها، و الهمّ بها أمراً محققاً. و فى هذا تكريم ليوسف، و شهادة له بالعفة البالغة، و الطهارة الفائقة.

### ١٩- الإسرائيليات فى سبب لبث يوسف فى السجن

و من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين فى مدة سجن يوسف عليه السّلام و فى سبب لبثه فى السجن بضع سنين، و ذلك عند تفسير قوله تعالى: «و قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاءَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ» (١).

فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبى، و البغوى، و غيرهم أقوالاً كثيرة فى هذا، فقد قال وهب بن متبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، و ترك يوسف فى السجن سبع سنين، و عذب بختنصر يجول فى السباع سبع سنين (٢).

و قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى: اذكرنى عند ربك. قيل له: يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا، لأطيلن حبسك، فبكى يوسف، و قال: يا ربّ أنسى قلبى كثرة البلوى؛ فقلت كلمه، و لن أعود.

و قال الحسن البصرى: دخل جبريل عليه السّلام على يوسف فى السجن، فلمّا رآه يوسف عرفه، فقال له: يا أخا المنذرين، إني أراك بين الخاطئين! فقال له جبريل:

يا طاهر يا ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين، و يقول لك: أما استحييت منى أن استشفعت بالآدميين؟! فو عزّتى و جلالى لألبشك فى السجن (١) يوسف / ٤٢.

(٢) لا ندرى ما المناسبة بين نبى الله، و بختنصر الذى أذلّ اليهود و سباهم؟.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٦

بضع سنين، فقال يوسف: و هو فى ذلك عنى راض، قال: نعم، قال: إذا لا أبالى.

و قال كعب الأحبار: قال جبريل ليوسف: إن الله تعالى يقول: من خلقك؟

قال: الله عزّ و جل قال: فمن حبيك إلى أبيك؟ قال: الله، قال: فمن نجاك من كرب البئر؟ قال: الله، قال فمن علّمك تأويل الرؤيا؟ قال الله، قال: فمن صرف عنك سوء، و الفحشاء؟ قال: الله، قال: فكيف استشفعت بآدمى مثلك؟ (١). فلما انقضت سبع سنين - قال

الكلبى: و هذه السبع سوى الخمسة (٢) التى قبل ذلك - جاء الفرج من الله، فرأى الملك ما رأى من الرؤيا العجيبة، و عجز الملاء عن تفسيرها، تذكّر الساقى يوسف، و صدق تعبيره للرؤى، فذهب إلى يوسف، فعبرها له خير تعبير؛ فكان ذلك سبب نجاته من السجن، و

قول امرأة العزيز:

الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ.

و أغلب الظن عندنا أن هذا من الإسرائيليات، فقد صوّرت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التى قالها، مع أنه عليه السّلام لم يقل هجراً، و لا منكرأ، فالأخذ فى أسباب النجاة العاديّة، و فى أسباب إظهار البراءة و الحق، لا ينافى قط التوكّل على الله

تعالى. و البلاء للأنبياء ليس عقوبة، و إنما هو لرفع درجاتهم، و ليكونوا أسوة و قدوة لغيرهم، فى باب الابتلاء. و

فى الحديث الصحيح عن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل».

و

قد روى ابن جرير هاهنا حديثاً مرفوعاً، فقال: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار،

عن عكرمة، عن ابن (١) تفسير البغوى، ج ٢، ص ٤٢٨.

(٢) بعض المفسرين لا يكتفى بالسبع بل يضم إليها خمسا قبل ذلك. و لا أدري ما مستنده في هذا؟ و ظاهر القرآن لا يشهد له. و لو كان كذلك لصرح به القرآن، أو أشار إليه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٧

عباس مرفوعا، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «لو لم يقل - يعنى يوسف - الكلمة التي قالها، ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يتبغى الفرج من عند غير الله».

و لو أن هذا الحديث كان صحيحا أو حسنا؛ لكان للمتمسكين بمثل هذه الإسرائيليات التي أظهرت سيدنا يوسف بمظهر الرجل المذنب المدان و جهة، و لكن الحديث شديد الضعف، لا يجوز الاحتجاج به أبدا.

قال الحافظ ابن كثير: «و هذا الحديث ضعيف جدا «١»؛ لأن سفيان بن وكيع - الراوى عنه ابن جرير - ضعيف، و إبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضا، و قد روى عن الحسن و قتادة مرسل عن كل منهما، و هذه المرسلات هاهنا لا تقبل «٢»، و لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، و الله أعلم «٣». و قد تكلف بعض المفسرين للإجابة عما يدل عليه هذا الحديث. و حاله كما سمعت. بل تكلف بعضهم، فجعل الضمير في «فأنساه» ليوسف، و هو غير صحيح، لأن الضمير يعود إلى الذى نجا منهما؛ بدليل قوله تعالى بعد ذلك: وَ أَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ... فالذى تذكر هو الذى أنساه الشيطان، و الذى يجب أن نعتقه أن يوسف عليه السلام مكث في السجن - كما قال الله تعالى - بضع سنين.

و البضع: من الثلاث إلى التسع، أو إلى العشر، من غير تحديد للمدة، فجائز أن تكون سبعا، و جائز أن تكون تسعا، و جائز أن تكون خمسا، ما دام ليس هناك نقل صحيح عن المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، و كذلك نعتقد أنه لم يكن عقوبة على كلمة، (١) الضعيف جدا لا يحتج به لا فى الأحكام و لا فى الفضائل، فما بالك فى مثل هذا؟

(٢) لأن المرسل احتج به بعض المحدثين إذا تضافر أما فى مثل هذا الذى فيه إدانته بعض الأنبياء، و إلقاء اللوم عليه فلا.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٨

و إنما هو بلاء و رفعة درجة.

## ٢٠ - الإسرائيليات فى شجرة طوبى

و من الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَا بَ «١».

فمن ذلك ما

رواه ابن جرير بسنده، عن وهب، قال: إن فى الجنة شجرة يقال لها: طوبى، يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرتها رياض، و ورقها برود، و قضبانها عنبر، و بطحاؤها ياقوت، و ترابها كافور، و وحلها مسك؛ يخرج من أصلها أنهار الخمر، و اللبن، و العسل، و هى مجلس لأهل الجنة، فبينما هم فى مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم، يقودون نجبا «٢» مزومة بسلاسل من ذهب، و جوهها كالمصابيح حسنا، و وبرها كخز المرعى من لينه، عليها رحال «٣» ألواحها من ياقوت، و دفوفها من ذهب، و ثيابها من سندس، و إستبرق، فينخونها، و يقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه، و تسلّموا عليه. قال:

فيركبونها فى أسرع من الطائر، و أوطأ من الفراش، نجبا من غير مهنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه، و هو يكلمه، و يناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى، و لا برك «٤» راحلة برك الأخرى، حتى أن الشجرة لتتنحى عن طريقهم، لئلا تفرق بين الرجل و أخيه.

قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيسفر لهم عن وجهه (١) الرعد / ٢٩.

(٢) أى إبلا كراما.



(٣) الرحال: ما يوضع على البعير ليركب عليه.

(٤) البرك: الصدر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٢٩

الكريم، حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: «اللهم أنت السلام، و منك السلام، و حق لك الجلال و الإكرام. قال: فيقول تعالى عند ذلك: أنا السلام، و منى السلام، و عليكم السلام، حقّت رحمتي، و محبّتي، مرحبا بعبادى الذين خشوني بغيب، و أطاعوا أمرى. قال: فيقولون: ربنا لم نعبدك حق عبادتك، و لم نقدرك حق قدرك، فأذن لنا فى السجود قدّامك. قال: فيقول الله: إنها ليست بدار نصب، و لا-عبادة، و لكنها دار ملك و نعيم، و إنى قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلونى ما شئتم، فإنّ لكل رجل منكم أمّيته. فيسألونه، حتى أن أقصرهم أمّيته ليقول: ربّى تنافس أهل الدنيا فى دنياهم، فتضايقوا فيها، ربّ فأتنى كل شىء كانوا فيه، من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا، فيقول الله تعالى: لقد قصرت بك أمنيتك، و لقد سألت دون منزلتك، هذا لك منى و سأتحفك بمنزلتى؛ لأنه ليس فى عطائى نكد، و لا قصر يد. قال: ثم يقول: أعرضوا على عبادى ما لم يبلغ أمانيتهم و لم يخطر لهم على بال. قال: فيعرضون عليهم حتى يقضوهم أمانيتهم التى فى أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرّنه، على كل أربعة منها سرير من ياقوته واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة، فى كل قبة منها فرش من فرش الجنة، متظاهرة، فى كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة. و ليس فى الجنة لون إلّا و هو فيهما، و لا ریح و لا طيب إلّا قد عقب بهما، ينفذ ضوء و جوههما غلظ القبة، حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض من ياقوته حمراء، تريان له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، و يرى هو لهما مثل ذلك. ثم يدخل إليهما فتحيا بهما و تقبلانه، و تعانقانه، و تقولان له: و الله ما ظننا أن الله يخلق مثلك. ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفا فى الجنة، حتى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٠

ينتهى كل رجل منهم إلى منزلته التى أعدت له «١».

و قد وصف ابن كثير فى تفسيره هذا الأثر بأنه غريب عجيب و ساقه. و قد روى هذا الأثر ابن أبى حاتم بسنده، عن وهب أيضا، و زاد زيادات أخرى «٢».

## ٢١- الإسرائيليات فى إفساد بنى إسرائيل

### إشارة

و من الإسرائيليات فى كتب التفسير ما يذكره بعض المفسرين عند قوله تعالى: وَ قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ تَغْلِبُنَّ عُلُوكَ كَبِيرًا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَ كَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا. ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا، إِنْ أَحْسَيْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمْتُمْ نَفْسًا تَبِيْرًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا «٣».

و ليس من قصدنا هنا تحقيق مرّتى إفسادهم، و من سلط عليهم فى كلتا المرّتين، فلذلك موضع آخر «٤». (١) تفسير الطبرى، عند

تفسير هذه الآية، ج ١٣، ص ١٤٨ (ط ٢)، الدر المنثور، ج ٤، ص ٦٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٥١٣. و تفسير البغوى، ج ٣، ص ١٨.

(٣) الإسرائاء / ٤- ٨.

(٤) الذى نرجحه أن العباد ذوى البأس الشديد الذين نكلوا بهم، و أذلوهم، و سبوهم، هم

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣١

و إنما الذى يتصل ببحثنا بيان ما روى من الإسرائيليات فى هاتين المرتين، و اسم من سلط عليهم، و صفته و كيف كان، و إلى مصار أمره، و قد كانت معظم الروايات فى بيان العباد ذوى البأس الشديد الذين سلطوا عليهم، تدور حول «بختنصر» البابلى. و قد أحاطوه بهالة من العجائب و الغرائب، و المبالغات التى لا تصدق. و قد أخرج هذه الروايات ابن جرير فى تفسيره- و أكثر منها جدا «١»- و ابن أبى حاتم و البغوى «٢»، و غيرهم، عن ابن عباس، و ابن مسعود، و عن سعيد بن جبير، و سعيد بن المسيب، و عن السدى، و عن وهب بن متبه، و ابن إسحاق، و غيرهم. و خرّجها من غير ذكر أسانيدها، مع عزوها إلى مخرجها السيوطى فى «الدر المنثور» «٣».

و فيها- و لا شك- الكثير من أكاذيب بنى إسرائيل التى اختلقها أسلافهم، و تنقلت عليهم، و رواه أخلافهم من مسلمة أهل الكتاب الذين أسلموا، و أخذها عنهم بعض الصحابة و التابعين تحسينا للظن بهم، و رواها من غير تنبيه إلى ما فيها. و فى هذه الأخبار الإسرائيلية ما يحتمل الصدق و الكذب، و لكن الأولى عدم الاشتغال به، و أن لا نفس القرآن به، و أن نقف عند ما قصه الله علينا، من غير أن نفسد جمال القرآن و جلاله، بمثل هذه الإسرائيليات. بختنصر و جنوده، و أن الآخريين الذين أساءوا و جوههم، و دخلوا المسجد الأقصى هم «طيطوس» الرومانى و جيوشه، فقد أساموهم سوء العذاب، و تأمل فى قوله: «و إن عدتم عدنا» فإنه يدل على أنهم سيعودون ثم يفسدون، فيرسل الله لهم من يسومهم العذاب ألوانا.

(١) تفسير الطبرى، ج ١٥، ص ١٦-٣٤.

(٢) تفسير البغوى، ج ٥، ص ١٤٤-١٥٤.

(٣) ج ٤، ص ١٦٣-١٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٢

و قد أكثر ابن جرير هنا من النقل عن ابن إسحاق، و فى بعضها روى عن ابن إسحاق عمن لا يتهم، عن وهب بن متبه «١»، و فى بعضها بسنده عن وهب بن متبه فى ذكر ابن إسحاق، و بذلك وقفنا على من كان المصدر الحقيقى لهذه المرويات، و أنه وهب، و أمثاله، من مسلمة أهل الكتاب.

و قد سؤد ابن جرير بضع صفحات من كتابه فى النقل عن ابن إسحاق و عن وهب، و لا- أحب أن أنقل هذا بنصه، فإنّ فى ذلك تسويدا للصفحات، و لكنى سأذكر البعض؛ ليكون القارئ لهذا التفسير على حذر من مثل ذلك.

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال: قال حدثنى ابن إسحاق قال: «كان مما أنزل الله على موسى «٢» فى خبره عن بنى إسرائيل، و فى أحداثهم، ما هم فاعلون بعده، فقال: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا «٣» إلى قوله: وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا.

فكانت بنو إسرائيل و فيهم الأحداث و الذنوب، و كان الله فى ذلك متجاوزا عنهم متعظفا عليهم، محسنا إليهم، فكان مما أنزل بهم فى ذنوبهم ما كان قدم إليهم فى الخبر على لسان موسى، مما أنزل بهم فى ذنوبهم، فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع: أن ملكا منهم كان يدعى صديقه، و كان الله إذا ملك الملك عليهم بعث نبيا يسدده، و يرشده، و يكون فيما بينه و بين الله، و يحدث إليه فى أمرهم لا ينزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة، و الأحكام التى فيها، و ينهونهم (١) تفسير الطبرى، ج ١٥، ص ٢٩.

(٢) المراد أنزل معناه لا لفظه، فالتوراة لم تكن بالعربية، و لا كان لسان موسى عليه السلام عربيا.

(٣) الإسراء / ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٣

عن المعصية، و يدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة. فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أمصيا، و ذلك قبل مبعث زكريا، و يحيى و عيسى، و شعيا الذى بشر بعيسى، و محمد، فملك ذلك الملك بنى إسرائيل، و بيت المقدس زمانا، فلما انقضى ملكه،

عظمت فيهم الأحداث، و شعياء معه، بعث الله عليهم «سنجاريب» ملك بابل، و معه ستمائة ألف راية «١»، فأقبل سائرا، حتى نزل نحو بيت المقدس، و الملك مريض، في ساقه قرحة، فجاء النبي شعياء، فقال له: يا ملك بنى إسرائيل إن «سنجاريب» ملك بابل قد نزل بك هو و جنوده، ستمائة ألف راية، و قد هابهم الناس، و فرقوا «٢» منهم. فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبي الله، هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به؟ كيف يفعل الله بنا، و بسنجاريب و جنوده؟ فقال له النبي عليه السلام: لم يأتني وحى، أحدث إلى في شأنك، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبي أن اتت ملك بنى إسرائيل فمره أن يوصى وصيته، و يستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته، فإنك ميت.

ثم استرسل ابن جرير في الرواية، حتى استغرق ذلك أربع صفحات كبار من كتابه «٣»، لا يشك الناظر فيها أنها من أخبار بنى إسرائيل، و فيما ذكره ابن جرير عن ابن إسحاق الصدق، و الكذب، و الحق، و الباطل و لسنا في حاجة إليه في تفسير الآيات. و في الإفساد الثانى - و من سلط عليهم -

روى ابن جرير أيضا، قال: حدثنى محمد بن سهل بن عسكر، و محمد بن عبد الملك بن زنجويه، قالوا: حدثنا (١) من المبالغات التى لا تصدق، و كن على ذكر مما نقلناه عن العلامة ابن خلدون فيما سبق.

(٢) أى خافوا.

(٣) ج ١٥، ص ١٨ - ٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٤

إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثنا ابن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه.

و حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني - و اللفظ لحديث ابن حميد أنه كان يقول - يعنى وهب بن منبه.

قال الله تبارك و تعالى لأرميا حين بعثه نبيا إلى بنى إسرائيل: يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك. و لأمر عظيم اختبأتك، فبعث الله «أرميا» إلى ذلك الملك من بنى إسرائيل، يسدده، و يرشده و يأتيه بالخبر من الله فيما بينه، و بين الله، قال:

ثم عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل، و ركبوا المعاصى، و استحلوا المحارم، و نسوا ما كان الله سبحانه و تعالى صنع بهم، و ما نجاهم من عدوهم «سنجاريب» و جنوده، فأوحى الله إلى أرميا: أنت اتت قومك من بنى إسرائيل، و اقصص عليهم ما أمرك به، و ذكرهم نعمتى عليهم، و عرّفهم أحداثهم.

و استرسل وهب بن منبه فيما يذكره من أخبار بنى إسرائيل، حتى استغرق ذلك من تفسير ابن جرير ثلاث صفحات كبار «١» إلى غير ذلك، مما ذكره ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و غيرهما، من قصص عجيب غريب فى «بختنصر» هذا، و ما خرب من البلاد و ما قتل من العباد.

### الكذب على رسول الله بنسبة هذه الإسرائيليات إليه

و لو أن هذه الإسرائيليات و الأباطيل وقف بها عند روايتها من أهل الكتاب الذين أسلموا، أو عند من رواها عنهم من الصحابة و التابعين لهان الأمر، و لكن عظم الإثم أن تنسب هذه الإسرائيليات إلى المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم صراحة، و لا أشك أن هذا الدس من عمل زنادقة اليهود. (١) ج ١٥، ص ٢٩ - ٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٥

روى ابن جرير فى تفسيره، قال: حدثنا عصام بن داود بن الجراح، قال:

حدثنا أبى، قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثورى، قال: حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربعى بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان

يقول: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «إن بني إسرائيل لما اعتدوا، وعلوا، وقتلوا الأنبياء، بعث الله عليهم ملك فارس (بختنصر)، وكان الله ملكه سبعمائة سنة» (١)، فسار إليهم، حتى دخل بيت المقدس، فحاصرها، وفتح، وقتل على دم زكريا سبعين ألفاً، ثم سبى أهلها، وبنى الأنبياء، وسلب حلّى بيت المقدس، واستخرج منها سبعين ألفاً، ومائة ألف عجله من حلّى، حتى أورها بابل» (٢)، قال حذيفة: فقلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيماً عند الله، قال: أجل، بناه سليمان بن داود من ذهب، ودر، وياقوت، وزبرجد، وكان بلاطه من ذهب، وبلاطه من فضة، وعمده ذهباً، أعطاه الله ذلك، وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء في طرفه عين، فسار (بختنصر) بهذه الأشياء، حتى دخل بها بابل، فأقام بنو إسرائيل في يديه مائة سنة، تعذبهم المجوس، وأبناء المجوس، فيهم الأنبياء، وأبناء الأنبياء، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس - يقال له: (كورش) و كان مؤمناً - أن سر إلى بقايا بني إسرائيل حتى تستنقذهم، فسار (كورش) ببني إسرائيل، وحلّى بيت المقدس، حتى رده إليه.

فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مائة سنة، ثم إنهم عادوا في المعاصي، فسلب الله عليهم (بطيانموس)، فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر، فغزا بني إسرائيل، حتى أتاهم (١) و أى جرم أعظم من أن ينسب هذا التخريف إلى النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم؟ (٢) مبالغات و أكاذيب تنزه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم عنها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٦

بيت المقدس، فسبى أهلها، وأحرق بيت المقدس، وقال لهم: يا بني إسرائيل، إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبأ، فعادوا في المعاصي، فسبى الله عليهم السبأ الثالث، ملك رومية، يقال له: (فاقس بن اسبايوس) (١) فغزاهم في البر والبحر فسباهم، وسبى حلّى بيت المقدس، وأحرق بيت المقدس بالنيران، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: هذا من صنعة حلّى بيت المقدس، ويرده المهدي إلى بيت المقدس، وهو ألف سفينة، وسبعمائة سفينة، يرسى بها على «يافا»، حتى تنقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخريين. والغريب من ابن جرير، كيف استجاز أن يذكر هذا الهراء، وهذه التخريفات عن المعصوم صَلَّى الله عليه وآله وسلم، وكان عليه أن يصون كتابه عن أن يسوّده بأمثال هذه المرويات الباطلة (٢).

قال الإمام الحافظ ابن كثير:

«وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة مرفوعاً مطوّلاً، وهو حديث موضوع لا محالته، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالته قدره، وإمامته، وقد صرح شيخنا أبو الحجاج المزى بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب - يعني كتاب تفسير ابن جرير - وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية، لم أر تطويل الكتاب بذكرها؛ لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً، ونحن في غنيّة عنها ولله الحمد، وفيما قص الله علينا في كتابه غنيّة عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله، ولا رسوله إليهم، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا، سلط الله عليهم عدوّهم، (١) في تفسير البغوى «فاقس بن استيانوس».

(٢) تفسير الطبري، ج ١٥، ص ١٧ - ١٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٧

فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم، وأذلّهم، وقهرهم جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً كثيراً من الأنبياء والعلماء (١).

قال أبو شهبة: وهذا هو الحق الذي ينبغي أن يصار إليه في الآيه، والقصاص القرآني لا يعني بذكر الأشخاص، ولا الأماكن؛ لأن الغرض منه العبرة، والتذكير، والتعليم والتأويل. والذي دلّت عليه الآيه أنهم أفسدوا مرتين في الزمن الأول، وظلموا وبغوا، فسلب الله عليهم في الأولى من أذلهم وسباهم، ولا يعني أن يكون هذا (سنجاريب) أو (بختنصر) و جيشه؛ إذ لا يترتب على العلم به فائدة تذكر، وسلط الله عليهم في الثانية من أذلهم، وساء وجوههم، ودخل المسجد الأقصى، فأفسد فيه، ودمّر، ولا يعني أن يكون هذا

الذى نكل بهم هو (طيطوس) الرومانى أو غيره؛ لأن المراد من سياق قصته: ما قضاه الله على بنى إسرائيل أنهم أهل فساد، و بطر، و ظلم، و بغى، و أنهم لما أفسدوا و طغوا، و تجبروا سَاطَ الله عليهم من عباده من نكل بهم، و أذلهم، و سباهم، و شردهم، ثم إن الآيات دلت أيضا على أن بنى إسرائيل لا يقف طغيانهم، و بغيتهم، و إفسادهم عند المرتين الأوليين، بل الآية توحى بأن ذلك مستمر إلى ما شاء الله، و أن الله سيسلط عليهم من يسومهم العذاب، و يبطش بهم، و يرد ظلمهم و عدوانهم، قال عز شأنه: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُزَحِّمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا «٢»، أليس فى قوله هذا إنذار و وعيد لهم إلى يوم القيامة؟! بلى.

و ما يؤكد هذا الإنذار و الوعيد قوله تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ (١) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٢٥. و تفسير البغوى، ج ٣، ص ٩٧-١٠٥.

(٢) الإسراء / ٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٨

رَحِيمٌ «١»، فهل يسلط الله عليهم اليوم من يردّ ظلمهم و بغيتهم، و طردهم أهل فلسطين من ديارهم، و اغتصاب الديار، و استئلال العباد، و استهانتهم بالقيم الخلقية، و الحقوق الإنسانية؟

ذلك ما نرجو، و ما ذلك على المسلمين بعزير، لو وَّحِدُوا الكلمة، و جمعوا الصفوف، و أخذوا الحذر و الأهبأ، و أعدوا لهم العدة، فاللهم حَقِّقْ و أعن.

## ٢٢- الإسرايليات فى قصة أصحاب الكهف

و من قصص الماضين التى أكثر فيها المفسرون من ذكر الإسرايليات قصية أصحاب الكهف، فقد ذكر ابن جرير، و ابن مردويه، و غيرهما الكثير من أخبارهم التى لا يدلّ عليها كتاب الله تعالى، و لا يتوقف فهم القرآن و تدبره عليها.

فمن ذلك ما ذكره ابن جرير فى تفسيره، عن ابن إسحاق، صاحب السيرة فى قصيتهم، فقد ذكر نحو ثلاث و رقات، و ذكر عن وهب بن متبه، و ابن عباس و مجاهد أخبارا كثيرة أخرى «٢»، و كذلك ذكر السيوطى فى «الدر المنثور» «٣»، الكثير ممّا ذكره المفسرون عن أصحاب الكهف، عن هويتهم، و من كانوا؟ و فى أى زمان و مكان وجدوا؟ و أسمائهم؟ و اسم كلبهم؟ و أ هو قظمير أم غيره؟ و عن لونه أ هو أصفر أم أحمر؟ بل روى ابن أبى حاتم من طريق سفيان، قال: رجل بالكوفة يقال له: عبيد- و كان لا يتهم بالكذب- قال: رأيت كلب أصحاب الكهف (١) الأعراف / ١٦٧.

(٢) تفسير الطبرى، ج ١٥، ص ١٣٣ و ما بعدها.

(٣) الدر المنثور، ج ٤، ص ٢١١-٢١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٣٩

أحمر، كأنه كساء أنبجاني «١»، و لا أدرى كيف كان لا يتهم بالكذب، و ما زعم كذب لا شك فيه، فهل بقى كلب أصحاب الكهف حتى الإسلام؟! و كذلك ذكروا أخبارا غرائب فى الرقيم، فمن قائل: إنه قريه، و روى ذلك عن كعب الأحبار، و من قائل: إنه واد بفلسطين، بقرب أيله، و قيل: اسم جبل أصحاب الكهف إلى غير ذلك. مع أن الظاهر أنه كما قال كثير من السلف: إنه الكتاب أو الحجر الذى دون فيه قصيتهم و أخبارهم، أو غير ذلك، مما الله أعلم به، فهو فعيل بمعنى مفعول، أى مرقوم، و فى الكتاب الكريم: وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيَّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ «٢» وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنُ كِتَابٌ مَرْقُومٌ «٣».

و فى هذه الأخبار: الحق و الباطل، و الصدق و الكذب، و فيها ما هو محتمل للصدق و الكذب، و لكن فيما عندنا غنية عنه، و لا فائدة من الاشتغال بمعرفته و تفسير القرآن به، كما أسلفنا، بل الأولى و الأحسن أن نضرب عنه صفحا، و قد أدبنا الله بذلك؛ حيث قال لنبه بعد ذكر اختلاف أهل الكتاب فى عدد أصحاب الكهف: قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَ لَا

تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا «٤».

و غالب ذلك ما أشرنا إليه و غيره متلقى عن أهل الكتاب الذين أسلموا.

و حمله عنهم بعض الصحابة و التابعين لغرابته و العجب منه، قال ابن كثير في تفسيره: «و في تسميتهم بهذه الأسماء، و اسم كلبهم، نظر في صحته و الله أعلم- (١) نسبة إلى أنبج بلد تعرف بصنع الأكسية.

(٢) المطففين / ١٩ و ٢٠.

(٣) المطففين / ٨ و ٩.

(٤) الكهف / ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٠

فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب، و قد قال تعالى: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا أَى سَهْلًا هَيِّنًا لِينَا، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا أَى فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا مَا يَقُولُونَهُ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، رَجْمًا بِالْغَيْبِ، أَى مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى كَلَامِ مَعْصُومٍ، وَ قَدْ جَاءَ كَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدَ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، فَهُوَ الْمَقْدَمُ عَلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ الْكُتُبِ وَ الْأَقْوَالِ «١».

## ٢٣- الإسرائيليات في قصة ذي القرنين

### إشارة

و من الإسرائيليات التي طفحت بها بعض كتب التفسير ما يذكرونه في تفاسيرهم، عند تفسير قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبِعْ سَبَبًا... «٢»

و

قد ذكر ابن جرير في تفسيره بسنده، عن وهب بن متبه اليماني- و كان له علم بالأحاديث الأولى- أنه كان يقول: «ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، و كان اسمه الإسكندر، و إنما سُمي ذا القرنين؛ أن «٣» صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ و كان عبدا صالحا، قال الله عزّ و جل له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، و هي أمم مختلفة ألسنتهم، و هم جميع أهل الأرض، و منهم أمتان بينهما طول الأرض كله، و منهم أمتان بينهما عرض الأرض (١) تفسير ابن كثير عند قوله تعالى:

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ، ج ٣، ص ٧٨.

(٢) الكهف / ٨٣ و ما بعدها.

(٣) أي لأن.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤١

كله، و أمم في وسط الأرض منهم الجن و الإنس، و يأجوج و مأجوج.

ثم استرسل في ذكر أوصافه، و ما وهبه الله من العلم و الحكمة، و أوصاف الأقوام الذين لقيهم، و ما قال لهم، و ما قالوا له، و في أثناء ذلك يذكر ما لا يشهد له عقل و لا نقل. و قد سؤد بهذه الأخبار نحو أربعة صحائف من كتابه «١»، و كذلك ذكر روايات أخرى في سبب تسميته بذى القرنين، بما لا يخلو عن تخليط و تحبظ. و قد ذكر ذلك- عن غير ابن جرير- السيوطي في «الدر»، قال: «و أخرج ابن إسحاق، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الشيرازي في الألقاب، و أبو الشيخ، عن وهب بن متبه اليماني- و كان له علم بالأحاديث الأولى- أنه كان يقول: كان ذو القرنين رجلا من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، و كان اسمه الإسكندر، و إنما سُمي ذا القرنين؛ أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس... «٢» و أنا لا- أشك في أن ذلك مما تلقاه وهب عن كتبهم، و فيها ما فيها من

الباطل و الكذب، ثم حملها عنه بعض التابعين، و أخذها عنهم ابن إسحاق و غيره من أصحاب كتب التفسير و السير و الأخبار. و لقد أجاد و أفاد الإمام الحافظ ابن كثير، حيث قال في تفسيره: «و قد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا، عجيبا في سير ذي القرنين، و بنائه السد، و كيفية ما جرى له، و فيه طول، و غرابه، و نكارة، في أشكالهم، و صفاتهم و طولهم، و قصر بعضهم، و آذانهم. و روى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة، لا تصح أسانيدھا، و الله أعلم» (٣). و حتى لو صح الإسناد فيها، فلا شك في أنها من الإسرائيليات؛ لأنه لا تنافي بين الأمرين، فهي صحيحة (١) جامع البيان، ج ١٦، ص ١٤-١٨.

(٢) الدر المنثور، ج ٤، ص ٢٤٢-٢٤٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٤. و تفسير البغوي، ج ٣، ص ١٧٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٢

إلى من رويت عنه، لكنها في نفسها من قصص بني إسرائيل الباطل، و أخبارهم الكاذبة.

و لو أن هذه الإسرائيليات وقف بها عند منابعها، أو من حملها عنهم من الصحابة و التابعين؛ لكان الأمر محتملا، و لكن الإثم، و كبر الكذب أن تنسب هذه الأخبار إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و لو أنها كما أسلفنا كانت صحيحة في معناها و مبناها لما حل نسبتها إلى رسول الله أبدا، فما بالك و هي أكاذيب ملفقة، و أخبار باطلة؟! و

قد روى ابن جرير و غيره عند تفسير قوله تعالى: وَ يَسْتَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ ... حديثا مرفوعا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «حدثنا أبو كريب قال: حدثنا زيد بن حباب، عن ابن لهيعة، قال: حدثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن شيخين من تجيب، أنهما انطلقا إلى عقبه بن عامر، فقالا له: جئنا لتحدثنا، فقال: كنت يوما أخدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه فأخبرته، فقال: ما لي و ما لهم، ما لي علم إلا ما علمني الله، ثم قال: اكسب لي ماء، فتوضأ، ثم صَلَّى، قال: فما فرغ حتى عرفت السرور على وجهه، ثم قال: أدخلهم علي، و من رأيت من أصحابي، فدخلوا، فقاموا بين يديه، فقال: إن شئتم سألتكم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا.

و إن شئتم أخبرتكم، قالوا: بلى، أخبرنا، قال: جئتم تسألون عن ذي القرنين، و ما تجدونه في كتابكم: كان شابا من الزوم، ف جاء، فبنى مدينة مصر الإسكندرية، فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء، فقال له: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، و مدائن، ثم علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ثم علا به، فقال: ما ترى؟

قال: أرى الأرض، قال: فهذا اليم محيط بالدنيا، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل، و تثبت العالم، فأتى به السد، و هو جبلان لبنان يزلق عنهما كل شيء، ثم مضى به

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٣

حتى جاوز يأجوج و مأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى، و جوههم وجوه الكلاب، يقاتلون يأجوج و مأجوج، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين و جوههم وجوه الكلاب؛ ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم «١»، ثم عقب ذلك بسرد المرويات في سبب تسميته بذى القرنين.

و ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٢) مثل ذلك، و قال: إنه أخرجه ابن عبد الحكم في «تاريخ مصر»، و ابن أبي حاتم، و أبو الشيخ، و البيهقي في «الدلائل».

و كل هذا من الإسرائيليات التي دسّت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و لو شئت أن أقسم بين الركن و المقام أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما قال هذا، لأقسمت، و ابن لهيعة ضعيف في الحديث.

و قد كشف لنا الإمام الحافظ ابن كثير عن حقيقة هذه الرواية في تفسيره، و أنحى باللائمة على ما رواها،

فقال: «وقد أورد ابن جرير هاهنا، و الأُموي في مغازيه، حديثاً أسنده- و هو ضعيف- عن عقبه بن عامر: أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عن ذى القرنين، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداءً، فكان فيما أخبرهم به: أنه كان شاباً من الروم، و أنه بنى الإسكندرية، و أنه علا به ملك في السماء و ذهب به إلى السد، و رأى أقواماً وجوههم مثل وجوه الكلاب.»  
و فيه طول و نكارة، و رفعه لا يصح، و أكثر ما فيه أنه من أخبار بنى إسرائيل.  
و العجب أن أبا زرعة الرازى مع جلاله قدره ساقه بتمامه في كتاب «دلائل النبوة» و ذلك غريب منه، فيه من النكارة أنه من الروم، و إنما الذى كان من الروم (١) جامع البيان، ج ١٦، ص ٧ و ٨.  
(٢) ج ٤، ص ٢٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٤

الإسكندر الثانى، و هو ابن فيلبس المقدونى، الذى تُوِّخ به الروم، و كان وزيره أرسطاطاليس، الفيلسوف المشهور، و الله أعلم «١».

### و من هو ذو القرنين؟

قال أبو شهبة: و الذى نقطع به أنه ليس الإسكندر المقدونى؛ لأن ما ذكره المؤرخون فى تاريخه لا يتفق و ما حكاه القرآن الكريم عن ذى القرنين، و الذى نقطع به أيضاً أنه كان رجلاً- مؤمناً صالحاً، ملك شرق الأرض و غربها، و كان من أمره ما قصه الله تعالى فى كتابه، و هذا ما ينبغى أن نؤمن به، و نصدقه. أما معرفه هويته، و ما اسمه؟، و أين، و فى أى زمان كان؟ فليس فى القرآن، و لا فى السنه الصحيحه ما يدلّ عليه، على أن الاعتبار بقصته، و الانتفاع بها، لا يتوقف على شىء من ذلك، و تلك سمه من سمات القصص القرآنى، و خصيصه من خصائصه أنه لا يعنى بالأشخاص، و الزمان، و المكان، مثل ما يعنى بانتزاع العبره منها، و الاستفادة منها، فيما سيق له.

### ٢٤- الإسرائيليات فى قصه يأجوج و مأجوج

#### إشارة

من الإسرائيليات التى اتسمت بالغرابة، و الخروج عن سنه الله فى الفطره، و خلق بنى آدم ما ذكره بعض المفسرين فى تفاسيرهم، عند قوله تعالى: قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج و مأجوج مُفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا و بينهم سداً «٢». (١) تفسير ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: و يسئلونك عن ذى القرنين، ج ٣، ص ١٠٠.  
(٢) الكهف / ٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٥

فقد ذكروا عن يأجوج و مأجوج الشىء الكثير من العجائب و الغرائب،

قال السيوطى فى «الدر المنثور» «١»: أخرج ابن أبى حاتم، و ابن مردويه، و ابن عدى، و ابن عساكر، و ابن النجار، عن حذيفه قال: سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عن يأجوج، و مأجوج، فقال: «يأجوج و مأجوج أمة، كل أمة أربعمائه ألف أمة، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كل حمل السلاح». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز». قلت: و ما الأرز؟ قال: «شجر بالشام طول الشجرة عشرون و مائة ذراع فى السماء. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل، و لا حديد. و صنف منهم يفترش إحدى أذنيه، و يلتحف بالأخرى، لا يمزون بفيل، و لا وحش، و لا جمل، و لا خنزير إلا أكلوه، و من مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام و ساقتهم يشربون أنهار المشرق، و بحيرة طبرية».  
و قد ذكر ابن جرير فى تفسيره هذه الرواية و غيرها من الروايات الموقوفة، و كذلك صنع القرطبى فى تفسيره. و إذا كان بعض



الزنادقة استباحوا لأنفسهم نسبة هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف استباح هؤلاء الأئمة ذكر هذه المرويات المختلفة المكذوبة على رسول الله في كتبهم؟! وهذا الحديث المرفوع نص الإمام أبو الفرج ابن الجوزي - في موضوعاته وغيره - على أنه موضوع، و وافقه السيوطي في «الثالث» (٢) فكيف يذكره في تفسيره ولا يعقب عليه؟! وحق له أن يكون موضوعا، فالمعصوم صلى الله عليه وآله وسلم أجل من أن يروى عنه مثل (١) ج ٥، ص ٢٥٠ و ٢٥١.

(٢) الثالث المصنوعة في الأحاديث الموضوعه، ج ١، ص ١٧٣ فما بعد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٦

هذه الخرافات. و في كتب التفسير من هذا الخلط و أحاديث الخرافة شيء كثير، و رروا في هذا عن عبد الله بن عمرو، و عبد الله بن عمر، و عبد الله بن مسعود، و عن كعب الأحبار. و لكي تتأكد أن ما رفع إلى رسول الله إنما هي إسرائيليات، و قد نسبت إلى النبي زورا و كذبا، نذكر لك ما روى عن كعب، قال: «خلق يأجوج و مأجوج، ثلاثة أصناف: صنف كالأرز، و صنف أربعة أذرع طول، و أربعة أذرع عرض، و صنف يفتشون آذانهم، و يلتحفون بالأخرى، يأكلون مشائم (١) نسائهم».

و على حين نراهم يذكرون من هول و عظم خلقهم ما سمعت؛ إذ هم يروون عن ابن عباس رحمهما الله أنه قال: «إن يأجوج و مأجوج شبر، و شبران، و أطولهم ثلاثة أشبار، و هم من ولد آدم»، بل

رروا عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثنى الله ليلة أسرى بي إلى يأجوج و مأجوج، فدعوتهم إلى دين الله و عبادته فأبوا أن يجيبوني، فهم في النار، مع من عصى من ولد آدم و إبليس».

و العجب أن السيوطي قال عن هذا الحديث: إن سنده واه. و لا أدري لم ذكره مع و هاء سنده؟! و

قال في تفسيره: و أخرج عبد بن حميد، و ابن المنذر، و الطبراني و البيهقي في البعث، و ابن مردويه، و ابن عساکر عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن يأجوج و مأجوج من ولد آدم، و لو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم، و لا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا، و إن من ورائهم ثلاث أمم: تاويل، و تاريس، و منسك».

قال: و أخرج أحمد، و الترمذي - و حسنه - و ابن ماجه، و ابن حبان، و الحاكم - و صححه - و ابن مردويه و البيهقي في البعث، عن أبي هريرة، عن (١) جمع مشيمه، و هي ما ينزل مع الجنين حين يولد، و بها يتغذى في بطن أمه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٧

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن يأجوج و مأجوج يحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستفتحونه غدا، و لا يستثنى، فإذا أصبحوا وجدوه قد رجع كما كان، فإذا أراد الله بخروجهم على الناس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستفتحونه إن شاء الله و يستثنى (١)»، فيعودون إليه، و هو كهيته حين تركوه، فيحفرونه، و يخرجون على الناس، فيستقون المياه، و يتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض، و علونا من في السماء، قسوا، و علوا، فيبعث الله عليهم نغفا (٢) في أعناقهم فيهلكون»

، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فو الذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، و تبطر، و تشكر شكرا (٣) من لحومهم» (٤).

و مهما كان سند مثل هذا فهو من الإسرائيليات عن كعب و أمثاله، و قد يكون رفعها إلى النبي غلطا و خطأ من بعض الرواة، أو كيدا يكيده الزنادقة اليهود للإسلام. و إظهار رسوله بمظهر من يروى ما يخالف القرآن، فالقرآن قد نص بما لا يحتمل الشك على أنهم لم يستطيعوا أن يعلوا السد، و لا أن ينقبوه، قال تعالى:

فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٥).

و إليك ما ذكره ابن كثير هنا في تفسيره، قال بعد أن ذكر من رواه: و أخرجه الترمذي من حديث أبي عوانه، عن قتادة، ثم قال: غريب

لا يعرف إلّا من هذا (١) يعنى يقول: «إن شاء الله» لأنها فى معنى الاستثناء، يعنى إلّا أن يشاء الله تعالى.

(٢) النغف- محرّكة-: دود يكون فى أنوف الإبل و الغنم، واحده: نغفة.

(٣) أى تسمن سمنا.

(٤) الدر المنثور، ج ٤، ص ٢٥١.

(٥) الكهف / ٩٧.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٨

الوجه، و إسناده جيد قوى، و لكن متنه فى رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه، و لا من نعبه؛ لإحكام بنائه و صلابته و شدّته. و لكن هذا قد روى عن كعب الأحبار، أنهم قبل خروجهم يأتونه، فيلحسونه، حتى لا يبقى منه إلّا القليل، فيقولون: غدا نفتحها فيأتون من الغد و قد عاد كما كان، فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلّا القليل، فيقولون كذلك، فيصبحون، و هو كما كان، فيلحسونه و يقولون: غدا نفتحها، و يلهمون أن يقولوا: إن شاء الله، فيصبحون، و هو كما فارقه، فيفتحونه، و هذا متجه. و لعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كان كثيرا ما كان يجالسه، و يحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه، و الله أعلم «١».

و من الإسرائيليات المستنكرة فى هذا ما روى أن يأجوج و مأجوج خلقا من منى خرج من آدم، فاختلط بالتراب، و زعموا: أن آدم كان نائما فاحتمل، فمن ثم اختلط منيه بالتراب. و معروف أن الأنبياء لا يحتملون؛ لأن الاحتلام من الشيطان. قال ابن كثير: و هذا قول غريب جدا، لا- دليل عليه، لا- من عقل و لا- من نقل، و لا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، و الله أعلم «٢».

## و الخلاصة:

إن أصحاب الكهف، و ذا القرنين، و يأجوج و مأجوج، حقائق ثابتة لا شك، و كيف لا؟ و قد أخبر بها الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

و لكن الذى ننكره أشد الإنكار هذه الخرافات و الأساطير التى حيكت حولهم، (١) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٥. و تفسير البغوى، ج ٣، ص ١٨٠-١٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٩

و تدسّست إلى المرويات الإسلامية، و الله و رسوله بريئان منها، و إنما هى من أخبار بنى إسرائيل و أكاذيبهم، و تحريفاتهم.

## ٢٥- الإسرائيليات فى قصة بلقيس ملكة سبأ

و من الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ «١».

فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبى، و البغوى، و الخازن، و غيرهم «أن سليمان أراد أن يتزوجها، فقيل له: إن رجليها كحافر الحمار، و هى شعراء الساقين، فأمرهم، فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة، فلما رأتها حسبتة لجة، و كشفت عن ساقها لتخوضه، فنظر سليمان، فإذا هى أحسن الناس قدما و ساقا، إلّا أنها كانت شعراء الساقين، فكره ذلك، فسأل الإنس، ما يذهب هذا؟ قالوا: موسى «٢»، فقالت بلقيس: لم تميّنى حديدة قط، و كره سليمان ذلك، خشية أن تقطع ساقها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندرى، ثم سأل الشياطين فقالوا: إنا

نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة (٣) و الحمام، فكانت النورة و الحمام من يومئذ «٤». (١) النمل / ٤٤.

(٢) المراد: الموسيقى التي تزيل الشعر.

(٣) مادة يزال بها الشعر.

(٤) كذب ظاهر، كأن النورة و الحمام لم يكونا إلّا لها، و كأن سليمان عليه السلام لم يكن له همّ إلّا إزالة شعر ساقها، و هو تجنّ صارخ على الأنبياء، و إظهارهم بمظهر المتهالك على النساء و محاسنهنّ، ففتح الله اليهود.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٠

و قد روى هذا عن ابن عباس - رضوان الله عليه - و مجاهد، و عكرمة، و محمد بن كعب القرظي، و السدي، و ابن جريج و غيرهم.

و روى أيضا أنها سألت سيدنا سليمان عن أمرين، قالت له: أريد ماء ليس من أرض و لا من سماء!! فسأل سليمان الإنس، ثم الجن، ثم الشياطين، فقالت الشياطين: هذا هين، أجز الخيل، ثم خذ عرقها، ثم املا منه الآنية، فأمر بالخيال فأجريت، ثم أخذ العرق، فملا منه الآنية!! و سألته عن لون الله عزّ و جل فوثب سليمان عن سريره، و فزع من السؤال، و قال:

لقد سألتني يا رب عن أمر، إنه ليتعظم في قلبي أن أذكره لك، و لكن الله أنساه، و أنساهم ما سألته عنه.

و أن الشياطين خافوا لو تروّجها سليمان، و جاءت بولد، أن يبقوا في عبوديته، فصنعوا له هذا الصرح الممرد «١»، فظنته ماء، فكشفت عن ساقها لتعبه، فإذا هي شعراء، فاستشارهم سليمان، ما يذهب؟ فجعلت له الشياطين النورة «٢».

قال ابن كثير في تفسيره، بعد أن ذكر بعض المرويّات: و الأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما وجد في صحفهم، كرواية كعب، و وهب، فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد «٣»، و الغرائب، و العجائب مما كان، و ما لم يكن، و مما حرّف، و بدّل، و نسخ. و قد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه، و أنفع، و أوضح، و أبلغ، و لله الحمد و المنّة. (١) الصرح: هو القصر المشيد المحكم البناء، المرتفع في السماء، و الممرد: الناعم الأملس.

القوارير: الزجاج الشديد الصفاء.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٣٦٦. و تفسير البغوي، ج ٣، ص ٤٢١ و ٤٢٢.

(٣) جمع آبد، و هي الأمور المشكّلة البعيدة المعاني، و أصل الآبد: النافرة من الوحش التي يستعصى أخذها، ثم شبّه بها الكلام المشكل العويص المعاني.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥١

و الحق أن سليمان عليه السلام أراد ببناء الصرح أن يربها عظمة ملكه، و سلطانه، و أن الله - سبحانه و تعالى - أعطاه من الملك، و من أسباب العمران و الحضارة ما لم يعطها، فضلا عن النبوة التي هي فوق الملك، و التي دونها أية نعمة، و حاشا لسليمان عليه السلام و هو الذي سأل الله أن يعطيه حكما يوافق حكمه - أي الله -، فأوتيه أن يتحايل هذا التحايل، حتى ينظر إلى ما حرّم الله عليه، و هما ساقها، و هو أجلّ من ذلك و أسمى.

و لو لا - أنها رأت من سليمان ما كان عليه من الدين المتين، و الخلق الرفيع، لما أذعت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الحق، و لما ندمت على ما فرط منها من عبادة الكواكب و الشمس، و أسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

## ٢٦ - الإسرائيليات في هديّة ملكة سبأ لسيدنا سليمان

و من الإسرائيليات ما ذكره كثير من المفسرين، كابن جرير، و الثعلبي، و البغوي، و صاحب «الدر»، في الهدية التي أرسلتها بلقيس إلى سيدنا سليمان عليه السلام، و إليك ما ذكره البغوي في تفسيره، و ذلك عند تفسير قوله تعالى:

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ «١».

قال البغوي:

فأهدت إليه وصفاء و وصائف. قال ابن عباس: ألبستهم لباسا واحدا كي لا يعرف الذكر من الأنثى. وقال مجاهد: ألبس الغلمان لباس الجوارى، و ألبس (١) النمل / ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٢

الجوارى ألبس الغلمان. و اختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: مائة و صيف، و مائة و صيفة «١». و قال مجاهد و مقاتل: مائتا غلام، و مائتا جارية. و قال قتادة و سعيد بن جبير و غيرهما: أرسلت إليه بلبنة من ذهب في حرير، و ديباج.

و قال وهب و غيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام، و خمسمائة جارية، فألبست الغلمان لباس الجوارى، و جعلت في سواعدهم أساور من ذهب، و في أعناقهم أطواقا من ذهب، و في آذانهم أقراطا، و شتوفا مرصعات بأنواع الجواهر. و ألبست الجوارى لباس الغلمان: الأقيبة و المناطق، و حملت الجوارى على خمسمائة رمكة «٢»، و الغلمان على خمسمائة بردون «٣»، على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر، و غواشيها من الديداج الملون. و بعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب و خمسمائة لبنة من فضة، و تاجا مكللا بالدر و الياقوت. و أرسلت إليه المسك و العنبر و العود، و عمدت إلى حقة، فجعلت فيها درة ثمينه غير مثقوبه، و خرزة مثقوبه معوجة الثقب. و أرسلت مع الهدية رجالا- من عقلاء قومها، و كتبت معهم كتابا إلى سليمان بالهدية. و قالت: إن كنت نيبا فميز لى بين الوصائف و الوصفاء، و أخبرنى بما فى الحقة قبل أن تفتحها، و اثقب الدر ثقبا مستويا، و أدخل خيطا فى الخرزة المثقوبه من غير علاج إنس و لا جن.

و رووا أيضا: أن سليمان عليه السلام أمر الجن أن يضربوا لبنات الذهب و لبنات الفضة، ففعلوا، ثم أمرهم أن يفرشوا الطريق من موضعه الذى هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانا واحدا، بلبنات الذهب و الفضة!! و أن يعدوا فى الميدان أعجب (١) أى خادم، و خادمة. (٢) أنثى البغال.

(٣) البغل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٣

دواب البر و البحر، فأعدوها. ثم قعد على سريره، و أمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ، و أمر الإنس فاصطفوا فراسخ، و أمر الوحوش و السباع و الهوام و الطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه و عن يساره، فلما دنا القوم من الميدان، و نظروا إلى ملك سليمان، و رأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب و الفضة، تقاصرت أنفسهم، و رموا بما معهم من الهدايا. ثم كان أن استعان سليمان بجبريل و الشياطين، و الأرضه فى الإجابة عما سأله عنه «١».

و معظم ذلك مما لا- نشك أنه من الإسرائيليات المكذوبه «٢»، و أى ملك فى الدنيا يتسع لفرش تسعة فراسخ بلبنات الذهب و الفضة!!؟ و فى رواية وهب ما يدل على الأصل الذى جاءت منه هذه المرويّات. و أن من روى ذلك من السلف وإنما أخذه عن مسلمة أهل الكتاب. و ما كان أجدر بكتب التفسير أن تنزه عن مثل هذا اللغو و الخرافات التى تدسست إلى الرواية الإسلامية فأساءت إليها.

٢٧- الإسرائيليات فى قصة الذبيح و أنه إسحاق

إشارة

و من الإسرائيليات ما يذكره كثير من المفسرين، عند تفسير قوله تعالى:

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ. رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. (١) تفسير البغوي، ج ٣، ص ٤١٧ و ٤١٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٣٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٤

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّ لِلْجَبِينِ «١» وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَ قَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ. وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ. وَ بَارَكْنَا عَلَيْهِ وَ عَلَى إِسْحَاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ «٢».

فقد روى كثير من المفسرين، منهم ابن جرير «٣»، و البغوى «٤»، و صاحب «الدر» «٥» فى هذا روايات كثيرة، عن بعض الصحابة و التابعين و كعب الأخبار: أن الذبيح هو إسحاق.

و لم يقف الأمر عند الموقوف على الصحابة و التابعين، بل رفعوا ذلك زورا إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

روى ابن جرير، عن أبى كريب، عن زيد بن حباب، عن الحسن بن دينار، عن على بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب، عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: «الذبيح إسحاق».

و هو حديث ضعيف ساقط لا يصح الاحتجاج به؛ فالحسن بن دينار متروك، و شيخه على بن زيد بن جدعان منكر الحديث «٦».

و

أخرج الديلمى فى مسند الفردوس بسنده عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال (١) أضجعه على جبينه على الأرض، و للإنسان جبينان و الجبهة بينهما.

(٢) الصافات / ٩٩-١١٣.

(٣) تفسير الطبرى، ج ٢٣، ص ٥١.

(٤) تفسير البغوى، ج ٤، ص ٣٢.

(٥) تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ٢٧٩-٢٨٤.

(٦) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٥

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إن داود سأل ربه مسألة، فقال: اجعلنى مثل إبراهيم، و إسحاق، و يعقوب، فأوحى الله إليه: إنى ابتليت إبراهيم بالنار فصبر، و ابتليت إسحاق بالذبح فصبر، و ابتليت يعقوب فصبر».

و

بما أخرجه الدار قطنى، و الديلمى فى مسند الفردوس بسندهما عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «الذبيح إسحاق».

و هى أحاديث لا تصح و لا تثبت، و أحاديث الديلمى فى مسند الفردوس شأنها معروف، و الدار قطنى ربما يخرج فى سننه ما هو موضوع «١».

و

أخرج الطبرانى فى «الأوسط»، و ابن أبى حاتم فى تفسيره، من طريق الوليد ابن مسلم، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إن الله تعالى خيرنى بين أن يغفر لنصف أمتى أو شفاعتى، فاخترت شفاعتى و رجوت أن تكون أعم لأمتى، و لو لا الذى سبقنى إليه العبد الصالح لعجلت دعوتى، إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له يا إسحاق: سل تعطه قال: أما و الله لأتعلنها قبل نزغات الشيطان، اللهم من مات لا يشرك بالله شيئا قد أحسن فاغفر له» «٢».

و عبد الرحمن بن زيد، بن أسلم، ضعيف، و يروى المنكرات، و الغرائب فلا يحتج بمروياته و قال ابن كثير: الحديث غريب منكر، و

أخشى أن يكون فيه زيادة مدرجة، و هو قوله: «إن الله لما فرج...» و إن كان محفوظا، فالأشبه أنه إسماعيل، و حذوه بإسحاق، إلى غير ذلك من الأخبار، و فيها من الموقوف و الضعيف، و الموضوع كثير. و متى صح حديث مرفوع في أن الذبيح إسحاق (١) انظر أعلام المحدثين للأستاذ أبي شهبه.

(٢) تفسير الألوسي، ج ٢٣، ص ١٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٦

قبلناه، و وضعناه على العين و الرأس، و لكنها كما رأيت لم يصح منها شيء.

و الحق أن المرويات في أن الذبيح إسحاق هي من إسرائيليات أهل الكتاب، و قد نقلها من أسلم منهم، ككعب الأخبار. و حملها عنهم بعض الصحابة و التابعين تحسينا للظن بهم، فذهبوا إليه. و جاء بعدهم العلماء فاغترروا بها، و ذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق «١». و ما من كتاب من كتب التفسير، و السير، و التواريخ إلّا و يذكر فيه الخلاف بين السلف في هذا، إلّا أن منهم من يعقب ببيان وجه الحق في هذا؛ و منهم من لا يعقب اقتناعا بها، أو تسليما لها.

و حقيقة هذه المرويات أنها من وضع أهل الكتاب، لعداوتهم المتأصلة من قديم الزمان للنبي الأمي العربي، فقد أرادوا أن لا يكون لإسماعيل الجد الأعلى للنبي فضل أنه الذبيح حتى لا ينجز ذلك إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و إلى المسلمين.

### نص التوراة

ففي التوراة (الإصحاح الثاني و العشرون - فقرة ٢): «فقال الرب: خذ ابنك (١) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٦-١٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٧

وحيدك الذي تحبه إسحاق، و اذهب إلى أرض المريا، و أصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك...» (١).

و ليس أدل على كذب هذا، من كلمة «وحيدك»، و إسحاق عليه السلام لم يكن وحيدا قط! لأنه ولد و لإسماعيل نحو أربع عشرة سنة، كما هو صريح توراتهم في هذا. و قد بقى إسماعيل عليه السلام حتى مات أبوه الخليل، و حضر وفاته، و دفنه، و إليك ما ورد في هذا:

ففي سفر التكوين (الإصحاح السادس عشر الفقرة ١٦) ما نصه:

«و كان أبرام - يعنى إبراهيم - ابن ست و ثمانين سنة، لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام»، و في سفر التكوين: (الإصحاح الحادى و العشرون فقرة ٥) ما نصه: «و كان إبراهيم ابن مائة سنة، حين ولد له إسحاق ابنه».

و في الفقرة (٩) و ما بعدها ما نصه:

(٩) و رأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمرح (١٠) فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية و ابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق (١١) فقبح الكلام جدا فى عيني إبراهيم لسبب ابنه (١٢) فقال الله لإبراهيم:

لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام، و من أجل جاريتك، فى كل ما تقول سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل (١٣) و ابن الجارية أيضا سأجعله أمه، لأنه نسلك» (٢) إلى آخر القصة. (١) و قد ذكرت القصة فى التوراة فى ١٤ فقرة، فليرجع إليها من يشاء لتكون لنا الحجة عليهم، من نفس كتابهم المقدس.

(٢) و يصدق هذا كتاب الله الشاهد على الكتب السماوية كلها، قوله سبحانه حكاية لمقالة إبراهيم، و إسماعيل عليهما السلام بعد أن بنيا البيت: رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً تُتَّبَعُ وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً تُتَّبَعُ، ج ٢، ص: ٢٥٨

فما قولكم يا أيها اليهود المحرفون؟!، و كيف يتأتى أن يكون إسحاق وحيدا؟! مع هذه النصوص التى هي من توراتكم التى تعتقدون صحتها، و تزعمون أنها ليست محرفة!!، ثم ما رأيكم أيها المغترون بروايات أن الذبيح إسحاق، بعد ما تأكدتم تحريف التوراة فى

هذا؟

وقد دل القرآن الكريم، و دلت التوراة، و رواية البخارى و غيره على أن الخليل إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر و ابنها عند مكان البيت المحرم؛ حيث بنى فيما بعد، و قامت مكة بجواره. و قد عبرت التوراة بأنهما كانا فى بريبة فاران، و فاران هى مكة، كما يعبر عنها فى العهد القديم. و هذا هو الحق فى أن قصة الذبح كان مسرحها بمكة و منى، و فيها يذبح الحجاج ذبائحهم اليوم. و قد حرف اليهود النص الأول و جعلوه «جبل المريا»، و هو الذى تقع عليه مدينة أورشليم القديمة - مدينة القدس اليوم - ليتم لهم ما أرادوا، فأبى الحق إلا أن يظهر تحريفهم!! و قد ذكر ابن كثير: أن فى بعض نسخ التوراة «بكر ك» «١» بدل «و حيد ك» و هو أظهر فى البطلان، و أدل على التحريف؛ إذ لم يكن إسحاق بكر الخليل بنص التوراة، كما ذكرنا آنفا.

### الذبح هو إسماعيل عليه السلام

و الحق أن الذبح هو إسماعيل عليه السلام، و هو الذى يدل عليه ظواهر الآيات القرآنية، و الآثار عن الصحابة و التابعين، و منها ما له حكم الرفع بتقرير مُسْتَلِمَةً لَكَّ و لو أن اليهود وعوا ما جاء فى التوراة و القرآن، لعلموا أنه ستكون أمه لها شأنها من نسل إسماعيل، و لما حسدوا المسلمين على هذا الفضل.

(١) أول مولود يولد للشخص. راجع: تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٥٩

النبي صلى الله عليه و آله و سلم له.

فلا عجب أن ذهب إليه جمهرة الصحابة، و التابعين، و من بعدهم، و أئمة العلم و الحديث، منهم الصحابة النجباء، و السادة العلماء: الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام، سعيد بن جبير، و مجاهد، و الشعبي، و الحسن البصرى، و محمد بن كعب القرظى، و سعيد بن المسيب، و الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام، و أبو صالح، و الربيع بن أنس، و أبو عمرو ابن العلاء، و أحمد بن حنبل و غيرهم، و هو إحدى الروايتين، و أقواهما عن ابن عباس.

و فى «زاد المعاد»، لابن القيم: أنه الصواب عند علماء الصحابة و التابعين فمن بعدهم.

و هذا رأى هو المشهور عند العرب قبل البعثة، نقلوه بالتواتر جيلا عن جيل، و ذكره أمية بن أبى الصلت فى شعر له.

قال: و لا خلاف بين النسابين أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، و إسماعيل هو القول الصواب عند علماء الصحابة و التابعين و من بعدهم. و أما القول بأنه إسحاق فباطل من عشرين وجها. قال ابن تيمية: هذا القول متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: «إن الله أمر إبراهيم بذبح ابنه بكره»، و فى لفظ «و حيده» و لا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، و الذى غر هؤلاء أنه فى التوراة التى بأيديهم: «اذبح ابنك إسحاق». قال:

و هذه الزيادة من تحريفهم و كذبهم؛ لأنها تناقض قوله: «اذبح بكر ك و و حيد ك»، و لكن اليهود حسدت بنى إسماعيل على هذا الشرف، و أحبوا أن يكون لهم، و أن يسوقه إليهم، و يختاروه لأنفسهم دون المسلمين، و أبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله.

و كيف يسوغ أن يقال: إن الذبح إسحاق؟ و الله تعالى قد بشر أم إسحاق به،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٠

و بابنه يعقوب، قال تعالى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ «١».

فمحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد، و للولد ولد، ثم يأمر بذبحه. و لا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل فى البشارة، و يدل عليه أيضا أن الله ذكر قصة إبراهيم و ابنه الذبيح فى سورة الصافات، ثم قال - بعدها -: وَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ «٢». و هذا ظاهر جدا فى أن المبشر به غير الأول، بل هو كالتص فيه، و غير معقول فى أفصح الكلام و أبلغه أن يبشر بإسحاق بعد قصة يكون فيها هو

الذبيح، فتعين أن يكون الذبيح غيره.

و أيضا فلا ريب أن الذبيح كان بمكة؛ و لذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعى بين الصفا و المروة، و رمى الجمار تذكيرا لشأن إسماعيل و أمه، و إقامته لذكر الله، و معلوم أن إسماعيل و أمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق و أمه.

و لو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب؛ لكانت القرابين و النحر بالشام، لا بمكة، و أيضا فإن الله سبحانه سَمَّى الذبيح حليما؛ لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه، و لما ذكر إسحاق سماه عليما: قَالُوا لَا تَخَفْ وَ بَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ «٣». و هذا إسحاق بلا ريب؛ لأنه من امرأته و هي المبشرة به، و أما إسماعيل فمن السرية «٤»، و أيضا فلأنهما بشرًا به على الكبر و اليأس من الولد، فكان ابتلاؤهما بذبحه أمرا بعيدا، و أما إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك ... إلى آخر ما (١) هود/ ٧١.

(٢) الصافات/ ١١٢.

(٣) الذاريات/ ٢٨.

(٤) أي الجارية.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤١

قال «١».

#### و شهد شاهد من أهلها

و روى ابن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز و هو خليفة، فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، و إنى لأراه كما قلت. ثم أرسل إلى رجل كان يهوديا، فأسلم و حسن إسلامه، و كان من علمائهم، فسأله: أيّ ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل - و الله - يا أمير المؤمنين، و إن يهود لتعلم بذلك، و لكنهم يحسدونكم. و هذا هو الحق الذي يجب أن يصار إليه. قال ابن كثير في تفسيره: «و الذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت، و أصح، و أقوى، و الله أعلم» «٢».

قال أبو شهبه: و بعد هذا التحقيق و البحث، يتبين لنا أن الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام، و أن ما روى من أنه إسحاق، المرفوع منه إما موضوع، و إما ضعيف لا يصح الاحتجاج به، و الموقوف منه على الصحابة أو على التابعين إن صح سنده إليهم هو من الإسرائيليات التي رواها أهل الكتاب الذين أسلموا، و أنها في أصلها من دس اليهود، و كذبهم، و تحريفهم للنصوص حسدا منهم. فقاتلهم الله أتى يؤفكون.

و قد جاز هذا الدس اليهودي على بعض كبار العلماء كابن جرير «٣»، و القاضي عياض، و السهيلي، فذهبوا إلى أنه إسحاق، و تحير بعضهم في (١) زاد المعاد، ج ١، ص ١٣-١٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٨.

(٣) جامع البيان، ج ٢٣، ص ٥٤-٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٤٢

الروايات فتوقف، كالسيوطي و ابن الأثير «١» و حاول بعضهم الجمع بينها فزعم أن الذبح وقع مرتين، و الحق: ما وضحناه لك، فلا تجوز، و لا تتوقف و لا تقل بال تكرار، و الله الهادي إلى الحق.

#### تحريفهم للتوراة

و لأجل أن يكون هذا الفضل لجدهم إسحاق عليه السلام لا لأخيه إسماعيل حرفوا التوراة في هذا، و لكن الله أبي إلا أن يغفلوا عما



يدلّ على هذه الجريمة النكراء؛ والجاني غالباً يترك من الآثار ما يدلّ على جريمته، و الحق يبقى له شعاع، و لو خافت، يدلّ عليه، مهما حاول المبطلون إخفاء نوره، و طمس معالمه. فقد حذفوا من التوراة لفظ «إسماعيل»، و وضعوا بدله لفظ «إسحاق»، و لكنهم غفلوا عن كلمة كشفت عن هذا التزوير، و ذاك الدسّ المشين.

## ٢٨- الإسرائيليات في قصة إياس عليه السلام

و من الإسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير ما ذكره في قصة إياس عليه السلام عند تفسير قوله تعالى: «وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسِينَ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» (٢).

فقد روى البغوي، و الخازن، و صاحب «الدر»، و غيرهم، عن ابن عباس، و الحسن، و كعب الأحبار، و وهب بن متبه، مرويات تتعلق بإياس عليه السلام.

قال صاحب «الدر المنثور»: أخرج ابن عساكر، عن الحسن رضى الله عنه في قوله:

«وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ»، قال: إن الله تعالى بعث إياس إلى بعلبك، و كانوا قوما يعبدون الأصنام، و كانت ملوك بنى إسرائيل متفرقة على العامة، كل ملك على ناحية يأكلها، و كان الملك الذى كان إياس معه يقوم له أمره، و يقتدى برأيه، و هو على هدى من بين أصحابه، حتى وقع إليهم قوم من عبدة الأصنام، فقالوا له: ما يدعوك إلّا إلى الضلالة و الباطل، و جعلوا يقولون له: اعبد هذه الأوثان التي تعبد (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٢٨٠. و الكامل فى التاريخ، ج ١ ص ١٠٨-١١١.

(٢) الصافات / ١٢٣-١٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٣

الملوك، و هم على ما نحن عليه، يأكلون، و يشربون، و هم فى ملكهم يتقلبون، و ما تنقص دنياهم من ربهم الذى تزعم أنه باطل، و ما لنا عليهم من فضل.

فاسترجع إياس، فقام شعر رأسه، و جلده، فخرج عليه إياس.

قال الحسن: و إن الذى زين لذلك الملك امرأته، و كانت قبله تحت ملك جبار، و كان من الكنعانيين فى طول و جسم و حسن، فمات زوجها فاتخذت تمثالا على صورة بعلها من الذهب، و جعلت له حدقتين من ياقوتتين، و توجته بتاج مكلل بالدر و الجواهر، ثم أقعدته على سرير، تدخل عليه، فتدخّنه، و تطيبه، و تسجد له، ثم تخرج عنه. فتزوجت بعد ذلك هذا الملك الذى كان إياس معه.

و كانت فاجرة قد قهرت زوجها، و وضعت البعل فى ذلك البيت، و جعلت سبعين سادنا «١»، فعبدوا البعل. فدعاهم إياس إلى الله فلم يزداهم ذلك إلّا بعدا، فقال إياس: اللهم إن بنى إسرائيل قد أبوا إلّا الكفر بك، و عبادة غيرك، فغيّر ما بهم من نعمتك. فأوحى الله إليه: إني قد جعلت أرزاقهم بيدك، فقال: اللهم أمسك عنهم القطر ثلاث سنين، فأمسك الله عنهم القطر. و أرسل إلى الملك فتاه اليسع، فقال: قل له: إن إياس يقول لك: إنك اخترت عبادة البعل على عبادة الله، و أتبعته هوى امرأتك، فاستعد للعذاب و البلاء. فانطلق اليسع، فبلغ رسالته للملك، فعصمه الله تعالى من شر الملك، و أمسك الله عنهم القطر، حتى هلكت الماشية و الدواب، و جهد الناس جهدا شديدا. و خرج إياس إلى ذروة جبل، فكان الله يأتيه برزق، و فجر له عينا معينا لشرابه و طهوره. حتى أصاب الناس الجهد، فأرسل الملك إلى السبعين، فقال لهم: سلوا البعل أن يفرج ما بنا، فأخرجوا أصنامهم، فقربوا لها الذبائح، و عطفوا عليها، و جعلوا يدعون، حتى طال (١) هو الذى يقوم بخدمة الأصنام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٤

ذلك بهم، فقال لهم الملك: إن إله إياس كان أسرع إجابة من هؤلاء. فبعثوا فى طلب إياس، فأتى، فقال: أ تحبون أن يفرج عنكم؟

قالوا: نعم، قال: فأخرجوا أوثانكم. فدعا إلياس عليه السّلام ربه أن يفرج عنهم، فارتفعت سحابة مثل الترس «١»، و هم ينظرون، ثم أرسل الله عليهم المطر، فتابوا و رجعوا.

قال: و أخرج ابن عساكر، عن كعب، قال: «أربعة أنبياء اليوم أحياء، اثنان في الدنيا: إلياس و الخضر، و اثنان في السماء: عيسى و إدريس».

قال: و أخرج ابن عساكر، عن وهب، قال: دعا إلياس عليه السّلام ربه، أن يريحه من قومه، فقيل له: انظر يوم كذا و كذا، فإذا رأيت دابةً لونها مثل لون النار فاركبها.

فجعل يتوقع ذلك اليوم، فإذا هو بشيء قد أقبل على صورة فرس، لونه كلون النار، حتى وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فكان آخر العهد به، فكساه الله الريش، و كساه النور، و قطع عنه لذة الطعام و المشرب، فصار في الملائكة عليهم السّلام.

قال: و أخرج ابن عساكر، عن الحسن رضى الله عنه قال: إلياس عليه السّلام موكل بالفيافي.

و الخضر عليه السّلام بالجبال، و قد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى «٢»، و أنهما يجتمعان كل عام بالموسم.

قال: و أخرج الحاكم، عن كعب، قال: كان إلياس صاحب جبال و بريء يخلو فيها، يعبد ربه عزّ و جل، و كان ضخم الرأس، خميص البطن، دقيق الساقين، في صدره شامة حمراء، و إنما رفعه الله إلى أرض الشام، لم يصعد به إلى السماء، و هو الذي (١) ما يلبسه المحارب.

(٢) يعنى النفخة الأولى في الصور.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٥

سماه الله ذا النون «١».

و كل هذا من أخبار بنى إسرائيل و تزديداتهم، و اختلافاتهم، و ما روى منها عن بعض الصحابة و التابعين، فمرجه إلى مسلمة أهل الكتاب ككعب، و وهب و غيرهما، و قد رأيت كيف تضارب و تناقض كعب و وهب، فكعب يقول:

لم يصعد به إلى السماء، و يزعم أنه ذو النون، و وهب يقول: إنه رفعه إلى السماء، و صار في عداد الملائكة عليهم السّلام و أن بعض الروايات تقول: إنه الخضر، و البعض الآخر يقول: إنه غير الخضر، إلى غير ذلك من الاضطرابات و الأباطيل، كزعم مختلق الروايات الأولى: «أن الله أوحى إلى إلياس إنى قد جعلت أرزاقهم بيدك».

بينما في بعض الروايات الأخرى: أن الله أبى عليه ذلك مرتين، و أجابه في الثالثة، و هكذا الباطل يكون مضطرباً لجلجلا، و أما الحق فهو ثابت أبلج.

و لم يقف الأمر عند نقل هذه الإسرائيليات عن ذكرنا، بل بلغ الافتراء ببعض الزنادقة و الكذابين إلى نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم كى يؤيد به أكاذيب بنى إسرائيل و خرافاتهم، و كى يعود ذلك بالظعن على صاحب الرسالة العامة الخالدة صلى الله عليه و آله و سلم.

قال السيوطى في «الدر»: و أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «الخضر هو إلياس».

و

أخرج الحاكم و صححه و البيهقى في «الدلائل» و ضعفه عن أنس رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في سفر، فنزلنا منزلاً، فإذا رجل في الوادى يقول:

اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة، المغفورة، المثاب لها، فأشرفت على الوادى، فإذا رجل طوله ثلاثمائة ذراع و أكثر، فقال: من أنت؟ قلت: أنس، خادم (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٢٨٠ و ٢٨١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٦

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أين هو؟ قلت: هو ذا يسمع كلامك، قال: فأتته وأقرئه مني السلام، وقل له: أخوك إلياس يقرئك السلام. فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته، فجاء حتى عانقه، وقعدا يتحدثان، فقال له: يا رسول الله، إنني إنما آكل في كل سنة يوماً، وهذا يوم فطري فكل أنت وأنا، فنزلت عليهما مائدة من السماء، وخبز و حوت و كرفس، فأكلا، و أطعماني، و صليا العصر، ثم ودعني و ودعته، ثم رأيت مراً على السحاب نحو السماء.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، و قال الإمام الذهبي: بل هو موضوع، قبح الله من وضعه، قال- أي الذهبي-: و ما كنت أحسب و لا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم أن يصحح مثل هذا. و أخلق بهذا أن يكون موضوعاً، كما قاله الإمام الحافظ الناقد الذهبي.

## ٢٩- الإسرائيليات في قصة داود عليه السلام

### إشارة

و من الإسرائيليات التي تخلّ بمقام الأنبياء، و تنافى عصمتهم، ما ذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا داود عليه السلام عند تفسير قوله تعالى:

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضُمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِيمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا «١» وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ «٢» أَكْفَلْنِيهَا: ضمها إلى.

(٢) عزني: غلبني في القول لقوته، و جاهه و ضعفي.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٧

قَالَ لَمَّا ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. فَعَفَوْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ «١».

فقد ذكر ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و البغوي، و السيوطي في «الدر المنثور» «٢» من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان، و لا يوافق عقلا، و لا نقلا، عن ابن عباس، و مجاهد، و وهب بن منبه، و كعب الأخبار، و السدي، و غيرهم ما محض لها: أن داود عليه السلام حدث نفسه؛ إن ابتلى أن يعتصم، فقيل له: إنك ستبتلى و ستعلم اليوم الذي تبتلى فيه، فخذ حذرک، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلى فيه، فأخذ الزبور «٣»، و دخل المحراب، و أغلق بابه، و أقعد خادمه على الباب، و قال:

لا- تأذن لأحد اليوم. فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فطار فوقه على كوة المحراب، فدنا منه ليأخذه، فطار، فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله نفضت شعرها، فغطت جسدها به، و كان زوجها غازيا في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة: أن اجعله في حملة التابوت «٤»، و كان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم، و إما أن يقتلوا، فقدّمه في حملة التابوت، فقتل. و في بعض هذه الروايات الباطلة: أنه فعل ذلك ثلاث مرات، حتى قتل في الثالثة، فلما انقضت عدتها، خطبها داود عليه السلام، فتسور عليه الملكان، و كان ما كان، مما حكاه (١) ص / ٢١-٢٥.

(٢) ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠٢.

(٣) كتاب داود عليه السلام.

(٤) صندوق فيه بعض مخلقات أنبياء بنى إسرائيل، فكانوا يقدمونه بين يدي الجيش كي ينصروا.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٨

الله تعالى.

و لم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة عن بعض الصحابة و التابعين، و مسلمة أهل الكتاب، بل جاء بعضها مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

قال صاحب «الدر»: و أخرج الحكيم الترمذى فى «نوادير الأصول»، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم بسند ضعيف، عن أنس رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة، قطع «١» على بنى إسرائيل، و أوصى صاحب الجيش، فقال: إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت»، و كان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت، لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم معه الجيش، فقتل، و تزوج المرأة، و نزل الملكان على داود عليه السلام فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدا، حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه، و هو يقول فى سجوده: «ربّ زل داود زلة أبعده مما بين المشرق و المغرب، ربّ إن لم ترحم ضعف داود، و تغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثا فى المخلوق من بعده. فجاء جبريل عليه السلام من بعد أربعين ليلة، فقال: يا داود إن الله قد غفر لك، و قد عرفت أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا ربّ دمی الذى عند داود، قال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك، فإن شئت لأفعلن، فقال: نعم، ففرح جبريل، و سجد داود عليه السلام، فمكث ما شاء الله، ثم نزل، فقال: قد سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه، فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول له: هب لى دمك الذى عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك فى الجنة ما شئت، و ما اشتيت عوضا. و قد رواها البغوى (١) هى هكذا فى «الدر المنثور» و فى تفسير البغوى. و لعلها قطع.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٦٩

أيضا عن طريق الثعلبى «١»

، و الرواية منكرة مختلفة على الرسول. و فى سند هذه الرواية المختلفة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ابن لهيعة، و هو مضعف فى الحديث، و فى سندها أيضا يزيد بن أبان الرقاشى، كان ضعيفا فى الحديث.

و قال فى النسائى، و الحاكم أبو أحمد: إنه متروك، و قال فى ابن حبان: كان من خيار عباد الله، من البكائين بالليل، غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة، حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فلا تحل الرواية عنه إلا على جهة التعجب «٢».

و قال العلامة ابن كثير فى تفسيره «٣»: «و قد ذكر المفسرون هاهنا قصة؛ أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، و لم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب أتباعه، و لكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشى، عن أنس رضى الله عنه، و يزيد و إن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة».

و من ثم يتبين لنا كذب رفع هذه الرواية المنكرة إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و لا- نكاد نصدق ورود هذا عن المعصوم، و إنما هى اختلافات، و أكاذيب من إسرائيليات أهل الكتاب، و هل يشك مؤمن عاقل يقرب بعصمة الأنبياء، فى استحالة صدور هذا عن داود عليه السلام، ثم يكون على لسان من؟ على لسان من كان حريصا على تنزيه إخوانه الأنبياء عما لا يليق بعصمتهم، و هو نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم و مثل هذا التدبير السيئ، و الاسترسال فيه على ما روى، لو صدر من رجل من سوقه (١) تفسير البغوى، ج ٤، ص ٥٢-٥٩ و الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٣٠٩.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٠

الناس و عامتهم، لا-عتبر هذا أمرا مستهجنا مستقبحا، فكيف يصدر من رسول جاء لهداية الناس، زكت نفسه، و طهرت سريرته، و عصمه الله من الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و هو الأسوة الحسنة لمن أرسل إليهم!!؟ و لو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود، و لنفرت منه الناس، و لكان لهم العذر في عدم الإيمان به، فلا يحصل المقصد الذي من أجله أرسل الرسل، و كيف يكون على هذه الحال من قال الله تعالى في شأنه: **وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ**؟ قال ابن كثير في تفسيرها: «و إن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عزّ و جل بها و حسن مرجع، و هو الدرجات العالية في الجنة لنبوته و عدله التام في ملكه، كما جاء

في الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، و كلتا يديه يمين، الذين يقسطون في أهلهم، و ما ولوا»

و ،

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: «إن أحب الناس إليّ يوم القيامة و أقربهم مني مجلسا إمام عادل، و إن أبغض الناس إليّ يوم القيامة، و أشدهم عذابا إمام جائر» رواه أحمد، و الترمذى (١)

. و لكى يستقيم هذا الباطل قالوا: إن المراد بالنعجة هي المرأة، و أن القصة خرجت مخرج الرمز و الإشارة، و رووا: أن الملكين لما سمعا حكم داود، و قضاءه بظلم صاحب التسع و التسعين نعجة لصاحب النعجة، قال له: و ما جزاء من فعل ذلك؟ قال: يقطع هذا، و أشار إلى عنقه. و في رواية: «يضرب من هاهنا، و هاهنا، و هاهنا» و أشار إلى جبهته، و أنفه، و ما تحته، فضحكا، و قالوا، «أنت أحق بذلك منه، ثم صعدا».

و ذكر البغوى في تفسيره و غيره، عن وهب بن منبه: أن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا- يرقأ دمعه ليلا و لا نهارا، و كان أصاب (١) تفسير ابن كثير، ص ٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧١

الخطيئة، و هو ابن سبعين سنة، فقسّم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: يوم للقضاء بين بنى إسرائيل، و يوم لنسائه، و يوم يسيح في الفيافي، و الجبال، و السواحل، و يوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك. فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي، فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و يبكي معه الشجر، و الرمال، و الطير، و الوحش، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و تبكى معه الجبال، و الحجارة، و الدواب، و الطير، حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و تبكى معه الحيتان، و دواب البحر و طير الماء و السباع (١). و الحق: أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا، و ليس هذا في شيء من كتب الحديث المعتمدة، و هي التي عليها المعول، و ليس هناك ما يصرف لفظ النعجة من حقيقته إلى مجازه، و لا ما يصرف القصة عن ظاهرها إلى الرمز و الإشارة.

و ما أحسن ما قال الإمام القاضي عياض: «لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب، الذين بدلوا، و غيروا، و نقله بعض المفسرين، و لم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، و لا ورد في حديث صحيح، و الذي نص عليه في قصة داود: وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ و ليس في قصة داود، و أوربا خبر ثابت (٢)».

و المحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي، قال الداودي: ليس في قصة داود و أوربا خبر يثبت، و لا يظن بنى محبة قتل مسلم، و

قد روى عن الامام (١) تفسير البغوى، ج ٤، ص ٥٧-٥٨.

(٢) الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى، ج ٢، ص ١٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٢

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة و ستين جلدة، و ذلك حد الفرية على الأنبياء (١)، و هو كلام مقبول و مروى عن الامام الصادق عليه السلام أيضا (٢)».

و إذا كان ما روى من الإسرائيليات الباطلة التي لا يجوز أن تفسر بها الآيات، فما التفسير الصحيح لها إذا؟  
والجواب: أن داود عليه السلام كان قد وزع مهام أعماله، و مسؤولياته نحو نفسه، و نحو الرعية على الأيام، و خص كل يوم بعمل، فجعل يوماً للعبادة، و يوماً للقضاء و فصل الخصومات، و يوماً للاشتغال بشئون نفسه و أهله، و يوماً لوعظ بني إسرائيل.  
ففى يوم العبادة بينما كان مشغولاً بعبادة ربه فى محرابه، إذ دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور، و لم يدخل من المدخل المعتاد، فارتاع منهما، و فرغ فزعا لا يليق بمثله من المؤمنين، فضلا عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل، الواثقين بحفظه، و رعايته، و ظن بهما سوءا، و أنهما جاءا ليقتلاه، أو يبيغيا به شرا، و لكن تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن، و أنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه.  
فلما قضى بينهما، و تبين له أنهما بريئان مما ظنه بهما، استغفر ربه، و خرّ ساجدا لله تعالى تحقيقا لصدق توبته و الإخلاص له، و أناب إلى الله غاية (١) لأن حد القذف لغير الأنبياء ثمانين، فرأى رضى الله عنه تضعيفه بالنسبة إلى الأنبياء و فى الكذب عليهم رمى لهم بما هم برآء منه، ففيه معنى القذف لداود بالتعدى على حرمت الأعراس و التحايل فى سبيل ذلك.

(٢) راجع الطبرسى، ج ٨، ص ٤٧٢. و البحار، ج ١٤، ص ٢٩ رقم ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٣

الإنباء.

و مثل الأنبياء فى علو شأنهم، و قوة ثقتهم بالله و التوكل عليه أن لا تعلق نفوسهم بمثل هذه الظنون بالأبرياء، و مثل هذا الظن و إن لم يكن ذنبا فى العادة، إلا أنه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى و الأليق بهم، و قديما قيل: «حسنت الأبرار سيئات المقرين»، فالرجلان خصمان حقيقة، و ليسا ملكين كما زعموا، و النعاج على حقيقتها، و ليس ثمة رموز و لا إشارات. و هذا التأويل هو الذى يوافق نظم القرآن و يتفق و عصمة الأنبياء، فالواجب الأخذ به، و نبذ الخرافات و الأباطيل، التى هى من صنع بني إسرائيل، و تلقفها القصاص و أمثالهم ممن لا علم عندهم، و لا تمييز بين الغث و السمين.

### ٣٠- الإسرائيليات فى قصة سليمان عليه السلام

#### إشارة

و من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى:

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿١﴾.

و قد ذكر الكثير منها فى تفاسيرهم، ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و الثعلبى، و البغوى، و غيرهم. و ذكر كل ما روى من ذلك من غير تمييز بين الصحيح و الضعيف، و الغث و السمين، السيوطى، فى «الدر المنثور» و ليته إذ فعل نقد كل رواية، و بين منزلتها من القبول و الرد، و ما هو من الإسرائيليات، و ما ليس منها.

قال السيوطى فى «الدر»: أخرج النسائى، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، بسند قوى عن ابن عباس قال: (١) ص / ٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٤

أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء (١)، فأعطى الجراد خاتمه، و كانت جرادة امرأته، و كانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان فى صورة سليمان، فقال لها: هاتى خاتمى، فأعطته، فلما لبسه، دانت له الجن، و الإنس، و الشياطين، فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء، قال لها: هاتى خاتمى، فقالت: قد أعطيته سليمان، قال:

أنا سليمان، قالت: كذبت، لست سليمان، فجعل لا يأتى أحدا يقول له: أنا سليمان إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله عزّ و جل و قام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان عليه السلام سلطانه

ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام فقالوا لهنّ: أ يكون من سليمان شيء؟ قلن: نعم، إنه يأتينا «٢» ونحن حيض، و ما كان يأتينا قبل ذلك! فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتباً فيها سحر، و مكر، فدفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أثاروها «٣»، و قرءوها على الناس، قالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس، و يغلبهم. فأكفر الناس سليمان، فلم يزلوا يكفرونه، و بعث ذلك الشيطان بالخاتم، فطرحه في البحر، فتلقته سمكة، فأخذته، و كان سليمان عليه السلام يعمل على شط البحر بالأجر. فجاء رجل، فاشترى سمكاً؛ فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان عليه السلام فقال له: تحمل لي هذا السمك، ثم انطلق إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان عليه السلام، فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه، فلبسه، فلما لبسه دانت له (١) المرحاض.

(٢) يباشرنا.

(٣) أخرجوها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٥

الإنس و الجن و الشياطين، و عاد إلى حاله، و هرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه، و كان شيطاناً مريداً يطلبونه و لا- يقدرين عليه حتى وجدوه يوماً نائماً، فجاءوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص، فاستيقظ، فوثب، فجعل لا يثبت في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص، فأخذه، و أوثقه؛ و جاءوا به إلى سليمان عليه السلام، فأمر به، فنقر له في رخام، ثم أدخل في جوفه، ثم سد بالنحاس، ثم أمر به، فطرح في البحر، فذلك قوله: وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً...، يعني الشيطان الذي كان تسلط عليه.

و قد روى السيوطي في «الدر» روايات أخرى، عن ابن عباس و قتادة، في أن هذا الشيطان كان يسمى صخرا. و روى عن مجاهد: أن اسمه آصف، و أن سليمان سأله: كيف تفتنون الناس؟! فقال الشيطان: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان، و ذهب ملكه، و قعد آصف على كرسيه، حتى كان ما كان من أمر السمكة، و العثور على الخاتم، و رجوع ملك سليمان إليه.

غير أن في رواية قتادة، و مجاهد أن الشيطان لم يسلط على نساء سليمان، و منعهن الله منه، فلم يقربهن، و لم يقربنه «١».

و نحن لا- نشك في أن هذه الخرافات من أكاذيب بنى إسرائيل، و أباطيلهم، و ما نسب إلى ابن عباس و غيره إنما تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب. و ليس أدل على هذا مما ذكره السيوطي في «الدر» بالإسناد إلى ابن عباس قال: أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هي؟، حتى سألت عنهن كعب الأجار- و حاشاه أن يسأله-. (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٠٩-٣١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٦

و ذكر منها: و سألته عن قوله تعالى: وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ قَالَ: الشيطان أخذ خاتم سليمان عليه السلام الذي فيه ملكه، فقذف به في البحر، فوقع في بطن سمكة، فانطلق سليمان يطوف إذ تصدق عليه بتلك السمكة فاشتواها، فأكلها، فإذا فيها خاتمها، فرجع إليه ملكه «١».

و كذا ذكرها مطولة جداً: البغوي في تفسيره، عن محمد بن إسحاق- و حاشاه- عن وهب بن منبه «٢».

قال الإمام القاضي عياض في «الشفاء»: «و لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به، و تسلطه على ملكه، و تصرفه في أمته بالجور في حكمه؛ لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، و قد عصم الأنبياء من مثله» «٣» و كذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره «٤»، قال بعد أن ذكر الكثير منها:

و هذه كلها من الإسرائيليات، و من أنكرها ما قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، قال: حدثنا محمد بن العلاء، و عثمان بن أبي شيبة، و علي بن محمد، قالوا: حدثنا أبو معاوية قال: أخبرنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس في قوله

تعالى: وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَيدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ: أراد سليمان عليه السّلام أن يدخل الخلاء. ثم ذكر الرواية التي ذكرناها أولاً قال: لكنه حديث مفترى و الظاهر أنه من افتراءات أهل الكتاب، و فيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السّلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه؛ (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٣١٠.

(٢) تفسير البغوى، ج ٤، ص ٦١-٦٤.

(٣) الشفاء، ج ٢، ص ١٦٢.

(٤) ج ٤، ص ٣٥-٣٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٧

و لهذا كان فى هذا السياق منكرات، من أشدها ذكر النساء. فإن المشهور عن مجاهد و غير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله عزّ و جل منه، تشريفاً، و تكريماً لنبىه عليه السّلام. و قد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضى الله عنه كسعید بن المسيب و زيد بن أسلم، و جماعة آخرين، و كلها متلقاة عن أهل الكتاب، و الله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب.

قال أبو شهبة: و هذه الأحاديث كلها أكاذيب، و تلفيقات. و لكن بعض الكذبة من بنى إسرائيل كان أحرص، و أبعد غورا من البعض الآخر، فلم يتورط فيما تورط فيه البعض، من ذكر تسلط الشيطان على نساء داود عليه السّلام و ذلك حتى يكون لما لفقّه، و افتراه، بعض القبول عند الناس. أما البعض الآخر فكان ساذجا فى كذبه، مغفلا فى تلفيقه، فترك آثار الجريمة بينه و واضحه، و بذلك اشتمل ما لفقّه على دليل كذبه.

و من العجيب أن الإمام السيوطى نبه فى كتابه «تخريج أحاديث الشفا» أنها إسرائيليات، تلقاها أهل الحديث عن أهل الكتاب. و ليته نبه إلى ذلك فى التفسير.

و الحق أن نسج القصة مهلهل، عليه أثر الصنعة و الاختلاق، و يصادم العقل السليم، و النقل الصحيح فى هذا.

و إذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان عليه السّلام، فأى ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟! و كيف يسلط الله الشيطان على نساء نبىه سليمان، و هو أكرم على الله من ذلك؟! و أى ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه، و يزولان بزواله؟! و ما عهدنا فى التاريخ البشرى شيئا من ذلك.

و إذا كان خاتم سليمان عليه السّلام بهذه المثابة؛ فكيف يغفل الله شأنه فى كتابه الشاهد على الكتب السماوية، و لم يذكره بكلمة؟! و هل غير الله - سبحانه - خلقه

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٨

سليمان فى لحظة، حتى أنكرته أعرف الناس به، و هى زوجته جرادة؟! الحق أن نسج القصة مهلهل، لا يصمد أمام النقد، و أن آثار الكذب و الاختلاق بادية عليها.

### نسبة بعض هذه الأكاذيب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

و قد تجرأ بعض الرواة، أو غلط، فرفع بعض هذه الإسرائيليات إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، قال السيوطى فى «الدر المنثور»، و أخرج الطبرانى فى «الأوسط» (١)، و ابن مردويه بسند ضعيف، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ولد لسليمان ولد، فقال للشيطان: تواريه من الموت، قالوا: نذهب به إلى المشرق، فقال: يصل إليه الموت، قالوا: فإلى المغرب، قال: يصل إليه الموت، قالوا: إلى البحار، قال: يصل إليه الموت، قالوا: نضعه بين السماء و الأرض، قال:

نعم، و نزل عليه ملك الموت، فقال: إنى أمرت بقبض نسمة طلبتها فى البحار، و طلبتها فى تخوم الأرض فلم أصبها، فبينا أنا قاعد



أصبتها، فقبضتها، وجاء جسده، حتى وقع على كرسى سليمان، فهو قول الله: «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ». وهذا الحديث موضوع على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد يكون ذلك من عمل بعض الزنادقة، أو غلط بعض الرواة، وقد تبه علي وضعه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي، وقال: يحيى - يعني ابن كثير - يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم، ولا ينسب إلى نبي الله سليمان ذلك، و وافقه السيوطي على وضعه «٢»، ولا يشك (١) يعني في كتابه «المعجم الأوسط».

(٢) اللثالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعه، ج ٢، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٧٩

في وضع هذا إلّا من يشك في عصمة الأنبياء عن مثله، و أحر بمثل هذا أن يكون مختلقا على نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و على نبي الله سليمان عليه السلام، و إنما هو من إسرائيليات بنى إسرائيل و أكاذيبهم.

و الصحيح في تفسير الفتنة هنا حسبما ذكرناه في التمهيد، ج ٣، ص ٤٤٣ و ٤٤٤ أن سليمان عليه السلام قال يوما لأصحابه: لأطوفن الليلة على نسائي لتلد كل واحدة غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله. قال ذلك قاطعا بالأمر، فقد تمنى ما لم يكن في استطاعته إلّا أن يشاء الله. فأراد الله تنبيهه على بادرته تلك، فطاف عليهنّ كلهنّ لم تحمل منهنّ سوى واحدة، و جاءت بسقط ميت «١».

### ٣١- الإسرائيليات في قصة أيوب عليه السلام

#### إشارة

و من القصص التي تزيد فيها المتزيدون، و استغلها القصاصون، و أطلقوا فيها لخيالهم العنان: قصة سيدنا أيوب عليه السلام، فقد رووا فيها ما عصم الله أنبياءه عنه.

و صوروه بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله.

فقد ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: «وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْجُصْ بِرِجْلَيْكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِلأُولَى الأَلْبَابِ. وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٢)». ذكر السيوطي في «الدر المنثور» وغيره، عن قتادة رضى الله عنه في قوله تعالى: «وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ... (١) مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٧٥.

(٢) ص / ٤١-٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٠

، قال: ذهب الأهل و المال، و الضر الذي أصابه في جسده، قال: ابتلى سبع سنين و أشهر، فألقى على كناسه بنى إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، و أعظم له الأجر، و أحسن.

قال: و أخرج أحمد في الزهد، و ابن أبي حاتم، و ابن عساکر عن ابن عباس رحمهما الله، قال: إن الشيطان عرج إلى السماء فقال: يا رب سلطني على أيوب عليه السلام، قال الله: قد سلطتك على ماله، و ولده، و لم أسلطك على جسده، فنزل، فجمع جنوده، فقال لهم: قد سلطت على أيوب عليه السلام فأروني سلطانكم، فصاروا نيرانا، ثم صاروا ماء، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب، و بينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، و طائفة إلى أهله، و طائفة إلى بقره، و طائفة إلى غنمه، و قال: إنه لا يعتصم منكم إلّا بالمعروف، فأتوه بالمصائب، بعضها على بعض، فجاء صاحب الزرع، فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك، أرسل على زرعتك عدوا، فذهب به. و جاء صاحب الإبل، و قال: ألم تر إلى ربك، أرسل على إبلك عدوا، فذهب بها. ثم جاء صاحب البقر، فقال: ألم تر إلى ربك أرسل على بقرتك عدوا، فذهب بها. و تفرد هو بينه، جمعهم في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، و يشربون، إذ هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام، فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك جمع بنيك في

بيت أكبرهم، فينما هم يأكلون، و يشربون، إذ هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم. فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم و لحومهم بطعامهم، و شرابهم. فقال له أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم ولدتنى أمى، فقام، فحلق رأسه، و قام يصلى، فرن إبليس رنةً سمع بها أهل السماء، و أهل الأرض، ثم خرج إلى السماء، فقال: أى رب، إنه قد اعتصم، فسألتنى عليه، فإنى لا أستطيعه إلا بسطانك، قال: قد سلطتك على جسده،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨١

و لم أسلطك على قلبه، فتزل، فنفتح تحت قدمه نفخة، قرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحةً واحدة، و ألقى على الرماد، حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى إليه، حتى قالت له: أما ترى يا أيوب قد نزل بى و الله من الجهد و الفاقة ما إن بعث قرونى برغيف، فأطعمك، فادع الله أن يشفيك، و يريحك، قال: ويحك، كنا فى النعيم سبعين عاما، فاصبرى حتى نكون فى الضرّ سبعين عاما، فكان فى البلاء سبع سنين، و دعا، فجاء جبريل عليه السلام يوما فأخذ بيده، ثم قال: قم، فقام، فنحاه عن مكانه، و قال: أركض برجلك، هذا مغتسل بارد و شراب، فركض برجله، فنبعت عين، فقال: اغتسل، فاغتسل منها، ثم جاء أيضا، فقال: أركض برجلك فنبعت عين أخرى، فقال له: اشرب منها، و هو قوله: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ، و ألبسه الله حلّة من الجنة.

فتنحى أيوب، فجلس فى ناحية، و جاءت امرأته، فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين المبتلى الذى كان هنا؟ لعل الكلاب ذهبت به، أو الذئب، و جعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك، أنا أيوب!! قد ردّ الله علىّ جسدى، و ردّ الله عليه ماله، و ولده عيانا و مثلهم معهم (١). قال: و أخرج أحمد فى الزهد، عن عبد الرحمن بن جبير رضى الله عنه، قال: ابتلى أيوب بماله، و ولده، و جسده، و طرح فى المزبلة، فجاءت امرأته تخرج، فتكتسب عليه ما تطعمه، فحسده الشيطان بذلك، فكان يأتى أصحاب الخير و الغنى، فيقول: اطردوا هذه المرأة التى تغشاكم، فإنها تعالج صاحبها، و تلمسه بيدها، فالناس يتقذرون طعامكم من أجلها، فجعّلوا لا يدنونها منهم، و يقولون: تباعدى و نحن نطعمك، و لا تقربينا. (١) الدر المنثور، ج ٥، ص ٣١٥ و ٣١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٢

و قد ذكر ابن جرير، و ابن أبى حاتم الكثير من هذه الروايات فى تفسيريهما، منها: ما هو موقوف، و بعضها مرفوع إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلّم، و كذلك ذكر ابن جرير، و البغوى، و غيرهما، عند تفسير قوله تعالى: وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنَى الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ ذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (١) الكثير من الإسرائيليات.

فقد روى قصة أيوب و بلائه عن وهب بن منبه، فى بضع صحائف، و قد التبس فيها الحق بالباطل، و الصدق بالكذب (٢). و قال ابن كثير فى تفسيره عند هذه الآية: «و قد روى عن وهب بن منبه فى خبره - يعنى أيوب - قصة طويلة، ساقها ابن جرير، و ابن أبى حاتم بالسند عنه، و ذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، و فيها غرابة، تركناها لحال الطول. و من العجيب أن الحافظ ابن كثير وقع فيما وقع فيه غيره فى قصة أيوب، من ذكر الكثير من الإسرائيليات و لم يعقب عليه (٣)، مع أن عهدنا به أنه لا يذكر شيئا من ذلك إلا و يتبه على مصدره، و من أين دخل فى الرواية الإسلامية، و لا أظن أنه يرى فى هذا أنه مما تباح روايته!! فقد ذكر أنه يقال: إنه أصيب بالجذام فى سائر بدنه، و لم يبق منه سليم سوى قلبه و لسانه، يذكر بهما الله عزّ و جل حتى عافه الجليس، و صار منبوذا فى ناحية من البلد، و لم يبق أحد من الناس يحنو عليه غير زوجته، و تحمّلت فى بلائه ما تحمّلت، حتى صارت تخدم الناس، بل قد باعت شعرها بسبب ذلك، ثم قال: (١) الأنبياء/ ٨٣ و ٨٤.

(٢) تفسير البغوى، ج ٣، ص ٢٥٦ - ٢٦٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٨٨ - ١٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٣

وقد روى، أنه مكث في البلاء مدةً طويلةً، ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء، فقال الحسن - يعنى البصرى - و قتادة: ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهر؛ ملقى على كنانة بنى إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء. وقال وهب بن منبه: مكث في البلاء ثلاث سنين، لا يزيد ولا ينقص. وقال السدى: تساقط لحم أيوب، حتى لم يبق إلا العصب والعظام. ثم ذكر قصةً طويلةً.

ثم ذكر ما

رواه ابن أبي حاتم بسنده، عن الزهرى، عن أنس بن مالك: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم - والله - لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله، فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب عليه السلام: ما أدرى ما تقول، غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فيذكر ان الله، فأرجع إلى بيتى، فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا فى حق. قال: وكان يخرج فى حاجته، فإذا قضاه أمسكت امرأته بيده، حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى الله إلى أيوب فى مكانه: أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب».

وقال ابن كثير: رفع هذا الحديث غريب جدا «١»، وقال الحافظ ابن حجر:

وأصح ما ورد فى قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير، وصححه ابن حبان (١) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٤

و الحاكم، بسند عن أنس: أن أيوب ... ثم ذكر مثل ذلك.

و المحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم إما من عمل بعض الوضّاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بنى إسرائيل و افتراءاتهم على الأنبياء. على أن صحة السند فى مصطلحهم لا تنافى أن أصله من الإسرائيليات، و ابن حجر على مكانته فى الحديث ربما يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلة العقلية و النقلية، كما فعل فى قصة الغرائق، و هاروت و ماروت، و كل ما روى موقوفاً أو مرفوعاً لا يخرج عما ذكره وهب بن منبه، فى قصة أيوب، التى أشرنا إليها آنفاً، و ما روى عن ابن إسحاق أيضاً، فهو مما أخذ عن وهب، و غيره.

و هذا يدلّ أعظم الدلالة على أن معظم ما روى فى قصة أيوب مما أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، و جاء القصاصون المولعون بالغرائب، فزادوا فى قصة أيوب، و أذاعوها، حتى اتخذ منها الشحاذون، و المتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس، و استدرار العطف عليهم.

### الحق فى هذه القصة

وقد دل كتاب الله الصادق، على لسان نبى محمد الصادق، على أن الله تبارك و تعالى ابتلى نبىه أيوب عليه السلام فى جسده، و أهله، و ماله، و أنه صبر حتى صار مضرب الأمثال فى ذلك، و قد أثنى الله عليه هذا الثناء المستطاب، قال عز شأنه:

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ، فالبلاء مما لا يجوز أن يشك فيه أبداً، و الواجب على المسلم أن يقف عند كتاب الله، و لا يتزيد فى القصة كما تزيد زنادقة أهل الكتاب، و ألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم، و ليس هذا بعجيب من بنى إسرائيل الذين لم يتجزّوا على على أنبياء الله و رسله فحسب، بل تجزّوا على

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٥

الله تبارك و تعالى و نالوا منه، و فحشوا عليه، و نسبوا إليه ما قامت الأدلة العقلية و النقلية المتواترة على استحالة عليه سبحانه و تعالى

من قولهم: إِنَّ اللَّهَ قَئِيمٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ «١»، و قولهم: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا «٢»، عليهم لعنة الله. و الذى يجب أن نعتقده أنه ابتلى، و لكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام «٣»، و أن جسمه أصبح قرحة، و أنه ألقى على كناسه بنى إسرائيل، يرمى فى جسده الدود، و تعبت به دواب بنى إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدري. و أيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على مزيله، و أن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، و يفززه منه، و أى فائدة تحصل من الرسالة، و هو على هذه الحال المزريه، التى لا يرضاها الله لأنبيائه و رسله؟.

و الأنبياء إنما يعثون من أوساط «٤» قومهم، فأين كانت عشيرته فتواريه، و تطعمه؟! بدل أن تخدم امرأته الناس، بل و تبع صفيرتها فى سبيل إطعامه!! بل أين كان أتباعه، و المؤمنون منه، فهل تخلوا عنه فى بلائه؟! و كيف و الإيمان ينافى ذلك؟! الحق أن نسج القصة مهلهل، لا يثبت أمام النقد، و لا يؤيده عقل سليم، و لا نقل صحيح، و أن ما أصيب به أيوب من المرض إنما كان من النوع غير المنفر، (١) آل عمران / ١٨١.

(٢) المائدة / ٦٤.

(٣) الجذام: مرض من أخصب الأمراض، و أقدرها.

(٤) خيارهم و أكرمهم نسبا و عشيرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٦

و المقزز، و أنه من الأمراض التى لا يظهر أثرها على البشرة، كالروماتيزم، و أمراض المفاصل، و العظام و نحوها. و يؤيد ذلك أن الله لما أمره أن يضرب الأرض بقدمه، فضرب فنبعت عين، فاغتسل منها و شرب، فبرأ بإذن الله. قال العلامة الطبرسى: قال أهل التحقيق: إنه لا يجوز أن يكون بصفه يستقذره الناس عليها، لأن فى ذلك تنفيرا. فأما المرض و الفقر و ذهاب الأهل، فيجوز أن يمتحنه الله بذلك «١».

### ٣٢- الإسرائيليات فى قصة إرم ذات العمد

#### إشارة

و من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين كالطبرى، و الثعلبى، و الزمخشري، و غيرهم فى تفسير قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ «٢».

فقد زعموا أن «إرم» مدينة، و ذكروا فى بنائها و زخارفها ما هو من قبيل الخيال، و روى فى ذلك أنه كان لعاد ابنان: شداد، شديد، فملكا و قهرا، ثم مات شديد و خلص الأمر لشداد فملك الدنيا، فسمع بذكر الجنة، فقال: أبني مثلها، فبنى «إرم» فى بعض صحارى عدن، فى ثلاثمائة سنة، و كان عمره تسعمائة سنة، و هى مدينة عظيمة، و سورها من الذهب و الفضة، و أساطينها من الزبرجد و الياقوت. و لما تم بناؤها سار إليها بأهب «٣» مملكته، فلما كان منها مسيرة يوم (١) مجمع البيان، ج، ٧٨.

(٢) الفجر / ٦- ٨.

(٣) جمع أهبه، و الأهبة- بضم الهمزة- العدة كما فى القاموس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٧

و ليلة بعث الله تعالى صيحة من السماء، فهلكوا.

و روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابه: أنه خرج فى طلب إبل له، فوقع عليها- يعنى مدينة «إرم»-، فحمل منها ما قدر عليه، و بلغ خبره معاوية، فاستحضره، و قص عليه، فبعث إلى كعب الأخبار، فسأله عنها فقال: هى إرم ذات العمد، و سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانه أحمر، أشقر، قصير، على حاجبه خال، ثم التفت، فأبصر ابن قلابه، فقال: هذا و الله ذاك الرجل «١».

وهذه القصة موضوعه، كما تبّه إلى ذلك الحفاظ، و آثار الوضع لائحة عليه، و كذلك ما روى: أن «إرم» مدينة دمشق، و قيل: مدينة الإسكندرية. قال السيوطي في «الدر المنثور»: و أخرج عبد بن حميد، و ابن أبي حاتم، عن عكرمة، قال: «إرم» هي دمشق، و أخرج ابن جرير، و عبد بن حميد، و ابن عساكر عن سعيد المقبري مثله، و أخرج ابن عساكر، عن سعيد بن المسيب، مثله، قال: و أخرج ابن جرير، و ابن المنذر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: «إرم» هي الإسكندرية (٢). و كل ذلك من خرافات بنى إسرائيل، و من وضع زنادقتهم، ثم رواها مسلمة أهل الكتاب فيما رروا، و حملها عنهم بعض الصحابة و التابعين، و ألفت بتفسير القرآن الكريم.

قال ابن كثير في تفسيره: و من زعم أن المراد بقوله: إِرْمَ ذاتِ العِمَادِ: مدينة إما دمشق، أو إسكندرية، أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلثم الكلام على (١) انظر الكشاف، ج ٤، ص ٧٤٨، عند تفسير هذه الآية، و تفسير البغوي، ج ٤، ص ٤٨٢، و النسفي، و الخازن عند تفسير هذه الآية. (٢) الدر المنثور، ج ٦، ص ٣٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٨

هذا أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَّ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذاتِ العِمَادِ أن جعل بدلا أو عطف بيان؟ «١»، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ، ثم المراد: إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، و ما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد: الإخبار عن مدينة أو إقليم، و إنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية، من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العمداء، مبنية بلبن الذهب و الفضة، و أن حصباءها لآلئ و جواهر، و ترابها بنادق المسك ... فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين، من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك. و قال فيما روى عن ابن قلابه: فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، و لو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أصابه نوع من الهوس، و الخيال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، و هذا ما يقطع بعدم صحته «٢». و هذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة، و الطامعين، و المتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطر الذهب و الفضة، فيحتالون على أموال الأغنياء و الضعفة، و السفهاء، فيأكلونها بالباطل، في صرفها في بخاخير، و عقاقير، و نحو ذلك من الهذيان، و يطنزون بهم.

و الصحيح في تفسير الآية؛ أن المراد (بعاد، إرم ذات العمداء) قبيلة عاد المشهورة، التي كانت تسكن الأحقاف، شمالي حضرموت، و هي عاد الأولى، التي ذكرها الله سبحانه في سورة النجم، قال سبحانه: وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى و يقال لمن بعدهم: عاد الآخرة، و هم ولد عاد بن إرم بن عوص، بن سام، بن (١) أي لفظ، إرم، بدل من عاد أو عطف بيان.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٠٧-٥٠٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٨٩

نوح. قاله ابن إسحاق وغيره، و هم الذين بعث فيهم رسول الله هوذا عليه السلام فكذبوه، و خالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم، و من آمن معه منهم، و أهلكهم بريح صرصر عاتية، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ؟ «١».

و قد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقله تعالى: إِرْمَ ذاتِ العِمَادِ، بدل من «عاد» أو عطف بيان زيادة تعريف بهم، و قوله تعالى: ذاتِ العِمَادِ؛ لأنهم كانوا في زمانهم أشد الناس خلقه، و أعظمهم أجساما، و أقواهم بطشا. و قيل: ذات الأبنية التي بنوها، و الدور، و المصانع التي شادوها. و قيل: لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الغلاظ الشداد. و الأول أصح و أولى، فقد ذكرهم نبيهم هود بهذه النعمة، و أرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة الله - تبارك و تعالى - الذي خلقهم و منحهم هذه القوة، فقال: وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَآذَوْا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ «٢»، و

قال تعالى: فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً «٣»، و قوله هنا: الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ أَي الْقَبِيلَةَ الْمَعْرُوفَةَ الْمَشْهُورَةَ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي بِلَادِهِمْ، وَ فِي زَمَانِهِمْ، لِقَوَّتِهِمْ، وَ شِدَّتِهِمْ، وَ عَظَمَ تَرَكِّيهِمْ.

و مهما يكن من تفسير ذات العماد: فالمراد القبيلة، و ليس المراد مدينته، (١) الحاقفة / ٦-٨.

(٢) الأعراف / ٦٩.

(٣) فصلت / ١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٠

فالحديث في السورة إنما هو عَمَّنْ مَضَى مِنَ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ مَكَّنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَ لَمَّا لَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَ بَرَسَلَهُ، بَطَشَ بِهِمْ، وَ أَخَذَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ. ففیه تخويف لكفار مكة، الذين هم دون هؤلاء في كل شيء، و تحذيرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء.

### ما روى في عظم طولهم

و ليس معنى قوتهم، و عظم خلقهم، و شدة بطشهم أنهم خارجون عن المألوف في الفطرة، فمن ثم لا نكاد نصدق ما روى في عظم أجسامهم، و خروج طولهم عن المألوف المعروف، حتى في هذه الأزمنة، فقد روى ابن جرير في تفسيره، و ابن أبي حاتم و غيرهما عن قتادة، قال: كنا نحدث أن «إرم» قبيلة من عاد، كان يقال لهم: ذات العماد، كانوا أهل عمود، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر ذراعاً «١» طولاً- في السماء، و هذا من جنس ما روى في العماليق. و أغلب الظن عندنا أن من ذكر لهم ذلك هم أهل الكتاب الذين أسلموا، و أنه من الإسرائيليات المختلفة.

و أيضاً لا نكاد نصدق، ما روى عن المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي هَذَا،

فقد روى ابن أبي حاتم، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أبو صالح كاتب الليث، قال: حدثني معاوية ابن صالح، عن حماد بن عمار، عن المقدم بن معديكرب، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فَقَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَأْتِي إِلَى الصَّخْرَةِ، فَيَحْمِلُهَا عَلَى كَاهِلِهِ، فَيَلْقِيهَا عَلَى أَيِّ حَى أَرَادَ فِيهِلْكُهُمْ» «٢». و لعل البلاء، و الاختلاق فيه من (١) حوالي ستة أمتار أو تزيد.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٠٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩١

المجهول، و روى مثله ابن مردويه «١».

و أخزى الله من نسب مثل هذا الباطل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ لَا- نشك أن هذا من عمل زنادقة أهل الكتاب و غيرهم، الذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الإسلام، فسلخوا في محاربتة مسلك الدس، و الاختلاق، بنسبة أمثال هذه الخرافات إلى المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ إِنَّا لَنَعْجَبُ لِمَسْلَمٍ يَقْبَلُ أَمْثَالَ هَذِهِ الْمُرُويَاتِ الَّتِي تَزْرِي بِالْإِسْلَامِ، وَ تَنْفِرُ مِنْهُ، وَ لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي تَقَدَّمَتْ فِيهِ الْعُلُومُ، وَ الْمَعَارِفُ، وَ أَصْبَحَ ذَكَرُ مِثْلِ هَذَا يَثِيرَ السَّخْرِيَّةِ، وَ الْاِسْتِكَارِ وَ الْاِسْتِهْزَاءِ.

### الإسرائيليات و الخرافات فيما يتعلق بعمر الدنيا و بدء الخلق، و أسرار الوجود، و تحليل بعض الظواهر الكونية

و من الإسرائيليات و الموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير و غيرها كثير مما يتعلق بعمر الدنيا و بدء الخلق، و أسرار الوجود، و أسباب الكائنات، و تحليل بعض الظواهر الكونية تعليلاً باطلاً غير صحيح، و قد جاء معظمه موقوفاً على الصحابة و التابعين، و جاء بعضه مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ هُنَا تَكُونُ الطَّامَةُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْمُرُويَاتِ مَتَهافتة باطلة، فنسبتها إلى المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

و آله و سلم من الخطورة بمكان.

و كأن هؤلاء الذين وضعوها و ألصقوها بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم زورا؛ كانوا يدركون ببعد نظرهم أنه سيأتي اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق العلمية لهذه الأمور الكونية، و معرفة التعليقات الصحيحة لسنن الله في الكون، فنسبوا إليه هذه الخرافات، كي يشككوا في عصمة النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و أنه ما ينطق عن الهوى، و يقللوا الثقة بالأنبياء، و هم قوم من الزنادقة الذين جمعوا بين الزندقة، و العلم، (١) الدر المنثور، ج ٦، ص ٣٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٢

و المعرفة ببعض الظواهر، و العلوم الكونية، و هم أعظم الطوائف كيدا للإسلام، لخبث نياتهم، و إحكام كيدهم. و لا ندرى ما ذا يكون موقف الداعي إلى الله في المجتمعات العلمية، و البيئات المتحضرة إذا و وجه بمثل هذه الروايات الباطلة التي تغض من شأن الإسلام، و هو منها براء؟

و لو أن هذه المرويات صحت أسانيدها لربما كان للمتمسكين بها، و المنتصرين لها بعض المعذرة، أما و هي ضعيفة أسانيدها، و اهية مخارجها، فالواجب ردّها و لا كرامة. نعم، إن معظم هذه المرويات في الأمور الكونية تخالف مخالفة ظاهرة، المقررات و الحقائق العلمية التي أصبحت في حكم البديهيات و المسلمات ككروية الأرض، و دورانها، و سبب حدوث الخسوف و الكسوف و نحوها، و الانتصار لهذه المرويات التي تصادم الحقائق العلمية الثابتة، مما يعود على الإسلام بالضرر و النقص، و ينفر منه المفكرون و ذوو العلم، و المعرفة، بل هي أضرت على الإسلام من طعن أعدائه فيه.

### ما يتعلق بعمر الدنيا

فقد ذكروا في

عمر الدنيا أنه سبعة آلاف سنة، و أن النبي محمدا صلى الله عليه و آله و سلم، بعث في آخر السادسة، فقد ورد ذلك مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و حكم عليه ابن الجوزي بالوضع في كتابه «الموضوعات»، و أحر به أن يكون مختلقا مكذوبا على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و كذلك جاء بعض هذه الأخبار موقوفا على ابن عباس رحمهما الله ورد ذكر ذلك في كتب التفسير، و بعض كتب الحديث، و كتب التواريخ و نحوها، و قد قال السيوطي: إنها صحيحة!!

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٣

و لا ندرى ما ذا يقول المنتصرون لمثل هذه الأباطيل، فيما هو ثابت من أن عمر الدنيا أضعاف أضعاف ذلك، حتى أصبح ذلك من البديهيات المسلمات، و إن التمسك بمثل هذه الروايات أضرت على الدين من طعن أعدائه.

و لو أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم بعث - كما يقولون - في آخر المائة السادسة، لقامت القيامة من زمن مضى، فظهر أن الواقع و المشاهدة يكذبان ذلك أيضا، و يردّانه.

### ما يتعلق بخلق الشمس و القمر

و من ذلك أيضا: ما ذكره ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه و الثعلبي، و غيرهم من المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ. وَ لَتَعْلَمُوا عَمَدَ السَّيْنِ وَالْحِسَابَ وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلًا «١».

فقد رووا عن ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن الله لما أبرم خلقه، فلم يبق من خلقه غير آدم عليه السلام، خلق شمسا من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علم الله أن يدعها شمسا، فإنه خلقها مثل الدنيا، ما بين مشارقها ومغاربها، وأما ما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمرا، فإنه خلقها مثل الشمس في الضوء، وإنما يرى الناس صغرها لشدة ارتفاعهما، ولو تركهما الله كما خلقهما في بدء الأمر لم يعرف الليل من النهار، ولا النهار من الليل، وكان الأجير ليس له وقت يستريح فيه، و لو كان الصائم لا يدرى إلى متى يصوم، ومتى يفطر، إلى أن قال: فأرسل جبريل، فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات، وهو يومئذ شمس فمحا عنه الضوء، وبقي فيه النور، فذلك قوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِلَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ فِي النُّجُومِ. (المحور). (١) الإسراء / ١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٤

وكذلك روى هذا الباطل ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وسنده واه؛ لأن فيه نوح بن أبي مريم، وهو وضاع دجال، وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع والاختلاق «١»، ومنشؤه من الإسرائيليات التي ألصقت بالنبي زورا، وفيه من الركاكة اللفظية، والمعنوية ما يشهد بوضعه على النبي، وليس عليه شيء من نور النبوة.

وما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعرض للكونيات بهذا التفصيل، ولما سئل عن الهلال لم يبدو صغيرا ثم يكبر، حتى يصير بدرا، ثم يصغر؟، أجاب بالفائدة، فقال: هي مواقيت للناس والحج لأن بالأهله تعرف السنون، والمشهور، وعليها تتوقف مصالح الناس الدينية والدنيوية، فيها يعرفون حجهم، وصومهم، وإخراج زكاتهم، وحلول آجال ديونهم ونحوها، وليس من الحكمة التعرض لمثل هذه الكونيات بالتفصيل، فتركها لعقول الناس، وإدراكاتهم أولى، ولا سيما أنه لا يتوقف على معرفة الأمة لمثل هذه الأمور فائدة دينية، والقرآن والسنة النبوية حينما يعرضان للحديث عن الكونيات يكون غرضهما انتزاع العبرة، والاستدلال بما أودع فيهما على وجود الله - جل وعلا - و وحدانيته، وقدرته، وعلمه، وسائر صفاته، ولذلك لا نقف فيما صح و ثبت من الأحاديث على مثل هذه التفصيلات التي نجدها في الآثار الضعيفة، والإسرائيليات الباطلة.

### ما يتعلق بتعليل بعض الظواهر الكونية

ومن ذلك ما يذكره بعض المفسرين، وما يوجد في بعض كتب الحديث في غروب الشمس، وأنها إذا غربت ابتلعها حوت، وما يتعلق بالسموات، والأجرام السماوية، ومن أي الجواهر هي؛ والأرض وعلام استقرت، وأنها على ظهر (١) اللثالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، ج ١، ص ٢٤ وما بعدها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٥

حوت، وما يذكره في تعليل برودة الآبار في الصيف، و سخونها في الشتاء، وعن منشأ الرعد والبرق، وعن منشأ السحاب، إلى نحو ذلك مما لا نصدق وروده عن المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم. وما ورد منه موقوفا، فمرجه إلى الإسرائيليات الباطلة، أو إلى الزنادقة الذين أرادوا أن يظهر الإسلام بمظهر الدين الخرافي الذي ينافي العلم، والسنن الكونية.

فقد روى عن أبي أمامة الباهلي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «وكل بالشمس تسعة أملاك، يرمونها بالثلج كل يوم، لو لا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقت» رواه الطبراني.

ومن أحد رواته عقير بن معدان، وهو ضعيف جدا، ولو أن الحديث صحيح السند، أو ثابت، لتمحنا، وقلنا: إنه من قبيل التمثيل، أما وهو بهذا الضعف فلتلق به دبر آذاننا.

و

عن ابن عمر، قال: «سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقيل: أ رأيت الأرض على ما هي؟



قال: «الأرض على الماء» قيل: الماء على ما هو؟ قال: «على صخرة» فقيل:

الصخرة على ما هي؟ قال: «هي على ظهر حوت يلتقى طرفاه بالعرش»!! قيل:

الحوت على ما هو؟ قال: «على كاهل ملك، قدماه على الهواء». رواه البزار عن شيخه عبد الله بن أحمد، يعني ابن شبيب

، و هو ضعيف. و عن الربيع بن أنس قال: «السماء الدنيا موج مكفوف، و الثانية: صخرة، و الثالثة: حديد، و الرابعة:

نحاس، و الخامسة: فضة، و السادسة: ذهب، و السابعة: ياقوت». رواه الطبراني في «الأوسط» هكذا موقوفا على الربيع، و فيه أبو جعفر

الرازي، وثقه أبو حاتم و غيره، و ضعفه النسائي و غيره «١». (١) مجمع الزوائد للهيثمى، ج ٨، ص ١٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٦

و

روى الطبراني في «الأوسط» بسنده، فقال: حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي الخطيب، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد

الصمد السلمى، قال: حدثنا أبو عمران الحراني، قال: حدثنا ابن جريج عن عطاء، عن جابر بن عبد الله، أن خزيمه بن ثابت - و هو ليس

بالأنصاري المشهور - كان في غير لخديجة، و أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان معه في تلك العير، فقال له: يا محمد، أرى

فيك خصالا، و أشهد أنك النبي الذي يخرج من تهامة، و قد آمنت بك، فإذا سمعت بخروجك أتيتك. فأبطأ عن النبي صلى الله

عليه و آله و سلم، حتى كان يوم فتح مكة أياه، فلما رآه قال: «مرحبا بالمهاجر الأول» و ....

ثم قال: يا رسول الله، أخبرني عن ضوء النهار، و ظلمة الليل، و عن حرّ الماء في الشتاء، و عن برده في الصيف، و عن البلد الأمين، و

عن منشأ السحاب، و عن مخرج الجراد، و عن الرعد و البرق، و عن ما للرجل من الولد، و ما للمرأة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أما ظلمة الليل، و ضوء النهار، فإن الشمس إذا سقطت تحت الأرض، فأظلم الليل لذلك،

و إذا أضاء الصبح، ابتدرها سبعون ألف ملك، و هي تقاعس كراهية أن تعبد من دون الله، حتى تطلع، فتضئ، فيطول الليل بطول

مكثها، فيسخن الماء لذلك. و إذا كان الصيف، قلّ مكثها، فبرد الماء لذلك.

و أما الجراد، فإنه نثره حوت في البحر، يقال له: «الأبوات»، و فيه يهلك. و أما منشأ السحاب، فإنه ينشأ من قبل الخافقين، و من بين

الخافقين تلجمه الصبا و الجنوب، و يستدبره الشمال و الدبور. و أما الرعد، فإنه ملك بيده مخراق «١» يدنى القاصية، و يؤخر الدانية،

فإذا رفع برقت، و إذا زجر رعدت، و إذا ضرب «١» المخراق: خرق تفتل و يضرب به الصبيان بعضهم بعضا، و المراد هنا آله تزجر بها

الملائكة السحاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٧

صعقت. و أما ما للرجل من الولد، و ما للمرأة، فإن للرجل العظام، و العروق، و العصب، و للمرأة اللحم، و الدم، و الشعر. و أما البلد

الأمين، فمكة».

و قال الهيثمي في «زوائد»: رواه الطبراني في «الأوسط»، و فيه يوسف بن يعقوب أبو عمران، ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته، و

لم يذكر تضعيفه عن أحد! «١».

و الحق أن الذهبي حكم ببطلان هذا الخبر، و قال: إن راويه عن يوسف بن يعقوب مجهول، و هو محمد بن عبد الرحمن السلمى

المذكور، و أحر به أن يكون باطلا، و لقد صدق الإمام الحافظ أبو عبد الله الذهبي، الذي أبان لنا قيمة هذه المرويات الباطلة، منذ

بضعة قرون.

و إليك ما قاله الذهبي بنصه، قال يوسف بن يعقوب أبو عمران عن ابن جريج، بخبر باطل طويل، و عنه إنسان مجهول و اسمه عبد

الرحمن السلمى، قال الطبراني: حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي الخطيب.

ثم ذكر الإسناد الذي ذكرته آنفا، و بعض المتن إلّا أنه قال: «إن خزيمه بن ثابت الأنصاري»، و قال: ذكره أبو موسى في الطوال، و

روى بعضه عبدان الأهوازي، عن السلمى هذا «٢».

فكيف يقول الهيثمي: ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته، و لم ينقل تضعيفه عن أحد؟! إنه- و الله- العجب!! و قد وافق الذهبي فيما قاله الإمام الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» «٣»، فقد ذكر ما ذكره الذهبي، غير أنه قال، عن (١) مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٣٢. (٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ٣، ص ٣٣٥، ترجمه رقم ٢٨٦٦، ط السعادة.

(٣) ج ٦، ص ٣٣٠، ط الهند.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٨

جابر بن عبد الله: أن خزيمة بن ثابت- و ليس بالأنصاري- كان في غير لخديجة، و ذكر القصة السابقة.

و ما ذكره الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» من أنه ليس بالأنصاري هو الصحيح، فهو خزيمة بن حكيم السلمى، و يقال له: ابن ثابت أيضا، كان صهر خديجة أم المؤمنين، فهو غير خزيمة بن ثابت الأنصاري، المشهور بأنه ذو الشهادتين قطعا «١». و مما يروى في مثل هذا، ما روى عن صباح بن أشرس، قال: «سئل ابن عباس عن المد و الجزر، فقال: إن ملكا موكلًا بناموس البحر، فإذا وضع رجله فاضت، و إذا رفعها غاضت»، قال الهيثمي: رواه أحمد، و فيه من لم أعرفه، أقول: و البلاء غالبا، إنما يكون من المجاهيل.

و

عن معاذ بن جبل، عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال: «المجرة التي في السماء هي عرق حية تحت العرش»، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» و «الأوسط»

، و قال:

لا يروى عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم إلّا بهذا الإسناد، و فيه: عبد الأعلى بن أبي سحره، و لم أعرفه، و بقيه رجاله ثقات، أقول: و البلاء من هذا الذي لا يعرف.

و

عن جابر بن عبد الله- رضوان الله عليه- قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: «يا معاذ، إنى مرسلك إلى قوم أهل عناد، فإذا سئلت عن المجرة التي في السماء فقل:

هي لعاب حية تحت العرش» رواه الطبراني

، و فيه الفضل بن المختار و هو ضعيف «٢»، أقول: و أحر بمثل هذا أن لا يروى إلّا من طريق ضعيف.

و كل هذا الذي ذكرناه، و أمثاله مما لا نصدق و روده عن المعصوم صَلَّى الله عليه و آله و سلم (١) الإصابة، ج ١، ص ٤٢٧، ترجمه ٢٢٥٨.

(٢) مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٢٩٩

و إنما هو من أكاذيب بنى إسرائيل و خرافاتهم، أو من وضع الزنادقة الخبثاء، و ألصق بالنبي زورا، و ما كان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم ليتكلم في الكونيات، و الفلكيات، و أسباب الكائنات بهذا التفصيل، كما حَقَّقنا لك آنفا. و في هذه المرويّات من السذاجة العلمية، و التفاهات، ما لا يليق بعقل، فضلا عن عقل العقلاء، الذي ما كان ينطق عن الهوى.

و أيضا فهذه التعليقات لا تتفق هي و المقررات العلمية المستقرة الثابتة، التي أصبحت في حكم اليقينيّات اليوم. و لا ندرى، كيف يكون حال الداعية إلى الإسلام اليوم في البلاد المتقدمة في العلم و المعرفة إذا لهج بمثل هذه الأباطيل التي تضرّ بالدين أكثر مما ينال منه أعداؤه؟ و لو أن هذه المرويّات كانت في كتب معتمدة من كتب الحديث، و الرواية التي تعنى بذكر الأحاديث الصحيحة و

الحسنة، لكان للمتصرين لها بعض العذر. أما وهي كما علمت غير معتدّ بها لضعف أسانيدھا، و مخالفتھا للعقل، و العلم اليقيني، فاضرب بها عرض الحائط و لا كرامة.

### ما ذكره المفسرون في الرعد و البرق في كتبهم

و معظم كتب التفاسير بالمأثور و غيره ذكرت: أن الرعد اسم ملك يسوق السحاب، و أن الصوت المسموع صوت زجره السحاب، أو صوت تسيحه، و أن البرق أثر من المخراق الذي يزجر به السحاب، أو لهب ينبعث منه، على أن المخراق من نار، و ذلك عند تفسير قوله تعالى: «وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ» (١) الآية، و يكاد لم يسلم من ذلك أحد منهم، إلّا أن منهم من يحاول أن يوفق بين ظاهر الآية و ما قاله الفلاسفة الطبيعيون في الرعد (١) الرعد / ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٠

و البرق، فيؤول الآية، و منهم من يبقى الآية على ظاهرها، و ينحى باللائمة على الفلاسفة و أضرابهم؛ الذين قاربوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه العلماء في العصر الحديث. ففي تفسير الخازن «١» قال أكثر المفسرين: على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب، و الصوت المسموع منه تسيحه، ثم أورد على هذا القول أن ما عطف عليه، و هو قوله تعالى: «وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ» يقتضى أن يكون المعطوف عليه مغايراً للمعطوف، لأنه الأصل، ثم أجاب: بأنه من قبيل ذكر الخاص قبل العام تشريفاً! و قد بسط الآلوسی في تفسيره- كما هي عادته- الأقوال في الآية، و ذكر أن للعلماء في إسناد التسيح إلى الرعد قولين: أن في الكلام حذفاً، أى سامعو الرعد، أو أن الإسناد مجازى من قبيل الإسناد إلى السبب و الحامل عليه، و الباء في «بحمده» للملابسة، أى يسبح السامعون لذلك الصوت متلبسين بحمد الله، فيقولون: سبحان الله، و الحمد لله.

و من العلماء من قال: إن تسيح الرعد بلسان الحال لا بلسان المقال، حيث شبه دلالة الرعد على قدرة الله و عظمته، و إحكام صنعته، و تنزيهه عن الشريك و العجز، بالتسيح و التنزيه، و التحميد اللفظى، ثم استعار لفظ يسبح لهذا المعنى.

و قالوا: إن هذا المعنى أنسب.

و كل هذا من العلماء في الحقيقة تخلص من حمل الآية على ظاهرها، و أن المراد بالرعد: الملك الموكل بالسحاب. ثم قال الآلوسی: و الذى اختاره أكثر المحدثين أن الإسناد حقيقى؛ بناء على أن الرعد اسم للملك الذى يسوق السحاب.

فقد روى أحمد، و الترمذى و صححه، و النسائى، و آخرون عن ابن (١) ج ٣، ص ٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠١

عباس - رضوان الله عليه - أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ فقال عليه السلام: «ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، بيديه مخراق من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله تعالى»، قالوا: فما ذلك الصوت الذى نسمعه؟ قال: «صوته» قالوا: «صدقت».

و هذا الحديث إن صح يمكن حمله على التمثيل، و لكن لا يطمئن القلب إليه، و لا يكاد يصدق وروده عن المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم و إنما هو من إسرائيليات بنى إسرائيل ألصقت بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم زورا، ثم كيف يتلاءم ما روى مع قوله قبل:

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبُرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ، و قوله بعد:

وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ «١»، فالآية في بيان قدرة الله و عظمته في إحداث هذه الآيات الكونية، على حسب ما خلقه الله في الكون من نواميس، و أسباب عادية! و إنما المناسب أن نفسر تسيح «الرعد» بلسان الحال، و عطف الملائكة على «الرعد» يقتضى أن يكون «الرعد» غيرها لما ذكرنا، و كأن السر في الجمع بينهما بيان أنه تواطأ على تعظيم الله و تنزيهه الجمادات و العقلاء، و أن ما لا

يعقل منقاد لله و خاضع كانقياد العقلاء سواء بسواء، و لا سيما الملائكة الذين هم مفطورون على الطاعة و الانقياد. و من الحق أن نذكر: أن بعض المفسرين كانت لهم محاولات جادة؛ بناء على ما كان من العلم بهذه الظواهر الكونية في عصرهم، في تفسير: الرعد و البرق، كابن عطية رحمه الله فقد قال: و قيل: إن «الرعد» ريح تخفق بين السحاب. و روى ذلك عن ابن عباس، و اعترض عليه أبو حيان، و اعتبر ذلك من نزغات الطبيعيين، مع أن قول ابن عطية أقرب إلى الصواب من تفسير «الرعد» بصوت (١) الرعد / ١٢ و ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٢

«الملك» الذي يسوق السحاب، و البرق بضوء مخرقه. و قد حاول الإمام الرازي التوفيق بين ما قاله المحققون من الحكماء، و ما ورد في هذه الأحاديث و الآثار، و قد أنكر عليه أبو حيان هذا أيضا.

ثم ذكر الآلوسي آراء الفلاسفة في حدوث الرعد، و البرق، و تكوّن السحاب، و أنه عبارة عن أبخرة متصاعدة قد بلغت في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء، ثم تكثفت بسبب البرد، و لم يقدر الهواء على حملها، فاجتمعت و تقاطرت، و يقال لها: مطر. هذا، و قد أصابوا في تكوّن السحاب و نزول المطر، فأخر ما وصل إليه العلم اليوم هو هذا. و أما في تكون الرعد، و البرق، فقد حاولوا، و قاربوا، و إن لم يصلوا إلى الحقيقة العلمية المعروفة اليوم.

و بعد أن ذكر الآلوسي الردود و الاعتراضات على ما قاله الفلاسفة، و هي - و الحق يقال - لا تنهض أن تكون أدلة في ردّ كلامهم، قال: و قال بعض المحققين: لا يبعد أن يكون في تكوّن ما ذكر أسباب عادية، كما في الكثير من أفعاله تعالى، و ذلك لا ينافي نسبته إلى المحدث الحكيم - جل شأنه - و من أنصف لم يسعه إنكار الأسباب بالكلية، فإن بعضها كالمعلوم بالضرورة، قال:

و بهذا أنا أقول «١». و نحن أيضا بهذا نقول، و كون الظواهر الكونية قد جعل الله نواميس خاصة لحدوثها، لا ينافي قط أنه سبحانه الخالق للكون، و المدبّر له سبحانه، فهو - تعالى - هو الموجد لهذه النواميس، و هو الموجد لهذه السنن التي يسير عليها الكون، فإن بعض هذه النواميس و السنن أصبحت معلومة فإنكارها باسم الدين، أو التشكيك فيها - و منها تكوّن السحب، و حدوث الرعد، و البرق، (١) تفسير الآلوسي، ج ١٣، ص ١٠٦ و ١٠٧، ط منير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٣

و الصواعق - إنما يعود على الدين بالضعف، و يضره أكثر من طعن أعدائه فيه.

### أقوال الرسول عند سماع الرعد و رؤية البرق

و قد وردت أحاديث أخرى صحاح و حسان، تبين ما كان يقوله صلى الله عليه و آله و سلم عند حدوث هذه الظواهر الكونية، و هي تدل على كمال المعرفة بالله، و أنه سبحانه هو المحدث لها، و أنها تدل على تنزيه الله، و تعظيمه، و حمده؛ فقد أخرج أحمد و البخاري في الأدب المفرد، و الترمذي، و النسائي، و غيرهم، عن ابن عمر قال: «كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا سمع صوت الرعد، و الصواعق قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك، و لا تهلكنا بعذابك، و عافنا قبل ذلك» ، لأن احتمال الإهلاك و التعذيب بهذه الآيات الكونية أمر قريب ممكن.

و

أخرج أبو داود في مراسيله، عن عبد الله بن أبي جعفر: أن قوما سمعوا الرعد فكبروا، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إذا سمعتم الرعد فسبحوا، و لا تكبروا»

، و ذلك لما فيه من التأدب بأدب القرآن، و أسلوبه، في قوله تعالى: وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، و لأن دلالة على تنزيه الله من النقص و الشريك أولى من دلالة على التعظيم. و أخرج ابن أبي شيبة، عن ابن عباس أنه عليه السلام كان يقول إذا سمع الرعد:

«سبحان الله و بحمده، سبحان الله العظيم». و

أخرج ابن أبي شيبة، و ابن جرير عن أبي هريرة قال: كان صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم إذا سمع الرعد قال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده».

فهذا هو اللاتق برسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم و بعصمته، لا ما روى من أن الرعد ملك أو صوت زجره للسحاب، و أن البرق أثر سوطه الذي يزجر به السحاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٤

### رأى العلم فى حدوث الرعد، و البرق، و الصواعق

و إكمالاً- للفائدة: سنذكر ما وصل إليه العلم فى حدوث هذه الظواهر الكونية، فنقول، و بالله التوفيق: يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى فى كتابه «سنن الله الكونية»:

### الرياح، و الكهربائية الجوية

إن الكهربائية التى تتولد فى الهواء- و التى ذكرنا لك بعض مصادرها- يكتسبها السحاب عند تكونه على الأيونات التى تحملها تلك الكهربائية فى الطبقات العليا الجوية، و لا يدري الآن، كيف يفصل الله الأيونات السالبة، من الأيونات الموجبة، قبل تكاثف البخار عليها، إن كان هناك فصل لهما؟ أم كيف يكون السحاب عظيم التكهرب إما بنوع من الكهرباء، و إما بالنوع الآخر، إذا حدث التكاثر على الأيونات، و هى مختلطة. و مهما يكن من سر ذلك، فإن السحاب مكهرب من غير شك، كما أثبت ذلك فرانكلن لأول مرة فى عام (١٧٥٢ م) و كما أثبت غيره، عظم تكهربه بشتى الطرق بعده، و أنت تعرف أن نوعى الكهربائية يتجاذبان، و أن الموجب و الموجب، أو السالب و السالب يتدافعان، أو يتنافران، كما تشاء أن تقول.

هذا التدافع أو التنافر من شأنه تفريق الكهربائية، ثم إذا شاء الله ساق السحاب بالريح، حتى يقترب السحاب الموجب، من السحاب السالب قريبا كافيا، فى اتجاه أفقى، أو فى اتجاه رأسى أو فيما شاء الله من الاتجاهات، فإذا اقتربا تجاذبا. و من شأن اقترابهما هذا أن يزيد فى كهربائية مجموع السحاب بالتأثير، و لا يزالان يتجاذبان، و يتقاربان، حتى لا يكون محيص من اختلاطهما و اتحاد كهربائيهما أو من اتحاد كهربائيهما من بعد، و عندئذ تحدث شبه شرارة عظمى كهربائية، هى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٥

البرق الذى كثيرا ما يرى فى البلاد الكثيرة الأمطار.

و «المطر» نتيجة لازمة لحدوث ذلك الاتحاد الكهربائى، سواء حدث فى هدوء أو بالإبراق، فإذا حدث بهدوء، حدث بين القطيرات المختلفة فى السحابتين، فتجذب كل منها قرينتها أو قريناتها، حتى تتحد، و تكون قطرة فيها ثقل، فتتزل، و تكبر أثناء نزولها بما تكتسب من كهربائية، و ما تجتذب من قطيرات، أثناء اختراقها السحاب المكهرب، الذى يكون بعضه فوق بعض فى السحاب الركام، أما إذا حدث الاتحاد الكهربائى فى شدة البرق، و عنفه، فإنه يحدث لا بين القطيرات، و لكن بين الكتل من السحاب، و يسهل حدوثه تخلخل الهواء، أى قلّه ضغطه فى تلك الطبقات.

و «البرق» يمثل قوة كهربائية هائلة، تستطيع أن تكون فكرة عنها إذا عرفت أن شراسته قد تبلغ ثلاثة أميال، فى طولها أو تزيده، و أن أكبر شرارة كهربائية أحدثها الإنسان لا تزيد عن بضعة أمتار.

فالحرارة الناشئة عن البرق لا شك هائلة، فهى تمدد الهواء بشدة، و تحدث مناطق جوية عظيمة مخلخلة، الضغط داخلها يعادل الضغط خارجها، ما دام الهواء داخل المنطقة ساخنا، حتى إذا تشععت حرارته و بردت تلك المناطق برودة كافية، و ما أسرع ما تبرد، خفّ

منها الضغط، و صار أقل كثيرا من ضغط الطبقات الهوائية السحائية المحيطة بها، فهجمت عليها فجاء بحكم الفرق العظيم بين الضغطين و تمددت فيها، و حدث لذلك صوت شديد، هو صوت الرعد و هزيمه، هذا الصوت قد يكون له صدى بين كتل السحاب، يتردد، فنسميه قعقه الرعد، أما صوت الشرارة الكهربائية البرقية، فهو بدء الرعد، و يكون ضعيفا بالنسبة لهزيمه و قعقته، لذلك تسمع الرعد ضعيفا في الأول ثم يزداد، كأنما أوله إيدان بتضخمه، كما قد تؤذن الطلقة الفردة بانطلاق بطاريات برمتها، من المدافع

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٦

الضخمة في الحروب. فالرعد يحدث لا عند اتحاد الكهربائيتين حين يحدث البرق فقط، و لكن يحدث أكثره بعد ذلك عند تمدد الكتل الهوائية الهاجمة في المنطقة المفرغة، و هي إذا تمددت بردت برودة شديدة، فيتكاثف ما فيها من البخار، و من كتل السحاب، فينزل على الأرض إما مطرا، و إما بردا، حسب مقدار البرودة الحادثة في تلك المناطق، و هذا هو السبب في أن الرعد و البرق يعقبهما في الغالب مطرات شديدة، سواء أ كانت المطرة مائية، أم بردية، و قطرات الماء أو حبات البرد تنمو بعد ذلك باختراقها كتل السحاب المتراكم، تحت المنطقة التي حدث فيها التفريغ (١).

### الصواعق

و قد يحدث التفريغ الكهربائي بين السحاب و الأرض، بدلا من بين السحاب و السحاب، و هذا يكون عادة إذا كان السحاب عظيم الكهربائية، قريبا من الأرض، فإذا حدث التفريغ ظهر له كالعاده ضوء و صوت، نسمى مجموعهما بالصاعقة، أى أن الصاعقة: تفريغ كهربائي بين السحاب و الأرض، إذا أصاب حيوانا أو نباتا أحرقه، و هو يحدث أكثر ما يحدث بين الأجسام المدببة على سطح الأرض من شجر أو نحوه، و بين السحاب، و لذا كان من الخطأ الاستئلال بالشجر، أو المظلات في العواصف ذات البرق، على أن الإنسان قد استخدم سهولة حدوث التفريغ بين الأجسام المدببة، و السحاب لوقاية الأبنية من الصواعق، و ذلك بإقامته على سطوحها قضبانا حديدية أو نحاسية، مدببة الأطراف، بحيث يكون طرف القضيب المدبب أعلى قليلا من أعلى نقطة في البناء، و الطرف الآخر متصلا بلوح فلزي مدفون في أرض رطبة، و من شأن (١) سنن الله الكونية، ص ١٥٨ - ١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٧

الأطراف المدببة أن يكون كل منها بابا تخرج منه الكهربائية المتجمعة على السطح تدريجا إلى السحاب الذي يظله، فيحدث التفريغ، أى الاتحاد بين كهربائية الأرض، و كهربائية السحاب تدريجا، فيمتنع ذلك التفريغ الفجائي المعروف بالصاعقة، على أنه إذا نزلت الصاعقة بالبناء رغم ذلك فالأرجح جدا أنها تصيب القضيب المدبب أول ما تصيب، و تنصرف الكهربائية إلى الأرض، بدلا من أن تدك البناء؛ و لذا يسمى مثل هذا القضيب المدبب الواصل إلى الأرض بصارقة الصواعق، و قد وجدوا أن السطح الخارجى للقضيب هو الطريق الذي تمر به الكهربائية إلى الأرض، لذلك كلما كان هذا السطح أكبر كان الصرف أعظم، و البناء أحسن؛ و لذا كانت الصفائح أفعل في حفظ الأبنية، من مثل كتلتها من الأسلاك (١).

### جبل «قاف» المزعوم، و حدوث الزلازل

و من ذلك ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى: ق و الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (٢):

فقد ذكر صاحب «الدر المنثور» و غيره، روايات كثيرة عن ابن عباس - رضوان الله تعالى عليه - قال: «خلق الله من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له: (قاف)، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله - تعالى - من وراء ذلك الجبل أيضا مثل تلك الأرض سبع مرات، و استمر على هذا حتى عد سبع أرضين، و سبعة أبحر، و سبعة أجبل، و سبع سماوات». و هذا الأثر لا يصح سنده عن ابن عباس، و فيه انقطاع، و لعل البلاء فيه من المحذوف. (١) سنن الله الكونية، ص ١٦٢.

(٢) ق / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٨

و أخرج ابن أبي الدنيا، و أبو الشيخ عنه أيضا، قال: خلق الله تعالى جبلا يقال له: قاف، محيط بالعالم، و عروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية، فيزلزلها، و يحركها، ثم تحرك القرية دون القرية.

و كل ذلك كما قال القرافي لا- وجود له، و لا يجوز اعتماد ما لا دليل عليه، و هو من خرافات بنى إسرائيل الذين يقع في كلامهم الكذب، و التغيير، و التبديل، دسّت على السدج من المفسرين، أو تقبلوها بحسن نية. و رووها لغرابتها، لا اعتقادا بصحتها، و نحمد الله أن وجد في علماء الأمة من ردّ هذا الباطل، و تنبه له قبل أن تتقدّم العلوم الكونية، كما هي عليه اليوم. و من العجيب أن يتعقّب كلام القرافي ابن حجر الهيتمي، فقال: ما جاء عن ابن عباس مروى من طرق خرّجها الحفاظ و جماعة، ممن التزموا تخريج الصحيح، و قول الصحابي فيما لا مجال للرأى فيه، حكمه حكم المرفوع إلى النبي.

و لكن نقول للشيخ الهيتمي: إن تخريج من التزم الصحة ليس بحجّة، و كم من ملتزم شيئا لم يف به، و الشخص قد يسهو و يغلط مع عدلته، و أنظار العلماء تختلف، و الحاكم صحح أحاديث، حكم عليها الذهبي و غيره بالوضع، و كذلك ابن جرير أخرج روايات في تفسيره، حكم عليها الحفاظ بالوضع، و الكذب. و لو سلمنا إسنادها إلى ابن عباس، فلا ينافى ذلك أن تكون من الإسرائيليات الباطلة، الموضوعه عنه.

ثم إنا نقول للهيتمي و من يرى رأيه: أى فائدة نجنيها من وراء هذه المرويّات التي لا- تتقبلها عقول تلاميذ المدارس، فضلا عن العلماء!! اللهم إلّا أننا نفتح- بالانتصار لها- بابا للطعن في عصمة النبي صلى الله عليه و آله و سلّم، و إذا جاز هذا في عصور الجهل و الخرافات فلا يجوز اليوم، و قد أصبح رواد الفضاء يطوفون حول

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٠٩

الأرض، و يرونها معلقة في الفضاء بلا عمد، و لا جبال، و لا بحار، و لا صخرة استقرت عليها الأرض، فهذه الإسرائيليات مخالفة للحسّ و المشاهدة قطعاً، فكيف نتعلّق بها؟! قال الآلوسى: و الذى أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي، من أنه لا- وجود لهذا الجبل بشهادة الحسّ، فقد قطعوا هذه الأرض، برّها و بحرّها، على مدار السرطان مرات، فلم يشاهدوا ذلك، و الطعن في صحة الأخبار- و إن كان جماعة من روايتها ممن التزم تخريج الصحيح- أهون من تكذيب الحسّ، و أمر الزلازل لا يتوقّف أمرها على ذلك الجبل، بل هي من الأبخرة، المتولّدة من شدة حرارة جوف الأرض، طلبها الخروج، مع صلابه الأرض، فيحصل هذا الاهتزاز، و إنكار ذلك مكابرة عند من له عرق من الإنصاف «١»، و لا- ندري لو أن الآلوسى عاش في عصرنا هذا، و وقف على ما وقفنا عليه من عجائب الرحلات الفضائية، ما ذا كان يقول؟، إن كلّ مسلم ينبغي أن يكون له من العقل الواعى المتفتح، و النظر الثاقب البعيد.

و إليك ما قاله عالم ناقد، سبق الآلوسى بنحو خمسة قرون «٢»: فقد قال في تفسيره عند هذه الآية: و قد روى عن السلف أنهم قالوا: (ق): جبل محيط بجميع الأرض يقال له: جبل قاف، و كأنّ هذا- و الله أعلم- من خرافات بنى إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم، مما لا يصدق، و لا يكذب. و عندي: أن هذا، و أمثاله، و أشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلتبسون به على الناس أمر دينهم، كما افتري في هذه الأمة- مع جلالة (١) روح المعاني للآلوسى، ج ٢٦، ص ١٢٠.

(٢) ابن كثير توفى سنة (٧٧٤هـ) و الآلوسى توفى سنة (١٢٧٠هـ).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٠

قدر علمائها، و حفظها، و أئمتها- أحاديث عن النبي صلى الله عليه و آله و سلّم، و ما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بنى إسرائيل مع طول المدى، و قلة الحفاظ النقاد فيهم، و شربهم الخمر، و تحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، و تبديل كتب الله و آياته «١».

قال: وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب، في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم - ولله الحمد والمنة -، حتى أن أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله أورد هنا أثرا غريبا، لا يصح سنده عن ابن عباس، ثم ساق السند، والمتن الذي ذكرناه آنفا.

ثم قال: فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع - أي راو سقط من رواه - والذي رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رحمهما الله في قوله عزّ وجل (ق): هو اسم من أسماء الله عزّ وجل، والذي ثبت عن مجاهد - وهو من تلاميذ ابن عباس الملازمين له، الناشرين لعلمه - أنه حرف من حروف الهجاء، كقوله تعالى: ص، ن، حم، طس، الم، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس - رضوان الله عليه - «٢».

### الإسرائيليات في تفسير ن و القلم

ومن ذلك ما يذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى: ن و القلم من أنه الحوت الذي على ظهره الأرض، ويسمى «اليهموت»، وقد ذكر ابن جرير، والسيوطي روايات عن ابن عباس، منها: «أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو (١) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢٢١. و البغوي، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١١

كائن، ثم رفع بخار الماء، و خلقت منه السموات، ثم خلق النون، فبسطت الأرض عليه، فاضطرب النون، فمادت الأرض «١»، فأثبتت بالجبال. وقد روى عن ابن عباس أيضا: أنه الدواة، ولعل هذا هو الأقرب، والمناسب لذكر القلم. وقد أنكر الزمخشري ورود «نون» بمعنى الدواة، في اللغة، و روى عنه أيضا: أنه الحرف الذي في آخر كلمة الرّحمن، و أن هذا الاسم الجليل فرق في الروح و حم و ن. و اضطراب النقل عنه يقلل الثقة بما روى عنه، ولا سيما الأثر الأول عنه، و الظاهر أنه افتراء عليه، أو هو من الإسرائيليات ألصق به. و إليك ما قاله الإمام ابن قيم الجوزية، قال في أثناء كلامه على الأحاديث الموضوعية: و من هذا حديث أن قاف: جبل من زمردة خضراء، محيط بالدنيا كإحاطة الحائط بالبستان، و السماء واضحة أكنافها عليه.

و من هذا حديث: أن الأرض على صخرة، و الصخرة على قرن ثور، فإذا حرّك الثور قرنه، تحرّكت الصخرة، فهذا من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسول. و قال الإمام أبو حيان في تفسيره: لا يصح من ذلك شيء ما عدا كونه اسما من أسماء حروف الهجاء «٢». (١) تحرّكت و مالت.

(٢) و الصحيح عندنا - على ما أسلفنا البحث فيه في التمهيد (ج ٥ ص ٣٠٥ - ٣١٤) - أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور، هي إشارات رمزية إلى أسرار بين الله و رسوله، و لم يهتد إليها سوى المأمونين على وحيه. و لو كان يمكن الاطلاع عليها لغيرهم لم تكن حاجة إلى الرمز بها.

نعم لا يبعد احتمالها على حكم و فوائد تزيد في فخامة مواضعها في مفتتحات السور، حسبما احتملتها قرائح العلماء، فيما ذكروه من فوائد. و الله العالم بحقائق أسرار.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٢

### أشهر كتب التفسير بالمأثور

#### إشارة

أهم كتب تفسير القدماء تعتمد المأثور في تفسير القرآن، فيذكرون الآيات و يعقبونها بذكر أقوال السلف من الأئمة و الصحابة و



التابعين، و أحيانا مع شىء من ترجيح بعض الأقوال، أو زيادة استشهاد بآية أو رواية أو إنشاد شعر. و هذا ديدنهم فى التفسير، لا يتجاوزونه إلا القليل. أما التعرض بمعانى الفلسفة أو الكلام أو الأدب، فشىء حصل مع تأخير عن العهد الأول، و من ثم فجلّ تفاسير القدماء هى من نمط التفسير بالمأثور، و إليك أشهرها:

## ١- جامع البيان للطبرى

### إشارة

مؤلف هذا التفسير هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى، نسبة إلى طبرستان، هو من أهل آمل، من بلاد مازندران- إيران- ولد بها سنة (٢٢٤)، و رحل فى طلب العلم و هو شاب، و طوّف الأقاليم، فسمع بمصر و الشام و العراق، ثم ألقى رحله و استقر ببغداد، و نشر علمه هناك، إلى أن توفى بها سنة (٣١٠).

كان الرجل خيرا بالتاريخ و بأقوال السلف، عالما فاضلا و ناقدا بصيرا. و له بعض الاجتهاد فى تفسيره، و ترجيح بعض الأقوال على بعض. و قد اعتبر الطبرى أبا للتفسير كما اعتبر أبا للتاريخ؛ و ذلك باعتبار جامعيتة تفسيره و سعته و شموله. و يذكر أقوال السلف بالأسانيد مما يستدعى الثقة به فى نقله. لكنه قد أكثر فى النقل عن الضعفاء و المجاهيل، و لفيف من المعروفين بالكذب

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٣

و الاختلاق، و لا سيما جانب إكثاره من نقل الإسرائيليات، بما أفسد و شوه وجه التفسير. الأمر الذى أخذ على تفسير ابن جرير؛ حيث يذكر الروايات من غير تمييز بين صحيحها و سقيمها، و لا تعرض لبيان ضعفها عن قوّيتها، و لعله حسب أن ذكر السند- و لو لم ينص على درجة الرواية قوّة و ضعفا- يرفع المؤاخذه و التبعات عن المؤلف. فى حين أنّ تفسيره هذا مشحون بالروايات الواهية و المنكرة، و الموضوعات و الإسرائيليات، و لا سيما عند ما يتعرض لذكر الملاحم و الفتن، و قصص الأنبياء بالذات.

نعم كان ابن جرير من المحدّثين المكثرين، و من الحشويّة الذين يحشون حقائبهم بالغثّ و السمين، و ممن وصفهم الإمام الشيخ محمد عبده بجنون التحديث. قال فى ذيل آية البشارة لذكرى يحيى: «و لو لا الجنون بالروايات مهما هزلت و سمجت لما كان لمؤمن أن يكتب مثل هذا الهزء و السخف الذى ينبذه العقل، و ليس فى الكتاب ما يشير إليه. و لو لم يكن لمن يروى مثل هذه الروايات إلا هذا لكفى فى جرحه، و أن يضرب بروايته على وجهه. فعفا الله عن ابن جرير إذ جعل هذه الرواية مما ينشر...» (١)

و من ثم فإنّ تفسير ابن جرير بحاجة إلى نقد فاحص و تمحيص شامل، كاحتياج كثير من كتب التفسير المشتملة على الموضوع و القصص الإسرائيلى.

و ليس ذكر السند بعذر له، و لا يجرى هنا قولهم: من أسند لك فقد حمّلك البحث عن رجال السند، كما زعمه الأستاذ الذهبى (٢)، لأنّ تجويز نشر مثل هذا الخضمّ من الموضوعات و الإسرائيليات، لعله ذنب لا يغفر، كما نوّه عنه الإمام (١) تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢١٢ و ٢١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٤

عبده.

و على أى تقدير، فإنّ مثل تفسير ابن جرير يعدّ اليوم من خير كتب التفسير الجامعة لآراء السلف و أقوالهم، و لولاه لربّما ضاعت أكثر هذه الآراء، فهو من أمّهات التفاسير المعتمدة فى النقل و التفسير بالمأثور. و نحن نعتمد صحّة نقله، و إن كان فى المنقول على يديه كثير من الغثّ و الفاسد، مما ألزم علينا النقد و التمحيص.

## منهجه في التفسير و نقد الآراء

إنه يذكر الآية أولاً، ثم يعقبها بتفسير غريب للغة فيها، أو إعراب مشكلها، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وربما يستشهد بأشعار العرب و أمثالهم. و بعد ذلك يأتي إلى تأويل الآية، أي تفسيرها على الوجه الراجح، فيأتي بحديث أو قول مأثور إن كان هناك رأى واحد. أما إذا ازدحمت الأقوال و الآراء، فعند ذلك يذكر كل تأويل على حده، و ربما رجح لدى تضارب الآراء أحدها و أتى بمرجحاته إن لغة أو اعتباراً، و ربما فضل الكلام في اللغة و الإعراب، و استشهاده بالشعر و الأدب.

مثلاً- نراه عند قوله تعالى: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١) يقول: و تأويل «سواء»: معتدل، مأخوذ من التساوى، كقولك:

متساو هذان الأمران عندى، و هما عندى سواء، أى هما متعادلان عندى. و منه قول الله- جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ (٢) يعنى: أعلمهم و آذنهم بالحرب حتى يستوى علمك و علمهم، بما عليه كل فريق منهم للفريق الآخر. فكذاك قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ مَعْتَدَلٌ عِنْدَهُمْ أَىَّ الْأَمْرَيْنِ كَانَ مِنْكَ إِلَيْهِمْ: الإنذار (١) البقرة/ ٦. (٢) الأنفال/ ٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٥

أم ترك الإنذار؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون، و قد ختمت على قلوبهم و سمعهم. و من ذلك قول عبد الله بن قيس الرقيات: تعذبنى الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليها و نهارها يعنى بذلك: معتدل عندها فى السير الليل و النهار؛ لأنه لا فتور فيه. و منه قول الآخر:

و ليل يقول المرء من ظلماته سواء صحححات العيون و عورها لأن الصحيح لا يبصر فيه إلّا بصراً ضعيفاً من ظلمته.

و أما قوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ فَإِنَّهُ ظَهَرَ بِهِ الْكَلَامُ ظُهُورَ الْاسْتِفْهَامِ، و هو خبر؛ لأنه وقع موقع «أى»، كما تقول: لا نبالى أقمت أم قعدت، و أنت مخبر لا مستفهم، لوقوع ذلك موقع «أى»؛ و ذلك أن معناه- إذا قلت ذلك:-

ما نبالى أى هذين كان منك، فكذاك ذلك فى قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لِمَا كَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ: سواء عليهم أى هذين كان منك إليهم، حسن فى موضعه مع سواء أفعلت أم لم تفعل. و قد كان بعض نحوى أهل البصرة يزعم أن حرف الاستفهام إنما دخل مع «سواء» و ليس باستفهام؛ لأن المستفهم إذا استفهم غيره فقال: أزيد عندك أم عمرو، مستثبت صاحبه أيهما عنده، فليس أحدهما أحتق بالاستفهام من الآخر، فلما كان قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ بِمَعْنَى التَّسْوِيَةِ، أشبه ذلك الاستفهام، إذ أشبهه فى التسوية، و قد بينا الصواب فى ذلك.

فتأويل الكلام: إذا معتدل يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أحبار يهود المدينة، بعد علمهم بها، و كتبتوا بيان أمرك للناس بأتك رسولى إلى خلقى، و قد أخذت عليهم العهد و الميثاق أن لا يكتنوا ذلك و أن يبينوه للناس، و يخبروهم أنهم يجدون صفتك فى كتبهم، أأنذرتهم أم لم تنذرهم فإنهم

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٦

لا يؤمنون و لا يرجعون إلى الحق، و لا يصدقون بك و بما جئتكم به.

كما حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أى أنهم قد كفروا بما عندهم من العلم من ذكر، و جحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك و بما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك

إنذارا و تحذيرا، و قد كفروا بما عندهم من علمك «١».

انظر إلى هذا التفصيل في مجال الأدب، الذي ينبؤك عن سعة اضطلاعك بالأدب و بأقوال النحاة.

و نراه يقول في تأويل قوله - جل ثناؤه -: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ «٢» و أصل الختم: الطبع، و الخاتم: الطابع، يقال: منه ختمت الكتاب، إذا طبعته.

فإن قال لنا قائل: و كيف يختم على القلوب، و إنما الختم طبع على الأوعية و الظروف و الغلف؟

قيل: فإن قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم، و ظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمر، فمعنى الختم عليها و على الأسماع التي بها تدرك المسموعات، و من قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغيبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية و الظروف.

فإن قال: فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها، أ هي مثل الختم الذي يعرف (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٨٦.

(٢) البقرة / ٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٧

لما ظهر للأبصار أم هي بخلاف ذلك؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في صفة ذلك، و سنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم.

ثم ذكر قول مجاهد، بإسناده عن الأعمش، قال: أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذا، يعنى الكف. فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه، و قال يصبغه الخنصر هكذا. فإذا أذنب ضم، و قال يصبغ أخرى - فإذا أذنب ضم، و قال يصبغ أخرى هكذا، حتى

ضم أصابعه كلها، قال: ثم يطبع بطابع. قال مجاهد، و كانوا يرون أن ذلك الرّين.

و ذكر قولاً آخر لبعضهم: أن «الختم» هنا كناية عن تكبرهم و إعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق، كما يقال: إن فلانا لأصم عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه و رفع نفسه عن تفهمه تكبرا.

قال: و الحق في ذلك عندي ما صحّ بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو

ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كان نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب و نزع و استغفر، صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه، فذلك «الران» الذي قال الله - جل ثناؤه -: كَلَّا يَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ «١».

فأخبر صلى الله عليه و آله و سلم أن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغلفتها، و إذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عزّ و جل و الطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، و لا - للكفر منها مخلص. ثم أخذ في مناقشة القول الثاني، و فصل الكلام فيه على عادته في

مناقشة الأقوال «٢». (١) المطففين / ١٤.

(٢) تفسير الطبري، ج ١، ص ٨٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٨

هذا منهجه في التفسير، و هو من خير المناهج المعروفة في التفسير بالمأثور، و مناقشة الآراء المتضاربة في التفسير. و حقا أنه طويل الباع في هذا المجال، سواء في النقل أم في النقاش.

### موقفه تجاه أهل الرأي في التفسير

أنه يقف في وجه أهل الرأي في التفسير موقفا عنيفا، و يرى من إعمال الرأي في تفسير كلام الله مخالفة بينة لظاهر دلائل الشرع، و يشدد في ضرورة الرجوع إلى العلم المأثور عن الصحابة و التابعين، و أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح. فمثلا عند ما تكلم

عن قوله تعالى: ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعِصَتُ رُؤُونَ «١» نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف، مع توجيهه للأقوال و تعرّضه للقراءات، بقدر ما يحتاج إليه تفسير الآيه، ثم يعرّج بعد ذلك على من يفسّر القرآن برأيه، و بدون اعتماد منه على

شيء إلا على مجرد اللغة، فيفتد قوله و يحاول إبطال رأيه. فيقول ما نصّه: «و كان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممّن يفسّر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله: وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ إِلَى: و فيه ينجون من الجذب و القحط بالغيث، و يزعم أنه من العصر بمعنى المنجاء، كما جاء في قول أبي زيد الطائي:

صا ديا يستغيث غير مغاث و لقد كان عصره المنجود

أى المقهور.

و قول لبيد:

فبات و أسرى القوم آخر ليلهم و ما كان وقّافا بغير معصر

قال: و ذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه، خلافه قول جميع أهل (١) يوسف / ٤٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣١٩

العلم من الصحابة و التابعين.

قال: و أمّا القول الذى روى الفرّج بن فضالة عن على بن أبى طلحة- أن يعصرون بمعنى يحلبون- فقول لا- معنى له؛ لأنّه خلاف المعروف من كلام العرب، و خلاف ما يعرف من قول ابن عباس: إنّه عصر الأعناب و الثمرات «١».

### نزته التعصية

هو بالرغم من ادّعاء ابن أخته محمد بن العباس أبى بكر الخوارزمى أنه شيعى «٢» نراه يقف عند دلائل الآيات الكريمة على فضيلة من فضائل آل الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم موقف أهل النصب، محاولا إخفاء تلك الفضيلة. من ذلك تأويله آية المودة فى القربى «٣» فى قريش، لتحمى النبى و تمنعه شرّ الأعداء، و نفى بشدة أن يكون المقصود هم أهل بيته الأيطيين.

قال: الآية خطاب مع قريش لتحفظ قرابته فيهم فتحميه و تمنعه شرّ الأعداء، فقد طلب إليهم المودة لكونهم ذوى رحم له، حتى و إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا. فقد كان لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم قرابة فى جميع قريش، فلما كذبوه و أبوا أن (١) تفسير الطبرى، ج ١٢، ص ١٣٨.

(٢) يقول الخوارزمى:

بآمل مولدى و بنو جرير فأخوالى، و يحكى المرء خاله

فها أنا رافضى عن تراث و غيرى رافضى عن كلاله

لكن ياقوت الحموى يفتد هذا الزعم، يقول: و كذب، لم يكن أبو جعفر رافضيا، و إنما حسدته الحنابلة فرموه بذلك، فاعتنمها الخوارزمى متبجحا به. و كان سببا رافضيا مجاهرا بذلك. (معجم البلدان، ج ١، ص ٥٧).

(٣) الشورى / ٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٠

يباعوه، قال: يا قوم إذا أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتي فيكم، لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظى و نصرتى منكم.

ثم ذكر وجوها ثلاثة أخرى: طلب المودة مع قرابته أهل بيته، و طلب القربى إلى الله و الزلفى لديه تعالى، و صلة الأرحام بعضهم مع بعض. ثم يحاول ترجيح الوجه الذى ذكره على هذه الوجوه الثلاثة، و يستند فى ترجيحه إلى موضع «فى» فى قوله: الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى يقول: إذ لا- وجه معروف لدخول «فى» فى هذا الموضع. و كان ينبغى على سائر الوجوه أن يكون التنزيل «إلا مودة القربى» أو «المودة بالقربى» أو «ذا القربى» على الترتيب.

قال: و أولى الأقوال في ذلك بالصواب و أشبهها بظاهر التنزيل، قول من قال: معناه قل لا أسألکم عليه أجرا- يا معشر قريش- إلا أن تودوني في قرابتي منكم و تصلوا الرحم التي بيني و بينكم، و إنما قلت: هذا التأويل أولى بتأويل الآية، لدخول «في» في قوله: إلا المودّة في القربى و لو كان معنى ذلك على ما قاله من قال: إلا أن تودوا قرابتي أو تقربوا إلى الله، لم يكن لدخول «في» في الكلام في هذا الموضوع وجه معروف؛ و لكان التنزيل «إلا المودّة القربى» إن عني به الأمر بمودّة قربي الرسول، أو «إلا المودّة بالقربى» أو «ذا القربى» إن عني به التودد و التقرب. و في دخول «في» في الكلام أوضح دليل على أن معناه: إلا مودّتي في قرابتي منكم، و أن الألف و اللام في المودّة أدخلتا بدلا من الإضافة. و قوله «إلا» في هذا الموضوع استثناء منقطع، و معنى الكلام: «قل لا أسألکم عليه أجرا، لكنّي أسألکم المودّة في القربى» (١). (١) تفسير الطبري، ج ٢٥، ص ١٥-١٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢١

لكنها محاولة فاشلة، و في نفس الوقت فاضحة، إذ كيف يخفى على ذي لب أن مثل هكذا مواجهة مما يمنع مع قوم ناكرين و مستهزئين بموقف النبي الكريم، إنهم رفضوا دعوته و لجّوا في معاندته، و حاولوا بكل جهدهم في تقويض دعائم الدعوة و الكسر من شوكتها. ثم جاء يطالبهم الأجر عليها، أو يرغبهم في نصرته عليها. إن هذا إلا احتمال موهون، و إزراء بمقامه صلى الله عليه و آله و سلم المنيع.

إنه صلى الله عليه و آله و سلم لا- يمد يد الوداد إلى أعداء الله، حتى و لو كانوا ذوى قرابته، فكيف يطالبهم المودّة في قريته! إذ لا قرابة مع الشرك، و لا رحم مع رفض التوحيد. قال تعالى: لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ (١). و أما الذي ذكره دليلا على اختياره، فليته لم يذكره؛ إذ يتنافى ذلك تنافيا كليا مع ما لمسنه في الرجل من براءة في الأدب. هذا الإمام جار الله الزمخشري يصرح بنقيض اختيار الطبري و يسلك مسلكا نزيها مشرفا، و تبعه على ذلك عامة أهل النظر و الاختيار في التفسير.

قال: ما معنى قوله: إلا المودّة في القربى فأجاب بقوله:

قلت: جعلوا مكانا للمودّة و مقرا لها، كقولك: لى فى آل فلان مودّة، و لى فيهم هوى و حبّ شديد، تريد: أحبهم و هم مكان حبي و محلّه.

قال: و ليست «في» بصلة- أى متعلقة- للمودّة، كاللام إذا قلت: إلا المودّة للقربى، إنما هى متعلقة بمحذوف تعلق الطرف به فى قولك: المال فى الكيس، و تقديره: إلا المودّة ثابتة فى القربى و متمكنة فيها. و القربى: مصدر كالزلفى و البشرى، بمعنى: قرابة. و المراد: أهل القربى.

قال: روى أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرابتك، هؤلاء الذين (١) الممتحنة/ ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٢

وجبت علينا مودّتهم؟ قال: على و فاطمة و ابناهما

. و أتبعها بروايات أخر فى هذا الشأن، جزاه الله عن آل محمد خير الجزاء (١).

## ٢- تفسير العياشى

### إشارة

تأليف أبى النصر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى السمرقندى المتوفى سنة (٣٢٠) كان من أعلام المحدثين، سمع جماعة من شيوخ الكوفيين و البغداديين و القميين. كانت داره معهد علم و دراسة، و كانت محل رواد الحديث بين ناسخ أو مقابل أو قار أو معلق. و قد أنفق جميع تركه أبيه- ثلاثمائة ألف دينار- فى طلب العلم و تحصيله و بثه و نشره. قالوا: و كان أكثر أهل المشرق علما و

أدبا و فضلا و فهما و نبلا في زمانه. و كان له مجلسان: مجلس للخواص، و مجلس للعوام. قال ابن النديم: إنه من بنى تميم، من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحد دهره و زمانه في غزارة العلم. و لكتبه بنواحي خراسان شأن من الشأن. و هو شيخ أبي عمرو و محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، صاحب كتاب الزجال. و كتبه ما ينوف على مائتي كتاب و رسالة. كان في حدائمه سنة عامي المذهب، ثم استبصر و خدم الإسلام في مصنفاته الكثيرة، و علمه الغزير. و له كتاب «التفسير»، جمع فيه المأثور من أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن، و لقد أجاد و أفاد، و ذكر الروايات بأسانيدها في دقة و اعتبار.

غير أن هذا التفسير لم يصل إلينا إلا مبتورا. فقد بتره أولا ناسخه؛ حيث أسقط (١) تفسير الكشاف، ج ٤، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٣

الأسانيد، و اقتصر على متون الأحاديث، معتذرا بأنه لم يجد في دياره من يكون عنده سماع أو إجازة من المؤلف؛ فلذلك حذف الأسانيد و اكتفى بالباقي. و من ثم قال المولى المجلسي بشأنه: إن اعتذاره هذا أشنع من فعلته بحذف الأسانيد. و الجهة الأخرى في بتر الكتاب، عدم العثور على الجزء الثاني من جزئي التفسير، فإن هذا الموجود ينتهي إلى نهاية سورة الكهف، و لم توجد بقيته.

نعم هناك بعض المتقدمين، نقلوا منه أحاديث بأسانيد كاملة، كانت عندهم منه نسخة كاملة، منهم الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله الحاكم الحسكاني النيسابوري، من أعلام القرن الخامس، و من شيوخ مشايخ العلامة الطبرسي، صاحب التفسير الأثرى القيم «مجمع البيان» و ينقل عنه في تفسيره كثيرا. ففي «شواهد التنزيل» للحاكم الحسكاني كثير من روايات العياشي، ينقلها فيه بالأسانيد التامة «١».

### منهجه في التفسير

إنه يسترسل في ذكر الآيات، في ضمن أحاديث مأثورة، عن أهل البيت عليهم السلام تفسيراً و تأويلاً للآيات الكريمة. و لا يتعزز لنقدها جرحاً أو تعديلاً، تاركا ذلك إلى عهده الأسناد التي حذفت مع الأسف. و يتعزز لبعض القراءات الشاذة المنسوبة إلى أئمة أهل البيت، مما جاءت في سائر الكتب بأسانيد ضعاف، أو مرسله لا حجية فيها، و القرآن لا يثبت بغير التواتر باتفاق الأئمة. نراه عند ما يتعزز لقوله تعالى: (١) راجع: مقدمة تفسير العياشي المطبوع، و الذريعة للطهراني، ج ٤، ص ٢٩٥. و الكنى و الألقاب للقمي، ج ٢، ص ٤٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٤

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿١﴾

يسند إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قرأها: «حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و صلاة العصر» ثم قال: و كذلك كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و

في رواية زرارة عنه عليه السلام: هي أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هي وسط صلاتين بالنهار: صلاة الغداة، و صلاة العصر.

و

قال عليه السلام في قوله تعالى: وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ: في الصلاة الوسطى، قال:

نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في سفر، فقنت فيها، و تركها على حالها في السفر و الحضر

و.

عن زرارة و محمد بن مسلم، أنهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية، فقال: صلاة الظهر. و فيها فرض الله الجمعة، و فيها الساعة التي لا يوافقها عبد مسلم، فيسأل خيرا إلا أعطاه الله إياه.

و

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: الصلاة الوسطى الظهر، و قوموا لله قانتين: إقبال الرجل على صلاته، و محافظته على وقتها، حتى لا يلهيه عنها و لا يشغله شيء. و أخيرا يذكر تأويلا للآية: أن الصلوات التي يجب المحافظة عليها هم: رسول الله، و علي، و فاطمة، و ابناهما، و قوموا لله قانتين: طائعين للأئمة عليهم السلام «٢». كما أنه عند ما

يروى عن الصادق عليه السلام تفسير «السبع المثاني» بسورة الحمد، يعرج إلى نقل روايات تفسر باطن الآية إلى الأئمة. قال: إن ظاهرها: الحمد، (١) البقرة/ ٢٣٨.

(٢) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢٧-١٢٨، رقم ٤١٦-٤٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٥

و باطنها: ولد الولد. و السابع منها: القائم عليه السلام «١».

و من ثم فإنه عند ما يرد في التأويل، نراه غير مراعى لضوابط التأويل الصحيح، على ما أسلفنا بيانه، من كونه مفهوما عاما منتزعا من الآية بعد إلغاء الخصوصيات ليكون متناسبا مع ظاهر اللفظ، و إن كانت دلالاته عليه غير بيّنة.

### ٣- تفسير القمي

#### إشارة

منسوب إلى أبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي المتوفى سنة (٣٢٩) من مشايخ الحديث، روى عنه الكليني و كان من مشايخه، واسع العلم، كثير التصانيف، و كان معتمدا لأصحاب. قال النجاشي: ثقة ثبت معتمد صحيح المذهب. و أكثر رواياته عن أبيه إبراهيم بن هاشم، أصله من الكوفة و انتقل إلى قم. يقال: إنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم، و هو أيضا ثقة على الأرجح، حسن الحال.

و هذا التفسير، المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، هو من صنع تلميذه أبي الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام و هو تليف من إملات القمي، و قسط وافر من تفسير أبي الجارود زياد بن المنذر السرحوب المتوفى سنة (١٥٠) كان من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام و هو رأس الجارودية من الزيدية.

فكان ما أورده أبو الفضل في هذا التفسير من أحاديث الإمام الباقر، فهو من طريق أبي الجارود، و ما أورده من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام فمن طريق علي بن إبراهيم، و أضاف إليهما بأسانيد عن غير طريقهما. فهو مؤلف ثلاثي (١) تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٤٩-٢٥١، سورة الحجر، رقم ٣٣-٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٦

المأخذ، و على أي حال فهو من صنع أبي الفضل، و نسب إلى شيخه؛ لأن أكثر رواياته عنه، و لعله كان الأصل فأضاف إليه أحاديث أبي الجارود و غيره؛ لغرض التكميل.

و أبو الفضل هذا مجهول الحال، لا يعرف إلا أنه علوي، و ربما كان من تلاميذ علي بن إبراهيم؛ إذ لم يثبت ذلك يقينا، من غير روايته

في هذا التفسير عن شيخه القمي.

كما أن الإسناد إليه أيضا مجهول، لم يعرف من الراوي لهذا التفسير عن أبي الفضل هذا. ومن ثم فانتساب هذا التفسير إلى علي بن إبراهيم أمر مشهور لا- مستند له. أما الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، فيروى أحاديث التفسير عن شيخه علي بن إبراهيم من غير هذا التفسير، و لم نجد من المشايخ العظام من اعتمد هذا التفسير أو نقل منه.

### منهجه في التفسير

يبدأ هذا التفسير بذكر مقدّمة يبيّن فيها صنوف أنواع الآيات الكريمة، من ناسخ و منسوخ، و محكم و متشابه، و خاص و عام، و مقدّم و مؤخّر، و ما هو لفظه جمع و معناه مفرد، أو مفرد معناه الجمع، أو ماض معناه مستقبل، أو مستقبل معناه ماض، و ما إلى ذلك من أنواع الآيات و ليست بحاصره.

و بعد ذلك يبدأ بالتفسير مرتّباً حسب ترتيب السور و الآيات آية فآية، فيذكر الآية و يعقبها بما رواه علي بن إبراهيم، و يستمرّ على هذا النمط حتى نهاية سورة البقرة. و من بدايات سورة آل عمران نراه يمزجه بما رواه عن أبي الجارود، و كذا عن غيره من سائر الرواة، و يستمر حتى نهاية القرآن.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٧

و هذا التفسير في ذات نفسه تفسير لا بأس به، يعتمد ظواهر القرآن و يجري على ما يبدو من ظاهر اللفظ، في إيجاز و اختصار بديع، و يتعرّض لبعض اللغّة و الشواهد التاريخية لدى المناسبة، أو اقتضاء الضرورة. لكنّه مع ذلك لا يغفل الأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت، مهما بلغ الإسناد من ضعف و وهن، أو اضطراب في المتن؛ و بذلك قد يخرج عن أسلوبه الذاتي فتراه يذكر بعض المناكير مما ترفضه العقول، و يتحاشاه أئمة أهل البيت الأطهار. لكنه قليل بالنسبة إلى سائر موارد تفسيره. فالتفسير في مجموعه تفسير نفيس لو لا وجود هذه القلّة من المناكير. و قد أشرنا إلى طرف من ذلك، عند الكلام عن التفاسير المعزّوة إلى أئمة أهل البيت.

### ٤- تفسير الحويزي (نور الثقلين)

#### إشارة

تأليف عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، من محدّثي القرن الحادي عشر، المتوفّي سنة (١١١٢). كان على مشرب الأخبارية، كان محدّثاً فقيهاً، و شاعراً أديباً جامعاً. سكن شيراز و حدّث بها، و تتلمذ على يديه جماعة، منهم السيد نعمه الله الجزائري، و غيره. إنه جمع ما عثر عليه من روايات معزّوة إلى أئمة أهل البيت عليهم السّلام مما يرتبط نحو ارتباط بآي الذكر الحكيم، تفسيراً أو تأويلاً، أو استشهاداً أو تأييداً. و في الأغلب لا مساس ذاتياً للحديث مع الآية في صلب مفهومها أو دلالتها، و إنما تعرّض لها بالعرض لغرض الاستشهاد، و نحو ذلك، هذا فضلاً عن ضعف الأسانيد أو إرسالها إلّا القليل المنقول من المجامع الحديثية المعتمدة.

و هو لا- يستوعب جمع آي القرآن، كما أنه لا يذكر النص القرآني، سوى سرده للروايات تبعاً، حسب ترتيب الآيات و السور. و لا يتعرّض لنقد الروايات

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٨

و لا علاج معارضاتها.

يقول المؤلف في المقدمة: «و أما ما نقلت مما ظاهره يخالف لإجماع الطائفة فلم أقصد به بيان اعتقاد و لا عمل، و إنما أوردته ليعلم الناظر المطّلع كيف نقل و عمّن نقل، ليطلب له من التوجيه ما يخرج من ذلك، مع أنني لم أخل موضعاً من تلك المواضع عن نقل ما يضاده، و يكون عليه المعوّل في الكشف و الإبداء» (١).



و بذلك يتخلص بنفسه عن مآزق تبعات ما أورده في كتابه من مناقضات و مخالفات صريحة، مع أسس قواعد المذهب الحنيف، و يوكل النظر و التحقيق في ذلك إلى عاتق القارئ.

و نحن نرى أنه قصير في ذلك؛ إذ كان من وظيفته الإعلام و البيان لمواضع الإبهام و الإجمال، كما فعله المجلسي العظيم في بحار أنواره؛ إذ ربّ رواية أوهنت من شأن الدين فلا- ينبغي السكوت عليها و المرور عليها مرور الكرام، مما فيه إغراء الجاهلين أحياناً، أو ضعفة عقيدة بالنسبة إلى مقام أئمة أهل البيت عليهم السّلام فلم يكن ينبغي نقل الرواية و تركها على عواهنها، الأمر الذي أوجب مشاكل في عقائد المسلمين.

من ذلك أنه يذكر في ذيل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا «٢» رواية مشوهة موهونة، و ينسبه إلى الإمام الصادق عليه السّلام: «البعوضة: أمير المؤمنين، و ما فوقها: رسول الله» «٣».

كما أنه ينقل أخباراً مشتملة على الغلوّ و الوهن بشأن الأئمة. و يسترسل في (١) نور الثقلين، ج ١، ص ٢. (مقدمة الكتاب). (٢) البقرة/ ٢٦.

(٣) نور الثقلين، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٢٩

نقل الإسرائيليات و الموضوعات كما في قصة هاروت و ماروت، و أن الزهرة كانت امرأة فمسخت، و أن الملكين زنيا بها. و نحو ذلك من الأساطير الإسرائيلية و الأكاذيب الفاضحة «١»، ملأ بها كتابه، و شحنه شحنا بلا هوادة.

### منهجه في التفسير

نعم إنه يسرد الروايات سرداً تباعاً من غير هوادة، يذكر الرواية تلو الأخرى أياً كان نمطها، و في أيّ بنية كانت صيغتها، إنما يذكرها لأنها رواية تعرّضت لجانب من جوانب الآية بأيّ أشكال التعرض.

مثلاً- في سورة النساء- يبدأ بذكر ثواب قراءتها، فيذكر رواية مرسله عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنّ من قرأها فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثاً، و لعل المناسبة أن السورة تعرضت لأحكام الموارث، ثم يأتي لتفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ «٢» فيذكر رواية: أنّهم قرأه الرسول و سيدهم أمير المؤمنين، أمروا بمودّتهم فخالفوا ما أمروا به. لم نعرف وجه المناسبة بين هذا الكلام و الآية الكريمة.

ثم يروي: أنّ حواء إنما سميت حواء؛ لأنها خلقت من حيّ. فلو صح، لكان الأولى أن يقال لها: حيا. و هكذا يروي أن المرأة سميت بذلك؛ لأنها مخلوقة من المرء، أي الرجل، لأنها خلقت من ضلع آدم. ثم يناقض ذلك بذكر رواية تنفي أن تكون خلقت من ضلع آدم، بل إنها خلقت من فاضل طينته.

في حين أنّ الصحيح في فهم الآية: أنّ حواء خلقت من جنس آدم ليسكن (١) نور الثقلين، ج ١، ص ٩١. (٢) النساء/ ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٠

إليها، كما في قوله تعالى: خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا «١».

و يذكر: أن النساء إنما سمّين نساء؛ لأن آدم أنس بحواء، فلو كان كذلك لكان الأولى أن يقال لهن: «أنساء».

و يتعرّض بعد ذلك لكيفية تزواج ولد آدم، و ينفي أن يكون قد تزوّج الذكر من كل بطن مع الأنثى من بطن آخر؛ لأن ذلك مستنكر حتى عند البهائم. و بلغه أنّ بهيمة تنكرت له أخته فنزا عليها، فلما كشف عنها أنها أختها قطع غرموله «٢» بأسنانه و خرّ ميتاً.

و هكذا يذكر الروايات تباعاً من غير نظر في الأسناد و المتون، و لا مقارنتها مع أصول المذهب أو دلالة العقول.

و نحن نجلّ مقام الأئمة المعصومين عن الإفادة بمثل هذه التافهات الصيانية، التي تحطّ من مقامهم الرفيع، فضلا عن منافاتها مع رفعة شأن القرآن الكريم.

نعم قد يوجد خلال هذه التافهات بعض الكلام المتين؛ إذ قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسفاط، لكنه من خلط السليم بالسقيم، الذي يتحاشاه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

## ٥- تفسير البحراني (البرهان)

### إشارة

هو السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني الكتكاني. و هي قرية من قرى توبلي من أعمال البحرين توفى سنة (١١٠٧). كان من المحدثين (١) الروم/ ٢١. (٢) الغرمل: الذكر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣١

الأفاضل متبعا للأخبار جماعا للأحاديث، من غير أن يتكلم فيها بجرح أو تعديل، أو تأويل ما يخالف العقل أو النقل الصريح، كما هو دأب أكثر الأخباريين المتطرفين.

و في تفسيره هذا يعتمد كتبا لا اعتبار بها أمثال: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام الذي هو من صنع أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، و أبي الحسن علي بن محمد بن سيار، الأسترآباديين و لم يعلم وجه انتسابه إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام و التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم بن هاشم القمي و هو من صنع أبي الفضل العباس بن محمد العلوي، و نسب إلى القمي من غير وجه وجيه و كتاب «الاحتجاج» المنسوب إلى الطبرسي و لم يعرف لحد الآن و كتاب «سليم بن قيس الهلالي»، المدسوس فيه، و غير ذلك من كتب لا اعتبار فيها، فضلا عن ضعف الإسناد أو الإرسال في أكثر الأحاديث التي ينقلها من هذه الكتب.

و مما يؤخذ على هذا التفسير أنه يسند القول في التفسير إلى الإمام المعصوم، إسنادا رأسا، في حين أنه وجده في كتاب منسوب إليه صرفا، مثلا يقول: قال الإمام أبو محمد العسكري في تفسير الآية كذا و كذا، الأمر الذي ترفضه شريعة الاحتياط في الدين «١». و هذا التفسير غير جامع للآيات، و إنما تعرّض لآيات جاء في ذيلها حديث، و لو في شطر كلمة. و من ثم فهو تفسير غير كامل، فضلا عن ضعف الأسانيد و إرسالها، و هن غالبية الكتب التي اعتمدها، كما هو خال عن أيّ ترجيح أو تأويل، عند مختلف الروايات، ولدى تعارض بعضها مع بعض. (١) راجع - مثلا- الجزء الأول صفحات ٧٣ و ٧٩ و ٨٧ و ٩١، و هو كثير منتشر في الكتاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٢

### منهجه في التفسير

بدأ المؤلف بمقدمة يذكر فيها فضل العلم و المتعلم، و فضل القرآن، و حديث الثقلين، و النهي عن تفسير القرآن بالرأى، و إن للقرآن ظاهرا و باطنا، و أنه مشتمل على أقسام من الكلام، و ما إلى ذلك.

و يبدأ التفسير بعد المقدمات بمطلع جاء في مقدمة التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، من ذكر أنواع الآيات و صنوفها، حسبما جاء في التفسير المنسوب إلى محمد بن إبراهيم النعماني، و هي رسالة مجهولة النسب لم يعرف مؤلفها لحد الآن.

و بعد ذلك يرد في تفسير الآيات حسب ترتيب السور فيذكر الآية أولا ثم يعقبها بما ورد في شأنها من حديث مأثور عن أحد الأئمة المعصومين، من غير ملاحظة ضعف السند أو قوته، أو صحته المتن أو سقمه.

نعم لا- يعنى ذلك أن الكتاب ساقط كله، بل فيه من الأحاديث الغرر و الكلمات الدرر، الصادرة عن أهل بيت الهدى و مصايح الدجى، ما يروى الغليل و يشفى العليل. و الكتاب بحاجة إلى تمحيص و نقد و تحقيق، ليمتاز سليمة عن السقيم، و الصحيح المقبول عن الضعيف الموهون.

فالكتاب بمجموعته موسوعة فريدة، جمعت في طيها الآثار الكريمة التي زخرت بها ينابيع العلم و الهدى، يجدها الباحث اللبيب عند البحث و التنقيب، في هذا التأليف الذي جمع بين الغث و السمين.

### ٦- الدرّ المنشور في التفسير بالمأثور

لجلال الدين أبي الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي المتوفى سنة (٩١١). انحدر من أسرة كان مقرها مدينة أسيوط. قيل: كانت الأسرة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٣

من أصل فارسي، كانت تعيش في بغداد، ثم ارتحلت إلى مصر.

كان جلال الدين من أكبر الحفاظ و الرواة، جماعاً للأحاديث، مولعاً بمطالعة الكتب و النقل عنها، و بذلك أصبح رأساً في التأليف و التصنيف، و جلّ تأليفه ذات فوائد جمّة شريفة، مما يشهد بتبحره و سعة اطلاعه.

و قد ألف السيوطي تفسيراً مبسطاً جمع فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها، ثم اختصره بحذف الأسانيد، و هو المعروف اليوم بـ «الدرّ المنشور في التفسير بالمأثور». يقول هو:

فلما ألفت كتاب «ترجمان القرآن» و هو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه، و تم بحمد الله في مجلّدات. فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، و رغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث، دون الإسناد و تطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصرًا فيه على متن الأثر، مصدرًا بالعزو و التخرّيج إلى كل كتاب معتبر، و سمّيته بـ «الدرّ المنشور في التفسير بالمأثور» (١).

و كان قد شرع في تفسير أبسط و أوسع، جامع بين فنون الكلام و أنواع التفسير، لكنه لم يعرف اتمامه. يقول عنه: و قد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة، و الأقوال المقولة و الاستنباطات و الإشارات و الأعراب و اللغات و نكت البلاغة و محاسن البدائع و غير ذلك؛ بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً، و سمّيته بـ «مجمع البحرين و مطلع البدرين». و هو الذي جعلت هذا الكتاب «الإتقان» مقدمة له. و الله أسأل أن يعين على إكماله (١) الدرّ المنشور، ج ١، ص ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٤

بمحمد و آله (١).

و قد اقتصر المؤلف في الدرّ المنشور على مجرد ذكر الروايات ذيل كل آية، بلا أن يتكلم فيها أو يرحّج أو ينقد أو يمحص. فهذا التفسير فريد في باب، من حيث الاقتصار على نقل الآثار، و توسّعه في ذلك. و مع ذلك فإنه لم يتحرّ الصحة، و إنما جمع بين الغث و السمين، و أورد فيه الكثير من الإسرائيليات و الأحاديث الموضوعية، عن لسان الأئمة السلف. و من ثمّ فإن الأخذ منه يحتاج إلى إمعان نظر و دقّة و تمييز.

### ٧- تفسير البرغاني (بحر العرفان)

#### إشارة

للمولى صالح بن آغا محمد البرغاني القزويني الحائري المتوفى حدود سنة (١٢٧٠).

له ثلاثة تفاسير: كبير في سبعة عشر مجلداً، مخطوط، محفوظ في خزانه كتبه، لدى ورثته بقزوين. و وسيط في تسعة مجلدات. و صغير في مجلد واحد.

استقصى فيه الأحاديث المرويّة عن الأئمة الأطهار في التفسير، و ربّتها حسب ترتيب الآيات و السور، و لكنّه إنما ذكر الروايات التي زعمها صالحه، و ترك ما زعمه باطلاً، صادراً من جراب النوره حسب تعبيره.

فراه عند سرد روايات بدء النسل، يقتصر على روايه التزاوج بالحوريّه و الجنيّه، زاعماً صحتها، و يترك روايه تزاوج الذكر من حمل و الأنثى من حمل آخر، لزعم بطلانه.

فهو تفسير بالمأثور مع إعمال النظر في الأخذ و الترك فحسب. (١) الإتيان، ج ٤، ص ٢١٣-٢١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٥

### نمط آخر من التفسير بالمأثور

هناك نمط آخر من التفسير بالمأثور، يفسّر القرآن تفسيراً حسب المتعارف، آيه فآيه و جمله فجملة، و كلمة فكلمة، حسبما يساعده اللغة و الفهم العرفي، لكنه يعتمد في حلّ معضلاته و رفع مبهماتة على المأثور من الروايات فحسب، لا غيرهنّ من أدوات التفسير، بل و ربما غلب الاعتماد على النقل على الاعتماد على العقل و إعمال النظر و الرأي و الاجتهاد، فيظهر بمظهر التفسير النقلي أكثر من ظهوره بمظهر التفسير النظري الاجتهادي.

و هذا كتفسير المولى الفيض الكاشاني، و تفسير الميرزا محمد المشهدي، و تفسير شبّر، مما كتب في عهد متقارب، بعد سنه الألف من الهجرة.

و تفسير السمرقندي، و الثعلبي، و الثعالبي، و البغوي، و ابن كثير، و المحرّر الوجيز، من تفاسير أهل السنه، كتبت في القرون الوسطى من الهجرة.

إذ كل ذلك يعدّ من التفسير بالمأثور، نظراً لكثرة الاعتماد على النقل في التفسير، و قلّة النظر و الاجتهاد. و إليك بعض الكلام عنها:

### ٨- تفسير الصافي

#### إشارة

للمولى محسن محمد بن المرتضى المعروف بالفيز الكاشاني، المتوفى (١٠٩١). هو المحدث الفقيه و الفيلسوف العارف، ولد بكاشان و نشأ بها نشأة علمية راقية له تفسير كبير و متوسط و موجز، و سميت على الترتيب ب «الصافي و الأصفى و المصفي».

يعتبر تفسيره هذا مزجاً من الرواية و الدراية، تفسيراً شاملاً لجميع آي القرآن، و قد اعتمد المؤلف في نقل عباراته على تفسير البيضاوي، ثم على نصوص الأحاديث المرويّة عن أئمة أهل البيت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٦

و قدّم لتفسيره مقدّمة تشتمل على اثني عشر فصلاً، بحث فيها عن مختلف شئون القرآن و فضله و تلاوته و تفسيره و تأويله.

و تعتبر هذه المقدمة من أحسن المقدمات التفسيرية، التي أوضح فيها المؤلف مواضع أهل التفسير في النقل و الاعتماد على الرأي، و ما يجب توفّره لدى المفسّر عند تفسيره للقرآن، من مؤهلات ضرورية.

و هذه الفصول سمّاهن مقدمات: كانت المقدمة الأولى- بعد الديباجة- في نقل ما جاء في فضل القرآن، و الوصية بالتمسك به. و

الثانية في أن علم القرآن كله عند أهل البيت عليهم السّلام، هم يعلمون ظاهر القرآن و باطنه، علماً شاملاً لجميع آي القرآن الكريم. و

الثالثة في أن جلّ القرآن وارد بشأن أولياء الله و معاداة أعداء الله.

و الرابعة فى بيان وجوه معانى الآيات من التفسير و التأويل، و الظهر و البطن، و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و غير ذلك. و الخامسة فى المنع من التفسير بالرأى و بيان المراد منه. و السادسة فى صيانة القرآن من التحريف. و السابعة فى أن القرآن تبيان لكل شىء، فيه أصول معارف الدين، و قواعد الشرع المبين. و الثامنة فى القراءات و اعتبارها. و التاسعة فى نزول القرآن الدفعى و التدريجى. و العاشرة فى شفاعة القرآن و ثواب تلاوته و حفظه. و الحادية عشرة فى التلاوة و آدابها. و الثانية عشرة فى بيان مصطلحات تفسيرية اعتمدها المؤلف فى الكتاب.

و هذا التفسير - على جملة - من نفائس التفاسير الجامعة لجلّ المرويات عن أئمة أهل البيت إن تفسيرا أو تأويلا. و إن كان فيه بعض الخلط بين الغثّ و السمين.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٧

### منهجه فى التفسير

يعتمد اللغة أولا، ثم الأعراب أحيانا، و بعد ذلك يتعرض للمأثور من روايات أهل البيت عليهم السلام، معتمدا على تفسير القمى و العياشى، و غيرها من كتب الحديث المعروفة. لكنه لا يتحرى الصحة فى النقل، و يتخلى بنفسه لمجرد ذكر مصدر الحديث، الأمر الذى يؤخذ عليه؛ حيث فى بعض الأحيان نراه يذكر الحديث، و كان ظاهره الاعتماد عليه، مما يوجب إغراء الجاهل، فيظنه تفسيرا قطعيا للآية الكريمة، و فيه من الإسرائيليات و الروايات الضعاف الشىء الكثير.

و له فى بعض الأحيان بيانات عرفانية قد تشبه تأويلات غير متلائمة مع ظاهر النص، بل و مع دليل العقل و الفطرة. مثلا نراه عند ما يذكر قصة هاروت و ماروت - حسب الروايات الإسرائيلية - و تبعاً لما ذكره البيضاوى فى تفسيره: أنهما شربا الخمر و سجدا للصنم و زنيا، نراه يؤول ذلك تأويلا غريبا، يقول: لعل المراد بالملكين: الروح و القلب، فإنهما من العالم الروحانى، أهبطا إلى العالم الجسمانى، لإقامة الحق، فافتتنا بزهره الحياة الدنيا، و وقعا فى شبكة الشهوة، فشربا خمر الغفلة، و عبدا صنم الهوى، و قتلا عقلهما الناصح لهما، بمنع تغذيته بالعلم و التقوى، و محو أثر نصحه عن أنفسهما، و تهيأ للزنى ببعى الدنيا الدنية التى تلى تربية النشاط و الطرب فيها الكوكب المسمى بزهره، فهربت الدنيا منهما و فاتتهما، لما كان من عاداتها أن تهرب من طالبيها؛ لأنها متاع الغرور، و بقى إشراق حسنهما فى موضع مرتفع؛ بحيث لا تنالها أيدي طلابها، ما دامت الزهره باقية فى السماء. و حملهما حبا فى قلبهما إلى أن وضعا طرائق من السحر، و هو ما لطف مأخذه و دقّ، فخيّرنا للتخلص منهما، فاختارا بعد التتبه و عود العقل إليهما أهون العذابين، ثم رفعا

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٨

إلى البرزخ معدّين، و رأسهما بعد إلى أسفل، إلى يوم القيامة «١».

و لقد كان الأجدد به - و هو الفقيه النابه المحقق - أن ينبذ تلكم الروايات الإسرائيلية المشوهة، حتى و لو كانت بصورة الرواية عن أهل البيت افتراء عليهم، كان الأجدد به أن يتركها دون ارتكاب التأويل.

### ٩- تفسير المشهدى (كنز الدقائق و بحر الغرائب)

للميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمى المعروف بالمشهدى؛ لأنه نشأ بمشهد الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام توفى حدود سنة (١١٢٥). و تتلمذ على يد المولى محسن الفيض الكاشانى، و سار على منهجه فى التفسير. و تفسيره هذا هو حصيلة ما سبقه من أمهات تفاسير أصحابنا الإمامية، جمع فيه لباب البيان و عباب التعبير أينما وجد، طوى الكتب و التأليف السابقة عليه.

فقد اختار حسن تعبير أبى سعيد الشيرازى البيضاوى - كما فعله أستاذه و شيخه المقدم المولى الفيض الكاشانى من قبل - كما انتخب

من أسلوب الطبرسي في «المجمع» ترتيبه و تبويبه، مضيفا إليه ما استحسنته من «كشاف» الزمخشري و «حواشي» العلامة الشيخ البهائي، فصار تأليفه مجموعة من خير الأقوال و أحسن الآثار كما صرح هو في مقدمته تفسيره، و حسبما جاء في تقرير العلامة المجلسي، و المحقق الخوانساري على الكتاب، و راجع مقدمتنا على التفسير.

و هذا التفسير جمع بين العقل و النقل، فاعتمد المأثور من روايات معزوة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام مردفا لها بما سنع له خاطره من رأى و نظر، أو وجدته في (١) تفسير الصافي، ج ١، ص ١٣٠، ذيل الآية رقم ١٠٣، من سورة البقرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٣٩

تأليف أو أثر، و لم يدع مناسبة أدبية أو كلامية أو عرفانية إلا أتى فيها بيان، منتهجا أثر شيخه الفيض في تفسير «الصافي».

و أما موقفه من الإسرائيليات و الموضوعات فهو موضع الردّ و الاجتناب عنها، دون ذكر التفصيل، مثلا- يذكر في قصة هاروت و ماروت ما يفندوها؛ حيث يقول: و ما روى أنهما مثلا بشرين و ركب فيهما الشهوة ... فمحكى عن اليهود.

و الخلاصة: كان لهذا التفسير مكانته في الجمع بين الرواية و الدراية، و إعطاء صورة واضحة للتفسير عند الإمامية، و يشتمل على ما في كتب التفسير من اللغة و الإعراب و البيان، بشكل موجز رائع.

فهو تفسير جامع شامل لجوانب عدة من الكلام، حول تفسير آي القرآن، الأمر الذي جعله فذا في بابه، و فردا في أسلوبه، و ممتازا على تفاسير جاءت إلى عرصه الوجود، ذلك العهد.

و قد طبع عدة طبعات أنيقة في مفتتح هذا القرن- الخامس عشر للهجرة- أحسنها طبعه مؤسسة دار النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

## ١٠- تفسير ابن كثير

للحافظ عماد الدين، أبي الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير، الدمشقي الفقيه المؤرخ الشافعي أخذ عن ابن تيمية، و شغف بحبه، و امتحن بسببه. قال ابن شهبه في طبقاته: إنه كانت له خصوصية بابن تيمية، و مناضله عنه، و أتباع له في كثير من آرائه. و كان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، و امتحن بسبب ذلك و أودى. توفي سنة (٧٧٤)، و دفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية. و كان قد كفّ بصره في آخر عمره الذي ناهز السبعين.

و هو صاحب التاريخ الذي سماه: «البداية و النهاية» فكان مؤرخا مفسرا

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٠

كابن جرير الطبري.

و تفسيره هذا من أشهر ما دون في التفسير المأثور، بل من أجوده؛ حيث اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف، ففسر كلام الله تعالى بالأحاديث و الآثار مسنده إلى أصحابها، مع الكلام عما يحتاج إليه جرحا و تعديلا، و نقدا و تحليلا، و قدم له بمقدمة طويلة، تعرض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق و اتصال بالقرآن و تفسيره. و لكن أغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذي ذكره في مقدمته، في أصول التفسير.

و يمتاز في طريقتة في التفسير بأن يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة جزلة، و إن أمكن توضيح الآية بآية أو آيات أخرى ذكرها، و قارن بينهما حتى يتبين المعنى و يظهر المراد، و هو شديد العناية و كثير الإحاطة بهذا الجانب من تفسير القرآن بالقرآن، و لعل هذا الكتاب من أكثر ما عرف من كتب التفسير سردا للآيات المتناسبة، و مقارنة بعضها مع البعض، لكشف المعنى المراد.

و بعد ذلك يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي لها تعلق بالآية، و يبين ما يحتج به و ما لا يحتج به منها، ثم يردفها بأقوال الصحابة و التابعين، و من يليهم من علماء السلف.

و نجده أحيانا يبرّح بعض الأقوال على بعض، و يضعف بعض الروايات، و يصحح بعضها آخر منها، و يعدل بعض الرواة، و يجرح بعضها آخر، و هذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بأصول نقد الحديث، و معرفة أحوال الرجال.

و مما يمتاز به أنه يتبّه بين حين و آخر إلى ما فى التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات و الموضوعات، و يحذّر منها على وجه الإجمال تارة، و على وجه التعيين و البيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

مثلا، هو فى قصة هاروت و ماروت، يراها متصادمة مع ما ورد من الدلائل

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤١

على عصمة الملائكة، فإن كان و لا بدّ فهو تخصيص، كما فى شأن إبليس على القول بأنه من الملائكة، ثم يذكر القصة نقلا عن الإمام أحمد فى مسنده، يرفعها إلى النبى، لكنه يشكك فى صحة السند و رفعه. و أخيرا يستغربها. و يذكرها أيضا بطريقتين آخرين و يستغربهما، و فى نهاية الأمر يقول: و أقرب ما يكون فى هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأخبار، لا عن النبى، إذن فدار الحديث و رجع إلى نقل كعب الأخبار، عن كتب بنى إسرائيل.

ثم يذكر الآثار الواردة فى ذلك عن الصحابة و التابعين. و

يذكر عن على عليه السلام أنه لعن الزهرة، لأنها فتنت الملكين.

و يعقبه

بقوله: و هذا أيضا لا يصح و هو منكر جدا.

و يذكر عن ابن مسعود و ابن عباس و عن مجاهد أيضا، ثم يقول: و هذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر، و أضاف: و قد تقدّم أنه من روايته عن كعب الأخبار.

و فى النهاية يقول: و قد روى فى قصة هاروت و ماروت عن جماعة من التابعين و قصّرها خلق من المفسرين من المتقدمين و المتأخرين، و حاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح، متصل الإسناد إلى الصادق المصدّق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى «١».

انظر إلى هذا التحقيق الأنيق بشأن خرافة إسرائيلية غفل عنها أكثر المفسرين.

و كذا فى قصة البقرة، نراه يقصّ علينا قصة طويلة مسهبة و غريبة على ما ذكره المفسرون و يعقبها بقوله: و هذه السياقات عن عبدة و أبى العالية و السدى و غيرهم، فيها اختلاف، و الظاهر أنها مأخوذة من كتب بنى إسرائيل، و هى مما (١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٣٧-١٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٢

يجوز نقلها، و لكن لا تصدق و لا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلّا ما وافق الحق عندنا «١».

قوله: «و هى مما يجوز نقلها» هذا إنما تبع فى ذلك شيخه ابن تيمية فى تجويز الحديث عن بنى إسرائيل، و لكن من غير تكذيب و لا تصديق. و قد تكلمنا فى ذلك عند الكلام عن الإسرائيليات، و أنه يجب نبذها و عدم نقلها، و لا سيما إذا كانت من الشائعات عندهم، غير مثبتة فى كتبهم، و الأكثر هو من ذلك.

و هكذا فى تفسير سورة «ق»، يذكر عن بعض السلف أنه جبل محيط بالأرض، ثم يعقبه بقوله: و كأنّ هذا- و الله أعلم- من خرافات بنى إسرائيل التى أخذها عنهم، مما لا يصدق و لا يكذب، و عندى أنّ هذا و أمثاله و أشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم. كما افترى فى هذه الأمة- مع جلاله قدر علمائها و حفاظها و أئمتها- أحاديث عن النبى و ما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بنى إسرائيل مع طول المدى و قلة الحفاظ النقاد فيهم، و شربهم للخمر، و تحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، و تبديل كتب الله و آياته. و إنما أباح الشارع الرواية عنهم فى

قوله: «حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج»

فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول و يحكم فيه بالبطلان و يغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل «٢». (١) تفسير ابن

كثير، ج ١، ص ١٠٨-١١٠.

(٢) المصدر، ج ٤، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٣

### ١١- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)

هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي كان عالما شغوفا باقتناء الكتب، فكان فقيها عارفا بالأحكام و الحديث و التفسير، نحوياً أديبا بارعا في الأدب و النظم و النشر. توفي سنة (٤٨١).

و تفسيره هذا من أعظم التفاسير بالمأثور؛ حيث ملؤه النقد و التحقيق و التمحيص. فكانت له قيمته العلمية بين كتب التفسير؛ حيث أضفى مؤلفه عليه من روحه العلمية الفياضة، ما أكسبه دقة و رواجاً و قبولاً.

يقول ابن خلدون عند ما يتعرض لكتب التفسير بالمأثور: فكتب الكثير من ذلك و نقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة و التابعين، و انتهى ذلك إلى الطبري و الواقدي و الثعالبي و أمثال ذلك من المفسرين، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار ... و قد جمع المتقدمون في ذلك و أوعوا، إلما أن كتبهم و منقولاتهم تشتمل على الغث و السمين و المقبول و المردود ... فامتألت التفاسير من المنقولات عندهم (مسلمة اليهود) في أمثال هذه الأغراض (أسباب المكنونات) أخبار موقوفة عليهم، و ليست مما يرجع إلى الأحكام، فتحرى في الصحة التي يجب بها العمل.

و تساهل المفسرون في مثل ذلك، و ملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات، و أصلها- كما قلنا- عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، و لا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلما أنهم بعد صيتهم و عظمت أقدارهم؛ لما كانوا عليه من المقامات في الدين و الملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ.

فلما رجع الناس إلى التحقيق و التمحيص، و جاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها، و تحرى ما هو أقرب إلى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٤

الصحة منها، و وضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب و الأندلس، حسن المنحى. و تبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد، في كتاب آخر مشهور بالمشرق «١».

و بحق هو تفسير محرر من أفاصيص مشوهة إسرائيلية، كانت دارجة لحد ذلك الحين. فهو من خير التفاسير بالمأثور، و قد طبع أخيراً، و خرجت منه مجلدات لحد الآن.

و نجد أبا حيان- في مقدمته تفسيره- يعقد مقارنة بين تفسير ابن عطية و تفسير الزمخشري، فيقول: و كتاب ابن عطية أنقل و أجمع و أخلص. و كتاب الزمخشري أخلص و أغوص «٢».

و لهذا التفسير مقدمه جامعة نافعة تحتوي على مسائل ذات أهمية، طبعت مستقلة عن التفسير، مع مقدمه كتاب «المباني». قام بنشرهما المستشرق آرثر جفري، و طبعتا عدة طبعات.

### ١٢- تفسير الثعلبي (الكشف و البيان)

هو أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري. توفي سنة (٤٢٧). كان رأساً في التفسير و العربية. قال ابن خلكان: كان أوحد



زمانه في علم التفسير، و صنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير «٣». و قال ياقوت: صاحب التصانيف الجليله، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني و الإشارات، (١) المقدمة لابن خلدون، ص ٤٣٩-٤٤٠، الفصل الخامس.

(٢) تفسير البحر المحيط، ج ١، ص ١٠.

(٣) راجع: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٥

و كلمات أرباب الحقائق، و وجوه الإعراب و القراءات «١». و هو صاحب كتاب «العرائس» في قصص الأنبياء.

من ميزات هذا التفسير: توسعه في اللغة و الأدب و الوجوه و القراءات، و الإحاطة بكلام السلف، و الإجابة في نقلها و بسطها. فقد كان مفسرنا كثير الشيوخ كثير الحديث صحيح النقل موثوق به «٢»، غير أنه لم يتحر الصحة فيما ينقله من تفاسير السلف، و من وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين المكثرين من النقل. و قد جرّ على نفسه و على تفسيره، بسبب هذه الكثرة من الإسرائيليات و الموضوعات، ما جرّه أكثر المفسرين السلف من اللوم و النقد اللاذع. و قد اعتمد روايات الشيعة أيضا في تفسيره، الأمر الذي أثار العتاب عليه بالخصوص، و إلّا فهو و سائر أصحاب التفسير بالمأثور سواء.

### ١٣- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، توفي سنة (٨٧٦). كان من الأئمة الرخالين في طلب العلم. و طار صيته بالفضل و الزهد عن الدنيا. و أصبح آية في علم الحديث، و خلف كتبا كثيرا ألفها على نمط أهل الحديث المكثرين. إنه يتعرض للقراءات أحيانا، و يدخل في الصناعة النحوية نقلا عن غيره، و يذكر الروايات المأثور في التفسير، يذكرها بلا إسناد، و يخوض الإسرائيليات خوضا بلا هوادة، و فيه من آثار التعصب الشيء الكثير. و الخلاصة: أن تفسيره هذا (١) معجم الأدباء، ج ٥، ص ٣٧.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٢٨-٢٣٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٦

لا يوازن نظائره من تفاسير سالفه.

### ١٤- منهج الصادقين

للمولى فتح الله الكاشاني، فقيه متكلم صاحب نظر و اختيار في التفسير، من علماء العهد الصفوي. له تفسير باللغة العربية باسم «زبدة التفاسير» و هذا التفسير وضعه باللغة الفارسية خدمة لأبناء بلاده. و هو أول تفسير فارسي اشتهر و طبع عدّة مرّات في عشر مجلدات. ثم ظهر تفسير أبي الفتوح الرازي في عهد متأخر و الذي سبقه بقرون. و قد اعتمد المفسر على أشهر التفاسير المعتمدة، منها تفسير أبي الفتوح و مجمع البيان و البيضاوي و الكشاف. و قد اعتنى بالروايات اعتناء البالغ. و هو تفسير جيد لطيف.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٧

### النمط الثاني التفسير الاجتهادي

\* التفسير الفقهي (آيات الأحكام) \* التفاسير الجامعة \* التفسير في العصر الحديث \* التفاسير الأدبية \* التفاسير اللغوية \* التفاسير الموجزة \* التفاسير العرفانية (التفسير الرمزي و الإشاري)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٤٩

النمط الثاني التفسير الاجتهادي و التفسير الاجتهادي يعتمد العقل و النظر أكثر مما يعتمد النقل و الأثر؛ ليكون المناط في النقد و التمحيص هو دلالة العقل الرشيد و الرأي السديد، دون مجرد الاعتماد على المنقول من الآثار و الأخبار. نعم لا ننكر أن مزالّ الأقدام في هذا المجال كثيرة، و عواقبه و خيمته، و من ثم تجب الحيطة و الحذر و إمعان النظر، بعد التوكل على الله و الاستعانة به، الأمر الذي يحصل عند حسن التية و الإخلاص في العمل المستمر، و الله من وراء القصد.

و العمل الاجتهادي في التفسير شيء حصل في وقت مبكر، في عهد التابعين؛ حيث انفتح باب الاجتهاد و إعمال الرأي و النظر في التفسير، و شاع النقد و التمحيص في المنقول من الآثار و الأخبار. و لم يزل يتوسّع دائرة ذلك مع تقادم الزمان، و مع تنوع العلوم و المعارف التي ما زالت تتوفر في الأوساط

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٠

الإسلامية حينذاك.

و قد أسبقنا أن من ميزات تفسير التابعين، فتح باب الاجتهاد و التوسع فيه، و هكذا دأب من جاء بعدهم على التوسّع في النظر، و التنوع في أبعاده و مراميه.

نعم كانت آفة ذلك - لدى الخروج عن دائرة التوقيف، و ولوج باب النظر و إعمال الرأي - هو خشية أن ينخرط التفسير في سلك التفسير بالرأي الممقوت عقلا، و الممنوع شرعاً؛ حيث لا يؤمن من عاقبه ذلك أن تزلّ قدم أو تهوى إلى مكان سحيق، و بالفعل قد سقط أناس كثير.

و من ثمّ تجب معرفة حدود «التفسير بالرأي» و الوقوف على ثغوره، و جوانبه و أبعاده؛ لغاية الاجتناب عنه.

و نحن قد أوفينا الكلام حول مسألة «التفسير بالرأي» «١» و يتلخّص في أن الممنوع منه هو ما كان بأحد وجهين:

١- الاستبداد بالرأي في تفسير كلامه تعالى، فيعتمد ما حانت له نظرتة الخاصة، غير مبال بما قاله العلماء من قبله، فيعتمد إلى تفسير آية، اعتماداً على ما فهمه من لغة و أدب مجرد، من غير مراجعة لأقوال السلف و نظراتهم و توجيهاتهم، و المسالك التي سلكوها في فهم الآية، و ربما كانت قرائن و دلائل حافسة، لا ينبغي التغافل عنها. من ذلك معرفة أسباب النزول، و شرح الحوادث المقارنة لنزول الآية، و المناسبة التي استدعت نزولها، و كذا المأثور من كلام النبي و الصحابة الأولين، مما يعين على فهم كلام الله النازل على رسوله. و إنما يعرف القرآن من خوطب به، فأغفال ذلك و إعفاء الآثار و الدلائل المكتنفة، حياذ عن طريقة العقلاء في فهم الكلام، فضلاً عن كلامه تعالى، و

من استبدّ برأيه هلك، كما (١) عند البحث عن صلاحية المفسر في الجزء الأول، ص ٦١-٩٦؛ و ما كاد يزلّه لو لم يتحدّر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥١

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

و أيضاً فإن علم التفسير، علم انحدر من نقطة أولى ثم توسّع و تنوع، كسائر العلوم التي ورثتها البشرية من أسلافها العلماء. و لا ينبغي لعالم أن يعفى ما حققه الأسلاف، و ليس له أن يبدأ بما بدأ به الأولون، و إلّا لم تكن العلوم لتزدهر و تتوسّع مع أطراد الزمان.

و الخلاصة: إن مراجعة الدلائل و الشواهد القرآنية، إلى جنب أقوال السلف و آرائهم، شرط أساسي في معرفة كلام الله، فمن استبد برأيه من دون مراجعة ذلك، هلك و أهلك.

و هذا معنى

الحديث الوارد: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»

فلو فرض أنه ربّما أصاب الواقع صدفة، لكنه قد أخطأ الطريق التي تؤمّن عليه الإصابة لدى العقلاء.

٢- أن يعمد إلى آية فيحاول تطبيقها على رأيه- مذهب أو عقيدة أو سلوك- ليبرز موضعه من ذلك، أو يجعل ذلك داعية لعقيدته أو سلوكه، و هو- في الأغلب- يعلم أن لا مساس للآية بذلك، و إنما هو تحميل عليها.

و العمدة: أنه لم يرم فهم معنى الآية و تفسيرها الواقعي، و إنما رام دعم مذهبه و عقيدته بأيّ وسيلة كانت، و منها الآية إن وافق التقدير.

فهذا تحميل على الآية، و ليس تفسيراً لها، و من ثم فليتبوّأ مقعده من النار.

روى أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قال الله عزّ و جل: «ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي» (١).

و

روى أبو جعفر الطبري بإسناده عن ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من (١) الأما لي للصدوق، ص ٤، المجلس الثاني.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٢

قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار» (١).

إذن فمن سلك طريقة العقلاء في فهم الكلام، و اعتمد الدلائل و الشواهد، و راجع أقوال السلف الصالح، ثم أعمل نظره في فهم كلام الله، لم يكن مفسراً بالرأى، لا مستبداً برأيه و لا محمّلاً برأيه على القرآن الكريم، و العصمة بالله سبحانه.

## تنوع التفسير الاجتهادي

### إشارة

و مما يجدر التنبه له، أن التفسير الاجتهادي المبني على إعمال الرأى و النظر، يتنوع تنوعاً حسب مواهب المفسرين و قدراتهم العلمية و الأدبية، و معطياتهم في العلوم و المعارف؛ إذ كل صاحب فنّ و علم إنما يجعل من صناعته العلمية وسيلة لفهم القرآن، و ينظر إليه من الزاوية التي كانت مقدرته متركزة عليها، و من ثم تختلف براعة كل مفسر عن غيره، في الجهة التي كانت قدرته العلمية أبرع و أمتن. فصاحب الأدب الرفيع، إنما يفوق غيره في براعته الأدبية في التفسير، و هكذا صاحب الفلسفة و الكلام و الفقه و اللغة، و حتى صاحب العلوم الطبيعية و الرياضيات و الأفلاك، و نحو ذلك. فكل صاحب مهنة إنما يبرع في عمله، إذا خاض التفسير من جهة صناعته، و من زاوية اختصاصه، الأمر الذي جعل من التفسير متنوعاً، حسب معطيات أصحاب التفاسير.

و من ثم نستطيع أن ننوع ألوان التفسير إلى: أدبي و لغوي، كلامي و فلسفي و عرفاني، اجتماعي و علمي، و جامع بين أمرين أو أمور من ذلك؛ ليكون من (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٣

النوع الجامع، الذي يغلب أكثر التفاسير. و ليس معنى ذلك أن الأديب يتمحّض تفسيره في الأدب و اللغة محضاً أو الفقيه في الفقه محضاً، و كذا المتكلم و الفيلسوف و العارف و غيرهم، بل إنما يغلب على تفسير الأديب صياغته الأدبية، و على تفسير الفقيه صياغته الفقهية، و هكذا ... و إن كان لا يخلو سائر أنواع التفسير مما كان في بعضها من اختصاص.

أمّا تفاسير أصحاب المذاهب كالمعتزلة و الخوارج و الصوفيّة و أمثالهم، فهي إما داخله في النوع الكلامي أو العرفاني، و ليس بخارج

عن هذين اللّوئين، و لذلك كان تنويعنا للتفسير يختلف عن تنويع الآخرين بعض الشيء.

و عليه فينقسم التفسير الاجتهادى إلى: أدبى، و فقهى، و كلامى، و فلسفى، و عرفانى رمزى، و صوفى إشارى، و اجتماعى، و علمى، و جامع.

تلك أقسام للتفسير الغالبة عليه، حسب ألوان الاجتهاد فيه. و لتعرض للأهم من كتب التفسير المدوّنة على هذه الألوان.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٤

## التفسير الفقهى (آيات الأحكام)

### إشارة

و هى التفاسير الّتى تتعرض للآيات التى تتعلّق بالأحكام التّكليفية و الوضعية المرتبطة بأعمال المكلفين، و من ثم فهو من التفسير الموضوعى الذى له تعرّض لجانب من الآيات القرآنية. قالوا: و يقرب من نحو خمسمائة آية «١»، لها تعلّق مباشر بأعمال المكلفين من عبادات و معاملات، و إلّا فجميع آى القرآن هى دستورات عملية يجب على المسلمين أن يطبّقوا حياتهم الفكرية و العملية عليها، دستوراً عاماً شاملاً لمناحى الحياة كلها.

على أن الأرجح أن الآيات المرتبطة بأعمال المكلفين ارتباطاً تكليفياً فى حياتهم، تزيد على الخمسمائة، بكثير، و هى إلى الألفين آية أقرب منها إلى الخمسمائة، ذلك أنا لو أمعنا النظر فى سائر الآيات، و حققنا من فحواها العام، مثلاً: كان قوله تعالى - بشأن المرأة: - أَوْ مَنْ يُشْئُوا فِي الْحِلْيَةِ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ «٢» ناظراً إلى جانب نفسيّتها الخاصّة الرقيقة الفارغة، و قصورها الذاتى عن الخوض فى خصم معارك الحياة، و هى نظرة علمية بشأن نفسيّة المرأة أبداها (١) على ما ذكره الفاضل المقداد فى مقدمته كتابه «كنز العرفان» ج ١، ص ٥. لكن جاء فى فهرس آيات الاحكام لابن العربى أنها نحو من ثمانمائة آية (ج ٤، ص ١٩٩٤ - ٢٠٩٨). غير أنا لو نظرنا إلى القرآن من زاوية عنايته الخاصة بمسائل السياسة و الاجتماع، و التى أغفلها السلف، و اعتنى بها المتأخرون، لارتفعت أعداد آيات الأحكام إلى ما ينوف على الألفين آية.

(٢) الزخرف / ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٥

القرآن الكريم.

لكن يستفاد من ذلك - فقهياً - أنها لا تصلح لتصدّى الشؤون الإدارية الشائكة من ذوات التشابك و التصادم العنيف؛ و منها: أمور القضاء، التى هى بحاجة إلى حدّة و شدة، من ورائهما تعقّل و اختيار حرّ؛ حيث المرأة بطبيعتها أسيرة عاطفتها و أحاسيسها الرقيقة العاطفية الحادّة، مما تجرف بها عن إمكان الخوض فى معركة قضايا ذوات شجون، و هى بحاجة إلى صلابه و صمود و وعى، و اختيار فكرى تام.

المرأة تنظر إلى الحياة كمظاهر للزينة، و تبهرها زبرجتها، و من ثم فجّل اهتمامها التبرّج بمباهج الحياة الناعمة. أما هى فى خصم معاركها ضعيفة، خائفة القوى، لا تستطيع إبداء ما فى ضميرها إبداء كاملاً لدى خصامها هى مع غيرها، فكيف بها و هى تريد الفصل فى خصومات الآخرين.

و قد استفدنا من هذه الآيه، عدم جواز تصدّيها لمنصب القضاء، و هى من المئات الآيات التى أغفلت فى كتب آيات الأحكام المعروفة.

أهم كتب آيات الأحكام

لا شك أن السنة إلى جنب القرآن، تفسير لجانب آيات أحكامه، فما صدر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و بينته الصحابة الخيار و الأئمة الأطهار، هي تفاسير فقهية، ورثته الأمة كابرا عن كابر، ولكن بشكل غير مدون. وقد كان الصحابة و التابعون، و كذا من بعدهم من علماء و فقهاء، يراجعون القرآن فيما أشكل عليهم من أحكام و تكاليف و فرائض. و كانت الخلافات بين الصحابة و كذا بين التابعين و هكذا غيرهم من العلماء، كانت ترجع إلى كيفية فهم النص القرآني في الفرائض

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٦

و غيرها، و الشواهد على ذلك كثير.

و ظل الأمر على ذلك إلى عهد ظهور أئمة المذاهب و الفقهاء المستنبطين من الكتاب و السنة. و فيه وجدت حوادث للمسلمين لم يسبق لمن تقدم عليهم حكم عليها؛ حيث لم تكن في عهدهم و لم تكن مورد ابتلائهم حينذاك، و هي التي اصطلحوا على تسميتها ب «المسائل المستحدثة» و لا تزال تتجدد مسائل هي تمس حياة المسلمين، في مختلف شؤونهم الفردية و الاجتماعية، السياسية و الإدارية و غيرها. و هي كثير في كثير.

فكان كل فقيه ينظر في القرآن قبل كل شيء ليحل تلك المشاكل، و يجيب على تلك المسائل، في ظل توجيهاته الكريمة، و يحكم عليها بالحكم الذي ينقدح في ذهنه، و يعتقد أنه الصحيح في رأيه، و يدعمه بما لديه من أدلة و براهين. و هذه الاستنباطات كان منها ما يتفق فيه آراء الفقهاء، و كان منها ما يختلف. و لكن من غير أن تظهر منهم بادرة تعصب في هذا الاختلاف، و إنما هو مجرد اختلاف نظر، قابل للتفاهم و التشاور أحيانا؛ لأن الكل كانوا ينشدون الحق و يطلبون حكم الله الصحيح، و ليس بعزير على الواحد منهم- و هم جميعا يخلصون العمل لله- أن يرجع إلى رأى مخالفه إن ظهر له الحق في جانبه.

و كان من نتيجة تلك الخلافات في استنباط مباني الأحكام من القرآن الكريم، أن دونت كتب مخصّصة لعرض الخلاف و الوفاق، في فهم معاني آيات الأحكام.

### أحكام القرآن - للجصاص الحنفي

هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص، توفى سنة (٣٧٠).

كان إمام الحنيفة في وقته و إليه انتهت رئاسة الأصحاب. صاحب التأليف الكثيرة،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٧

منها: أحكام القرآن، كتبه على مباني مذهب أبي حنيفة، و يعدّ من أهم الكتب المدونة في الموضوع، و لعله أبسط الكتب في ذلك، و قد تعرّض فيه لجوانب كثيرة من معاني آيات الأحكام في صورة مسهبة، و مستوعبة كل جوانب الكلام، بعيدا عن التعصب المذهبي في غالب ما يكتبه، و إن كان الأستاذ الذهبي قد رماه بالتعصب لمذهب أبي حنيفة، و تحامله على سائر الأئمة. لكننا لم نر تحاملا منه و لا تعصبا أعمى و إنما هو بيان الحق، حسبما يراه.

مثلا عند ما تعرّض لقوله تعالى: **ثُمَّ أَنْتُمُ الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** (١) نجده يحاول أن يجعل الآية دالة على أن من دخل في صوم التطوع لزم اتمامه (٢).

و قد عدّ الذهبي ذلك منه تعسفا و تعصبا لرأى أبي حنيفة في ذلك (٣).

قلت: لا- تعسف و لا- تعصب، بعد ظهور الآية في ذلك، نظرا لإطلاق لفظها، و هو مذهب المالكية أيضا. و عند الشافعي و أحمد الإتمام مسنون (٤).

و الاختلاف في قضاء صوم التطوع إذا لم يكن عن عذر، ناشئ عن اختلاف الأحاديث في ذلك (٥). و الجصاص رجح القضاء استنادا إلى ظاهر إطلاق الآية، فلم يكن هناك تعسف؛ لأنه استناد إلى ظاهر الدليل، كما لم يكن تعصبا لمذهب أبي حنيفة بعد ذهاب مالك

إليه أيضا.

و أما عند الشيعة الإمامية فهو بالخيار في صوم التطوع ما بينه و بين الزوال، (١) البقرة/ ١٨٧.

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٢٧٤-٢٨٥.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤٠.

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٥٥٨.

(٥) راجع: ابن رشد الأندلسي، في بداية المجتهد، ج ١، ص ٣٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٨

و يكره بعد الزوال «١».

و عند ما تعرّض لقوله تعالى: وَ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُمُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ «٢» قال الذهبي: نجده يحاول أن يستدلّ بالآية من عدّة وجوه، على أنّ للمرأة أن تعقد نفسها بغير الولي و بغير إذنه «٣».

و هذا أيضا استظهار لطيف من الآية الكريمة، و لعل الآخرين غفلوها، على أنّ مسألة الولاية إنما تكون على الأبكار غير المتزوجات؛ و ذلك على القول به، و المشهور عدم الولاية إطلاقا. نعم هو مندوب إليه.

و عند ما تعرّض لقوله تعالى: وَ آتُوا النِّسَاءَ أَمْوَالَهُنَّ وَ لَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ بِالطَّبِيبِ «٤» و قوله: وَ ابْتُلُوا النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُنَّ «٥» قال الذهبي: نجده يحاول أن يأخذ من مجموع الآيتين دليلا لمذهب أبي حنيفة، القائل بوجوب دفع المال للتييم إذا بلغ خمسا و عشرين سنة، و إن لم يؤنس منه الرشد «٦».

نعم هنا تعسّف في الرأي؛ لأنه أخذ بإطلاق الآية الأولى و حملها على ما بعد هذا السنّ؛ و ذلك لاتفاق الفقهاء على الاشتراط بإيناس الرشد قبل ذلك، فما لم يبلغ خمسا و عشرين، لا يدفع إليه ما لم يؤنس منه الرشد، و أما إذا بلغها فيدفع (١) راجع: الخلاف للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٠٠، م ٨٣.

(٢) البقرة/ ٢٣٢.

(٣) أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٤٠٠.

(٤) النساء/ ٢.

(٥) النساء/ ٦.

(٦) أحكام القرآن، ج ٢، ص ٤٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٥٩

إليه مطلقا؛ و ذلك عملا بالآيتين.

و هذا تعسّف في الاستدلال؛ لأنه حمل للظاهر على بعض صورته من غير دليل، على أنّ الإطلاق في الآية الأولى يجب تقييده بالآية الثانية، و حمل المطلق على المقيد ليس إبطالا للمطلق، كما زعمه الجصاص.

و مما أخذ عليه الذهبي حملته على مخالفته؛ بحيث لا يعفّ لسانه عنهم.

قال: ثم إن الجصاص مع تعصّبه لمذهبه و تعسّفه في التأويل، ليس عفّ اللسان مع الإمام الشافعي، و لا مع غيره من الأئمة.

و كثيرا ما نراه يرمى الشافعي و غيره من مخالفين الحنفية بعبارات شديدة، لا تليق من مثل الجصاص، فمثلا- عند ما تعرّض لآية المحرّمات من النساء نجده يعرض الخلاف الذي بين الحنفية و الشافعية، في حكم من زنى بامرأة، هل يجوز التزويج بينها أو لا؟

و تمسك الشافعي بأن الحرام لا- يحرم الحلال، ثم ذكر مناظرة له مع سائل سأله: كيف تحرم بنت المنكوحه و لا تحرم بنت المزني بها؟ فأجاب الشافعي بأن ذاك حلال و هذا حرام، و لم يزد في الفرق بينهما على ذلك. و هنا يقول الجصاص: فقد بان أن ما قاله

الشافعي و ما سلمه له السائل كلام فارغ لا معنى تحته في حكم ما سئل عنه. ثم يقول: ما ظننت أن أحدا ممن يتتدب لمناظرة خصم، يبلغ به الإفلاس من الحجاج، إلى أن يلجأ إلى مثل هذا، مع سخافة عقل السائل و غباوته «١».

و في هذا الكلام إهانة بموضع الشافعي، و فرضه فيمن لا يعتد بشأنهم. (١) أحكام القرآن، ج ٢، ص ١١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٠

قلت: لا شك أن استدلال الشافعي هنا ضعيف؛ إذ كثير من المحرمات حرم من المحلات، كما في مسألة اللواط يحرم أخته و أمه و بنته على اللاطي، و كالعقد على المعتدة و الدخول بها، و الزنى بذات البعل.

و

حديث «الحرام لا يحرم الحلال»

وارد فيمن أحل له فرج ثم زنى بأماها أو بنتها «١» فهو ناظر إلى السابق، أي الحلال الفعلي لا الحلال الشأني. و من الغريب أن الشافعي هنا أخذ بالقياس مع الفارق.

و هكذا أخذ عليه الذهبي ميلا إلى مذهب الاعتزال، و كذا تحامله على معاوية.

أما ميلا إلى الاعتزال فلأنه نفى إمكان رؤيته تعالى، و حمله أخبار الرؤية على العلم لو صحت «٢».

قلت: و هذا من كمال فضله؛ حيث حكم العقل على النقل، و هو دأب المحصلين.

و أما تحامله على معاوية فمن ثبات عقيدته و صلابته في دينه. إن معاوية بغى على إمام زمانه و خرج عليه بالسيف، فعلى كل مسلم منابذته و التحامل عليه بالسيف، فضلا عن اللسان. و سكوت بعض السلف في ذلك مراوغة خبيثة.

يقول الذهبي: إننا نلاحظ على الجصاص أنه تبدو منه البغضاء لمعاوية، و يتأثر بذلك في تفسيره، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: أُوذِيَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ - إلى (١) راجع: المسألة (٢٨) من أحكام المصاهرة، من العروة الوثقى.

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٤-٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦١

قوله- الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ آمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ «١» يقول: و هذه صفة الخلفاء الراشدين الذين مكنتهم الله في الأرض ... و فيه الدلالة الواضحة على صحة إمامتهم؛ لإخبار الله تعالى بأنهم إذا مكنتوا في الأرض أقاموا بفروض الله عليهم، و قد مكنتوا في الأرض، فوجب أن يكونوا أئمة قائمين بأوامر الله، منتهين عن زواجه و نواهي.

و لا يدخل معاوية في هؤلاء؛ لأن الله إنما وصف بذلك المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم، و ليس معاوية من المهاجرين، بل هو من الطلقاء «٢».

و عند قوله تعالى: وَ عِدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ «٣» يقول: و فيه الدلالة على إمامة الخلفاء الأربعة أيضا؛ لأن الله استخلفهم في الأرض و مكّن لهم كما جاء الوعد، و لا يدخل فيهم معاوية؛ لأنه لم يكن مؤمنا في ذلك الوقت «٤».

و عند قوله: وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ «٥». نجده يجعل عليا عليه السلام هو المحق في قتاله، و معه كبراء الصحابة و أهل بدر من قد علم مكانهم، و كان معاوية من الفئة الباغية؛ لحديث عمار، و لم ينكره معاوية، بل حاول تأويله «٦». قال الذهبي: فجعل عليا هو المحق و أما معاوية و من معه فهم الفئة (١)

الحج / ٣٩-٤١.

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٢٤٦.

(٣) النور / ٥٥.

(٤) أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٣٢٩.

(٥) الحجرات / ٩.

(٦) أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٤٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٢

الباغية، و كذلك كل من خرج على علي عليه السلام.

قال: و ما كان أولى بصاحبنا أن يترك هذا التحامل على معاوية الصحابي، و يفوض أمره إلى الله، و لا يلوى مثل هذه الآيات إلى ميوله و هواه «١».

قلت: و لعل نحوسة الدفاع عن معاوية قد أخذت صاحبنا الذهبي فانجرفت به إلى مهاوى الضلال، و أخيرا إلى شر قتله، حشره الله مع مواليه «٢».

### أحكام القرآن (المنسوب إلى الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤)

جمعه الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري الشافعي، صاحب السنن الكبرى، المتوفى سنة (٤٥٨). و الكتاب يشتمل على ما جاء في كلام محمد بن إدريس الشافعي إمام الشافعية، من استناد و استشهاد بآيات قرآنية، في عامة أبواب الفقه، فعمد البيهقي إلى جمعه و ترتيبه و إبدائه في صورة تأليف مستقل. قال البيهقي: فرأيت من دلت الدلالة على صحة قوله - أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبى ابن عم محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - قد أتى على بيان ما يجب علينا معرفته من أحكام القرآن، و كان ذلك مفزقا في كتبه المصنفة في الأصول و الأحكام، فميزته و جمعته في هذه الأجزاء على ترتيب المختصر؛ ليكون طلب ذلك منه على من أراد أيسر، و اقتصرت في حكاية كلامه على ما يتبين منه المراد دون الإطناب، (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤٣.

(٢) إنه في أخريات حياته صانع حكومة مصر في مسالمتها مع أعداء الإسلام، و من ثم اغتالته أيدي مسلمة مصر دفاعا عن حريم الإسلام. و ذلك في شعبان عام ١٣٩٧ هـ الموافق ١٩٧٧ م. و ١٣٥٦ ش.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٣

و نقلت من كلامه في أصول الفقه، و استشهاده بالآيات التي احتاج إليه من الكتاب، على غاية الاختصار، ما يليق بهذا الكتاب. و مما استند إليه الشافعي في مسائل العقيدة، قوله تعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ «١» قال: فلما حج بهم في السخط، كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا.

و هكذا استدلل على أن المشيئة لله بقوله تعالى: وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ «٢» قال: فأعلم خلقه أن المشيئة له «٣».

و في مسائل أصول الفقه، استند في حجية خبر الواحد بآيات بعث الرسل، إلى كل أمة برسول واحد، ثم جعل يسرد الآيات في ذلك: إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ... «٤». وَ إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ... «٥». وَ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ... «٦»

و غير ذلك من آيات. قال: فأقام - جل ثناؤه - حجته على خلقه في أنبيائه بالأعلام التي باينوا بها خلقه سواهم، و كانت الحججة على من شاهد أمور الأنبياء دلالتهم التي باينوا بها غيرهم، و على من بعدهم - و كان الواحد في ذلك و أكثر منه سواء - تقوم الحججة بالواحد منهم قيامها بالأكثر ... و كذا أقام الحججة على الأمم بواحد.

قال البيهقي: و احتج الشافعي بالآيات التي وردت في القرآن في فرض طاعة (١) المطففين / ١٥.



(٢) الدهر / ٣٠.

(٣) أحكام القرآن للشافعي (البيهقي)، ج ١، ص ٤٠.

(٤) نوح / ١.

(٥) الأعراف / ٦٥.

(٦) الأعراف / ٧٣.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٤

رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و من بعده إلى يوم القيامة واحدا واحدا، في أن على كل واحد طاعته، و لم يكن أحد غاب عن رؤية رسول الله، يعلم أمره إلّا بالخبر عنه، و بسط الكلام فيه «١».

و مما استدللّ به في مسائل الأحكام و هي الكثرة الكثيرة ما حدّث الشافعي بإسناده إلى مجاهد، قال: أقرب ما يكون العبد من الله - أو إلى الله - إذا كان ساجدا، ألم تر إلى قوله تعالى: وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ «٢» يعني: افعل و اقرب. قال الشافعي: و يشبه ما قال مجاهد، و الله أعلم ما قال، أي ما قاله النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم «٣».

و في رواية حرملة عنه في قوله تعالى: يَخْرُونَ لِلذَّقَانِ سِجِّدًا «٤» قال الشافعي: و احتمل السجود: أن يخزّ، و ذقنه - إذا خزّ - تلي الأرض، ثم يكون سجوده على غير الذقن.

و استدللّ بآية إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا «٥» بوجوب الصلاة عليه صَلَّى الله عليه و آله و سلم في الصلوات الفرائض.

قال: فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع، أولى منه في الصلاة «٦».

و من غريب استدلاله: أنه فهم من قوله تعالى: وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ «٧» أن المنى طاهر؛ حيث كان أصل الإنسان (١) أحكام القرآن للشافعي (البيهقي)، ج ١، ص ٣١ - ٣٢.

(٢) العلق / ١٩.

(٣) ممّا أثبتته الشافعي قبل أثر مجاهد.

(٤) الإسراء / ١٠٧.

(٥) الأحزاب / ٥٦.

(٦) أحكام القرآن، ج ١، ص ٧٠ - ٧٢.

(٧) السجدة / ٧ - ٨.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٥

من ماء و تراب، و هما طاهران، فخلق النسل من ماء يدلّ على طهارته أيضا. قال:

بدأ الله خلق آدم من ماء و طين، و جعلهما معا طهارة، و بدأ خلق ولده من ماء دافق. فكان في ابتداء خلق آدم من الطاهرين اللذين هما الطهارة دلالة لابتداء خلق غيره أنه من ماء طاهر لا نجس. قال: المنى ليس بنجس؛ لأن الله أكرم من أن يبتدئ خلق من كرمه من نجس. قال: و لو لم يكن في هذا - أي طهارة المنى - خبر عن النبي؛ لكان ينبغي أن تكون العقول تعلم أن الله لا يبتدئ خلق من كرمه و أسكنه جنّته من نجس. ثم ذكر الخبر الوارد في أنّ النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم لم يغسل ثوبه من منى أصابه «١».

و الكتاب مطبوع جزءين في مجلد واحد.

أحكام القرآن لـ كيا الهراسي الشافعي أيضا

هو عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيالهراسي «٢». فقيه شافعي، أصله من خراسان ثم رحل إلى نيسابور، و تفقه على إمام الحرمين الجويني مدّة حتى برع، ثم خرج إلى بيهق ثم إلى العراق، و تولّى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد، إلى أن توفي سنة (٥٠٤).

يعتبر كتابه هذا من أهمّ المؤلفات في أحكام القرآن عند الشافعية؛ ذلك لتعصّب المؤلف فيه لمذهب الشافعي، محاولاً بكل جهده تفسير الآيات في صالح مذهبه. يقول في مقدمته: «إن مذهب الشافعي أسدّ المذاهب و أقومها و أرشدها و أحكمها، و إن نظر الشافعي في أكثر آرائه و معظم أبحاثه، يترقى عن (١) أحكام القرآن، ج ١، ص ٨١-٨٢.

(٢) كيا: كلمة فارسية، معناها: الكبير القدر، المقدم بين الناس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٦

حدّ الظنّ و التخمين إلى درجة الحق و اليقين ... و إن الله فتح له من أبوابه، و يسّر عليه من أسبابه، و رفع له من حجابيه، ما لم يسهل لمن سواه، و لم يتأتّ لمن عداه».

هكذا يتعصّب لمذهب الشافعي، و يحاول ترجيحه على سائر المذاهب.

قال الذهبي: إنّ تقديم الكتاب بمثل هذا الكلام ناطق بأن الرجل متعصّب لمذهبه، و شاهد عليه بأنه سوف يسلك في كتابه مسلك الدفاع عن قواعد الشافعي و فروع مذهبه، و إن أداه ذلك إلى التعسف و التأويل. قال: و دونك الكتاب، لتقف على مبلغ تعصّب صاحبه و تعسّفه (١).

و له حملات عنيفة على الجصاص، مقابلة له بالمثل، فراجع الكتاب.

و الكتاب مطبوع أربعة أجزاء في مجلدين.

### أحكام القرآن لابن العربي المالكي

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي، ختام علماء الأندلس و آخر أئمتها و حفّاظها، توفي سنة (٥٤٣). كان من أهل التفنّن في العلوم و التبجّر فيها، متكلمًا في أنواعها، نافذاً في جمعها، حريصاً في طلبها.

و يعتبر هذا الكتاب مرجعاً مهمّاً للتفسير الفقهي عند المالكية؛ حيث مؤلفه مالكي متأثر بمذهبه، فظهرت عليه في تفسيره روح التعصّب و الدفاع عنه، و ربما حمل على مخالفه حملة عشواء، بما لا يتناسب و مقام الفقهاء العظام.

و على أي حال، فهو كتاب حافل بالأدب و اللغّة مضافاً إلى عرض مذاهب السلف في الفتيا، و الاستظهار من كتاب الله. تراه قد يطيل البحث بالقليل و القال، (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٧

و ردّاً على مخالفه رأى أصحابه، من غير جدوى. نجده عند آية الوضوء «١» يتعرّض لأصحاب الشافعي في اعتبارهم التية في الوضوء، يقول: ظنّ ظانّون من أصحاب الشافعي الذين يوجبون النية في الوضوء، أنه لما أوجب الوضوء عند القيام إلى الصلاة دلّ على أنه أوجه لأجله، و أنه أوجب به النية.

و هذا لا يصحّ، فإن إيجاب الله سبحانه الوضوء لأجل الحدث لا يدلّ على أنه يجب عليه أن ينوي ذلك، بل يجوز أن يجب لأجله، و يحصل دون قصد تعليق الطهارة بالصلاة و بنيتها لأجله ... و يسهب في الكلام هنا، و ينتهي إلى قوله:

فركب على هذا سفاسفة المفتين، و أوردوا فيها نصّاً عن لا يفرّق بين الظن و اليقين.

و ينتقل بعد ذلك إلى الكلام حول و أيدّيكم، فيقول: اليد عبارة عمّا بين المنكب و الظفر، و هي ذات أجزاء و أسماء، منها المنكب و منها الكفّ و الأصابع، و هو محل البطش و التصرف العام في المنافع، و هو معنى اليد.

و غسلهما في الوضوء مرتين: إحداهما عند أول محاولة الوضوء و هو سنة، و الثانية في أثناء الوضوء و هو فرض.

قوله: إلی المرافق. و ذكر أهل التأويل في ذلك ثلاثة أقاويل:

الأول: أن «إلى» بمعنى «مع»، كما قال تعالى: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ «٢» مع أموالكم.

الثاني: أن «إلى» حدّ، و الحدّ إذا كان من جنس المحدود دخل فيه.

الثالث: أن المرافق حد الساقط لا حد المفروض. قاله القاضي عبد الوهاب، (١) المائدة/٦.

(٢) النساء/٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٨

و ما رأيت له غيره.

و تحقيقه أن قوله: «و أيديكم» يقتضى بمطلقه من الظفر إلى المنكب، فلما قال: إلی المرافق أسقط ما بين المنكب و المرافق، و بقيت

المرافق مغسولة إلى الظفر. و هذا كلام صحيح يجرى على الأصول، لغه و معنى.

و أما قولهم: إن «إلى» بمعنى «مع» فلا سبيل إلى وضع حرف موضع حرف، و إنما يكون كل حرف بمعناه، و تتصرف معانى الأفعال،

و يكون التأويل فيها لا في الحروف. و معنى قوله: إلی المرافق على التأويل الأول: فاعسلوا أيديكم مضافه، إلی المرافق. و كذلك

قوله: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ معناه:

مضافه إلى أموالكم.

و

قد روى الدارقطنى و غيره، عن جابر بن عبد الله: أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم لما توضأ أدار الماء على مرفقيه «١».

و مما يمتاز به هذا الكتاب، كراهته للإسرائيليات، كما أنه شديد النفرة من الخوض فيها، فهو عند ما تعرض لقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً «٢» نجده يقول: «المسألة الثانية» في الحديث عن بنى إسرائيل، كثر استرسال العلماء في الحديث عنهم في كل

طريق. و

قد ثبت عن النبى أنه قال: «حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج»

و معنى هذا الخبر: الحديث عنهم بما يخبرون به عن أنفسهم و قصصهم، لا بما يخبرون به عن غيرهم؛ لأن إخبارهم عن غيرهم مفتقرة

إلى العدالة و الثبوت إلى منتهى الخبر، و ما يخبرون به عن أنفسهم فيكون من باب (١) أحكام القرآن لابن العربي، ج ٢، ص ٥٦٢-

٥٦٥.

(٢) البقرة/٦٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٦٩

إقرار المرء على نفسه أو قومه، فهو أعلم بذلك. و إذا أخبروا عن شرع لم يلزم قبوله.

ففى رواية مالك عن عمر، أنه قال: رأنى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أمسك مصحفا قد تشرمت حواشيه «١». فقال: ما

هذا؟ قلت: جزء من التوراة! فغضب و قال: و الله لو كان موسى حيا ما وسعه إلّا أتباعى «٢».

و الكتاب مطبوع فى أربع مجلدات، طبعة أنيقة.

### أحكام القرآن – للراوندى (فقه القرآن)

تأليف الفقيه المحدث المفسر الأديب، قطب الدين أبى الحسين سعيد بن هبة الله الراوندى، المتوفى سنة (٥٧٣). كان فاضلا و عالما

جامعا لأنواع العلوم، له مصنّفات فى مختلف العلوم الإسلاميه، فيما يقرب من ستين مؤلفا، من أجملها:

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، و عليه اعتمد ابن أبي الحديد في شرح النهج. و منها هذا الكتاب الذي نحن بصدده، و هو من خير كتب أحكام القرآن و أقدمها و أجلها. و هو مرتب حسب ترتيب أبواب الفقه، حاويا في كل باب على آيات متناسبة مع فروع المسائل في ذلك الباب. و من ثم فهو أشبه بالتفسير الموضوعي للآيات المرتبطة بالأحكام. و هو غاية في الإيجاز و الاختصار بما أوجب إبهاما، في أكثر الأحيان.

مثلا يذكر قوله تعالى: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ «٣» و يروى عن ابن عباس: كل تسييح (١) المصحف: مجموعته صحائف. تشرم: تشقق و تمزق.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي، ج ١، ص ٢٣.

(٣) النور/ ٣٦-٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٠

في القرآن صلاة.

و

عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام: أن الله مدح قوما بأنهم إذا دخل وقت الصلاة تركوا تجارتهم و بيعهم و اشتغلوا بالصلاة. قال: و هذان الوقتان من أصعب ما يكون على المتبايعين، و هما: الغداة و العشي! ثم ذكر قوله تعالى: قُلْ إِنَّ صِيْلَاتِي وَ نُسُكِي وَ مَخْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ «١» قال: إنما أضاف الصلاة إلى أصل الواجبات من التوحيد و العدل؛ لأن فيها التعظيم لله عند التكبير، و فيها تلاوة القرآن التي تدعو إلى كل بر، و فيها الركوع و السجود، و هما غاية خضوع لله، و فيها التسييح الذي هو تنزيه الله تعالى.

و إنما جمع بين صلاته و حياته و إحداهما من فعله و الأخرى من فعل الله؛ لأنهما جميعا بتدبير الله؟! و الكيفيات المفروضة في أول كل ركعة ثمانية عشر. و في أصحابنا من يزيد في العدد. و إن كانت الواجبات بحالها في القولين «٢».

قلت: لا يخفى مواضع الإبهام و الإجمال في هذا الوجيز من الكلام.

و الكتاب مطبوع في مجلدين، بتحقيق السيد أحمد الحسيني - قم -.

### أحكام القرآن - للسيوري (كنز العرفان في فقه القرآن)

هو جمال الدين أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد (١) الأنعام/ ١٦٢-١٦٣.

(٢) فقه القرآن، ج ١، ص ١١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧١

السيوري الحلّي الأسدي، المعروف بالفاضل المقداد. كان من أجلاء الأصحاب و عظماء المشايخ، عالما فاضلا متكلمًا محققًا فقيها. توفي سنة (٨٢٦)، و دفن في النجف الأشرف.

و هو صاحب مؤلفات جليئة و قيّمة، منها هذا الكتاب، و منها: التنقيح الرائع في شرح المختصر النافع، في الفقه. و منها: اللوامع في المباحث الكلامية.

و كتابه: «النافع في شرح الباب الحادي عشر»، معروف.

و كتابه هذا - كنز العرفان - مرتب حسب ترتيب أبواب الفقه أيضا. و قد طبع الكتاب جزءين في مجلد واحد، و هو كثير الفائدة، متوسّع في البحث على اختصاره. و يتعرّض للمباحث اللغوية و الأدبية المتناسبة، في غاية الوجاهة و الإيفاء، الأمر الذي يدلّ على سعة باع المؤلف، و تصلّعه في الأدب و اللغة و البيان، مضافا إلى قوّة الاستدلال، و صلابته في إقامة البرهان.

## زبداء البيان فى أحكام القرآن للمقدس الأردبىلى

هو المولى الفقيه المحقق أحمد بن محمد الأردبىلى المتوفى سنة (٩٩٣).

كان أعلم أهل زمانه فى الفقه و الكلام، عظيم المنزلة رفيع الشأن، صاحب كتاب «مجمع الفائدة» فى شرح الإرشاد. و هذا الكتاب أيضا مرتب حسب ترتيب أبواب الفقه، و لا- يتجاوز فى البحث عن مسائل الأحكام العملية، على غرار متون الكتب الفقهية البحتة. و أكثر كتب آيات الأحكام التى ألفها الأصحاب، على ذلك، لم يتجاوزوا حدود الأحكام. و هو كتاب جيد حسن الترتيب، متين الاستدلال، قوى البرهان.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٢

## مسالك الأفهام- إلى آيات الأحكام للفاضل الجواد الكاظمى

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد الجواد بن سعد بن الجواد الكاظمى، من أعلام القرن الحادى عشر. و هو أيضا مرتب حسب ترتيب الفقه، مطبوع أربعة أجزاء فى مجلدين. و هو من أبسط التفاسير الفقهية، على مشرب أصحابنا الإمامية، و من اتقنها.

## قلائد الدرر فى بيان آيات الأحكام بالأثر

لأحمد بن إسماعيل بن عبد النبى الجزائرى، المتوفى سنة (١١٥١). و هو من أجل كتب آيات الأحكام و أنفعها، و أشملها لفروع المسائل، و هو مطبوع طبعة أنيقة.

## آيات الأحكام- للسيد الطباطبائى اليزدى

هو السيد محمد الحسين اليزدى المتوفى (١٣٨٦). و هو مرتب حسب ترتيب السور، مع مقدمة و جيزة نافعة.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٣

## التفاسير الجامعة

### إشارة

و هو ثالث أنواع التفسير التى ظهرت إلى الوجود: التفسير النقلي (التفسير بالمأثور)، ثم التفسير الفقهي (آيات الأحكام)، و ثالثا التفاسير الاجتهادية الجامعة، و التى تعرضت لجوانب من الكلام النظرى حول تفسير القرآن. و هذه التفاسير الاجتهادية الجامعة من أقدم أنواع التفسير بعد التفسير بالمأثور، و تشمل الكلام فى جوانب مختلفة من التفسير، لغه و أدبا و فقها و كلاما، حسب تنوع العلوم و المعارف التى كانت دارجة ذلك العهد. نعم كان قد يغلب على بعض هذه التفسير لونها التخصص الذى كان يتخصص فيه صاحب التفسير، من براءة فى أدب أو فقه أو كلام. غير أن ذلك لم يكده يخرج بالتفسير عن كونه من التفسير الاجتهادى الجامع، و ليس فى طابع ذى لون واحد. و نحن ذاكرون الأهم من هذه التفاسير التى احتلت المحل الأرفع فى الأوساط العلمية، طول عهد الإسلام، و نضعها موضع دراستنا، بحثا وراء معرفة قيمتها فى عالم التفسير:

## التبيان- فى تفسير القرآن لأبى جعفر الطوسى (٤٦٠)

## إشارة

هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، نسبة إلى «طوس» من بلاد خراسان، الأهل بالعلم والثقافة و العمران، ولا تزال معهدا للدراسات الإسلامية؛ حيث مثوى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، و تعدّ اليوم من أكبر مدن إيران الإسلامية المزدهرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٤

و شيخنا العلامة الطوسي، يعدّ علما من أعلام الطائفة و شيخها المقدم و إمامها الأسبق، سبق العلوم و المعارف الإسلامية، و القدوة العليا لمن كتب و ألف في شتى شئون العلوم الإسلامية، من فقه و تفسير و كلام، فضلا عن الأصول و الرجال و الحديث. و لقب بشيخ الطائفة؛ لأنه زعيمها و قائدها و سائقها و معلمها الأول في مختلف العلوم.

ولد بطوس في شهر رمضان سنة (٣٨٥). و هاجر إلى بغداد سنة (٤٠٨) أيام زعامة عميد الطائفة محمد بن محمد بن النعمان المشتهر بالشيخ المفيد. فلزمه ملازمة الظل، و عكف على الاستفادة منه، و أدرك ابن الغضائري و شارح النجاشي. و بعد وفاة شيخه المفيد سنة (٤١٣) و انتقال الزعامة إلى علم الهدى السيد المرتضى، انحاز الشيخ إليه و لازم الحضور تحت منبره، و عنى به المرتضى و بالغ في توجيهه و تلقيه. و بقي ملازما له طيلة (٢٣) سنة، حتى توفي السيد سنة (٤٣٦) فاستقل شيخ الطائفة بأعباء الإمامة، و ظهوره على منصبة الزعامة، و أصبح علما من أعلام الشيعة و منارا للشيعة، و كانت داره في الكرخ مأوى الأئمة و مقصد الوفاة، يأتونه من كل صوب و مكان. و تصدّر كرسى الكلام في بغداد، بطلب من الخليفة القادر بالله العباسي؛ حيث لم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدرا أو يفصل عليه علما و معرفة، بمباني الشريعة و أصول الكلام فيها.

و لم يزل شيخنا المعظم إمام عصره و عزيز مصره، حتى ثارت القلاقل و حدثت الفتن في بغداد، و اتسع ذلك على عهد طغرل بيك أول ملوك السلاجقة، فإنه ورد بغداد و كان أول ما فعل أن شنّ الإغارة على الكرخ، و أحرق مكتبة الشيعة هناك، و التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهية.

و كان قد جمع فيها من كتب فارس و العراق، و استجلب من بلاد الهند و الصين

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٥

و الروم. فكانت مكتبة ضخمة ثرية، ربما تنوف كتبها على عشرات الألوف، و أكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين. و من ثم اضطرّ شيخنا أبو جعفر إلى الهجرة إلى النجف الأشرف سنة (٤٤٩)، و استفرغ للعكوف على التأليف و التصنيف، و فيها خرجت أمّهات كتبه و تأليفه، أمثال: المبسوط، و الخلاف، و النهاية في الفقه، و التبيان في التفسير، و التهذيب، و الاستبصار في الحديث، و الاقتصاد، و التمهيد في الكلام، و سائر كتبه الرجالية و غيرها.

فيا له من منبع علم و مدّخر فضيلة، ازدهر به العالم الإسلامي، نورا و علما و حياة نابضة، فقد بارك الله فيه و في عمره (٣٨٥ - ٤٦٠)

٧٥

## التعريف بهذا التفسير

هو تفسير حافل جامع، و شامل لمختلف أبعاد الكلام حول القرآن، لغة و أدبا، قراءة و نحوه، تفسيريا و تأويلا، فقهيا و كلاما ... بحيث لم يترك جانبا من جوانب هذا الكلام الإلهي الخالد، إلّا و بحث عنه بحثا وافيا، في و جازة و إيفاء بيان.

يبدو من ارجاعات الشيخ في تفسيره إلى كتبه الفقهية و الأصولية و الكلامية، أنه كتب التفسير متأخرا عن سائر كتبه في سائر العلوم، و من ثم فإن هذا الكتاب يحظى بقوة و متانة و قدرة علمية فائقة، شأن أي كتاب جاء تأليفه في سنين عالية من حياة المؤلف.

و بحق فإن هذا التفسير حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت دارجة لحد ذاك الوقت، و التي كانت أكثرها مختصرات،

تعالج جانباً من التفسير دون جميع جوانبه، مما أوجب أن يكون هذا التفسير جامعاً لكل ما ذكره

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٦

المفسرون من قبل، و حاوياً لجميع ما بحثه السابقون عليه.

قال الشيخ في مقدمته تفسيره: فإن الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب، أني لم أجد أحداً من أصحابنا قديماً و حديثاً من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن، و يشتمل على فنون معانيه، و إنما سلك جماعة منهم في جمع ما رواه و نقله و انتهى إليه في الكتب المروية في الحديث، و لم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك و تفسير ما يحتاج إليه، فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل في جميع معانيه، و استيعاب ما قيل فيه من فنونه - كالطبري و غيره - و بين مقصّر اقتصر على ذكر غريبه، و معاني ألفاظه.

و سلك السابقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم «١»، و تركوا ما لا معرفة لهم به قال: و أنا إن شاء الله تعالى أشرع في ذلك على وجه الإيجاز و الاختصار لكل فن من فنونه، و لا أطيل فيمّله الناظر فيه، و لا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه. فهو تفسير وسط جامع شامل، حاوياً لمحاسن من تقدّمه، تاركاً فضول الكلام فيه مما يملّ قارئه، فجاء في أحسن ترتيب و أجمل تأليف؛ فله درّه و عليه أجره.

#### منهجه في التفسير

أما المنهج الذي سلكه في تفسير القرآن، فهو المنهج الصحيح الذي مشى عليه أكثر المفسرين المتقنين، فيبدأ بذكر مقدمات تمهيدية، تقع نافعة في معرفة أساليب القرآن، و مناهج بيانه و سائر شئونه، مما يرتبط بالتفسير و التأويل، و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و معرفة وجوه إعجاز القرآن، و أحكام تلاوته و قراءته، و أنه نزل بحرف واحد، و الكلام عن الحديث (١) المنة - بضم الميم -: القوّة. و الكلمة من الأضداد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٧

المعروف: نزل القرآن على سبعة أحرف. و التعرّض لأسامي القرآن و أسامي سوره و آياته، و ما إلى ذلك.

أما صلب التفسير، فيبدأ بذكر الآيه، و يتعرّض لغريب لغتها، و اختلاف القراءة فيها، ثم التعرّض لمختلف الأقوال و الآراء و ينتهي إلى تفسير الآيه تفسيراً معنوياً في غاية الوجازة و الإيفاء. و هكذا يذكر أسباب النزول، و المسائل الكلامية المستفادة من ظاهر الآيه، حسب إمكان اللغة و الأدب الرفيع، كما يتعرّض للمسائل الخلافية في الفقه و الأحكام، و مسائل الاعتقاد و نحوها. كل ذلك مع عفّ اللسان و حسن الأدب في التعبير.

و مما يجدر التنبه له، أن هذا التفسير يتعرّض لمسائل علم الكلام، في صبغة أدبية رفيعة، و لا يترك موضعاً من الآيات الكريمة التي جاءت فيها الإشارة إلى جانب من مسائل العقيدة، إلّا و تعرض لها، و أكثر في تفصيل و بسط كلام. و هذا من اختصاص هذا التفسير.

يقول المؤلف في المقدمة: و سمعت جماعة من أصحابنا قديماً و حديثاً يرغبون في كتاب مقتصد، يجتمع على جميع فنون علم القرآن: من القراءة، و المعاني، و الإعراب، و الكلام على المتشابه، و الجواب عن مطاعن الملحدين فيه، و أنواع المبطلين، كالمجبرة و المشبهة و المجسّمة و غيرهم، و ذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه، على صحّة مذهبهم في أصول الديانات و فروعها. و أنا إن شاء الله تعالى أشرع في ذلك على وجه الإيجاز و الاختصار لكل فن من فنونه، و لا أطيل، فيمّله الناظر فيه، و لا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه.

و لنذكر أمثلة على ذلك:

مثلاً عند تفسير قوله تعالى: إِنَّمَا وَجَّهْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٨

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ «١» يقول:

واعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل. وجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق، و ثبت أيضا أن المعنى بقوله: «و الذين آمنوا» أمير المؤمنين. فإذا ثبت هذان الأصلان، دل على إمامته. ثم أخذ في بيان كون المراد من «الولي» في الآية هو الأولى بالأمر؛ لأنه المتبادر من اللفظ. واستشهد بقول العرب، و آيات و أشعار، و شواهد أخر.

و أخذ في بيان دلالة «إنما» على الحصر، كما أثبت من رواية أكثر المفسرين على نزولها في علي عليه السلام «٢».

و عند قوله تعالى: «و لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» «٣»

يروى عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: أنهم الأئمة المعصومون

، و قيل: هم أمراء السرايا و الولاة، و قيل: هم أهل العلم و الفقه الملازمين للنبي صلى الله عليه و آله و سلم. قال الجبائي: هذا لا يجوز؛ لأن «أولى الأمر»، من لهم الأمر على الناس بولاية. قال الشيخ: و الأول أقوى؛ لأنه تعالى بين أنهم متى ردوه إلى أولى العلم علموه، و الرد إلى من ليس بمعصوم، لا يوجب العلم؛ لجواز الخطأ عليه بلا خلاف، سواء أ كانوا أمراء السرايا، أو العلماء «٤».

و عند قوله تعالى: (١) المائدة/ ٥٥.

(٢) التبيان، ج ٣، ص ٥٥٩.

(٣) النساء/ ٨٣.

(٤) التبيان، ج ٣، ص ٢٧٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٩

إِلَّا تَصْرِفُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «١» قال: فيمن تعود «الهاء» إليه قولان: أحدهما: قال الزجاج: إنها تعود إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم. و الثاني: قال الجبائي: تعود إلى أبي بكر؛ لأنه كان الخائف و احتاج إلى الأمن. قال الشيخ: و الأول أصح؛ لأن جميع الكنايات قبل هذا و بعده راجعة إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فلا يليق أن يتخلل ذلك كله كناية عن غيره.

ثم قال: و ليس في الآية ما يدل على تفضيل أبي بكر؛ لان قوله: «ثاني اثنين» مجرد الإخبار أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم خرج و معه غيره. و كذلك قوله: «إذ هما في الغار» خبر عن كونهما فيه. و قوله: «إذ يقول لصاحبه» لا مدح فيه أيضا؛ لان تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة، ألا ترى أن الله تعالى قال في صفة المؤمن و الكافر: قال له صاحبه و هو يحاوره أ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ «٢»، و قوله: «لا تحزن» إن لم يكن ذمًا فليس بمدح، بل هو نهى محض عن الخوف. قوله: «إن الله معنا»، قيل: إن المراد به النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و لو أريد به أبو بكر معه لم يكن فيه فضيلة؛ لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد. إلى أن يقول: فأين موضع الفضيلة للرجل لو لا العناد. ثم أضاف: و لم نذكر هذا للطعن على أبي بكر، بل بينا أن الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح «٣».

و في مسألة «العدل» و تحكيم العقل في معرفة الصفات، نراه يذهب مذهب (١) التوبة/ ٤٠.

(٢) الكهف/ ٣٧.

(٣) التبيان، ج ٥، ص ٢٢٠-٢٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٠

أهل الاعتدال في النظر، فيؤول الآيات على خلاف ما يراه أهل الظاهر من الصفاتيين، من الأشاعرة و أهل القول بالجبر و التشبيه.



مثلا، فى قوله تعالى: **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً** «١» يقول: «ختم الله على قلوبهم» أى شهد عليها بأنها لا تقبل الحق. يقول القائل:

أراك تختم على كل ما يقول فلان، أى تشهد به و تصدقه، و ذلك استعارة. و قيل:

«ختم» بمعنى طبع فيها أثرا للذنوب، كالسمة و العلامة، لتعرفها الملائكة فيتبرءوا منهم، و لا يوالوهم، و لا يستغفروا لهم. و قيل: المعنى أنه ذمهم بأنها كالمختوم عليها فى أنها لا يدخلها الإيمان، و لا يخرج عنها الكفر. قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا و لكن لا حياة لمن نادى «٢»

و عند قوله: **صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرِجْعُونَ** «٣» يقول: و المعنى أنهم صم عن الحق لا يعرفونه؛ لأنهم كانوا يسمعون بأذانهم. و بكم عن الحق لا ينطقون. مع أن ألسنتهم صحيحة، عمى لا يعرفون الحق و أعينهم صحيحة، كما قال:

و تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ «٤». قال: و هذا يدل على أن قوله:

**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْنَا** «٥» ليس هو على وجه الحيلولة بينهم و بين الإيمان؛ لأنه و صفهم بالصم و البكم و العمى مع صحة حواسهم، و إنما أخبر بذلك عن إلفهم الكفر و استئثارهم للحق و الإيمان، كأنهم ما سمعوه (١) البقرة / ٧.

(٢) التبيان، ج ١، ص ٦٣-٦٤.

(٣) البقرة / ١٨.

(٤) الأعراف / ١٩٨.

(٥) النساء / ١٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨١

و لا رأوه، فلذلك قال: **طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ** «١» و **أَصَلَّهُمْ** «٢» و **فَأَصَيْمَهُمْ** و **أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** «٣» و **جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً** «٤» و **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** «٥». و كان ذلك إخبارا عما أحدثوه عند امتحان الله إياهم، و أمره لهم بالطاعة و الإيمان؛ لأنه ما فعل بهم ما منعهم من الإيمان.

و قد يقول الرجل: حب المال قد أعمى فلانا و أصمه، و لا يريد بذلك نفي حاسته، لكنه إذا شغله عن الحقوق و القيام بما يجب عليه، قيل: أصمه و أعماه.

و كما قيل فى المثل: **حبك الشيء يعمى و يصم، و يريدون ما قلناه.** و قال مسكين الدارمى:

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر

و يصم عما كان بينهما سمعى و ما بى غيره وقر

و قال آخر: أصم عما ساءه سميع، فجمع الوصفين «٦».

و عند قوله: **كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْتَدِينَ** «٧» يقول: و ليس المراد بالطبع - فى الآية - المنع من الإيمان؛ لأن مع المنع من الإيمان لا يحسن تكليف الإيمان «٨». (١) التوبة / ٩٣ - النحل / ١٠٨ - محمد / ١٦.

(٢) طه / ٨٥.

(٣) محمد / ٢٣.

(٤) الأنعام / ٢٥، الإسراء / ٤٦، الكهف / ٥٧.

(٥) الصف / ٥.

(٦) التبيان، ج ١، ص ٨٨ - ٩٠.

(٧) يونس / ٧٤.

(٨) التبيان، ج ٥، ص ٤١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٢

**مجمع البيان - في تفسير القرآن لأبي على الطبرسي****إشارة**

هو تفسير حافل جامع، و شامل لمختلف أبعاد الكلام حول القرآن، لغة و أدبا، قراءة و نحوه، تفسيراً و تأويلاً، فقها و كلاماً ... بحيث لم يترك جانباً من جوانب هذا الكلام الإلهي الخالد، إلّا و بحث عنه بحثاً وافياً، في و جازة و إيفاء بيان. يبدو من ارجاعات الشيخ في تفسيره إلى كتبه الفقهية و الأصولية و الكلامية، أنه كتب التفسير متأخراً عن سائر كتبه في سائر العلوم، و من ثم فإن هذا الكتاب يحظى بقوة و متانة و قدرة علمية فائقة، شأن أي كتاب جاء تأليفه في سنين عالية من حياة المؤلف. و بحق فإن هذا التفسير حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت دارجّة لحد ذاك الوقت، و التي كانت أكثرها مختصرات، تعالج جانباً من التفسير دون جميع جوانبه، مما أوجب أن يكون هذا التفسير جامعاً لكل ما ذكره

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٧٦

المفسرون من قبل، و حاوياً لجميع ما بحثه السابقون عليه.

قال الشيخ في مقدمته تفسيره: فإن الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب، أني لم أجد أحداً من أصحابنا قديماً و حديثاً من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن، و يشتمل على فنون معانيه، و إنما سلك جماعة منهم في جمع ما رواه و نقله و انتهى إليه في الكتب المروية في الحديث، و لم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك و تفسير ما يحتاج إليه، فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل في جميع معانيه، و استيعاب ما قيل فيه من فنونه - كالطبري و غيره - و بين مقصّر اقتصر على ذكر غريبه، و معاني ألفاظه.

و سلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منّهم «١»، و تركوا ما لا معرفة لهم به قال: و أنا إن شاء الله تعالى أشرع في ذلك على وجه الإيجاز و الاختصار لكل فن من فنونه، و لا أطيل فيمّله الناظر فيه، و لا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه. فهو تفسير وسط جامع شامل، حاوياً لمحاسن من تقدّمه، تاركاً فضول الكلام فيه مما يملّ قارئه، فجاء في أحسن ترتيب و أجمل تأليف؛ فله درّه و عليه أجره.

**منهجه في التفسير**

أما المنهج الذي سار عليه مفسرنا فهو منهج ترتيب، يبدأ بالقراءات، فيذكر ما جاء عن اختلاف القراءة في الآية، و يعقبها بذكر الحجج التي استندت إليها كل قراءة، ثم اللغة ثم الإعراب، و أخيراً المعنى. و قد يتعرّض لأسباب النزول، و القصص التي لها بعض الصلة بالآيات. و بحق قد وضع تفسيره على أحسن ترتيب و أجمل تبويب. يقول هو عن تفسيره:

و ابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص و التهذيب، و حسن النظم و الترتيب، يجمع أنواع هذا العلم و فنونه، و يحوى فصوصه و عيونه، من علم قراءته و إعرابه و لغاته و غوامضه و مشكلاته، و معانيه و جهاته، و نزوله و أخباره، و قصصه و آثاره، و حدوده و أحكامه، و حلاله و حرامه. و الكلام عن مطاعن المبطلين فيه، و ذكر ما ينفرد به أصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه، على صحّة ما يعتقدونه من الأصول و الفروع، و المعقول و المسموع، على وجه الاعتدال و الاختصار، فوق الإيجاز و دون الإكثار. فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل أعباء العلوم الكثيرة، و تضعف عن الإجراء في الحلقات الخطيرة؛

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٤

إذ لم يبق من العلماء إلّا الأسماء، و من العلوم إلّا الذماء و هو بقية الروح فى المذبوح.

قال: و قدّمت فى مطلع كل سورة ذكر مكّيها و مدنيها، ثم ذكر الاختلاف فى عدد آياتها، ثم ذكر فضل تلاوتها. ثم أقدم فى كل آية الاختلاف فى القراءات، ثم ذكر العلل و الاحتجاجات، ثم ذكر العربيّة و اللغات، ثم ذكر الإعراب و المشكلات، ثم ذكر الأسباب و النزولات، ثم ذكر المعانى و الأحكام و التأويلات، و القصص و الجهات. ثم ذكر انتظام الآيات.

ثم إنى قد جمعت فى عربيته كل غزّة لائحّة، و فى إعرابه كل حجّة واضحة، و فى معانيه كل قول متين، و فى مشكلاته كل برهان مبين. و هو بحمد الله للأديب عمدة، و للنحوى عدّة، و للمقرئ بصيرة، و للناسك ذخيرة، و للمتكلم حجّة، و للمحدّث محجّة، و للفقيه دلالة، و للواعظ آله.

قال الذهبى بشأن هذا التفسير: و الحق أنّ تفسير الطبرسى - بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية و آراء اعتزالية - كتاب عظيم فى بابه، يدلّ على تبخّر صاحبه فى فنون مختلفة من العلم و المعرفة. و الكتاب يجرى على الطريقة التى أوضحها لنا صاحبه، فى تناسق تام، و ترتيب جميل. و هو يجيد فى كل ناحية من النواحي التى يتكلم عنها. فإذا تكلم عن القراءات و وجوها الإعراب أجاد، و إذا تكلم عن المعانى اللغوية للمفردات أجاد، و إذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد، و إذا شرح المعنى الإجمالى أوضح المراد، و إذا تكلم عن أسباب النزول و شرح القصص استوفى الأقوال و أفاض، و إذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء، و جهر بمذهبه و نصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، و إذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، و أوضح لنا عن حسن السبك و جمال النظم، و إذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال و أراح البال. و هو ينقل أقوال من تقدّمه من

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٥

المفسرين معزوة لأصحابها، و يرجح و يوجّه ما يختار منها.

ثم يقول عنه الذهبى: و إذا كان لنا بعض المآخذ عليه فهو تشيعه لمذهبه و انتصاره له، و حملة لكتاب الله على ما يتفق و عقيدته، و تنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التى خالف فيها هو و من على شاكلته. و روايته لكثير من الأحاديث الموضوعية. غير أنه - و الحق يقال - ليس مغاليا فى تشيعه، و لا متطرفا فى عقيدته، كما هو شأن كثير غيره، من علماء الإمامية (١).

ثم يذكر الذهبى أمثلة لما ظنّه مؤاخذه على مفسرنا الجليل، و حسب أنه تعصّب لها انتصارا لمذهبه فى التشيع، فى حين أنه أدّى الكلام حقه و لم يفرط فى القول، كما أنه لم يفرط كما فرط الآخرون من سائر المفسرين.

مثلا فى قصّة الخاتم عند تفسير قوله تعالى: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** (٢) نراه يفصل فى الكلام عن شأن نزول الآية، و دلالتها الصريحة فى إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بما أتم الحجّة و بلغ فى البيان.

أما الأستاذ الذهبى فلم يرقه ذلك، و قال ناقما عليه: و لا شك أنّ هذه محاولة فاشلة، فإنّ حديث تصدّق علىّ بخاتمه فى الصلوة - و هو محور الكلام - حديث موضوع لا أصل له. و قد تكفل العلامة ابن تيمية بالرد على هذه الدعوى فى كتابه «منهاج السنّة»، ج ٤، ص ٣-٩ (٣).

قلت: أتري ابن تيمية لم يتعصّب لمذهبه فى التّصّب لعلّى و آل الرسول، فى (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) المائدة/ ٥٥.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٠٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٦

إنكاره لمنقبه هى من أكبر المناقب التى نزل بها القرآن الكريم، و أذعن لها أهل العلم و التحقيق، فى الحديث و التفسير.

إن لهذا الحديث أسنادا متظافرة - إن لم تكن متواترة - أوردها جلّ أهل الحديث، حتى أن الحاكم النيسابورى عدّه من الأحاديث التى

رواها أهل مدينة عن أهل مدينة، فقد رواه الرازيون عن الكوفيين «١»، وقد تعددت طرقه و كثرت مخارجه.

قال ابن حجر العسقلاني: و إذا كثرت الطرق و تباينت مخارجها دلّ ذلك على أن لها أصلا «٢».

كيف، و هذا الحديث قد أخرجها الأئمة الحفاظ بعده أسانيد، و فيها الصحاح. صرح بذلك الحافظ أبو بكر ابن مردويه الأصبهاني، قال: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، و هكذا ابن أبي حاتم الرازي «٣».

و أورده جلال الدين السيوطي، في أسباب النزول، بعدة طرق، و ذكر له شواهد، ثم قال: فهذه شواهد يقوى بعضها بعضا «٤».

و قد استقصى العلامة الأميني موارد ذكر الحديث، فأنهاه إلى (٦٦) موردا في أمهات الكتب الحديثية، و كتب المناقب و التفسير و الكلام «٥».

و هذا الحديث مما سارت به الركبان، و أنشد فيه الشعراء، منهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث يقول: (١) معرفة علوم الحديث، ص ١٠٢، للإمام الحافظ الحاكم النيسابوري.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٣٣٣.

(٣) راجع: الغدير للعلامة الأميني، ج ٣، ص ١٥٧ رقم ٦ و ١٦.

(٤) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٠٧.

(٥) الغدير، ج ٣، ص ١٥٦-١٦٢. و راجع تفسير أبي الفتوح، ج ٤، ص ٢٤٤-٢٥٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٧

أبا حسن أفديك نفسي و مهجتي و كل بطيء في الهدى و مسارع

أ يذهب مدحي ذا المحبّر ضايعا و ما المدح في ذات الإله بضائع

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعا فدتك نفوس القوم يا خير راع

بخاتمك الميمون يا خير سيّد و يا خير شار ثم يا خير بايع

فأنزل فيك الله خير ولاية و بينها في محكمات الشرائع «١»

كل ذلك يدل على شيوعه و استفاضته بما لا يكاد يمكن إنكاره، إلّا من عمى قلبه و أعمته عصبيته أمثال الذهبي، و من قبله ابن تيمية. هذا و قد أرسله الفقهاء و هم أبصر بمواضع الأحاديث إرسال المسلّمات، و أخذوه حجّة على أنّ الفعل القليل لا يبطل الصلاة، و من ثم عدّوا هذه الآية من آيات الأحكام، الأمر الذي ينم عن اتفاقهم على صحة الحديث. هكذا أورد الجصاص هذه الآية دليلا على جواز العمل اليسير في الصلاة، و روى نزولها في على عليه السلام عن مجاهد و السدي و أبي جعفر و عتبة بن أبي حكيم «٢».

كما استوفى الكلام فيه الحاكم الحسكاني و أورده بإسناده إلى جماعة من كبار الصحابة، أمثال: عمار بن ياسر، و المقداد بن الأسود، و جابر بن عبد الله الأنصاري، و عبد الله بن عباس، و أنس بن مالك، و أبي ذر الغفاري، فضلا عن أقوال التابعين في ذلك، فراجع «٣». و راجع - أيضا - فضائل الخمسة للسيد الفيروز آبادي «٤». (١) و نسبت هذه الآيات إلى خزيمه بن ثابت ذى الشهادتين أيضا، و لعله الأرجح. غير أنّ المشهور نسبتها إلى حسان، راجع هامش ابن عساكر - ترجمة الإمام عليه السلام، ج ٢، ص ٤١٠.

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٣) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، ج ١، ص ١٦١-١٨٤.

(٤) فضائل الخمسة، ج ٢، ص ١٣-١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٨

و تعرّض الذهبي لمسائل في الأصول و الفروع مما اختصت الشيعة القول به، مثل: «الرجعة» و «المهدى» و «التقية» و «المسح على الأرجل» و نحوها، مما صرّحت به الآيات، أو جاء به النقل المتواتر متوافقا مع ظاهر القرآن. و قد أشاد به شيخنا الطبرسي في تفسيره

حسب مسلكه، في تحكيم ظواهر القرآن عند تزامم الآراء في مسائل الخلاف.

و أخيرا يقول عنه: و الطبرسى معتدل في تشييعه غير مغال فيه، كغيره من متطرفى الإمامية، و لقد قرأنا في تفسيره فلم نلمس عليه تعصبا كبيرا، و لم نأخذ عليه أنه كَفَّرَ أحدا من الصحابة، أو طعن فيهم بما يذهب بعدالتهم و دينهم، كما أنه لم يغال في شأن على بما يجعله في مرتبة الإله أو مصاف الأنبياء، و إن كان يقول بالعصمة.

و كل ما لاحظناه عليه من تعصبه لمذهب أنه يدافع بكل قوة عن أصول مذهبه و عقائد أصحابه. كما أنه إذا روى أقوال المفسرين في آية من الآيات، و نقل أقوال المفسرين من أهل مذهبه فيها، نجده يرتضى قول علماء مذهبه و يؤيده، بما يظهر له من الدليل «١».

قلت: و قد أساء الظن بالشيعه و لعلّه تعمّد مقيت حيث حسب منهم من يجعل عليا عليه السلام في مرتبة الإله؛ إذ لم نجد من ينتمى إلى الشيعة من يزعم ذلك، اللهم إلا الغلاة و هم خارجون عن الملة، و تحكّم الشيعة عليهم بالكفر و الإلحاد.

أما مصاف الأنبياء، فهو بلوغ مرتبة توازى مرتبة الأنبياء في الفضيلة دون النبوة، فهو أمر معقول. و قد جعل النبي صلى الله عليه و آله و سلم العلماء في مصاف الأنبياء؛ حيث (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٨٩

قال: علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل «١». و

العلماء ورثة الأنبياء «٢». و قال بشأن على عليه السلام: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى. حديث متواتر مستفيض، و قد رواه أصحاب الصحاح و المسانيد من أهل الحديث. «٣»

و أما المسائل التي تعرّض لها الذهبي؛ حيث وقعت مورد تأييد مفسرى الشيعة، فأظنّها خارجة عن اختصاص مثل الذهبي البعيد عن مسائل الخلاف بين المذاهب الإسلامية، في الأصول و فى الفروع، كل يدافع عن رأيه، و يتكلم حسب فهمه من الكتاب و السنة و العقل الرشيد، ما لم يكن تحميلا ظاهرا، الأمر الذى يتحاشاه أمثال الطبرسى و قبله الشيخ فى «التبيان».

و ليعلم أن فى الشيعة جماعة أخبارية هم أصحاب جمود، نظير إخوانهم الحشوية من أهل الحديث فى السنّة و الجماعة، و لا تحسب الطائفة على حساب هذه الفئة. و تفاسير علماء الشيعة من لدن شيخ الطائفة أمثال «التبيان» و «روح الجنان» و «مجمع البيان»، كلها على نمط واحد، تفاسير وضعت على أساس معقول لا إفراط فيها و لا قصور، و لا فيها شيء من التعصب المقيت.

و أما النزعة الاعتزالية التي نسبهم إليها أمثال الذهبي، فهي نسبة خاطئة، إنّ للشيعة الإمامية مباني فى أصول معارفها قد تتفق مع مشرب الاعتزال، كمسألة العدل فى الأفعال، و تجريد الذات عن مبادئ الصفات، و تحكيم العقل فى معرفة الحسن و القبح فى التكليف، و ما إلى ذلك. و هذا لا يعنى أنّ الشيعة أخذت عن المعتزلة و لا العكس، بل هو اتفاق نظر فى مسائل من الكلام، كما اتّفقت الأمة (١)

عوالى اللثالى، لابن أبى جمهور الأحسائى، ج ٤، ص ٧٧ رقم ٦٧.

(٢) المصدر، ج ١، ص ٣٥٨ رقم ٢٩ و ج ٢ ص ٢٤١ رقم ٩. و سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٩٨.

(٣) راجع: فضائل الخمسة، ج ١، ص ٢٩٩ فما بعد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٠

على مسائل فى أصول العقيدة و فروع من مسائل الأحكام.

ففى مثل مسألة «الهداية و الضلال» حيث زعم الذهبي أنّ مفسرنا الجليل وافق المعتزلة فى عقيدتهم و دافع عنها، و هدم ما عداها «١». إنما هو توافق محض، و لعل الشيعة هم الأصل فى هذا النظر؛ لأنهم إنما أخذوها عن أهل بيت الرسالة، و منهم نشر العلم و المعرفة فى أرجاء الإسلام.

و كذا مسألة «الرؤية» و إنكار تأثير السحر لو لا إذنه تعالى، و هكذا مسألة «الشفاعة» و معرفة حقيقة الإيمان، و ما إليها. فإننا نرى الذهبي أخذها دليلا على محاكاة الشيعة فيها لأصحاب الاعتزال، و لعل الصواب العكس.

## روح الجنان و روح الجنان لأبي الفتوح الرازي

## إشارة

هو جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد بن أحمد الخزاعي الرازي، من أحفاد نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي. و نافع و أبوه بديل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ اسْتَشْهَدَ نَافِعَ وَ مَاتَ بَدِيلُ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ، وَ أَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ بَدِيلٍ اسْتَشْهَدَ بِصَفِينِ فِي رَكَابِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. كَانَتْ أَسْرَتُهُ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَى بِلَادِ فَارَسَ وَ سَكَنْتْ فِي مَدِينَةِ نَيْسَابُورَ، وَ انْتَقَلَ جَدُّهُ إِلَى الرَّيِّ، فَاسْتَهْتَرُ بِهَا. وَ كَانَ جَدُّهُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْخَزَاعِي، نَزِيلُ الرَّيِّ مِنْ تَلَامِذَةِ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى قَدَّسَ سِرَّهُ وَ تَتَلَمَذَ عَلَى يَدِ السَّيِّدِ ابْنِ زَهْرَةَ، وَ الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرِ الطُّوسِيِّ أَيْضًا.

كان مترجمنا عالما خبيراً بأحوال الرواة و المحدثين، و كان له صيت في أرجاء البلاد، كان يرتحل إليه رواد العلم و طلاب الحديث. و من أشهر تلاميذه (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩١

ابن شهر آشوب و الشيخ منتجب الدين، و غيرهما من كبار العلماء. و تتلمذ على أيدي علماء مشاهير، أمثال الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار المقرئ تلميذ الشيخ الطوسي، و الشيخ أبي علي ابن الشيخ، و القاضي عماد الدين الاسترابادي قاضي الري، و جار الله الزمخشري و غيرهم.

من أشهر مؤلفاته: التفسير الكبير، المعروف بروح الجنان و روح الجنان، الذي وضعه باللغة الفارسية، التي كانت دارجة ذلك العهد، في بلاد إيران؛ و ذلك أن أحسن حاجة الأمة إلى تفسير يقرب من تناول أهل تلك البلاد، فكان في نشر أدبي بليغ و سبك سهل بديع. يقول هو في سبب تأليفه: إن جماعة من أعظم أهل العلم في بلده التمسوا منه أن يضع لهم تفسيراً يقرب من أفهامهم، و يسهل تناول منه لدى عامة أهل زمانه؛ حيث إغواهم تفسيراً جامعاً و شاملاً و سهلاً على الناس، فأجاب لملتسمهم و أزاح الإشكال من نفوسهم. فوضع تفسيراً جامعاً و شاملاً، و في نفس الوقت متوسطاً بين الإيجاز المخل و الإطناب الممل.

فقدّم على تفسيره مقدمات، ذكر فيها: أقسام معاني القرآن، و أنواع آيه، و أسماءه، و معنى السورة و الآية، ثم ثواب تلاوته، و الترغيب في معرفته غريبه، و معنى التفسير و التأويل.

و هو تفسير جيد متين، قد فصل في الكلام عن معضلات الآيات، و شرحها شرحاً وافياً في أوجز كلام و أخصر بيان. متعرضاً لجوانب مختلفة من الكلام حول الآية، إن كلامية أو أدبية أو فقهية و نحو ذلك، و إنما يتكلم عن علم و معرفة واسعة، و يؤدّي المسألة حقها بإيجاز و إيفاء.

و لهذا التفسير مكانة رفيعة في كتب التفاسير، فكثير من كتب التفسير رست مبانيها على قواعده الركيئة و بنت مسائلها على مباحثها الحكيمة. هذا الإمام

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٢

الرازي، شيخ المفسرين، بنى تفسيره الكبير على مباني شيخنا أبي الفتوح، فيما فتح الله عليه أمهات المباحث الجليلية. قال العلامة القاضي نور الله التستري المرعشي: إن هذا التفسير من خير التفاسير، و قد سمحت به قريحه شيخنا الرازي الوقادة، و مما لا نظير له في كتب التفسير، في عدوّه ألفاظه و سلاسة عباراته، و ظرافة أسلوبه و دقة اختياره، و قد بنى عليه الفخر الرازي في تفسيره الكبير، فأخذ منه اللباب، و زاد عليه بعض تشكيكاته، مما زاد في الحجم، و لكن الأصل اللباب، هو ما ذكره مفسرنا الرازي أبو الفتوح الكبير «١».

و قد تتبعت مواضع من التفسيرين، فوجدت الأمر كما ذكره القاضي، كان الأصل ما ذكره أبو الفتوح الرازي، و جاء تحقيق الفخر فرعا عليه و مقتبساً منه، و لو مع زيادات.

مثلا عند قوله تعالى: فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٢) ذهب أبو الفتوح إلى أن إبليس لم يزل كان كافرا، و أن المؤمن سوف لا- يكفر؛ لأن الإيمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، و كذا الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، و الجمع بين الاستحقاقين محال (٣).

و هكذا جاء الاستدلال في «التفسير الكبير»، قال: الوجه الثاني في تقرير أنه كان كافرا أبدا، قول أصحاب الموافاة؛ و ذلك لأن الإيمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، و الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، و الجمع بين الثواب الدائم و العقاب الدائم محال، فإذا صدر الإيمان من المكلف في وقت ثم صدر (١) راجع: مجالس المؤمنين للقاضي التستري، ج ١، ص ٤٩٠.

(٢) البقرة/ ٣٤.

(٣) راجع: تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٣

عنه- و العباد بالله- بعد ذلك كفر، فإما أن يبقى الاستحقاقان معا و هو محال- على ما بيناه- أو يكون الطارئ مزيلا للسابق، و هو أيضا محال؛ لأن القول بالإحباط باطل ... «١».

و يبحث الرازي عن قوله: «و كان من الكافرين» هل كان هناك كفار غير إبليس حتى يكون واحدا منهم؟ فيجيب عن ذلك بجوابات، كلها واردة في كلام أبي الفتوح الرازي (٢).

#### أما منهجه في التفسير

فجرى على منوال سائر التفاسير، فيبدأ بذكر السورة و أسمائها و فضلها و ثواب قراءتها، ثم يذكر جملة من الآيات، مع ترجمتها بالفارسية، و يفسرها جملة جملة، فيبدأ باللغة و النحو و الصرف، ثم القراءة أحيانا ثم ذكر أسباب النزول، و التفسير أخيرا، كل ذلك باللغة الفارسية القديمة، و لكن في أسلوب سهل بديع.

و من براعته في اللغة: إحاطته بمفردات اللغة الفارسية المرادفة تماما مع مفردات لغة العرب، في مثل: «فسوس» مرادفة لكلمة «الاستهزاء»، و «ديو» لكلمة «الشیطان»؛ لأنه من الجنّ، و الجنّ في الفارسية: «ديو» (٣) و «پیمان» لكلمة «الميثاق» و «برفروزد» لقوله «استوقد» و «دوزخ» لجهنم، و «كارشكسته» بمعنى (١) راجع: التفسير الكبير، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٢) راجع: تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٣٩، و التفسير الكبير، ج ٢، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٧٩ و ٨٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٤

«كاركشته» مرادفة لكلمة «ذلول» (١) و «شكمش بياماساند» بمعنى «انتفخ بطنه» (٢) و «خداوندان علم» بمعنى «أولوا العلم» (٣) و «خاك باز شياراند» بمعنى «تثير الأرض» (٤) و «همتا» و «انباز» بمعنى «الشريك» (٥) و «ستون چوب دركش گرفت» بمعنى «چوب ستون را در بغل گرفت» مرادفة لقولهم: «احتضن الشيء» (٦) و «ما خواستمانی که در آن خیری بودی تا ما نیز به آن خیر برسیدمانی» تعبير فارسي قديم (٧) و هكذا «و ما را بپای، و گوش نما» مرادفة لكلمة «راعنا» (٨) و «با من بازار می کنی» ترجمة لعبارة:

«أم إلى تشوقت» من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٩)

، و ربما قرئ بالسين، و لعل العبارة ترجمة «تسوّت» بالسين لتكون ترجمتها «بازار گرمی می کنی».

و استعمل «مه»- بكسر الميم- بمعنى «الأ-كبر» في قوله: «هارون در سال امن و عفو زاد و به يكسال مه موسى بود». (١٠)، و هو في مقابلة «كه»- بكسر الكاف- بمعنى «الأصغر». و قد جاء في كلام «سعدی» الشيرازي (١) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٢٢٥.

(٢) المصدر، ج ٢، ص ٤٨٤.

(٣) المصدر، ص ٤٧٧.

(٤) المصدر، ج ١، ص ٢٥٥.

(٥) المصدر، ص ٢٤٠.

(٦) المصدر، ص ٢٤١.

(٧) المصدر، ص ٢٨٣.

(٨) المصدر، ص ٢٨٠.

(٩) الكلمة رقم ٧٧، من قصار الكلم - نهج البلاغة.

(١٠). تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٥

چه از قومی یکی بی دانشی کرد نه که را منزلت ماند نه مه را

كما أنه لم يتقيد بترجمة ظاهر الكلمة، وإنما فسر معناها تفسيراً يتطابق مع العقل و الواقع.

مثلاً: فسر قوله تعالى: وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ... «١»: إذا خلوا إلى رؤسائهم و أكابرهم؛ لأنه فسر «الشيطان» بكل متمردات، سواء أ كان من الجن أم الإنس، و حتى الحيوان الخبيث يقال له: شيطان عند العرب، كالأفعى في قوله تعالى: كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ «٢» أى رءوس الأفاعى و الحيات «٣».

و المطالع فى هذا التفسير يجد براعته الفائقة فى مختلف العلوم الإسلامية، و لا سيما الفقه و علم الكلام.

من ذلك نجده عند تفسير قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ... «٤»

يبحث هل كان بنو إسرائيل مكلفين بالخصوصيات من بدء الأمر؟ أو ليس فى ذلك تأخير للبيان عن وقت الخطاب؟ فيقول: هذا عند المعتزلة و أصحاب الحديث و أكثر أهل الكلام غير جائز، لكن السيد المرتضى علم الهدى أجاز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، و يأخذ الآية دليلاً على صحة مذهب المرتضى «٥». (١) البقرة/ ١٤.

(٢) الصفات/ ٦٥.

(٣) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

(٤) - البقرة/ ٦٧.

(٥) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٢٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٦

و هكذا يذهب إلى أن المؤمن لا يرتد و لا يكفر بعد الإيمان، و يؤول ما ظاهره الخلاف، مستدلاً بأن الإيمان عمل يستحق صاحبه المثوبة الدائمة، و لا مثوبة مع موافاة الكفر، و كانت عقوبته دائمة أيضاً؛ إذ لا يجتمع تداول الأمرين.

قال عند تفسير قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ «١» القائل بأن ذلك كفر من إبليس، جعلوا «كان» بمعنى «صار» أى و صار من الكافرين، لكنه خطأ من وجهين: أولاً:

ذلك عدول عن ظاهر اللفظ بلا ضرورة تدعو إليه، ثانياً: جعل العمل الجوارحى كفراً، أى موجبا للكفر، فى حين أنه يوجب الفسق، حتى و لو كانت كبيرة، على خلاف مذهب أهل الاعتزال؛ حيث جعلوا فعل الكبيرة موجبا للكفر، و هذا خلاف البرهان.

ثم أخذ فى الاستدلال على أن الإيمان لا يتعقبه كفر أو نفاق، و إنما هو كاشف عن عدمه من قبل، و لم يكن سوى إيمان ظاهرى لا واقعى. قال - ما لفظه بالفارسية:-

«و مذهب ما آن است كه مؤمن حقيقى، كه خدای تعالى از او ايمان داند، كافر نشود، براى منع دليلى، و آن دليل آن است كه



اجماع ائمة است كه مؤمن مستحق ثواب ابد بود، و كافر مستحق عقاب ابد بود، و جمع بين استحقاقين بر سبيل تأييد محال بود، چه استحقاق در صحت و استحالت، تبع وصول باشد. و احباط به نزيك ما باطل است، چنانكه بيانش كرده شود، پس دليل مانع از ارتداد مؤمن اين است كه گفتيم. و ابليس هميشه كافر بود و منافق و كان من الكافرين «٢». (١) البقرة/ ٣٤.

(٢) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٣٨-١٣٩. و راجع ايضاً ج ٤، ص ٢٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٧

يقول: انعقد إجماع الأمة على أن المؤمن يستحق مثوبة دائمة، و كذلك الكافر يستحق عقوبة دائمة، و الجمع بين تداوم الاستحقاقين محال؛ ذلك لأن الاستحقاق يستدعي بلوغ الثواب و وصوله إليه. فإذا كان الإيمان متأخراً كفر ما قبله «الإسلام يجب ما قبله» «١» و أما الكفر المتأخر فلا يوجب حبط الإيمان؛ لأن فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. و نجده يفصل الكلام حول الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر، كلما حن الكلام في تفسيره بالمناسبة. مثلاً: يقول

في تفسير «الغيب» من قوله تعالى: يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ «٢» جاء في تفسير أهل البيت عليهم السلام: أن المراد به هو المهدي عليه السلام و هو الغائب الموعود في الكتاب و السنة، أما الكتاب فقوله تعالى: وَعِيدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «٣» و أما الأحاديث، فكثيرة، منها قوله عليه السلام: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي و كنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً و قسطاً كما ملئت جوراً و ظلماً».

و هذه الأوصاف لم تجتمع إلا في شخص المهدي المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ثم يقول: كلما مررنا بآية تعرضت لهذا المعنى، استقصينا الأخبار (١) المستدرک، ج ٧، ص ٤٤٨، رقم ٨٦٢٥ و البحار، ج ٢١، ص ١١٤.

(٢) البقرة/ ٣.

(٣) النور/ ٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٨

بشأنه «١».

و له في مباحث الهداية و الضلال بحوث مديلة، و في نفس الوقت ممتعة، استفاد فيها الكلام من جميع جوانبه «٢». ثم إنه لا يترك موضعا من التفسير يناسب ذكر مسائل الخلاف إلا بينه بتفصيل، و ذكر مواقف الشيعة الإمامية في ذلك. مثلاً، عند تفسير قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا «٣» يتعرض لأنحاء السجود، منها: السجود في الصلاة، و هو ركن من أركانها - و يفسر معنى الركن - و سجدة السهو، و سجدة الشكر، و سجدة القرآن، و هذه الأخيرة إما واجبة في أربعة مواضع: الم تنزيل، حم السجدة، النجم، اقرأ.

أو سنة، ففي أحد عشر موضعاً، فالمجموع: خمسة عشر موضعاً عندنا. و عند الشافعي: أربعة عشر موضعاً، كلها سنة. ثم يفصل في أحكام سور العزائم، مما يخص مذهب الإمامية، و يذكر مواضع سجود السهو للصلاة، و مذهب سائر المذاهب في ذلك.

و يذكر علائم المؤمن الخمس: الصلاة إحدى و خمسين، و زيارة الأربعين - في اليوم العشرين من شهر صفر بكر بلاء - و التخم باليمين، و تعفير الجبين، و الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم. و يذكر سبب استحباب زيارة (١) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٦٤.

(٢) راجع مباحثه عن «الضلال و الإضلال» ذيل تفسير قوله تعالى: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ»، البقرة/ ٢٦. راجع: التفسير ج ١، ص ١١٤-١١٥.

(٣) - البقرة/ ٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٣٩٩

الحسين عليه السلام في يوم الأربعاء بكربلاء، و هو يوم ورود جابر بكربلاء، بعد مقتل الحسين بأربعين يوماً «١». و مما يمتاز به هذا التفسير، إحاطة صاحبه بالتاريخ و السيرة الكريمة، و كذلك بالأحاديث الشريفة في مختلف شؤون الدين، و من ثم تراه في شتى المناسبات يخوض المعركة، و يأتي بلباب القول باستيفاء و شمول. و قد يأتي على حوادث قل ما يوجد في سائر الكتب. من ذلك حادثه يوم الصريخ، جاء بها ذيل الآية رقم (٥٤) من سورة المائدة؛ حيث قوله تعالى: فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ. فذكر أولاً غزوة خيبر و فتحها على يد الإمام أمير المؤمنين، و شعر حسان بن ثابت فيه:

و كان عليّ مرمد العين يتغى دواء فلما لم يحس مداويا

رماه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقيا و بورك راقيا

و قال سأعطى الراية اليوم صارما كميًا محبًا للرسول مواليا «٢»

يحب الإله و الإله يحبه به يفتح الله الحصون الأوابيا «٣»

فأصفي بها دون البرية كلها عليًا و سماء الوزير المؤاخيا

و بعد ذلك يذكر غزوة الصريخ، و فيها: خرج «أسد عويلم» مبارزا، متترسا (١) أبو الفتوح، ج ١، ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) الكمي: البطل الكفي.

(٣) الأوابي: جمع آبية، أي حصينة ممتعة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٠

بترس حديدي، يبلغ وزنه مئات الأمان، و كان يعادل أربعين فارسا، و هو يرتجز و يقول:

و جرد شعال و زغف مزال و سمر عوال بأيدي رجال «١»

كآساد ديس و أشبال خيس غداة الخميس بيض صقال «٢»

تجيد الضراب و حز الرقاب أمام العقاب غداة النزال

يكيد الكذوب و يجرى الهبوب و يروى الكعوب دما غير آل «٣»

فبرز إليه على عليه السلام فقدّه نصفين، ثم أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو يقول:

ضربته بالسيف وسط الهامة بشفرة صارمة هدامه «٤»

فبتكت من جسمه عظامه و بينت من أنفه إرغامه «٥»

أنا عليّ صاحب الصمصامة و صاحب الحوض لدى القيامة «٦»

أخى نبي الله ذو العلامة قد قال إذ عمّنى العمامة

«أنت الذي بعدى له الإمامة» «٧» (١) الجرد: الفرس القصار الشعر و هو من صفات حسنهنّ. و الشعال: ما كان في أعالي ذيلها بياض. و

الزغف: السرد. و المذال: الواسعة. و السمر: جمع أسمر: القنأ. و العوالى:

جمع عالية.

(٢) آساد: جمع أسد. و الديس: الشجعان. و الأشبال: جمع شبل ولد الأسد. و الخيس: الغابة.

و الخميس: الجند عند ما تنهيا و تترتب للقتال.

(٣) العقاب: راية النضال. و غير آل: غير مقصّر.

(٤) الهامة: عظم فوق الرأس. و الشفرة: حد السيف.

(٥) بتكت: فرقت. و إرغام الأنف: تعفيره بالتراب.

(٦) الصمصامة: السيف الصارم.

(٧) راجع: تفسير أبي الفتوح، ج ٤، ص ٢٣٧-٢٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠١

و هذه الغزوة بهذا الإسم غير معروفة، و لا أثبتها أصحاب السير بهذا الشكل، و إنما ذلك من اختصاصات هذا الكتاب، و كم له من نظير.

و «أسد عويلم» غير معروف، سوى ما ذكره المحقق الشعراني في هامش الكتاب «١» و لم نجده فيما أرجعه من مصدر.

و مما امتاز به هذا التفسير أنه لم يترك موضعا جاءت مناسبة الوعظ و الإرشاد إلّا و قد استغلّ الفرصة، و أخذ في الوعظ و الزجر و الترغيب و الترهيب.

من ذلك عند ذكره لقصة آدم و توبته، و أنه إنما تقبل الله منه التوبة بأمر ثلاثة تمثلت في آدم، فليكن ذلك من كل تائب، و هي: الحياء، و الدعاء، و البكاء ... ثم أخذ في الوعظ و الإرشاد، متمثلا بقول محمود الوراق:

يا ناظرا يرنو بعيني راقد و مشاهدا للأمر غير مشاهد

متك نفسك ضلّة فأبحثها سبل الرجاء و هنّ غير قواصد

تصل الذنوب إلى الذنوب و ترتجى درك الجنان بها و فوز العائد

و نسيت أن الله أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد «٢»

### كنز الدقائق و بحر الغرائب للمولى المشهدى

هو الميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي الأصل، المشتهر بالمشهدى؛ حيث نشأ و تربى بمشهد الإمام الرضا عليه السلام- و ميرزا:

مخفف «ميرزاده» بمعنى «وليد الأمير»- كان فاضلا أديبا جامعا، و محدّثا فقيها، (١) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٢٤٠، رقم ١.

(٢) المصدر، ج ١، ص ١٤٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٢

علما من أعلام القرن الثاني عشر، توفي حدود سنة (١١٢٥).

و يظهر من تفسيره هذا أنه كان متبحرا في شتى العلوم الإسلامية التي كانت دارجة ذلك العهد، من الفلسفة و الكلام، و الأدب و اللغة، و الفقه و الحديث.

و قد اضطلع بعلم التفسير و التأويل.

و تفسيره هذا من خير تفاسير ذلك العهد، و هو كما كتبنا في المقدمة حصيله ما سبقه من أمهات تفاسير أصحابنا الإمامية: النقليه و الاجتهادية، قد جمع فيه من لباب البيان و عباب التعبير، أينما وجدته طى الكتب و التفاسير السابقة عليه، و التي كانت راقية لديه. فقد اختار حسن تعبير البيضاوى، اقتداء بشيخه الفيض الكاشانى في تفسيره الصافى. كما انتخب من أسلوب الطبرسى في «مجمع البيان» تبويبه و ترتيبه، مضيفا إليه ما استحسنته من «كشاف» الزمخشري و حواشى العلامة الشيخ البهائى، و كثيرا من تأويلات جاءت في تفاسير أهل الزمزم و الإشارات.

و قد قرظ تفسيره علما من أعلام الأمة: المجلسى العظيم، و الخوانسارى الكبير، مما يدلّك على جلاله قدر هذا التفسير الفخيم.

و بحق إنه تفسير جامع كامل، مع إيجازه و إيفائه، شمل جوانب مختلفه من الكلام حول تفسير كلام الله، فلم يترك شاردة و لا واردة

من الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام إلا أوردها و تعرض لها بتفصيل، ثم الأدب و اللغة بشكل مستوعب، ثم مسائل الكلام و الفلسفة و الفقه في مجالاته المناسبة، و أخيرا يتعرض لتأويل الآيه و تفسير بطونها حسب تعبيره، و من ثم فإنه يعد من التفاسير الجامعة الشاملة لكل جوانب التفسير المعهود ذلك الحين.

و قد طبع هذا التفسير عدة طبعات أتيق في عهدنا الحاضر، و هو في متناول العموم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٣

### تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، توفي سنة (٦٧١). كان من العلماء العارفين، صاحب تصانيف ممتعة، منها هذا التفسير الذي يعد من أمثل التفاسير و أجودها تصنيفا و تأليفا و جمعا للآراء و الأقوال، مع العناية التامة باللغة و الأدب و الفقه و الكلام، و من ثم عدّه بعضهم من التفاسير الفقهية كما فعله الذهبي و لعلّه لمناسبة عنوان الكتاب.

و قد وصف المؤلف تفسيره هذا بما يلي: رأيت أن أكتب فيه تعليقا وجزا يتضمّن نكتا من التفسير، و اللغات و الإعراب، و القراءات، و الردّ على أهل الزيغ و الضلالات، جامعا بين المعاني، و مبينا ما أشكل منها بأقوال السلف، و من تبعهم من الخلف.

و انتهج في تفسيره منهج سائر التفاسير الجامعة، فيذكر الآيه أولا، و يعقبها بذكر مسائل، يأتي فيها على شرح مواضع الآيه جملة جملة، فيشرحها و يبيّن مواضع إغلاقها، و ربما تعرض لأسباب النزول، و ذكر القراءات و اللغة و الإعراب، و أحيانا جاء بأقوال السلف أو الخلف إن مسّت الحاجة إلى ذلك.

و هو تفسير جيد نافع، جمع بين الاختصار و الإيفاء بجوانب الكلام، بما يفيد المطالع إفادة تامة، تجعل المراجع في غنى عن مراجعته أمّهات كتب التفسير، على و جازته.

و جعل لتفسيره مقدمة جامعة في عشرين بابا، ذكر فيها مسائل تفيد المراجع قبل الخوض في التفسير.

و حاول القرطبي في تفسيره هذا نبذ الإسرائيليات و الموضوعات، فتركها حسب وسعه، كما فعله ابن عطية في «المحرر الوجيز». و كانا موقّقين في هذا

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٤

السبيل بعض الشيء.

### تفسير الماوردي (النكت و العيون)

لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة (٤٥٠).

و النسبة إلى «ماء ورد» كان يعمل به والده و يبيعه. ولد بالبصرة، ثم ارتحل إلى بغداد، و فيها سمع الحديث و أخذ الفقه و انضم إلى حلقات أبي حامد الأسفراييني. و لما بلغ أشده تصدّر للتدريس آونة في بغداد و أخرى في البصرة، و تنقل في البلاد لنشر العلم، ثم استقرّ به المقام في بغداد، فقام بالتدريس و التحديث و تفسير القرآن. و ألف فيها كتبه في الأدب و الفقه و الحديث و التفسير.

و تفسيره هذا يعد من أوجز التفاسير التي عنيت باللغة و الأدب و نقل الآراء و نقدها، و المشى على طريقة أهل النظر في التفسير. قال في مقدّمه تفسيره:

«و لما كان الظاهر الجليّ مفهوما بالتلاوة، و كان الغامض الخفي لا يعلم إلا من وجهين: نقل، و اجتهاد، جعلت كتابي هذا مقصورا على تأويل ما خفي علمه، و تفسير ما غمض تصوّره و فهمه. و جعلته جامعا بين أقاويل السلف و الخلف، و موضّحا عن المؤتلف و المختلف، و ذاكرا ما سنح به خاطر من معنى يحتمل.

عبّرت عنه بأنه محتمل، لِيتميّز ما قيل مما قلته، و يعلم ما استخرج مما استخرجه» (١).

و يعتبر تفسير الماوردي من أهم كتب التفسير، و قد اهتم به كثير من المفسرين المتأخرين عنه، كابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»، و القرطبي في (١) النكت و العيون، ج ١، ص ٢١.  
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٥  
«الجامع لأحكام القرآن».

و مفسرنا هذا لم يأل جهدا في إعمال رأيه و إبداء نظره في شرح معاني الآيات على طريقة تحكيم العقل الرشيد نافيا أن يكون ذلك من التفسير بالرأى الممنوع؛ حيث يقول:

«تمسك بعض المتورّعة، ممّن قلّت في العلم طبقتة، و ضعفت فيه خبرته، و استعمل هذا الحديث على ظاهره، و امتنع أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده، عند وضوح شواهدة، إلّا أن يرد بها نقل صحيح، و يدلّ عليها نصّ صريح. و هذا عدول عما تعبد الله تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربى مبين، قد تبه على معانيه ما صرح من اللغز و التعمية، التي لا يوقف عليها إلّا بالمواضعه إلى كلام حكيم، أبان عن مراده، و قطع أعدار عبادته، و جعل لهم سبلا إلى استنباط أحكامه، كما قال تعالى: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (١) و لو كان ما قالوه صحيحا، لكان كلام الله غير مفهوم، و مراده بخطابه غير معلوم، و لصار كاللغز المعتمى، فبطل الاحتجاج به، و كان ورود النص على تأويله مغنيا عن الاحتجاج بتزويله، و أعوذ بالله من قول في القرآن يؤدى إلى التوقف عنه، و يؤول إلى ترك الاحتجاج به» (٢).  
و قد أخذ ذلك بعضهم عليه، زاعما سدّ باب الاجتهاد في القرآن، تاركا وراءه قوله تعالى: أَلَا فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا  
«٣» (١) النساء/ ٨٣.

(٢) النكت و العيون، ج ١، ص ٣٤.

(٣) محمد/ ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٦

## التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)

### إشارة

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى، المعروف بابن الخطيب، من أصل طبرستانى، نزل والده الرى و اشتهر بها. فى ظاهره أشعري شافعى المذهب، صاحب تصانيف ممتعة فى فنون المعارف الإسلامية، مضطلعا بالأدب و الكلام و الفلسفة و العرفان. قال ابن خلكان: إن كتبه ممتعة، و قد انتشرت تصانيفه فى البلاد، و رزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها و رفضوا كتب المتقدمين، توفى سنة (٦٠٦).

و تفسيره هذا من جلائل كتب التفسير، و قد استوفى الكلام فيه، بما وسعه من الاضطلاع بأنحاء المعارف و فنون العلوم، و لم يدع براعته متجولة فى مختلف مسائل الأصول و الفلسفة و الكلام، و سائر المسائل الاجتهادية النظرية و العقلية، و أسهب الكلام فيها، بما ربما أخرج عن حد الاعتدال. و كثيرا ما يترك وراءه لمة من تشكيكات و إبهامات بما يعرقل سبيل الباحثين فى التفسير، و لكنّه مع ذلك فإنه فتّاح لكثير من مغالقات المسائل فى أبحاث إسلامية عريقة.

أما منهجه فى التفسير، فإنه يذكر الآية أولا، و يعقبها بموجز الكلام عنها بصورة إجمالية، و يذكر أن فيها مسائل، يبحث فى كل مسألة عن طرف من شئون الآية: قراءة، و أدبا، و فقها، و كلاما، و ما أشبه من المباحث المتعلقة بتفسير الآية، و يستوفى الكلام فى ذلك فى نهاية المطاف. و هو من أحسن الأساليب التفسيرية، تتجزأ المسائل و تتركز الأبحاث، مفصلة كلاً فى محلّها، من غير أن يختلط البحث أو تتشابك المطالب، و من ثم لا يترك القارئ حائرا فى أمره من البحث الذى ورد فيه.

و من طريف الأمر أنه لم يجعل لتفسيره مقدمة ليشرح فيها موضعه من

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٧

التفسير، و الغاية التي أقدم لأجلها على كتابة مثل هذا التفسير الضخم، و السفر الجلل العظيم، و كان لا بد أن يشرح ذلك. كما لم يذكر منابعه في التفسير، و لا الكتب التي اعتمدها في مثل هذا التصنيف، في حين أننا نعلم أنه اعتمد خير المؤلفات لذاك العهد، و أحسن المصنفات في ذلك الزمان، في مثل تفسير أبي مسلم الأصفهاني و الجياني و الطبري و أبي الفتح الرازي، و أمثالهم من مشايخ عظام و علماء أجلة معروفين حينذاك.

و تفسيره هذا، يغلب عليه اللون الكلامي الفلسفي، لاضطلاعه بهذين العلمين، و من ثم نجده يكثر الكلام في ذلك كلما أتاحت له الفرصة، فيغتنمها، و يسهب الكلام في مسائل فلسفية بعيدة الأغوار، بما ربما أخرجه عن حد تفسير القرآن، إلى مباحث جدلية كلامية، و ربما كانت فارغة.

و هل أكمل تفسيره أم تركه ناقصا ليكملة غيره من تلاميذ و أحفاد، كما قيل؟

قال ابن خلكان: له التصانيف المفيدة في فنون عديدة، منها تفسير القرآن الكريم، جمع فيه كل غريب و غريبة، و هو كبير جدا، لكنه لم يكمله «١».

قال ابن حجر: الذي أكمل تفسير فخر الدين الرازي، هو أحمد بن محمد بن أبي حزم نجم الدين المخزومي القمولى، المتوفى سنة (٧٢٧)، و هو مصرى «٢».

و قال حاجي خليفة: صنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولى تكملة له، و قاضى القضاء شهاب الدين أحمد بن خليل الخوئي الدمشقي كمل ما (١) وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٢٤٩، رقم الترجمة ٦٠٠.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ١، ص ٣٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٨

نقص منه أيضا. توفى سنة (٦٣٩) «١».

و قال ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة (٦٦٨) في ترجمته أحمد بن خليل الخوئي: و لشمس الدين الخوئي من الكتب، تتمه تفسير القرآن لابن الخطيب «٢».

و أما إلى أي موضع بلغ الإمام الرازي من تفسيره ليترك البقية لغيره، فهذا مختلف فيه اختلافا غريبا:

يقول الأستاذ محمد حسين الذهبي: وجدنا على هامش كشف الظنون ما نصه: «الذي رأيته بخط السيد مرتضى نقلا عن «شرح الشفا» للشهاب، أنه وصل فيه إلى سورة الأنبياء» «٣».

و احتمل بعضهم أن الرازي أتم تفسيره ما عدا سورة الواقعة؛ حيث فيها بعض التعليق من غيره، مثلا جاء ذيل تفسير قوله تعالى: جزاء بما كانوا يعملون «٤» و فيه مسائل، المسألة الأولى أصولية، ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله في مواضع كثيرة، و نحن نذكر بعضها «٥».

قال الأستاذ الذهبي تعقيبا على هذا الكلام: و هذه العبارة تدل على أن الإمام الرازي لم يصل في تفسيره إلى هذه السورة «٦».

ثم أبدى رأيه في حل الاختلاف قائلا: «و الذي أستطيع أن أقوله كحل لهذا الاضطراب هو أن الإمام الرازي كتب تفسيره إلى سورة الأنبياء، فأتى بعده شهاب (١) كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٥٦.

(٢) عيون الأنبياء، ج ٢، ص ١٧١. (الرازي مفسرا لمحسن عبد الحميد، ص ٥٢).

(٣) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٢.

(٤) الواقعة / ٢٤.

(٥) راجع: التفسير الكبير، ج ٢٩، ص ١٥٦.

(٦) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٠٩

الدين الخوئي فشرع في تكلمه هذا التفسير، ولكنه لم يتمه، فأتى بعده نجم الدين القمولى فأكمل ما بقى منه. كما يجوز أن يكون الخوئي أكمله إلى النهاية، و القمولى كتب تكلمه أخرى غير التي كتبها الخوئي. وهذا هو الظاهر من عبارة كشف الظنون «١». قلت: و على ذلك، فإن الإمام الرازى لم يبلغ من تفسيره سوى حوالى النصف، الأمر الذى لا- يمكن تصديقه، بل الظاهر أنه فسّر القرآن كله حتى آخر سورة منه، نظرا لوحدة الأسلوب و المنهج و القلم و البيان، فضلا عن الشواهد الموفورة، على أن الإمام الرازى قد أكمل تفسيره حتى النهاية، اللهم إلا بعض التعليق مما أضيف إليه بعد ذلك، فألحق بالمتن فى الاستنساخات المتأخرة.

و نذكر شاهدا على ذلك أنه عند تفسير الآية رقم (٢٢) من سورة الزمر (رقمها ٣٩ و رقم سورة الأنبياء ٢١) فى تفسير قوله تعالى: أَمْ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ «٢» يقول: و اعلم أنا بالغنا فى تفسير سورة الأنعام فى تفسير قوله تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ «٣» فى تفسير شرح الصدر، و فى تفسير الهداية «٤».

و أمثال هذه العبارة كثيرة فى القسم المتأخر من التفسير. (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٣.

(٢) الزمر/ ٢٢.

(٣) الأنعام/ ١٢٥.

(٤) راجع التفسير الكبير، ج ٢٦، ص ٢٦٥-٢٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٠

### عنايته بأهل البيت

له عناية خاصة بآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم يذكرهم بإجلال و إكبار، و يفخّم من شأنهم؛ مما ينبؤك عن ولاء متين بالنسبة إلى العترة الطاهرة، الذين هم عدل القرآن العظيم.

تجده يقول عند الكلام عن الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم: و أما أن على بن أبى طالب عليه السّلام كان يجهر بالتسمية، فقد ثبت بالتواتر، و من اقتدى فى دينه بعلى بن أبى طالب فقد اهتدى، و الدليل عليه قوله عليه السّلام: «اللهم أدر الحقّ مع على حيث دار».

ثم يقول عند ترجيحه للقول بوجوب الجهر: إن راوى قولنا على بن أبى طالب عليه السّلام، و أخيرا يقول: و عمل على بن أبى طالب عليه السّلام معنا، و من اتخذ علينا إماما لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى فى دينه و نفسه «١».

و من دأبه تعقيب أسماء أئمة أهل البيت ب «السلام عليهم» كتعقبه لاسم النبى صلى الله عليه و آله و سلم. و قد عرفت تعقيب اسم على ب «السلام عليه»، و هكذا فى تعقيب أسماء سائر الأئمة. هو عند ما يروى عن الإمام جعفر بن محمد، يصفه أولا بلقبه الفخيم «الصادق» ثم يعقبه ب «السلام عليه». قال فى تفسير النعيم:

قال جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام: النعيم: المعرفة و المشاهدة، و الجحيم: ظلمات الشهوات «٢».

و فى كثير من عباراته: محمد عليه السّلام، على عليه السّلام على سواء، راجع تفسيره (١) راجع: تفسير سورة الفاتحة، ج ١، ص ٢٠٤-٢٠٧ من التفسير الكبير.

(٢) التفسير الكبير، ج ٣١، ص ٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١١

لسورة النصر «١». وهكذا نجده يذكر أئمة أهل البيت بإكبار و إجلال، هو عند ما يتعرض لوفرة ذرية الرسول في تفسير سورة الكوثر، يقول: انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء، كالبقر و الصادق و الكاظم و الرضا عليهم السّلام، و النفس الزكية و أمثالهم «٢» و الذي يجلب النظر أنه عقب أسماء الأئمة الأربعة فقط ب «السلام عليهم»، الأمر الذي يدل بوضوح على مبلغ تشييعه لآل البيت عليهم السّلام.

هو عند ما يتعرض لآية المتعة من سورة النساء (٢٤) يقول: إنها نسخت في حياة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و يقول: إنا لا نكر أن المتعة كانت مباحة، إنما الذي نقوله: إنها صارت منسوخة. و يقول بصدده نهى عن عمر عنها: إنه لو كان مراده أن المتعة كانت مباحة في شرع محمد صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أنهى عنها، لزم تكفيره و تكفير كل من لم يحاربه و ينازعه، و يفرض ذلك إلى تكفير أمير المؤمنين؛ حيث لم يحاربه و لم يرد ذلك القول عليه «٣».

المقصود من «أمير المؤمنين» هو الإمام على بن أبى طالب عليه السّلام يصفه بهذا اللقب الفخم أيام عهد عمر، و يعتقد في شخصيته الكريمة حراسة لدين الله و حفظا لحدوده، الأمر الذي جرى عليه أهل الولاء لهذا البيت الرفيع، و هكذا تعتقد الشيعة الإمامية في أئمتها الأطهار.

و هكذا تمثله بأبيات شعرية تنوّه من شأن أهل البيت عليهم السّلام في كثير من مواضع تفسيره، منها: استشهاده بشعر حسان بن ثابت، لغرض بيان أن السجدة ليوסף إنما كان من جهة أنهم جعلوه قبله في سجودهم، و استشهاد لذلك بقوله: (١) التفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٥٣.

(٢) المصدر، ص ١٢٤.

(٣) المصدر، ج ١٠، ص ٥٣-٥٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٢

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبى الحسن  
أليس أول من صلى لقبلكم و أعرف الناس بالقرآن و السنن «١»

و أما ما نجده أحيانا من تحامله على الشيعة و ربما لعنهم بعنوان «الروافض» «٢» فلعله من عمل النساخ؛ إذ لا يليق بقلم كاتب أديب، و علامة أريب أن يهدر في سفه الهذر، من يعن بالحمد لا ينطق بما سفه، و لم يحد عن سبيل الحلم و الأدب.

ذكر عند تفسير آية المودة نقلا عن صاحب الكشاف

الحديث المعروف: «من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا و من مات على حب آل محمد مات مغفورا له، ألا و من مات على حب آل محمد مات تائبا، ألا و من مات على حب آل محمد مات مؤمنا، مستكمل الإيمان، ألا و من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه: آيس من رحمة الله».

قال بعد نقل ذلك: و أنا أقول: آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشدّ و أكمل كانوا هم الآل، و لا شك أن فاطمة و عليا و الحسن و الحسين كان التعلق بينهم و بين رسول الله أشدّ التعلقات، و هذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

و أيضا اختلف الناس في «الآل» فقيل: هم الأقارب، و قيل: هم أمته. فإن حملناه على القرابة فهم الآل، و إن حملناه على الأئمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضا آل، فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل. و أما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه! (١) التفسير الكبير، ج ١٨، ص ٢١٢.

(٢) راجع: المصدر، ج ١٢، ص ٢١ و ٢٩.



التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٣

و

روى صاحب الكشاف: أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: «علي و فاطمة و ابناهما»

فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم و إذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم. و يدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَ وَجَّهَ الْاِسْتِدْلَالَ بِهِ مَا سَبَقَ.

الثاني: لا شك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب فاطمة عليها السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها».

و ثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يحب عليا و الحسن و الحسين، و إذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله، لقوله:

«وَاتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (١) و لقوله تعالى: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» (٢) و لقوله: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» (٣) و لقوله سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (٤).

الثالث: إن الدعاء «للآل» منصب عظيم، و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، و هو

قوله: «اللهم صل على محمد و على آل محمد، و ارحم محمدا و آل محمد»

، و هذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل. فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب.

و قال الشافعي رضي الله عنه: (١) الأعراف / ١٥٨.

(٢) النور / ٦٣.

(٣) آل عمران / ٣١.

(٤) الأحزاب / ٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٤

يا راكبا قف بالمحصب من منى و اهتف بساكن خيفها و الناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كما نظم الفرات الفاض

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنني رافضي (١)

و نقل ابن حجر العسقلاني عن ابن خليل السكوني في كتابه «الرد على الكشاف» أنه أسند عن ابن الطباخ: أن الفخر كان شيعيا، يقدم محبة أهل البيت، كمحبة الشيعة، حتى قال في بعض تصانيفه: «و كان على عليه السلام شجاعا بخلاف غيره» (٢).

و قال الطوفي: إنه يورد شبه المخالفين في المذهب، على غاية ما يكون من القوة و التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة و الحق على غاية من الوهاء (أو الدهاء). قال: و بعض الناس يتهمه في هذا، و ينسب ذلك إلى أنه كان ينصر بهذا الطريق، ما يعتقده، و لا يجسر على التصريح به (٣).

و قال الشيخ محمد بهاء الدين العامل في حوادث شهر شوال، يوم عيد الفطر: «و فيه سنة ست و ستمائة، توفي فخر الدين الرازي، الملقب بالإمام، و أصله من مازندران، و ولد بالرزي، و كان يميل إلى التشيع، كما لا يخفى على من تصفح تفسيره الكبير. و قبره بمدينة هرات» (٤). (١) التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) لسان الميزان، ج ٤، ص ٤٢٩.

(٣) الإكسير في علم التفسير للطوفى، ص ٢٦. و اللسان، ج ٤، ص ٤٢٨.

(٤) راجع: رسالته الوجيزة «توضيح المقاصد»، ص ٢٥، المطبوعة ضمن رسائل باسم «المجموعة النفيسة»، ص ٥٨٣، من مطبوعات مكتبة المرعشى بقم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٥

### إمام المشككين

و مما اختص به الإمام الرازى خوضه فى أنحاء المسائل، من أدب و كلام و فلسفة و أصول، و لكنه لا يخرج منها فى الأكثر إلّا و يترك وراءه لمة من تشكيكات و إبهامات فى وجه المسألة، إنه ربما أثار إشكالا أو إشكالات، لكنه لا يجب عليها إلّا إجابات ضعيفة و موهونة، يترك القارئ فى حيرة، هل إن مثل الإمام الرازى عاجز عن الإجابة لمثل تلك المسائل، أم هناك تعمد لغرض تقرير الإشكال حسب نظره؟! المعروف عن الرازى أنه أشعري المذهب فى أصول العقيدة، جبرى ظاهرى، لكنه عند عرضه لمسائل الكلام، يقرر من مذاهب الخلاف بما يضعف به المذهب الأشعري أحيانا، و ربما إلى حدّ الوهن و الافتضاح.

قال نجم الدين الطوفى البغدادى - من أعلام القرن السابع -: و أجمع ما رأيته من التفاسير لغالب علم التفسير كتاب القرطبي، و كتاب «مفاتيح الغيب» للإمام الرازى، و لعمري كم فيه من زلّة و عيب. و حكى لى الشيخ شرف الدين النصيبى المالكي: أن شيخه الإمام الفاضل سراج الدين المغربى صنّف كتاب «المآخذ على مفاتيح الغيب» و بين فيه من البهرج و الزيف فى نحو مجلدين، و كان ينقم عليه كثيرا، خصوصا إيراده شبه المخالفين فى المذهب و الدين، على غاية ما يكون من القوّة، و إيراد جواب أهل الحق منها على غاية ما يكون من الدهاء. قال الطوفى: و لعمري إن هذا لدأبه فى غالب كتبه الكلامية و الحكمية، كالأربعين، و المحصل، و النهاية، و المعالم، و المباحث المشرقية، و نحوها. و بعض الناس يتهمه فى هذا و ينسبه إلى أنه ينصر بهذا الطريق ما يعتقد، و لا يجسر على التصريح به.

و قال فى سبب ذلك: إنه كان شديد الاشتياق إلى الوقوف على الحق - كما

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٦

صرح به فى وصيته التى أملاها عند موته - فلهذا كان يستفرغ وسعه، و يكّد قريحته فى تقرير شبه الخصوم، حتى لا يبقى لهم بعد ذلك مقال، فتضعف قريحته عن جوابها على الوجه، لاستفراغه قوتها فى تقرير الشبه. و نحن نعلم بالنفسية الوجدانية، أن أحدنا إذا استفرغ قوّة بدنه فى شغل ما من الأشغال، ضعف عن شغل آخر، و قوى النفس على وزان قوى البدن غالبا. و قد ذكر فى مقدمة كتاب «نهاية العقول» ما يدل على صحته ما أقول؛ لأنه التزم فيه أن يقرر مذهب كل خصم، لو أراد ذلك الخصم تقريره، لما أمكنه الزيادة عليه أو أوفى بذلك. و لهذا السبب قرر فى كتاب «الأربعين» أدلة القائلين بالجهة، ثم أراد الجواب عنها، فما تمكن منه على الوجه، فغالط فيه فى موضعين قبيحين، ذكرهما فى مواضع كثيرة «١».

و مما بحث على أصول مذهبه الأشعري فى ظاهر الأمر ما ذكر عند تفسير الآية إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «٢».

قال: احتج أهل السنة - يعنى بهم الأشاعرة - بهذه الآية و كل ما أشبهها من قوله: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «٣»، و قوله: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا - إلى قوله - سَأَرْهَقُهُ صِعُودًا «٤»، و قوله: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ «٥» احتجوا بأمثال هذه الآيات على جواز تكليف ما لا يطاق.

ثم أخذ فى تقرير هذا الاحتجاج من وجوه خمسة: (١) الإكسير فى علم التفسير، ص ٢٦ - ٢٧. تحقيق عبد القادر حسين.

(٢) البقرة/ ٦.

(٣) يس / ٧.

(٤) المدثر / ١٧.

(٥) تبت / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٧

أولاً: أنه تعالى أخبر عن أشخاص معينين أنهم لا يؤمنون قط، فلو صدر منهم الإيمان، لزم انقلاب خبر الله تعالى الصدق كذبا.

و ثانياً: أنه تعالى لما علم منهم الكفر، فكان صدور الإيمان منهم مستلزماً لانقلاب علمه تعالى جهلاً.

و ثالثاً: أن وجود الإيمان يستحيل أن يوجد مع العلم بعدم الإيمان؛ لأنه إنما يكون علماً لو كان مطابقاً للمعلوم، و العلم بعدم الإيمان إنما يكون مطابقاً لو حصل عدم الإيمان، فلو وجد الإيمان مع العلم بعدم الإيمان، لزم أن يجتمع في الإيمان كونه موجوداً و معدوماً معاً، و هو محال، فالأمر بالإيمان مع وجود علم الله تعالى بعدم الإيمان، أمر بالجمع بين الضدين، بل بالجمع بين العدم و الوجود، و كل ذلك محال.

و رابعاً: أنه تعالى كلف هؤلاء - الذين أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون - بالإيمان البتة، و الإيمان يعتبر فيه تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه، و مما أخبر عنه أنهم لا يؤمنون قط، فقد صاروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون قط، و هذا تكليف بالجمع بين النفي و الإثبات.

و خامساً: أنه تعالى عاب الكفار على أنهم حاولوا فعل شيء على خلاف ما أخبر الله عنه في قوله يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَبَدِّلُوا كَلِمَتَنَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ «١» فثبت أن القصد إلى تكوين ما أخبر الله تعالى عن عدم تكوينه، قصد لتبديل كلام الله، و ذلك منهي عنه. و هاهنا أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون البتة، فمحاولة الإيمان منهم تكون قصداً إلى تبديل كلام الله، و ذلك منهي عنه. و ترك (١) الفتح / ١٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٨

محاولة الإيمان يكون أيضاً مخالفةً لأمر الله تعالى، فيكون الذم حاصلًا على الترك و الفعل.

قال: فهذه هي الوجوه المذكورة في هذا الموضوع. و هذا هو الكلام الهادم لأصول الاعتزال. و لقد كان السلف و الخلف من المحققين معوليين عليه في دفع أصول المعتزلة و هدم قواعدهم. و لقد قاموا - أي المعتزلة - و قعدوا و احتالوا على دفعه فما أتوا بشيء مقنع. هذه هي الوجوه الخمسة التي زعم منها دلائل ثابتة تدعم نظرية أصحابها في جواز التكليف بغير المستطاع، و حسب أن خصومهم أصحاب الاعتزال عجزوا عن ردّها مهما أتوا من حول و قوّة.

في حين أن آثار الوهن بادية عليها، لأن أساسها العلم الأزلي الإلهي المتعلق بعدم إيمان الكافر الجاحد. و الحال أن العلم مهما يكن فإنه ليس سبباً لوقوع المعلوم، بل إن وقوع المعلوم في وقته سبب لحصول هذا العلم، فالعلم تبع للمعلوم. فلو فرض أنهم كانوا يؤمنون؛ لكان العلم حاصلًا بإيمانهم. فليس العلم القديم أصلاً، بل هو فرع تحقّق المعلوم في حينه المتأخر، كما قال أبو الحسين البصري: إن العلم تبع المعلوم، فإذا فرض الواقع من العبد الإيمان، عرف أن الحاصل في الأزل لله تعالى هو العلم بالإيمان، و العمدة أن العبد مختار في الكفر و الإيمان، فأى منهما تحقّق منه، علمه الله في الأزل، و ليس علمه تعالى سبباً قهرياً يسلب عن العبد اختياره في العمل.

و هذا واضح لمن تدبّر، و لا أظنّ خفاءه على مثل الإمام الرازي صاحب الذهبيّة الوقّادة، و لكن تظاهراً بالدفاع عن مذهبه الرسمي المفروض عليه من قبل السلطات، دعاه إلى ذكر مثل هذه الوجوه البادية عليها الضعف و الوهن. و تماشياً

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤١٩

مع الجوّ الحاكم أجبر على الانسجام مع الوضع الراهن.

و من ثمّ نراه - عند ما يذكر دلائل أصحاب الاعتزال - نراه يذكرها بقوة و دقّة و إحاطة و تفصيل، بما لا يدع مجالاً في إمكان قبول

تلکم الوجوه الأشعرية.

ذكر دلائل أهل الاعتزال في ثلاث مقامات، أولاً: عدم المانع من الإيمان و الكفر، و ثانياً: أن العلم لا يوجب منعاً في العمل، الثالث: نقض تلکم الوجوه الخمسة. ذكرهن بإسهاب و تفصيل، نقتطف منها ما يلي:

قال: و أنا أذكر أقصی ما ذكره أصحاب الاعتزال بعونه تعالى و توفيقه. و ذكر وجوهاً خمسة، في المقام الأول؛ و خلاصتها: أن القرآن مملوء من الآيات الدالة على أنه لا مانع لأحد من الإيمان، قال تعالى: «وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ» (١)، و ما ذا عَلَيَّهِمْ لَوْ آمَنُوا (٢)، «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» (٣) قال الصحاب ابن عباد: كيف يأمر العبد بالإيمان و قد منعه عنه؟! و ينهيه عن الكفر و قد حملة عليه؟! و أيضاً فإنَّ الله تعالى قال: رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ (٤)، و قال: وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزَى (٥).

فلما بين تعالى أنه ما أبقى لهم عذراً إلّا و قد أزاله عنهم، فلو كان علمه بكفرهم و خبره عن كفرهم مانعاً لهم عن الإيمان، لكان ذلك من أعظم الأعذار، (١) الإسراء / ٩٤.

(٢) النساء / ٣٩.

(٣) الانشقاق / ٢٠.

(٤) النساء / ١٦٥.

(٥) طه / ١٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٠

كما أن الذم على الكفر و الجحود، هو خير دليل على اختياريته، و عدم وجود مانع قاهر عن الإيمان.

و ذكر في المقام الثاني وجوهاً عشرة على أن المعلوم لا ينقلب عما هو عليه بسبب العلم؛ لأن العلم إنما يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه، فإن كان ممكناً علمه ممكناً، و إن كان واجبا علمه واجبا، و لا شك أن الإيمان و الكفر كل واحد بالنظر إلى ذاته ممكن الوجود، فلو صار واجبا بسبب العلم، كان العلم مؤثراً في المعلوم، و هو باطل بالضرورة.

و أيضاً فإنَّ الله تعالى قال: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (١) و قال: مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (٢) و قال: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (٣) فكيف يكلف الله العبيد ما لا يطيقون؟! و في المقام الثالث، نقل عن القاضي عبد الجبار جواب المعتزلة عن الأشاعرة، و تخطئه انقلاب العلم جهلاً و الصدق كذباً. قال الكعبي و أبو الحسين البصرى: إن العلم تبع المعلوم، فإذا فرضت الواقع من العبد الإيمان عرفت أن الحاصل في الأزل لله تعالى هو العلم بالإيمان، و متى فرضت الواقع منه هو الكفر بدلا عن الإيمان عرفت أن الحاصل في الأزل هو العلم بالكفر بدلا عن الإيمان.

فهذا فرض علم بدلا عن علم آخر، لا أنه تغير العلم. قال الإمام الرازي: فهذا الجواب هو الذي اعتمده جمهور المعتزلة.

قلت: و قد عرفت قوة استدلالهم، و ضعف دلائل خصومهم، غير أن الإمام (١) البقرة / ٢٨٦.

(٢) الحج / ٧٨.

(٣) الأعراف / ١٥٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢١

الرازي ترك و هن تلك الوجوه و قوة هذه الدلائل بمعرض القارئ و مسمعه، ليحكم هو حسب ذهنيته الفطرية الحاكمة بأن العبد مختار في فعله. و الله تعالى لا يكلف بما لا يستطاع، الأمر الذي يجعل من دلائل أهل الاعتزال هي الكفة الراجحة، و هذا شيء فعله الإمام الرازي، عن حسن نية و عن عمد فعله - حسب الظاهر - إذ الظاهر أنه ليسى الظن بمذاهب أصحابه الأشعريين.

و مما يدل على ذلك، أنه لم يطعن في دلائل أهل الاعتزال، و ذكرها تامة وافية، كما هي عادته في كل أمر يعتقده صحيحاً.

ثم إنه بعد إيراد دلائل الطرفين، أورد شبهاته في المسألة و ذكر مقالات تشكيكية، و أسندها إلى أهل التشكيك، ممن فرضهم أهل العناد في مسائل الكلام.

قال: و اعلم أن هذا البحث صار منشأ لضلالات عظيمة، فمنها: أن منكرى التكليف و النبوات قالوا: قد سمعنا كلام أهل الجبر - يعنى بهم الأشاعرة - فوجدناه قويا قاطعا. و هذان الجوابان اللذان ذكرهما المعتزلة يجريان مجرى الخرافة، و لا يلتفت العاقل إليهما! و سمعنا كلام المعتزلة في أن مع الجبر يقبح التكليف، و الجواب الذى ذكره أهل الجبر ضعيف جدا، فصار مجموع الكلامين كلاما قويا فى نفي التكليف، و متى بطل ذلك بطل القول بالنبوات.

هكذا يلقي التشكيك، عند عرض الآراء، سواء المخالف أم المؤلف.

ثم يذكر مطاعن آخر و جهها الطاعنون فى القرآن و فى الإسلام، على أثر هذه المناظرة بين أهل الجبر و القدر، و يستنتج: أن الرجوع إلى العقلية يورث الكفر و الضلال، و لهذا قيل: من تعمق فى الكلام ترندق.

ثم يذهب فى تشكيكاته حيث يشاء، و يذكر فى أثنائها حكاية طريفة يرويها

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٢

عن ابن عمر، أن رجلا قام إليه فقال: يا أبا عبد الرحمن إن أقواما يعملون الكبائر و يقولون: كان ذلك فى علم الله فلم نجد بدا منه. فغضب و قال: سبحان الله، قد كان فى علمه أنهم يفعلونها، فلم يحملهم على الله على فعلها. حدثنى أبى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: مثل علم الله فيكم كمثل السماء التى أظلتكم، و الأرض التى أقلتكم. فكما لا تستطيعون الخروج من السماء و الأرض، فكذلك لا تستطيعون الخروج عن علم الله تعالى، و كما لا تحملكم السماء و الأرض على الذنوب، فكذلك لا يحملكم علم الله تعالى عليها.

و المقصود: أن علمه تعالى الأزلى محيط بأفعال العباد، و لكن من غير أن يكون علمه تعالى سببا و علمه فى إيجادها؛ لأن علمه تعالى السابق، تبع لعمل العبد اللاحق، فكيفما يعمل يعلمه تعالى من غير أن يكون هذا العلم مؤثرا فى إرادة العبد.

و هذا المعنى الواضح، لم يدركه مثل الإمام الرازى؟ و لعله تظاهر بعدم الفهم! قال تعقبا على هذه الحكاية: إن فى الأخبار التى يرويها الجبرية و القدرية كثرة، و الغرض من روايته هذا الحديث بيان أنه لا يليق بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم أن يقول مثل ذلك؛ لأنه متناقض و فاسد، أما المتناقض فلأن الصدر يدل على الجبر، و الذيل صريح فى القدر. و أما أنه فاسد فلأن العلم بعدم الإيمان و وجود الإيمان متنافيان، فالتكليف بالإيمان مع وجود العلم بعدمه تكليف بالجمع بين النفي و الإثبات «١».

قلت: و لعل إمامنا الرازى طاعن فى ضلاله القديم أو متظاهر بذلك.

و من ذلك أيضا، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: (١) راجع: التفسير الكبير، ج ٢، ص ٤٢-٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٣

قال أنظرني إلى يوم يُبعثون. قال إنك من المنظرين. قال فيما أعويتني لأفعدن لهم صراطك المستقيم «١».

قال: احتج أصحابنا بهذه الآية فى بيان أنه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد فى دينه و لا فى دنياه، و تقريره: أن إبليس استمهل الزمان الطويل فأمهله الله تعالى، ثم بين أنه إنما استمهل لإغواء الخلق و إضلالهم و إلقاء الوسوس فى قلوبهم، و كان تعالى عالما بأن أكثر الخلق يطيعونه و يقبلون وسوسته، كما قال تعالى: و لقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين «٢» فثبت بهذا أن إنظار إبليس و إمهاله هذه المدّة الطويلة يقتضى حصول المفساد العظيمة و الكفر الكبير، فلو كان تعالى مراعى لمصالح العباد لا تمتنع أن يمهل و أن يمكّن من هذه المفساد، فحيث أنظره و أمهله، علمنا أنه لا يجب عليه شيء من رعاية المصالح أصلا.

و مما يقوى ذلك أنه تعالى بعث الأنبياء دعاء إلى الخلق، و علم من حال إبليس أنه لا يدعو إلا إلى الكفر و الضلال، ثم إنه تعالى

أما الأنبياء الذين هم الدعاء للخلق، وأبقى إبليس و سائر الشياطين الذين هم الدعاء للخلق إلى الكفر والباطل، و من كان يريد مصالح العباد امتنع منه أن يفعل ذلك.

قالت المعتزلة: اختلف شيوخنا في هذه المسألة، فقال الجبائي: إنه لا يختلف الحال بسبب وجوده و عدمه، و لا يضلّ بقوله أحد إلا من لو فرضنا عدم إبليس لكان يضلّ أيضا. و الدليل عليه قوله تعالى: (١) الأعراف / ١٤ - ١٦.  
(٢) سبأ / ٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٤

ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ «١»؛ و لأنه لو ضلّ به أحد لكان بقاؤه مفسدة. و قال أبو هاشم: يجوز أن يضلّ به قوم، و يكون خلقه جاريا مجرى خلق زيادة الشهوة، فإنّ هذه الزيادة من الشهوة لا توجب فعل القبيح إلا أن الامتناع منها يصير أشقّ، و لأجل تلك الزيادة من المشقة تحصل الزيادة في الثواب، فكذا هنا بسبب إبقاء إبليس يصير الامتناع من القبائح أشدّ و أشقّ، و لكنه لا ينتهي إلى حد الإلجاء و الإكراه.

و أجاب الرازي: أن الشيطان لا بدّ أن يزيّن القبائح، و معلوم أن حال الإنسان مع هذا التزيّن لا يكون مساويا مع عدمه. فحصول هذا التزيّن يوجب الإقدام على القبائح، و هو إلقاء في المفسدة. و مسألة الزيادة في الشهوة حجة أخرى لنا في أن الله لا يراعى مصلحة العباد بسبب خلق تلك الزيادة في شهوة الإنسان، و حصول الزيادة في الثواب لا حاجة إليه؛ حيث دفع العقاب المؤيد من أعظم الحاجات، فلو كان إله العالم مراعيًا لمصالح العباد لاستحال أن يهمل الأكمل الأعظم؛ لطلب الزيادة التي لا حاجة إليها و لا ضرورة (٢).

انظر كيف فضح أصحابه بهذا النمط من البحث، و الخوض في مسألة تمسّ جانب حكمته تعالى، فينفى كونه تعالى حكيما لا يفعل إلا عن مصلحة، و المصلحة التي يراعيها الخالق تعالى إنما تعود إلى العباد أنفسهم؛ حيث في ذاته تعالى الغناء المطلق. كما أنه يتنافى و قاعدة اللطف الناشئة عن مقام حكمته تعالى، بفعل ما يقرب العباد إلى الطاعة، و يبعدهم عن المعصية. و هو أساس التشريع و بعث الأنبياء و إنزال الكتب، الأمر الذي يعترف به الإمام الرازي.

نعم لا شك أنه تعالى حكيم لا يفعل إلا عن مصلحة تعود إلى العباد أنفسهم؛ (١) الصفات / ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) التفسير الكبير، ج ١٤، ص ٣٩ - ٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٥

حيث إنه تعالى غنيّ بالذات.

قال تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ - إلى قوله - رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا «١».

فقد كان الله تعالى عزيزا لا يغالب على أمره، لكنه لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته، مراعيًا فيها مصلحة العباد. فقد كان في مصلحتهم بعث الرسل و الأنبياء و إنزال الشرائع، و كان في طبيعتهم اقتضاء ذلك. فقد أجاب طلبهم اتماما للحجة عليهم، فلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

و قد جاء في القرآن حوالى ثمانين موضعا، جاء التصريح فيها بأنه تعالى حكيم عليم، و حكيم خبير، و عزيز حكيم؛ مما ينبؤك عن علم و حكمته لا يفعل شيئا إلا عن إحاطة و قدرة و حكمته شاملة.

و أما مسألة خلق إبليس و إمهاله و تسليطه على إغواء الناس، فهذا أمر يعود إلى مصلحة النظام القائم في الخلق، لا شيء إلا و هو واقع بين قطبين: سلب و إيجاب، جذب و دفع؛ و بذلك استوى الوجود. فلو لا دوافع الشرور، لم يكن في الاندفاع نحو المطلوب الخير كثير فضل، بل لم يكن هنا اندفاع نحو الخير؛ حيث لا دافع إلى الشر.

فالإنسان واقع بين دوافع الخير و دوافع الشر على سواء، و هو مختار في الانجذاب إلى أيهما شاء، و يملك قدرته في الاختيار و عقله و إرادته التامة في اختيار الخير أو الشر. فإذا اختار الخير فعن إرادته و تحكيم عقله فكانت فضيلة، و إذا اختار الشر فعن إرادته و الاستسلام لهوى نفسه فكانت رذيلة. و لا فضيلة (١) النساء / ١٦٣ - ١٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٦

و لا رذيلة إلا إذا كانت هنا دوافع للخير و للشر معا، و كان الإنسان يملك إرادته في الاختيار.

أما الشيطان فلا سلطة له على الإنسان سوى دعوته و بعثه إلى فعل الشرور و ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي «١»، نعم كان كيد الشيطان ضعيفا «٢». و أن الله لهو القوى العزيز «٣» كَتَبَ اللَّهُ لِمَاعْلِينَ أَنَا وَ رُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ «٤»، إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا «٥».

و عند تفسير قوله تعالى: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ «٦».

نراه يبحث عن مسائل الإمامة على مذهب الشيعة الإمامية، و اشتراطهم العصمة في إمام المسلمين، و يذكر حججهم القاطعة في المسألة، ثم يجب عليها لا بتلك القوة و المتانة.

قال عند الكلام عن قوله تعالى: قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ: احتج الروافض بهذه الآية على القدرح في إمامة الشيخين؛ حيث كانا كافرين و كانا حال كفرهما ظالمين؛ لأن الشرك ظلم عظيم. فوجب أن يصدق عليهما في تلك الحالة:

أنهما لا ينالان عهد الإمامة البته، و أيضا فإنهما لعدم عصمتهما حال الإمامة، كانا غير صالحين لها. (١) إبراهيم / ٢٢.

(٢) قال تعالى: إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا، النساء / ٧٦.

(٣) قال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ - هود / ٦٦

(٤) المجادلة / ٢١.

(٥) غافر / ٥١.

(٦) البقرة / ١٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٧

ثم حاول الإجابة على ذلك من وجهين: أحدهما: أن الاستدلال مبتن على كون المشتق حقيقة فيمن انقضى عنه المبدأ، كما هو حقيقة فيمن تلبس. و ليس الأمر كذلك؛ لأن المشتق حقيقة فيمن تلبس باتفاق الأصوليين؛ و لا يصدق على من انقضى عنه المبدأ. و الثاني: أن المراد بالإمامة هنا هي النبوة، فمن كفر بالله طرفه عين فإنه لا يصلح للنبوة «١».

لكن استدلال الإمامية لا يتوقف على كون المشتق حقيقة في الأعم ممن تلبس أو انقضى عنه المبدأ، بل كما صرح هو أيضا: إنه في حال التلبس يتوجه الخطاب بعدم اللياقة. و النفي تأييد شمل الظالم و وصمه بوصمة العار: أنه غير صالح للإمامة أبدا. و من ثم فإن الكافر لا يصلح للنبوة حتى و لو تاب و آمن، و لا دليل عليه سوى شمول هذه الآية، حسبما صرح به الرازي نفسه. إذن فالآية صالحة لسلب الصلاحية أبدا عن كفر و أشرك بالله طرفه عين.

فمن كفر بالله و أشرك فقد ظلم ربه و ظلم نفسه، و الظالم مسلوب الصلاحية أبدا، حتى بعد توبته و إيمانه أيضا؛ إذ يتوجه إليه حينذاك - أي حين ظلمه -:

لا ينالك عهدي أيها الظالم الخائن لربه. و هو نفي تأييد مترتب على ظلم، صادر من المكلف. و هذا من خاصية الظلم؛ حيث يترتب عليه حكم عام، نظير السرقة يترتب عليها حكم القطع، فيجب إجراؤه سواء حال سرقة أم بعدها. نعم إذا تاب السارق قبل إمكان القبض عليه، فإنه يسقط حكم القطع، و لكنه بدليل خاص، و إلا كان الحكم ثابتا على عمومته.

و مسألتنا الحاضرة من هذا القبيل، أى من قبيل السرقة و الزنى و شرب الخمر، يثبت أحكامها بمجرد الصدور و صدق الموضوع خارجا، و يدوم حتى (١) التفسير الكبير، ج ٤، ص ٤٥ - ٥٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٨

الإجراء.

فقوله تعالى: الظالم لا يناله عهدى، نظير قوله: السارق تقطع يده، و الزانى يجلد، و الشارب يحدد، يجرى الحكم بعد انقضاء المبدأ، و لا يختص بحال التلبس.

و الإمامة - هنا - شىء وراء النبوة، و هو القدوة للناس، التى ليست سوى إمامة الأمة مطلقاً؛ لأن هذه الإمامة إنما جاءت إبراهيم، حال كونه نبياً، فهى رتبة الإمامة جاءت بعد النبوة، و من ثم فإنها تشمل الخلافة التى هى إمامة عامة.

و إذا كانت الإمامة بهذا المعنى لا تنال من كفر بالله طرفه عين، فلا يصلح للإمامة إلّا من كان معصوماً من الخطأ و الزلل.

و دليل آخر تمسك به الإمامية، أغفله الرازى، و هو: أن هذه الآية نفت صلاحية من كان يظلم نفسه، و لو بارتكاب الكبائر، غير الكفر و الشرك. فمن يحتمل فى شأنه ارتكاب المعصية - أى لم يكن معصوماً - لم يطمئن خروجه عن شمول الآية بنفى لياقة الإمامة.

و من ثم فإنه يشترط فى الإمام سواء النبى أم خليفته أن يكون معصوماً.

#### مباحث تافهة

و هناك تجد فى هذا التفسير الضخم الفخم بعض أبحاث تافهة، لا تمس مسائل الإنسان فى الحياة، و لا تفيده علما و لا عملا، تعرّض لها الإمام الرازى، و أظنه قد تفكّر بها، و لم يردها عن جدّ عقلاى، هذا فضلا عن تلك المجادلات العنيفة التى أضع بها كثيرا من صفحات تفسيره، و لقد كان الكف عنها أجدر.

من ذلك تفصيله الكلام حول مسألة تافهة للغاية، و هى: المسألة السادسة،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٢٩

فى أن السماء أفضل أم الأرض؟! و يأتى لتفضيل كل منهما بوجوه «١».

و هكذا عند تفسير قوله: «السماء بناء» يأتى فى المسألة الثانية بفضائل السماء من وجوه خمسة. ثم يأتى فى المسألة الثالثة بفضائل السماء، و بيان فضائل ما فيها من الشمس و القمر و النجوم، و يذكر لكل منها وجوها من فضائل «٢».

و بهكذا أمور لا طائل تحتها يسود كثيرا من صفحات تفسيره، الأمر الذى يدلّ على فراغ و جده كان يتمتع بهما مفسرنا الخبير.

و ربما يردّ المسائل، هى بالهزل أشبه منه إلى الجدّ مما لا يتناسب و مقام علميته الرفيعة.

مثلا: عند تفسير قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «٣» يحاول توجيه نزول القرآن فى شهر رمضان - ليلة القدر - نزوله الدفعى جملة إلى سماء الدنيا، ثم نزوله التدريجى إلى الأرض نجوماً. يقول: إنما جرت الحال على ذلك لما علمه الله من المصلحة،

فإنه لا يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة، أو كان فيه مصلحة للرسول عليه السلام فى توقع الوحى من أقرب الجهات، أو كان فيه مصلحة لجبرئيل؛ حيث كان هو المأمور بإنزاله و تأديته «٤». (١) حول الآية رقم (٢٠) من سورة البقرة،

التفسير الكبير، ج ٢، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) المصدر، ج ٢، ص ١٠٦ - ١٠٩.

(٣) البقرة / ١٨٥.

(٤) التفسير الكبير، ج ٥، ص ٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٠



## تفسير البيضاوى (أنوار التنزيل و أسرار التأويل)

المؤلف هو القاضى ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد بن على، البيضاوى الشافعى، نسبة إلى بيضاء، مدينة كانت مشهورة بفارس، بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ، ولى قضاء شيراز، و كان إماما بارزا نظارا خيرا كما قال السبكى توفى سنة (٦٨٥). له مصنفات جيدة أهمها هذا التفسير الذى اعتمد فيه على تفسير «الكشاف» للزمخشري.

و هو تفسير جيد لطيف، جمع فيه بين حسن العبارة و قوة البيان، و من ثم اعتمده كثير من المفسرين، كالمولى الفيض الكاشانى فى تفسيره الصافى، و له نظرات و آراء دقيقة فى حلّ معضلات الآيات، هو عند تفسير قوله تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ من سورة الحمد، ينوع الهداية إلى مراحل أربعة، مترتبة بعضها إثر بعض، فإنما يسأل العباد النيل إلى مراتب أعلى من هداية الله للعباد. و هذا تفسير طريف يوجه سؤال الهداية فى أمثال هذه الآية، ربما لم يسبقه إليه أحد من المفسرين.

يقال: إنه أشعرى المسلك، و من ثم إنه أخذ من تفسير الكشاف كثيرا، لكنه ترك ما فيه من اعتزال، و هذا غير صحيح؛ لأنه يذهب فى تفسيره مذهب أهل العدل و التنزيه، و من ثم نراه يؤول كثيرا من ظواهر آيات تنافى دليل العقل. مثلا- عند تفسير قوله تعالى الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ (١) وجدناه يقول: إلاً قياماً كقيام المصروع، و هو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخطب الإنسان فيصرع. ثم يفسر «المس» بالجنون، و يقول: و هذا أيضا من زعماتهم أن الجنى يمس الرجل فيختلط (١) البقرة/ ٢٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣١

عقله (١).

و هذا الذى مشى عليه موافق مع مذهب الاعتزال الذى مشى عليه الزمخشري من أن الجن لا تسلط لها على الإنسان، فيما عدا الوسوسة و الإغواء؛ حيث قوله تعالى حكاية عن إبليس فى مشهد القيامة: وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي (٢) و قوله تعالى: وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ (٣).

و هذا التفسير كما ذكرنا مختصر من تفسير «الكشاف» للزمخشري و قد استمد أيضا من «التفسير الكبير» للإمام الرازى، و من «تفسير الراغب» الأصفهاني، و ضم إلى ذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة و التابعين، لكنه أعمل فيه عقله، فضمنه نكتا بارعة، و لطائف رائعة، و استنباطات دقيقة، كل هذا فى أسلوب رائع موجز، و عبارة تدق أحيانا و تخفى إلاً على ذى بصيرة ثاقبة، و فطنة نيرة. و هو يهتم أحيانا بذكر القراءات، و ربما ذكر الشواذ أيضا، كما أنه يعرض للصناعة النحوية، و لكن بدون توسع و استفاضة، كما أنه يتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع منه فى ذلك.

و مما يمتاز به البيضاوى فى تفسيره أنه مقلّ جدا من ذكر الروايات الإسرائيلية، و هو يصدر الرواية بقوله: روى أو قيل، إشعارا منه بضعفها.

ثم إنه إذا عرض للآيات الكونية، فإنه لا يتركها بدون أن يخوض فى مباحث (١) البيضاوى، ج ١، ص ٢٦٧.

(٢) إبراهيم/ ٢٢.

(٣) سبأ/ ٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٢

الكون الطبيعية، و لعل هذه الظاهرة سرت إليه عن طريق «التفسير الكبير» للإمام الرازى.

و إليك من نصّ عبارته الشارحة لمنهجه فى التفسير، و المبيّنة للمصادر التى اعتمدها أو اختصرها فى تفسيره، قال فى مقدّمه تفسيره: «و لطالما أحدثت نفسى بأن أصنّف فى هذا الفنّ - أى التفسير - كتابا يحتوى على صفوة ما بلغنى من عظماء الصحابة، و علماء التابعين،

و من دونهم من السلف الصالحين. و ينطوى على نكات بارعة و لطائف رائعة، استنبطتها أنا و من قبلى من أفاضل المتأخرين، و أمثال المحققين، و يعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزّية إلى الأئمة الثمانية المشهورين، و الشواذ المروية عن القراء المعتمدين». و يقول فى خاتمة الكتاب ما نصه: «و قد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنظوى على فرائد فوائد ذوى الألباب، المشتتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة، و صفوة آراء أعلام الأئمة، فى تفسير القرآن و تحقيق معانيه، و الكشف عن عويصات ألفاظه و معجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالى عن الإخلال، و التلخيص العارى عن الإضلال...».

يقول عنه صاحب كشف الظنون: «و تفسيره هذا كتاب عظيم الشأن، غنى عن البيان، لخص فيه من «الكشاف». ما يتعلق بالإعراب و المعانى و البيان، و من «التفسير الكبير» ما يتعلق بالحكمة و الكلام، و من «تفسير الراغب» ما يتعلق بالاشتقاق و غوامض الحقائق و لطائف الإشارات. و ضم إليه ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة، فجلا رين الشك عن الصريرة، و زاد فى العلم بسطة التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٣

و بصيرة...» (١).

غير أننا نجد البيضاوى قد وقع فيما وقع فيه «الكشاف» و غيره من المفسرين، من ذكرهم فى نهاية كل سورة حديثاً أو أحاديث فى فضلها و فضل قارئها، و قد عرفنا قيمة هذه الأحاديث، و إنها موضوعاً باتفاق أهل الحديث. و لسنا نعرف كيف اغتر بها أمثال البيضاوى فرواها، و تابع الزمخشري و أمثاله فى ذكرها، مع ما لهم من مكانة علمية و حصانة عقل و دراية.

و قد اعتذر عنه صاحب كشف الظنون بقوله: «و أما أكثر الأحاديث التى أوردتها فى أواخر السور، فإنه لكونه ممن صفت مرآة قلبه، و تعرض لنفحات ربه، تسامح فيه، و أعرض عن أسباب التجريح و التعديل، و نحا نحو الترغيب و التأويل، عالماً بأنها مما فاه صاحبه بزور و دلى بغرور...» (٢). لكنه اعتذار غير عاذر.

ثم إن هذا الكتاب رزق بحسن القبول عند الجمهور، فعكفوا عليه بالدرس و التحشية، فمنهم من علق تعليقه على سورة منه، و منهم من حشى تحشية تامة، و منهم من كتب على بعض مواضع منه.

### تفسير النسفى (مدارك التنزيل و حقائق التأويل)

تأليف أبى البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى، نسبة إلى «نسف» من بلاد ماوراء النهر (٣). كان إمام زمانه، رأساً فى الفقه على المذهب الحنفى، بارعاً (١) كشف الظنون لحاجى خليفة، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) المصدر، ص ١٨٨.

(٣) نسف معرب «نخش» ببلاد السند، بين جيحون و سمرقند.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٤

فى الحديث و التفسير، و له تصانيف فى الفقه و الأصول، و منها هذا التفسير الذى اختصره من «تفسير البيضاوى» و من «الكشاف» للزمخشري، جمع فيه من وجوه الإعراب و القراءات، و ضمّنه ما اشتمل عليه «الكشاف» من النكت البلاغية و المحسنات البديعية، و أورد فيه ما أورده الزمخشري من الأسئلة و الأجوبة، لكن لا صريحاً بل مدرجاً ضمن شرحه للآية. توفى سنة (٧٠١ هـ ق)، و دفن بأيدج-وزان أحمد معرب «أيدج»- بلدة بين أهواز و أصفهان، من محافظة خوزستان.

و هناك تفسير آخر بهذا الاسم، لأبى حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفى الحنفى أيضاً، توفى سنة (٥٣٨ هـ ق) و قد طبع هذا التفسير أيضاً فى مجلدين. و له ترجمة للقرآن بالفارسية، طبعت سنة (١٣٥٣ ش) بتصحيح الدكتور عبد الله الجوينى. و النسفيون كثيرون، غير أن المعروف منهم هما هذان المفسران.

## تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

لأبي السعود محمد بن محمد بن المصطفى العمادى، توفى سنة (٩٨٢). كان من العلماء الترك و لازم السلطان سليمان القانوني، و تقلد القضاء، و أنيط إليه الافتاء سنة (٩٥٢). كان حاضر الذهن، سريع البديهة، يكتب باللغات العربية و الفارسية و التركية، و قد مكنت له معرفته بهذه اللغات الاطلاع على الكثير من المؤلفات.

كان منهوما بتدريس «الكشاف» و «البيضاوى» معجبا بهما، و من ثم وضع

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٥

تفسيره على منوالهما، فجاء صورة أخرى عنهما مع تغييرات يسيرة. و مع ذلك فهو من أجود التفاسير المشتملة على النكات الأدبية و الدقائق البلاغية، فكان غاية في حسن الصوغ و جمال التعبير، و من ثم ذاعت شهرته بين أهل العلم، و شهد له كثير من العلماء بأنه من خير التفاسير.

و المطالع في تفسيره هذا يجده لا بالطويل الممل، و لا بالقصير المحلل، و سطا مشتملا على لطائف و نكات، و فوائد و إشارات. و من مميزات هذا التفسير إقلاله من القصص الإسرائيلية، و إن ذكر منها شيئا فإنه يذكره مضجعا له أو منكرا، و مبينا منشأ بطلانه و ذلك كما صنع في قصة هاروت و ماروت؛ حيث فند ما جاء حولها من أساطير إسرائيلية، و لهذا نراه قد صنف فيها رسالة خاصة و بين فيها جهات ضعفها. و مع ذلك نجده لم يخل من قصص إسرائيلية، كما نجده في قصة داود و أوريا، و الخرافات التي حيكت حولها، و قد زعم المؤلف: أن ذلك كان جائزا في شريعة داود «١». هكذا يبزر من غير تبرير. و هو أشعرى في مسلكه، و يفسر الآيات في ضوء ذاك المذهب البائد.

## تفسير الألوسى (روح المعانى)

للسيد محمود أفندى الألوسى البغدادي المتوفى سنة (١٢٧٠). كان شيخ علماء الأحناف ببغداد، جمع بين المعقول و المنقول، حسبما أوتى من حظ عظيم في التوسع و التنوع. كان عالما بمبادئ الأصول و الفروع، محدثا و مفسرا خبيرا. و كان ذا حافظه غريبة، كان لا يحفظ شيئا إلّا و قد حضره. كان يقول: ما استودعت ذهني شيئا فخانني. تقلد إفتاء الحنفية سنة (١٢٤٢)، و تولّى أوقاف مدرسة (١) راجع: القصة في تفسير أبي السعود، ج ٧، ص ٢٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٦

المرجانية ببغداد. و في سنة (١٢٦٣) انفصل عن منصب الإفتاء و بقى مشغولا بتفسير القرآن، حتى أتمه، و سافر به إلى القسطنطينية، ليعرض تفسيره على السلطان عبد المجيد خان، لينال إعجابه و رضاه.

و تفسيره هذا جامع لآراء السلف و أقوال الخلف، مشتملا على مقتطفات كثيرة من تفاسير من تقدمه، كتفسير ابن عطية، و تفسير أبي حيان، و تفسير الكشاف، و أبي السعود، و ابن كثير، و البيضاوى، و الأكثر من الفخر الرازى.

و ربما نقد المنقول من هذا التفسير، و لكن قليلا.

و هو في تفسيره يتعصب للمذهب السلفى أصولا و فروعاً، باد عليه تعصبه، و لذلك نراه لم يراع أدب الكتابة في كثير من الأحيان. مثلا عند تفسيره لقوله تعالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ «١». يقول بعد كلام طويل و لججاج عنيف: و إضافته - أى الطغيان - إليهم؛ لأنه فعلهم الصادر منهم، بقدرهم المؤثرة بإذن الله تعالى، فالاختصاص المشعرة به الإضافة، إنما هو بهذا الاعتبار، لا باعتبار المحلية و الأنصاف، فإنه معلوم لا حاجة فيه إلى الإضافة، و لا باعتبار الإيجاد استقلالاً من غير توقّف على إذن الفعل لما يريد، فإنه اعتبار عليه غبار، بل غبار ليس له اعتبار.

فلا تهولنك جعجعة الزمخشري و قعقعتة «٢».

و هو تفسير فيه تفصيل و تطويل، و أحيانا بلا طائل. إنه يستطرد إلى الكلام في الصناعة النحويّة، و يتوسّع في ذلك ربّما إلى حدّ يكاد يخرج به عن وصف (١) البقرة/ ١٥.

(٢) روح المعاني، ج ١، ص ١٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٧

كونه مفسرا. قال الذهبي: و لا أحيلك على نقطة بعينها، فإنه لا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك «١».

و هكذا يستطرد في المسائل الفقهية مستوعبا آراء الفقهاء و مناقشاتهم بما يخرج عن كونه كتاب تفسير إلى كتاب فقه. أمّا المسائل الكلامية فحديثه عنها مسهب مملّ لا يكاد يخرج من التعصب في الغالب.

كما لم يفته أن يتكلّم عن التفسير الإشاري، بعد الفراغ عن الكلام في تفسير الظاهر من الآيات، و هو في ذلك يعتمد التفسير النيسابوري و القشيري و ابن العربي و أضرابهم، و ربّما يتيه في وادي الخيال.

و جملة القول فهذا التفسير موسوعة تفسيرية مطوّلة تطويلا يكاد يخرج عن مهمته التفسيرية في كثير من الأحيان. فتفسير الآلوسي هذا هو أوسع تفسير ظهر بعد الرازي على الطريقة القديمة، بل هو نسخة ثانية من تفسير الرازي مع بعض التغيير- ليس بالمهم- إذ كل من قرأ تفسير الآلوسي يجده معتمدا تفسير الرازي كل الاعتماد، و كان مصدره الأول من مصادر في التفسير، كما قال الأستاذ عبد الحميد «٢».

### تفسير البلاغي (آلاء الرحمن)

للإمام المجاهد و العلّامة الناقد الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي. ولد سنة (١٢٨٢) و توفّي سنة (١٣٥٢ هـ). كان- رحمه الله- قد قضى حياته الكريمة في (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٥٨.

(٢) الرازي مفسرا لعبد الحميد، ص ١٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٨

النضال و الدفاع عن حامية الإسلام، قلما و قدما «١». و له في كلا المجالين مواقف مشهودة. و مصنفاته في الدفاع عن حريم الإسلام معروفة. منها: «الرحلة المدرسية»، في ثلاثة أجزاء، حاول فيها الرد على شبه المسيحيين ضدّ الإسلام. و منها: «الهدى إلى دين المصطفى»، دافع فيه عن كرامة القرآن العتيدة في جزئين كبيرين. و غيرهما من كتب و رسائل عنيت بأهمّ المسائل الإسلامية العريقة. و هذا التفسير من أفضلها؛ حيث كان من آخر تأليفه، فكان أدقّها و أمتنها.

سوى أنه من المؤسف جدّا إذ لم يمهل الأجل، فقضى نحبه عند بلوغه لتفسير قوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا «٢». فأكمل تفسير الآية و لحق بجوار ربّه الكريم ليوفيه أجره حسبما وعد في الآية، و الكريم إذا وعد وفى.

و كان شيخنا العلامة البلاغي عارفا باللغات العبرية و الإنجليزية و الفارسية الى لغته العربية. مجيدا فيها، مما ساعده على مراجعته أهمّ المصادر للتحقيق عن (١) شارك في حركة العراق الاستقلالية ضدّ الإنجليز، في ثورة (١٩٢٠ م) الدامية.

(٢) الآية رقم ٥٧ من سورة النساء.

لكن هنا للأستاذ الذهبي إساءة تعبير بشأن هذا المفسر الجليل، ينبؤك عن خبث طويّة.

يقول في صفافته: «و ينتهي تفسير البلاغي عند قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا... (التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤).

و لعلّ القضاء صبّ عليه البلاء (عام ١٩٧٧ م) حيث هلكه في شرّ قتلته مغبّة تجاسره على أمثال هذا العبد الصالح الذي قضى حياته في الدفاع عن حريم الإسلام. لكن شيخنا البلاغي عمل عمله لله، فكان مصداقا لقوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (الحجر / ٢٩٤).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٣٩

مبادئ الأديان القديمة، و الوقوف على مبانيها. فكانت تأليفه في هكذا مجالات ذوات إسناد متين و أساس ركين. و تفسيره هذا هادف إلى بيان حقائق كلامه تعالى و إبداء رسالة القرآن، في أسلوب سهل متين، يجمع بين الإيجاز و الإيفاء، و الإحاطة بأطراف الكلام، بما لا يدع لشبه المعاندين مجالاً، و لا لتشكيك المخالفين مسرباً. هذا إلى جنب أدبه البارِع و معرفته بمباني الفقه و الفلسفة و الكلام و التاريخ، و لا سيّما تاريخ الأديان و أعراف الأمم الماضية، و التي حلّ بها كثيراً من مشاكل أهل التفسير. و من ثمّ كان منهجه في التفسير ذا طابع أدبي كلامي بارِع، فرحمه الله عليه من مجاهد مناضل في سبيل الإسلام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٠

## التفسير في العصر الحديث

### إشارة

لم يترك الأقدمون لمن تأخّر عنهم كبير جهد في تفسير كتاب الله، و الكشف عن معانيه و مرامييه، فقد تناولوه من أول أمرهم بدراسته التفسيرية التحليلية دراسة توسّعت و اطّردت مع الزمن على تدرّج ملحوظ، و تلوّن بألوان مختلفة حسبما عرفت. و لا شك أنّ كلّ ما يتعلّق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفّاه هؤلاء المفسرون القدامى حقّه من البحث و التحقيق، فالنواحي اللغوية و البلاغية و الأدبية و النحوية، و حتى الفقهية و الكلامية و الكونية الفلسفية، كل هذه النواحي و غيرها تناولوها بتوسّع ظاهر ملموس، لم يتركوا لمن جاء بعدهم إلى ما قبل عصرنا بقليل من عمل جديد أو أثر مبتكر يقومون به في تفاسيرهم التي دوّنوها، سوى أعمال ضئيلة لا يعدو أن يكون جمعاً لأقوال المتقدمين، أو شرحاً لغامض آرائهم، أو نقداً أو تفنيدياً لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحاً لرأى على رأى؛ مما جعل التفسير يقف وقفه طويلاً مليئاً بالركود، خالية من التجديد و الابتكار.

و لقد ظلّ الأمر على هذا، و بقي التفسير واقفاً عند هذه المرحلة - مرحلة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤١

الركود و الجمود - لا يتعداها، و لا يحاول التخلّص منها. حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، فالتجّهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرّروا من قيد هذا الركود، و يتخلّصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب الله نظرة فاحصة من جديد و إن كان لها اعتماد كبير على ما دوّنه الأوائل في التفسير أثّرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيراً ملموساً، و غيرت من اتجاهاته القديمة، و ألبسته ثوباً جديداً لا ينكر؛ إذ عملت في التخلّص من كل الاستطرادات التي حشرت في التفسير حشراً و مزجت به على غير ضرورة لازمة، و ثابتت على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلية التي كادت تذهب بجمال القرآن و جلاله، و تمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أو على أصحابه و الأئمة من بعده عليهم السلام و إلباس التفسير ثوباً أدبياً اجتماعياً، في صياغة جديدة أظهرت روعة القرآن و جمال بهائه، كما كشفت عن كثير من مرامييه الدقيقة و أهدافه السامية، في تعرفه الإنسان و الحياة و السياسة و الاجتماع، و هكذا حاولت التوفيق بجهد بين، بين ظواهر القرآن و ما جدّد من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموقفين في الغلوّ و الاعتدال. كل ذلك من أجل أن يعرف المسلمون و من ورائهم الناس جميعاً أنّ القرآن هو الكتاب الخالد، الذي يتمسّى مع الزمان في جميع أطواره و مراحلها. و لقد أجادوا و أفادوا في هذا المجال، و لكنهم توسّعوا في ذلك، و ربّما بلغ بعضهم حدّ الإفراط و الغلوّ، بما أخرجهم عن حدّ الاعتدال.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٢

## ألوان التفسير في العصر الحديث

### إشارة

كان الجرى مع الزمن في التفسير استدعى تنوعه مع تنوع متطلبات العصر و متقلباته، بما نستطيع أن نجمل القول في ألوان التفسير في العصر الحديث في الألوان الأربعة التالية، و هي أهمها:

أولاً: اللون العلمي: و هو أول الألوان التي ظهرت إلى الوجود، متأثراً بمكتشفات العصر الحديث.

ثانياً: اللون الأدبي الاجتماعي: و هو ثاني الألوان، المتأثر بالأدب المعاصر، و المظاهر الاجتماعية الحاضرة.

ثالثاً: اللون السياسي: و قد ظهر هذا اللون على أثر التشعبات الحزبية السياسية الحديثة في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: اللون العقلي: فقد رافقت الألوان المتقدمة هذا اللون من التفسير العقلي، الذي كان فيه بعض المحاولات لتأويل آيات، كانت بظاهرها متنافية مع مظاهر العلم أو العقيدة الإلحادية، التي أورتها النهضة الصناعية العلمية، منذ القرن التاسع عشر للميلاد.

و إليك بعض الكلام عن اللونين العلمي و الأدبي الاجتماعي، فقد ازدهر العصر الحديث بهما، نتيجة الوعي الديني الذي ساد أكثر أبناء هذا العصر. أما اللونان الآخريان: السياسي و العقلي، فهما حصيلة أفكار سياسية متطرفة و أخرى إلحادية كافرة، سيطرت على نفوس ضعيفة، أو تشكّلات حزبية منحرفة، و لم تكن لهم تفاسير شاملة، سوى بضع آيات التقطوها، كانت من المتشابهات، و من ثم اتبعوها ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويلها. فهي تفاسير مقطوعة الدابر منبوذة لا يعتد بها، فلم نعتمدها و لا كان لها شأن.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٣

## ١- اللون العلمي

### إشارة

إن هذا اللون من التفسير الذي يرمى إلى جعل القرآن مشتملاً على إشارات عابرة إلى كثير من أسرار الطبيعة، التي كشف عنها العلم الحديث، و لا تزال على مسرح الاكتشاف قد استشرى أمره في العصر الأخير، و راج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية و شغف بالعلوم، إلى جنب عنايتهم بالقرآن الكريم. و كان من أثر هذه النزعة التفسيرية الخاصة، التي تسلطت على قلوب أصحابها، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيراً من الكتب و الرسائل التي يحاول أصحابها فيها أن يحملوا القرآن كثيراً من علوم الأرض و السماء، و أن يجعلوه دالاً عليها بطريق التصريح أو التلميح، اعتقاداً منهم أن هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه، و إعجازه، و صلاحيته للبقاء.

## أهم الكتب التي عنت بهذا اللون

من أهم هذه الكتب التي ظهرت فيها هذه النزعة التفسيرية، كتاب «كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية، و الأرضية، و الحيوانات، و النباتات، و الجواهر المعدنية» تأليف الطيب الفاضل محمد بن أحمد الإسكندراني، أحد رجال القرن الثالث عشر الهجري، برع في الطب الروحاني و الجسماني، و كانت له علاقة شديدة في دفع شبهات الأجانب التي كانت تثار ضد الدين، و كان له إلمام بالعلوم الحديثة التي كانت معروفة على عهده، من طب و صناعة، و العلوم الطبيعية و الكيمياء، و طبقات الأرض و الحيوان و النبات.

و من ثم حاول إثبات أن لا منافاة بين الدين و العلم، بل أن أحدهما يكمل الآخر و يؤيده. توفي سنة (١٣٠٦ هـ).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٤

و كتابه هذا من أوليات الكتب التي ظهرت في هذا الشأن، و هو كتاب كبير الحجم، يقع في ثلاث مجلدات، لكن من غير أن يستوعب جميع آي القرآن، سوى ما يتعلق بموضوع دراسته الخاصة. بحث في الجزء الأول عن الحياة و خلق الأحياء في الأرض، و في الجزء الثاني، عن الأجرام السماوية و عن مظاهر الكون في الأرض و السماء، و في الجزء الثالث، عن أسرار النباتات و المعادن، و ما إلى ذلك.

و قد ذكر الإسكندراني في هذا الكتاب أن القرآن يحتوي على علوم جمّة، على ما جدّ من نظرات علمية تؤيد إعجاز القرآن، و يثبت أن عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة حقائق الكون، و خلق الحيوان، و أسرار النباتات و المعادن. و أبان في المقدمة غرضه من هذا التأليف، قائلا:

«و كنت منذ زالت عني توائم الطفولية، و نيطت بي عمائم الرجولية، ممن شغف بتعلم الطب ليالي و أياما، أنهمك في دراسته على قدر الطاقة سنين و أعواما، ثم أقمت بدمشق الشام معنيا بمداواة أهلها الأماثل الأعلام، إلى أن اجتمعت في محفل سنة (١٢٩٠ هـ) كان حافلا ببعض الأطباء المسيحيين، فشرعوا يتحدثون في كيفية تكوّن الأحجار الفحمية، و في أنها هل أشير إليها في التوراة و الإنجيل أم لا؟ فلم يحصلوا على شيء، لا- صريحا و لا- إشارة، ثم وجّهوا إليّ السؤال عن القرآن الكريم هل فيه إشارة إلى ذلك؟ فتصدّرت للجواب و تطلّقت في التفهيم و الخطاب، قدر طاقتي و وسعي، و تتبعت كلام كثير من العلماء، و تفرّدت في طلبه من كتب التفسير و الطب، مع زيادة الاجتهاد».

و هو كتاب لطيف في بابه، طريف في أسلوبه، اعتمد فيه آراء القدماء و المحدثين، و جدّ في ذلك حسب إمكانه، و أفاد، جزاه الله خيرا.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٥

و هناك مختصرات في هذا الشأن كثيرة جرت على نفس المنوال، فهناك الأطباء و المهندسون و علماء اختصاصيون كانت لهم عناية بالدين و بالقرآن الكريم، حاول كلّ حسب وسعه و حسب طاقته العلمية، في الإبانة عن وجه إعجاز القرآن، من ناحية اختصاصه. و الكتب و الرسائل من هذا القبيل كثيرة و منبّهة، ربّما تفوق الحصر، و لا تزال تزداد حسب أطراد الزمان «١».

و في العلماء الدينيين أيضا كثير ممن قام بهذا الأمر، و كتب في جوانب علمية من القرآن الكريم، أمثال العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني المتوفى سنة (١٣٨٦ هـ) قام بتأليف رسالته يقارن فيها بعض مسائل الهيئة و الفلكيات حسب إشارات جاءت في الشريعة و في نصوص القرآن الكريم. طبعت طبعتها الأولى في بغداد سنة (١٣٢٨ هـ) و ترجمت عدة ترجمات منها بالفارسية، مما يدل على إعجاب العلماء بهذا الكتاب.

و رسالة الأستاذ عبد الله باشا فكرى في مقارنته بعض مباحث الهيئة. طبعت بالقاهرة سنة (١٣١٥ هـ).

و رسالة السيد عبد الله الكواكبي، و هي عبارة عن مجموعة مقالات له، نشرها في بعض الصحف عند ما زار مصر سنة (١٣١٨ هـ) ثم جمعت ضمن كتاب باسم «طبايع الاستبداد و مصارع الاستعباد».

و رسالة إعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي، عقد فيه بحثا عن (١) لدى رسالتان قيمتان فيما يخص مسائل الطب و القرآن الكريم، إحداهما: «القرآن و الطب الحديث» تأليف صديقنا الفاضل الدكتور صادق عبد الرضا علي، طبعت في بيروت. و الأخرى: «مع الطب في القرآن الكريم» تأليف الدكتورين عبد الحميد دياب و أحمد قرقوز، طبعت في دمشق. رسالته أعدت لنيل إجازة دكتورا في الطب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٦

القرآن و العلوم.

و رساله الأستاذ رشيد رشدي العابري، مدرس الجغرافية في ثانوية التفويض ببغداد، قام بنشرها سنة (١٩٥١ م).

و رسائل من هذا القبيل مبنوثة فوق حد الإحصاء.

هذا، و أكثر علماء العصر الحديث نزعة إلى التفسير العلمي، و أكبرهم انتاجا هو الشيخ طنطاوي جوهرى، فإنه أكثر من جمع في هذا المجال و أطال في تفسيره «الجواهر» و ربما أسهب بما يخرج عن طور التفسير أحيانا. يقع في خمسة و عشرين جزءا، و ألحقه بجزء آخر هو المتمم للجزء السادس و العشرين. و إليك بعض الكلام عن هذا التفسير العجيب.

### الجواهر في تفسير القرآن للطنطاوي

هو الشيخ طنطاوي بن جوهرى المصرى، توفى سنة (١٣٥٨ هـ). و تفسيره هذا يعتبر أطول و أول من فسر القرآن الكريم فى ضوء العلم الحديث، و من قبله محمد أحمد الإسكندراني، و لكنه بصورة غير شاملة، و كذلك جاء بعده مفسرا للقرآن بطريقة علمية حديثة محمد عبد المنعم الجمال فى صورة أوجز، حسبما يأتى.

و يرى الشيخ الجوهرى أن معجزات القرآن العلميّة لا زالت تنكشف يوما بعد يوم، كلما تقدّمت العلوم و الاكتشافات، و أن كثيرا من كنوز القرآن العلميّة ما زالت مذكورة، يكشف عنها العلم شيئا فشيئا على مرّ العصور.

و الشيخ الجوهرى كان منذ صباه مولعا بهكذا كشاف علمية ديتية، مغرما بالعجائب الكونية، و معجبا بالبدائع الطبيعية، مشوقا إلى ما فى السماء و الأرض من جمال و كمال و بهاء كمال يقول هو عن نفسه قال فى مقدّمة تفسيره:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٧

«لما تأملت الأمة الإسلامية، و تعاليمها الدينية، ألفت أكثر العقلاء و بعض أجلة العلماء، عن تلك المعانى معرضين، و عن التفرّج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكّر فى خلق العوالم و ما أودع فيها من الغرائب. فأخذت أولّف كتابا لذلك شتى، كنظام العالم و الأمم، و جواهر العلوم، و التاج المرصع، و جمال العالم ... و مزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، و جعلت آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع ...» (١).

لكنه وجد أن هذه الكتب رغم كثرتها و انتشارها و ترجمتها إلى اللغات الأخرى كالأوردية و القازانية الروسية لم تشف غليله، فتوجه إلى الله أن يوفقه إلى تفسير القرآن تفسيرا ينطوى على كل ما وصل إليه البشر من علوم، فوفقه الله لتحرير هذا التفسير الجليل.

و مفسرنا هذا يقرّر فى تفسيره أن فى القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة و خمسين (٧٥٠) آية، فى حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة و خمسين (١٥٠) آية (٢).

و نجده كثيرا ما يهيب بالمسلمين أن يتأملوا فى آيات القرآن التى ترشد إلى علوم الكون، و يحثهم على العمل بما فيها، و يندد بمن يغفل هذه الآيات على كثرتها، و ينعى على من أغفلها من السابقين الأولين.

### منهج المؤلف فى التفسير

إنه يذكر الآيات فيفسرّها أولا لفظيا مختصرا، لا يكاد يخرج بذلك عمّا فى كتب التفسير المألوفة، لكنّه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذى يسمّيه تفسيرا (١) الجواهر فى تفسير القرآن، ج ١، ص ٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٨

لفظيا و يدخل فى أبحاث علمية مستفيضة، يسمّيها لطائف أو جواهر. هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة آراء علماء الشرق، و الغرب فى العصر الحديث، ليبيّن للمسلمين و غيرهم أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث، و نبه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها



هؤلاء العلماء. و نجده يضع لنا في تفسيره كثيرا من صور النباتات، و الحيوانات، و مناظر الطبيعة، و تجارب العلوم، بقصد أن يوضح للقارئ ما يقول، توضيحا، يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس، و لقد أفرط في ذلك، و جاز حدّ المجاز. و مما يؤخذ عليه: أنه قد يشرح بعض الحقائق الدينيّة بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته، أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم، و هو حين ينقلها يبدى رضاه عنها و تصديقه بها، في حين أنها تخالف في ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيون الأشاعرة «١». و هكذا نراه قد يستخرج كثيرا من علوم القرآن بواسطة حساب الجمل، الذي لا نكاد نصدّق بأنه يوصل إلى حقيقة ثابتة. قال الذهبي: و إنما هي عدوى تسربت من اليهود إلى المسلمين، فتسلّطت على عقول الكثير منهم. هذا، و إنّنا نجد المؤلف يفسّر آيات القرآن تفسيراً يقوم على نظريات علميّة حديثه، غير مستقرّة في ذاتها، و لم تمض فترة التثبيت منها، و هذا ضرب من التكلّف ارتكبه المؤلّف، إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحيانا، فلا أقلّ من أن يذهب بروائه و بهائه. (١) الأمر الذي جعل الحكومة السعودية أن أصدرت الأمر بمصادرة الكتاب، و عدم السماح بدخوله إلى الحجاز. يجد القارئ ذلك في نص الكتاب المرسل من المؤلف إلى الملك عبد العزيز آل سعود في الجزء ٢٥، ص ٢٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٤٩

و تكفيك مراجعة عبري إلى هذا التفسير لكي تعرف مغزى هذا النقد الخطير، و قد أتى الذهبي بنماذج من هذا النمط العليل، و استنتج أخيرا: أنّ الكتاب في ذاته موسوعة علمية، ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر، مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الإمام الرازي؛ إذ قيل عنه: «فيه كل شيء إلّا التفسير» بل هو أحقّ من تفسير الرازي بهذا الوصف و أولى به. و إن دلّ الكتاب على شيء، فهو أنّ المؤلف إنّما يحلّق في أجواء خياله، و يسبح حسب زعمه في ملكوت السماوات و الأرض، و يطوف في نواح شتى من العلم بفكره و عقله، ليحلّي للناس آيات الله في الآفاق و الأنفس، و ليظهر لهم أنّ القرآن قد جاء بكل ما جاء به الإنسان من علوم و نظريات، تحقيقا لقوله تعالى: ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ «١». و لكن هذا خروج بالقرآن عن قصده، و انحراف به عن هدفه، و لعله إطاحة بشأنه في كير من الأحيان، و يبدو من خلال التفسير أنّه لاقى الكثير من لوم العلماء على مسلكه هذا الذي سلّكه في تفسيره، و لم تلق هذه النزعة التفسيرية قبولا لدى كثير من المثقّفين.

### التفسير الفريد

و يتلو تفسير الجواهر، تفسير علمي آخر أوجز منه، هو «التفسير الفريد» تأليف العالم الفقيه محمد عبد المنعم الجمال. تفسير تحليلي موجز، شامل لجميع آيات القرآن، اهتم مؤلفه بالتوفيق بين الدين و العلم، و أن يفسّر القرآن على ضوء العلم الحديث، مسترشدا في ذلك بأبحاث من العلماء و المفسرين، من دون بسط و استطراد. يقول في المقدمة: (١) الأنعام/ ٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٠

«في سنة ١٩٤٩ م) اجتمعت في مدينة لندرة ببعض الإنجليز، الذين أسلموا حديثا، و كانوا يلحّون عليّ في أن أوافيهم ببعض التفاسير القرآنية، فاضطرت إلى اقتناء بعض الكتب التي اهتمت بترجمه و تفسير الآيات القرآنية. و قد لاحظت على كثير منها. أنها لا تستجلى معاني القرآن، أو لا تستوعب النواحي العلميّة. فسألت الله أن يوفّقني إلى تفسير كتابه على ضوء العلم الحديث».

ثم يبيّن معيار التوفيق بين الدين و العلم، و حدوده قائلا:

«و لا مشاحه في أنّ العلوم مهما تقدّمت فهي عرضة للزلل، فينبغي أن لا يطبّق على آياته الكريمة إلّا ما يكون قد ثبت منها قطعيا، و كلّ نظريّة علميّة تختلف مع آية من آي الذكر الحكيم، لا بدّ أنّها لم تصل بعد إلى سبر غور الحقيقة، فلا زالت معجزات القرآن الكريم يكشفها العلم، و لا زالت العلوم كلما تقدمت تجلو الغشاوات التي تحجب النور عن عيون الغافلين».

هذا و قد سلّك المؤلف في تفسيره المسلك العلمي الاجتماعي، الملائم للثقافة العربية في وقته، بما يتيسر للناشئة من الشباب المثقّف

التعرف إلى دين الإسلام، و الوقوف على أسرار القرآن و عظمته. و هو تفسير جيد في ذاته، سهل التناول لذوى الثقافات المختلفة، خال عن الإطالة و الاستطرادات المملّة، جزى الله المؤلّف خيرا.

و التفسير يقع فى أربع مجلّدات، و طبع فى القاهرة سنة (١٩٧٠ م)، (١٣٩٠ هـ).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥١

## ٢- اللون الأدبي الاجتماعى

### إشارة

يمتاز التفسير فى هذا العصر، بتلونه باللون الأدبي الاجتماعى، و نعى بذلك أنّ التفسير لم يعد يظهر عليه فى هذا العصر ذلك الطابع التقليدى الجافّ، من معالجة مسائل شكلية، كادت تصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، و انشغالهم بمباحث فارغة لا تمسّ روح القرآن و حقيقته. و إنّما ظهر عليه طابع آخر و تلون بلون يكاد يكون جديدا و طارئا على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا و قبل كل شىء على إظهار مواضع الدقة فى التعبير القرآنى، ثم بعد ذلك تصاغ تلك المعانى التى يهدف القرآن إليها فى أسلوب شيق أخذ، ثم يطبق النص القرآنى على ما فى الكون و الحياة من سنن الاجتماع و نظم العمران.

هذه النهضة الأدبية الاجتماعيه قامت بمجهود كبير فى تفسير كتاب الله تعالى، قرّبت القرآن إلى أفهام الناس، فى مستوى عام كان أقرب إلى الواقعيّة من الأمس الدابر.

و إليك من امتيازات هذه المدرسة التفسيرية الحديثية: إنها نظرت إلى القرآن نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسرين القدامى من التأثر بالمذهب، إلى درجة كانت تجعل القرآن تابعا لمذهبه، فيؤول القرآن بما يتفق معه، و إن كان تأويلا متكلفا و بعيدا.

كما أنها وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تشوّه التفسير بما شوّه به فى كثير من كتب المتقدمين، من الروايات الخرافية المكذوبة، التى أحاطت بجمال القرآن و جلاله، فأساءت إليه و جرّأت الطاعنين عليه.

كذلك لم تغتبر هذه المدرسة بما اغترّ به كثير من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعه، التى كان لها أثر سيئ فى التفسير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٢

و لقد كان من أثر عدم اغترار هذه المدرسة بالروايات الإسرائيلية، و الأحاديث الموضوعه أنها لم تخض فى تعيين ما أبهمه القرآن، من مثل الحروف المقطعة، و بعض الألفاظ المبهمة الواردة فى القرآن، مما أبهمه القرآن إبهاما، و لم تكن غاية فى إظهاره حينذاك، كما لم تجرأ على الخوض فى الكلام عن الأمور الغيبية، التى لا تعرف إلّا من جهة النصوص الصحيحة الصريحة، بل قرّرت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملا، و منعت من الخوض فى التفصيلات و الجزئيات، فى مثل الحياة البرزخية و الجنة و النار و الحور و القصور و الغلمان و ما شابه ذلك، و هذا مبدأ سليم، يقف حاجزا منيعا دون تسرّب شىء من خرافات الغيب المظنون، إلى المقطوع و المعقول من العقائد.

كذلك نجد هذه المدرسة أبعدت التفسير عن التأثر باصطلاحات العلوم و الفنون و الفلسفة و الكلام، التى زجّ بها فى التفسير، بدون أن يكون فى حاجة إليها، و لم تتناول من ذلك إلّا بمقدار الحاجة، و على حسب الضرورة فقط. هذه كلها من الناحية السلبية التى سلكتها هذه المدرسة.

و أمّا من الناحية الإيجابية، فإنّ هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجا أدبيا اجتماعيا، فكشفت عن بلاغة القرآن و إعجازه فى البيان، و أوضحت معانيه و مرامييه، و أظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم و نظم الاجتماع، و عالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصه، و مشاكل الأمم عامه، بما أرشد إليه القرآن، من هداية و تعاليم، و التى جمعت بين خيرى الدنيا و الآخرة.

كما وفتت بين القرآن و ما أثبتته العلم من نظريات صحيحة و ثابتة، و جلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذي يستطيع أن يساير التطور الزمني و البشري، إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

كما دفعت ما ورد من شبه على القرآن، و فندت ما أثير حوله من شكوك

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٣

و أوهام، بحجج قوية، قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق.

كل ذلك بأسلوب شيق جذاب يستهوى القارئ، و يستولى على قلبه، و يحبب إليه النظر في كتاب الله، و يرغبه في الوقوف على معانيه و أسرارها.

و أيضا فإن هذه المدرسة فتحت في وجه التفسير بابا كان مغلقا عليه، منذ زمن سحيق، إنها أعطت لعقلها حرية واسعة النطاق، و أتاحت للعقل و الفكر البشري مجاله الواسع الذي منحه الله له، و رغبه في ذلك. و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلمهم يتفكرون «١».

و من ثم حكمت العقل الرشيد على كل مظاهر الدين، فتأولت ما ظاهره المنافاة مع الحقائق الشرعية الثابتة، و التي دعمها العقل، و عدلت بها عن إرادة الحقيقة إلى المجاز و التمثيل، و بذلك و بهذه الحرية العقلية الواسعة، جارت أهل العدل في تعاليمها و عقائدها، و التي كان عليها السلف النابهنون، و قذفت بتعاليم الأشاعرة المتجمدة وراء الظهور، و بذلك لم تترك مجالاً لأحاديث أهل الحشو أن تتدخل في التفسير، و لا في عقائد المسلمين في شيء من الأصول و الفروع.

فقد طعنت في بعض الأحاديث بالضعف تارة و بالوضع أخرى، رغم ورودها في المجاميع الحديثية الكبرى، أمثال البخاري و مسلم و غيرهما؛ إذ أن خبر الواحد لا تثبت به عقيدة إجماعا، و لا هو حجة في هذا الباب عند أرباب الأصول.

### أهم رواد هذه المدرسة

رائد هذه المدرسة الأول و زعيمها و عميدها، هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، الذي بنى أساس هذا البنيان الرفيع، و فتح باب الاجتهاد في التفسير بعد ما (١) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٤

كان مغلقا طيلة قرون، فقد نبذ طريقة التقليد السلفي، و أعطى للعقل حريته في النقد و التمحيص. و سار على منهجه الأجلء من تلامذته، أمثال السيد محمد رشيد رضا، و الشيخ محمد محمد القاسمي، و الشيخ أحمد مصطفى المراغي، و من جاء بعدهم جاريا على نفس التعاليم، أمثال السيد قطب، و الشيخ محمد جواد مغنية، و الشيخ محمد الصادقي، و السيد محمد حسين فضل الله، و السيد محمد الشيرازي، و الشيخ سعيد حوى، و الأستاذ محمد على الصابوني، و السيد محمد تقى المدرسى، و الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. و الذي فاق الجميع في هذا المجال، هو العلامة الفيلسوف السيد محمد حسين الطباطبائي، الذي حاز قصب السبق في هذا المضمار. و إليك بعض الكلام عن أهم ما كتب من جلائل التفسير المدون في هذا العصر:

### المنار (تفسير القرآن العظيم)

إشارة

تفسير حافل جامع و لكنه غير كامل، يشتمل على اثني عشر مجلدا و ينتهي عند الآية (٥٣) من سورة يوسف. كان من أول القرآن إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء بإنشاء الشيخ محمد عبده (المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ) و إملاء السيد رشيد رضا (المتوفى سنة ١٣٥٤) و من

بعده سار السيد في التفسير متبعا منهج الشيخ في تفسيره للآيات حتى سورة يوسف.

كان الشيخ يلقي دروسه في التفسير بالجامع الأزهر على الطلاب لمدة ست سنوات، وكان السيد رشيد رضا يكتب ما سمعه ويزيد عليه بما ذكره مع الشيخ، وقام بنشر ما كتب في مجلته «المنار» وذلك بعد مراجعة الأستاذ ليقوم بتنقيحه و تهذيبه، أو إضافة ما يكمله.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٥

قال الذهبي: كان الأستاذ الإمام، هو الذي قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد، والتحرر من قيود التقليد، فاستعمل عقله الحرّ في كتاباته و بحوثه، و لم يجر على ما جمده عليه غيره من أفكار المتقدمين و أقوال السابقين، فكان له من وراء ذلك آراء و أفكار خالف بها من سبقه. و هذه الحرية العقلية، و هذه الثورة على القديم، كان لهما أثر بالغ في المنهج الذي نهجه الشيخ لنفسه، و سار عليه في تفسيره «١».

قد رسم محمد عبده في تفسيره منهجا تربويا للأمة الإسلامية، يبعث مقوماتها، و يثير أمجادها، و ينادى بأداب القرآن من الشجاعة و الكرامة و الحفاظ، قد حارب جمود الفقهاء و تقليدهم، و تقديم المذاهب على القرآن و السنّة مكانهما الأول من التشريع، و دعا المسلمين إلى استخدام عقولهم و تفكيرهم «٢».

و من خصائص هذا التفسير العناية بمشاكل المسلمين الحاضرة، و التوجه إلى معالجة أسباب تأخر المجتمع الاسلامي، و إلى إمكان بناء مجتمع قوى، و عودة الأمة إلى ثوره حقيقه قرآنيه على أوضاعها المتخلفه، و مواجهه الحياه مواجهه علميه صحيحة، و العناية التامه إلى الأخذ بأسباب الحضارة الإسلامية من جديد، و مواجهه أعدائها، و ردّ الغزوات الفكرية الاستعمارية التي شنت على الإسلام عقيدة و تاريخا و حضارة و رجالا، و مناقشتها بالأدلة العلمية و الوقائع التاريخية، و تنفيذها و إثبات بطلانها من ذاتها.

و يتلخص منهج تفسير المنار في البنود التالية: (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٥٤-٥٥٥.

(٢) منهج الإمام محمد عبده- لشحاته- المفسرون، ص ٦٦٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٦

١- الإسلام هو دين العقل و الشريعة، و هو مصدر الخير و الصلاح الاجتماعي.

٢- القرآن لا يتبع العقيدة، و إنما تؤخذ العقيدة من القرآن.

٣- عدم وجود تعارض بين القرآن و الحقائق العلمية الراهنة.

٤- اعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة متماسكة.

٥- التحفظ في الأخذ بما سمى بالتفسير المأثور، و التحذير من الأفاصيص الإسرائيلية و المكذوبة.

٦- عدم إغفاله الوقائع التاريخية، و التي لها دخل في فهم معاني القرآن الكريم.

٧- استعمال الذوق الأدبي النزيه في فهم مرامي الآيات الكريمة.

٨- معالجته للمسائل الاجتماعية في الأخلاق و السلوك.

٩- تفسيره للقرآن على ضوء العلم الحديث القطعي الثابت.

١٠- حذره عن الخوض في الأمور المغيبه عن الحسّ و الإدراك.

١١- موضعه النزيه تجاه سحر السحرة، و لا سيما بالنسبة إلى التأثير في شخصية الرسول.

١٢- موقفه الصحيح من روايات أهل الحشو، حتى و لو كانت في الكتب الصحاح.

موقفه من حقيقة الملائكة و الشياطين

و لقد كان من أثر إعطاء الشيخ عبده لنفسه الحرية الواسعة في فهم القرآن الكريم، أنّا نجده يخالف رأى جمهور أهل السنّة «١»، و يذهب على خلاف مذهب (١) راجع: الذهبي في التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٧٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٧

الأشعري في الأخذ بالظواهر و الجمود عليها، و ترك الخوض في فهم حقيقتها أو تأويلها، نراه يخالف هذا المسلك السلفي، و يذهب إلى ما ذهب إليه أهل الرأى و النظر و التمحيص و أصحاب التأويل، و قد عبّر عنهم الذهبي بالمعتزلة و ليسوا هم وحدهم بل و أهل القول بالعدل و تحكيم العقل مطلقا فيرى من الملائكة و الشياطين، القوى الفعالة المودعة في عالم الطبيعية، في صالح الحياة أو فسادها، أما إنها موجودات مستقلة ذوات شمائل و أعضاء كشمائل الإنسان و أعضائه، حسب ما فهمه الظاهريون من تعابير الشرع التي هي أمثال و استعارات فلا، نظرا لأنها موجودات لا تسنخ وجود الإنسان بذاته، و لا هي على شاكلته.

قال في قصة سجود الملائكة لآدم و امتناع إبليس (البقرة: ٣٤):

«و ذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة، و هو: أنّ مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات و خلقه حيوان و حفظ إنسان و غير ذلك، فيه إيماء إلى الخاصّة بما هو أدقّ من ظاهر العبارة، و هو أنّ هذا النموّ في النبات لم يكن إلّا بروح خاص، نفخه الله في البذرة، فكانت به الحياة النباتية المخصوصة، و كذلك يقال في الحيوان و الإنسان، فكلّ أمر كلّى قائم بنظام مخصوص تمتّ به الحكمة الإلهية في إيجادها، فإنّما قوامه بروح إلهي، سمى في لسان الشرع ملكا، و من لم يبال في التسمية بالتوقيف يسم هذه المعاني «القوى الطبيعية»، إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلّا ما هو طبيعة، أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة. و الأمر الثابت الذي لا نزاع فيه، هو أنّ في باطن الخلقه أمرا هو مناطها، و به قوامها و نظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، و إن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا، و زعم أنه لا دليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا؛ لأنّ هذه الأسماء لم ترد في الشرع، فالحقيقة واحدة و العاقل لا تحجبه الأسماء عن المسميات، و إن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٨

كان المؤمن بالغيب يرى للأرواح وجودا لا يدرك كنهه، و الذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح، و لكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها، و لا يعلم إلّا الله، على م يختلف الناس، و كل يقتر بوجود شيء غير ما يرى و يحسّ، و يعترف بأنه لا يفهمه حقّ الفهم، و لا يصل بعقله إلى إدراك كنهه؟ و ما ذا على هذا الذي يزعم أنه لا يؤمن بالغيب- و قد اعترف بما غيب عنه- لو قال: أصدق بغيب أعرف أثره، و إن كنت لا أفدر قدره، فيتفق مع المؤمنين بالغيب، و يفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي، و يحظى بما يحظى به المؤمنون؟

«يشعر كل من فكّر في نفسه، و وازن بين خواطره، عند ما يهّم بأمر فيه وجه للحقّ أو للخير، و وجه للباطل أو للشر، بأنّ في نفسه تنازعا، كأنّ الأمر قد عرض فيها على مجلس شوري، فهذا يورد و ذاك يدفع، و أحد يقول: افعل، و آخر يقول: لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين، و يترجّح أحد الخاطرين، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا و نسّميه: قوة و فكرا، و هي في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، و روح لا- تكتنه حقيقتها، لا يبعد أن يسّميه الله ملكا، أو يسّمى أسبابه ملائكة، أو ما شاء من الأسماء، فإنّ التسمية لا حجر فيها على الناس، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة، و السلطان النافذ و العلم الواسع! قال: «إذا صحّ الجرى على هذا التفسير، فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية إلى أنّ الله تعالى لما خلق الأرض و دبّرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها و نظامها، و جعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المخلوقات، لا يتعدّاه و لا يتعدى ما حدّد له من الأثر الذي خصّ به، خلق بعد ذلك الإنسان، و أعطاه قوة يكون بها مستعدّا للتصرف بجميع هذه القوى، و تسخيرها في عمارة الأرض، و عبّر عن تسخير هذه القوى له بالسجود، الذي يفيد معنى الخضوع و التسخير، و جعله بهذا الاستعداد الذي لا حدّ له، و التصرف الذي

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٥٩

لم يعط لغيره، خليفة الله في أرضه؛ لأنه أكمل الموجودات في الأرض، واستثنى من هذه القوى قوة واحدة، عثر عنها إبليس، و هي القوة التي لُزها الله بهذا العالم لُزًا، و هي التي تميل بالمستعد للكمال، أو بالكامل إلى النقص، و تعارض مدّ الوجود لترده إلى العدم، أو تقطع سبيل البقاء، و تعود بالموجود إلى الفناء، أو التي تعارض في اتباع الحق، و تصدّ عن عمل الخير، و تنازع الإنسان في صرف قواه إلى المنافع و المصالح التي تتمّ بها خلافته، فيصل إلى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدًا للوصول إليها، تلك القوة التي ضللت آثارها قوما فرعموا أنّ في العالم إليها يسمّى إله الشر، و ما هي ياله، و لكنها محنة إله لا يعلم أسرار حكيمته إلّا هو. قال: «و لو أن نفسا مالت إلى قبول هذا التأويل، لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك، و العمدة على اطمينان القلب و ركون النفس إلى ما أبصرت من الحق» (١).

ثم يعود في موضع آخر إلى تقرير التمثيل في القصة، فيقول: «و تقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا: إنّ إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض و قوى هذا العالم و أرواحه التي بها قوامه و نظامه، لوجود نوع من المخلوقات يتصرّف فيها، فيكون به كمال الوجود في هذه الأرض. و سؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض؛ لأنه يعمل باختياره، و يعطى استعدادا في العلم و العمل لا حدّ لهما، هو تصوير لما في استعداد الإنسان لذلك، و تمهيد لبيان أنه لا ينافي خلافته في الأرض. و تعليم آدم الأسماء كلها، بيان لاستعداد الإنسان لعلم كل شيء في هذه الأرض، و انتفاعه به (١) تفسير المنار، ج ١، ص ٢٦٧-٢٦٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٠

في استعمارها. و عرض الأسماء على الملائكة و سؤالهم عنها و تنصّلهم في الجواب، تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الأرواح المدبّرة للعالم محدودا لا يتعدى وظيفته. و سجود الملائكة لآدم، عبارة عن تسخير هذه الأرواح و القوى له، ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك.

و إباء إبليس و استكباره عن السجود، تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشرّ و إبطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع و التخاصم، و التعدي و الإفساد في الأرض. و لو لا ذلك لجا على الإنسان زمن يكون فيه أفراد كالملائكة بل أعظم، أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري» (١).

انكاره على أهل الحديث في روايتهم للطامات

ثم إنّ الشيخ عبده كان ممن يرى تساهل أهل الحديث في رواياتهم الغثّ و السمين، غير مباليين في متونها أ هي مخالفة لأصول العقيدة أم متنافية مع مباني الإسلام الركنية، الأمر الذي يؤخذ على أهل الحشو في الحديث في ذلك. قال بشأن قصة زكريا و بشارة الملائكة له بيحيى، و طلبه من الله أن يجعل له آية:

«و من سخافات بعض المفسرين زعمهم أنّ زكريا عليه السلام اشتبه عليه وحي الملائكة و نداؤهم، بوحى الشياطين؛ و لذلك سأل سؤال التعجب، ثم طلب آية للتثبت. و روى ابن جرير عن السديّ و عكرمة: أنّ الشيطان هو الذي شكّكه في نداء الملائكة، و قال له: إنّ من الشيطان، قال: «و لو لا الجنون بالروايات مهما هزلت و سمجت، لما كان لمؤمن أن يكتب مثل هذا الهزء و السخف، الذي ينبذه العقل، و ليس في الكتاب ما يشير إليه، و لو لم يكن لمن يروى مثل هذا إلّا هذا (١) تفسير المنار، ج ١، ص ٢٨١-٢٨٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦١

لكفي في جرحه، و أن يضرب بروايته على وجهه. فعفى الله عن ابن جرير إذ جعل هذه الرواية مما ينشر» (١).

و قال فيما جاء من الروايات في سحر الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم:

«و قد رووا هنا أحاديث في أن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم سحره لبيد بن أعصم، و أثر سحره فيه، حتى كان يخيل له أنه يفعل

الشيء و هو لا يفعله، أو يأتي شيئاً و هو لا يأتيه، و أنّ الله أنبأ بذلك و أخرجت مواد السحر من بشر، و عوفى صلى الله عليه و آله و سلم ممّا كان نزل به من ذلك، و نزلت هذه السورة (سورة الفلق) «٢».

قال: «و لا يخفى أنّ تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظنّ أنه يفعل شيئاً و هو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، و لا- من قبيل عروض السهو و النسيان في بعض الأمور العاديّة، بل هو ماسّ بالعقل، آخذ بالروح، و هو ممّا يصدق قول المشركين فيه: **إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**» «٣».

و ليس المسحور عندهم إلّا من خولط في عقله، و خيّل له أنّ شيئاً يقع و هو لا يقع، فيخيّل إليه أنه يوحى إليه، و لا يوحى إليه.

«و قد قال كثير من المقلّدين الذين لا يعقلون ما هي النبوءة و لا ما يجب لها:

أنّ الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صحّ، فيلزم الاعتقاد به، و عدم التصديق به من بدع المبتدعين؛ لأنه ضرب من إنكار السحر، و قد جاء القرآن بصحّة السحر. أنظر كيف ينقلب الدين الصحيح، و الحق الصريح، في نظر المقلّد (١) تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) راجع: الدر المنثور، ج ٦، ص ٤١٧. و رواه البخارى و مسلم و ابن ماجه (روح المعاني، ج ٣٠، ص ٢٨٢-٢٨٣).

(٣) الفرقان / ٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٢

بدعة، نعوذ بالله، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر، و يعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه و آله و سلم و عدّه من افتراء المشركين عليه، و يؤوّل في هذه و لا- يؤوّل في تلك، مع أنّ الذى قصده المشركون ظاهر؛ لأنهم كانوا يقولون: إن الشيطان يلبسه صلى الله عليه و آله و سلم و ملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم، و ضرب من ضرّوبه و هو بعينه أثر السحر الذى نسب إلى ليبد، فإنه خولط في عقله و إدراكه، في زعمهم. و الذى يجب اعتقاده، أنّ القرآن مقطوع به، و أنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه و آله و سلم فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبت، و عدم الاعتقاد بما ينفيه، و قد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، و وبّخهم على زعمهم هذا، فإذا هو ليس بمسحور قطعاً. و أما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد، و الآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، و عصمة النبي صلى الله عليه و آله و سلم من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ في نفيها عنه إلّا باليقين، و لا يجوز أن يؤخذ فيها بالظنّ و المظنون، على أنّ الحديث الذى يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظنّ عند من صح عنده. أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجّة.

«و على أىّ حال فلنا بل علينا أن نفوّض الأمر في الحديث، و لا نحكمه في عقيدتنا، و نأخذ بنصّ الكتاب و بدليل العقل، فإنه إذا خولط النبي في عقله- كما زعموا- جاز عليه أن يظنّ أنه بلغ شيئاً و هو لم يبلغه، أو أنّ شيئاً نزل عليه و هو لم ينزل عليه، و الأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان» «١».

قال الذهبي ناقماً على هذه الطريقة التى هي طريقة أهل الاعتزال: (١) ذكر ذلك في تفسيره لجزء عم ص ١٨٥-١٨٦. و تعرض له في تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٣

«و هذا الحديث الذى يرده الأستاذ الإمام، رواه البخارى و غيره «١» من أصحاب الكتب الصحيحة، و ليس من وراء صحته ما يخلّ بمقام النبوءة. (و علّل عدم الإخلال بأنه من قبيل المرض، و قد عرفت ردّ الإمام عليه بأحسن ردّ) و أضاف قائلاً:

«ثم إنّ الحديث رواية البخارى و غيره من كتب الصحيح، و لكن الأستاذ الإمام، و من على طريقته، لا يفرقون بين رواية البخارى و غيره، فلا مانع عندهم من عدم صحّة ما يرويه البخارى، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد، لا يثبت به إلّا الظنّ، و هذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنّة التى هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبيّن من المبيّن، و قد قالوا: إن البيان يلتحق

بالميين، قال: «و ليس هذا الحديث وحده الذى يضعفه الشيخ، أو يتخلص منه بأنه رواية آحاد، بل هناك كثرة من الأحاديث نالها هذا الحكم القاسى»، فمن ذلك أيضا حديث الشيخين «كل بنى آدم يمسسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم و ابنها» فإنه قال فيه: «إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة» (٢).

«فهو لا يثق بصحة الحديث رغم روايته الشيخين له، ثم يتخلص من إرادة الحقيقة على فرض الصحة، بجعل الحديث من باب التمثيل، و هو ركون إلى مذهب المعتزلة، الذين يرون أن الشيطان لا تسلط له على الإنسان إلا بالوسوسة و الإغواء فقط» (٣).

قلت: الحق أحق أن يتبع، حتى و لو كان القائل به أصحاب الاعتزال؛ إذ الحق (١) صحيح البخارى، ج ٧، ص ١٧٨. و مسلم ج ٧، ص ١٤. فتح البارى، ج ١٠، ص ١٩٣.

(٢) راجع: تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩٠.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٤

ضالة المؤمن، أخذها حيث وجدها. فإن كان مذهب أهل الجمود يقضى بالأخذ بالظواهر الظنية، حتى فى باب العقائد، التى تستدعى اليقين فيها، فإن مذهب أهل النظر و الاجتهاد، يرى وجوب التدبر فى آياته تعالى و التعمق فيها؛ ذلك أنه دستور القرآن الكريم، و الذى هدى إليه العقل الرشيد.

نعم لا تقاس عقليته مثل شيخنا الإمام الكبيرة، مع ذهنية أمثال الذهبى الهزيلة التى اقتنعت بتقاليد أشعريه سلفيه، رغم منافاتها لأصول الشرع و محكمات القرآن الكريم.

أولاً: لا سلطان لإبليس على أحد، سوى وسوسته و إغوائه، قال تعالى فيما يحكيه عن إبليس لما قضى الأمر: «و ما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى، فلا تلومونى و لو مؤا أنفسكم» (١).

ثانياً: ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين: «إن عبادى لك عليهم سلطان» (٢) فلم يكن لإبليس على عباد الله المخلصين حتى سلطان الوسوسة و الإغواء، فكيف بالاستحواذ على عقليتهم الكريمة (٣).

ثالثاً: أتى للبيد أن يستحوذ على عقليته مثل الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سلم و هو مثال العقل الأول فى عالم الإمكان.

إذن فلا يصح ما ورد فى ذلك من تأثير السحر على عقله عليه السلام و لم يثبت شىء من ذلك من طرق أهل البيت عليهم السلام. أما الوارد فى جامع البخارى (ج ٧، ص ١٧٨) (١) راجع: المنار، ج ٧، ص ٥١٢-٥١٣. إبراهيم/ ٢٢.

(٢) الحجر/ ٤٢.

(٣) و قد أنكر الشيخ الإمام إمكان استحواذ الشيطان على عباد الله المخلصين. راجع: المنار، ج ٣، ص ٢٩١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٥

و فتح البارى (ج ١٠، ص ١٩٣) و مسلم (ج ٧، ص ١٤) فمردود على قائله، و هو من المفصلات (١).

رأى صاحب المنار فى الجن

يرى السيد رشيد رضا ما يراه شيخه و أستاذه فى الجن، و أنه لا يرى، و كل من ادعى رؤية الجن فهو مخطئ فى إدراكه، و لم يصح فى ذلك حديث. و يرجح أن من ادعى رؤية الجن فذلك وهم منه و تخيل، و لا- حقيقة له فى الخارج، أو لعله رأى حيوانا غريباً كبعض القرده، فظنه أحد أفراد الجن، يقول هذا ثم يعرض فى الهامش لذكر حديث أبى هريرة فيمن كان يسرق تمر الصدقة، و إخبار النبى صلى الله عليه و آله و سلم له بأنه شيطان- و هو فى البخارى- و لغيره من الأحاديث التى تدل على أن الإنسان يرى الجنى و يبصره، ثم يقول بعد أن يفرغ من سرده للروايات:



و الصواب أنه ليس في هذه الروايات كلها حديث صحيح «٢».

بل و نجده يزيد على ذلك فيجوز أن تكون ميكروبات الأمراض نوعا من الجن؛ و ذلك حيث يقول عند ما تعرض لتفسير قوله تعالى في الآية (٢٧٥) من سورة البقرة: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَتَّخِذُونَ الرِّبَا إِلَّا كَمَا يَقُومُونَ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ: «و المتكلمون يقولون: إن الجن أجسام حيّة خفيّة لا ترى. و قد قلنا في «المنار» غير مرّة: إنه يصحّ أن يقال: إن الأجسام الحيّة الخفيّة التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة و تسمّى بالمكروبات، يصحّ أن تكون نوعا من الجن، و قد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض «٣». (١) تكلمنا عن ذلك في التمهيد (ج ١، ص ١٦٣-١٦٩) عند الكلام عن سورتي المعوذتين.

(٢) تفسير المنار، ج ٧، ص ٥١٦، التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٨٤.

(٣) تفسير المنار، ج ٣، ص ٩٦.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٦

### تفسير القاسمي (محاسن التأويل)

لجمال الدين أبي الفرج محمد بن محمد المعروف بالقاسمي. توفي سنة (١٣٣٢ هـ). ولد في دمشق، و كان معروفا في الفقه و التفسير و الحديث، و كان من زعماء النهضة السياسيّة ضد الاستعمار في بلاد الشام. كان قد تلمذ على يد الأستاذ الشيخ محمد عبده، فأخذ عنه العلم و السياسيّة و علم الاجتماع، و أفرغه في تفسيره هذا الممتع. التزم فيه المؤلف بمتابعة آراء السلف و الاهتمام بنظراتهم في الفقه و التفسير، مراعيًا ما توصل إليه العلم، في شيء من الحذر. و من ثم فهو من خير التفاسير المعاصرة، الجامعة بين آراء السلف و نظرات الخلف، مراعيًا جوانب الاحتياط؛ و بذلك قد جمع بين المأثور و المعقول، في سبك رائع و جزالة في الألفاظ و دقة في الآراء. و قد تكلم بلغه أهل عصره في براعة فائقه، و من ثم طار صيته و أصبح من التفاسير المشار إليها بالبنان.

و من ميزات هذا التفسير، اهتمامه البالغ بجانب الإشارات العلميّة التي جاءت في القرآن، إنه يعتقد اشتغال القرآن على أسرار من علوم الكون، و من ثم افتتح فصلا في مقدمته تفسيره اختصاصا بالكلام عن المسائل الفلكيّة الواردة في القرآن، و يتعرّض للقضايا الكونيّة في الخلق و التدبير، و في النهاية يقول: «من عجيب أمر هذا القرآن أن يذكر أمثال هذه الدقائق العلميّة العالیه، التي كانت جميع الأمم تجهلها، بطريقة لا تقف عندها في سبيل إيمان أحد به، في أي زمن كان، مهما كانت معلوماته، فالناس قديما فهموا أمثال هذه الآيات بما يوافق علومهم، حتى إذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء، علمنا أنهم كانوا واهمين، و فهمنا معناها الصحيح. فكأن هذه الآيات جعلت في القرآن معجزات للمتأخرين، تظهر لهم كلما تقدمت علومهم ... و هو معجزات للمتأخرين يشاهدونها، و تتجلى لهم كلما

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٧

تقدموا في العلم الصحيح» «١». فرغ من تأليف التفسير سنة (١٣٢٩ هـ).

### تفسير المراغي

هو الشيخ أحمد مصطفى المراغي، شقيق الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر في وقته، و تلميذ الإمام الشيخ محمد عبده صاحب تفسير «المنار»، و الذي وضع تفسيره هذا مشاكلا له، و استفادا من بحوث شيخه الأستاذ. توفي سنة (١٣٧١ هـ). و تفسيره هذا من أشمل التفاسير لحاجة العصر في أسلوبه و في طريق سرد المطالب و نضد المقاصد، متجنبًا القصص الإسرائيليّة المدسوسة و الخرافات الدخيلة. و لا يغفل في أي مناسبة اللجوء إلى علوم الطبيعة فيما يمس فهم كتاب الله العزيز، و من ثم فهو تفسير جيد مفيد في ذاته.

قال الذهبي: «لم نعرف من رجال هذه المدرسة- مدرسة الشيخ محمد عبده- رجلا تأثر بروح الأستاذ الإمام، و نهج على طريقته من التجديد و إطراح التقليد، و العمل على تنقية الإسلام من الشوائب التي ألصقت به، و تنبيه الغافلين عن هديه و إرشاده، مثل الأستاذ المراغي. تربى هذا الرجل في مدرسة الأستاذ الإمام، و تخرج منها و هو يحمل بين جنبيه قلبا مليئا بالرغبة في الإصلاح، و الثورة على كل ما يقف في سبيل الإسلام و المسلمين» (٢).

و قد نهج في تفسيره منهج شيخه، نراه لا يخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل، و لا يدخل في جزئيات سكت عنها القرآن و أعرض عنها (١) راجع: محاسن التأويل، ج ١، ص ٣٣٧.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٥٩٠.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٨

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فلا الروايات الموضوعه أو الضعيفة بكافية عنده حتى يزج بها في تفسيره، و لا الأخبار الإسرائيلية بمقبولة لديه، حتى يجعل منها شروحا لما أجمله القرآن و سكت عن تفصيله.

و مما يمتاز به هذا التفسير، عنايته بإظهار أسرار التشريع، فنراه يهتم اهتماما كبيرا بإظهار سر التشريع الإسلامي، و حكمه التكليف الإلهي، ليظهر محاسن الإسلام، و يكشف عن هدايته للناس.

كما نجده يعرض لمشاكل المجتمع و أسباب الانحطاط في دول الإسلام، فيعالج كل ذلك بما يفيضه الله عليه من بيان هداية القرآن و إرشاده. فقد كان بصيرا بمواطن الداء و أسباب الشفاء، فكان يهدف في دروسه إلى علاجها و استئصالها، و كان كثيرا ما يوجه الخطاب إلى أرباب الحلّ و العقد في الدولة.

و هكذا وفق في التوفيق بين القرآن و العلم الحديث، رغم اعتقاده أن القرآن قد أتى بأصول عامه لكل ما يهم الإنسان معرفته و العلم به، و كراهته أن يسلك المفسر للقرآن مسلك من يجر الآيه القرآنية إلى العلوم، أو العلوم إلى الآيه، كي يفسرها تفسيراً علمياً يتفق مع نظريات العلم الحديث، و لكن مع ذلك كان يرى أن يكون المفسر على شيء من العلم ببعض نظريات العلم الحديث، ليستطيع أن يأخذ منها دليلاً على قدرة الله، و يستلهم منها مكان العبرة و العظة.

## في ظلال القرآن

لسيد بن قطب بن إبراهيم الشاذلي، المستشهد سنة (١٣٨٦ هـ) على يد طغاة مصر الحاكمة حينذاك. نشأ المؤلف في بيئة إسلامية عريقة، و كان والده من المؤمنين المتعدين، و ولد سنة (١٣٢٦ هـ) في قرية موشا من محافظة أسيوط، ثم ارتحل إلى القاهرة و كانت دراساته العليا هناك. كان كاتباً إسلامياً مجيداً، له في

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٦٩

الإسلاميات كتب و رسائل مفيدة، تهدف إلى الحركة الإسلامية المتناسبة مع النهضة العلمية الحديثة، فكان تفسيره هذا من خير التفاسير الأدبية الاجتماعية الهادفة إلى إحياء الحركة الإسلامية العتيده. فمن أهدافه إزاحة الفجوة العميقة بين مسلمي العصر الحاضر و القرآن الكريم، و تعريف المسلمين إلى المهمة العلمية السياسية التي قام بها القرآن، و بيان الحمية الجهادية التي يهدفها القرآن الكريم.

إلى جنب تربية الجيل المسلم تربية قرآنية إسلامية كاملة، و بيان معالم هذا الطريق الذي يجب على المسلمين سلوكه.

و كان منهجه في التفسير: أولاً، عرض آيات مترابطة بعضها مع البعض، في مجموعة منسجمة، و بيان الهدف الكلي للسورة، ثم للآيات المعروضة. و تقسيم السور إلى دراسات، تقسيماً موضوعياً، لتعتبر كل مجموعة من الآيات ذات وحدة موضوعية، و ذات هدف معين خاص.

ثم يحاول تفسير الآيات- في ذوق أدبي خالص- ببيان الأهداف الكلية التي ترمى إليها الآيات، من غير تعرّض للجزئيات، كما يجتنب من ذكر الإسرائيليات، و الروايات الموضوعية أو الضعيفة، كما يجتنب الخوض في مسائل الخلاف، و هكذا يتجنّب التعرض للعلوم القديمة و الحديثة التي لا- علاقة لها بفهم معاني الآيات الكريمة، و يعتبر التعرّض لها جفاء بالقرآن؛ لأنه في غنى عنها، يقول هو في ذلك:

«و أنى لأعجب لسذاجة المتحمّسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، و أن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، و أن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب و الكيمياء و الفلك و ما إليها، كأنما ليعظموه بهذا و يكبروه. إن القرآن كتاب كامل في موضوعه، و موضوعه أضخم من تلك العلوم كلها؛ لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات و ينتفع بها، و البحث و التجريب

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٠

و التطبيق من خواص العقل في الإنسان، و القرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته و ضميره و عقله و تفكيره، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان بأنه يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه» (١).

### الميزان في تفسير القرآن

تأليف العلامة الحكيم السيد محمد حسين الطباطبائي، من رجالات الفكر الإسلامي القلائل الذين انتجهم الحياة العلمية الإسلامية في العصر الأخير. ولد بتبريز سنة (١٣٢١ هـ) و توفّي بقم سنة (١٤٠٢ هـ).

و هو تفسير جامع حافل بمباحث نظرية تحليلية ذات صبغة فلسفية في الأغلب، جمع فيه المؤلف إلى جانب الأنماط التفسيرية السائدة، أمورا مما أثارته النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدّى لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات، و ما يضلّلون به من تشويه للمفاهيم الإسلامية، بروح اجتماعية واعية، على أساس من القرآن الكريم، و فهم عميق لنصوصه الحكيمه. و لهذا التفسير القيم مزايا جمة نشير إلى أهمها:

١- جمع بين نمطى التفسير: الموضوعى و الترتيبى، فقد فسّر القرآن آية فآية و سورة فسورة. لكنه إلى جنب ذلك، نراه يجمع الآيات المتناسبة بعضها مع البعض، لبحث عن الموضوع الجامع بينها، كلما مرّ بآية ذات هدف موضوعى، و كانت لها نظائر منبثّة في سائر القرآن.

٢- عنايته التامة بجانب الوحدة الموضوعية السائدة في القرآن، كل سورة هي ذات هدف أو أهداف معيّنة، هي تشكّل ببيان السورة بالذات، فلا تتم السورة إلّا (١) راجع: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٢٦٠، ج ٢، ص ٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧١

عند اكتمال الهدف الموضوعى الذى رامته السورة، و بذلك نجد السور تتفاوت في عدد آياتها. يقول هو في ذلك: «إن لكل طائفة من هذه الطوائف من كلامه تعالى التي فضّلها قطعا قطعا و سمى كل قطعة سورة نوعا من وحدة التأليف و الالتئام، لا يوجد بين أبعاض من سورة، و لا- بين سورة و سورة، و من هنا نعلم أن الأغراض و المقاصد المحصّلة من السور مختلفة، و أنّ كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص و لغرض محصّل، لا تتمّ السورة إلّا بتمامه» (١).

٣- نظرية «الوحدة الكلية» الحاكمة على القرآن كلّها، باشتماله على روح كلية سارية في جميع آياته و سوره، و تلك الروح هي التي تشكّل حقيقة القرآن الأصلية السائدة على أبعاضه و أجزاءه. يرى المؤلف: أنّ وراء هذا الظاهر من ألفاظ و كلمات و حروف روحا كلية، كانت هي جوهر القرآن الأصيل، و كانت بمثابة الروح في الجسد من الإنسان.

قال في ذلك: «فالمحصل من الآيات الشريفة أنّ وراء ما نقرؤه و نعقله من القرآن، أمرا هو من القرآن بمنزلة الروح من الجسد، و

المتمثل من المثال، و هو الذى يسميه تعالى بالكتاب الحكيم، و هو الذى تعتمد عليه معارف القرآن، و ليس من سنخ الألفاظ و لا المعانى» (٢).

و بذلك و بالذى قبله، تتشكل وحدة السياق فى القرآن، كما لا يخفى.

٤- الاستعانة بمنهج «تفسير القرآن بالقرآن». فقد حقق المؤلف هذا الأمر و أوجده ببيان؛ اذ نراه يعتمد فى تفسيره على القرآن ذاته، فيرى أن غير القرآن غير صالح لتفسير القرآن، بعد أن كان هو تبياناً لكل شىء فيا ترى كيف يكون (١) الميزان، ج ١، ص ١٤ (ط. طهران) و ص ١٦ (ط. بيروت).

(٢) الميزان، ج ٣، ص ٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٢

القرآن تبياناً لكل شىء و لا يكون تبياناً لنفسه؟! لكن التزام تفسير القرآن بنفسه، يتطلب جهداً بالغا و إحاطة تامه، و قد لمسناه فى مفسرنا العلامة، و وجدناه على قدرة فائقة فى ذلك.

يقول هو فى ذلك: «الطريقة المرضية فى التفسير هى أن نسير القرآن بالقرآن، و نشخص المصاديق و نتعرفها بالخواص التى تعطىها الآيات، كما قال تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» (١) و حاشا القرآن أن يكون تبياناً لكل شىء و لا يكون تبياناً لنفسه» (٢).

### الفرقان فى تفسير القرآن

تأليف الشيخ محمد الصادق الطهرانى، و قد تم تأليفه خلال السنوات (١٣٩٧-١٤٠٧ هـ)، و كان بصورة محاضرات يلقها على طلبة العلوم الدينية فى الحوزتين النجف و قم. و هو تفسير جامع شامل، اتخذ منهج تفسير القرآن بالقرآن حسب الإمكان، و هو تحليلى تربوى اجتماعى، مع الاستناد إلى أحاديث يراها صحيحة و أخرى ملائمة مع ظواهر القرآن، و لذا احترز عن الإسرائيليات بشكل قاطع، و كذا عن الأحاديث الموضوعه و الضعيفة. و بما أن المؤلف يعد من الفقهاء، فإن فى تفسيره الشىء الكثير من التعرض لمسائل الفقه و الأحكام بصورة مبسطة، و هكذا تجده يفصل فى المسائل الكلامية الاعتقادية فى نزاهة، كما و يجتنب تحميل القرآن بنظرات العلم الحديث، و يرى أن القرآن فى غنى عن ذلك، اللهم إلهما إذا رفع بذلك إبهام فى إشارات عابرة جاءت فى القرآن، على (١) النحل / ٨٩.

(٢) الميزان، ج ١، ص ٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٣

شرط أن تكون النظرية ثابتة؛ و لذلك نراه يحمل على الشيخ طنطاوى فى ولعه بحمل النظريات العلمية على القرآن. و فى ذلك يقول: «و من ذلك كثير عند المتفرنجين من المفسرين الذين غرقوا فى العلوم و النظريات الجديدة، و نسوا أن القرآن هو علم الله، فلن يتبدل، و العلم دوما فى تبدل و تحوّل من خطأ إلى صواب و من صواب إلى أשוב» (١).

### من هدى القرآن

تفسير تربوى تحليلى شامل، يبحث فيه المؤلف هو السيد محمد تقى المدرسى عن الربط الموضوعى بين الواقع المعاش، و بين الحقائق الراهنة و الدلائل البينة التى أبانها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا، كمنهج تربوى و أخلاقى، يستهدف وضع الحلول الناجعة لكل مشكلات العصور المختلفة حتى قيام الساعة. قال المؤلف: «و اعتمدت فيه على منهج التدبر المباشر، انطلاقاً مما بينته فى التمهيد، أى منهج الاستلهام مباشرة من الآيات، و العودة إلى القرآن ذاته، كلما قصرنا عن فهم بعض آياته وفق المنهج الذى علمنا إياه الرسول

الكريم و أئمة أهل البيت عليهم السّلام حيث أمرونا بتفسير القرآن ببعضه» (٢) فكان تفسيراً تحليلياً تربوياً، لم توجد فيه المعمعات الجدلية، و لا الخرافات الإسرائيلية، معتمداً شرح الآيات و ذكر مقاصدها العالية و أهدافها السامية، و معالجة أدواء المجتمع معالجةً ناجعةً موفقةً.

تمّ تأليف الكتاب سنة (١٤٠٥ هـ)، في (١٨) مجلداً، و طبع سنة (١٤٠٦) (١) الفرقان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣١.

(٢) من هدى القرآن، ج ١، ص ٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٤

بطهران.

## من وحي القرآن

تفسير تربوى اجتماعى شامل، و يعدّ من أروع التفاسير الجامعة، النابعة من روح حركية نابضة بالحيوية الإسلامية العريقة. انطلق فيه المؤلف هو السيد محمد حسين فضل الله، من ألمع علماء الإسلام فى القطر اللبناني يعمل فى إحياء الجوّ القرآنى فى كل مجالات الحياة المادية و المعنوية، نظير ما صنعه سيد قطب فى تفسيره «فى ضلال»، مضيفاً عليه تعاليم صادرة عن أهل البيت فى تربية الجيل المسلم، و متناسبا مع كل دور من أدوار الزمان.

و قد بدأ المؤلف بمقدمة فى بيان هدفه من التفسير و الخطوات الأساسية التى مشى عليها، قال: «هل هذا كتاب تفسير، و هل نحن بحاجة إلى تفسير جديد أمام هذا الحشد من التفاسير، التى لم تترك جانباً من جوانب المعرفة القرآنية، إلّا و أفاضت فى تحليله و توسيعه و تعميقه، من الجوانب اللغوية، إلى الجوانب البلاغية و الفلسفية، و النفسية و الاجتماعية ... و ما تزال المحاولات مستمرة فى استحداث آفاق جديدة لتفاسير جديدة؟ و الجواب: إننا لم نكتب هذه الأبحاث فى البداية كمحاولة تفسيرية جديدة، بل كانت دروساً قرآنية تلقى على مجموعة من الطلاب المؤمنين المثقفين، من أجل خلق وعى قرآنى يركّز الوعى الإسلامى على قواعد ثابتة. انطلقت هذه الدروس فى خط عملى متحرك يركّز على استيحاء أجواء القرآن، من أجل أن نعيش تلك الأجواء فى حياتنا الإسلامية الصاعدة؛ لأن القرآن ليس كلمات لغوية تتجمّد فى معناها اللغوى، بل هى كلمات

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٥

تتحرك فى أجواء روحية و عملية ...» (١).

و من ثم يغلب على التفسير الطابع التربوى بما لكلمة التربية من معنى اصطلاحى، يتجسّد فى الارتقاء بالإنسان فى كل مجالاته المختلفة، و يسعى إلى إحداث عملية التكيف و التفاعل بين الكائن الأدمى و بيئته الطبيعية و الاجتماعية، لتحقيق خلافة الله فى الأرض. (٢).

و هكذا يمتاز هذا التفسير بأسلوبه الأدبى الرائع، مع المزج بينه و بين الأسلوب العلمى المتأدّب النزيه، مما يجعل الكتاب رائعاً يجذب القارئ إليه جذبا، و يجعله يتفاعل معه مغرماً به.

و قد تمّ تأليف هذا التفسير القيم عام (١٣٩٩ هـ)، و طبع عدة طبعات، و لا تزال تعاد طبعاته، حسب رغبة الجيل المثقف من الأمة فى اقتنائه و الاستضاءة بأنواره، لا زال المؤلف مؤيداً مسدداً.

## تفسير نمونه (الأمثل)

هو أول تفسير نموذجى ظهر إلى الوجود، و كان قد تعاون عليه جمع من فضلاء الحوزة العلمية بقم المقدسة؛ و ذلك خلال مدة (١٤) سنة (١٣٩٦ - ١٤١٠ هـ) و لهذا كان التفسير عملاً جماعياً، قد بذلت فى تدوينه جهود، و لكن تحت إشراف العلّامة الشيخ ناصر مكارم

الشيرازي، أحد أعلام العصر، و من المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلامية، صاحب تأليف إسلامية عريقة، و صاحب نظر و رأي و اجتهاد. (١) تفسير من وحى القرآن، ج ١، ص ٨.

(٢) رسالة القرآن، العدد الرابع، مقال: الملامح العامة لتفسير «من وحى القرآن»، ص ٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٦

و هذا التفسير إنما دون و كتب ليكون غذاء نافعا للجيل المعاصر؛ و لذلك جاء بالأهم من المواضيع الإسلامية، التربوية و الأخلاقية، و متناسبا مع المستوى العام، فكانت خدمة جليئة أسداها الشيخ مكارم و أعوانه، و قدّموها للجيل المتعطش إلى فهم معاني القرآن بشكل واسع، و الاستقاء من مناهله العذبة. جاء في المقدمة: «لكل عصر خصائصه و ضروراته و متطلباته، و هي تنطلق من الأوضاع الاجتماعية و الفكرية السائدة في ذلك العصر، و لكل عصر مشاكله و ملابساته الناتجة عن تغيير المجتمعات و الثقافات، و هو تغيير لا ينفك عن مسيرة المجتمع التاريخية، و المفكر الفاعل في الحياة الاجتماعية، هو ذلك الذي فهم الضرورات و المتطلبات، و أدرك المشاكل و الملابسات. و قد واجهنا دوما أسئلة وردت إلينا من مختلف الفئات، و خاصّة الشباب المتعطش إلى نبع القرآن عن التفسير الأفضل، كانت هذه الأسئلة تنطوي ضمنا على بحث عن تفسير يبين عظمة القرآن عن تحقيق لا عن تقليد، و يجب على ما في الساحة من احتياجات و تطلعات و آلام و آمال. تفسير يجدي كل الفئات، و يخلو عن المصطلحات العلمية المعقدة، و نحن نفتقر إلى تفسير مثل هذا. فالسلف و المعاصرون كتبوا في ذلك كثيرا، و لكنها بأساليب خاصة بالعلماء و الأدباء، و على مستويات رفيعة» (١). فمن هنا لم يجدوا بدا من الإقدام على مثل هذا التفسير بهذا الشكل الصالح للفهم العام، الأمر الذي يجعل من هذا التفسير على أهمية كبرى في سبيل التثقيف العام، خدمة جليئة مشكورة.

و هذا التفسير قد كتب بالفارسية في (٢٧) مجلدا، و ترجم إلى العربية باسم «الأمثل» في (٢٠) مجلدا. و طبع عدة مرات. (١) الأمثل، ج ١، ص ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٧

## الكاشف

للكتاب العلامة الشيخ محمد جواد مغنية، من كبار علماء لبنان (١٣٢٢-١٤٠٠ هـ) المتخرّجين من حوزة النجف الأشرف. عين قاضيا شرعيا في بيروت، ثم مستشارا للمحكمة العليا، فريسا لها بالوكالة. و عرضت عليه الرئاسة، لكنّه رفض و انعزل، و انصرف إلى التأليف، فأخرج العديد من المؤلفات ذوات الاعتبار، منها هذا التفسير القيم، أخرج في سبع مجلدات، و طبع عدة طبعات. و كان الشيخ مغنية من الدعاة إلى التقريب بين المذاهب، و كتب رسالات و مقالات في مجلّة «رسالة الإسلام» بهذا الشأن، و أحسن و أفاد.

و يعدّ تفسيره هذا من النمط الجديد، الذي يتلائم و حاجة المسلمين في هذا العصر. و لقد أجاد في هذا المضمار، و أوجز الكلام حول مفاهيم القرآن الكريم المتوافقة مع متطلبات الزمن، في عبارات شيقه رصينه، و دلائل متينة معقولة، من غير أن يتغافل عمّا حقّقه المفسرون السلف و زاد عليه الخلف. فكان تفسيراً جامعاً و شاملاً و مجيباً على أسئلة الجيل الحديث، فجزاه الله خير الجزاء.

و هناك تفسير آخر بنفس الاسم «كاشف» تفسير فارسي، تعاون على تأليفه، كلّ من الأستاذ السيّد محمد باقر حجتى، و الأستاذ عبد الكريم الشيرازي، من أساتذة جامعة طهران. يقع في ١٢ مجلدا، و طبع منذ عام (١٤٠٤ هـ) عدة طبعات.

و يعدّ تفسيراً جديداً في بيان الشكل الموزون لسور القرآن و نظمها، و مناسبات الآيات و السور و تبينها و تفسيرها، مع الاهتمام بالبيان اللغوي، و ترجمة تفسيرية موجزة، و ذكر الصور و الأشكال و الجداول الإحصائية و الرسوم الجغرافية لتوضيح المعنى، مما تتطلّب حاجة

الطلبة الجامعيين اليوم و قد حاولا

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٨

جهدهما في عرض معلومات قرآنية هي بحاجة للجيل الجديد، مما لا يتاح غالبا العثور عليها في سائر التفاسير أو هي بعيدة عن متناول الشباب المثقف في العصر الحاضر. فقد كانا موفقين في هذا الهدف السامي، جزاهما الله خيرا.

### مخزن العرفان

تفسير حافل جامع، هو من خير التفاسير التي أنتجها الجيل الجديد، في أسلوب رائع بديع، في خمسة عشر مجلدا، باللغة الفارسية السهلة السلسة، وضعتها مفخرة النساء الإيرانيات، السيدة نصرت بنت السيد محمد علي أمين، من كبار علماء أصفهان.

وقد تفرّدت أصفهان من بين البلاد الإسلامية، بهذه السيدة الجليلة، التي انصرفت بمجهودها نحو العلوم الإسلامية، حتى نالت درجة عالية من الاجتهاد في الفقه و في سائر العلوم الأدبية و الفلسفية و العرفان، في أرقى درجات.

و هذه السيدة المعروفة ب «بانو امين» قد بذلت جهدها البالغ في تربية النساء الفاضلات في شتى مناحي إيران الإسلامية. و قد ازدهر البلاد بكثرة من هذه النساء العالمات، و لا تزال تزدهر البلاد بالتوسع في سبيل تثقيف المرأة المسلمة ثقافته إسلامية عريقة و راقية؛ كل ذلك بفضل جهود هذه السيدة الفاضلة الواعية.

و توفيت سنة (١٤٠٣ هـ) عن عمر ناهز التسعين، فلقد عاشت سعيدة و ماتت حميدة. فرحمة الله عليها و بارك في علمها باقيات صالحات.

و لها في شتى العلوم و المعارف الإسلامية كتب و رسائل قيمة، لا تزال موضع انتفاع طلاب العلم و رواد المعرفة. و التفسير وضع على أسلوب تربوي، يعمد إلى تركية النفس، ثم إلى تهذيب الأخلاق، في شكل جيد بديع. و يعد من خير الآثار، فجزاها الله خير الجزاء

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٧٩

الصالحات.

و هناك تفاسير آخر باللغتين الفارسية و العربية، دوّنت أخيرا على أثر النهضة الديتية و الحركة الثقافية، في ربوع إيران الإسلامية. نظوى الكلام عن ذكرها، و نحيل الطالب إلى ما جمعه الفاضل العلامة السيد محمد علي أيازي في موسوعته القيمة «المفسرون حياتهم و منهجهم». و هو كتاب حافل جامع لأنواع التفاسير التي زخرت بها البلاد الإسلامية و لا سيما في العصر الحاضر، جزاه الله خيرا.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٠

### تفاسير أدبية

#### إشارة

هناك تفاسير غلب عليها الطابع الأدبي، النحو و البلاغة و سائر علوم اللغة، و امتازت بالتعرض لهذه الجوانب من تفسير القرآن، نذكر الأهم منها:

### الكشاف

#### إشارة

للعلامة جار الله الزمخشري. هو أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزمي. ولد سنة (٤٦٧) و توفي سنة (٥٣٨ هـ) كان معتزلي الاعتقاد، متجاهرا بعقيدته، و بنى تفسيره هذا على مذهب الاعتزال، طاعنا في تفاسير حادت عن جادة العقل بظواهر هي متنافية مع نصّ الشرع. و هو تفسير قيم لم يسبق له نظير في الكشف عن جمال القرآن و بلاغته و سحر بيانه، فقد امتاز المؤلف بإلمامه ببلغه العرب و المعرفة بأشعارهم و الإحاطة بعلوم البلاغة و البيان و الإعراب. و لقد أضفى هذا النبوغ العلمي الأدبي على تفسير الكشاف ثوبا جميلا، لفت إليه أنظار العلماء، و علق به قلوب المفسرين، و من ثمّ أثنى عليه كثير من أولى البصائر في الأدب و التفسير و الكلام. غير أن أصحاب الرأي الأشعري نقموا عليه صراحته بمذهب الاعتزال، و تأويله لكثير من ظواهر الآيات المنافية مع دليل العقل.

إنّ نظرة الزمخشري في دلالة الآيات الكريمة نظرة أدبيّة فاحصة، و كان فهمه لمعاني الآيات فهما عميقا غير متأثر بمذهب كلامي خاص، فهو لا ينظر في الآيات من زاوية مذهب الاعتزال، كما رموه بذلك. بل من زاوية فهم إنسان حرّ، عاقل أريب، و يحلّل الآيات تحليلا أدبيا في ذوق عربي أصيل، الأمر الذي التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨١ يتحاشاه أتباع مذهب الأشعري.

مثلا عند ما تعرّض لتفسير قوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ» (١) يقول: و الوجه عبارة عن الجملة. و الناصرة: من نصره النعيم. إلى ربها نظرة: تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره. و هذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ» (٢)، «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» (٣)، «إِلَىٰ اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ» (٤)، «وَإِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ» (٥)، «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (٦)، «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (٧). كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، و معلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، و لا تدخل تحت العدد، في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون. فاختصاصه بنظرهم إليه، لو كان منظورا إليه، محال؛ فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص. و الذي يصح معه، أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقّع و الرجاء. و منه قوله القائل:

و إذا نظرت إليك من ملك و البحر دونك زدتنى نعما

و سمعت سرويةً مستجديّة بمكة وقت الظهر، حين يغلق الناس أبوابهم، (١) القيامة/ ٢٢-٢٣.

(٢) القيامة/ ١٢.

(٣) القيامة/ ٣٠.

(٤) الشورى/ ٥٣.

(٥) آل عمران/ ٢٨، النور/ ٤٢، فاطر/ ١٨.

(٦) البقرة/ ٢٤٥.

(٧) الشورى/ ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٢

و يأوون إلى مقائلهم، تقول: «عيسنتى نويظرة إلى الله و إليك». و المعنى: أنهم لا يتوقّعون النعمة و الكرامة إلّا من ربّهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون و لا يرجون إلّا إياه (١).

أنظر إلى هذا التحقيق الأنيق الذي سمحت به قريحه مثل الزمخشري العلامة الأديب الأريب، و لكن أصحاب الرأي المعوج لم يرقهم هذا البيان الكافي الشافي، فجعلوا يهرولون حوله في ضجيج و عويل، زاعمين أنه خالف رأى أهل السنة، و أوّل القرآن وفق مذهب الاعتزال.

هذا ابن المنير الاسكندري تراه يهاجم الزمخشري في لحن عنيف، قائلا: ما أقصر لسانه عند هذه الآية، فكم له يدندن و يطبل في جحد



الرؤية، و يشقق القباء و يكثر و يتعمق، فلما فغرت هذه الآية فاهأ، صنع فى مصادمتها بالاستدلال ...

و ما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، و لا يؤثر عليه غيره، كما لا يصرف العاشق إذا ظفر برؤية محبوبه النظر عنه، فكيف بالمحب لله عز و جل إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم. نسأل الله أن يعيدنا من مزلق البدعة و مزلات الشبهة (٢).  
و يقول الشيخ محمد عليان- فى الهامش أيضا:- عدم كونه تعالى منظورا إليه، مبنى على مذهب المعتزلة، و هو عدم جواز رؤيته تعالى. و مذهب أهل السنة جوازها.

و قال الشيخ أحمد مصطفى المراعى إلى ربها ناظرة: أى تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب. قال جمهور أهل العلم: المراد بذلك ما تواترت به الأحاديث (١) تفسير الكشاف، ج ٤، ص ٦٦٢.

(٢) بهامش التفسير، ج ٤، ص ٦٦٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٣

الصحيحه، من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة، كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر. قال ابن كثير: و هذا بحمد الله مجمع عليه من الصحابة و التابعين و سلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام و هداة الأنام. و روى البخارى: «أنكم سترون ربكم عيانا». و روى الشيخان: «أن ناسا قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون فى رؤية الشمس و القمر ليس دونهما سحاب؟ قالوا: لا، قال: فانكم ترون ربكم كذلك» (١).

و قد أكثر أهل الحديث من روايات بهذا الشأن، أخذ بظاهرها السلف، و من تبعهم من أهل الظاهر (٢).

و استدل شيخ أهل السنة أبو الحسن الأشعري بهذه الآية على جواز رؤية الله فى الآخرة، و استشهد بموضع «إلى» من هذه الآية، قال: وَجْوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ أى رائيه؛ إذ ليس يخلو النظر من وجوه ثلاثة: إما نظر الاعتبار، كما فى قوله تعالى: أَلَا فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (٣)، أو نظر الانتظار، كما فى قوله تعالى: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاجِدَةً (٤)، أو نظر الرؤية. أما الاول فلا يجوز؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار. و كذا الثانى؛ لأن النظر إذا ذكر مع الوجه فمعناه نظر العينين اللتين فى الوجه؛ و لأنّ نظر الانتظار لا يقرب ب «إلى»، كما فى قوله تعالى: فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٥). قال: فان قال قائل: لم لا يجوز أن يراد «إلى ثواب ربها ناظرة»؟ قيل له: ثواب الله غيره، و قد قال تعالى: (١) تفسير المراعى، ج ١٠، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) راجع: الطبرى، ص ٧٣-٧٥. و ابن كثير، ج ٢، ص ٤١٤. و كذا القشيري، ج ٣، ص ٩١.

(٣) الغاشية / ١٧.

(٤) يس / ٤٩.

(٥) النمل / ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٤

إلى ربها ناظرة، و لم يقل: إلى غيره ناظرة، و القرآن على ظاهره، و ليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة (١).

أما أهل العدل و التنزيه فكانت نظرتهم فى توحيد الله نظرة فى غاية السمو و الرفعة، فطبّقوا قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (٢) أبداع تطبيق، و فضّلوه خير تفصيل، و حاربوا الأنظار الوضعية التى تثبت أن لله تعالى جسما، و أنّ له وجها و يدين و عينين، و له جهة فوقية، و عرش يستوى عليه جالسا، و أنه يرى بالأبصار، إلى آخر ما قالته الأشاعرة و أذناهم من المشبهة و المجسمة. فأتى أهل العدل و سماوا على هذه الأنظار، و فهموا من روح القرآن: تجريد الله عن المادية، فساروا فى تفسيرها تفسيراً دقيقاً واسعاً، و أولوا ما يخالف هذا المبدأ، و سلسلوا عقائدهم تسلسلا منطقيا.

و قد فضّل الكلام- فى نفي رؤيته تعالى- القاضى عبد الجبار فى كتابه «شرح الأصول الخمسة» (٣) و أوفى البحث حقّه. و هكذا الخواجانصير الدين الطوسى فى مختصر العقائد «التجريد» (٤).

و ملخص الكلام فى نفى الرؤية: أن النظر بالعين عبارة عن إشعاع نورى يحيط بالجسم المرئى، الأمر الذى يستدعى مقابله و مواجهه، و هو يلزم الجسميه. و الآية الكريمة تصف موقف المؤمنين فى ذلك اليوم، أنهم على رغم (١) راجع: كتاب «الإبانة» لأبى الحسن الأشعري، ص ١٠-١٩. و «اللمع» له أيضا ص ٦١-٦٨.

(٢) الشورى / ١١.

(٣) باب نفى الرؤية، ص ٢٣٢-٢٧٧.

(٤) شرح تجريد العقائد للعلامة الحسن بن المطهر الحلي، ص ١٦٣-١٦٥. ط. بمبئي.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٥

أهواله الجسم مبهجون مسرورون، ليس لشيء إلا لأنهم منصرفون بكليتهم عن غيره تعالى، و متوجهون بكل وجودهم إلى الله. و النظر بهذا المعنى يتعدى ب «إلى» كما جاء فى قوله السرويه، و قول الشاعر:

إنى إليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغنى الموسر

و كانت عائشة تنكر أشد الإنكار إمكان رؤيته تعالى بالأبصار. فى حديث مسروق عنها المتفق عليه قال: قلت لعائشة: يا أمته، هل رأى محمد ربه ليلة المعراج؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، و قد أعظم على الله الفرية، ثم قرأت لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير ... «١»، و من حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت و ما تدري نفس ما ذا تكسب غداً «٢»، و من حدثك أنه ... كتم شيئا من الدين، فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ... «٣»

هذا حديث متفق عليه رواه الشيخان و غيرهما من أصحاب الصحاح «٤».

و هكذا كان مجاهد يقول فى آية القيامة إلى ربها ناظرة: تنتظر ثواب ربها. فى حديث رواه عبد بن حميد عنه، قال الحافظ ابن حجر: سنده إلى مجاهد صحيح «٥». (١) الأنعام / ١٠٣.

(٢) لقمان / ٣٤.

(٣) المائدة / ٦٧.

(٤) تفسير المنار، ج ٩، ص ١٥٣.

(٥) المصدر، ص ١٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٦

و من ثم فإن النابهن من الأمة، و لا سيما فى عصر متأخر، هبوا ينكرون إمكان رؤيته تعالى على الإطلاق؛ إذا كان المقصود من الرؤية الإحاطة بذاته المقدسة بتحديد العين إليه، فإنه محال البتة، فإنه ملازم للتقابل و الجسميه المحالين عليه سبحانه.

قال صاحب المنار فى وجل من أصحابه فى الخروج من مذهب أسلافه:

و أما رؤية الرب تعالى فربما قيل بادي الرأى: إن آيات النفى فيها أصرح من آيات الإثبات، كقوله تعالى: لَنْ تَرَانِي، و قوله تعالى: لا تدركه الأبصار فهما أصرح دلالة على النفى من دلالة قوله تعالى: و جوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة على الإثبات، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار، كثير فى القرآن و كلام العرب، كقوله: ما ينظرون إلا صيحة واحدة «١»، هل ينظرون إلا تأويله «٢»، هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام و الملائكة «٣». و ثبت أنه استعمل بهذا المعنى متعديا ب «إلى»؛ و لذلك جعل بعضهم وجه الدلالة فيه على المعنى الآخر- و هو توجيه الباصرة، إلى ما تراد رؤيته- أنه أسند إلى الوجوه، و ليس فيها ما يصح إسناد النظر إليها إلا العيون الباصرة، و هو فى الدقة كما ترى (أى ليس ذلك ظاهر الآية ظهورا عرفيا) «٤». و لصاحب المنار هنا فى توجيهه و تأويله كلام أهل السنة كلام طويل، لا يستغنى الباحث عن مراجعتها.

و لنا أيضا بحث مستوف بمسألة الرؤية عرضناه في بحث المتشابهات «٥». (١) يس / ٤٩.

(٢) الأعراف / ٥٣.

(٣) البقرة / ٢١٠.

(٤) تفسير المنار، ج ٩، ص ١٣٤.

(٥) راجع: التمهيد، ج ٣، ص ٩٠-١١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٧

### اعتماده على التأويل و التمثيل

و هكذا نجد الزمخشري يعتمد في تفسيره على ضروب من التأويل و المجاز و التمثيل، فيحمل ما ظاهره التنافي مع العقل أو الأصول المتلقاة من الشرع، على ضرب من التمثيل و الاستعارة و المجاز، الأمر الذي أثار نغرات خصومه أهل السنة و الجماعة، ناقلين عليه تصريفه لظواهر آيات القرآن الحكيم.

مثلا نجده عند تفسير الآية (٧٢) من سورة الأحزاب، يقول:

قوله: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ وَ هُوَ يَرِيدُ بِالْأَمَانَةِ الطَّاعَةَ، فعظم أمرها و فخم شأنها، و فيها وجهان:

أحدهما: أن هذه الأجرام العظام من السماوات و الأرض و الجبال، قد انقادت لأمر الله عزّ و علا، انقياد مثلها، و هو ما يتأتى من الجمادات، و أطاعت له الطاعة التي تصحّ منها و تليق بها؛ حيث لم تمتنع على مشيئته و إرادته إيجابا و تكوينا و تسوية على هيآت مختلفة و أشكال متنوعة، كما قال: قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ «١». و أما الإنسان فلم تكن حاله - فيما يصحّ منه من الطاعات، و يليق به من الانقياد لأوامر الله و نواهي، و هو حيوان عاقل صالح للتكليف - مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها و يليق بها من الانقياد، و عدم الامتناع.

و المراد بالأمانة، الطاعة؛ لأنها لازمة الوجود، كما أنّ الأمانة لازمة الأداء.

و عرضها على الجمادات، و إباؤها و إشفاقها: مجاز.

و أما حمل الأمانة، فمن قولك: فلان حامل للأمانة و محتمل لها، تريد أنه لا يؤدّيها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته و يخرج عن عهدها؛ لأنّ الأمانة كأنها راكبة للمؤمن عليها و هو حاملها. ألا تراهم يقولون: ركبتة الديون. ولى عليه (١) فصلت / ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٨

حق، فإذا أذاها لم تبق راكبة له و لا هو حامل لها. و نحوه قولهم: لا يملك مولى لمولى نصرا، يريدون أنه يبذل النصرة له و يسامحه بها، و لا يمسكها كما يمسك الخاذل. و منه قول القائل:

أخوك الذى لا تملك الحسّ نفسه و ترفض عند المحفظات الكتائف «١»

أى لا يمسك الرقة و العطف إمساك المالك الضنين ما فى يده، بل يبذل ذلك و يسمح به. و منه قولهم: أبغض حق أخيك؛ لأنه إذا أحبه لم يخرج به إلى أخيه و لم يؤدّه، و إذا أبغضه أخرجه و أداه.

فمعنى فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ «٢»: فأبين إلّا أن يؤدّينها، و أبى الإنسان إلّا أن يكون محتملا لها لا يؤدّيها، ثم وصف بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة، و بالجهل، لإخطائه ما يسعده مع تمكّنه منه، و هو أدائها.

و الثانى: أن ما كلّفه الإنسان بلغ من عظمه و ثقل محمله، أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام و أقواه و أشدّه، أن يتحمّله و يستقلّ به، فأبى حملة و الاستقلال به و أشفق منه. و حملة الإنسان على ضعفه و رخاوة قوّته. إنه كان ظلوما جهولا؛ حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها، و ضمنها ثم خاس بضمّانه فيها «٣».

قال: و نحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب، و ما جاء القرآن إلّا على (١) هو للقطامي، و قيل: لذى الرمة. و حس له حسا: رق له و عطف. و الحس أيضا: العقل و التدبير و النظر في العواقب. و الرفضاض: الترشش و التناثر. و أحفظه إحفاظا: أغضبه. و الكتائف جمع كتيفة، و هى الضغينة و الحقد. يقول: أخوك هو الذى لا تملك نفسه الرحمة، بل يبذلها لك و يسرع إليك بغته و تذهب ضغائنه.

(٢) الأحزاب / ٧٢.

(٣) خاس به يخيس و يخوس: غدر به. خاس بالعهد، إذا نكث.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٨٩

طرقهم و أساليبهم. و من ذلك قولهم: لو قيل للشحم أين تذهب، لقال: أسوى العوج. و كم لهم من أمثال على السنة البهائم و الجمادات. و تصوّر مقالة الشحم محال، و لكن الغرض أن السمن فى الحيوان ممّا يحسن قبيحه، كما أن العجف مما يقبح حسنه. فصور أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع فى نفس السامع، و هى به آنس، و له أقبل، و على حقيقته أوقف. و كذلك تصوير عظم الأمانة و صعوبة أمرها و ثقل حملها و الوفاء بها. و هنا تقوم أمام الزمخشري صعوبات و مشاكل، يصورها لنا فى سؤاله:

فإن قلت: قد علم وجه التمثيل فى قولهم للذى لا يثبت على رأى واحد: أراك تقدّم رجلا و تؤخّر أخرى؛ لأنه مثلت حاله فى تميله و ترجّحه بين الرأيين، و تركه المضى على أحدهما بحال من يتردّد فى ذهابه، فلا يجمع رجليه للمضى فى وجهه. و كل واحد من الممثل و الممثل به، شىء مستقيم، داخل تحت الصحة و المعرفة. و ليس كذلك ما فى هذه الآية، فإنّ عرض الأمانة على الجماد و إباءه و إشفاقه محال فى نفسه، غير مستقيم، فكيف صحّ بناء التمثيل على المحال. و ما مثال هذا إلّا أن تشبّه شيئا، و المشبّه به غير معقول.

و لكنّ الزمخشري لا توقفه هذه الصعوبات، بل نراه يتخلّص منها بكل دقّة و براعة؛ حيث يقول:

قلت: الممثل به فى الآية و فى قولهم: «لو قيل للشحم أين تذهب...» و فى نظائره، مفروض، و المفروضات تتخيل فى الذهن كما المحققات: مثلت حال التكليف فى صعوبته، و ثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السماوات و الأرض و الجبال لأبين أن يحملنها و أشفقن منها «١». (١) الكشاف، ج ٣، ص ٥٦٤-٥٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٠

قال الذهبى: و هذه الطريقة التى يعتمد عليها الزمخشري فى تفسيره أعنى طريقة الفروض المجازية، و حمل الكلام الذى يبدو غريبا فى ظاهره، على أنه من قبيل التعبيرات التمثيلية أو التخيلية قد أثارت حفيظة خصمه السنّى ابن المنير الإسكندري عليه، فاتهمه بأشنع التّهم فى كثير من المواضع التى تحمل هذا الطابع، و نسبه إلى قلة الأدب و عدم الذوق «١».

فمثلا- عند ما يعرض الزمخشري لقوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٢» نراه يقول: هذا تمثيل و تخيل، كما مرّ فى آية عرض الأمانة، و قد دلّ عليه قوله تعالى: وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ... و الغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه و قلة تخشعه عند تلاوة القرآن، و تدبّر قوارعه و زواجه «٣».

و لكن هذا قد أغضب ابن المنير، فقال معقبا عليه: و هذا مما تقدم إنكارى عليه فيه، أفلا كان يتأدّب بأدب الآية، حيث سمى الله هذا مثلا، و لم يقل: و تلك الخيالات نضربها للناس. ألهمنا الله حسن الأدب معه، و الله الموقّق.

غير أن الزمخشري ولع بهذه الطريقة، فمشى عليها من أوّل تفسيره إلى آخره، و لم يقبل المعانى الظاهرة التى أخذ بها أهل السنة و حسبوها أقرب إلى الصواب، كما لا ينفك عن التنديد بأهل السنة الذين يقبلون هذه المعانى الظاهرة و يقولون بها، و كثيرا ما ينسبهم من أجل ذلك إلى أنهم من أهل الأوهام و الخرافات، كما عرفت من هجوه لهم فى الشعر المتقدّم. و قد سمّاهم أهل الحشو، عند

تفسيره (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٤٤٩.

(٢) الحشر / ٢١.

(٣) الكشاف، ج ٤، ص ٥٠٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩١

لَايَةٌ (٣٦) من سورة آل عمران وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِيَدِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

قال: و ما يروى من

الحديث: «ما من مولود يولد إلّا و الشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخا من مسّ الشيطان إياه إلّا مريم و ابنها»

فالله أعلم بصحته. فإن صحّ فمعناه: أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلّا مريم و ابنها، فإنهما كانا معصومين. و كذلك كل من كان في صفتيهما، كقوله تعالى: لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ «١». و استهلاله صارخا من مسّه، تخيل و تصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه و يضرب بيده عليه، و يقول: هذا ممن أغويه، و نحوه من التخيل قول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

و أما حقيقة المسّ و النخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا. و لو سلط إبليس على الناس بنخسهم، لامتألت الدنيا صراخا و عياطا مما يبلونا به من نخسه «٢».

و إليك أمثلة أخرى لتقف على مقدار تمسكه بهذه الطريقة:

ففي سورة البقرة عند قوله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ «٣» يذكر الزمخشري في معنى «الكرسى» أربعة أوجه، و يقول في الوجه الأول منها:

إن كرسية لم يضق عن السماوات و الأرض لبسطه و سعته، و ما هو إلّا تصوير لعظمته و تخيل فقط، و لا كرسى ثمّة، و لا قعود، و لا قاعد، كقوله تعالى: (١) الحجر / ٣٩ - ٤٠.

(٢) الكشاف، ج ١، ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٣) الآية ٢٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٢

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ «١» من غير تصوّر قبضه و طي و يمين، و إنما هو تخيل لعظمته شأنه، و تمثيل حسي، ألا ترى إلى قوله: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ «٢»؟! الأمر الذي لم يرتض ابن المنير، و من ثم عقبه بقوله: قوله: «إن ذلك تخيل للعظمة» سوء أدب في الإطلاق، و بعد في الإصرار، فإن التخيل إنما يستعمل في الأباطيل و ما ليست له حقيقة صدق، فإن يكن معنى ما قاله صحيحا فقد أخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة، لا مدخل لها في الأدب الشرعي. و سيأتى له أمثالها مما يوجب الأدب أن يجتنب.

و في سورة الأعراف عند تفسير آية الميثاق يقول: و قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شَهِدْنَا «٣» من باب التمثيل. و معنى ذلك: أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته و وحدانيته، و شهدت بها عقولهم و بصائرهم التي ركبها فيهم، و جعلها مميزة بين الضلالة و الهدى، فكانه أشهدهم على أنفسهم و قرّهم، و قال لهم:

أ لست بربكم، و كأنهم قالوا: بلى أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا و أقرنا بوحدانيتك. و باب التمثيل واسع في كلام الله تعالى و رسوله عليه السلام و في كلام العرب. و نظيره قوله تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «٤»، فقال لها و لِلْأَرْضِ اثْنَيْ عَشَرَ مِائَةَ أَلْفَ عَامًا قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا أَعْزَمُ لِلْغَايَةِ وَقَدِ انْقَلَبَتْ عَالَمًا «٥».

و قوله: (١) الزمر / ٦٧.

(٢) الكشاف، ج ١، ص ٣٠١.

(٣) الآية ١٧٢.

(٤) النحل / ٤٠.

(٥) فصلت / ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٣

إذ قالت الأنساع للبطن الحق قدوما فأضت كالفنيق المحق «١»

و قوله:

قالت له ريح الصبا قرقار و اختلط المعروف بالإنكار «٢»

قال الذهبي: و لكن ابن المنير السني لم يرض هذا من الزمخشري بطبيعة الحال، و لذا تعقبه بقوله: إطلاق التمثيل أحسن. و قد ورد الشرع به. أما إطلاق التخييل على كلام الله تعالى فمردود، و لم يرد به سمع، و قد كثر إنكارنا عليه لهذه اللفظة. ثم إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه، فلذلك أقره الأكثرون على ظاهره و حقيقته، و لم يجعلوه مثالا. أما كيفية الإخراج و المخاطبة فالله أعلم بذلك «٣».

و مسألة «التمثيل» و «التخييل» يستعملها الزمخشري بحريّة أوسع فيما ورد من الأحاديث التي يبدو ظاهرها مستغربا، و قد مرّ كلامه في حديث مسّ الشيطان و نخسه للمواليد، الأمر الذي أثار تائره خصمه السنّي الذي لم يرتض هذا الصنيع من خصمه المعتزلي، فتراه يتورّك عليه بقوله: أما الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحته، فلا محيص له إذن عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله، (١)- هو لأبي النجم العجلي. و النسع- بالكسر-: حزام عريض يشدّ به وسط الدابة و ستر اليهودج. و الحق: فعل أمر، أي التصق يا ظهر بالبطن و انضم. و قدوما مصدر منصوب بمحذوف أو بما قبله على أنه مفعول له. و آض يثيض: صار بصير. و الفنيق: الفحل المنعم المكرم. و المحق: المغيظ من الحق، و هو الغيظ.

(٢)- أيضا لأبي النجم. و قرقار: اسم فعل بمعنى قرق، أمر السحاب لتنزله منزلة العاقل، أي صوت بالرعده. و المقصود من الإنكار: المواضيع غير المعروفة، أي سوّ بين الإمكان المعهودة بالإمطار و غير المعهودة.

(٣) الكشاف، ج ٢، ص ١٧٦-١٧٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٤

جنوحا إلى اعتزال منتزع، في فلسفه منتزعه، في إلحاد، ظلمات بعضها فوق بعض «١».

#### امتنانه بشأن القراء

و هكذا نجد الزمخشري قد أعاظ خصومه أهل الظاهر و المقلّدة من أهل السنّة و الجماعة؛ حيث رفض حجّية القراءات حجّية تعبدية، حتى و لو كانت على خلاف الفصحى من اللّغة؛ إذ لم تثبت حجّيتها بهذه السعة و الإطلاق، فإذا ما تعارضت قراءة مع المقرر من لغة العرب الفصحى، نجد العلماء المحققين أمثال الزمخشري يرفضون تلك القراءه، حفاظا على سلامة القرآن، من خلل في فصاحته العليا، الأمر الذي لم يرتضه المقلّدة من أهل الظاهر، فهتوا يهاجمونه بأشنع القذائف.

هذا ابن عامر قارئ دمشق، و هو أحد القراء السبعة قرأ: وَ كَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ «٢» برفع «قتل» و نصب «أولادهم» و جرّ «شركائهم» باضافة «قتل» إلى «شركائهم» مع الفصل بالمفعول به، و قراءة «زَيْن» مبنيا للمفعول.

فأنكر عليه الزمخشري و عدّ قراءته هذه سمجة مردودة، قال: و أما قراءة ابن عامر... فشىء لو كان في مكان الضرورات و هو الشعر، لكان سمجا مردودا، كما سمج و ردّ:

فزوجتها بمزجة زج القلوص أبي مزادة (٣)

(١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٤٥٢.

(٢) الأنعام / ١٣٧.

(٣) الزج: الطعن. و المزجة: الرمح القصير لأنه آلة للزج. و القلوص: الناقه الشابه، و هو مفعول

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٥

فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه و جزالته.

قال: و الذي حملة على ذلك، أن رأى في بعض المصاحف «شركائهم» مكتوبا بالياء. و لو قرأ بجر الأولاد و الشركاء؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (١).

و في ذلك امتهان بشأن ابن عامر (٢) و استهانة بشأن قراءته غير المستندة إلى حجة معتبرة (٣)، الأمر الذي أثار نعرات القوم ضده و جعلوه يقذفونه بأقبح الشتائم. هذا ابن المنير الإسكندري الهائم في تيه ضلاله، يعلو بنشيجه في ذلك، يقول في حده و غضب: لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء، و تاه في تيهاء، و أنا أبرأ إلى الله، و أبرئ حملة كتابه و حفظه كلامه مما رامهم به، فإنه تخيل أن القراء - أئمة الوجوه السبعة - اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لا نقلا فاصل بين المضاف و المضاف إليه.

(١) الكشف، ج ٢، ص ٧٠.

(٢) هو عبد الله بن عامر اليحصبي قارئ الشام، توفي سنة (١١٨). كان حامل النسب حامل الذكر، لم يعرف نسبه كما لم يعرف له شيخ، تعلم القراءة عفوا، و قد كرهه الناس و كرهوا قراءته، كان يؤم الناس بالمسجد الأموي، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك بعث إلى مهاجر و قال: قف خلف ابن عامر فإذا تقدم فخذ بثيابه و اجذبه، فلن يتقدم منا دعوى، و صل أنت يا مهاجر، ففعل. راجع: التمهيد، ج ٢، ص ١٨٦، و طبقات الفراء، ط ٣، رقم ٨.

(٣) و قد تكلمنا عن القراءات السبع و أنها غير متواترة، و إنما هي اجتهادات للقراء، لا حجية فيها ذاتية في سوى قراءة عاصم برواية حفص، فإنها لوحدها القراءة المتواترة التي توارثها المسلمون من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لا حجية في غيرها إطلاقا. راجع: التمهيد، ج ٢، ص ٦٠ - ٨٤، مبحث القراء و القراءات.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٦

و سماعا، فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه. و لم يعلم الزمخشري أن ابن عامر قرأ بها، يعلم ضرورة أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قرأها على جبرائيل كما أنزلها عليه كذلك، و تواترت عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم. و لو لا عذر أن المنكر ليس من أهل الشائين: علم القراءة و علم الأصول، لخيف عليه الخروج من ربة الدين، و أنه على هذا العذر لفي عهده خطر و زلة منكرة (١).

و قال أبو حيان الأندلسي: «و أعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة، موجود نظيرها في «لسان العرب» في غير ما بيت، و أعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا و غربا، و قد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم و معرفتهم و ديانتهم. و لا التفات لقول أبي علي الفارسي: هذا قبيح قليل في الاستعمال.

و قال قبل ذلك: و لا التفات إلى قول ابن عطية: و هذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب (٢).

و قال الكواشي - هو أحمد بن يوسف أبو العباس الموصلي صاحب تفسير، توفي سنة (٦٨٠هـ) -: «كلام الزمخشري يشعر بأن ابن عامر ارتكب محظورا، و أنه غير ثقة؛ لأنه يأخذ القراءة من المصحف لا من المشايخ، و مع ذلك أسندها إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم. و ليس الطعن في ابن عامر طعنا فيه، و إنما هو طعن في علماء الأمصار؛ حيث جعلوه أحد القراء السبعة المرضية، و في الفقهاء حيث لم ينكروا عليه، و أنهم يقرءونها في محاريبهم، و الله أكرم من أن يجمعهم على الخطأ».

و قال التفتازاني: هذا أشد الجرم؛ حيث طعن في أسناد القراء السبعة (١) هامش الكشف، ج ٢، ص ٦٩.

(٢) تفسير «البحر المحيط» لأبى حيان، ج ٤، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٧

و رواياتهم، و زعم أنهم إنما يقرءون من عند أنفسهم. و هذه عادته، يطعن فى تواتر القراءات السبع، و ينسب الخطأ تارة إليهم، كما فى هذا الموضوع، و تارة إلى الروايات عنهم. و كلاهما خطأ» (١).

و تقلد الآلوسى عبارة ابن المنير: «و قد ركب فى هذا الكلام عمياء و تاه فى تيهاء، فقد تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا نقلاً و سماعاً، كما ذهب إليه بعض الجهلة، فلذلك غلط ابن عامر فى قراءته هذه و أخذ يبين منشأ غلظه، و هذا غلط صريح يخشى منه الكفر و العياذ بالله تعالى فإن القراءات السبع متواترة جملةً و تفصيلاً عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه و آله و سلم فتغليط شىء منها فى معنى تغليط رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بل تغليط الله عز و جل، نعوذ بالله سبحانه من ذلك» (٢).

### تهاجمه على أهل السنة

كما و لم يقصر الزمخشري فى تهاجمه على خصومه من أهل السنة، فلم يدع فرصة أثناء تفسيره إلا و قذفهم بقذائف لاذعة و قرعهم بمقامع دامغة. قال الذهبى: و إن المتتبع لما فى «الكشاف» من الجدل المذهبى، ليجد أن الزمخشري قد مزجه فى الغالب بشىء من المبالغة فى السخرية و الاستهزاء بأهل السنة، فهو لا يكاد يدع فرصة تمر بدون أن يحقرهم و يرميهم بالأوصاف المقدعة، فتارة يستمهم المجبرة، و أخرى يسميهم الحشوية، و ثالثة يسميهم المشبهة، و أحياناً يسميهم القدرية، تلك التسمية التى أطلقها أهل السنة على منكرى القدر، فرماهم بها الزمخشري، لأنهم يؤمنون بالقدر. كما جعل حديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الذى (١) بنقل الشيخ يوسف البحرانى فى الكشكول، ج ٣، ص ٣٣٩.

(٢) روح المعانى، ج ٨، ص ٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٨

حكم فيه على القدرية أنهم مجوس هذه الأمة، منصباً عليهم؛ و ذلك حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى (١): و لو لم يكن فى القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة، بشهادة نبيها صلى الله عليه و آله و سلم - و كفى به شاهداً - إلا هذه الآية لكفى بها حجة (٢).

كما سَمَّاهم بهذا الاسم و رماهم بأنهم يحيون لياليهم فى تحمّل الفاحشة، ينسبونها إلى الله تعالى؛ حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (٣): و أما قول من زعم أن الضمير فى «زكى» و «دسى» لله تعالى، و أن تأنيث الضمير الراجع إلى «من» لأنه فى معنى النفس، فمن تعكيس القدرية الذين يوركون (٤) على الله قدرا هو برىء منه و متعال عنه. و يحيون لياليهم فى تمحل فاحشة ينسبونها إليه (٥).

و الظاهرة العجيبة فى خصومة الزمخشري، أنه يحرص كل الحرص على أن يحول الآيات القرآنية التى وردت فى حق الكفار، إلى ناحية مخالفيه فى العقيدة من أهل السنة، ففى سورة آل عمران حيث يقول تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ (٦)، نجد الزمخشري بعد ما يعترف بأن الآية واردة فى حق اليهود و النصارى يجوز أن تكون واردة فى حق مبتدعى (١) فصلت/ ١٧.

(٢) الكشاف، ج ٤، ص ١٩٤.

(٣) الشمس / ٩ - ١٠.

(٤) ورك فلان ذنبه على غيره، إذا قرفه به، أى اتهمه به ظلماً.



(٥) الكشاف، ج ٤، ص ٧٦٠.

(٦) الآية ١٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٤٩٩

هذه الأمة، و ينص على أنهم «المشبهة» و «المجبرة» و «الحشوية» و أشباههم «١».

و فى سورة يونس، حيث يقول تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ «٢»، يقول: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن و فاجئوه فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه و يعلموا كنه أمره، و قبل أن يتدبروه و يقفوا على تأويله و معانيه؛ و ذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم، و شرادهم عن مفارقة دين آبائهم، كالناشئ على التقليد من «الحشوية» إذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه و ألفه و إن كانت أضوا من الشمس فى ظهور الصحة و بيان الاستقامة أنكرها فى أول وهلة، و اشماز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه، من غير فكر فى صحة أو فساد؛ لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه و فساد ما عداه من المذاهب «٣».

و لقد أظهر الزمخشري تعصبا قويا لمذهبه، إلى حد جعله يخرج خصومه السنيين من دين الله، و هو الإسلام؛ و ذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ «٤»: فإن قلت: ما المراد بأولى العلم الذين عظمهم هذا التعظيم، حيث جمعهم معه و مع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته و عدله؟

قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته و عدله بالحجج الساطعة و البراهين القاطعة، و هم علماء العدل و التوحيد- يريد أهل مذهبه-

فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد يعنى فى قوله: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (١) الكشاف، ج ١، ص ٣٩٩.

(٢) الآية ٣٩.

(٣) الكشاف، ج ٢، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٤) آل عمران/ ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٠

قلت: فائدته أن قوله: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هو توحيد، و قوله: قائمًا بِالْقِسْطِ تعديل، فإذا أردفه بقوله: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ فقد آذن أن الإسلام هو العدل و التوحيد، و هو الدين عند الله، و ما عداه فليس عنده فى شىء من الدين.

و فيه: أن من ذهب إلى تشبيهه، أو ما يؤدى إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذى هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذى هو الإسلام، و هذا بين جلتى كما ترى «١».

و عند تفسيره لقوله تعالى: قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ «٢»، قال: «ثم تعجب من المتسمين بالإسلام، المتسمين بأهل السنة و الجماعة، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا، و لا يغرنك تسترهم بالبلكفة «٣» فإنه من منصوبات أشياخهم! و القول ما قال بعض العدلية فيهم:

لجماعة سموا هواهم سنة و جماعة حمر لعمرى موكفة «٤»

قد شبهوه بخلقه و تخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة

و حمل الآية على أنها ترجمة عن مقترح قومه و حكاية لقولهم.

و تفسير آخر، و هو: أن يريد بقوله: ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ عرْفنى نفسك تعريفا واضحا جليا، كأنها إراءة فى جلائها بآية، مثل آيات القيامة

التي تضطر (١) الكشاف، ج ١، ص ٣٤٤-٣٤٥. و راجع: التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٤٦٥-٤٦٧.

(٢) الأعراف/ ١٤٣.

(٣) لأنهم قالوا: إنه يرى بلا كيف، أى لا تسأل عن كيفية رؤيته تعالى. و البلكفة مخففة ذلك.

و عدّ الزمخشري ذلك ذريعة للتخلص من مأزق القول بالجسمية و القول بالجهة، فهو من منصوبات أشياخهم، أى شبكات يتصيدون بها الضعفاء.

(٤) أى موضوع عليها الإكاف و هى البرذعة. و هى بمنزلة السرج للفرس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠١

الخلق إلى معرفتك، أنظر إليك: أعرفك معرفة اضطرار، كأنى أنظر إليك، كما جاء فى الحديث «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»

بمعنى: ستعرفونه معرفة جليئة هى فى الجلاء كإبصاركم للقمر إذا امتلأ و استوى «١».

و قد أثار ذلك ثورة أحمد الإسكندرى، فجعل يقابل هجاءه لأهل السنة بهجاء أهل العدل، قال: «و لو لا الاستناد بحسان بن ثابت الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و شاعره، و المنافع عنه و روح القدس معه، لقلنا لهؤلاء المتلقين بالعدلية و بالنابغين سلاما، و لكن كما نافع حسان عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أعداءه، فنحن نافع عن أصحاب سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أعداءهم فنقول:

و جماعة كفروا برؤية ربهم حقاً و وعد الله ما لن يخلفه

و تلقبوا عدلية قلنا: أجل عدلوا برّبهم فحسبهم سفه

و تلقبوا النابغين، كلّا إنهم إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفاه» «٢».

### البحر المحيط

لأثير الدين محمد بن يوسف بن على الحيانى الأندلسى النحوى، كان من أقطاب سلسلة العلم و الأدب، و أعيان المبصرين بدقائق ما يكون من لغة العرب.

حكى أنه سمع الحديث بالأندلس و إفريقية و الإسكندرية و مصر و الحجاز، من نحو أربع مائة و خمسين شيخاً، و كان شيخ النحاة بالديار المصرية، و أخذ عنه أكابر عصره. فعن الصفدى أنه قال: لم أره قطّ إلّا يسمع أو يشتغل أو يكتب (١) تفسير الكشاف، ج ٢، ص ١٥٢-١٥٦.

(٢) هامش تفسير الكشاف، ج ٢، ص ١٥٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٢

أو ينظر فى كتاب. و كان ثبنا صدوقاً حجة، سالم العقيدة من البدع و القول بالتجسيم، و مال إلى مذهب أهل الظاهر و إلى محبة الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. كثير الخشوع و البكاء عند قراءة القرآن. توفى بالقاهرة سنة (٧٤٥هـ). و من شعره:

هم بحثوا عن زلتى فاجتنتها و هم نافسونى فاكسبت المعاليا

يروى عنه شيخنا الشهيد الثانى بواسطة تلميذة جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل البغدادي «١».

و تفسيره هذا من أجمع التفاسير على النكات الأديبة الرائعة التى اشتمل عليها القرآن الكريم، و أوفرهم بحثاً وراء كشف المعانى الدقيقة التى حواها كلام الله العزيز الحميد. و قد امتاز بالاهتمام البالغ بجهات اللغة و النحو و الأدب البارع، و يعدّ تفسيره ديواناً حافلاً بشواهد تفسير الكلمات و اللغات و التعابير العربية و الوجوه الإعرابية، كما اهتم بالقراءات و اللهجات؛ إذ كان عارفاً بها، و نقل أقوال الأئمة و آراء الفقهاء، فكان تفسيراً جامعاً و شاملاً يروى الغليل و يشفى العليل.

و قد أبان عن منهجه فى المقدمة، قائلاً:

«و ترتبى فى هذا الكتاب أنى ابتدأت أولاً بالكلام على مفردات الآية التى أسيرها لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة و الأحكام النحوية التى لتلك اللفظة قبل التركيب، و إذا كان لكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك فى أول موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما

يناسب لها من تلك المعانى فى كل موضع تقع فيه فيحمل (١) الكنى و الألقاب للقمى، ج ١، ص ٥٩-٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٣

عليه. ثم أشرع فى تفسير الآيه، ذاكرًا سبب نزولها إذا كان لها سبب و نسخها و مناسبتها و ارتباطها بما قبلها، حاشدا فيها القراءات، شاذها و مستعملها، ذاكرًا توجيه ذلك فى علم العربية، ناقلا- أقاويل السلف و الخلف فى فهم معانيها، متكلمًا على جليتها و خفيها؛ بحيث إنى لم أغادر منها كلمه و إن اشتهرت، حتى أتكلم عليها، مبديا ما فيها من غوامض الإعراب و دقائق الأدب، من بديع و بيان، مجتهدا. ثم أختتم الكلام فى جملة من الآيات التى أفسرها أفرادا و تركيبا، بما ذكروا فيها من علم البيان و البديع ملخصا «١».

## معانى القرآن

لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة (٢٠٧ هـ). كان تلميذ الكسائى و صاحبه، و أبرع الكوفيين و أعلمهم بالنحو و اللغة و فنون الأدب. قال ثعلب:

لولا الفراء لما كانت عربيته؛ لأنه خلصها و ضبطها. و كانت له حظوة عند المأمون، كان يقدمه، و عهد إليه تعليم ابنه، و اقترح عليه أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو و ما سمع من العربية، و أمر أن تفرد له حجرة فى الدار و وكل بها جوارى و خدما للقيام بما يحتاج إليه، و صير إليه الوراقين يكتبون ما يمليه، و قد عظم قدر الفراء فى الدولة العباسية.

كان الفراء قوى الحافظة، لا يكتب ما يتلقاه عن الشيوخ استغناء بحفظه.

و بقيت له قوة الحفظ طوال حياته، و كان يملى كتبه من غير نسخه. قيل عنه: إنه أمير المؤمنين فى النحو. يقول ثمامة بن الأشرس المعتزلى عنه- و هو يتردد على باب المأمون-: فرأيت أبه أديب، فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا، (١) مقدمة تفسير البحر المحيط، ج ١، ص ٤-٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٤

و فاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده، و عن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم، و بالنحو ماهرا، و بالطب خبيرا، و بأيام العرب و أشعارها حاذقا.

و كان سبب تأليفه لكتاب معانى القرآن على ما حكاه أبو العباس ثعلب أن عمر بن بكر كان من أصحابه و كان منقطعًا إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء: أن الأمير الحسن بن سهل ربما سألنى عن الشىء بعد الشىء من القرآن، فلا يحضرنى فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لى أصولا أو تجعل فى ذلك كتابا أرجع إليه فعلت. فأجابته الفراء، و قال لأصحابه: اجتمعوا حتى أمل عليكم كتابا فى القرآن، و جعل لهم يوما، فلما حضروا خرج إليهم و كان فى المسجد رجل يؤذن و يقرأ بالناس فى الصلاة، فالتفت إليه الفراء، فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب، ففسرها، ثم توفى الكتاب كله، يقرأ الرجل و يفسر الفراء. قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله، و لا أحسب أن أحدا يزيد عليه. و عن أبى بديل الوضاحى: فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء الكتاب فلم يضبط، قال: فعدنا القضاء فكانوا ثمانين قاضيا.

و عن محمد بن الجهم: كان الفراء يخرج إلينا- و قد لبس ثيابه- فى المسجد الذى فى خندق عبويه، و على رأسه قلنسوة كبيرة، فيجلس فيقرأ أبو طلحة الناقط عشرا من القرآن، ثم يقول: أمسك، فيملى من حفظه المجلس. ثم يجيء سلمة بن عاصم من جلّة تلامذته بعد أن نصرّف نحن، فيأخذ كتاب بعضنا فيقرأ عليه و يغير و يزيد و ينقص.

يقول محمد بن الجهم السيمرى راوى الكتاب فى المقدمة: هذا كتاب فى معانى القرآن، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء- يرحمه الله- عن حفظه من غير نسخه، فى مجالسه أول النهار من أيام الثلاثاوات و الجمع، فى شهر رمضان و ما بعده من سنة اثنتين، و

فى شهور سنة ثلاث، و شهور من سنة أربع

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٥

و مائتين «١».

فقد تم إملة الكتاب خلال ثلاث سنوات، كل يوم الثلاثاء و الجمعة من الأسبوع في كل شهر، ابتداء من شهر رمضان المبارك، في سنين اثنتين و ثلاث و أربع بعد المائتين.

و هو أجمع كتاب أتى على نكات القرآن الأدبية: اللغة و النحو و البلاغة، لا يستغنى الباحث عن معاني القرآن من مراجعته و الوقوف على لطائفه و دقائقه.

و قد اعتنى المفسرون بهذا الكتاب و جعلوه موضع اهتمامهم، سواء صرّحوا بذلك أم لم يصرّحوا. فإنه أحد مباني التفسير، و كان معروفاً بذلك.

و الكتب في «معاني القرآن» كثيرة، أولها: «معاني القرآن» لأبان بن تغلب بن رباح البكري التابعي، من خواص الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام المتوفى سنة (١٤١ هـ)، و هو أول من صنّف في هذا الباب. صرّح به النجاشي و ابن النديم.

و الثاني: «معاني القرآن» لإمام الكوفيين في النحو و الأدب و اللغة، و أولهم بالتصنيف فيه، أستاذ الكسائي و الفراء، هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، أبو سارة الرواسي الكوفي، الراوي عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام، و قد نسبة إليه الزبيدي. و عدّ النجاشي من كتبه «إعراب القرآن» و لعلهما واحد، ذكره ابن النديم.

و الثالث: «معاني القرآن» لأبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير الثمالي الأزدي البصري المتوفى سنة (٢٨٥ هـ) إمام العربية، الملقّب من أستاذه (١) معاني القرآن، للفراء، ج ١، ص ٩-١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٦

المازني بالمبرد، أي المثبت للحق «١».

و قد كتب في معاني القرآن كثير من الفحول، يقول الخطيب بصدّد الحديث عن معاني القرآن لأبي عبيد و أنه احتذى فيه من سبقه: «و كذلك كتابه في معاني القرآن، و ذلك أنّ أول من صنّف في ذلك من أهل اللغة أبو عبيد معمر بن المثنى، ثم قطرب بن المستنير، ثم الأخفش. و صنّف من الكوفيين الكسائي ثم الفراء.

فجمع أبو عبيد (القاسم بن سلام الإمام) من كتبهم، و جاء فيه بالآثار و أسانيدها، و تفاسير الصحابة و التابعين و الفقهاء، توفى سنة (٢٢٤ هـ) بمكة المكرمة «٢».

### إملة ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن

لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري المتوفى سنة (٦١٦ هـ).

هو أخصر و أشمل كتاب حوى على بيان إعراب الأهم من ألفاظ القرآن و أنحاء قراءاته. و لقد أوجز المؤلف في ذلك، و أوفى الكلام حول إعراب القرآن في أشكال مواضعه، فيما يحتاج إليه المفسر أو الناظر في معاني القرآن الكريم. يقول المؤلف في مقدمته الكتاب:

إنّ أولى ما عنى باغى العلم بمراعاته، و أحق ما صرف العناية إلى معاناته ما كان من العلوم أصلاً لغيره منها، و حاكماً عليها، و ذلك هو القرآن المجيد، و هو المعجز الباقي على الأبد، و المودع أسرار المعاني التي لا تنفذ. فأول مبدوء به من ذلك تلقّف ألفاظه من حفظه، ثم تلقّى معانيه ممن يعاينه. و أقوم طريق يسلك (١) جاء ذكر هؤلاء الثلاثة في الذريعة للطهراني، ج ٢١، ص ٢٠٥-٢٠٦، رقم ٤٦٣٢ و ٣٣ و ٣٤.

(٢) تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٤٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٧

فى الوقوف على معناه، و يتوصّل به إلى تبيين أغراضه و مغزاه، معرفة إعرابه و اشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، و النظر فى وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأثبات.

و الكتب المؤلفة فى هذا العلم كثيرة جداً، فمنها المختصر حجماً و علماً، و منها المطول بكثرة إعراب الظواهر، و خلط الإعراب بالمعاني، و قلما تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم، فلما وجدت على ما وصفت، أحببت أن أملئ كتابا يصغر حجمه و يكثر علمه، اقتصر فيه على ذكر الإعراب و وجوه القراءات، فأتيت به على ذلك.

و الكتاب مرتب حسب ترتيب السور، متعرضاً لإعراب القرآن آية فآية و كلمة فكلمة، حتى يأتى إلى آخره.

و الكتب فى إعراب القرآن كثيرة، أفضلها ما كتبه المتقدمون، و قد استرسل فيها المتأخرون، فأتوا بما لا طائل تحته فى كثير من تصانيفهم بهذا الشأن.

و من أحسن كتب السلف فى إعراب القرآن، كتاب «البيان» فى غريب إعراب القرآن، تأليف كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، أبى البركات.

المعروف بابن الأنبارى، المتوفى سنة (٥٧٧ هـ). و قد انتهت إليه زعامة العلم فى العراق، و كان قبلة الأنظار بين أساتذة المدرسة النظامية فى بغداد، يرحل إليه العلماء من جميع الأقطار، و قد تخاطف الطلاب و الأدباء تصانيفه، و طولب بالتأليف فى مختلف علوم اللغة.

و قد وضع كتابه هذا على أحسن أسلوب و أجمل ترتيب، فى بيان أعراب القرآن، منتهجا ترتيب معانى القرآن للفراء، و أسلوبه فى شرح مواضع الكلمات، و بيان تفاصيل وجوها. و هو مرتب حتى نهاية القرآن الكريم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٨

و من الكتب المؤلفة فى هذا الباب، و يعدّ من أجملها: كتاب «إعراب القرآن» المنسوب إلى الزجاج المتوفى سنة (٣١٦ هـ). لكن من المحتمل القريب أنه من تأليف أبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى المغربى، صاحب التأليف الكثيرة فى القرآن، و فى الأدب و اللغة، توفى سنة (٤٣٧ هـ) «١».

هذا الكتاب وضع على تسعين باباً، جاء الكلام فيها فى مختلف شئون النكات الأدبية و النحوية و اللغوية، كل باب بنوع خاص من المسائل الأدبية. و قد استوفى الكلام حول مسائل اللغة فى القرآن و بعض مسائل البلاغة و البديع كالباب التاسع عشر، فيما جاء فى التنزيل من ازدواج الكلام و المطابقة و المشاكلة و غير ذلك. و الباب الخامس و الثلاثين، فيما جاء فى التنزيل من التجريد.

و الباب الثالث و الثمانين، فيما جاء فى التنزيل من تفنن الخطاب و الانتقال من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة و من الغيبة إلى التكلم. كما تعرض لبعض القراءات، كالباب السابع و الثمانين فيما جاء فى التنزيل من القراءة التى رواها سيبويه فى كتابه. و الباب

الثامن و الثمانين فى نوع آخر من القراءات.

و سائر الأبواب متمخضة فى النحو و الاشتقاق.

و على أى حال، فهو كتاب ممتع، و مفيد للباحثين، عن نكات القرآن الأدبية و الدقائق اللغوية البارعة.

و لمكى بن أبى طالب، كتاب آخر فى «مشكل إعراب القرآن» طبع فى جزين. و هو تأليف لطيف وضعه على ترتيب السور، تعرّض للمشكل من أعراب ألفاظ القرآن الكريم، هادفا وراء ذلك إيضاح المعانى؛ حيث وضّح (١) راجع: ملحق الكتاب، برقم ٥، ص

١٠٩٦ - ١٠٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٠٩

الإعراب هو خير معين فى فهم المعنى. قال فى المقدمة: «إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعانى و ينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد و يفهم الخطاب و تصحّ معرفة حقيقة المراد. و قد رأيت أكثر من ألف فى الإعراب، طوله بذكره لحروف الخفض و حروف

الجزم، و بما هو ظاهر من ذكر الفاعل و المفعول، و اسم إن و خبرها، في أشباه لذلك يستوى في معرفتها العالم و المبتدئ، و أغفل كثيرا مما يحتاج إلى معرفته من المشكلات، فقصدت في هذا الكتاب إلى تفسير مشكل الإعراب، و ذكر علله و صعبه و نادره «١».

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي، ج ١، ص ٦٣-٦٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٠

## تفاسير لغوية

### إشارة

هناك كتب تعرّضت لغريب اللغة في القرآن، و فسّرت معاني الكلمات التي جاءت غريبة في كتاب الله. و قد فسّرنا فيما مضى معنى «الغريب» الواقع في القرآن، و أنها اللفظة المستعملة و المعروفة في لغة قبيلة دون أخرى، فجاء استعمالها في القرآن غريبا على سائر اللغات، و ذلك في مثل «الودق» بمعنى المطر، لغة جرهم. و «المنساء» بمعنى العصا، لغة حضرموت. و «آسن» بمعنى منتن، لغة تميم. و «سعر» بمعنى جنون، لغة عمان. و «بست» بمعنى تفتتت، لغة كنده، و هلمّ جزّا. و عليه فالذي جاء منه في القرآن الشيء الكثير، هو الغريب العذب و الوحش السائح، الذي أصبح بفضل استعماله ألوفا، و صار بعد اصطیاده خلوبا، دون البعيد الركيك، و المتوغّر النفور. و قد بحثنا عن ذلك مستوفى عند الكلام عن إعجاز القرآن البياني «١».

و المؤلفون في غريب القرآن كثير، أولهم: محمد بن السائب الكلبي الكوفي النسابة، من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام المتوفى سنة (١٤٦ هـ) ثم أبو فيد مؤرّج بن عمر النحوي السدوسي البصري المتوفى سنة (١٧٤ هـ)، و أبو الحسن النضر بن شميل المازني البصري المتوفى سنة (٢٠٣ هـ) و استمر الحال و تسلسل تأليف رسائل و كتب في غريب القرآن طول القرون، على أيدي علماء أدباء و لغويين نبهاء، أوضحوا الكثير من غريب ألفاظ القرآن الكريم، (١) التمهيد في علوم القرآن، ج ٥، ص ١٠٨-١٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١١

و عنوا بذلك عناية بالغة، جزاهم الله عن الإسلام و القرآن خير جزاء.

و أقدم كتاب وصل إلينا في تفسير غريب القرآن، ما هو المنسوب إلى الإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، و هو برواية الشيخ الإمام العالم الزاهد الفقيه أبي جعفر محمد بن منصور المقرئ رضى الله عنه، و كان شيخ الزيدية بالكوفة. رواه عن أحمد بن عيسى، و القاسم بن إبراهيم، و الحسن بن يحيى، و عبد الله بن موسى، و محمد بن علي، و زيد بن علي، و جعفر بن محمد.

و هو تفسير موجز لطيف، و تبين شاف لمواضع الإبهام من الذكر الحكيم، تجده وافيًا بإيفاد المعاني في تسلسل ترتيب حسب ترتيب السور و الآيات؛ مما ينبؤك عن علم غزير و ذوق ظريف و دقة فائقة «١».

و خير كتاب وجدته تعرّض للمشكل من معاني القرآن، متصدّيًا لتأويله و تبينه، هو كتاب «تأويل مشكل القرآن» تأليف العلامة الناقد البصير أبي محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) الدينوري المروزي المتوفى سنة (٢٧٦ هـ).

و قد استوفى المؤلف الكلام حول أنواع المتشابه في القرآن، و شرحها شرحا وافيًا. تكلم عن الطاعنين في القرآن، و ما ادعى فيه من التناقض و الاختلاف، و التكرار و الزيادة و مخالفة الظاهر، و ما ادعى فيه من فساد النظم و الإعراب. كما تعرض للأشبه و النظائر في معاني ألفاظ القرآن (و لعلّه كان المرجع لحبيش التفليسي في تأليفه الآتي) و تكلم في حروف المعاني و ما شاكلها من أفعال، و استعمال بعض الحروف مكان البعض، و أخيرا الكلام عن مشكل القرآن و ما شابه ذلك. (١) و أخيرا قام بتحقيقه و تنميته زميلنا الفاضل السيد محمد جواد الجلالى. و طبع طبعه أنيقة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٢

فهو كتاب فريد في بابه، لم يسبق له نظير في مثله، كما لم يخلفه بديل.

و أحسن كتاب في هذا الباب، هو كتاب «المفردات» لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المتوفى سنة (٥٠٢ هـ)، فإنه أول كتاب فتح باب الاجتهاد في اللغة و أعمال الرأي و الاستنباط في فهم معاني اللغات. و لقد أجاد في ذلك و أفاد، و استقصى لغات القرآن كلها و استوعب الكلام في الجمع و التفريق، و البسط و التفصيل، في المعاني و مفاهيم الكلمات.

و لأبي الفضل حبش بن إبراهيم التفليسي من أعلام القرن السادس كتاب لطيف، كتبه في وجوه معاني القرآن، تعرّض فيه للمعاني المحتملة من تعابير جاءت في القرآن الكريم، وضعه بالفارسية، و هو موجز مختصر طريف في بابه.

حقّقه الأستاذ الدكتور مهدي محقق، و طبع و نشر أخيرا في عدّة طبعات بطهران.

و أجمع كتاب ظهر أخيرا جامعا لمعاني القرآن و شاملا و مستوعبا لغرائب ألفاظه الكريمة، هو كتاب «تفسير غريب القرآن الكريم» للفقيه المفسر اللغوي الأديب الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي المتوفى سنة (١٠٨٥ هـ). و هو كتاب شاف و واف بالموضوع، طبع طبعه أتيقه، بتحقيق الأستاذ محمد كاظم الطريحي، بالنجف الأشرف-العراق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٣

## تفسير المتشابهات

### إشارة

و يلحق بهذا الباب تفاسير خصّت الكلام حول متشابهات القرآن و ردّ المطاعن عنه، و هي كثيرة و متنوعة، كان من أهمها:

### ١- متشابه القرآن

للقاضي عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي المتوفى سنة (٤١٥ هـ). ولد في ضواحي مدينة همدان، في قرية أسدآباد، و خرج إلى البصرة في طلب العلم، و اختلف إلى مجالس العلماء، حتى برع في الفقه و الحديث و الأدب و التفسير، و تكلم على مذهب الاعتزال، و تولّى القضاء في الرى، على عهد الصاحب بن عباد في دولة بني بويه؛ حيث كان الصاحب لا يرى تولية القضاء في دولته الشيعية إلّا لمن كان معروفا من أهل القول بالعدل.

كان عبد الجبار إمام المعتزلة في عصره، و اتصل بالصاحب، و وقع تحت عنايته، و من ثم كتب له عهدا بتولية رئاسة القضاء في الرى و قزوین و غيرهما، من الأعمال التي كانت لفخر الدولة، ثم أضاف إليه بعد ذلك في عهد آخر إقليمى جرجان و طبرستان. و له تصانيف قيمة و جيّدة، و لا سيما في الأصول و الكلام، مثل «المغنى»، و «شرح الأصول الخمسة»، و كتاب «الحكمة و الحكيم»، و غير ذلك.

و من جيّد تصانيفه: كتابه في متشابهات القرآن، يستعرض فيه سور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، و يقف في كل منها عند نوعين من الآيات: الآيات المتشابهة التي يزعم الخصم أن فيها دلالة على مذهبه الباطل، و الآيات المحكمة الدالة على مذهب الحق، و ذلك ما ألزم به نفسه في مقدمة الكتاب، و استمر عليه حتى نهاية الكتاب. و لقد أجاد فيما أفاد، و استوعب الكلام فيما أراد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٤

### ٢- تنزيه القرآن عن المطاعن

أيضا للقاضي عبد الجبار. كتبه في دفع الشكوك عن القرآن الكريم، و رتبّه حسب ترتيب السور، و تكلم في إيراد الإشكالات الأدبية و المعنوية الواردة، أو المحتملة على القرآن، ثم الإجابة عليها إجابة شافية و كافية، حسبما أوتى من حول و قوّة. و لقد استوفى الكلام

في ذلك حتى نهاية القرآن.

### ٣- متشابهات القرآن و مختلفه

للشيخ الجليل رشيد الدين أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروري المازندراني المتوفى سنة (٥٨٨ هـ). كان علما من أعلام عصره، وضاء كثير التصنيف و التأليف، في مختلف العلوم الإسلامية، و كان خبيرا ناقدا و بصيرا بشئون الدين و الشريعة. قال المحقق القمي بشأنه: فخر الشيعة و مروج الشريعة، محيي آثار المناقب و الفضائل، و البحر المتلاطم الزخار الذي لا يساجل، شيخ مشايخ الإمامية. و عن الصفدي: حفظ أكثر القرآن و لم يبلغ الثامنة من عمره، كان يرحل إليه من البلاد، له تقدم في علم القرآن و الغريب و النحو. و وعظ على المنبر أيام المقتدى العباسي ببغداد، فأعجبه و خلع عليه. و كان بهي المنظر، حسن الوجه و الشيبة، صدوق اللهجة، مليح المحاوره، واسع العلم، كثير الخشوع و العبادة و التهجد، لم يكن إلا على وضوء. عاش عيشته الحميدة مائة عام، و توفى بحلب. و قبره مزار بمشهد السقط على جبل جوشن خارج حلب «١».

أما كتابه هذا فهو من خير ما كتب في متشابهات القرآن، و أجمعها و أشملها، و أتقنها إحكاما و بيانا و تفصيلا، وضعه على أسلوب طريف، يبدأ بمسائل (١) الكنى و الألقاب للقمي، ج ١، ص ٣٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٥

التوحيد و صفات الذات و الفعل، و عالم الذر و القلب و الروح و العقل، و القضاء و القدر، و السعادة و الشقاء، و النبوة و العصمة، و تاريخ الأنبياء، و الكلام على إعجاز القرآن، و المحكم و المتشابه، و الوحي و الخلافة و التكليف، و الجن و الملك و الشياطين، و مسائل الإمامة و الولاية، ثم بأصول الفقه و الأحكام و الشرائع، و النسخ، و الاستثناء و الشرط، و الحقيقة و المجاز، و الكناية و الاستعارة و التشبيه، و سائر المسائل الأدبية و اللغوية، و ما إلى ذلك، ترتيبا طبيعيا منسجما، سهل التناول قريب المنال، في عبارات سهلة جزلة، فله درّه و عليه أجره.

### ٤- أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها

تأليف زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي المتوفى سنة (٦٦٦ هـ)، يشتمل على ألف و مأتي سؤال و جواب حول متشابهات القرآن، أوردتها بصورة موجزة و موفية بالمقصود، و كانت معروفة بمسائل الرازي.

كان المؤلف - و هو من مواليد الرى، و من ثم نسب إليه - على غاية من الذكاء و سعة الاطلاع، و له تأليف جيدة، مثل «الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز»، و «روضه الفصاحة» في البديع و البيان، و «مختار الصحاح»، و «شرح مقامات الحريري» و «تحفة الملوك» في العبادات، مما ينبؤك عن أدب جم و خبرة واسعة.

وضع كتابه على ترتيب السور، يتعرض للشبهة بصورة سؤال، ثم يجيب عليها إجابة وافية، حسبما أوتى من علم و بصيرة، و هو تأليف لطيف في بابه، حسن الأسلوب، بديع في مثله.

و للشيخ خليل ياسين، من أبرز علماء لبنان في العصر الأخير، كتاب حافل

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٦

و شامل، حوى ألفا و ستمائة سؤال و جواب حول شبهات القرآن، عرضها حسب ترتيب السور و الآيات، عرضا علميا أدبيا، و كانت الأجوبة موفية حسب إمكان المؤلف العلمي، بصورة موجزة و وافية. و جاء اسم الكتاب «أضواء على متشابهات القرآن» اسما متطابقا مع المسمى. طبع في بيروت - لبنان - سنة (١٣٨٨ هـ) و هو كتاب جليل جميل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٧



## التفاسير الموجزة

## إشارة

هناك تفاسير اتخذت طريقة الإيجاز في تفسير القرآن و تبين معانيه، ابتعدت عن طريقة التفصيل التي مشى عليها أكثر المفسرين الكبار، محاولين بذلك إلى تقريب معاني القرآن إلى الأذهان في خطوات سريعة و متقاربة، و الأكثر أن يكون ذلك خدمة للناشئة من طلبة العلوم الدينيّة، و من قاربهم من ذوى الثقافات العامّة.

## [١- الوجيز:]

١- و ممن حاز قصب السبق في هذا المضمار، هو (السيد عبد الله شبر) في تفسيره الوجيز الذي قدّمه للملاّ من المسلمين خدمة موفّقة إلى حدّ بعيد، فهو على و جازته يحتوى على نكات و دقائق تفسيرية رائقة، مما قد يفوت بعض التفاسير الضخام. فإنه لا يفوته أن يكشف لنا عن كثير من النكات اللفظية و البيانية و المعنوية، مع الخوض أحيانا في المعاني اللغوية و المسائل النحوية، كل هذا- كما قال الأستاذ الذهبي- في أسلوب ممتع لا يملّ قارئه من تعقيد و لا يسأم من طول «١».

و قد حرص المؤلف على أن يكون جلّ اعتماده على ما ورد من التفسير عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام و إن كان لا يعزو كل قول إلى قائله في الغالب، كما حرص على أن ينصر المذهب و يدافع عنه سواء في ذلك ما يتعلق بأصول المذهب أم بفروعه. و هو بعد ذلك يشرح الآيات التي لها صلة بمسائل علم الكلام شرحا يتفق مع مذهب أهل العدل، أو الظاهر المتفق عليه لدى أهل الحديث، ثم لا يفوت (١) راجع: التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ١٨٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٨

المؤلف في تفسيره هذا أن يشير إلى بعض مشكلات القرآن التي ترد على ظاهر النظم الكريم، و يجيب عنها إجابة سليمة عن تكلف أهل البدع. و لا غرو فإنّه الأديب البارع و الفقيه المحدث الجامع. و لقد وصف المؤلف تفسيره هذا، و بين مسلكه فيه، جاء في مقدمته:

«هذه كلمات شريفة، و تحقيقات منيفة، و بيانات شافية، و إشارات وافية، تتعلق ببعض مشكلات الآيات القرآنية، و غرائب الفقرات الفرقانية، و تتحرى غالبا ما ورد عن خزان أسرار الوحي و التنزيل، و معادن جواهر العلم و التأويل، الذين نزل في بيوتهم جبرائيل، بأوجز إشارة و أطف عبارة، و فيما يتعلّق بالألفاظ و الأغراض و النكات البيانية، تفسير و جيز. فإنه أطف التفاسير بيانا، و أحسنها تبيانا، مع و جازة اللفظ و كثرة المعنى» «١».

و لقد و في المؤلف بما وعد، فقد أسند جواهر تفسيره و جيّد آرائه إلى معينه الأصل من علوم أئمة أهل البيت عليهم السّلام. كما أوجز و أوفى في البيان و إبداء النكت و الظرائف في عبارات سهلة قريبة وافية.

قال الأستاذ حامد حفنى (أستاذ كرسى الأدب في كليّة الألسن العليا بالقاهرة) في مقدمة التفسير المطبوع بالقاهرة: «و العالم بهذا الفن يدرك لأوّل وهلة دقة المفسّر و إمساكه بخطام هذه الصناعة، و جمعه لأدوات المفسر. و لعلك و أنت تقرأ تفسير الفاتحة في تفسيره هنا و توازن ذلك بما جاء في «تفسير الجلالين» تقف بنفسك على قدرات المفسّر، و لا سيّما في الأصول اللغوية، حين يردّ لفظ الجلالة «الله» إلى أصله اللغوي، و حين يفرّق في حصافه منقطعة النظر بين معنى اسمه تعالى «الرحمن» و اسمه تعالى «الرحيم». و حين لا يكتفى بالفروق اللغوية، (١) تفسير القرآن، سيد عبد الله شبر، ص ٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥١٩

فيزيدك إيضا بما حفظه من نصوص و أدعية مرفوعة إلى أئمة أهل البيت النبويّ عليهم السّلام. و هو في ذلك كله سهل الجانب،

معتدل العبارة، يسوقها في حماس العالم، وليس في ثورة المتعصب. كما لا ينسى و هو يفسر أن يشرح الآية بآيات أخرى، و أن يذكر سبب النزول كلما دعا الأمر إلى ذلك، و كان عوناً له على توضيح المعنى المطلوب من الآية، و هكذا نلاحظ هذا الصنيع في سائر عبارات هذا التفسير الجليل «(١)».

هذا، و قد أتم المؤلف تفسيره هذا- كما قال في خاتمته- في جمادى الأولى سنة تسع و ثلاثين و مائتين بعد الألف من الهجرة (١٢٣٩ هـ ق). و قد طبع عدة طبعات، و لا يزال.

هذا ما يرجع إلى التفسير ذاته، و أما المؤلف، فهو المولى المحقق العلامة السيد عبد الله بن محمد رضا العلوى الحسينى الشهير بشتر. ولد بالنجف الأشرف سنة (١١٨٨ هـ)، ثم ارتحل مع والده إلى الكاظمية، و مكث بها إلى أن مات بها سنة (١٢٤٢ هـ). كان من أفاضل العلماء، فقيهاً و محدثاً نبياً و مفسيراً متبحراً، جامعاً لعلوم كثيرة، آية في الأخلاق النبيلة. كان يعتبر علماً من أعلام الشيعة، و شخصية علمية بارزة، لها مكانتها و مقادارها. و لقد عكف مدة حياته العلمية على التأليف و التصنيف، حتى أخرج للناس- مع سنه الذى لم يتجاوز الأربع و الخمسين- كتباً كثيرة و مصنفات عديدة، كلها ذوات فوائد و ممتعة، لا تزال رائجة في الأوساط العلمية، فرحمه الله عليه من فقيه محدث خبير، و مفسر نابه بصير. (١) تفسير شتر، مقدمة الدكتور حامد حفى داود.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٠

## ٢- الأصفى:

أوسط التفاسير الثلاثة التى ألفها العلامة المحدث الفيض الكاشانى المتوفى سنة (١٠٩١ هـ)، انتخبه من تفسيره «الصفى» و أجزه، و أنهاء إلى أحد و عشرين ألف بيت. اقتصر فيه على المأثور من تفاسير أهل البيت عليهم السلام. أوله: «الحمد لله الذى هدانا للمسك بالثقلين و جعل لنا القرآن و المودة فى القربى قرءة عين...». فرغ منه سنة (١٠٧٦ هـ). و هو تفسير موجز لطيف يحتوى على أمهات المسائل التفسيرية، على مشرب أهل الحديث، مقتصر على. ففيه لباب الكلام و عباب المرام، يكفى المراجع فى تبين معانى القرآن و شرح مبانيه. طبع طبعات حجرية، و هى منتشرة. و أخيراً طبع فى مجلدين طبعه أنيقة.

## [٣- المصفى:]

٣- و لخص الأصفى أيضاً، و سماه «المصفى»، و هو أوجز تفسير يوجد فى هذا الباب.

## ٤- التسهيل لعلوم التنزيل،

لأبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبى الغرناطى توفى سنة (٥٧٤١ هـ). كان من مشاهير العلماء بغرناطة عاكفا على العلم و الاشتغال بالنظر و التحقيق و التدوين، و قد ألف فى فنون من علوم القرآن و الفقه و الحديث و التفسير. كان المؤلف ممن يرغب فى الجهاد، فقتل شهيداً فى معركة «طريف» بالقرب من «جبل طارق». و تفسيره هذا موجز شامل لتفسير القرآن كله، مع إيضاح المشكلات و بيان المجملات و شرح الأقوال و الآراء بصورة موجزة وافية. قال فى المقدمة:

«و صنت هذا الكتاب فى تفسير القرآن العظيم، و سائر ما يتعلق به من العلوم، و سلكت مسلكاً نافعا؛ إذ جعلته وجزياً جامعاً، قصدت به أربعة مقاصد،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢١

تتضمن أربعة فوائد: ١- جمع كثير من العلم فى كتاب صغير الحجم. ٢- ذكر نكت عجيبة و فوائد غريبة. ٣- إيضاح المشكلات، و

بيان المجملات. ٤- تحقيق أقوال المفسرين، و تمييز الراجح من المرجوح» (١).

وجعل المؤلف لتفسيره مقدمةً وجيزة ذكر فيها ما يتعلق بشئون القرآن و علومه الشىء الوفير، و حَقَّق فيها مسائل كثيرة نافعاً، جعلها فى اثنى عشر باباً، و هى أشبه بمقدمة «المحرّر الوجيز» لابن عطية، و لعلها مأخوذة منها. فإنَّ المؤلف اعتمد فى تفسيره هذا الوجيز على تفسير ابن عطية، و الكشاف للزمخشري، و غيرهما من تفاسير أدبية و لغوية كانت معروفة آنذاك، و على أىّ تقدير فهو تفسير لطيف و جامع كامل فى بابه. و قد طبع عدة طبعات.

#### ٥- تفسير الجلالين،

اشترك فى تأليف هذا التفسير، جلال الدين المحلى، و جلال الدين السيوطى. فقد ابتداءً جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى - المتوفى سنة (٨٦٤هـ) و كان علامة عصره - فى تفسير القرآن من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن، ثم شرع فى تفسير الفاتحة، و بعد أن أتمها اخترمته المنية فلم يفسر ما بعدها. فجاء جلال الدين السيوطى المتوفى (٩١١هـ) فأكمل التفسير، فابتداءً بتفسير البقرة و انتهى عند آخر سورة الإسراء، و وضع تفسير الفاتحة فى آخر تفسير الجلال المحلى لتكون ملحقة به. و قد نهج السيوطى فى التفسير منهج المحلى، من إيجاز المطالب، و ذكر ما يفهم من كلام الله تعالى، و الاعتماد على أرجح الأقوال، و إعراب ما يحتاج إليه، و التنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف، و تعبير وجيز، بحيث لا يكاد قارئ تفسير الجلالين (١) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، ج ١، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٢

يلمس فرقا بينا بين طريقة الشيخين فيما فسراه، اللهم فى مواضع قليلة لا تبلغ العشرة.

و التفسير قيم فى بابه، و حظى بكثرة الانتشار و رواجه بين رواد العلم، و قد طبع مرارا و طار صيته.

#### ٦- التفسير المقارن،

و هو خلاصة التفاسير الإسلامية المشهورة. قام بتأليفه العلامة المعاصر الشيخ محمد باقر الناصرى - من أهل الناصرية بالعراق - اعتمد ما يقرب من ثلاثين تفسيراً فلخصها و جمع لبابها و حوى على عباها، فى تفسير مختصر وجيز، حسن الأسلوب، جيد العبارة، سهل التناول، مما يطلعك على قدره المؤلف العلمية و الأدبية. و كان منهجه: أن يذكر المعانى اللغوية النادرة أولاً، ثم ينتقى أوضح النصوص و أجمعها لما حوت الآيه من دلالة، مع إدخال بعض التعديلات فى عبارات السلف، لتتناسب مع لغة العصر، و يعتمد أهم كتب التفسير عند الشيعة الإمامية، و خيرة تفاسير أهل السنة و الجماعة. و قدّم مباحث تمهيدية قبل الورود فى التفسير، مما يهّم للمفسر رعايتها لدى تفسير الآيات.

و قد قام بطبعه و نشره مركز البحوث و الدراسات العلمية، التابع للمجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية - فى قم المقدسة - فى شهر رجب المرجب سنة (١٤١٦هـ) و كان تاريخ التأليف (١٤١٥هـ).

#### ٧- صفوة التفاسير

تأليف الأستاذ محمد على الصابونى، من أساتذة كلية الشريعة بمكة المكرمة. كان له نشاط فى علوم القرآن و التفسير، و من ثم قام بتأليف عدة كتب فى التفسير و علوم القرآن، أكثرها مختصرات، كمختصر تفسير ابن كثير، و مختصر تفسير الطبرى، و التبيان فى علوم القرآن، و روائع البيان فى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٣

تفسير آيات الأحكام، وقبس من نور القرآن، و صفوة التفاسير؛ و هو الكتاب الذى نحن بصددده. و هو تفسير موجز، شامل جامع بين المأثور و المعقول، مستمد من أوثق التفاسير المعروفة كالتطبرى و الكشاف و ابن كثير و البحر المحيط و روح المعانى، فى أسلوب ميسر سهل التناول، مع العناية بالوجوه البيانية و اللغوية. قال فى المقدمة: و قد أسميت كتابى «صفوة التفاسير»؛ و ذلك لأنه جامع لعيون ما فى التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار و الترتيب، و الوضوح و البيان. فهو تفسير توسّط فيه المؤلف فى مسلكه العلمى، ليسهل فهمه على طلبة العلم بأسلوب سهل و عبارات ميسرة، و إيضاحات جيدة فى بيان تحليلى تربوى قريب التناول.

طبع الكتاب فى ثلاث مجلدات، و كان تاريخ التأليف سنة (١٤٠٠ هـ).

#### ٨- الوجيز فى تفسير القرآن العزيز

تأليف الأستاذ محمد على دخيل، من ذوى النشاطات الدينية الحريضة على الإسلام و الدفاع عنه، إلى جنب تربية النشء الجديد تربية إسلامية عريقة، و من ثم كانت تأليفه تدور حول هذا المحور، مثل:

ثواب الأعمال و عقابها، على فى القرآن، دراسات فى القرآن الكريم، قصص القرآن الكريم، المصحف المفسر، الوجيز- الذى هو مورد دراستنا. فقد تم تأليفه سنة (١٤٠٥ هـ)، و طبع سنة (١٤٠٦ هـ)، فى مجلد واحد كبير، فى (٨٢٩) صفحة.

و هو تفسير موجز شامل، يغلب عليه اللون التربوى التحليلى، متناسبا مع مستوى الجيل الحاضر. التزم فيه بنص الطبرسى فى مجمع البيان مع مراعاة الاختصار. يبين فيه مجمل المعنى من دون أن يتوسّع فيه أو يتعرّض للأدب و البلاغة، و إنما يذكر اللغة و التفسير الموجز، مع ذكر الأحاديث الواردة، عن النبى أو أحد الأئمة عليهم السلام بحذف الأسناد، أحيانا، كما يتعرّض لمواضع الاستدلال

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٤

فى المذهب الإمامى فى ظرافة و إيفاء. و قد ألحق بآخره بحثا حول العقائد و الأخلاق و القصص، كدراسات موضوعية فى التفسير، كما تعرّض فى الختام لجانب من التفسير العلمى لآيات متناسبة فى ذلك. و من ثم فهو تفسير جامع فى وضعه، و شاف كاف لأبناء الجيل الحاضر، لمن أراد الإيجاز و الاختصار.

#### ٩- تقريب القرآن إلى الأذهان

تفسير مزجى لطيف، شرح معانى الآيات على طريقة المزج بين الأصل و الشرح، مع بيان اللغة و أسباب النزول لدى الحاجة، و تعرّض لمسائل الفقه و الكلام عند المناسبة بصورة موجزة. يقع فى ثلاثين جزء حسب تجزئة القرآن، و كان تأليفه سنة (١٣٨٣ هـ) و تم طبعه سنة (١٤٠٠ هـ).

تأليف الفقيه العلامة السيد محمد الشيرازى، من أعلام النهضة الإسلامية المعاصرة، صاحب بحوث و دراسات إسلامية موسعة، و فى متنوع جوانبها. و له حول القرآن كتابات غير هذا، منها: «تسهيل القرآن» فى عشرة أجزاء، و «توضيح القرآن» فى ثلاثة أجزاء، و «تبيين القرآن»، و «الجنة و النار فى القرآن»، لم تخرج إلى عالم الطباعة.

#### ١٠- النهر الماد من البحر المحيط

تفسير أدبى، و نحوى لغوى، تأليف أبى حيان محمد بن يوسف الأندلسى الغرناطى، المتوفى سنة (٧٤٥ هـ). اختصره من تفسيره الكبير «البحر المحيط» و طبع على هامشه، و هو تفسير لطيف حوى النكات الأديبة الرائعة التى كان أودعها فى تفسيره الكبير، و حذف منه الأبحاث الجدلية المسهبة، و لخصها فى هذا التفسير. قال فى المقدمة: لما صنفت كتابى الكبير المسمى ب «البحر المحيط»، عجز عن

قطعه لطوله السابح. فأجريت منه نهرا تجري عيونته، و تلتقى بأبكاره فيه عيونته، لينشط الكسلان في اجتلاء جماله،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٥

و يرتوى الظمان بارتشاف زلاله. و ربما نشأ في هذا النهر مما لم يكن في البحر، و ذلك لتجدد نظر المستخرج للآلية، المبتهج بالفكرة في معانيه و معاليه. و ما أخليته من أكثر ما تضمنه البحر من نقوده، بل اقتصر على يواقيت عقوده، و نكبت فيه عن ذكر ما في البحر من أقوال اضطربت بها لججه، و إعراب متكلف تقاصرت عنه حججه «١».

و هناك مختصر آخر للبحر المحيط لتاج الدين الحنفى النحوى تلميذ أبى حيان، سماه «الدرّ اللقيط من البحر المحيط» مطبوع بالهامش أيضا. (١) مقدمة النهر الماد، بهامش البحر المحيط، ج ١، ص ٤ - ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٦

### تفاسير عرفانية (التفسير الرمزي و الإشاري)

#### إشارة

هناك لأهل العرفان الباطني تفاسير وضعت على أساس تأويل الظواهر، و الأخذ ببواطن التعبيرات دون دلالاتها الظاهرة، اعتمادا على دلالة الرمز و الإشارة فيما اصطلاحوا عليه، مستفاد من عرض الكلام و جانبه، و ليس من صريح اللفظ و صميم صلبه. فقد فرضوا لظواهر التعبير بواطن حملوها حملا على القرآن الكريم، استنادا إلى مجرّد الذوق العرفاني الخاص، و راء الفهم المتعارف العام.

و هي نزعة صوفية «١» قديمة، دخيلة على الإسلام، بعد أن ترجمت الفلسفة (١) الصوفية، نسبة إلى الصوف: اسم رمزي لفئات جعلت شعارها التقشف في الحياة و التزهيد عن مباحجها، و منه الاجترأ بلبس الصوف بدلا من فاخر الثياب، كناية عن الإعراض عن مطلق الترفه في الحياة. و كان من مبتدعاتهم أن جعلوا «الطريقة» في مقابلة «الشريعة»، فرعوا: من أهل الشريعة هم أهل الظواهر، و أهل الطريقة هم أهل البواطن، و حسبوا من أنفسهم الجمع بين الطريقة و الشريعة، و لكن مفضلين الطريقة على الشريعة، زعما بأن الأصل هو الباطن، و أنّ الظاهر عنوان الباطن.

و قد تسربت النزعة الصوفية إلى بعض أوساط الخواص، حاملة اسم «العرفان» كانت طريقتهم في السلوك و العرفان أمتن و أدقّ ظرافة من طرائق العامة، و كانت تأويلاتهم لظواهر الكتاب و السنّة أقرب و أضبط.

و لكلا الطائفتين تفاسير مبنية على أساس التأويل، كل على شاكلته، سوف نتعرض إلى أمثلتها إن شاء الله.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٧

اليونانية، في القرنين الثاني و الثالث، و تفشت في أوساط عامّة كانت بعيدة عن تعاليم أهل البيت عليهم السلام. و نحن إذ نستنكر على هؤلاء تأويلاتهم غير المستندة، نرى أن للقرآن ظهرا و بطنا، كما جاء في حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و أسبقنا الكلام عنه، و كان «الظهر» عبارة عن المعنى المستفاد من تنزيل الآيّة، و من ظاهر التعبير حسب الأصول المقررة في باب التفهيم و التفهّم. و أما «البطن» فهو عبارة عن المفهوم العام الشامل، المستنبط من فحوى الآيّة و تأويلها إلى حيث تنطبق عليه من موارد مشابهة، حسب مرّ الدهور. و كان للتأويل ضوابط ذكرنا حدودها و شرائطها، و ليس حسب الذوق المختلف حسب تنوع السلائق، كما ارتكبه القوم مع الأسف.

كان الصوفي إنما ينظر إلى القرآن نظرة تتمشى مع أهدافه و تتفق مع تعاليمه، حسب النزعة الصوفية الباطنية، و لم يكن من السهل أن يجد في القرآن صراحة تتفق مع نظرتة، أو يتمشى بوضوح مع نزعتة؛ حيث القرآن جاء لهداية الناس إلى معالم الحياة الكريمة، و جاء بتعاليم تتفق مع واقعيّات الحياة. و لم يأت لإثبات أو دعم نظريّات و تعاليم جاءت غير مألوفه، و لا هي ماسية بواقع الإنسان في هذه الحياة، و إنما هي أشياء فرضوها فرضا و احتملوها احتمالا مجردا عن الواقعيّات، و ربما كانت متنافرة مع الفطرة و العقل السليم.

غير أن الصوفي، زعما منه في إمكان الجمع بين الشريعة والطريقة، يحاول أن يعثر على مقصوده حيثما وجد إلى ذلك سيلا و لو بالفرض و الاحتمال، و من ثمّ تراه يتعسف في تأويل ظواهر الكتاب و السنة من غير هواده، و يتكلف في حمل الآيات القرآنية على معاني غريبة عن روح الشريعة، و يتخبط خبط عشواء بلا تورّع. و كان ذلك مصداقا لامعا لقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من فسّر القرآن برأيه فإن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٨

أصاب فقد أخطأ»

حيث أخطأ الطريق لا محالة.

و أولى سمات التفسير الصوفي البارزة، هو التكلم بلا- هواده، و الأخذ في التأويل من غير ضابطة، و الاعتماد على سجع الكلام في تكلف ظاهر.

إن التفسير الصوفي لا يعتمد على مقدّمات علمية و لا براهين منطقيّة، و لا يعلله سبب معقول، و إنما هو شيء حسبه قد أفيض عليه بسبب إشراقات نورية، جاءته من محلّ أرفع. أنه يرى من مقامه الصوفي العرفاني و صلا إلى درجة الكشف و الشهود، لتكشف له المعاني من سجع العبارات، و تظهر له الإشارات القدسيّة، و تنهلّ على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات القرآنية و السنة النبويّة، من معارف سبحانية متعالية عن أفهام العامّة، هكذا يزعم الصوفي في هواجس خياله.

و بذلك افترت طرائق الصوفية عن مذاهب العلماء و الفقهاء، و طريقتهم القويمة في فهم الكتاب و السنة الشريفة، و من ثمّ لم يعتبر العلماء شيئا من تأويلات الصوفية و من مشى على طريقتهم من أهل العرفان الباطني المجرد. و سيّضح هذا الجانب عند التعرّض لتفاسيرهم.

هذا القشيري- في تفسيره «لطائف الإشارات»- يفسّر كل بسملة من كل سورة حسبما يحلو له من مقال أو يتوح له من خيال، من غير ضابطة يعتمد عليها أو حجة مقبولة.

هو عند تفسير البسملة من سورة الحمد يقول:

الباء في «بسم الله» حرف التضمين، أي بالله ظهرت الحادثات، و به وجدت المخلوقات، فما من حادث مخلوق، و حاصل منسوق، من عين و أثر و غير، و غير من حجر و مدر، و نجم و شجر، و رسم و طلل، و حكم و علل، إلّا بالحق

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٢٩

وجوده، و الحق ملكه و من الحق بدؤه، و إلى الحق عوده، فبه وحد من وحد، و به جحد من ألد، و به عرف من اعترف، و به تخلف من اقترف (١).

لم نعرف حرف التضمين، و لم نعرف كيف فسّر البسملة من هذه السورة بهذه المعاني، و لكنه في سائر السور يفسرها بمعان أخر، و لعله يدعى أن هكذا ألهم و أشرق عليه، انظر إلى تفسيره لبسملة سورة البقرة:

الاسم مشتق من السموّ و السمّة، فسبيل من يذكر هذا الاسم أن يتسم بظاهرة بأنواع المجاهدات، و يسمو بهمته إلى محالّ المشاهدات، فمن عدم سمّة المعاملات على ظاهره، و فقد سموّ الهمة للمواصلات بسريره، لم يجد لطائف الذكر عند قائلته، و لا كرائم القرب في صفاء حالته (٢).

و في بسملة سورة آل عمران:

اختلف أهل التحقيق- يعني بهم الصوفية و أهل التأويل- في اسم «الله» هل هو مشتق من معنى أم لا؟ فكثير منهم قالوا: إنه ليس بمشتق من معنى، و هو له سبحانه على جهة الاختصاص، يجري في وضعه مجرى أسماء الأعلام في صفة غيره، فإذا قرع بهذا اللفظ أسمع أهل المعرفة لم تذهب فهو مهم و لا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه و حقه. و حق هذه القالة أن تكون مقرونة بشهود القلب،

فإذا قال بلسانه: «الله» أو سمع بآذانه شهد بقلبه «الله».

وكما لا تدلّ هذه الكلمة على معنى سوى «الله» لا يكون مشهود قائلها إلّا «الله»، فيقول بلسانه «الله»، و يعلم بفؤاده «الله»، و يعرف بقلبه «الله»، و يحب بروحه «الله»، و يشهد بسره «الله»، و يتملق بظاهره بين يدي «الله»، و يتحقق بسره (١) لطائف الإشارات، ج ١، ص ٥٦.

(٢) المصدر، ص ٦٤-٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٠

«الله»، و يخلو بأحواله «لله» و «فى الله»، فلا يكون فيه نصيب لغير «الله»، و إذا أشرف على أن يصير محوا فى الله، لله، بالله، تداركه الحق سبحانه برحمته، فيكاشفه بقوله: «الرحمن الرحيم» استبقاء لمهجته أن تلتف، و إرادة فى قلوبهم أن تنقى، فالتلطف سنّه منه سبحانه؛ لئلا يفنى أولياؤه بالكلية «١».

و فى بسملة النساء:

اختلفوا فى «الاسم» عما إذا اشتق، فمنهم من قال: إنه مشتق من السمّ، و هو العلوّ، و منهم من قال: إنه مشتق من السمّة، و هى الكيّة. و كلاهما فى الإشارة؛ فمن قال: إنه مشتق من «السمّ» فهو اسم من ذكره سمت رتبته، و من عرفه سمت حالته، و من صحبه سمت همته، فسمو الرتبة يوجب و فور المثوبات و المبار، و سمو الحالة يوجب ظهور الأنوار فى الأسرار، و سمو الهيمّة يوجب التحرز عن رقّ الأغيار.

و من قال: أصله من «السمّة»، فهو اسم من قصده وسم بسمّة العبادة، و من صحبه وسم بسمّة الإرادة، و من أحبه وسم بسمّة الخواصّ، و من عرفه وسم بسمّة الاختصاص. فسمّة العبادة توجب هيبّة النار أن ترمى صاحبها بشررها، و سمّة الإرادة توجب حشمة الجنان أن تطمع فى استرقاق صاحبها، مع شرف خطرهما، و سمّة الخواص توجب سقوط العجب من استحقاق القربة للماء و الطينة على الجملة، و سمّة الاختصاص توجب امتحاء الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة.

و يقال: اسم من و اصله سما عنده عن الأوهام قدره سبحانه. و من فاصله (١) لطائف الإشارات، ج ١، ص ٢٢٩-٢٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣١

و سم بكى الفرقة قلبه، و على هذه الجملة يدلّ اسمه «١».

و فى بسملة المائدة:

سماع اسم «الله» يوجب الهيبّة، و الهيبّة تتضمّن الفناء و الغيبة، و سماع «الرحمن الرحيم» يوجب الحضور و الأوبة، و الحضور يتضمن البقاء و القربة.

فمن أسمع «بسم الله» أدهشه فى كشف جلاله، و من أسمع «الرحمن الرحيم» عيشه بلطف إفضاله «٢».

و هكذا عند كل بسملة يأتى بجمل و عبارات ذات تسجيع متكلف فيه إلى تمام السور، لكنه عند سورة قريش، يغير الاتجاه، و ينسى منهجه الدائر، و يقول:

«بسم»، الباء فى «بسم» تشير إلى براءة سرّ الموحدين عن حسابان الحدثان، و عن كل شىء مما لم يكن فكان، و تشير إلى الانقطاع إلى الله فى السراء و الضراء و الشدّة و الرّخاء. و السين تشير إلى سكونهم فى جميع أحوالهم تحت جريان ما يبدو من الغيب، بشرط مراعاة الأدب. و الميم تشير إلى منّة الله عليهم بالتوفيق، لما تحققوا به من معرفته، و تخلّقوا من طاعته «٣».

و لم هذا التغيير فى الاتجاه؟ و لعله ألهم إليه إلهاما! نعم هناك ما يبرر موقف الصوفية من هذه التأويلات، بأنها من تفسير الباطن للقرآن وراء تفسيره الظاهرى، مع العلم أن للقرآن ظهرا و بطنا، و لا- يعنى التفسير الباطنى نفى التفسير الظاهرى، بل هما معا ثابتان جميعا، و معه لا موضع للإنكار (١) لطائف الإشارات، ج ٢، ص ٥-٦.

(٢) المصدر، ج ٢، ص ٩١.

(٣) المصدر، ج ٤، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٢ عليهم.

قال الأستاذ حسن عباس زكي «١» بصدد الدفاع عن مواضع الصوفية في تأويل القرآن:

فالمفسرون من علماء الشريعة يقفون عند ظاهر اللفظ و ما دلّ عليه الكلام من الأمر و النهى و القصص و الأخبار و التوحيد، و غير ذلك، و أهل التحقيق أو الصوفية يقرون تفسيرهم هذا، و يرونه الأصل الذي نزل فيه القرآن. و لكن لهم في كلام الله مع الأخذ بهذا التفسير الظاهري مذاقات لا يمكنهم إغفالها؛ لأنها بمثابة واردات أو هواتف من الحق لهم. فلا ينبغي أن نقف القرآن على تفسير معين على أنه المراد، فلا نقول كما يقول البعض: إن التفسير الظاهري وحده هو المقصود، كما لا يرى أهل التحقيق أن تفسيرهم وحده هو المراد؛ لأن القول بالتفسير الظاهري و حسب، تحديد لكلام الله غير المحدود، و إخضاع القرآن للغة التي مقياسها العقل المحدود، و الوقوف في تفسير كلام الله عند العقل المحدود، عقاب عن الانطلاق فيما وراء الغيوب، و إغلاق الباب لمذاقات ليس العقل مجالها؛ لأنها لا تخضع لمقاييسه و إنما تخضع لشيء آخر فوقه، و تدرك بلطفه أخرى سواه، إذن فهناك ما فوق العقل إلا و هو القلب؛ فإن للقلب لغته كما أن للعقل لغته. و إذا كانت لغة العقل تدرك بالألفاظ، و يعبر عنها بالكلمات، فلغة القلب تدرك بالذوق؛ لأنه لا يحيط بالتعبير عنها اللفظ.

و لنقرب إلى الفهم، فلغة القلب مثل التفاحة، فلن يستطيع من أكلها و أحسّ حلاوتها أن يترجم باللفظ أو يعبر بالوصف - لمن لم يأكلها قبل - عن طعمها (١) وزير الاقتصاد و التجارة الخارجية بمصر، له تعريف بتفسير القشيري أثبتته في مقدمة الكتاب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٣

و مذاقتها، و هكذا لا تدرك لغة القلب بوصف أو بلفظ، و إنما يدركها ذو قلب متذوق؛ و لذلك لا تحيط بالتعبير عن لغة القلب العبارة، و إنما يعبر عنها بالإشارة.

فالإشارة ترجمان لما يقع في القلوب من تجليات و مشاهدات، و تلويح لما يفيض به الله على صفوته و أحبابه من أسرار في كلام الله، و كلام رسوله.

و من هنا كانت مذاقات الصوفية و أهل التحقيق في القرآن الكريم، و هم لا يرون أن تلك المذاقات وحدها هي المرادة، و إنما يأخذونها إشارات من الله لهم بعد إقرار ما قاله أهل الظاهر من تفسير، باعتباره أصل التشريع.

و جليّ بعد ذلك أنه لا مجال لمتعرض ممن ينكر عليهم مذاقاتهم، و يراها ميلا بكلام الله عن مجراها، ما داموا لا يأخذون بمذاقاتهم وحدها، و إنما يأخذون بهما مع إقرارهم لتفسير أهل الشرع. فلا يعني من ذي جدل أن يقول عن هذه الإشارات: إنها إحالة لكلام الله و تغيير لسياقه و مجراه؛ لأن ذلك يصدق لو قالوا:

إنه لا معنى للآية إلا هذا، و هم لا يقولون ذلك، بل يقرون الظواهر على ظواهرها، و يفهمون عن الله ما أفهمهم.

و ذلك مصداق الحديث الشريف: «لكل آية ظهر و بطن و حدّ و مطلع» فالباطن لا يعارض الظاهر، و الظاهر لا يعارض الباطن.

و ذلك النهج بعيد كل البعد عما نادى به «الباطنية» من الأخذ بباطن القرآن لا ظاهره، و قصرهم معاني القرآن على ما ادعوه من تفسيراتهم دون غيره؛ لأنهم بذلك لا يقرون الشريعة و يبطلون العمل بها، و هم لا يخضعون دعواهم للنص القرآني، بل يخضعون النص القرآني لدعواهم.

و هنا يزول ما التبس على البعض من أن مذاقات الصوفية في القرآن الكريم، نزعاً باطنية، فيبينهم و بينها آما و أبعاد، بل أنهم لبريئون منها، و لينكرونها كل الإنكار، و واضح ذلك من أنهم يأخذون بالباطن بعد الأخذ بالظاهر، و يقرون



التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٤

الحقيقة بعد الأخذ بالشريعة، و يرون أن الحقيقة نفسها أساسها الشريعة، فالفرق ثمة كبير، و البون شاسع و عظيم. و لا مجال بعد هذا الإيضاح لإنكار من ينكر على الصوفية مذهبهم في الإشارات و ما يختصهم الله به في كلامه و كلام رسوله صلى الله عليه و آله و سلم من الأسرار و الفيوضات.

على أن تلك الإشارات أمر مشروع أقره الحديث المذكور آنفا «لكل آية ظاهر و باطن و حدّ و مطلع» فأربابها متبعون لا مبتدعون، اختصهم الله بأسراره في آياته، ليكونوا مصابيح الهدى في غسق الدجى، كما أقره عمد الدين و ذوو العلم من المؤلفين: قال سعد الدين التفتازاني، في شرح العقائد النسفية: «و أما ما ذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص مصروفة على ظواهرها، و مع ذلك فيها إشارات خفية إلى حقائق تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها و بين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان و محض العرفان» (١).

و قال الشيخ زروق: «نظر الصوفي أخص من نظر المفسر و صاحب فقه الحديث؛ لأن كلا منهما يعتبر الحكم و المعنى ليس إلّا، و هو يزيد بطلب الإشارة بعد إثبات ما أثبتاه».

فإذا دار المفسر في حدود اللفظ القرآني، و استنبط منه الفقهاء ما استنبطوا من أحكام، فأولى الأبواب و ذوى البصائر فيه بعد ذلك من الأسرار و الحقائق ما لا ينكشف لسواهم و لا يدركه غيرهم، و ذلك لتجدد واردات الحق عليهم، و دوام (١) شرح العقائد النسفية، ص ١٢٠ (ط كابل).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٥

تنزل الفيوضات على قلوبهم؛ لأنهم أهل و محبوه (١).

و لقد أبدع الأستاذ زكى و أبدى براعته في الدفاع عن حريم الصوفية و تأويلاتهم لنصوص الشريعة، لكنه تطوع في الدفاع محاولا التغطية على انحرافات القوم و عدم الإفشاء، مرورا عليها مرور الكرام، صونا على عرضهم و عدم هتك نوايسهم. و هل الواقعية تساند هذا الدفاع؟ هذا شيء آخر، و لعل الأمر بخلافه.

إن شريعة الله، ظاهرة و باطنة، ذات حقيقة واحدة، و تتجلى خلال أوامره و نواهيه و أحكامه و تكاليفه، من عبادات و فرائض و أصول معارف و فروع مسائل، إن قام بها المكلف عن إيمان و إخلاص، فقد احتضن الحقيقة و أصابها و استضاء بنورها، و كانت له فيها السعادة و النجاة في الدارين، كما سعد السلف الصالح و بلغوا ساحل النجاة.

أمّا أن هناك طريقة وراء الشريعة، فمن سلك الطريقة بلغ الحقيقة، و من اقتصر على الشريعة لم ينل سوى المظاهر دون اللب و الصميم. فهذا أمر غريب و مبتدع ابتدعه أهل التأويل. في عهد متأخر عن دور الصحابة و التابعين لهم بإحسان.

و ما هذه الحقيقة الكامنة وراء الشريعة، و التي اتخذها الصوفية طريقة في السلوك و عرفانا إلى الواقع الصميم؟! هل هي تلك الخلسات و الجلسات العجيبة، و الأوراد و الأذكار المبتدعة في أطوارها و كيفياتها، مما لم يأت الله بها من سلطان، و إنما هي شيء ابتدعوها ابتداعا لا مستند لها. (١) مقدمة تفسير القشيري، ج ١، ص ٤-٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٦

أما الواردات (إلهامات) التي أشار إليها الأستاذ، فشيء تدعيه الصوفية و أرباب السلوك الصوفى المجرد، و ليست سوى خواطر و أوهام و هواجس و تخيلات بحتة، لو لم نقل إنها من همزات الشياطين.

نعم السلوك إلى الله كامن وراء الإخلاص في العمل بتكاليف الشريعة و الالتزام بتعاليمه القيمة محضا، و ليس في غير ذلك سوى ابتداع و انحراف عن الحقيقة، أيّا كان نمطه و لونه، فرب عمل كان في أصله مشروعا، لكنه أصبح بسبب ملابسات و زيادات كما أو كيفا ضلالة و بدعة؛ إذ لم يرد بشأنها نص في الكتاب أو السنة الشريفة.

و بالجملة فإن الأعمال التي يزاولها أهل القشف في السلوك الصوفي، أعمال غريبة عن روح الإسلام، و لا ينبغي أن نصفها بصفة الحقيقة الربانية كما يزعمون.

و كل يدعى وصلاً بليلي و ليلي لا تقر لهم جواباً

هذا مضافاً إلى وفرة شطحات هؤلاء ملأت دفاترهم و سجلاتهم، لا تدع مجالاً لأي تبرير لمواضعهم، حتى و لو كان شكلياً. و سيوافيك نغم العلماء على مواضع الصوفية في تأويلاتهم الباطلة، عند الكلام عن تفسير السلمى، شيخ القشيري و مقتداه في التفسير. و نتعرض هناك لتأويلات لا تنسجم مع روح الشريعة، و لا هي تتوافق مع لفظ القرآن، لا في ظاهره و لا في باطنه.

و الحديث الشريف: «إن للقرآن ظهراً و بطناً...»، و «أن ظهره تنزيله و بطنه تأويله...» لا- يعني هو اجس أهل التصوف أو تخيلاتهم المزعومة. و قد أسبقنا أن للتأويل (كشف باطن الآيه) شروطاً كما أن للتفسير (فهم ظاهر الآيه) أيضاً شروطاً، و ليس هذا أو ذاك مطلق العنان، يجرى حسبما يشتهي أهل الأهواء.

و عليك بمراجعة ما يأتي من نماذج من تأويلاتهم التي لا تعدو تخيلات.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٧

أيها المدعى سليمي هواها لست منها و لا قلامه ظفر

إنما أنت في هواها كواو ألصقت في الهجاء ظلماً بعمر و

و يجدر بنا أن ننبه على أن تفاسير الصوفية ليست على نمط واحد من الاعتبار أو السقوط، بل بين رفيع و وضع، و أسلم تفاسيرهم، هو تفسير القشيري نسيباً؛ حيث خلوه عن أكثر شطحات الصوفية المعروفة عنهم. و أسلم منه تفسير الميبدى الموسوم ب «كشف الأسرار و عدة الأبرار» على ما سنذكره.

### التنوع في التفسير الباطني

قد ينوع التفسير الصوفي إلى نوعين: نظري و فيضي، حسب تنوع المتصوفة إلى تصوف نظري و عملي، ليكون التصوف النظري مبتنياً على البحث و الدراسة، أما التصوف العملي فهو الذي يقوم على التقشف و التزهد و التفاني في العبادة (الأذكار و الأوراد).

و عليه فالتفسير الصوفي النظري، تفسير أولئك المتصوفة الذين بنوا تصوفهم على مباحث نظرية فلسفية، و رثوها من يونان القديمة، و من الصعب جداً أن يجد هؤلاء في القرآن ما يتفق و تعاليمهم، و هي بعيدة عن روح القرآن و تعاليم الإسلام، اللهم إلا إذا حملوا نظرياتهم على القرآن و أقحموا عليه إقحاماً.

قال الأستاذ الذهبي: و نستطيع أن نعتبر الأستاذ الأكبر محيي الدين بن عربي، شيخ هذه الطريقة في التفسير؛ إذ إنه أظهر من خب فيها و وضع، و أكثر أصحابه معالجة للقرآن على طريقة التصوف النظري «١». (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٨

و أما التفسير الفيضي، فهو تأويل الآيات على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات رمزية، تظهر لأرباب السلوك و الرياضة النفسية، من غير ما دعم بحجة أو برهان.

قال الذهبي: و الفرق بينه و بين التفسير الصوفي النظري من وجهين.

أولاً: أن النظري يبنى على مقدمات علمية تنقح في ذهن الصوفي أولاً ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك. أما التفسير الفيضي الإشاري فيرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجع العبارات هذه الإشارات القدسية، و تنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

ثانياً: أن التفسير الصوفي النظري، يرى صاحبه أنه كل ما تحمله الآيه من المعاني، و ليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآيه عليه.

أما التفسير الفيضى الإشارى فلا يرى الصوفى أنه كل ما يرد من الآيه، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآيه، و يراد منها أولا و قبل كل شىء، و ذلك هو المعنى الظاهر الذى ينساق إليه الذهن قبل غيره «١».

لكننا لا نرى تفاوتاً فى تفاسير الصوفية، سوى الشدة و الضعف فى تأويلاتهم التى يتكلفونها حسب أذواقهم و سلاتهم، بلا استناد و لا أساس، و كلها معدود من التفسير بالرأى المقيت.

إذ لم نر من استند منهم على مقدمه علمية و لا برهان واضح، سوى سوانح و خواطر عارضه، يحسبونها إشراقات جاءتهم من مكان على، و ليس سوى (١) التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٣٩

ادعاءات فارغة كسرابٍ بقيقه يحسبه الظمان ماءً، حتى إذا جاءه لم يجد شئاً «١».

نعم هناك منهم من يحاول الجمع بين الظاهر و الباطن، تأليفاً بين الشريعة و الطريقة، كالقشيري فى تفسيره، و منهم من يقتصر على الباطن معرضاً عن الظاهر، إما منكرًا له كالباطنية المحضة، أصحاب الحسن السباح، و هم الملاحدة، و على نظيرهم الخوارج و القرامطة. و كذا بعض تفاسير الصوفية ممن اقتصروا على محض الباطن، كمحيى الدين بن عربى فى تفسيره الباطنى المنسوب إليه.

لكنه مع ذلك لم ينكر الظواهر، و قد فسر القرآن أثناء كتبه تفسيراً آخر حسب الظاهر المعروف «٢».

و مثله تفسير أبى محمد الشيرازى «عرائس البيان» جرى فى تفسيره على نمط واحد هو التفسير الإشارى، و لم يتعرض للتفسير الظاهر بحال، و إن كان يعتقد أنه لا بد منه أولاً، كما صرح بذلك فى مقدمه تفسيره، و سندكره.

### أهم تفاسير الصوفية و أهل العرفان

#### إشارة

لأهل العرفان الباطنى تفاسير متنوعة فى البناء على تأويل الآيات، حسب مشاربهم فى التصوف و العرفان، فمنهم من جمع بين تفسير الظاهر و الباطن فاصلاً بينهما كلياً على حدّه، و منهم من مزج بين الأمرين من غير فصل بينهما، و ربما حصل خلط من ذلك بحيث لا يعرف القارئ أنه تفسير أو تأويل، و منهم (١) النور / ٣٩.

(٢) جمعه محمود الغزب من علماء دمشق المعاصرين حسبما نذكر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٠

من اقتصر على مجرد التأويل محضاً، حسبما نذكر من تفاسيرهم.

#### ١- تفسير التستري

و لقد بدأ التفسير الباطنى اعتماداً على تأويل الآيات منذ القرن الثالث على يد أبى محمد سهل بن عبد الله التستري من مواليد سنة (٢٠٠ هـ) و المتوفى سنة (٢٨٣ هـ). فإن له تفسيراً على طريقة الصوفية جمعه أبو بكر محمد بن أحمد البلدى، و قد طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة (١٩٠٨ م) فيما لا يزيد على مائتى صفحة.

كان التستري من كبار العارفين، و قد ذكرت له كرامات، و لقي الشيخ ذا النون المصرى بمكة، و كان صاحب رياضة و اجتهاد وافر. أقام بالبصرة زمناً طويلاً، و توفى بها.

و تفسيره هذا مطبوع فى حجم صغير، لم يتعرض فيه المؤلف لتفسير جميع القرآن، بل تكلم عن آيات محدودة و متفرقة من كل سورة. و يبدو أن التفسير مجموعة من أقوال سهل فى التفسير، جمعها البلدى المذكور فى أول الكتاب، و الذى يقول كثيراً: قال أبو بكر: سئل سهل عن معنى آية كذا، فقال: كذا.

و للكتاب مقدمة جاء فيها توضيح معنى الظاهر و الباطن و معنى الحدّ و المطلع، فيقول: ما من آية في القرآن إلّا و لها ظاهر و باطن و حد و مطلع. فالظاهر:

التلاوة، و الباطن: الفهم. و الحد: حلالها و حرامها، و المطلع: إشراق القلب على المراد بها، فقها من الله عزّ و جل فالعلم الظاهر علم عام، و الفهم لباطنه، و المراد به خاص. و يقول في موضع آخر: قال سهل: إن الله تعالى ما استولى وليا من أمه محمد صلى الله عليه و آله و سلم إلّا علّمه القرآن، إما ظاهرا و إما باطنا. قيل له: إن الظاهر نعرفه،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤١

فالباطن ما هو؟ قال: فهمه، و إن فهمه هو المراد «١».

و نجده أحيانا لا- يقتصر على التفسير الإشارى وحده، بل ربما ذكر المعاني الظاهرة ثم يعقبها بالمعاني الإشارية. و حينما يعرض للمعاني الإشارية لا يكون واضحا في كل ما يقوله، بل تارة يأتي بالمعاني الغريبة التي يستبعد أن تكون مرادة لله تعالى، كالمعاني التي يذكرها في تفسير البسملّة:

الباء: بهاء الله. و السين: سناء الله. و الميم: مجد الله. و الله: هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، و بين الألف و اللام منه حرف مكّنى، غيب من غيب إلى غيب، و سرّ من سرّ إلى سر، و حقيقة من حقيقة إلى حقيقة، لا ينال فهمه إلّا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواما ضرورة الإيمان. و الرحمن: اسم فيه خاصية من الحرف المكّنى بين الألف و اللام. و الرحيم: هو العاطف على عباده بالرزق في الفرع، و الابتداء في الأصل، رحمة لسابق علمه القديم «٢».

و بهذا النسق فسّر «الم»، و تبعه على ذلك أبو عبد الرحمن السلمى، و من بعدهما من مفسرى الصوفية و أهل العرفان «٣».

و ربّما فسّر الآية بما لا يحتمله اللفظ، و ليس سوى الذوق الصوفى حمله على الآية حملا، من ذلك ما ذكره في تفسير الآية و لا تقربا هذه الشجرة «٤»:

لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة، و إنما أراد معنى مساكنة الهممة لشىء هو غيره، أى لا تهتم بشىء هو غيرى. قال: فآدم عليه السلام لم يعصم من الهممة و الفعل في الجنة، (١) تفسير التستري، ص ٣.

(٢) المصدر، ص ٩-١٢.

(٣) حقائق التفسير للسلمى، ص ٩.

(٤) البقرة/ ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٢

فلحقه ما لحقه من أجل ذلك. قال: و كذلك كل من ادعى ما ليس له و ساكنه قلبه ناظرا إلى هوى نفسه، لحقه الترك من الله عزّ و جل مع ما جبلت عليه نفسه، إلّا أن يرحمه الله، فيعصمه من تدبيره و ينصره على عدوّه و عليها. قال: و آدم لم يعصم عن مساكنة قلبه إلى تدبير نفسه للخلود لَمّا أدخل الجنة، أ لا ترى أن البلاء دخل عليه من أجل سكون القلب إلى ما وسوست به نفسه، فغلب الهوى و الشهوة العلم و العقل و البيان و نور القلب، لسابق القدر من الله تعالى، كما

قال صلى الله عليه و آله و سلم: الهوى و الشهوة يغلبان العلم و العقل «١».

و فى أغلب الأحيان يجرى فى تفسيره مع ظاهر الآية أولا، ثم يعقبه بما سنع له من خواهر صوفية يجعلها تأويلا و تفسيرا لباطن الآية. من ذلك تفسيره للآية و الجارِ ذى القربى و الجارِ الجنبِ و الصّاحِبِ بالجنبِ و ابنِ السبيلِ «٢» حيث يقول بعد ذكره للتفسير الظاهر: و أما باطنها، فالجارِ ذى القربى هو القلب، و الجارِ الجنبِ هو الطبيعة، و الصّاحِبِ بالجنبِ هو العقل المقتدى بالشريعة، و ابنِ السبيلِ هو الجوارح المطيعة لله «٣».

و عند تفسيره للآية ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ «٤» يقول: مثّل الله الجوارح بالبرّ، و مثّل القلب بالبحر، و هم

- أعم نفعاً وأكثر خطراً. هذا هو باطن الآية، ألا ترى أن القلب إنما سمي قلباً لتقلبه، وبعد غوره «٥». (١) تفسير التستري، ص ١٦-١٧.
- (٢) النساء / ٣٦.
- (٣) تفسير التستري، ص ٤٥.
- (٤) الروم / ٤١.
- (٥) تفسير التستري، ص ٤٥. و راجع: الذهبي، ج ٢، ص ٣٦٥.
- التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٣

## ٢- حقائق التفسير للسلمي

و ثانياً تفاسير الصوفية التي ظهرت إلى الوجود، تفسير أبي عبد الرحمن السلمي، المسمى بـ «حقائق التفسير» هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، المولود سنة (٣٣٠) و المتوفى سنة (٤١٢). كان شيخ الصوفية و رائدهم بخراسان، و له اليد الطولى في التصوف، و كان موفقاً في علوم الحقائق حسبما اصطلح عليه القوم و كان على جانب كبير من العلم بالحديث، أخذ منه الحاكم النيسابوري و القشيري صاحب التفسير.

و هذا التفسير من أهم تفاسير الصوفية، و يعدّ من أمهات المراجع للتفسير الباطني لمن تأخر عنه، كالقشيري و الشيرازي و أضرابهما من أقطاب الصوفية.

و هو امتداد للتفسير الصوفي الذي ابتدعه التستري من ذي قبل و تفصيل فيه، و تحرير واسع للذوق الصوفي في فهمه لمعاني كلمات الله في القرآن العظيم.

يقول في مقدمته:

«لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات و تفاسير و مشكلات و أحكام، و إعراب و لغه، و مجمل و مفصل، و ناسخ و منسوخ، و لم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان الحقيقة إلّا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفاً استحسنها من ذلك، و أضمت أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك، و أرتبه على السور، حسب وسعي و طاقتي» (١).

غير أن الاقتصار على المعاني الإشارية، و الإعراض عن المعاني الظاهرة في هذا التفسير، ترك للعلماء مجالاً للطعن عليه، و لقي معارضات شديدة من معاصريه و ممن أتوا بعده، فاتهم بالابتداع و التحريف و القرمطه، و وضع (١) حقائق التفسير للسلمي، ص ١-٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٤

الأحاديث على الصوفية.

يقول ابن الصلاح «١» في فتاواه و قد سئل عن كلام الصوفية في القرآن:

وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدى المفسر أنه قال: صنّف أبو عبد الرحمن السلمي «حقائق التفسير» فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير، فقد كفر.

قال: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا، و لا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك، كانوا قد سلخوا مسلك الباطنية، و إنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير، و من ذلك قتال النفس في الآية الكريمة يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ «٢» فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس و من يلينا من الكفار، و مع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك، لما فيه من الإيهام و الإلباس» (٣).

قال أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ) - و هو قريب عهد به-: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري: كان السلمي غير ثقة. قال الخطيب: و كان يضع للصوفية الأحاديث «٤». (١) هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام في

قطره و عصره، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتى صلاح الدين عبد الرحمن الكردي الشهرزوري الموصلى. ولد سنة (٥٧٧ هـ) و توفى سنة (٦٤٣ هـ) بدمشق، و دفن بمقبرة الصوفية، و كان قبره ظاهرا يزار. (سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٢٣، ص ١٤٠، رقم ١٠٠) (٢) التوبة/ ١٢٣.

(٣) فتاوى ابن الصلاح، ص ٢٩. (الذهبي، ج ٢، ص ٣٦٨).

(٤) تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٢٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٥

و هكذا وصفه أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة (٧٢٨ هـ) بالوضع و الاختلاق. قال: و ما ينقل في «حقائق» السلمي من التفسير عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عامته كذب على جعفر، كما قد كذب عليه غير ذلك «١».

قال الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨ هـ) في «تذكرة الحفاظ»: «ألف السلمي حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب و تأويلات الباطنية، نسأل الله العافية» «٢».

و قال في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: «و للسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ و الرواة سؤال عارف. و في الجملة ففي تصانيفه أحاديث و حكايات موضوعه. و في «حقائق التفسير» أشياء لا تسوغ أصلا، عدّها بعض الأئمة من زندقه الباطنية، و عدّها بعضهم عرفانا و حقيقة، نعوذ بالله من الضلال و من الكلام بهوى» «٣».

و من ثمّ عدّ السيوطي المتوفى سنة (٩١١) تفسير السلمي في كتابه «طبقات المفسرين» ضمن التفاسير المبتدعة. قال: و إنما أوردته في هذا القسم لأنه غير محمود «٤».

و هكذا ذكر الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الداودي المتوفى سنة (٩٤٥ هـ) في «طبقات المفسرين»، قال: و كتاب «حقائق التفسير» للسلمي قد (١) منهاج السنة، ج ٤، ص ١٥٥.

(٢) تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١٠٤٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٢٥٢.

(٤) طبقات المفسرين للسيوطي (ط ليدن) ص ٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٦

كثر الكلام فيه، من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات و محامل للصوفية، ينبو عنها ظاهر اللفظ «١».

و إليك الآن نماذج من تأويلات السلمي، مما ينبو عنها لفظ القرآن الكريم:

قال في الآية و لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ «٢»: قال محمد بن الفضل: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم، أى اخرجوا حب الدنيا من قلوبكم، ما فعلوه إلا قليل منهم في العدد، كثير في المعاني، و هم أهل التوفيق و الولايات الصادقة «٣».

و في سورة الرعد عند قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ «٤» يقول: قال بعضهم: هو الذى بسط الأرض و جعل فيها أوتادا من أوليائه و سادة من عبيده، فإليهم الملجأ و بهم النجاة، فمن ضرب فى الأرض يقصدهم فاز و نجا، و من كان بغيته لغيرهم خاب و خسر. سمعت على بن سعيد يقول: سمعت أبا محمد الحريرى يقول: كان فى جوار الجنيد إنسان مصاب فى خربة، فلما مات الجنيد و حملنا جنازته، حضر الجنازة، فلما رجعنا تقدّم خطوات و علا موضعا من الأرض عاليا، فاستقبلنى بوجهه، و قال: يا أبا محمد، إنى لراجع إلى تلك الخربة، و قد فقدت ذلك السيد، ثم أنشد شعرا:

و ما أسفى من فراق قوم هم المصاييح و الحصون

(١) طبقات المفسرين للداودي، ج ٢، ص ١٣٩.

(٢) النساء / ٦٦.

(٣) تفسير السلمى (حقائق التفسير)، ص ٤٩.

(٤) الرعد / ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٧

و المدن و المزن و الرواسى و الخير و الأمن و السكون

لم تتغير لنا الليالى حتى توفتهم المنون

فكل جمر لنا قلوب و كل ماء لنا عيون «١»

و فى سورة الحج عند قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً «٢»، يقول: قال بعضهم: أنزل مياه الرحمة من سحاب القربة، و فتح إلى قلوب عباده عيوننا من ماء الرحمة، فأنبت فاحضرت بزينة المعرفة، و أثمرت الإيمان، و أينعت التوحيد، أضاءت بالمحبة فهامت إلى سيدها، و اشتاقت إلى ربها فطارت بهمتها، و أناخت بين يديه، و عكفت فأقبلت عليه، و انقطعت عن الأكوان أجمع. ذاك آواها الحق إليه، و فتح لها خزائن أنواره، و أطلق لها الخيرة فى بساتين الأنس، و رياض الشوق و القدس «٣».

و فى سورة الرحمن عند قوله تعالى: فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ «٤» يقول: قال جعفر: جعل الحق تعالى فى قلوب أوليائه رياض أنسه، فغرس فيها أشجار المعرفة، أصولها ثابتة فى أسرارهم، و فروعها قائمة بالحضرة فى المشهد، فهم يجنون ثمار الأنس فى كل أوان، و هو قوله تعالى: فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ أَى ذَاتِ الْأُلْوَانِ، كل يجتنى منه لونا على قدر سعته، و ما كوشف له من بوادى المعرفة و آثار الولاية «٥». (١) تفسير السلمى، ص ١٣٨.

(٢) الحج / ٦٣.

(٣) تفسير السلمى، ص ٢١٢.

(٤) الرحمن / ١١.

(٥) تفسير السلمى، ص ٣٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٨

و فى سورة الانفطار إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ «١» يقول: قال جعفر: النعيم: المعرفة و المشاهدة، و الجحيم: النفوس، فإن لها نيرانا تتقد «٢».

و فى سورة النصر إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ «٣» يقول: قال ابن عطاء الله:

إذا شغلك به عمّا دونه فقد جاءك الفتح من الله تعالى، و الفتح: هو النجاة من السجن البشرى بقاء الله تعالى «٤».

### ٣- لطائف الإشارات للقشيري

هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابورى. ولد فى قرية من ضواحي نيسابور سنة (٣٧٦ هـ) و مات أبوه و هو صغير، فاتجهت به أسرته نحو طلب العلم، فبرع فيه حسبما دارت رحى العلم فى ذلك العهد، فى الفقه و الحديث و الأدب و الأصول و التفسير. و سار فى درب الصوفية على يد أبى الحسن ابن الدقاق المتوفى سنة (٤٤٨ هـ) من كبار مشايخ الصوفية ذلك العهد، و قد أشار عليه أن يحضر حلقات درس أبى بكر الطوسى، و ابن فورك، و الأسفرايينى. و فى أثناء ذلك كان يداوم على درس ابن الدقاق، و لما توفى انتقل إلى دروس عبد الرحمن السلمى المتوفى سنة (٤١٢ هـ) حتى أصبح شيخ خراسان فى الفقه و الكلام، مع تصدير فى الحديث و الوعظ و الإرشاد. و توفى سنة (١) الانفطار / ١٣-١٤.

(٢) تفسير السلمى، ص ٣٨٥.

(٣) النصر / ١.

(٤) تفسير السلمى، ص ٤٠٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٤٩  
(٤٦٥ هـ) بمدينة نيسابور.

و تفسيره هذا امتداد للتفسير الصوفى الباطنى، معتمداً فى أكثر الأحيان على تأويلات قد ينبو عنها ظاهر لفظ الآية الكريمة. لكنه مع ذلك حاول أن يوفق بين علوم الحقيقة - حسب مصطلحهم - و علوم الشريعة، قاصداً أن لا تعارض بينهما، و أن أى كلام يناقض ذلك فهو خروج على كليهما؛ إذ كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة غير مقبول، و كل حقيقة غير مقيدة بالشريعة غير محصول، فالشريعة أن تعده، و الحقيقة أن تشهد. كما جاء فى «الرسالة القشيرية» (١).

حاول فى هذا التفسير أن يبرهن على أن كل صغيرة و كبيرة فى علوم الصوفية، فإن لها أصلاً من القرآن. و يتجلى ذلك بصفة خاصة حيثما ورد المصطلح الصوفى صريحا فى النص القرآنى، كالذكر و التوكل و الرضا، و الولى و الولاية و الحق، و الظاهر و الباطن، و القبض و البسط. فإنك عند خلال قراءة التفسير لا تكاد تملك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم و فروعهم من كتاب الله الكريم، و أن علومهم ليست غريبة و لا مستوردة، كما يحلو لكثير من الباحثين، حين يرون التصوف الإسلامى متأثراً بالتيارات الأجنبية، اليونان و الفرس و الهند.

كذلك تلحظ عبقرية القشيري إزاء اللفظة أو الآية، حينما لا يكون فيها اصطلاح صوفى، فإنه يستخرج لك من آيات الطلاق إشارات فى الصحبة و الصاحب، و من علاقة النبى صلى الله عليه و آله و سلم بأصحابه إشارات عن الشيخ و مريديه، و من مظاهر الطبيعة كالشمس و القمر و المطر و الجبال إشارات تتصل اتصالاً وثيقاً بالرياضات و المجاهدات، أو بالمواصلات و الكشوفات. (١) الرسالة القشيرية، ص ٤٦. و راجع: مقدمة تفسير القشيري، ج ١، ص ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٠

و من ثم فإنه من أوفق التفاسير الصوفية فى الجمع بين الشريعة و الطريقة، و أسلمها عن الخوض فى التأويلات البعيدة التى يأبأها اللفظ و ينفرها، كما فى سائر تفاسيرهم.

ولذلك فإن فيه بعض الشطحات أو التأويلات البعيدة، مما يعدّ تفسيراً بالرأى الممنوع منه شرعاً، مثلاً عند قوله تعالى: وَ عَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (١) يقول: الأمر فى الظاهر بتطهير البيت، و الإشارة من الآية إلى تطهير القلوب. و تطهير البيت بصونه عن الأدناس و الأوضار، و تطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس و الأغيار.

و طواف الحجاج حول البيت معلوم بلسان الشرع، و طواف المعانى معلوم لأهل الحق، فقلوب العارفين المعانى فيها طائفة، و قلوب الموحدين الحقائق فيها عاكفة، فهؤلاء أصحاب التلوين، و هؤلاء أرباب التمكين (٢).

و قلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود أبداً واقفة.

و قلوب الموحدين على بساط الوصل أبداً راکعة.

و قلوب الواجدین على بساط القرب أبداً ساجدة.

و يقال: صواعد نوازع الطالبين بباب الكرم أبداً واقفة، و سوامى قصود (١) البقرة / ١٢٥.

(٢) التلوين و التمكين لفظان اصطلاحيان: التلوين صفة أرباب الأحوال، و التمكين صفة أهل الحقائق. فما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين؛ لأنه يرتقى من حال إلى حال، و ينتقل من وصف إلى وصف، و هو أبداً فى الزيادة. أما صاحب التمكين فوصل ثم اتصل، و أماره أنه اتصل أنه بالكليّة عن كليته بطل، و التغيير بما يرد على العبد إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه، و السكون إما لقوته أو لضعف الوارد عليه. (الرسالة القشيرية، ص ٤٤).



التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥١

المريدين بمشهد الجود أبدا طائفة، و وفود همم العارفين بحضرة العز أبدا عاكفة «١».

وقال في قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُؤَلِّقُوا لَكُمُ اللَّهُ بَشِيرًا مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيُعَلِّمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ - إلى قوله - يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا - تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ، وَ مَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ «٢»: و الإشارة فيه أن من قصد بيتنا فينبغي أن يكون الصيد منه في الأمان، لا يتأذى منه حيوان بحال؛ لذا قالوا: البر من لا يؤذى الذر و لا يضم الشر.

و يقال: الإشارة في هذا أن من قصدنا فعليه نبد الأطماع جملة، و لا ينبغي أن تكون له مطالبه بحال من الأحوال. و كما أن الصيد على المحرم حرام إلى أن يتحلل، فكذلك الطلب و الطمع و الاختيار على الواجد حرام ما دام محرما بقلبه. و يقال: العارف صيد الحق، و لا يكون للصيد صيد.

و إذا قتل المحرم الصيد فعليه الكفارة، و إذا لاحظ العارف الأعيار، أو طمع أو رغب في شيء أو اختار لزمته الكفارة، و لكن لا يكتفى منه بجزاء المثل و لا بأضعاف أمثال ما تصرف فيه أو طمع، و لكن كفارته تجرده على الحقيقة عن كل غير، قليل أو كثير، صغير أو كبير.

قوله عز و جل: أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلنَّيَّارِ، وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ «٣» قال: حكم البحر خلاف حكم البر، و إذا غرق العبد (١) لطائف الإشارات، ج ١، ص ١٣٦.

(٢) المائة / ٩٤ - ٩٥.

(٣) المائة / ٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٢

في بحار الحقائق سقط حكمه، فصيد البحر مباح له؛ لأنه إذا غرق صار محوا، فما إليه ليس به و لا منه إذ هو محو، و الله غالب على أمره «١».

و قد تقدّم تفسيره للبسملة في كل سورة بمعنى يغاير معناها في سورة أخرى، و هل هذا مستند إلى دليل، أو مجرد ذوق عرفاني لا أساس له؟!.

#### ٤- كشف الأسرار و عدّة الأبرار (تفسير الميبدى) المعروف بتفسير الخواجه عبد الله الأنصاري

##### إشارة

أصل هذا التفسير للخواجه عبد الله الأنصاري، ثم بسطه و وضح مبانيه المولى أبو الفضل رشيد الدين الميبدى، كما يقول في المقدمة: «أما بعد فإنني طالعت كتاب شيخ الإسلام، فريد عصره و وحيد دهره، أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري - قدس الله روحه - في تفسير القرآن، و كشف معانيه، و رأيته قد بلغ به حد الإعجاز لفظا و معنى و تحقيقا و ترصيعا، غير أنه أوجز غاية الإيجاز، و سلك فيه سبيل الاختصار، فلا يكاد يحصل غرض المتعلم المسترشد، أو يشفى غليل صدر المتأمل المستبصر، فأردت أن أنشر فيه جناح الكلام، و أرسل في بسطه عنان اللسان، جمعا بين حقائق التفسير و لطائف التذكير، و تسهيلا للأمر على من اشتغل بهذا الفن، فصممت العزم على تحقيق ما نويت، و شرعت بعون الله في تحرير ما هممت، في أوائل سنة عشرين و خمسمائة، و ترجمت الكتاب بكشف الأسرار و عدّة الأبرار» «٢». (١) لطائف الإشارات، ج ٢، ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) كشف الأسرار و عدّة الأبرار، ج ١، ص ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٣

أما الخواجا، فهو الإمام القدوة الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي، من ذرية صاحب

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ. مولده بهرات سنة (٣٩٦ هـ) و توفي بها سنة (٤٨١ هـ) وقبره مزار مشهود هناك. كان على حظ وافر من العربية والفقه والحديث والتواريخ والأنساب، إماما كاملا في التفسير، حسن السيرة في التصوف، غير مشغول بكسب، مكتفيا بما يباسط به المريدين والأتباع من أهل مجلسه في العام مرة أو مرتين على رأس الملاء فيحصل على ألوف من الدنانير وأعداد من الثياب والحلّي، فيأخذها ويفرقها على اللّحّام والخباز، وينفق منها، ولا يأخذ من السلطان ولا من أركان الدولة شيئا. وقل ما يراعيهم، ولا يدخل عليهم، ولا يبالي بهم، فبقى عزيزا مقبولا مقبولا أتم من الملك، مطاع الأمر نحو من ستين سنة، من غير مزاحمة. وقد كان سيفا مسلولا على المتكلمين، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، يعظّمونه ويتغالون فيه، ويبدلون أرواحهم فيما يأمر به. كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير، وكان طوراً راسياً في السّنّة لا يتزلزل ولا يلين. وقد امتحن عدّة مرات وأوذى في الله. وله مقامات وحكايات ذكرها أرباب التراجم (١).

و أما الميبدى فهو الإمام السعيد رشيد الدين أبو الفضل ابن أبي سعيد أحمد بن محمد بن محمود الميبدى (٢)، وكان أبوه جمال الإسلام أبو سعيد قد توفي قبل الخواجاء بسنة - سنة ٤٨٠ هـ - ومن ثم فإن المترجم كان قد أدرك (١) راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ٣، ص ١١٨٣، رقم ١٠٢٨. و سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٥٠٣، رقم ٢٦٠. (٢) راجع: مقدمة التفسير بقلم الدكتور على أصغر حكمت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٤

الخواجاء، ومن ثم وصفه أصحاب التراجم بالتملذة لديه (١). قد تصدّى تحرير تفسير شيخه عام (٥٢٠ هـ) أي بعد وفاة شيخه بأربعين سنة. و ميبد بلدة من ضواحي يزد - إيران.

و يظهر من تأليفه هذا الفخيم أنه كان على مستوى رفيع من الفضيلة والأدب السامي، ولا سيّما في الأدب الفارسي البديع؛ حيث تستجيعة المتين و ترصيفه الرصين، في جزالة و سلاسة و سهولة في التعبير، ولا سيّما في النوبة الثالثة؛ حيث ظرافة الذوق العرفاني العميق والأدب الرفيع، تجدهما قد امتزجا في كلامه، فجاء شيئا طريفا يستدعي التحسين والإعجاب.

أما التفسير ذاته فيعدّ من أكبر و أضخم تفسير كتب على الطريقة العرفانية الصوفية، في عشر مجلدات ضخام، وضع على أحسن سبك و أجمل عبارات أدبية رصينة، فهو من التفاسير الأدبية الممتازة باللغة الفارسية، و قد كثر تداوله بين الأدباء و أفاضل العرفاء. و كان منهجه السير في ثلاث نوبات:

النوبة الأولى في التفسير الظاهري على حدّ الترجمة الظاهرية.

و النوبة الثانية في بيان وجوه المعاني والقراءات وأسباب النزول، و بيان الأحكام و ذكر الأخبار، و الآثار الواردة بالمناسبة.

و النوبة الثالثة في بيان الرموز و الإشارات العرفانية، و لطائف الدقائق (١) راجع: لغت نامه دهخدا حرف الراء، نقلا عن تاريخ أدبي إيران لإدوارد براون ذيل صفحة ٣٧٥. و هكذا تاريخ أدبيات إيران للدكتور صفا، ج ٢، صص ٢٥٧ و ٨٨٣ و ٩٣٠ و ٩٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٥

و النكات الظريفة المستفادة من سجع العبارات، و هو بيت القصيد من التفسير.

كل ذلك بعبارات رائعة ذات تسجيع و ترصيف لطيف، كما هو دأب أكثر أصحاب التفسير العرفاني.

و مما حظى به هذا السفر الجليل، كثرة استشهاده بالجوه و النظائر من الآيات الكريمة، يوردها تباعا في كل مناسبة، مما يدل على إحاطة المؤلف بمعاني القرآن، و مختلف أنواع آية الكريمة. هذا عند كل مناسبة، نذكر منها ما يلي:

مثلا عند قوله تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ (١) يقول: و نظير ذلك في القرآن كثير، و يذكر الآيات التالية، و يترجم كل آية ترجمة رائعة، نذكرها مع الترجمة:

ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (٢) فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ (٣).

(بنده من دری برگشای تا دری برگشایم). (عبدی، افتح بابا حتی أفتح بابا).

.. وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى «٤».

(در انابت برگشای تا در بشارت برگشایم). (افتح باب الإنابة حتى أفتح باب البشارة).

وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ «٥».

(در انفاق برگشای تا در خلف برگشایم). (افتح باب الإنفاق حتى أفتح باب (١) البقرة / ٤٠).

(٢) غافر / ٦٠.

(٣) البقرة / ١٥٢.

(٤) الزمر / ١٧.

(٥) سبأ / ٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٦

العوض).

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا «١».

(در مجاهدت برگشای تا در هدایت برگشایم). (افتح باب المجاهدة حتى أفتح باب الهداية).

ثُمَّ يَسْتَعْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا «٢».

(در استغفار برگشای تا در مغفرت برگشایم). (افتح باب الاستغفار حتى أفتح باب المغفرة).

لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ «٣».

(در شکر برگشای تا در زیادت نعمت برگشایم). (افتح باب الشكر حتى أفتح باب الزيادة في النعمة).

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ «٤».

(بنده من به عهد من واز آی تا به عهد تو واز آیم) «٥». (عبدی أوف بعهدی حتى أوفی بعهدك).

هكذا يحظى هذا السفر الجليل بوجوده سبكه و جمال أسلوبه الأدبي، الذي دأب المؤلف عليه في عامة تعابيره في التفسير، و لا سيما

في النوبة الثالثة؛ حيث ظرافة الذوق العرفاني اللطيف، و طراوة الأدب الفارسي الرفيع، تجدهما قد (١) العنكبوت / ٦٩.

(٢) النساء / ١١٠.

(٣) إبراهيم / ٧.

(٤) البقرة / ٤٠.

(٥) كشف الأسرار، ج ١، ص ١٧٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٥٧

امتزجا معا، فأصبح آية في الجمال و البهاء. و يبدو براعة المؤلف و سعة تضلعه الأدبي الفائق، إذا ما وجدنا تلك الطلاوة الرائعة قد

أفرغت في قالب الأدب الفارسي الجزل السلس السهل التعبير.

و إليك نموذجا من النوبة الثالثة العرفانية:

هو عند تفسير قوله تعالى: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم و أوفوا بعهدكم و إياي فازهبن «١» يقول:

«پير طريقت گفت: الهی! کار آن دارد که با تو کاری دارد، یار آن دارد که چون تو یاری دارد، او که در دو جهان تو را دارد هرگز

کی تو را بگذارد! عجب آن است که او که تو را دارد از همه زارتر می گدازد. او که نیافت به سبب نیافت می زارد، او که یافت

باری چرا می گدازد.

در بر آن را که چون تو یاری باشد گر ناله کند سیاه کاری باشد» (۲) و  
وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ هَمَانِ اسْتِ كَهْ كَفْتِ: وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ.

رهبت و تقوی، دو مقام است از مقامات ترسندگان، و در جمله ترسندگان راه دین بر شش قسم اند:  
تایباند و عابدان و زاهدان و عالمان و عارفان و صدیقان.

تایبان را خوف است، چنان که گفت: يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. (البقرة/ ۴۰).

(۲) قال شيخ الطريقة: إلهي، لا شغل إلا لمن كان شغله معك. و لا ناصر إلا من كان ناصره مثلك.

و من كان له مثلك في الدارين فلن يدعك. و العجب أن من كان له مثلك كان أكثرهم أنينا و و يئن من لم يجدك بسبب عدم  
الكشف، أما الذي وجدك فلم يئن و يندب!؟

من كان معينه مثلك و شكافقد ظلم و جفا

(كشف الأسرار، ج ۱، ص ۱۷۵)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۵۸

و عابدان را وجل: الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ.

و زاهدان را رهبت: يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَ رَهَبًا.

و عالمان را خشیت: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.

و عارفان را اشفاق: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ رَبَّهُمْ مُشْفِقُونَ.

و صدیقان را هیبت: وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ «۱».

أما خوف، ترس ثابتان و مبتدیان است، حصار ایمان و تریاق و سلاح مؤمن، هر که را این ترس نیست او را ایمان نیست، که ایمنی را  
روی نیست، و هر که را هست به قدر آن ترس ایمان است.

و وجل، ترس زنده دلان است که ایشان را از غفلت رهایی دهد، و راه اخلاص بر ایشان گشاده گرداند، و أمل کوتاه کند، و  
چنانکه و جل از خوف مه (۱) الَّذِي قَالَ: وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (البقرة/ ۴۰) هو الذي قال وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (البقرة/ ۴۱).

الرهبة و التقوى، منزلتان من منازل الخائفين. و الخائفون في طريق الدين على ست طوائف:

التائبون. العابدون. الزاهدون. العالمون. العارفون. الصديقون.

أما التائبون فعلى خوف، كما قال تعالى: يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (النور/ ۳۷).

و العابدون على وجل: الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (الحج/ ۳۵).

و الزاهدون على رهبة: يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَ رَهَبًا (الأنبياء/ ۹۰).

و العالمون على خشية: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (فاطر/ ۲۸).

و العارفون على اشفاق: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ رَبَّهُمْ مُشْفِقُونَ (المؤمنون/ ۵۷).

و الصديقون على حذر: وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ (آل عمران/ ۲۸).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۵۹

است، رهبت از و جل مه «۱»، این رهبت عیش مرد ببرد، و او را از خلق ببرد، و در جهان از جهان جدا کند. این چنین ترسنده همه  
نفس خود غرامت بیند، همه سخن خود شکایت بیند، همه کرد خود جنایت بیند. گهی چون غرق شدگان فریاد خواهد، گهی چون  
نوحه گران دست بر سر زند، گهی چون بیماران آه کند.

و از این رهبت اشفاق پدید آید که ترس عارفان است، ترسی که نه پیش دعا حجاب گذارد، نه پیش فراست بند، نه پیش امید

دیوار. ترسی گدازنده کشنده، که تا ندای أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا «۲» نشنود نیارآمد. این ترسنده را گهی سوزند و گاه نوازند، گهی خوانند و گاه کشند، نه از سوختن آه کند و نه از کشتن بنالد.

کم تقتلونا و کم نحبکم یا عجا کم نحب من قتلا «۳»

(۱) «مه» - بکسر المیم - بمعنی الکبیر و یقابله «که» بمعنی الصغیر.

(۲) فصلت / ۳۰.

(۳) أَمَّا الْخَوْفُ الَّذِي يُمَثِّلُ خَوْفَ التَّائِبِينَ وَ الْمُبْتَدئين، فهو طوق الإيمان، و بلم المؤمن و سلاحه. و من لا خوف له لا إيمان له؛ إذ لا مَأْمَنُ هُنَاكَ. و من كان له خوف فإيمانه بمقدار خوفه. و أَمَّا الْوَجَلُ، فهو خوف أولى البصائر، ينقذهم من الغفلة، و يفتح لهم باب الإخلاص، و يقصر الأمل؛ و الرهبة أكبر من الوجل كما أن الوجل أكبر من الخوف. إنَّ الرهبة تذهب بعيش المرء و تجعله وحيدا، تفصله عن الدنيا و هو في الدنيا. هذا الخائف يجد نفسه كلها غرما، و كلامه برمته شكوى، و عمله جميعه جرما. فهو تارة كالغريق يستصرخ، و أخرى كالنابض يضرب على رأسه. و ثالثه كالليل يتأوه.

و الإشفاق وليد هذه الرهبة، التي هي خوف العارفين، ذلك الخوف لا يضع حجابا يحول دون الدعاء، و لا قيادا يحول دون فراسة النفس، و لا حاجزا يحول دون الرجاء. إنَّه خوف ممض قاتل، و لو لا قوله تعالى: أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا لَمَّا قَرَّ له قرار.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۰

از پس اشفاق هیبت است - بيم صدیقان - بیمی که از عیان خیزد، و دیگر بیمها از خبر چیزی در دل تابد چون برق، نه کالبد آن را تابد، نه جان طاقت آن دارد که با وی بماند، و بیشتر این در وقت وجد و سماع افتد، چنانکه (کلیم) را افتاد به (طور) و خَرَّ مُوسَى صَعِقًا «۱» و تا نگویی که این هیبت از تهدید افتد که این از اطلاع جبار افتد.

یک ذره اگر کشف شود عین عیان نه دل برهد نه جان نه کفر و ایمان «۲»

هذا هو المشار إليه

بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «حجابه النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره» «۳».

و نموذج آخر أروع، عند قوله تعالى: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ «۴» يقول: و قد يحرق هذا الخائف حيناً، و قد يشفق عليه حيناً آخر و قد يقتل و قد يدعى فلا من الحرق يتأوه و لا من القتل يتوجع:

کم تقتلونا و کم نحبکم یا عجا کم نحب من قتلا

(۱) الأعراف / ۱۴۳.

(۲) تأتي الهيبه بعد الإشفاق - و هي خوف الصديقين - ذلك الخوف المنبعث عن معانيه، و غيره منبعث عن خبر يتألق في القلب، لا الجسم يتحمل ذلك الخوف و لا الروح تطيقه كي تبقى معه. و الأكثر أنه يتفق حين الوجد و السماع، كما اتفق للكلیم عليه السلام في جبل طور و خَرَّ مُوسَى صَعِقًا. فلا تقل: إنَّها هيبه عن تهديد، و إنما هي عن معرفه الجبار جلَّ عِزُّهُ.

لو كشفت ذره عن عين عيان لا القلب ينجو، لا الروح، لا الكفر و لا الإيمان

(۳) كشف الأسرار، ج ۱، ص ۱۷۷ - ۱۷۸.

(۴) البقرة / ۱۱۲.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۱

«کار کار مخلصان است، و دولت دولت صادقان، و سیرت سیرت پاکان، و نقد آن نقد که در دستارچه ایشان. امروز بر بساط خدمت با نور معرفت، فردا بر بساط صحبت با سرور وصلت. إِنَّا أَخْلَصْنَا هُمْ بِخَالِصَةٍ «۱» می گوید: پاکشان گردانیم و از کوره امتحان خالص بیرون آریم، تا حضرت را بشایند، که حضرت پاک جز پاکان را بخود راه ندهد، «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ» به حضرت

پاک جز عمل پاک، و گفت پاک بکار نیاید، آنکه از آن عمل پاک، چنان پاک باید شد، که نه در دنیا بازجویی آن را و نه در عقبی، تا به خداوند پاک رسی. وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ «۲».

سرّ این سخن آن است که «بو بکر زقاق» «۳» گفت: «نقصان کلّ مخلص فی إخلاصه رؤیة إخلاصه، فإذا أراد الله أن یخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤیته (۱) ص / ۴۶».

(۲) ص / ۲۵. العمل عمل المخلصین، و الدولة دولة الصادقین، و السیرة سیرة المطهرین. و النقد هو ما کان فی أیدیهم. و هم الیوم علی أریکة الخدمة یعلمهم نور المعرفة، و غدا علی أریکة الصحبة منعمین بسرور الوصل «إنا أخلصناهم بخالصه» آی: طهرناهم و أخرجنا لهم من یوتقه الاختبار الخالص؟ کی يتأهلوا للمثول أمام الله تعالی «إنّ الله طیب لا یقبل إلاّ الطیب»؛ إذ لا یلیق بساحة الطهارة إلاّ من کان طاهرا فی قوله و عمله. و یظهر بذلك العمل الطاهر الطیب فلا تجده فی هذه الدنيا و لا فی دار العقبی، حتی یصل إلى ساحة قدس طهارته جلّ جلاله وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ.

(۳) هو من الطبقة الثالثة، و اسمه أحمد بن نصر، هو من مشایخ الصوفیة بمصر، و کان فی طبقة الجنید البغدادی و من أصحابه، و یلقب بالکبیر. أما الزّقاق الصغیر فهو بغدادی تلمیذ الزّقاق الکبیر. راجع: نفحات الأنس للمولی عبد الرحمن بن أحمد الجامی، ص ۱۷۶-۱۷۷. و لما توفی الزّقاق الکبیر قال الکتانی بشأنه: «انقطعت حجة الفقراء فی ذهابهم إلى مصر».

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۲

لإخلاصه فیکون مخلصا لا مخلصا».

می گوید: اخلاص تو آنکه خالص باشد که از دیدن تو پاک باشد، و بدانی که آن اخلاص نه در دست تو است و نه بقوت و داشت تو است، بلکه سرّی است ربّانی و نهادی است سبحانی، کس را بر آن اطلاع نه، و گیری را بر آن راه نه.

احدیّت می گوید: «سرّ من سرّی استودعته قلب من أحببت من عبادی» گفت: بنده را برگزینم و به دوستی خود بیسندم، آنکه در سویداء دلش آن ودیعت خود بنهم، نه شیطان بدان راه برد تا تباہ کند، نه هوای نفس آن را بیند تا بگرداند، نه فرشته بدان رسد تا بنویسد.

جنید «۱» از اینجا گفت: «الإخلاص سرّ بین الله و بین العبد، لا یعلمه ملک فیکتبه، و لا شیطان فیفسده، و لا هوی فیمیله».

ذو النون مصری «۲» گفت: «کسی که این ودیعت به نزدیک وی نهادند نشان وی آن است که مدح کسان و ذمّ ایشان، پیش وی به یک نرخ باشد، آفرین و نفرین ایشان یک رنگ بیند، نه از آن شاد شود، نه از این فراهم آید. چنان که مصطفی صلی الله علیه و آله و سلّم شب قرب و کرامت، همه آفرینش منشور سلطنت او می خواندند، و او به گوشه چشم به هیچ نگرست و می گفت: شما که مقربان حضرتید می گوید: «السلام علی النبی الصالح الذی هو خیر من فی السماء و الأرض» و ما منتظریم تا ما را به آستانه جفاء بو جهل باز فرستند تا گوید: ای (۱) هو أبو القسم سعید بن محمد بن الجنید القواریری البغدادی، ملقب بسطان الطائفة الصوفیة، کان شیخ وقته و فرید عصره فی الزهد و التصوّف، مات ببغداد سنة (۲۹۷ هـ).

(۲) اسمه ثوبان بن إبراهيم. کان أبوه نوبیا من موالی قریش. هو من الطبقة الأولى من مشایخ الصوفیة بمصر، توفی سنة (۲۴۵ هـ).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۳

ساحر، ای کذاب، تا چنانکه در «خیر من فی السماء و الأرض» خود را بر سنگ نقد زدیم، درّ ساحر و کذاب نیز بر زینم، اگر هر دو ما را به یک نرخ نباشد، پس این کلاه دعوی از سر فرونهم.

رو که در بند صفاتی عاشق خویشی هنوز گر بر تو عزّ منبر خوش تر است از ذلّ دار

این چنین کس را مخلص خوانند نه مخلص، چنانکه بو بکر زقاق گفت:

«فیکون مخلصا لا-مخلصا» مخلص در دریای خطر در غرقاب است، نهنگان جانربای در چپ و راست وی در آمده، دریا می برد و

می ترسد، تا خود به ساحل امن چون رسد و کی رسد. از اینجاست که بزرگان سلف گفتند: «و المخلصون فی خطر عظیم» و مخلص آن است که به ساحل امن رسید. «۱» «۱» «علاقه من أودعته هذه الودیعة (السّرّ الإلهی) أن یتساوی عنده مدح الآخرین و ذمهم. و یری الدعاء له و علیه سیین لا یسرّه ذلك و لا یحزنه هذا». كما كان النبی المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم لیلۃ القرب و الكرامة، إذ تغنی عالم الخلیقه كلّه بميثاق مكنته، و هو صلی الله علیه و آله و سلم ینظر بطرف خفی، و یقول: أنتم أیها المقربون، تقولون: «السلام علی النبی الصّالح الذی هو خیر من فی السماء و الأرض». و أنا انتظر الإشخاص إلى بؤابة جفاء أبی جهل، کی یقول لی: أیها السّاحر، أیها الكذاب. حتی إذا اخترنا درّ «خیر من فی السماء و الأرض» بمسبار النقد، توجنا بدرّة «السّاحر الكذاب». فإذا لم یتكافأ عندنا الأمران معا، رفعنا قبعه الدعوی هذه من رء و سنا. اذهب فإنك فی قید النعوت ما قبث لعشق نفسك. و إن كان عزّ المنبر أحلی لك من ذلّ الأعواد و من كان كذلك فهو «مخلص» لا «مخلص»، كما قال أبو بكر الزقاق «فیكون مخلصا لا مخلصا».

و المخلص غریق فی بحر الأخطار، و قد حاقت به الحیتان المرعبه من كل جانب، و هو یشقّ عباب البحر خائفا حتی یصل إلى ساحل الأمن، و کیف یصل؟ و متى یصل؟ من هنا التفسیر و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۴ ربّ العالمین، موسی را به هر دو حالت نشان کرد، گفت: إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا «۱» هم مخلصا- به كسر لام- و هم مخلصا- به فتح لام- خوانده اند «۲».

اگر به كسر خوانی بدایت كار اوست، و اگر به فتح خوانی نهایت كار اوست.

مخلص آنگاه بود که كار نبوت وی در پیوست، و نواخت احدیت به وی روی نهاد، و مخلص آنگاه شد که كار نبوت بالا گرفت. و به حضرت عزت بستاخ «۳» شد. این خود حال کسی است که از اول او را روش بود و زان پس به کشش حق رسد، و شتان بین و بین نبینا محمد صلی الله علیه و آله و سلم چند که فرق است میان موسی و میان مصطفی علیهما السلام که پیش از دور گل آدم به کمند کشش حق معتصم گشت، چنانکه گفت: «كنت نبیا و آدم مجبول فی طینته».

شبلی «۴» از اینجا گفت: در قیامت هر کسی را خصمی خواهد بود، و خصم قال أكابر السلف: «و المخلصون فی خطر عظیم». أما «المخلص» فهو الواصل إلى مرفا الأمن.

(۱) مریم / ۵۱.

(۲) قرأ أهل الكوفة بفتح اللام، و الباقون بالكسر. و الأولى هی المشهوره المعهودة لدى المسلمین، و الاستدلال فی المتن بکلتا القراءتین، مبنی علی حجیة القراءات أجمع، حتی مع التعارض، قیاسا علی مختلف الروایات. لکننا لا نقول بذلك حتی فی متعارض الروایات فضلا عن القراءات، و أنّ الحجة واحدة، و هی قراءة حفص و من تبعه من الكوفیین. راجع: التمهید، ج ۲، ص ۱۶۱-۱۶۶، مباحث القراءات.

(۳) «بستاخ» علی وزان بستان، بمعنی الجریء أی العارف المقدام. و هو بالفارسیه بمعنی «گستاخ».

(۴) هو أبو بكر دلف بن جحدر الخراسانی البغدادی. تولد فی سامراء و نشأ فی بغداد. صاحب

التفسیر و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۵

آدم منم که بر راه من عقبه کرد تا در گلزار وی بماندم.

شیخ الاسلام انصاری رحمه الله از اینجا گفت: دانی که محقق کی به حق رسد؟

چون سیل ربوبیت در رسد، و گرد بشریت برخیزد حقیقت بیفزاید، بهانه بکاهد، نه کالبد ماند نه دل، نه جان ماند صافی رسته از

آب و گل، نه نور در خاک آمیخته نه خاک در نور.

خاک با خاک شود، نور با نور. زبان در سر ذکر شود و ذکر در سر مذکور. دل در سر مهر شود و مهر در سر نور. جان در سر عیان شود و عیان از بیان دور. اگر تو را این روز آرزو است از خود برون آی، چنانکه مار از پوست، به ترک خود بگویی که نسبت با خود نه نیکو است، همان است که آن جوانمرد گفت:

نیست عشق لایزالی را در آن دل هیچ کار کو هنوز اندر صفات خویش ماندست استوار

هیچ کس را نامده است از دوستان در راه عشق بی زوال ملک صورت ملک معنی در کنار «۱»

جنید و الحلّاج و خیر النساج. کان من کبار مشایخ الصوفیة، توفی بیغداد سنه (۳۳۴ هـ) و دفن بمقبره الخیزران.

(۱) إِنَّهُ تَعَالَى قَدْ وَسَمَ نَبِيَّهٖ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلِمَاتِ السَّمْتَيْنِ: «إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا». قرئت الآية بكسر اللام و بفتحها. إن قرأتها بالكسر، فهو مستهمل أمره. و إن قرأتها بالفتح فهو ختام أمره. لقد كان مخلصا حين حظى بمقام النبوة و شملته العناية الربانية كان مخلصا حين بلغت نبوته ذروتها و تشرف و بساحة العزة مقداما. و هذه هي حالة من انتهج منهج الحق لينال مرتبة الوصل بالحق في نهاية المطاف و شتان ما بين موسى و نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه و آله و سلم الذي نال مرتبة الوصل و اعتصم بحبل الحق قبل أن يخلق آدم عليه السلام

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۶

### اللغات الغريبة التي جاءت في هذا التفسير

و من امتيازات هذا التفسير الجليل، استعماله اللغات الفارسية العتيده، و لكنها جاءت غريبة في هذا العهد، مما ينبؤك عن أدب رفيع و إحاطة واسعة كان يحظى بها المؤلف الكبير. و إليك نماذج منها:

جاء بشأن نبي الله موسى عليه السلام ذيل قوله تعالى: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ «۱» أنه كان مخلصا و مخلصا، قال: كما

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «كنت نبيا و آدم مجبول في طينته». من هنا قال «الشبلي»: لكل امرئ في القيامة خصيم، و خصيمي فيها آدم عليه السلام إذ عرقل طريقي، لأضلّ راسبا في وحله.

قال شيخ الإسلام الأنصاري رحمه الله: أو تدرى متى يبلغ المحقق الحق؟ ذاك حينما ينحدر سيل الربوبية، و يرتفع غبار البشرية، و تزداد الحقيقة، و تقلّ الأعذار، فلا الجسم يبقى و لا القلب، و لا الروح الصافية الخالصة من الماء و الطين، و لا النور الممتزج بالتراب، و لا التراب الممتزج بالنور.

فالتراب يصير مع التراب، و النور مع النور، و اللسان يصبح ذكرا في الرأس، و الذكر مذكورا في الرأس. القلب ينطبع في الرأس، و الانطباع ينقلب في الرأس نورا. الروح تتجلى في الرأس، و التجلى بعيد عن البيان.

فلو كنت ترجو ذلك اليوم فانخلع من نفسك، كما تنخلع الحيّة من جلدها، و دع ذاتك إذ الانتساب إليها مشين، كما قال الشاعر الشّهم:

لا عشق لله في قلب ما انفكّ حبيس صفاته.

لم يتيسر الحظّ من ملك المعاني لأحد من العشاق بدون زوال ملك الصّور.

(كشف الاسرار، ج ۱، ص ۳۲۷-۳۲۹).

(۱) البقرة/ ۱۱۲.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۲، ص: ۵۶۷

مخلص آنگاه بود که کار نبوت وی در پیوست، و نواخت احدیت به وی روی نهاد، و مخلص آنگاه شد که کار نبوت بالا گرفت، و



به حضرت عزت بستاخ شد. (١)

استعمل ثلاث كلمات هي من صنعة الأديب العتيد:

١- «در پیوست» أي استقام أمر نبوته.

٢- «نواخت احدیت» أي نداء الربوبية.

٣- «بستاخ شد» أي كملت معرفته.

وقد فسّر «بستاخ» به معنى «گستاخ» أي الجرىء، في حين أنّ هذا المعنى لا يناسب المقام؛ لأن فيه شائبة الوقاحة، غير اللائقة بمقام النبوة. وإنما المراد هو نفس كمال المعرفة (آشنايي كامل). المعرفة بالأوضاع والأحوال.

وفي تفسير سورة الفاتحة: بنده من مرا به بزرگواری و پاکی بستود، بنده من پشت واد و کار واد من گذاشت، دانست که به سر برنده کار وی مائیم. (٢)

«پشت واد من داد» «وا» به معنى «با» (مع). أي اعتمد ظهره علىّ، و فعل معتمدا علىّ.

«به سر برنده»: پایان رساننده کار وی مائیم. بمعنى: «البالغ أمره».

وفي ص ٥: استعمل «شکافته» بمعنى «المشتق».

و ص ١١: «پیوسیدن» به معنى «امید داشتن»: «به هرچه پیوسند رسند».

بمعنى «الرجاء» (١) إنّما المخلص من استقام أمر نبوته، و بلغه نداء الربوبية، و المخلص من ارتقت درجة نبوته و كملت معرفته.

(٢) عبدی مجدنی و نزه مقامی. عبدی اعتمد علىّ و وكل أمره إلىّ، و علم أنّی بالغ به أمره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٦٨

و ص ١٧: «فرا» به معنى «به»: «در خبر است که مصطفی فرا ابن عباس گفت». بمعنى «قال له».

و ص ٩٦: «گاز» به معنى «البناء». قال فى ترجمه و السّمَاءِ بِنَاءً (١):

«و آسمان گازی برداشته». و قال فى ترجمه رَفَعَ سَمَكَهَا (٢) - ص ١٠١: «گاز آن بالا داد».

و ص ١٢٣: «و از او شید» فى ترجمه إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

و ص ٢٢٠: «کیان»: بوزینگان: قردة، فى ترجمه كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٣).

و ص ٢٩٦: «گوشوانان»: نگهبانان: حرسه.

و فى ص ٥٧٥: «خنور»: الوعاء.

و اللغات من هذا القبيل كثيرة فى هذا التفسير.

و الأبداع: أنه ركب كلمات تركيبات أدبية، مما جعلها تفيد معانى جديدة ابتدعها مفسرنا العظيم.

من ذلك ما جاء فى (ج ١، ص ١١): «پس آورد»: عاقبة الأمر.

و فى ص ٢٦: «باز بریدن»: الاعتزال.

و فى ص ٩٦: «أرپس» فى ترجمه «فإن».

و فى ص ١٠٦: «همسانی» همانندی: مثل. (١) البقرة / ٢٢.

(٢) التّازعات / ٢٨.

(٣) البقرة / ٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٦٩

و فى ص ٣٢١: «بر آمد نگاه آفتاب»: المشرق. «فروشد نگاه آفتاب»:

المغرب.

و في ص ٣٥٥: «فرانياوم» في ترجمة: ثُمَّ أَضْطَرُّهُ «١».

و في ص ٥٨٩: «بازكاود»: فريضة كزارد: صَلَّى الصلاة الفريضة.

## ٥- تفسير الخوaja عبد الله الأنصاري

قد اسبقنا أن تفسير الميبدى «كشف الأسرار و عدّة الأبرار» وضع على أساس تفسير الخوaja عبد الله الأنصاري الذي كان مختصرا ففصله و زاد عليه.

ثم جاء الاستاذ حبيب الله (آموزگار) ليلخص بدوره هذا التفسير الكبير و يستخلص فيما حسب التفسير الأصل الذي صنعه الخوaja، و ذلك في سنة (١٣٨٥ هـ ق ١٣٤٤ هـ ش) و تم له ذلك خلال ثلاث سنوات، و أسماه «تفسير أدبي و عرفاني خواجه عبد الله أنصاري» و طبع في جزئين، في مجلد واحد ضخيم، الطبعة الأولى سنة (١٣٤٧ هـ ش)، و الطبعة الثانية سنة (١٣٥٣) في طهران.

## ٦- تفسير ابن عربي

### إشارة

هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي - بدون أداة التعريف - فرقا بينه و بين القاضي أبي بكر ابن العربي صاحب كتاب أحكام القرآن. و هذا الفرق من اصطلاح المشاركة، أما أهل المغرب فيأتون باللام في كلا الموردين.

ولد بمرسیة سنة (٥٦٠ هـ) ثم انتقل إلى إشبيلية سنة (٥٦٨ هـ) و بقي بها نحو (١) البقرة / ١٢٦.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٠

من (٣٠) سنة تلقى فيها العلم على كثير من الشيوخ حتى بزغ نجمه و علا ذكره.

و في سنة (٥٩٨ هـ) نرح إلى المشرق و طوف في كثير من البلاد، فدخل الشام و مصر و الموصل و آسيا الصغرى و مكة، و أخيرا ألقى عصاه و استقر به النوى في دمشق، توفي بها سنة (٦٣٨ هـ).

كان ابن عربي شيخ المتصوفة في وقته، و كان له أتباع و مریدون معجبين به إلى حد كبير، حتى لقبوه بالشيخ الأكبر و العارف بالله، كما كان له أعداء ينقمون عليه و يرفضون طريقته و يرمونه بالكفر و الزندقة، لما كان يصدر عنه من المقالات الموهمة، التي تحمل في ظاهرها معاني الكفر و الإلحاد.

و كان إلى جنب تصوفه بارعا في كثير من العلوم، فكان عارفا بالآثار و السنن، و كان شاعرا أدبيا؛ و لذلك كان يكتب الإنشاء لبعض ملوك الغرب.

و تلك مؤلفاته الكثيرة تدل على سعة باعه و وفرة اطلاعه و تبخره في العلوم الظاهرة و الباطنة، و كانت له حدة في النظر و دقة في الاستنباط، و لكن في الأكثر على مشربه الصوفي الباطني، و من ثم كانت له شطحات ملاً كتبه و مصنفاته.

### هل لابن عربي من تفسير؟

كانت له في التفسير و الحديث نظرات، و له فيها مقالات ضمن كتبه و لا سيما «الفتوحات المكية» و «الفصوص» و غيرها من أمهات كتبه. و لكن هل كان قد ألف كتابا في التفسير يخصه؟

يبدو من مواضع من كتبه و لا سيما «الفتوحات»، أن له تأليفا في التفسير، ففي الجزء الأول من الفتوحات (ص ٥٩) عند الكلام على

حروف المعجم فى أوائل سور القرآن، يقول: «ذكرناه فى كتاب الجمع و التفصيل فى معرفة معانى التنزيل».

و فى (ص ٦٣) يقول: «و قد أشبعنا القول فى هذا الفصل عند ما تكلمنا على

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧١

قوله تعالى: فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ «١» فى كتاب الجمع و التفصيل».

و فى (ص ٧٧) عند كلامه على حروف المعجم، يقول: «من أراد التشقى منها فليطالع تفسير القرآن الذى سميناه الجمع و التفصيل». و يقول عن كتاب آخر فى التفسير أسماء «إيجاز البيان فى الترجمة عن القرآن» فى الجزء الثالث من الفتوحات (ص ٦٤) عند الكلام عن «علم الإصرار»:

«قد بيناه فى كتاب «إيجاز البيان فى الترجمة عن القرآن» فى قوله تعالى فى آل عمران: وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا «٢» فانظره هناك».

و هذا التفسير قد وجد منه جزء يسير من أوله إلى الآية ٢٥٣ من سورة البقرة، و عليه فى الخاتمة توشيح المؤلف هكذا: «انتهى الجزء الثامن من «إيجاز البيان فى الترجمة عن القرآن» و يتلوه فى التاسع قوله تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ «٣». و هذا الأصل بخط يدى من غير مسودة، و كتب محمد بن على بن محمد بن أحمد بن العربى الحاتمى الطائى، المترجم يوم الجمعة الثانى و العشرين من ذى القعدة، سنة إحدى و عشرين و ستمائة، و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد خاتم النبیین، و على آله أجمعين آمين» «٤».

و قد طبع على هامش «رحمة من الرحمن» من كلام ابن العربى (الجزء الأول من ص ٧ إلى ص ٣٧٨). (١) طه / ١٢.

(٢) آل عمران / ١٣٥.

(٣) البقرة / ٢٥٣.

(٤) راجع: رحمة من الرحمن فى تفسير و إشارات القرآن، تأليف محمود محمود الغراب، ج ١، ص ٣٧٨.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٢

و له أيضا إشارة، إلى تفسيرين، أحدهما بعنوان «التفسير الكبير» حيث يقول فى الجزء الرابع من الفتوحات (ص ١٩٤):

«اعلم أن كل ذكر ينتج خلاف المفهوم الأول منه، فإنه يدل ما ينتجه على حال الذاكر، كما شرطناه فى «التفسير الكبير» لنا».

و الثانى بعنوان «التفسير» أو «تفسير القرآن» كما جاء فى الجزء الأول من الفتوحات (ص ٨٦) و (ص ١١٤) و الجزء الثالث (ص ٦٤).

و هل هما نفس التفسيرين الآنف ذكرهما، أم غيرهما، غير واضح.

غير أن الذى يستفاد من مجموع كلماته، أن له فى التفسير تأليفا باستقلاله، و قد ضاع مع الأسف سوى النزر اليسير حسبما ذكرنا.

### تفاسير منسوبة إلى ابن عربى

نعم هناك تفاسير تحمل اسم ابن عربى:

١- إيجاز البيان فى الترجمة عن القرآن، و هو فى كمال الإيجاز و الاختصار، و قد طبع جزء يسير منه على هامش «رحمة من الرحمن» على ما أسلفنا.

٢- رحمة من الرحمن فى تفسير و إشارات القرآن، من كلام الشيخ الأ-كبر محيى الدين بن عربى. جمع و تأليف محمود محمود الغراب، من علماء دمشق المعاصرين.

و هو تفسير غير شامل، التقطه المؤلف من كلام ابن عربى ضمن تأليفاته، و لا سيما «الفتوحات» حيثما تكلم عن تفسير آية أو إشارة إلى معنى من معانى القرآن، و من ثم لم يستوعب جميع آى القرآن.

و قد قام المؤلف بهذا الجمع خلال خمسة و عشرين عاما، قال: و لمحاولة الوقوف على فهم الشيخ الأكبر للقرآن الكريم، قمت بالعمل

أكثر من خمس و

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٣

عشرين سنة، في جمع و تصنيف و ترتيب ما كتبه الشيخ الأكبر، في كتبه التي بين أيدينا، مما يصلح أن يكون تفسيراً لبعض آيات القرآن، سواء من الناحية الظاهرة على نسق التفاسير الأخرى من الأحكام الشرعية و المعاني العربية، أو ما يصلح أن يكون تفسيراً صوفياً لبعض آيات القرآن، و هو ما يسمّى بالاعتبار و الإشارة في التوحيد و السلوك، و سمّيته «رحمة من الرحمن في تفسير و إشارات القرآن» تمثيلاً مع عقيدة الشيخ الأكبر في شمول الرحمة و عدم سرمدة العذاب «١».

و طبع هذا الأثر في أربع مجلدات، في دمشق سنة (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م).

٣- تفسير القرآن الكريم في مجلدين اشتهرت نسبته إلى ابن عربي، و قد راج ذلك منذ زمن سحيق، و هو موضوع على مذاق الصوفية في التفسير الباطني المحض. و فيه بعض الشطحات مما أثار الريب في نسبته إلى الشيخ، و زعموا أنه من صنع الشيخ كمال الدين أبي الغنائم المولى عبد الرزاق الكاشي السمرقندي المتوفى سنة (٧٣٠ هـ).

قال الشيخ محمد عبده: من التفسير الإشاري ما ينسبونه للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، و إنما هو للقاشاني الباطني الشهير، و فيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله و كتابه العزيز «٢».

و أما الحاجي خليفة - صاحب كشف الظنون - فقد نسبته رأساً إلى القاشاني من غير ترديد، قال: كتاب «تأويلات القرآن» المعروف بتأويلات القاشاني، هو تفسير بالتأويل على اصطلاح أهل التصوف، للشيخ كمال الدين أبي الغنائم عبد (١) راجع: المقدمة، ص ٥.

(٢) تفسير المنار، ج ١، ص ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٤

الرزاق بن جمال الدين الكاشي السمرقندي، أوله: «الحمد لله الذي جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفائه» «١». و هذه العبارة هي المبدوء بها في التفسير المذكور.

و النسخة التي كانت عند حاجي خليفة، كانت إلى سورة ص. و توجد نسخ كاملة في سائر المكتبات، منها نسخة كاملة بالمكتبة السليمانية بتركيا تحت رقم (١٧ - ١٨) و تحمل خاتم عبد الرزاق الكاشاني «٢».

و يتأيد نسبة الكتاب إلى القاشاني بما جاء في تفسير سورة «القصص» عند الآية رقم ٣٢: وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ، قوله: «و قد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبد الصمد قدس سرّه في شهود الوحدة و مقام الفناء عن أبيه، أنه كان بعض الفقراء في خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي «٣».

و نور الدين هذا هو: نور الدين عبد الصمد بن علي النطنزي الأصفهاني، و المتوفى في أواخر القرن السابع، و كان شيخاً لعبد الرزاق القاشاني، المتوفى سنة (٧٣٠ هـ). و غير معقول أن يكون نور الدين هذا شيخاً لابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨ هـ) «٤».

#### التعريف بهذا التفسير

قد أتى المؤلف فيه بالتفسير الرمزي الإشاري على طريقة الصوفية العرفانية و غالبه يقوم على أساس وحدة الوجود، ذلك المذهب الذي كان له أثره السيئ في (١) كشف الظنون، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) مقدمة رحمة من الرحمن، ج ١، ص ٤.

(٣) التفسير المنسوب إلى ابن عربي، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٤) راجع: الذهبي، التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٣٦ - ٤٣٨، ط. بيروت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٥

تفسير كلام الله، و الذي دعا بالقائلين أنه من صنع ابن عربي؛ حيث مذهبه في وحدة الوجود مشهور.

و هو تفسير مغلق العبارة، لا يفهم معناها، كما لا يوجد لها من سياق الآية أو فحواها ما يدلّ عليها، و لو أنّ المؤلف كان واضحاً في كلامه، أو كان جمع بين التفسير الظاهر و التفسير الباطن كما فعله المبيدي لهان الأمر، و لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك، ممّا جعل الكتاب مغلقاً، كأكثر مواضع كتب ابن عربي و لا سيّما كتابه «الفتوحات» و من ثم كان دليلاً آخر على احتمال صحّة نسبته إليه. فهو في سورة آل عمران رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُرِيحًا نَكَ فَفِنَا عَذَابَ النَّارِ «١»، يقول: ربنا ما خلقت هذا الخلق باطلاً أى شيئاً غيرك، فإن غير الحق هو الباطل، بل جعلته أسماء ك و مظاهر صفاتك، سبحانه، ننزهك أن يوجد غيرك، أى يقارن شيء فردائيتك، أو يثنى وحدائيتك. فقنا عذاب نار الاحتجاب، بالأكوان عن أفعالك، و بالأفعال عن صفاتك، و بالصفات عن ذاتك، وقاية مطلقة تامة كافية «٢».

و في سورة الواقعة نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تُصَدِّقُونَ «٣» يقول: نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا و ظهورنا في صوركم «٤». و في سورة الحديد وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ «٥» يقول: و هو معكم أينما كنتم لوجودكم به، و ظهوره في مظاهركم «٦». (١) الآية / ١٩١.

(٢) تفسير ابن عربي، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٣) الآية / ٥٧.

(٤) تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٣.

(٥) الآية / ٤.

(٦) تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٦

و في سورة المجادلة ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ «١» يقول: لا بالعدد و المقارنة، بل بامتيازهم عنه بتعييناتهم، و احتجابهم عنه بما هيّاتهم و إنياتهم، و افتراقهم منه بالإمكان اللازم لما هيّاتهم و هوياتهم، و تحقّقهم بوجوده اللازم لذاته، و اتصاله بهم بهويّته المندرجة في هوياتهم، و ظهوره في مظاهرهم، و تسوّره بما هيّاتهم، و وجوداتهم المشخّصة، و إقامتها بعين وجوده، و إيجابهم بوجوده. فهذه الاعتبارات هو رابع معهم، و لو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم؛ و لهذا قيل: «لو لا الاعتبارات لارتفعت الحكمة»، و

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم نقطة كثرتها الجاهلون» «٢» و في سورة المزمل وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا. رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا «٣» يقول: و اذكر اسم ربك الذي هو أنت، أى اعرف نفسك، و اذكرها، و لا تنسها، فينساك الله، و اجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها.

ربّ المشرق و المغرب، أى الذى ظهر عليك نوره، فطلع من أفق وجودك بإيجادك، و المغرب الذى اختفى بوجودك، و غرب نوره فيك، و احتجب بك «٤».

تلك نماذج تكشف لك عن واقع هذا التفسير، و أنه يقوم على مذهب صاحبه فى القول بوحدة الوجود، الأمر الذى يلتزم و إمكان نسبته إلى ابن عربي القائل بذلك، فليس غريباً منه أن يقوم بتأليف تفسير يعتمد على مذهبه الخاص. (١) الآية / ٧.

(٢) تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٦١٢.

(٣) الآية / ٨ و ٩.

(٤) تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٧٢٠-٧٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٧

فلا موضع لما استغربه أمثال الشيخ محمد عبده، و أن النزعات أو الشطحات التى تشاهد فى هذا التفسير، ليست شيئاً غريباً عن روح ابن

عربي و مذهبه في وحدة الوجود.

و يقوم مذهب ابن عربي في التفسير- في سائر مؤلفاته- غالبا على نظرية «وحدة الوجود» التي يدين بها، و على الفيوضات و الوجدانيات التي تنهلّ عليه من سحائب الغيب الإلهي، و تنقذ في قلبه من ناحية الإشراق الرباني، فراه في كثير من الأحيان يتعسف في التأويل، ليجعل الآية تتمشى مع هذه النظرية، فهو يبدل فيما أراد الله من آياته و يفسرها على أن تتضمن مذهبه و تكون أسانيد له، الأمر الذي ليس من شأن المفسر المنصف المخلص لله عمله؛ إذ يجب على المفسر المخلص أن يبحث في القرآن بحثا مجردا عن الهوى و العقيدة، مما قلّ ما يوجد في أهل التصوّف و العرفان.

هذا و قد بالغ ابن عربي في دعواه الإشراقات الربانية المنهله على قلبه، و يدعى أنّ كل ما يجري على لسان أهل الحقيقة- و يعني بهم الصوفية بالذات- من المعاني الإشارية في القرآن هو في الحقيقة تفسير و شرح لمراد الله، و أن أهل الله- و يعني بهم الصوفية- أحق الناس بشرح كتابه؛ لأنهم يتلقون علومهم عن الله مباشرة، فهم يقولون في القرآن على بصيرة، أما أهل الظاهر فيقولون بالظن و التخمين، و فضلا عن ذلك إنه يرى أنّ تفاسير أهل الحقيقة لا يعترها شك، و أنّها صدق و حقّ على غرار القرآن الكريم، فإذا كان القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه؛ لأنه من عند الله، فكذلك أقوال أهل الحقيقة في التفسير، لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها؛ لأنها منزلة من عند الله يقرّر ابن عربي كل هذه المبادئ و يصرّح بها في فتوحاته.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٨

يقول: «و ما خلق الله أشقّ و لا أشدّ من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الإلهي، الذين منحهم أسرارهم في خلقه، و فهمهم معاني كتابه و إشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسول عليهم السلام، و لما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم- كما ذكرنا- عدل أصحابنا إلى الإشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الإفك و الإلحاد إلى الإشارة. فكلامهم رضى الله عنهم في شرح كتابه العزيز الذي لا- يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، إشارات، و إن كان ذلك حقيقة و تفسيراً لمعانيه النافعة، ورد ذلك كلّ إلى أنفسهم مع تقريرهم إياه في العموم و فيما نزل فيه. كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم، فعّم به سبحانه عندهم الوجهين، كما قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ «١»، يعني الآيات المنزلة في الآفاق و في أنفسهم، فكل آية منزلة لها وجهان: وجه يروونه في نفوسهم، و وجه آخر يروونه فيما خرج عنهم، فيسمون ما يروونه في نفوسهم إشارة، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك، و لا يقولون في ذلك إنه تفسير، وقاية لشّرهم و تشنيعهم في ذلك بالكفر عليه؛ و ذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق، و اقتدوا في ذلك بسنن الهدى، فإنّ الله كان قادرا على تنصيب ما تأوله أهل الله في كتابه، و مع ذلك فما فعل، بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامة، علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم «٢».

و تفاسيره بهذا النمط كثيرة و منبئة في كتبه لا سيّما في «الفتوحات». خذ (١) فصلت / ٥٣.

(٢) راجع: الفتوحات المكية، ج ١، ص ٢٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٧٩

لذلك مثلا ما ذكره بشأن قوله تعالى: ن، وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ «١» بما لا يرجع إلى محضّل.

قال في الباب الستين الذي وضعه لمعرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السفلي:

«اعلم أنّ الله تعالى لما تسمّى بالملك ربّ العالم ترتيب المملكة، فجعل له خواصا من عباده، و هم الملائكة المهيمنة جلساء الحق تعالى بالذكر لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون، يسبحون الليل و النهار لا يفترون. ثم اتخذ حاجبا من الكروبيين واحدا أعطاه علمه في خلقه، و هو علم مفضّل في إجمال، فعلمه سبحانه كان فيه مجلّي له، و سمّى ذلك الملك «نونا» فلا يزال معتكفا في حضرة علمه عزّ و جلّ و هو رأس الديوان الإلهي، و الحق من كونه عليما لا- يحتجب عنه. ثم عين من ملائكته ملكا آخر دونه في المرتبة

سماه «القلم» و جعل منزلته دون منزلة «النون» و اتخذها كتابا، فيعلمه الله سبحانه من علمه ما شاءه في خلقه بوساطة «النون»، و لكن من العلم الإجمالي، و مما يحوى عليه العلم الإجمالي علم التفصيل، و هو من بعض علوم الإجمال؛ لأن العلوم لها مراتب، من جملتها علم التفصيل. فما عند القلم الإلهي من مراتب العلوم المجملّة إلّا علم التفصيل مطلقا، و بعض العلوم المفصّلة لا غير، و اتخذ هذا الملك كاتب ديوانه و تجلّى له من اسمه القادر، فأمدّه من هذا التجلّي الإلهي، و جعل نظره إلى جهة عالم التدوين و التسطير، فخلق له لوحا و أمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه إلى يوم القيامة خاصّة، و أنزله منزلة التلميذ من الأستاذ، فتوجهت عليه هنا الإرادة الإلهية، فخصّصت له هذا القدر من العلوم المفصّلة، و له تجليات من الحق (١) القلم / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٠

بلا واسطة. و ليس للنون سوى تجلّ واحد في مقام أشرف، فإنه لا يدل تعدد التجليات و لا كثرتها على الأشرافية، و إنما الأشرف من له المقام الأعم. فأمر الله النون أن يمدّ القلم بثلاثمائة و ستين علما من علوم الإجمال، تحت كل علم تفاصيل، و لكن معيّنة منحصرة لم يعطه غيرها، يتضمن كل علم إجمالي من تلك العلوم ثلاثمائة و ستين علما من علوم التفصيل، فإذا ضربت ثلاثمائة و ستين في مثلها، فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالى في خلقه إلى يوم القيامة خاصّة، ليس عند اللوح من العلم الذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من هذا، لا يزيد و لا ينقص، و لهذه الحقيقة الإلهية جعل الله الفلك الأقصى ثلاثمائة و ستين درجة، و كل درجة مجملّة لما تحوى عليه من تفصيل الدقائق و الثواني و الثوالت إلى ما شاء الله سبحانه، مما يظهره في خلقه إلى يوم القيامة، و سمى هذا القلم الكاتب. ثم إن الله سبحانه و تعالى أمر أن يولّى على عالم الخلق اثنا عشر واليا، يكون مقرّهم في الفلك الأقصى منا في بروج، فقسم الفلك الأقصى اثني عشر قسما، جعل كل قسم برجا لسكنى هؤلاء الولاة، مثل أبراج سور المدينة، فأنزلهم الله إليها فنزلوا فيها، كل وال على تخت في برجه، و رفع الله الحجاب الذي بينهم و بين اللوح المحفوظ، فرأوا فيه مسطّرا أسماؤهم و مراتبهم و ما شاء الحق أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة، فارتقم ذلك كله في نفوسهم و علموه علما محفوظا لا يتبدّل و لا يتغيّر «١». و قال في الباب الثاني الذي وضعه لمعرفة مراتب الحروف - الفصل الأول:-

«ثم إنّه في نفس النون الرقمية (ن) التي هي شطر الفلك من العجائب ما لا يقدر على سماعها إلّا من شدّ عليه مئزر التسليم، و تحقق بروح الموت الذي (١) الفتوحات المكية، ج ١، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨١

لا يتصور ممن قام به اعتراض و لا تطلّع، و كذلك في نفس نقطة النون أوّل دلالة النون الروحانية المعقولة فوق شكل النون السفلية، التي هي النصف من الدائرة، و النقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعه، أول الشكل، التي هي مركز الألف المعقولة، التي بها يتميّز قطر الدائرة، و النقطة الأخيرة التي ينقطع بها شكل النون، و ينتهي بها هي رأس هذا الألف المعقولة المتوهمة، فتقدر قيامها من رقدتها فترتكز لك على النون، فيظهر من ذلك حرف اللام، و النون نصفها زاي مع وجود الألف المذكورة، فتكون النون بهذا الاعتبار تعطيك الأزلى الإنساني، كما أعطاك الألف و الزاي و اللام في الحق. غير أنه في الحق ظاهر؛ لأنه بذاته أزلى لا أول له، و لا مفتتح لوجوده في ذاته، بلا ريب و لا شك.

و لبعض المحققين كلام في الانسان الأزلى، فنسب الإنسان إلى الأزلى، فالإنسان خفي فيه الأزلى فجعل؛ لأن الأزلى ليس ظاهرا في ذاته، و إنما صحّ فيه الأزلى لوجه ما من وجوه وجوده، منها أن الموجود يطلق عليه الوجود في أربع مراتب: وجود في الذهن، و وجود في العين، و وجود في اللفظ، و وجود في الرقم. فمن جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه، في العلم القديم الأزلى المتعلّق به في حال ثبوته، فهو موجود أزلا أيضا، كأنه بعناية العلم المتعلق به، كالتحيز للعرض بسبب قيامه بالجواهر، فصار متحيزا بالتبعيّة، فلهذا خفي فيه الأزلى، و لحقائقه أيضا الأزلية المجردة عن الصورة المعيّنة المعقولة التي تقبل القدم و الحدود «١».

و قال في الباب (٣٥١) في معرفة اشتراك النفوس و الأرواح:

القلم و اللوح أول عالم التدوين و التسطير، و حقيقتهما ساريتان في جميع (١) الفتوحات المكية، ج ١، ص ٥٣-٥٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٢

الموجودات علوا و سفلا و معنى و حسا، و بهما حفظ الله العلم على العالم، و لهذا

ورد في الخبر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «قيدوا العلم بالكتابة»

. و من هنا كتب الله التوراة بيده، و من هذه الحضرة اتخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و جميع الرسل عليهم السلام كتاب

الوحي، و قال: كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ... «١»، و قال: مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا «٢»، و قال: وَكُلَّ

شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ «٣».

و قال: فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ «٤»، و قال: فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ «٥»، و قال: وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ... «٦» و

الكتب: الضَّم، و منه سَمَّيتِ الكَتِيبَةُ كَتِيبَةً، لانضمام الأجناد بعضهم إلى بعض. و بانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني و الأجسام،

فظهرت النتائج في الأعيان، فمن حفظ عليها هذا الضم الخاص أفادته علوما لم تكن عنده، و من لم يحفظ هذا الضم الخاص المفيد

علم لم يحصل على طائل، و كان كلامه غير مفيد «٧».

و قال في ديوانه أبياتا بشأن النون و القلم نذكر منها:

إذا جاء بالإجمال نون فإنه يفصله العلام بالقلم الأعلى

(١) الانفتار / ١١-١٢.

(٢) الكهف / ٤٩.

(٣) يس / ١٢.

(٤) الواقعة / ٧٨.

(٥) عبس / ١٣-١٥.

(٦) يس / ١٢.

(٧) الفتوحات المكية، ج ٣، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٣

فيلقيه في اللوح الحفيظ مفصلا حروفا و أشكالا و آياته تتلى

و ما فصل الإجمال منه بعلمه و ما كان إلّا كاتباً حينما يتلى

عليه الذي ألقاه فيه مسطر لتبلى به أكوانه و هو لا يبلى

هو العقل حقاً حين يعقل ذاته له الكشف و التحقيق بالمشهد الأعلى «١»

و أشنع تفسير رأيته في كلامه ما ذكره بشأن إخفائه تعالى أوليائه في صفة أعدائه، فكانوا أولياء في صورة أعداء، و عبادا مخلصين في

زى عتاه متمردين. يقول في تفسير قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ

عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ «٢»: إيجاز البيان فيه، يا محمد! إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتَرُوا مَحَبَّتَهُمْ فِي، دَعَاهُمْ

فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلت بك به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك، فإنهم لا يعقلون غيري، و أنت تنذرهم بخلقى

و هم ما عقلوه و لا شاهدوه، و كيف يؤمنون بك و قد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعاً لغيري، و على سمعهم، فلا يسمعون

كلاماً في العالم إلّا منى. و على أبصارهم غشاوة، من بهائي عند مشاهدتى فلا يبصرون سوى، و لهم عذاب عظيم عندى أردتهم بعد

هذا المشهد السننى إلى إنذارك، و أحجبهم عنى، كما فعلت بك بعد قاب قوسين (١) رحمة من الرحمن، للغراب، ج ٤، ص ٣٦٤

نقلا عن ديوان ابن عربى ص ١٦٤.



(٢) البقرة / ٦ - ٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٤

أو أدنى قربا، أنزلتك إلى من يكذبك و يرد ما جئت به إليه منى في وجهك، و تسمع فى ما يضيق له صدرك، فأين ذلك الشرح الذى شاهده فى إسرائيل فكذا أمنائى على خلقى الذين أحفيتهم رضائى عنهم، فلا أسخط عليهم أبدا «١».

و إليك من تفاسير ابن عربى معتمده على نظريه وحده الوجود، جاءت فى سائر كتبه:

قال فى تفسير قوله تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ «٢»: لأنه لا ينطق إلّا عن الله، بل لا ينطق إلّا بالله، بل لا ينطق إلّا الله منه، فإنه صورته «٣».

و فى تفسير قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي «٤»، يقول: و ادخلى جنتى التى هى ستري، و ليست جنتى سواك، فأنت تسترنى بذاتك الإنسانية، فلا- أعرف إلّا بك، كما أنك لا تكون إلّا بى، فمن عرفك عرفنى، و أنا لا- أعرف فأنت لا- تعرف، فإذا دخلت جنته دخلت نفسك فتعرف نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التى عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياها، فتكون صاحب معرفتين، معرفة به من حيث أنت، و معرفة به بك من حيث هو لا من حيث أنت، فأنت عبد و أنت رب لمن له فيه أنت عبد، و أنت رب و أنت عبد لمن له فى الخطاب عهد «٥». (١) الفتوحات، ج ١، ص ١١٥.

(٢) النساء / ٨٠.

(٣) الفتوحات، ج ٤، ص ١٢٢.

(٤) الفجر / ٢٧ - ٣٠.

(٥) فصوص الحكم، ص ٩١ - ٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٥

و فى تفسير قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا «١» يقول: إن النفس لا تزكو إلّا برّبها، فيه تشرف و تعظم فى ذاتها؛ لأن الزكاة ربو، فمن كان الحق سمعه و بصره و جميع قواه، و الصورة فى الشاهد صورة خلق، فقد زكت نفس من هذا نعته و ربت و أنبت من كل زوج بهيج، كالأسماء الإلهية لله، و الخلق كله بهذا النعت فى نفس الأمر، و لو لا- أنه هكذا فى نفس الأمر ما صح لصورة الخلق ظهور و لا- وجود؛ و لذلك خاب من دسّاهها؛ لأنه جهل ذلك فتخيل أنه دسّاهها فى هذا النعت، و ما علم أن هذا النعت لنفسه نعت ذاتى لا ينفك عنه يستحيل زواله، لذلك وصفه بالخبيث؛ حيث لم يعلم هذا؛ و لذلك قال: قد أفلح، ففرض له البقاء. و البقاء ليس إلّا لله أو لما كان عند الله، و ما ثمّ إلّا الله أو ما هو عنده، فخرائنه غير نافذة، فليس إلّا صور تعقب صوراً، و العلم بها يسترسل عليها استرسالاً «٢».

و بعد فإذا كانت النزعات أو الشطحات التى كان الشيخ الأستاذ محمد عبده يستوحشها و يستغرب أن تكون صادرة من مثل ابن عربى، و من ثم استنكر انتساب التفسير إليه، فهذا هى مثلها أو أشد غرابه، ماثوته فى كتبه و لا سيما الفتوحات، فأين موضع الاستغراب. و من ثم فالأرجح صحة النسبة و لا سيما مع شهرتها و عدم وجود ما ينافى هذه النسبة، نظرا لشدة المشابهة بين محتويات هذا التفسير و سائر مؤلفات ابن عربى.

و أما ما ذكره الأستاذ الذهبى - لوجه المنافاة - من السماع من نور الدين عبد (١) الشمس / ٩ - ١٠.

(٢) الفتوحات، ج ٤، ص ١١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٦

الصمد النطنزى الأصفهانى المتوفى فى أواخر القرن السابع، حيث يصلح أن يكون شيخا للمولى عبد الرزاق الكاشى المتوفى سنة (٧٣٠هـ) لا لابن عربى المتوفى سنة (٦٣٨هـ).

فيمكن توجيهه، بأن الناسخ و هو المولى عبد الرزاق الكاشى زاد هذا الكلام هنا أو جعله على الهامش، ثم أدخل في المتن على يد النساخ المتأخرين، فلا منافاة.

## ٧- عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد الشيرازي

هو أبو محمد روزبهان بن أبي نصر البقلی الشيرازي المتوفى سنة (٦٦٦هـ).

هو تفسير إشاري رمزي على الطريقة الصوفية العرفانية، جمع فيه من آراء من تقدّمه من أقطاب الصوفية و أهل العرفان، فكان تفسيراً عرفانياً موجزاً، و في نفس الوقت جامعاً و كاملاً في حدّ ذاته. قال في المقدمة: «و لما وجدت أنّ كلامه الأزلي لا نهاية له في الظاهر و الباطن، و لم يبلغ أحد إلى كماله و غاية معانيه؛ لأنّ تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار، و نهراً من أنهار الأنوار، فتعرّضت أن أعرف من هذه البحور الأزلية غرفات من حكم الأزليات، و الإشارات و الأبديات، ثم أردفت بعد قولي أقوال مشايخي مما عباراتها ألطف، و إشاراتها أظرف ببركاتهم، و سمّيته: عرائس البيان في حقائق القرآن».

و هو يجرى في تفسيره مع الذوق العرفاني المجرد، حتى نهاية القرآن، و طبع في جزءين يضمّهما مجلد واحد كبير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٧

## ٨- التأويلات النجمية لنجم الدين داية، و علاء الدولة السمناني

ألّف هذا التفسير نجم الدين داية، و مات قبل أن يتّمه، فأكمّله من بعده علاء الدولة السمناني.

أمّا نجم الدين فهو أبو بكر عبد الله الرازي المعروف بداية. توفى سنة (٦٥٤هـ).

كان من كبار الصوفية، و كان مقيماً أوّل أمره بخوارزم، ثم خرج منها أيام هجوم چنگيز خان، إلى بلاد الروم، و يقال: إنه قتل اثناء تلك الحروب.

و أمّا علاء الدولة فهو أحمد بن محمد السمناني، توفى سنة (٧٣٦هـ). كان أحد الأئمّة المعروفين، و كان ينتقص من ابن عربي كثيراً، و كان مليحاً ظريفاً حسن المجلس حسن المناظرة، عزيز الفتوة، كثير البرّ، و له مصنّفات كثيرة ربما تبلغ الثلاثمائة. كان قد دخل بلاد التتار، ثم رجع و سكن تبريز ثم بغداد.

يقع هذا التفسير في خمس مجلّدات كبار، و هو تفسير لطيف، وضع على أسلوب التفسير الإشاري، و لكن في ظرافة بالغة و في عبارات شائقة.

و هناك تفاسير ذوات اعتبار، جعلت قسطاً من منهجها للبيان العرفاني الإشاري للقرآن، و ساروا على منهج الاعتدال في هذا المجال، أمثال النيسابوري في تفسيره «غرائب القرآن»، و المولى محسن الفيض الكاشاني في تفسيره «الصافي»، و السيد محمود الألوسي البغدادي في «روح المعاني». على ما أسلفنا الكلام عليها، فلا نعيد ذكرها؛ و بذلك قد تمّ مقصودنا من هذا الكتاب، و الحمد لله.

و قد تمّ بتوفيقه تعالى تبييض هذه الصحائف عصر يوم الجمعة الثالث و العشرين من شهر ربيع الأغرّ سنة ألف و أربعمائة و ستّ عشرة هجرية. في جوار مولانا الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا- عليه آلاف التحيّة و الثناء- على يد

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٨

الفقيه إلى الله الغني محمد هادي معرفة، و الحمد لله رب العالمين. و الصلاة و السلام على خير خلقه محمد و آله الطاهرين ٢٣/ ع ٨١

١٣٧٥ / ٥ / ١٩ - ١٤١٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٨٩

## الفهارس

## اشارة

\* فهرس الآيات القرآنية\* فهرس الأحاديث\* فهرس الأعلام\* فهرس المواضيع\* تراجم القرآن الكريم  
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٠

## فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية / الصفحة (٢) البقرة ٣ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ٣٩٧ ٦ سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ٣١٤، ٤١٦، ٥٨٣ ٧ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ ٣١٦، ٣٨٠، ٥٨٣ ١٤ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ٣٩٥ ١٥ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ٤٣٦ ١٨ صُمُّ بِكُمْ عُثِيُّ فَهُمْ لَا- يَرْجِعُونَ ٣٨٠ ٢٢ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ٥٦٨ ٢٦ إِنَّ اللَّهَ لَا- يَشِئْتَحِي أَن يُضْرَبَ مِثْلًا مَا بَعُوضَةٌ ٣٢٨، ٣٩٨ ٣٠ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ٢٤ ٣٤ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٨ ٣٥ وَلَا- تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ٥٤١ ٣٦ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ١٦٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩١

٤٠ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨ ٤١ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ٥٥٨ ٤٥ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ٥٦٨ ٤٧ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ٣٦٨، ٣٩٥ ٧٩ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ١٣٧ ١٠٢ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ ١٤٣، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢ ١١٢ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ٥٦٠، ٥٦٦ ١٢٤ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ٤٢٦ ١٢٥ وَ عَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ ٥٥٠ ١٢٦ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ ٥٦٩ ١٢٧ وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ ١٥٤ ١٥٢ فَادْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ ٥٥٥ ١٧٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا ١١١ ١٨٥ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ٢٢، ٤٢٩ ١٨٧ ثُمَّ اتَّمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ٣٥٧ ٢٠٤ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٤٧ ٢٠٥ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ٤٧ ٢٠٧ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ٤٧ ٢١٠ هِيلَ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ٤٨٦ ٢١١ سَلِّ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ ٩٠ ٢٣٢ وَإِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ ٣٥٨ ٢٣٨ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى ٣٢٤ ٢٤٥ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ ٤٨١ ٢٤٨ وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ١٥٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٢

٢٥١ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ١٦٠ ٢٥٣ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ٥٧١ ٢٥٥ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ ٤٩١ ٢٦٠ وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ١٨٧ ٢٧٥ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي ٤٣٠، ٤٦٥ ٢٨٦ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ٤٢٠ (٣) آل عمران ١٨ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٤٩٩ ٢٨ وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٨١، ٥٥٨ ٣١ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ٤١٣ ٣٦ وَ إِنِّي أُعِيدُهَا بِيَدِكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا ٤٩١ ١٠٥ وَ لَا- تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اختلفوا ٤٩٨ ١١٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ٨٣ ١٣٥ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ٥٧١ ١٨١ إِنَّ اللَّهَ فَكِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ ٢٨٥ ١٩١ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ٥٧٥ (٤) النساء ١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ٣٢٩ ٢ وَ آتُوا الزِّيَامَ أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ بِالطَّيِّبِ ٣٥٨، ٣٦٧ ٦ وَ ابْتَلُوا الزِّيَامَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النُّكَاحَ ٣٥٨ ٣٦ وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَ الْجَارِ ٥٤٢

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٣

٣٩ مَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا ٤١٩ ٥٧ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ٤٣٨ ٦٦ وَ لَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا ٥٤٦ ٧٦ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ٤٢٦ ٨٠ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ٥٨٤ ٨٣ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ٣٧٨، ٤٠٥

١١٠ ثُمَّ يَسْتَتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا ٥٥٦ ١٥٥ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا ٣٨ ١٦٣ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ٤٢٥ ١٦٥ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ ٤١٩، ٤٢٥ (٥) المائدة ٢٢ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ١٧١، ١٧٤ ٢٣ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ ... فَأِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ١٧٢ ٣١ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ١٦٨ ٣٣ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ٢٣ ٥٤ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ ... لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ٣٩٩ ٥٥ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا ٣٧٨، ٣٨٥ ٦٤ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ٢٨٥ ٦٧ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ٤٨٥ ٨٢ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ٨١ ٩٤-٩٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ ٩٦ ٥٥١ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ ٥٥١ ١١٢ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ١٧٩، ١٨٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٤

١١٤ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً ١٧٩، ١٨٧ ١١٥ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلْتُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعِيدٌ مِنْكُمْ ١٧٩، ١٨٨ (٦) الأنعام ٢٥ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ٣٨ ٣٨١ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ٤٤٩ ٦٨ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ١٣٢ ١٠٣ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ٤٨٥ ١٢٥ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ٤٠٩ ١٣٧ وَ كَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ ٤٩٤ ١٦٢-١٦٣ قُلْ إِنْ صِيَلَاتِي وَ نَسِيحِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٧٠ (٧) الأعراف ١٤-١٦ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ٤٢٣ ٥٣ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ٤٨٦ ٦٥ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ٣٦٣ ٦٩ وَ أَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ٢٨٩ ٧٣ وَ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ٣٦٣ ١٣٩ إِنْ هُوَ إِلَّا مَنبَرٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ ٧٠ ١٤٣ وَ لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ ١٨٩، ٥٠٠، ٥٦٠ ١٤٤ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ١٩٨ ١٤٥ وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ١٩٢، ١٩٨ ١٥٠ وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ١٩٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٥

١٥٧ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ٤٢٠ ١٥٨ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ٢٠١، ٤١٣ ١٥٩ وَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ١٩٨، ١٩٩ ١٦٣ سَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ٩٠ ١٦٧ وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٢٣٨ ١٧٢ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ٤٩٢ ١٨٩-١٩٠ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ٢٠٢ ١٩٨ وَ تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٣٨٠ (٨) الأنفال ١ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٨٧ ٢٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ ٢٣ ٥٨ فَإِنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ٣١٤ (٩) التوبة ٤٠ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ١٥٩، ٣٧٩ ٩٣ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ٣٨١ ١٢٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا ٥٤٤ (١٠) يونس ٣٩ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ ٤٩٩ ٦١ وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مَا تَتْلُوا مِنْهُ ٢١٥ ٧٤ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ٣٨١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٦

٩٤ فَإِنِ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسِئَلِ ٨١، ٨٩، ٩٢ (١١) هود ٤٢-٤٣ وَ نَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كَانَ فِي مَعْرَلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ ١٧٢، ١٧٤ ٦٦ إِنْ رَبِّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ٤٢٦ ٧١ فَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ ٢٦٠ (١٢) يوسف ١-٣ الر، تَلَمَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١٢٤ ٤ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ٢١٣ ٢٤ وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا ٢١٤، ٢١٧ ٢٦-٢٨ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ٢١٨ ٣٢ لَنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيْسَجَنَّ ٢١٨ ٣٤-٣٣ قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ٢١٨ ٤٢ وَ قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ٢٢٥ ٤٩ ثُمَّ رَأَيْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٍ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ٣١٨ ٥١ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٢١٧، ٢٢١ ٥٢ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ٢٢٠، ٢٢٢ ٥٣ وَ مَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ٢٢١، ٢٢٢ (١٣) الرعد ٣ وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ٥٤٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٧

١٢ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا ٣٠١ ١٣ وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ٢٩٩، ٣٠١ ٢٩ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ ٢٢٨

٣٣ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ٢١٥ ٤١ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ٢٣ (١٤) إبراهيم ٧ لئن شكرتم لأزيدنكم ٥٥٧ ٢٢ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ٤٢٦، ٤٣١، ٤٦٤ (١٥) الحجر ٣٩ - ٤٠ لَأُعَوِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ٤٩١ ٤٢ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ٤٦٤ ٤٧ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ٧٣ ٢٩٤ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٤٣٨ (١٦) النحل ٤٠ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ٤٩٢ ٤٣ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ... فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ٨٢، ٨٩ ٩٣ ٤٤ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ١٩، ٢٦، ٤٥٣ ٨٩ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ٤٧٢ ١٠٨ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ٣٨١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٨

(١٧) الإسراء - بنى إسرائيل ٤ - ٨ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٧ ١٢ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ٢٩٣ ٣٢ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ٢١٦ ٤٦ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ٣٨١ ٩٤ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ٤١٩ ١٠١ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ٨٢، ٩٠ ١٠٤ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ١٩٩ ١٠٧ يَخْرُجُونَ لِلْذَّقَانِ سَجْدًا ٣٦٤ (١٨) الكهف ٢٢ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ٢٣٩، ٢٤٠ ٣٧ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ٣٧٩ ٤٩ مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ٥٨٢ ٥٧ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ٣٨١ ٨٣ وَيَسْتَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ ٢٤٠، ٢٤٢ ٩٤ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ ٢٤٤ ٩٧ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ٢٤٧ (١٩) مريم ٥١ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٦٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٥٩٩

(٢٠) طه ١٢ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ٥٧١ ٨٥ أَضَلَّهُمْ ٣٨١ ١٣٤ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكُنَا هُمْ بَعْدَ ٤١٩ (٢١) الأنبياء ٧ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ... فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ٨٢، ٨٩ ١٩ - ٢٠ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ١٤٩ ٢٦ - ٢٨ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ١٤٩ ٨٣ - ٨٤ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنَى ٢٨٢ ٩٠ يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ٥٥٨ ١٠٥ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ١٣٩ (٢٢) الحج ٢٦ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ١٥٦ ٣٥ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ٥٥٨ ٣٩ - ٤١ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ٣٦١ ٦٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ٥٤٧ ٧٨ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ٤٢٠ (٢٣) المؤمنون ٥٠ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ٤٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٠

٥٧ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٥٨ (٢٤) النور ١١ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥٢ ٣٦ - ٣٧ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ٣٦٩، ٥٥٨ ٣٩ كَسِيرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ٥٣٩ ٤٢ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٨١ ٥٥ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ٣٦١، ٣٩٧ ٦٣ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ٤١٣ (٢٥) الفرقان ٨ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَشْحُورًا ٤٦١ (٢٦) الشعراء ١١٩ - ١٢٠ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ١٧٤ (٢٧) النمل ٣٥ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ٢٥١، ٤٨٣ ٤٤ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ٢٤٩ (٢٨) القصص ٣٢ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ٥٧٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠١

(٢٩) العنكبوت ٦٩ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ٥٥٦ (٣٠) الروم ٢١ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ٣٣٠ ٤١ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ٥٤٢ (٣١) لقمان ١٥ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي ١١٢ ٢٠ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ٢٤ ٣٤ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ٤٨٥ (٣٢) السجدة ٧ - ٨ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ٣٦٤ (٣٣) الأحزاب ٢١ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ٤١٣ ٥٦ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ٣٦٤ ٧٢ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٢٤، ٤٨٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٢

(٣٤) السبا ٢٠ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ٤٢٣ ٢١ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ٤٣١ ٣٩ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ٥٥٥ (٣٥) فاطر - ملائكة ١٨ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٨١ ٢٨ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ٥٥٨ (٣٦) يس ٧ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٤١٦ ١٢ وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ... فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ٥٨٢ ٢٢ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ٨١ ٤٩ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ٤٨٣،

٤٨٦ ٦٩ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ١٧٠ (٣٧) الصافات ٦٥ كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ ٣٩٥ ٩٩-١١٣ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّهِدِينَ ٢٥٤ ١١٢ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٦٠ ١٢٣-١٣٢ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢٦٢

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٣

(٣٨) ص ٢١-٢٥ وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ... فَعَفَوْنَا لَهُ ذَلِكَ ٢٦٧، ٥٦١ ٣٤ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ ٢٧٣ ٤١-٤٤ وَ اذْكُرْ عِبَادِنَا آيُوبَ ... وَ لَا تَحْتِثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ٢٧٩ ٤٦ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ٥٦١ ٨٢-٨٣ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٢١٨ (٣٩) الزمر ١٧ وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ٥٥٥ ٢٢ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ٤٠٩ ٦٧ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ٤٩٢ (٤٠) الغافر- المؤمن ٥١ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا ٤٢٦ ٦٠ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ٥٥٥ (٤١) فصلت- سجده ١١ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انثبأ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ٤٨٧، ٤٩٢ ١٥ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ٢٨٩ ١٧ وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ٤٩٨ ٣٠ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا ٥٥٩ ٥٣ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ ٥٧٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٤

(٤٢) الشورى ١٠ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ ١١ ٤٨١ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ٢٥، ٤٨٤ ٥٣ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ٤٨١ (٤٣) الزخرف ١٨ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحُلِيِّهِ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ ٣٥٤ ٤٥ وَ سِئَلٌ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ٨٩ (٤٤) الدخان ١-٣ حم. وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ٢٢ (٤٥) الجاثية ١٣ وَ سَيَخْرُ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ ٢٤ (٤٧) محمد صلى الله عليه و آله و سلم ١٦ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ٣٨١ ٢٣ فَاصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ٣٨١ ٢٤ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ١٩، ٤٠٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٥

(٤٨) الفتح ٤ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ١٥ ١٥٩ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ٤١٧ ٢٦ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ١٥٩ (٤٩) الحجرات ٦ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ٣٣ ٩ وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا ٣٦١ (٥٠) ق ١ وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ٣٠٧ (٥١) الذاريات ٢٨ قَالُوا لَا- تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٢٦٠ (٥٤) القمر ١٣ وَ حَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحَانِ غَوِيًّا ٧٣ (٥٥) الرحمن ١١ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ٥٤٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٦

(٥٦) الواقعة ٢٤ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٤٠٨ ٥٧ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تَصِيَّدُفُونَ ٥٧٥ ٧٨ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ٥٨٢ (٥٧) الحديد ٤ وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ٥٧٥ (٥٨) المجادلة ٧ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ٥٧٦ ٢١ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَ رَسُولِي ٤٢٦ (٥٩) الحشر ١٩ وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ٢٣ ٢١ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا ٤٩٠ (٦٠) الممتحنة ١ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ٣٢١ (٦١) الصف ٥ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ٣٨١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٧

(٦٦) التحريم ٦ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ١٤٩ (٦٨) القلم ١ ن، وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ ٥٧٩ (٦٩) الحاقة ٦-٨ بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا ٢٨٩ (٧١) نوح ١ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ٣٦٣ ٢٦ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ١٧٤ (٧٢) الجن ١٨ وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ٢٥ (٧٣) المزمل ٨-٩ وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ ٥٧٦ (٧٤) المدثر ١٧ ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ٤١٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٨

(٧٥) القيامة ١٢ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ٤٨١ ٢٢-٢٣ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ ٤٨١ ٣٠ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ٤٨١ (٧٦) الإنسان- الدهر ٣٠ وَ مَا تَشَاوَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٧٤، ٣٦٣ (٧٩) النازعات ٢٨ رَفَعَ سَمَكَهَا ٥٦٨ (٨٠) عبس ١٣-١٥ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ٥٨٢ (٨٢) الانفطار ١٠-١١ وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ٢١٥، ٥٨٢ ١٢ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ٥٨٢ ١٣-١٤ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ٥٤٨ (٨٣) المطففين ٨-٩ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنُ كِتَابٍ مَرْفُوعٍ ٢٣٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٠٩

١٤ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٣١٧ ١٥ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ٣٦٣ ١٩ - ٢٠ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْمُكِ كِتَابُ مَرْفُوعٍ ٢٣٩ (٨٤) الانشقاق ٢٠ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٤١٩ (٨٨) العاشية ١٧ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ٤٨٣ (٨٩) الفجر ٦ - ٨ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٢٨٦ ٢٧ - ٣٠ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي ... وَادْخُلِي جَنَّتِي ٥٨٤ (٩١) الشمس ٩ - ١٠ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ٤٩٨، ٥٨٥ (٩٦) العلق ١٩ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ٣٦٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٠

(٩٧) القدر ١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ٢٢ (١١٠) النصر ١ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ٥٤٨ (١١١) تبت ١ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ٤١٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١١

### فهرس الأحاديث

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِمَامَ عَادِلٍ ٢٧٠ وَلِدَ لِسُلَيْمَانَ وَلِدًا، فَقَالَ لِلشَّيْطَانِ: تَوَارِيهِ مِنَ الْمَوْتِ ٢٧٨ إِنْ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بِلَاوَهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ٢٨٣ [إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ] كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَأْتِي إِلَى الصَّخْرَةِ ٢٩٠ إِنْ اللَّهُ لَمَّا أْبْرَمَ خَلْقَهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٩٣ وَكُلٌّ بِالشَّمْسِ تَسْعَةً أَمْلاكَ، يَرْمُونَهَا بِالثَّلْجِ ٢٩٥ الْأَرْضُ عَلَى الْمَاءِ ٢٩٥ مَرْحَبًا بِالمُهَاجِرِ الْأَوَّلِ ٢٩٦ أَمَا ظَلَمَةُ اللَّيْلِ، وَضَوْءُ النَّهَارِ ٢٩٦ المَجْرَةُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ هِيَ عِرْقٌ حَيٌّ تَحْتَ الْعَرْشِ ٢٩٨ يَا مَعَاذِي، إِنِّي مَرْسَلُكَ إِلَى قَوْمٍ أَهْلُ عِنَادٍ ٢٩٨ إِنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثُورَانِ فِي النَّارِ ١١٦ إِنْ اللَّهُ أذُنٌ لِي أَنْ أَحَدَّثَ عَنْ دِيكَ ١١٧ النَّيْلُ وَالسِّحَانُ وَجِيحَانُ وَالفِرَاتُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ١١٧ خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ١١٨، ١١٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٢

إِنْ فِي الْجَنَّةِ لِشَجْرَةٍ يَسِيرُ الرَّابِكُ فِي ظِلِّهَا ١١٩ لَمَّا قَالَ يُوسُفُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٢٢١ أَشَدَّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ٢٢٦ لَوْ لَمْ يَقُلْ - يَعْنِي يُوسُفَ - الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَهَا، مَا لَبِثَ فِي ٢٢٧ يَا عَائِشَةُ، إِنْ هَذِينَ يَمُوتَانِ عَلَيَّ غَيْرَ مَلْتِي ٤٥ يَا عَائِشَةُ، إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى رَجُلَيْنِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ ٤٥ إِنْ آلُ أَبِي طَالِبٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءِ ٤٦ لَاهَا اللَّهُ، لَا تَجْتَمِعُ ابْنَةُ وَلِيِّ اللَّهِ وَابْنَةُ عَدُوِّ اللَّهِ ٤٦ إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا، وَإِنْ حَرَمِي بِالْمَدِينَةِ ٤٦ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا ٤٧ اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ وَالحِسَابَ ٤٨ سَتَفْتَحُ عَلَيْكَ الشَّامَ ٤٩ أَرْبَعُ مَدَائِنَ مِنَ مَدَائِنِ الْجَنَّةِ: مَكَّةُ، وَالمَدِينَةُ، وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ، وَدِمَشْقُ ٤٩ إِنَّكَ سَتَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ٤٩ - لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَيَّ الْحَقُّ ٥٠ - لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَيَّ الْحَقُّ ٥٠ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ كَلِمَةٍ مِنْهَا طَيْرًا ٥٩، ١٣٢ أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، إِلَّا مَا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٦٣ بَعَثَ اللَّهُ جَبْرِئِيلَ إِلَى آدَمَ، فَأَمَرَهُ ١٥٦ إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ، وَطَوْلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ١٧٣ إِنَّهَا نَزَلَتْ خَبْرًا وَلَحْمًا، وَأَمْرًا أَنْ لَا يَخُونُوا ١٧٩ خَدَعَهُمَا مَرَّتَيْنِ: خَدَعَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَخَدَعَهُمَا فِي الْأَرْضِ ٢٠٣ وَلَمَّا وَلِدَتْ حَوَاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ ٢٠٤ يَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ ٣٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٣

مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ٢٠٥ حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَا حَرْجَ ٩٠، ٩٣، ٩٤، ١١٠، ٢٠٨، ٣٦٨ كَانَتْ سَفِينَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا أَجْنَحَةٌ ٢١٠ سَامُ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامُ أَبُو الْحَبَشِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ ٢١٠ أَكْرَمُوا قَرِيشًا فَإِنَّ عَالَمَهَا يَمَلَأُ طَبَاقَ الْأَرْضِ عِلْمًا ٣٨ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ٣٨ إِنْ سَفِينَةُ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ٢١٢ هَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِأَسْمَائِهَا؟ ٢١٣ مِنْ كَذِبٍ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَيَتَبَوَّأُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ٤١ لَا سَبِقَ إِلَّا فِي خَفِّ أَوْ حَافِرٍ أَوْ جَنَاحٍ ٤٢ إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا اعْتَدُوا، وَعَلُوا ٢٣٥ هَذَا مِنْ صَنْعِهِ حَلِيَّ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ٢٣٦ مَا لِي وَ مَا لَهُمْ، مَا لِي عِلْمٌ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ٢٤٢ إِنَّهُ كَانَ شَابًا مِنَ الرُّومِ، وَإِنَّهُ بَنَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ ٢٤٣ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ أُمَّةٌ ٢٤٥ بَعَثَنِي اللَّهُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِلَى يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ ٢٤٦ إِنْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ٢٤٦ إِنْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ

يحفرون السد كل يوم ٢٤٧ فوالذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن ٢٤٧ الذي إسحاق ٢٥٤، ٢٥٥ إن داود سأل ربه مسألة، فقال: اجعلني مثل إبراهيم ٢٥٥ إن الله تعالى خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي أو شفاعتي ٢٥٥ قد كثرت علي الكذابة و ستكثر ٧٠ الأمان سبعة: اللوح، والقلم، وإسرايل، و ميكائيل، ... و معاوية ٧١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٤

أن الله ائتمن علي وحيه جبريل و أنا و معاوية ٧١ يا عم، إن الله جعل أبا بكر ٧٤ لما عرج بي إلى السماء، قلت ٧٤ أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبا ٧٥ قال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب ٧٥ قال لبلال: هلم، علي بالناس. فاجتمع الناس ٧٦ قال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! ٨٣، ٩١ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ٨٤ لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم ٨٥، ٩٠، ١٤١ بلغوا عني و لو آية ٨٨ لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم ٩١ الخضر هو إلياس ٢٦٥ إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة ٢٦٨ اقرأ بهذا ليلة، و بهذا ليلة ٩٥ أمتهوكون كما تهوكت اليهود و النصارى ٩٦ لا يقص علي الناس إلا أمير أو مأمور ٩٧ ليلزم كل إنسان مصلاه ١٠٥ تقتله الفئة الباغية ١١٢ أطع أباك حيا و لا تعصه ١١٢ ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب ٣٠١ اللهم لا تقتلنا بغضبك ٣٠٣ إذ سمعتم الرعد فسبحوا ٣٠٣ سبحان الله و بحمده، سبحان الله العظيم ٣٠٣

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٥

ما هذا في يدك يا عمر؟! ... يا أيها الناس إنني ١٢٤ إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كان نكتة سوداء في قلبه ٣١٧ إن الذنوب إذا تابعت علي القلوب أغفلتها ٣١٧ لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد هوكوا و تهوكوا ١٢٥ علي و فاطمة و ابناهما ٣٢٢، ٤١٣ فيخبروكم بحق فتكذبوا به ١٤١ ان الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك علي بنى آدم في الخطايا ١٤٦ مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلتكم ٤٢٢ هل تضارون في رؤية الشمس و القمر ٤٨٣ من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ٣٥٢ و الله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أتباعي ٣٦٩ علماء أمتي كانبيا بنى إسرائيل ٣٨٩ أنت منى بمنزلة هارون من موسى ٣٨٩ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد اللهم أدر الحق مع علي حيث دار ٤١٠ فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ٤١٣ من فسّر القرآن برأيه فإن أصاب فقد أخطأ ٥٢٨ الهوى و الشهوة يغلبان العلم و العقل ٥٤٢ حجاب النور لو كشفها لأحرقت ٥٦٠ كنت نبيا و آدم مجبول في طينته ٥٦٤ قيدوا العلم بالكتابة ٥٨٢ ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي ٣٥١ العلماء ورثة الأنبياء ٣٨٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٦

علي بن أبي طالب عليه السلام أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم سئل عن المسوخ، فقال: ١٥٣ حيث ما جاء منه مبهما في موضع منه، قد جاء مفصلا و مبينا في موضع آخر ٢٢ هي ریح فجوج هفافة، لها رأسان ١٥٨ لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم، فقال: ١٦٩ و إنما هو تعلم من ذي علم ... علم علمه الله ٢٧ خلق الله آدم بيده ١٩٣ سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: عمر بن الخطاب نور في الإسلام ٥٣ من حدّث بحديث داود علي ما يرويه القصاص جلدته ٢٧٢ إن كعب الأخبار لكذاب ٩٨ قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: قال الله عزّ و جلّ: «ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي» ٣٥١ من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ٣٥٢ العلم نقطة كثرتها الجاهلون ٥٧٦ الباقر عليه السلام لما مات سليمان النبي عليه السلام وضع الشيطان السحر ١٥٠ «أو ينفوا من الأرض» فسره عليه السلام بفقد العلماء ٢٣ حافظوا على الصلوات و الصلاة ٣٢٤ هي أول صلاة صلّاها ٣٢٤ نزلت هذه الآية يوم الجمعة ٣٢٤ صلاة الظهر ٣٢٤ أن الله مدح قوما بأنهم إذا دخل وقت الصلاة ٣٧٠ أنهم الأئمة المعصومون، و قيل: هم أمراء السرايا ٣٧٨

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦١٧

الصادق عليه السلام كان بعد نوح عليه السلام قد كثرت السحرة و المموهون ١٥٠ البرهان: النبوة التي أودعها الله في صدره ٢٢٤ نزل جبرئيل علي النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عليه قباء أسود ٤٤، ٧١ الصلاة الوسطى الظهر ٣٢٤ إن ظاهرها: الحمد و باطنها: ولد الوالد ٣٢٥ فالبعوضة: أمير المؤمنين و ما فوقها: رسول الله ٣٢٨ أن الله مدح قوما بأنهم إذا دخل وقت الصلاة ٣٧٠ النعيم: المعرفة و





٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٦، ٣١٩، ٣٤١، ٣٥١، ٣٦٩، ٣٨٧، ٥٦٨ ابن عبد الحكيم: ١٧١، ٢٤٣ ابن عدى: ٦٠، ٦٦، ٦٩، ٢٤٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢١

ابن عربي: ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٧ ابن عساكر: ١٦٩، ٢١٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٦، ٢٤٦، ٢٦٤، ٢٨٠ ابن عطاء الله: ٥٤٨ ابن عطية: ١٩٧، ٣٠١، ٣٤٣، ٤٠٣، ٤٣٦، ٤٩٦، ٥٢١ ابن عمران الحراني: ٢٩٦ ابن عوانة: ٢٤٧ ابن فورك: ٥٤٨ ابن فيلبس المقدوني: ٢٤٤ ابن قتيبة: ١٠١، ١٣٠، ١٧٣، ٥١١ ابن قلابه: ٢٨٧، ٢٨٨ ابن قيم: ١٧٤، ٢٥٩ ابن كثير: ١١٧، ١١٨، ١٢٣، ١٢٨، ١٤٧، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٤، ١٧٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٣٥، ٣٣٩، ٤٣٦، ٤٨٣، ٥٢٣ ابن كريب: ٢٤٢، ٢٥٤ ابن لهيعة: ٣٦، ١٥٦، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦٩ ابن ماجه: ٢٤٦ ابن مالك: ٣٥٧ ابن مبارك: ٣٦ ابن مردويه: ١٤٣، ١٤٣، ١٥٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢١، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٥، ٢٧٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤ ابن مسعود: ٢٦، ٨٦، ٩١، ١٤١، ١٤٣، ١٤٧، ١٦٧، ٢٣١، ٢٤٦، ٢٥٥ ابن معين: ١٠٨، ٢٠٥، ٢١٤ ابن مته: ٩٧، ١٣٤ ابن مهران (ميمون): ١٧٠ ابن ميمون: ١١ ابن نجارة: ٢٤٥ ابن نمير: ٦٢، ٦٦ ابن وكيع: ٢٠٥، ٢٢٦ إرميا: ٢٣٤ إسحاق عليه السلام: ١٢٢، ١٤٢ إسحاق: ٨٠، ١٦٢، ١٦٥، ٢١٨، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١ إسحاق بن بشر: ٢١٠ إسحاق بن راهب: ٤٨، ٥١ إسحاق بن ناصح: ٦٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢٢

إسحاق بن نجيح: ٦٤، ٦٦ إسحاق بن وهب: ٦٦ الإسفرايني: ٥٤٨ الإسكافي: ٤٥ الإسكندري ١٤١، ٢٤٠، ٢٤٤ الإسكندري الثاني: ٢٤٤ إسماعيل: ١٥٣، ٢٢٥، إسماعيل: ١٥٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١ الأصهباني (نعيم): ٧٨ إلياس عليه السلام: ١٤٢، ٢٦٣، ٢٦٤ إيشاء: ١٦١ أبا صلت: ٢٥٩ أبان البصري: ٦٥ أبان بن تغلب: ٥٠٥ ابن حجر: ١٢، ٥١، ٥٦، ٧٨، ٩١، ٩٥، ١٠١، ١٠٤، ١٠٨، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣٨٦، ٤٠٧، ٤١٤، ٤٨٥ أبو إسحاق مولى أسلم: ٦١، ١٨٩ أبو الأشنان: ٦٦ أبو الأعلى: ١٠٤، ٢٠٥ أبو البختری: ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٦٩ أبو البقاء: ٥٠٦ أبو الجارود ابن المنذر: ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٨٧، ٣٢٥، ٣٢٦ أبو الجماهير: ٢٠٧ أبو الحجاج المزي: ٢٣٦ أبو الحسن: ٤١٢ أبو الحسين البصري: ٤١٨، ٤٢٠ أبو السعود: ١٤٨، ٤٣٦ أبو الشيخ: ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٣٠٨ أبو العالیه: ٣٤١ أبو العباس محمد بن يزيد: ٥٠٥ أبو الفتح الخشاب: ٦٨ أبو الفداء: ١١٣ أبو الفضل العباس بن محمد: ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣١ أبو الهذيل: ١٩٩ أبو بكر: ٩٨، ١٠٣، ١١٣، ١٢٢، ٣٧٩ أبو بكر الصاغاني: ٦٢ أبو بكر الطوسي: ٥٤٨ أبو بكر بن مردويه: ٣٨٦ أبو بكر محمد بن أحمد البلدي: ٥٤٠ أبو جعفر: ٤٦، ٤٧، ١٦٦ أبو جهل: ٤٦ أبو حنيفة: ٣٧، ٣٨، ٤١، ٥٨، ٦٦، ٣٥٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢٣

أبو حيان: ١٥، ١٤٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١١، ٣٤٤، ٤٣٦، ٤٩٦، ٥٢٤، ٥٢٥ أبو داود: ١٦٠، ٣٠٣ أبو ذر: ٣٨٧ أبو رية: ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٥، ٩٨، ١٠٢، ١١٨، ١١٩، ١١٣، ١١٣، ١١٣ أبو زرع: ٤١، ٢٠٤، ٢٤٣ أبو سعيد: ٥٥٣ أبو شاهد: ٣٩ أبو شهبة: ١٣٤، ١٣٧، ١٤٧، ١٥٩، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٥، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٧٧ أبو شهبة: ١٢٣ أبو صالح: ٥٦، ٢٥٩، ٢٩٠ أبو صخرة: ١٧١ أبو طالب: ١٠٨ أبو طلحة الناقت: ٥٠٤ أبو عاصم: ١٨٠ أبو عبد الرحمن السلمى: ١٦، ٥٤، ٥٤٥، ٥٤٨ أبو عبد الله السلمى: ٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٦ أبو عبيد: ٦، ٥٠٦ أبو عبيد (القاسم بن سلام): ٦٢، ١٠٣، ٥٠٦ أبو عبيدة معمر بن المثنى: ٥٠٦ أبو عمر: ٧٨ عمرو بن العلاء: ٢٥٩ أبو محمد الحريري: ٥٤٦ أبو محمد الغزالي: ١٣٢، ٢٠٤ أبو محمد مكي بن أبي طالب: ٥٠٨ أبو مسلم الأصفهاني: ٤٠٧ أبو معاوية: ٢٧٦ أبو مغيرة: ٦٩ أبو موسى: ٢٩٧ أبو نجیح: ١٢ أبو نصر سابور: ٣٧٤ أبو نعيم: ١٠٣، ٢١٣ أبو هاشم: ٤٢٤ أبو هريرة: ٣٧، ٤٢، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٥، ٨٥، ٩٠، ٩٤، ١٠١، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩، ١٢٩، ١٨٠، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٧٨، ٣٠٣، ٣١٧، ٤٦٥ أبو يعلى: ١١٦، ١٢٣، ٢١٣ أبي المعالي: ٣٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢٤

أبي أمامة الباهلي: ٥٠، ٢٩٥ أبي بديل الوصاحي: ٥٠٤ أبي بن كعب: ٣٦، ٤٠، ١٢٨، ٢٠٧ أبي حاتم: ١٢، ٣٧، ٢٩٥ أبي حامد: ٣٩ أبي سعيد الخدري: ٢٥٤ أبي عثمان المهدي: ١٨١ أبي عصمة: ٤١ أبي علي الفارسي: ٤٩٦ أبي عيينة: ١٩٩ أبي قلابه: ٥٤ أبي يعقوب يوسف بن محمد: ٣٣١ أثير الدين محمد بن يوسف (اندلسي نحوي): ٥٠١ أحمد: ٩١، ١٠٧، ١٠٨، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ٢٠٤، ٢٤٩، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٨ أحمد الإسكندري: ٥٠١ أحمد الهمداني المعتزلي: ٥١٣ أحمد أمين: ١٤، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٣٥، ١٣٦ أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي: ١٢٤ أحمد بن عيسى: ٥١١ أحمد بن محمد: ٦٠ أحمد بن محمد بن غالب الباهلي: ٦٦ أحمد بن معرب: ٤٣٤ أحمد بن يحيى: ٦٠ أحمد بن يوسف: ٤٩٦ الأحنف بن قيس: ٢٥٤ الأخفش: ٥٠٦ الأزرقى: ١٥٥ أرسطاطاليس: ٢٤٤ الأرنؤوط: ٩٦، ١٠١ أسباط: ١٧٣ الأسترابادي: ٦٦، ٣٩١ الأسلمي: ٩٥ الأشعري: ٤٨٣ الأعمش: ٤٦، ٥٦، ١٠٨ أفلاطون: ٤٤٨ أم كلثوم: ٩٩ أميني (علامة): ٤٨، ٦٤، ٦٩ أنس بن مالك: ٦٣، ٦٥، ١١٥، ١٣٢، ٢٢١، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٨٧ أوربا: ٢٧١ الأوزاعي: ١٤٥ الأهوازي: ٦٦، ٢٩٧ أيوب عليه السلام: ١٤٢، ١٨٥، ٢٢٥، ٢٧٩، ٢٨٠،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٢٥

٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤ (حرف الباء) الباقر عليه السلام: ٢٣، ٦١، ٧٨، ١٥٠، ٢٥٩، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٧٠، ٣٧٨، ٣٨٧، ٤١١، ٥٠٥، ٥١٠ بانو أمين: ٤٧٨ البحراني: ١٩، ٣٣٠ بحيرة الطبرية: ١٠٦ البخاري: ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٦٦، ٨٤، ٨٨، ٩١، ١٠١، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٨، ١٢٧، ١٥٥، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦،









نوح بن أبي مريم: ٢٩٤ التّوى: ١٠٤ النهاوندى (أبو عبد الله): ٤٢ النيسابورى: ٤٣٧، ٥٤٣ (حرف الواو) الواحدى: ١٥، ٢١٩، ٥٤٤  
الواقدى: ٦٠، ٦١، ٦٢، ٣٤٣ وكيع: ٥٦ وليد بن عتبة: ١١٩ الوليد بن مسلم: ٢٥٥ وهب: ٦٩، ١١١، ١٩٣، ١٩٤، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٥٠، ٢٥٢،  
٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٥ وهب بن جرير: ١٠٧ وهب بن منبه: ٧٨، ٧٩، ٨٧، ٩٤، ١٠٩، ١١٩، ١٣٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٩، ١٨٠،  
١٨١، ١٨٩، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧ وهب بن وهب  
القاضى: ٦٤ (حرف الهاء) هابيل: ١٦٨، ١٧٠ هاجر: ٢٥٧ هاروت: ١٢٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ٢٨٤،  
٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ٢، ص: ٦٤٠

هارون: ١٤٠، ١٦٢، ٣٨٩ هارون بن رباب: ١٤٥ هاشم: ٤١٢ الهراسى: ٣٦٥ هشام بن عبد الملك: ٥٢ هشام بن عروة: ٤٣ الهلال: ٢٠٥،  
٢٩٤ هلال بن فياض: ٢٠٤ همام بن منبه: ١١١ هود: ٢٨٩ الهيثمى: ٢٩٧، ٢٩٨ (حرف الياء) يافث: ٢١٠ يأجوج: ١١٧، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤،  
٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨ يحيى: ٧٩ يحيى بن سعيد: ٦٠، ١٠٧، ١٠٨ يحيى بن معين: ٤٣، ٤٤، ٥٩، ٦٢، ٦٧، ١٣٢ يحيى بن هاشم الغسانى:  
٦٩ يزيد: ٢٠٥ يزيد بن أبان الرقاشى: ٢٦٩ يزيد بن أسلم: ١٧١ يزيد بن هارون: ٦٢، ١١٥ يعرب بن قحطان: ١٧٠ يعقوب: ٧٩، ٨٠،  
١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٥٥، ٢٦٠ يعقوب بن سفيان: ٦١ يوسف: ١٢١، ١٤١، ١٤٢، ١٧٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩،  
٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٤١١ يوسف بن عمر: ١٠٩ يوشع بن نون: ١٧١، ١٩٤ يونس بن عبد الأعلى: ٦٢

## تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ  
كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرِ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ  
الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهايدة هذه  
المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) و  
بساحه صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠  
الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقة لم ينطقي ومصباحها، بل تتبّع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)  
تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب  
الجوامع، بالليل والنهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و  
عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل  
(=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعه جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت  
-عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم  
الإسلاميه، إناله منابع اللزومه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -  
في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.



- من الأنشطة الواسعة للمركز:

- (الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه  
 (ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول  
 (ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...  
 (د) إبداع الموقع الانترنتى " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخر  
 (ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية  
 (و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)  
 (ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS  
 (ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد  
 جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه

(ى) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و مفترق " وفائى / " بنايه " القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

